﴿فهرسة الجزء الثانى من السيرة الحلبية﴾

﴿فهرسة الجزء الثانى من السيرة النبوية التى بهامش السيرة الحلبية﴾

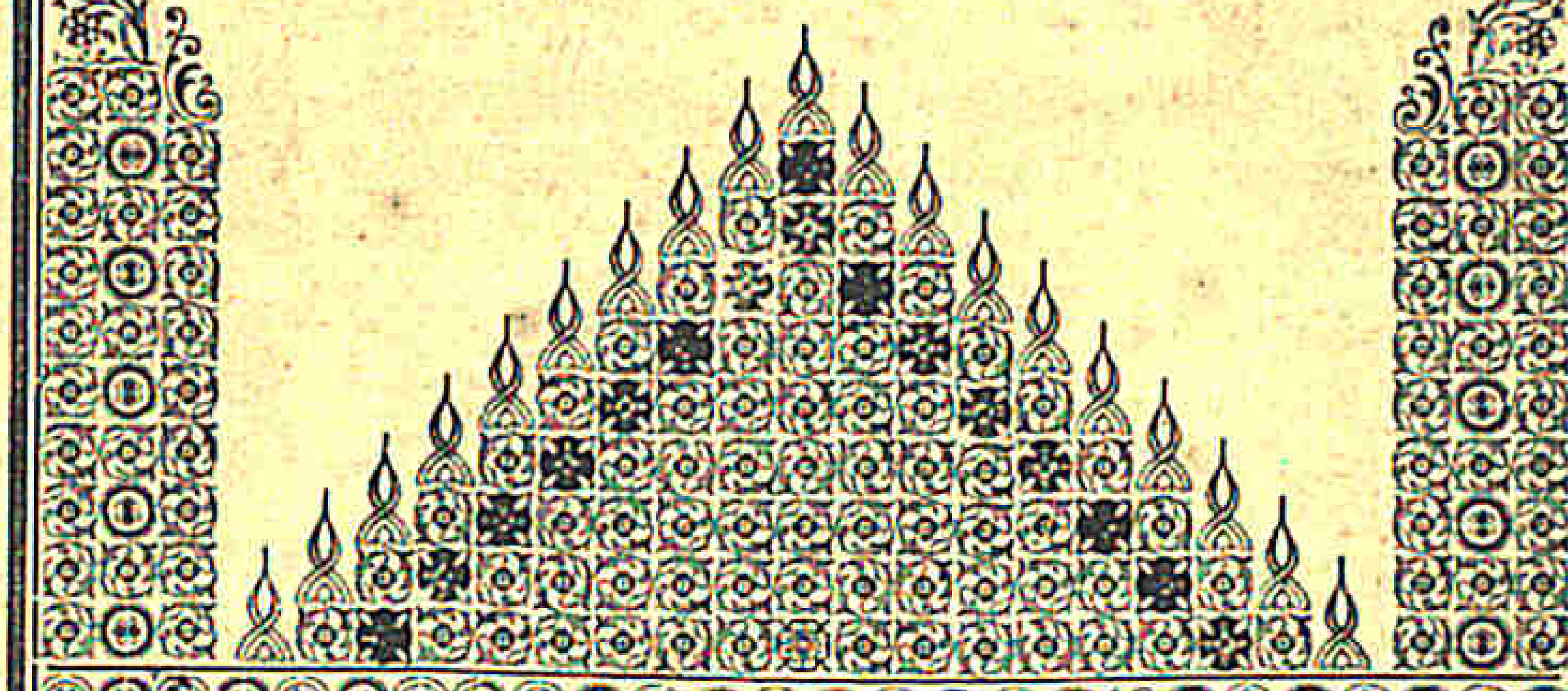
(تمت)

الجزء الثانى

من انسان العيون في سيرة الامين المأمون
المعروفة بالسيرة الحلبية تأليف الامام
العالم العلامة الحبر البحر الفهامة
على بن برهان الدين الحلبى
الشافعى نفع الله
بعلومه
آمين

وبهامشها السيرة النبوية والآثار المحمدية
لمفتى السادة الشافعية بمكة المشرفة السيد
أحمد زينى المشهور بدحلان نفع الله به
المسلمين آمين





بسم الله الرحمن الرحيم

باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه و يناصروه على ماجاء به من الحق

أى لانه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته ثلاث سنين ثم أعلن بها فى الرابعة على ما تقدم ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى الموسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم أى بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة و يسأل عن منازلهم و يأتى اليهم فى أسواق المواسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز فقد تقدم أن العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجىء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجىء سوق ذى المجاز فتقيم به الى أيام الحج يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف و يقول الا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم أى بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وو راءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعنى عمه وفى رواية عن أبى طارق رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان أى ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذى يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى يعنى أبا لهب اى وفى السيرة الهشامية عن بعضهم قال انى لغلام شاب مع أبى بمنى و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن

غزوة بنى سليم

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وعلى الصلاة ابن أم مكتوم بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقط بناء على ان قضاء الاعمى غير صحيح وقيل غير ذلك وكان لواؤه ابيض حمله على بن أبى طالب رضى الله عنه فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها صلى الله عليه وسلم وانحدر بها الى المدينة وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

غزوة بنى قينقاع

بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم أشهر قوم من اليهود كانت منازلهم بطرف المدينة مما يلى العالية وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله ابن أبى ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد أى لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بنى قريظة و بنى النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على أن يكونوا معه لا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوه فهم أول من غدر من اليهود مع ماهم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب غدرهم ونقضهم العهد ان امرأة من العرب وكانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو وقدمت بجلب لها

الله عز وجل ما بعثنى به قال وخلفه رجل أحول وضىء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابى من هذا الرجل الذى يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب * وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب أى الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم ان الله قد أحسن اسم أبيكم أى عبد الله أى فقد قال صلى الله عليه وسلم أحب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض على بنى حنيفة و بنى عامر بن صعصعة أى فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفى رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك أى تجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بنى عبد المطلب يزعم انه نبى يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل لها من تلاف أى تدارك هل لها من مطلب والذى نفس فلان بيده ما يقولها أى ما يدعى النبوة كاذبا أحد من بنى اسمعيل قط وانه الحق وان رأيكم غاب عنكم * وذكر الواقدى انه صلى الله عليه وسلم أتى بنى عبس أى و بنى سليم وغسان و بنى محارب أى وفزارة و بنى نضر ومرة وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد يقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه من بنى حنيفة أى وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو حنيفة لان أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان فى رجلها وثقيف أى ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف أى ودفع صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله تعالى عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال وأى ربيعة من هامتها أو من لهازمها قالوا بل الهامة العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامى الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال منكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة الفردة فلان قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين بقل وجهه أى طلع شعر وجهه فقال له ان على سائلنا أن نسأله يا هذا انك قد سألتنا فأخبرناك فمن الرجل فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنا من قريش فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى أمكنت أمنكم قصى الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه قال لا قال

وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وقيل خله بشوكة وهى لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتوائبوا من كل جهة فبلغ الخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال ٣ ما على هذا أقررناهم فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وقال أتولى الله ورسوله وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وتشبث به عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت رضى الله عنه وفى ذلك أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أى ببدر واسلموا فانكم قد عرفتم أنى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى اليكم به قالوا يا محمد انك ترى أنا قومك أى تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وفى لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا أى لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا وأنزل الله تعالى فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا يعنى وقعة بدر وأنزل الله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ثم ان القوم تحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار وكان خروجه فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه واستعمل على المدينة أبا لبابة الانصارى رضى الله عنه فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أى يخرجوا منها وان لهم النساء والذرية و يحملون بقية الاموال للنبى صلى الله عليه وسلم ومنها الحلقة التى هى السلاح ولم يكن لهم نخيل ولا أراضى تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا وخمست

أموالهم فجعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين وخمس له صلى الله عليه وسلم ثم أجلاهم الى الشام وقيل انهم نزلوا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يكتفوا فكتفوا فأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول وألح عليه فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب رسول ٤ الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلني فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فانهم أعزتي وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفي لفظ والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر أي لا درع له وثلثمائة دراع وقد منعوني من الاحمر والاسود وتحصدهم في غداة واحدة اني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة الآية ثم أمر صلى الله عليه وسلم ان يجلوا من المدينة ووكلوا باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أي بعد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشام ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابن أبي لا بارك الله لك فيهم ويذكر أن ابن أبي قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم ليسأله في اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه في الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء وقيل الذي تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ولا مانع أن يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا في اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا لانهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي قوسا تدعى الكتوم لا يسمع لها صوت اذا رمي بها وقوسا تدعى الروحاء وقوسا تدعى

فتكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كأن وجهه القمر يضيء في الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضي الله تعالى عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له علي رضي الله تعالى عنه لقد وقعت من الاعرابي على باقعة أي داهية أي ذو دهاء وهو في الاصل اسم لطائر حذر يطير عنة و يسرة قال أجل أبا حسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق أي واستفهام الفتى توبيخي لا حقيقي لان من المعلوم ان من ذكر ليسوا من تيم لان أبا بكر كما تقدم انما يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة ومرة جد لقصي فكأنه يقول له ان قبيلتكم لم تشتمل على هؤلاء الاشراف أي كان قبيلتنا لم تشتمل على أولئك الاشراف * وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من شيبان بن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما وان أبا بكر سألهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر أي سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بالهمز ابن قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق ابن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم أي أقرب مجلسا من أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة والذي قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة قاله لما أراد ان يغزو هوازن وكان جيشه العدد المذكور كما سيأتي فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أي بفتح الجيم وضمها أي الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم أي حظ وسعادة أي علينا ان نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لأشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد أي من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح أي ذوات اللبن من الابل وربما قيل للبقر والغنم أيضا والنصر من عند الله يديلنا بضم أوله وكسر الدال المهملة أي ينصرنا مرة ويديل علينا مرة أي ينصر علينا أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أوقد بلغكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا أنه يذكر ذلك فالام تدعو يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت أي تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال

مفروق

البيضاء وأخذ درعين درعا يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضي الله عنهما وقسم بقية الاموال والسلاح كما تقدم ﴿قتل أبي عفك اليهودي﴾ وقدم في المواهب قتل أبي عفك على غزوة بني قينقاع فقال ثم في شوال كانت سرية سالم بن عمير الى أبي عفك بفتح المهملة والفاء اليهودي وكان شيخا ٥ كبيرا قد بلغ من السنين عشرين ومائة سنة وكان يحرض الناس على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فقال صلى الله عليه وسلم من لي بهذا الخبيث فقال سالم بن عمير علي نذر ان أقتل أبا عفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم به سالم فأقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش أي دخل في الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته في الكفر والتحريض فأدخلوه منزله فمات فقبروه ورجع سالم بن عمير رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فبشره بذلك فدعا له بخير

﴿غزوة السويق﴾

لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم حلف أبو سفيان أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبني النضير وهم حي من اليهود وقصد حيي ابن أخطب وكان من رؤساء بني النضير وكان مجيئه اليه في الليل فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له لانه خافه فانصرف وجاء الى سلام ابن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم أي مالهم الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج به الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار وهو معبد بن عمرو وحليفا للانصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم في مائتين من المهاجرين والانصار وكان خروجه لخمس خلون من ذي الحجة واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر الانصاري رضي الله عنه وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون رواحلهم

مفروق ما هذا من كلام أهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وهذه الآية ذكر العز بن عبد السلام انها اشتملت على جميع الاحكام الشرعية وبين ذلك في سائر الابواب الفقهية وضمن ذلك كتابا سماه الشجرة فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم أي صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا أي عاونوا عليك وكان مفروق أراد أن يشركه أي يشاركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش واني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر وان أحببت ان نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي أنهار كسرى فعلنا فانا انما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا وأن لا نؤوي محدثا واني أرى هذا الامر الذي تدعونا اليه أنت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم في الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من أحاط به من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهؤلاء لم أقف على اسلام أحد منهم الا أن في الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو وهذا القول هانئ بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر أن النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة أي وفي أسد الغابة أن مفروق ابن عمرو من الصحابة ونقل عن أبي نعيم أنه قال لا أعرف لمفروق اسلاما * ولما قدمت بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ائتهم فاعرضني عليهم فأتاهم فعرض عليهم فقال لهم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال فكيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدونه ثلاثا وثلاثين وتكبرونه ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال أنا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وأنه زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

للهروب فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا
الى المدينة وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمسة أيام ورأى أبو سفيان انه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو انه لا يمس النساء ولا الطيب
حتى يغزو محمدا وحكى بعضهم ان أبا سفيان عبر عن ذلك بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا وهذا يدل على انهم كانوا
يغتسلون من الجنابة ومن ثم قال الدميرى ٦ ان الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوما قبل
الاسلام وذلك من بقية دين ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام فهو من
الشرائع القديمة قال بعضهم كانوا
فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة
ويغسلون موتاهم ويكفنونهم
ويصلون عليهم وهو ان يقوم وليه
بعد ان يوضع على سريره ويذكر
محاسنه ويثنى عليه ثم يقول رحمة
الله ثم يدفن وما ذكره الدميرى
تبع فيه السهيلى حيث قال ان
الغسل من الجنابة كان معمولا به
فى الجاهلية بقية دين ابراهيم
واسمعيل عليهما الصلاة والسلام
كما بقى فيهم الحج والنكاح وكان
الحدث الاكبر معروفا عندهم
ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا
فاطهروا ولم يحتاجوا الى تفسيرها
وأما الحدث الاصغر فلم يكن
معروفا عندهم قبل الاسلام
فلهذا لم يقل وان كنتم محدثين
فتوضؤا بل قال فاغسلوا ونازع
بعضهم فى ثبوت ذلك عندهم
وقال ان أبا سفيان انما قال لا يمس
الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن
التمتع بالنساء فغيره بعض الرواة
بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة
لان هذا اللفظ صار عند أهل
الاسلام كناية عن التمتع بالنساء
فساوى المراد منه ما قصده أبو
سفيان والله أعلم بحقيقة الحال

﴿ذكر تزويج فاطمة رضى الله
عنها﴾ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلى رضى الله عنه وهى الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم
رضى الله عنها كما اختاره المقريزى والزركشى والحافظ السيوطى فى كتابيه شرح النقاية وشرح جمع الجوامع بالادلة الواضحة التى
منها ان هذه الامة أفضل من غيرها والصحيح ان مريم ليست نبية بل حكى الاجماع على انه لم يتنبأ امرأة قط وقد قال صلى الله عليه وسلم
مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم يا بنية ألا ترضين انك سيدة نساء العالمين قالت

يوم

فقال لهم لا ترفعوا بقوله رأسا فانه مجنون يهذى من أم رأسه فقالوا القدر أينا ذلك حيث ذكر
من أمر فارس ما ذكر وفى رواية انه لما سألهم قالوا له حتى يجىء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا
وبينك من الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس
قال شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بى نصروا أى نصروا بذكرهم اسمى * ولا زال صلى الله عليه وسلم
يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم ويقول لا أكره أحدا على شىء من رضى الذى أدعوه
اليه فذلك ومن كره لم أكرهه انما أريد منعى من القتل حتى أبلغ رسالات ربى فلم يقبله أحد
من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه * وعن
ابن اسحق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم وفى سيرة مغلطاى ومستدرك الحاكم ان ذلك كان فى
شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينا هو عند العقبة التى
تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة أى وهى عند يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها
الآن مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقى بها رهطا من الخزرج أى لان الاوس والخزرج كانوا
يحجون فيمن يحج من العرب أى والاوس فى الاصل أى اللغة العطية ويقال للذئب ويقال للرجل
اللهو واللعب والخزرج فى الاصل الريح الباردة قيل هى الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر وقيل
ثمانية أراد الله تعالى بهم خيرا وقد عد الستة فى الاصل وبين الناس اختلاف فى ذكرهم فقال
لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج فقال أمن موالى يهود أى من حلفاء يهود المدينة قريظة
والنضير لانهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وان يأمن بعضهم من
بعض وهذا كان فى أول أمرهم قبل ان تقوى شوكتهم على يهود ٥ قالوا نعم قال أفلا تجلسون
أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ وجدهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم
فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام أى ورأوا أمارات الصدق عليه صلى الله عليه
وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه للنبى الذى يوعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه
لان يهود كانوا اذا وقع بينهم وبينهم شىء من الشر قالوا لهم سيبعث نبى قد أظل أى قرب زمانه
نتبعه نقتلكم معه قتلة عاد وارم أى كما تقدم فى اخبار الاحبار والمراد نستأصلكم بالقتل فلما
دعاهم الى الاسلام أجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا له انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج
بينهم من العداوة والشر ما بينهم أى فان الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم فوقعت بينهما
العداوة وتطاولت بينهما الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة أكثر من مائة سنة أى مائة
وعشرين كما فى الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ﴿أقول﴾ وفى رواية قالوا
يا رسول الله انما كانت بعاث أى بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفى آخره ثاء مثلثة وقيل
بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف فعن ابن دريد صحف الخليل بن أحمد

يا أبت فأين مريم قال تلك سيدة نساء عالمها رواه ابن عبد البر وقد أخرج الطبرانى باسناد على شرط الشيخين قالت عائشة رضى الله عنها
ما رأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها وكان تزوجها من على رضى الله عنه فى السنة الثانية من الهجرة عقد عليها فى صفر
وقيل فى المحرم وقيل فى رجب وقيل فى رمضان ودخل بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة وهى ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر
أو ستة أشهر ونصف وكان سن على رضى الله عنه يومئذ احدى وعشرين سنة ٧ وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها رضى الله عنها حتى
ماتت وعن أنس رضى الله عنه قال
جاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما
يخطبان فاطمة الى النبى صلى الله
عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما
شيأ وفى رواية قال لكل منهما
أنتظر بها القضاء فانطلقا الى على
رضى الله عنه يأمرانه ان يخطبها
لنفسه قال على رضى الله عنه
فنبهانى لامر كنت غافلا عنه
فقمت أجر ردائى فرحا بما نبهت له
حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فقلت تزوجنى فاطمة قال أو عندك
شىء فقلت فرسى وبدنى يعنى درعه
قال أما فرسك فلا بد لك منها وأما
بدنك فبعها فبعتها من عثمان بن
عفان رضى الله عنه بأربعمائة
وثمانين درهما قال الزرقانى ثم
ان عثمان رضى الله عنه رد الدرع
الى على رضى الله عنه فجاء بالدرع
والدراهم الى المصطفى صلى الله
عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات
ولما جاء على رضى الله عنه بالدراهم
وضعها فى حجر النبى صلى الله عليه
وسلم فقبض منها قبضة فقال أى
بلال ابتع بها لنا طيبا وأمرهم أن
يجهزوها فجعل لها سرير مشروط
ووسادة من ادم حشوها ليف
وقال لعلى رضى الله عنه اذا أتتك
فلا تحدث شيأ حتى آتيك فأرسل
صلى الله عليه وسلم أسماء بنت
عميس فهيأت البيت فصلى العشاء
وأرسل فاطمة رضى الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم حتى قعدت فى جانب البيت وعلى رضى الله عنه
فى جانب آخر ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء الآخرة فقال أههنا أخى قالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك
قال نعم أى هو كأخى فى المنزلة والمؤاخاة فلا يمتنع على تزويجى اياه بنتى ودخل صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها ائتينى
بماء فقامت تعثر فى ثوبها من الحياء الى قعب فى البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه أى وضعه فى فمه ورمى به فى القعب ثم قال لها

يوم بعاث بالغين المعجمة وانما هو بالمهملة وفى القاموس بالمهملة والمعجمة عام أول يوم من أيامنا
اقتتلنا به ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا
وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد
أعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بنى قريظة ويقال انه حصن للاوس
كان به القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج
وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير والد أسيد وبه قتل مع من قتل من قومه وكان النصر
فيهم أولا للخزرج ثم صار للاوس * وسبب القتال أنه كان من قاعدتهم ان الاصيل لا يقتل
بالحليف فقتل رجلا من الاوس أى وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج أى وهو
زياد والد المحذر بن ذياد وذياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة تحت والمحذر
بالذال المعجمة مشددة مفتوحة فأرادوا أن يقتلوا سويدا فيه فأبى عليه الاوس ذلك لان سويدا
هذا كان تسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن خالة عبد المطلب لان
أمه أخت سلمى أم عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا أو معتمرا فتصدى له رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين سمع به لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم
وشرف الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى فدعا سويدا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له
سويد لعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك
قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل من هذا قرآن أنزله
الله على هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم
يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج وفى
كلام بعضهم أنه آمن بالله ورسوله وسافر حتى دخل المدينة الى قومه فشعر وابأعانه فقتلته
الخزرج بغتة وقيل القاتل له المحذر ولد ذياد الذى قتله سويد لان سويدا كان قد شرب الخمر
وجلس يبول وهو ممتلئ سكرا فبصر به انسان من الخزرج فخرج حتى أتى المحذر بن ذياد فقال هل
لك فى الغنيمة الباردة قال ما هى قال سويد أعزل لا سلاح معه فخرج المحذر بالسيف مصلتا
فلما أبصر سويدا قال له قد أمكن الله منك قال ما تريد منى قال قتلك فقتله فكان ذلك سبب
الحرب بين الاوس والخزرج ببعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحرث
ابن سويد والمحذر بن زياد وشهدا بدرا فجعل الحرث بن سويد يطلب محذرا ليقتله بأبيه فلم يقدر
عليه حتى كان وقعة أحد قدر عليه فقتله غيلة كما سيأتى * وممن قتل فى هذه الحرب التى يقال لها
بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ قدم مكة هو وشخص يقال له أبو الحيسر أنس بن رافع مع
جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فأتاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له قالوا له وما ذاك قال أنا رسول الله

تقدمي فتقدمت فنضح بين ثديها وعلى رأسها وقال اللهم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال أدبري فأدبرت فصب بين
كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي وفي رواية ثم قال لعلي ائتني بماء قال فعلمت الذي يريد فقمت فملأت القعب ماء فأتيته به فاخذه فمج فيه
ثم صب على رأسي وبين ثديي ثم قال لي أدبر فصب بين كتفي ثم قال اللهم اني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال له ادخل
بأهلك باسم الله والبركة وفي رواية انه ٨ صلى الله عليه وسلم توضأ في اناء ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي الله عنهما ثم قال اللهم بارك
فيهما وبارك لهما في شملهما وهو بالتحريك الجماع وفي رواية في شبليهما والشبل ولد الاسد فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على انهما تلدان الحسن والحسين رضي الله عنهما فأطلق عليهما شبلين وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فمجه ثم صبه ثم رشه على جبينه وبين كتفيه وعوذه بقل هو الله أحد والمعوذتين والجمع بين هذه الروايات ممكن لاحتمال انه فعل جميع ذلك واقتصر بعض الرواة في كل رواية على البعض وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه خطبها علي رضي الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم لعلي قد أمرني ربي ان أزوجها منك وروى الطبراني مرفوعا برجال ثقات ان الله أمرني أن أزوج فاطمة رضي الله عنها من علي رضي الله عنه قال أنس ثم دعاني عليه الصلاة والسلام بعد أيام فقال لي ادع لي أبابكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف وعدة من الانصار رضي الله عنهم فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم وكان علي رضي الله عنه غائبا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المرهوب
من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزم به الانام فقال عز من قائل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فأمر الله يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم

يعني للعباد أدعوهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وأنزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا أي قوم والله خير مما جئنا اليه فأخذ أبو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنا موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى مات والله أعلم ثم انصرف أولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم قال وفي رواية انهم لما آمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير عليك ان تمكث على رسلك أي على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم الى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم لعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أي فلم يقع لهؤلاء الستة أو الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتداء الاسلام للانصار وربما سماه بعضهم العقبة الاولى فلما كان العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا أي عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل كانوا أحد عشر رجلا منهم خمسة من الستة أو الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة أولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة أيضا فبايعوه أي عاهدهم صلى الله عليه وسلم أي وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية وتلا عليهم آية النساء أي الآية التي نزلت بعد ذلك في شأن النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال وأراد مبايعة النساء * فعن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء أي كبيعة النساء أي كمبايعته للنساء التي كانت يوم فتح مكة وهي على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا أي لان قتل الاولاد كان سائغا فيهم وهو وأد البنات قيل والبنين خوف الاملاق * وفي النهر كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة ومضر يئدونهن وهو دفنهن أحياء فبعضهم يئد خوف العيلة والافتقار وبعضهم خوف السبي قال ولا نأتي ببهتان أي الكذب الذي يبهت صاحبه سامعه نفتريه بين أيدينا وأرجلنا أي في الحال والاستقبال قيل وغير ذلك ولا نعصيه في معروف أي ما عرف من الشارع حسنه نهيا وأمرا * قال الحافظ ابن حجر المبايعة المذكورة في حديث عبادة بن الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة وانما نص بيعة العقبة ما ذكر ابن اسحق وغيره من أهل المغازي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن حضر من الانصار أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال هذه أدلة صريحة في ان هذه البيعة انما صدرت بعد نزول الآية بعد فتح مكة (أقول) ليس في كلام عبادة ان هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ فلا يحسن أن يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال وتلا عليهم آية النساء فلا يحسن التفريع المتقدم بل هو دليل على ان هذه المبايعة متأخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله أعلم * زاد بعضهم

ان الله تعالى أمرني ان أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب فاشهدوا اني قد زوجته اياها على أربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي
ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي رضي الله عنه فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال
ان الله عز وجل أمرني ان أزوجك فاطمة على أربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك قال قد رضيت بذلك يارسول الله أي بعد ان خطب
خطبة منها الحمد لله شكرا لانعمه وأياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه ٩ وترضيه الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم زوجني ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا قالوا ما تقول يارسول الله قال اشهدوا اني قد زوجته كذا رواه ابن عساكر ثم قال صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأعز جدكما أي حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا وفي رواية أبي الحسن بن شاذان لما زوجه وهو غائب قال جمع الله شملهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الامة فلما حضر علي رضي الله عنه تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله أمرني ان أزوجك فاطمة وان الله أمرني أن أزوجكها على أربعمائة مثقال فضة فقال رضيتها يارسول الله ثم خرّ علي رضي الله عنه ساجدا شكرا لله تعالى فلما رفع رأسه قال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس رضي الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وقد روى الطبراني والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله نبيا قط الا جعل ذريته من صلبه غيري فان الله جعل ذريتي من صلب علي رضي الله عنه والعقد
لعلي رضي الله عنه وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر أو على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه
لما حضر كما علم من الروايات السابقة أو على تخصيصه بذلك لانه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فله أن يزوج من شاء لمن
شاء جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور وقد ذهب المالكية الى أن التفريق اليسير لا يضر فلعل غيبة علي كانت
قريبة جدا وقد يفهم من ظاهر الحديث انه أتى في المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده وأجاز أبو حنيفة التفريق مطلقا ومنعه الشافعي

بعضهم والسمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الامر أهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال ومن وفى بالتخفيف والتشديد أي ثبت على العهد فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب به في الدنيا فهو أي العقاب طهرة له أو قال كفارة له * واستشكل بأن أبا هريرة روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا أدري الحدود كفارة لاهلها أولا واسلام أبي هريرة تأخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما سيأتي فانه كان عام خيبر سنة سبع * ويجاب بأن هذه البيعة التي ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه أي ان الحدود كفارة قال صلى الله عليه وسلم ومن أصاب من ذلك شيأ فستره الله عليه فأمره الى الله عز وجل ان شاء غفر له وان شاء عذبه أي وكون الحدود كفارة وطهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر ان يشرك به وفي رواية فان رضيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيأ فأصبتم بحد في الدنيا فهو كفارة لكم في الدنيا وان سترتم عليه فأمركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر أي وفي هذا رد على من قال بوجوب التعذيب لمن مات بلا توبة وعلى من قال يكفر مرتكب الكبيرة فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن أم مكتوم واسمها عاتكة واسمه عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها * قال الشعبي غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة غزوة ما فيها غزوة الا واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة وكان يصلي بهم وليس له رواية ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمانهم أي من أراد ان يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما في أكثر الروايات وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم بعث بهما معا ويدل له ما روى عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئان الناس القرآن أي وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم مصعبا حين كتبوا اليه يبعث اليهم * وفي رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك رضي الله تعالى عنهما ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا ويدعو الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وكان يقال له المقرئ وهو أول من تسمى بهذا الاسم وهذا يدل على ان مصعبا لم يكن معهم (أقول) وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كتبوا وأرسلوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك عند خروجهم من مكة وقبل ان ينصرفوا منها راجعين الى المدينة والاقتصار على مصعب لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن أم مكتوم معه ثم رأيت ما يبعد الجمع الاول وهو عن ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعني مصعب بن عمير بعدهم وانما كتبوا اليه ان الاسلام قد فشا فينا فابعث

البنار رجلا من أصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا فى الاسلام ويعلمنا بسنته وشرائعه ويؤمنا فى صلاتنا فبعث مصعب بن عمير وما بعده الجمع الثانى وهو ما نقل عن الواقدى ان ابن أم مكتوم قدم المدينة بعد بدر بيسير وفى كلام ابن قتيبة وقدم ابن أم مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وقد يقال لامنافاة لانه يجوز ان يكون كل من مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم وان مكاتبتهم بأن الاسلام فشا فيها الى آخره كانت وهم بالمدينة فجاء اليهم مصعب وتخلف ابن أم مكتوم فليتأمل ذلك والله تعالى أعلم * وهذه المبايعة يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة عندها ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبى امامة أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه دون بقية رفقته وكان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله تعالى عنه يؤم المهاجرين بقباء قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يؤم القوم أى الاوس والخزرج لان الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وجمع بهم أول جمعة جمعت فى الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الآمرة بها فانها مدنية * وقال الشيخ أبو حامد فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن من فعلها قال الحافظ ابن حجر وهو غريب أى وعلى صحته فهو ما تقدم حكمه على تلاوته * وعند ابن اسحق ان اول من جمع بهم أبو امامة أسعد بن زرارة وكانوا أربعين رجلا أى فعن كعب بن مالك قال أول من جمع بنا فى المدينة أسعد ابن زرارة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى نقيع الخضمان والنقيع بالنون قيل أو بالباء الموحدة لكن قال الخطابى انه خطأ والخضمان جمع خضمة وهى الماشية التى تخضم أى تأكل بفمها كله مما فى ذلك المحل من الكلاء وهو اسم لقرية من قرى المدينة قال وكنا أربعين رجلا أى ولا مخالفة لان مصعب بن عمير كان عند أبى امامة اسعد بن زرارة كما علمت فكان هو المعاون على الجمع وكان الخطيب والمصلى مصعب بن عمير فنسب الجمع لكل منهما أى ويمكن ان المراد بالرواية الآتية من ان أسعد بن زرارة هو الذى صلى بهم على النجوز أى جمعهم على الصلاة ويؤيده ما تقدم من أن الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وأيضا المأمور بالتجميع مصعب بن عمير كما سيأتى قال السهيلى وتسميتهم أى الانصار اياها بهذا الاسم أى تسميتهم اليوم بيوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم والا فكانت تسمى فى الجاهلية العروبة أى يسمى ذلك اليوم بيوم العروبة أى الرحمة وقال عليه الصلاة والسلام فى حق ذلك اليوم انه اليوم الذى فرض عليهم أى على اليهود والنصارى أى طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه كما فرض علينا فأضلته اليهود والنصارى وهدانا الله تعالى له أى ان كلا من اليهود والنصارى أمر بذلك اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واختار اليهود من قبل أنفسهم بدله السبت لانهم يزعمون انه اليوم السابع الذى استراح فيه الحق سبحانه وتعالى من خلق السموات والارض ومافيهن من المخلوقات أى بناء على ان أول الاسبوع الاحد وانه مبدأ الخلق قال بعضهم وهو الراجح وفى كلام بعضهم أول الاسبوع

الاحد

الاحد لغة وأوله السبت عرفا أى فى عرف الفقهاء فى الايمان ونحوها ويؤيد الاول ان السبت مأخوذ من السبات وهى الراحة قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا أى راحة ظنا منهم انه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة واختارت النصارى من قبل أنفسهم بدل يوم الجمعة يوم الاحد أى بناء على انه أول يوم ابتدأ الله فيه بايجاد المخلوقات ظنا منهم انه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى قوله أضلوه تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك ما جاء أن الله تعالى فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا ياموسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وهدى الله تعالى المسلمين ليوم الجمعة أى وهداية المسلمين له تدل على انهم لم يعلموا عينه وانما اجتهدوا فيه فصادفوه وفى سفر السعادة كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وسلم أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بأنواع التشريف والتكريم * وجاء ان أهل الجنة يتباشرون فى الجنة بيوم الجمعة كما تتباشر به أهل الدنيا فى الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد كما تقدم لان الله تعالى يتجلى عليهم فى ذلك اليوم ويعطيهم كل ما يتمنونه ويقول لهم لكم ما تمنيتم ولدينا مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وقد جاء فى المرفوع يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله تعالى فهو فى الايام كشهر رمضان فى الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر فى رمضان * والذى فى البخارى ثم هذا أى يوم الجمعة يومهم الذى فرض عليهم أى على اليهود والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقوله فاختلفوا فيه يدل على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه ما نقل عن بعض أهل العلم أن اليهود أمروا بيوم من الاسبوع يعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل أنفسهم السبت فاكرموه فى شرعهم وكذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل أنفسهم الاحد فالتزموه شرعا لهم وهو يخالف ما سبق فليتأمل * قال بعضهم والراجح ان أول الاسبوع السبت لانه أول يوم ابتدئ فيه بايجاد المخلوقات فقد جاء فى الصحيح أن الله خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء كذا فى مسلم وعليه يشكل تسمية اليوم الذى يليه الاحد وأجيب بأنه من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم * وقد ذكر السهيلى ان تسمية هذه الايام طارئة ولو كان الله سبحانه وتعالى سماها فى القرآن بهذه الاسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة لكن لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وانهما ليسا مشتقين من العدد هذا كلامه ورد بأنه جاء ان الله تعالى خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس وأجاب ابن حجر الهيتمى بأن هذه أى التسمية المذكورة لم تثبت وان العرب تسمى خامس الورد أربعاء هذا كلامه فيكون أول الاسبوع السبت ثم رأيت السهيلى قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها الا حاكيا للغة قومه لا مبتدئا تسميتها ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معانى هذه الاسماء من أهل الكتاب

مطلقا * وكانت وليمة على رضى الله عنه آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ويعجن شديدا وفى رواية أولم بكبش من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار * وكان جهاز فاطمة رضى الله عنها خميلة أى بساطا له خمل أى هدب رقيق وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف وسريرا مشروطا وكان فرشهما ليلة عرسهما جلد كبش وعن الحسن البصرى كان لعلى وفاطمة رضى الله عنهما قطيفة اذا لبسوها بالطول 10 انكشفت ظهورهما واذا لبسوها بالعرض انكشفت رؤسهما وجاء انه صلى الله عليه وسلم مكث لم يدخل عليهما بعد البناء ثلاثة أيام ثم دخل فى الرابع فى غداة باردة وهما فى لحاف واحد فقال كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فأخذ على احداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئها وأخذت فاطمة الاخرى فوضعتها على صدرها وبطنها لتدفئها وعن أنس رضى الله عنه قال جاءت فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى وابن عمى مالنا فراش الا جلد كبش ننام عليه ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال يابنية اصبرى فان موسى بن عمران أقام مع امرأته عشر سنين مالهما فراش الا عباءة قطوانية أى بيضاء كثيرة الخمل وفى مسند الامام أحمد عن على رضى الله عنه ان فاطمة رضى الله عنها شكت ما تلقى من أثر الرحى مما تطحن فأتت النبى صلى الله عليه وسلم تسأله سبيا فانطلقت فلم تجده فأخبرت عائشة فلما جاء صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيئها قالت فاطمة رضى الله عنها فجاء صلى الله عليه وسلم الينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لاقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى وقال ألا أعلمكما خيرا مما سألتمانى قلنا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام اذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهن خير لكما من خادم ولم يتزوج على رضى الله عنه عليها حتى توفيت رضى الله عنها ولما خطب جويرية بنت أبى جهل قام صلى الله عليه وسلم على المنبر وقال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا أن يريد ابن أبى طالب ان يطلق ابنتى وينكح ابنتهم انما هى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها والله

لاتجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا فترك على الخطبة قال أبو داود حرم الله على على رضى الله عنه أن ينكح على فاطمة رضى الله عنها مدة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وألحق بعضهم أخواتها بها ويحتمل اختصاصها بذلك رضى الله عنها وعنهن وقد ورد فى فضائل على رضى الله عنه أحاديث كثيرة حتى قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ماورد لاحد من الصحابة رضى الله عنهم ماورد لعلى كرم الله وجهه أى من ثنائه 11 صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك كثرة أعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم فاضطر الصحابة ان يظهر كل منهم من فضله ماحفظه ردا على الخوارج وغيرهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما مانزل فى أحد من الصحابة فى كتاب الله مانزل فى على كرم الله وجهه نزل فى على ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماتكلمت به فى التفسير فانما أخذته عن على كرم الله وجهه وقد أفردت مناقبه بالتأليف رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

سرية محمد بن مسلمة

التى قتل فيها كعب بن الاشرف اليهودى لعنه الله وكانت لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى الاوسى ومعه أربعة من الانصار الى كعب ابن الاشرف اليهودى ليقتلوه قال ابن اسحق ان كعب بن الاشرف كان مع اليهود بالحلف وكان أبوه عربيا من بنى نبهان أصاب دما فى الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة شاعرا مجيدا ساد يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطى أحبار يهود ويصلهم فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جاء أحبار اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة الى كعب بن الاشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال لهم ما عندكم من أمر هذا الرجل فقالوا هو الذى كنا ننتظره ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا الى أهليكم فان الحقوق فى مالى كثير فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا فيما أخبرناك به أولا ولما استنبأنا علماءنا غلطنا وليس هو المنتظر فرضى عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيأ من ماله وكان يهجو

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشعاره ويحرض كفار قريش على قتاله وكان النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مأمورا بتألف الناس وبالصبر على الاذى كما قال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور لانه صلى الله عليه وسلم ورد المدينة وأهلها أخلاط مجتمعون من قبائل شتى مختلفة أحوالهم وعقائدهم فأراد استصلاحهم بجمعهم ١٢ على كلمة الاسلام وكان المشركون واليهود يؤذون المسلمين أشد الاذى فصبروا على ذلك وكان كعب بن الاشرف من أشد الناس أذى للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وكان قد عاهد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يعين عليه أحدا فنقض العهد وسبه وسب أصحابه وكان من عداوته انه لما قدم البشيران بقتل من قتل ببدر وأسر من أسر قال كعب أحق هذا ترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما أيقن الخبر ورأى الاسرى مقرنين كبت وذل وخرج الى قريش يبكى على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فنزل بمكة على المطلب بن أبى وداعة السهمى وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد بن أبى العيص فأنزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبى صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا حسانا فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد ذلك رضى الله عنهما فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت ما لنا ولهذا اليهودى نخرج من عندها وصار يتحول من قوم الى قوم فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبى صلى الله عليه وسلم فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل ما فعلت عاتكة ثم رجع الى المدينة فتغزل فى نساء المسلمين وذكرهن بسوء فلما أبى أن ينزع عن أذاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا بابن الاشرف وفى رواية من لكعب بن الاشرف أى من ينتدب لقتله فقد استعان بعدونا وهجانا وقد خرج الى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا وجاء فى رواية انه حالف قريشا عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال لهم ان الله أخبرنى بذلك ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله

المجاورين لهم فألقوا عليها هذه الاسماء اتباعا لهم هذا كلامه فليتأمل * وفى السبعيات للهمدانى أكرم الله موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت وعيسى بالاحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثاء ويعقوب بالاربعاء وآدم بالخميس ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالجمعة وهذا يدل على ان اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند أنفسهم فليتأمل الجمع * وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت قال يوم مكر وخديعة أى وقع فيه المكر والخديعة أى لانه اليوم الذى اجتمعت فيه قريش فى دار الندوة للاستشارة فى أمره صلى الله عليه وسلم * وسئل عن يوم الاحد فقال يوم غرس وعمارة لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها * وفى رواية لان الجنة بنيت فيه وغرست * وسئل عن يوم الاثنين فقال يوم سفر وتجارة لان فيه سافر شعيب فربح فى تجارته * وسئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم دم لان فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه * وذكر الهمدانى فى السبعيات أيضا انه قتل فيه سبعة جرجيس وزكريا ويحيى ولده عليهم الصلاة والسلام وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بنى اسرائيل وهابيل بن آدم وبين قصة كل واحد أى ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهى وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وفيه نزل ابليس الى الارض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بنى آدم وفيه ابتلى أيوب وفى بعض الروايات ان اليوم الذى ابتلى الله فيه أيوب يوم الاربعاء * وسئل عن يوم الاربعاء قال يوم نحس لان فيه أغرق فرعون وقومه وأهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح أى ومن ثم كان يسمى فى الجاهلية دبار والدبار المهلك لكن الذى فى الحديث الموقوف على ابن عباس الذى لا يقال من قبل الرأى آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وجاء يوم الاربعاء لا أخذ ولا عطاء * وذكر الزمخشرى ان بعضهم قال لاخيه اخرج معى فى حاجة فقال هذا الاربعاء قال فيه ولد يونس قال لا جرم قد بانت له بركته أى حيث ابتلعه الحوت قال وفيه ولد يوسف قال فما أحسن ما فعل به اخوته طال حبسه وغربته قال وفيه نصر المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال أجل ولكن بعد ان زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر * وورد فى بعض الآثار النهى عن قص الاظفار يوم الاربعاء وانه يورث البرص وعن ابن الحاج صاحب المدخل انه هم بقص أظفاره يوم الاربعاء فتذكر ذلك فترك ثم رأى ان قص الاظفار سنة حاضرة ولم يصح عنده النهى فقصها فلحقه البرص فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له ألم تسمع نهيى عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح ذلك عندى فقال يكفيك أن تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده على بدنه فزال البرص جميعا قال ابن الحاج فجددت مع الله توبة أنى لا أخالف ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا * وجاء فى حديث خرجه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين آخرين لا يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وكره بعضهم عيادة المريض يوم الاربعاء * وفى منهاج الحليمى وشعب الايمان للبيهقى ان الدعاء مستجاب يوم

الاربعاء

عليه فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا عن عروة بن الزبير قال انبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح عدوهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستغواهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو سفيان والمشركون أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه وأى ديننا أهدى ١٣ فى رأيك وأقرب الى الحق فقال أنتم أهدى سبيلا وأفضل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية وخمس آيات فيه وفى قريش فجزم عروة بأنها نزلت فى كعب ونحوه ما روى الامام أحمد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم كعب مكة قالت له قريش ألا ترى الى هذا المتصبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير فنزل فيهم ان شانئك هو الابتر ونزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى نصيرا وأخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله عنهما كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة حيى بن اخطب وسلام بن أبى الحقيق وأبا رافع والربيع وعمارة وهوذة فلما قدموا مكة قالت قريش هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب الاولى فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا دينكم خير وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ملكا عظيما ولذا قال الجلال والبيضاوى انها نزلت فى كعب وفى جمع من اليهود خرجوا الى مكة وساق نحو القصة وزاد البيضاوى أنهم سجدوا لآلهة الكفار ليطمئنوا اليهم ومن عداوة كعب بن الاشرف له صلى الله عليه وسلم ونقضه العهد ما جاء ان كعبا صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود انه يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الوليمة فاذا حضر فتكوا به ثم دعاه فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه فقام يستره جبريل بجناحه فلما فقدوه تفرقوا فقال حينئذ من ينتدب لقتل كعب ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ولما قال صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب قال محمد بن مسلمة الاوسى رضى الله عنه أنا أتكفل لك به

الاربعاء بعد الزوال وقبل وقت العصر لانه صلى الله عليه وسلم استجيب له الدعاء على الاحزاب فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت وكان جابر يتحرى ذلك بالدعاء فى مهماته وذكر انه ما بدئ بشئ يوم الاربعاء الا وتم فينبغى البداءة بنحو التدريس فيه * وسئل عن يوم الخميس فقال يوم قضاء الحوائج لان فيه دخل ابراهيم الخليل على ملك مصر فقضى حاجته وأعطاه هاجر ومن ثم زاد فى رواية والدخول على السلطان * وسئل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه آدم حواء ويوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس أى ونكح فيه صلى الله عليه وسلم خديجة وعائشة * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أذن النبى صلى الله عليه وسلم لهم قبل الهجرة أى قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم فى اقامة الجمعة أى فلم يفعلوها باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أى اليوم الذى يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أى صلى الجمعة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى استمر على ذلك حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم عين لهم ذلك اليوم وهو خلاف قوله السابق فهداكم الله له الظاهر فى ان هدايتهم له باجتهاد منهم ويدل له ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما باسناد صحيح ان الانصار قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى ونشكره فجعلوه يوم العروبة أى لانه اليوم الذى وقع فيه خلق آدم الذى هو مبدأ هذا الجنس وجعل فيه فناء الخلق وانقضاؤهم اذ فيه تقوم الساعة ففيه المبدأ والمعاد اذ هو المروى عن ابن عباس يقتضى ان الانصار اختاروه باجتهاد منهم الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون هذا العزم على ذلك حصل منهم أولا ثم أرسلوا له صلى الله عليه وسلم يستأذنوه فى ذلك فأذن لهم فيه فقد جاء الوحى موافقة لما اختاروه وفيه انه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير افعلوا ذلك ولم يقل له انظروا الى اليوم الى آخره الا أن يقال يجوز أنهم لما استأذنوه صلى الله عليه وسلم فى الاجتماع لم يعينوا له اليوم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم وتقدم عن الشيخ أبى حامد أن الجمعة أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها وتقدم عن الحافظ ابن حجر أنه غريب ويؤيده أنه لو كان أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها لأمر بها مصعب بن عمير عند ارساله للمدينة ولم يأمره بها الا بعد ذلك الا ان يقال انما لم يأمره بها حينئذ لانه يجوز أن يكون انما أمر بها بعد ذهاب مصعب الى المدينة أو انه انما لم يأمره بذلك لان لاقامتها شروطا منها العدد وهو عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه أربعون بشروط ولم يكن ذلك موجودا عند ارساله صلى الله عليه وسلم ومن ثم لما علم صلى الله عليه وسلم وجود العدد المذكور أرسل له يأمره بذلك فى قوله أما بعد فانظر

يارسول الله وفى رواية أنا أقتله قال فافعل ان قدرت وفى رواية أنت له ثم قال له ان كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضى الله عنه فشاوره فقال توجه اليه واشك اليه الحاجة وسله ان يسلفكم طعاما فمكث محمد بن مسلمة ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال لم تركت الطعام والشراب قال يارسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا قال انما عليك الجهد ثم أتى أبا نائلة وعباد بن بشر والحرث بن أوس وأبا عبس بن جبر فأخبرهم بما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله فأجابوه وقالوا كلنا نقتله ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله لا بد لنا أن نقول أى قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا لنتوصل به الى التمكن من قتله قال قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك فأباح لهم الكذب لانه من خدع الحرب وكأنهم استأذنوه فى أن يشكوا منه ويعيبوا دينه لان كعبا كان يحرض على قتل المسلمين وكان فى قتله خلاصهم فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه اياهم للقتل فدفعوا عن أنفسهم بألسنتهم مع ان قلوبهم مطمئنة بالايمان ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفرا لكنه يباح بالاكراه وهذا اعتزاله فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف فقال ان هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قد سألنا الصدقة ونحن ما نجد ما نأكل وفى رواية ان نبينا أرادنا الصدقة وليس لنا مال نصدقه وانه قد عنانا أى قد أتعبنا استسلفك قال كعب وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شئ يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين وفى رواية وأحب أن تسلفنا طعاما قال وأين طعامكم قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه قال ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ثم أجابهم بأنه لم يسلفهم وقال ارهنونى قالوا وأى شئ تريد قال ارهنونى نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك وأى امرأة تمتنع منك لجمالك وقولهم هذا على سبيل التهكم وان كان هو فى نفسه جميلا قال فارهنونى أبناءكم قالوا وكيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح مع علمك بحاجتنا اليه قال نعم وانما قالوا ذلك لئلا ينكر

اليوم الخ ثم لا يخفى ان ظاهر سياق الروايات يدل على ان الذى هداهم الله اليه انما هو ايقاع العبادة فى هذا اليوم لا تسميته بيوم الجمعة كما تقدم عن السهيلى على أن تسميتهم له بذلك لم أقف عليها فى رواية على أن السهيلى ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما أرسل لمصعب بن عمير أن يفعلها كما تقدم فى الاسراء * وذكر أيضا أن كعب بن لؤى أول من سمى يوم العروبة الجمعة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون الانصار ومن معهم من المهاجرين لم يبلغهم ما ذكر عن كعب بن لؤى ان ثبت أنهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة فقال لان فيها جمعت طينة أبيك آدم وقدمنا أنه لا مخالفة بين ماهنا وما تقدم فى الاسراء والله أعلم * وأسلم سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن حضير رضى الله تعالى عنهما على يد مصعب بن عمير وكان اسلام أسيد قبل سعد فى يومه فعن ابن اسحق أن أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه خرج بمصعب بن عمير الى حائط أى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما أى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبا لك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الذين أتيا دارينا تثنية دار وهى المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أى وفى لفظ قال له ائت أسعد ابن زرارة فازجره عنا فليكف عنا ما نكره فانه بلغنى أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه سفهاءنا وضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا أسيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ثم قال مصعب ان يجلس هذا كلمته قال فوقف عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بانفسكما حاجة وفى لفظ قال يا أسعد مالك تأتينا بهذا الرجل الغريب تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفى رواية علام أتيتنا فى دورنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس بفتح الواو استفهام فتسمع بالنصب فى جواب الاستفهام فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره أى منعنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا له تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك ثم تشهد شهادة الحق فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد بشهادة الحق ثم قام فركع ركعتين أى وهما صلاة التوبة فقد روى أصحاب السنن وقال الترمذى حديث حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما

عليهم مجيئهم اليه بالسلاح فواعده أن يأتيه وجاءه أيضا أبو نائلة وقال له ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عنى قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب أنا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما أقول فقال انى أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك وان معى أصحابا على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال ان فى الحلقة لوفاء وكان أبو نائلة أخا لكعب من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاع فجاء محمد ابن مسلمة وأبو نائلة ومعهما عباد ابن بشر والحرث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر وكلهم من الاوس ولما فارقوا النبى صلى الله عليه وسلم مشى معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته وكان ذلك بالليل وكانت الليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه أبو نائلة ثم بقية أصحابه فعرفهم فوثب فى ملحفته فأخذته امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ تحارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة قال لها انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى فقالت والله انى لاعرف فى صوته الشر وفى رواية قالت أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم قال انما هو ابن أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له هل لك يا ابن الاشرف ان تمشى الى شعب العجوز اسم موضع كان قريبا منهم نتحدث به بقية ليلتنا فقال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة أدخل يده فى باطن رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها وأمسكه من شعره وقال اضربوا عدو الله وفى البخارى أن ابن مسلمة قال لاصحابه اذا ما جاء كعب فانى قائل بشعره أى آخذ به فاذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ابن مسلمة ما رأيت كاليوم طيبا فقال عندى أعطر

لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك أى ينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد لمصعب لقد جاءك والله سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيدا انما أراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت منى هذا هذا تغشانا فى دارنا بما نكره فقال له مصعب أو تقعد تسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهت عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فقال لهما كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين فقال تغتسل وتتطهر وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام سعد فاغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فاقبل عامدا الى نادى قومه ومعه أى مع ذلك النادى أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا وأبركنا نقيبة أى نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما أمسى فى دار أى قبيلة بنى الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فأسلموا فى يوم واحد كلهم وكان ذلك بعد العقبة الاولى وقبل العقبة الثانية الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بنى عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة أى وفى كلام ابن الجوزى أول دار أى قبيلة أسلمت من دور الانصار دار بنى عبد الاشهل ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من سكان عوالى المدينة أى قراها من جهة نجد قال وفى كلام بعضهم الا جماعة من الاوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس وهو صيفى بن الاسلت وكان شاعرا لهم يسمعون منه ويطيعونه لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم لا يدخل فيه حائض ولا جنب فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير اه أى وسبب تأخر اسلامه ما ذكره بعضهم

نساء العرب وأجلهن فقال أتأذن لى ان أشم رأسك قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لى قال نعم فيحتمل ان كلا من محمد بن مسلمة وأبى نائلة استأذنه فى ذلك وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد فى صدغيه فلما تمكن أبو نائلة أو محمد بن مسلمة من امساكه ضربوه باسيافهم وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن الا أوقدت عليه نار قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفى فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله فجزوا رأسه واحتملوه فى مخلاة كانت معهم واجتمعت اليهود من كل ناحية فاخذوا على غير الطريق ففاتوهم فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلى فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف انهم قد قتلوه ثم انتهوا اليه فاخبروه بقتل عدو الله فقال أفلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أصاب ذباب السيف الحرث بن اوس بن معاذ رضى الله عنه فجرح فى رجله أو فى رأسه حتى نزف الدم فتفل صلى الله عليه وسلم على جرحه فلم يؤذه بعد وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودى الا وهو يخاف على نفسه وفى رواية فلما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت اليهود فلم يطلع من عظمائهم أحد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت وفى رواية فاصبحت يهود مذعورين فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتل سيدنا غيلة فذكرهم صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذى المسلمين فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم الى ان يكتبوا بينهم وبينه صلحا فكان ذلك الكتاب مع على رضى الله عنه وفى قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر

صرخت به فلم يعرض لصوتى * ووافى طالعا من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادى * فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذى درعنا رهنا فخذها * لشهر ان وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا * وما عدموا الغنى من غير فقر
فاقبل نحونا يهوى سريعا * وقال انا لقد جئتم لأمر
وفى أيماننا بيض حداد * مجربة بها الكفار نفرى

انه لما أراد الاسلام عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبى ابن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أبو قيس لا أتبعه الا آخر الناس فلما احتضر أرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله أشفع لك بها فقالها وهم ابنه أن ينكح امرأة أبيه أى على ما هو عادة الجاهلية أى وكان ذلك فى المدينة حتى فى أول الاسلام ان أكبر أولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته فنزل التحريم أى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وتقدم الكلام على سبب نزول هذه الآية مستوفى ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة أى وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن أسلم فسر بذلك وعن كعب بن مالك قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا والبراء بالمدلغة آخر ليلة من الشهر سمى بذلك لانه ولد فيها ومعرور معناه لغة مقصود فلما خرجنا من المدينة قال البراء لنا انى قد رأيت رأيا ما أدرى أتوافقونى عليه أم لا قال قلنا وماذاك قال رأيت أن لا أدع هذه البنية أى بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد المثناة تحت المفتوحة ثم تاء التأنيث على وزن فعيلة يعنى الكعبة منى بظهر وأن أصلى اليها قال قلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام يعنون بيت المقدس أى صخرته وما نريد أن نخالفه قال فقال انى أصلى اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام يعنى بيت المقدس أى واستدبرنا الكعبة وصلى الى الكعبة أى مستدبر الشام حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ذلك وأبى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لى يا ابن أخى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا فانه والله لقد وقع فى نفسى منه شىء لما رأيت من خلافكم اياى فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لانا لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعرفانه قلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال كعب فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البراء بن معرور يا رسول الله انى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله بالاسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر يعنى الكعبة فصليت اليها وخالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بيت المقدس أى ولم يأمره باعادة ما صلاه مع أنه كان مسلما وبين له أنه كان الواجب عليه استقبال بيت المقدس لانه كان متأولا فليتأمل

فعانقه ابن مسلمة المردى * به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه * فقطره أبو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فابنا * بأنعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام * هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لانه نقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه قال القاضى عياض ان محمد بن مسلمة لم يصرح له بالامان فى شىء من كلامه انما كلمه فى أمر البيع والشراء واشتكى اليه وليس فى كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لاحد أن يقول ان قتله كان غدرا وقد قال ذلك انسان فى مجلس على بن أبى طالب رضى الله عنه فامر به فضربت عنقه وانما يكون الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهده صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان قال الحافظ ابن حجر ان كعبا كان محاربا حيث ترجم لقصته البخارى بالفتك باهل الحرب والكذب فى الحرب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة غطفان﴾

ويقال لها غزوة ذى أمر بفتح الهمزة والميم وشد الراء وغزوة أنمار وهى بناحية نجد وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحرث المحاربى سماه بعضهم غورث بن الحرث فخرج صلى الله عليه وسلم اليهم فى أربعمائة وخمسين رجلا واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم هربوا فى رؤس الجبال وأصاب المسلمون رجلا منهم يقال له جبار وقيل حبان فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بخبرهم وقال لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا فى رؤس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فاسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشرائع وأخذ ذلك الرجل بالنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين طريقا وهبط بهم على قومه فوصل المسلمون ما يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم وأصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة

وفى هذا تصريح بانه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون الى بيت المقدس قبل أن تحول القبلة وقد تقدم الوعد بذلك قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة أى الى أن نوافوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم أى الذى يقال له مسجد البيعة كما تقدم وأمرهم أن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك فى ليلة اليوم الذى هو يوم النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا وكان من جملة المشركين أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحاء والراء المهملتين سيد من سادتنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد هدءة يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان نسيبة بالتصغير وهى أم عمارة من بنى النجار أى وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هى وزوجها وابناها حبيب وعبد الله رضى الله تعالى عنهم وحبيب هذا اكتنفه مسيلمة الكذاب وصار يعذبه يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول وتشهد أنى رسول الله فيقول لا فيقطع عضوا من أعضائه وهكذا حتى فنيت أعضاؤه ومات وسيأتى ما وقع لها رضى الله تعالى عنها فى حرب مسيلمة وأم منيع أى وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا لانهم تخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان أى منهم احد عشر رجلا من الاوس قال فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا أى وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم ٥ ﴿أقول﴾ وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله أعلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب أى ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ﴿أقول﴾ وهذا لا يخالف ما جاء انه كان معه أيضا أبو بكر وعلى لان العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عندهم الا العباس والله أعلم فلما جلسوا كان العباس أول من تكلم فقال يا معشر الخزرج أى قال ذلك لان العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الاوس وكانت تغلب الخزرج على الاوس فيقولون الخزرجين ٥ ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن

أيضا واضطجع تحتها وكان ذلك بموضع قريب من المشركين فكانوا ينظرون اليه وهم فى رؤس الجبال واشتغل المسلمون بشؤنهم فقال المشركون لدعثور وكان سجاعا سيد قومه قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى اليوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فاخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى قال له أجل أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم انه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره قال فقلت انه ملك فاسلمت وعلمت أنه رسول الله ولا أكثر عليه جمعا فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت فى بنى النضير حين أرادوا اغتياله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وقيل نزلت فى كفار قريش لما أرادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف قال القشيرى وقد تنزل الآية فى قصة ثم تنزل فى اخرى لادكار ما سبق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

﴿غزوة بحران﴾

بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بنى سليم أيضا فخرج صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى ولم يظهر وجها للسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان قد بلغه ان جمعا كثيرا من بنى سليم اجتمعوا ببحران فأحث السير حتى بلغها وكان قبل وصوله اليها لقى رجلا فاخبره ان القوم قد تفرقوا فحبسه مع رجل فلما وصل اليها وجدهم قد تفرقوا فى مياههم فرجع ولم يلق كيدا وأطلق الرجل وكانت غيبته عشر ليال * وفى هذه السنة عقد لعثمان رضى الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت اختها رقية وتقدم ان موتها كان يوم جاء البشيران بخبر أهل بدر * وفى شعبان من هذه السنة تزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر رضى الله عنهما بعد ان انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة

تدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه و بلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق و بذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أى والبراء بن معرور هو أول من أوصى بثلث ماله وفى رواية ان العباس قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد و بصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فأروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الا عن ملا منكم واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه ﴿أقول﴾ قول العباس قد أبى محمد الناس كلهم غيركم ربما يفيد أن الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فاباهم ولا يساعد عليه ما تقدم ولولا التأكيد بلفظ كلهم لامكن أن يراد بالناس قبيلة شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا له ننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى مياه كسرى فأبى ذلك و يحتمل أن المراد بالناس الذين أباهم أهله وعشيرته والله أعلم وعند ما تكلم العباس بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت وفى رواية خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشترط لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفى رواية فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل و رغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم أى وفى رواية أنهم قالوا له يارسول الله نبايعك قال تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة لائم وعلى أن تنصرونى فتمنعونى اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فاخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به أزرنا أى نساءنا وأنفسنا لان العرب تكنى بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أى السلاح ورثناها كابرا عن كابر و بينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الهيثم بن التيهان بتشديد المثناة تحت وتخفيفها انقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس اخفوا جرسكم أى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال أبو الهيثم يارسول الله ان بيننا و بين الرجال يعنى اليهود حبالا أى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل أى دمى دمكم أى تطلبون بدمى وأطلب بدمكم فدمى ودمكم واحد وفى لفظ بدل الدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات أى حرمى حرمكم تقول العرب اللدم اللدم اذا أرادت تأكيد المخالفة هدمى وهدمكم واحد أى واذا اهدرتم الدم أهدرته وذمتى ذمتكم ورحلتى مع رحلتكم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم أى وعند ذلك قال لهم

العباس

من شهداء بدر رضى الله عنه * وفى رمضان تزوج زينب بنت جحش ﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه الى القردة﴾ بالقاف المفتوحة وسكون الراء اسم ماء من مياه نجد وسببها ان قريشا خافوا من طريقهم التى يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وكلهم أسلموا عام الفتح رضى الله عنهم ومعهم فضة كثيرة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله عنه فى مائة راكب فلقيهم على ذلك الماء فاصاب العير وما فيها وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة

﴿غزوة أحد﴾

وهو جبل مشهور بالمدينة وكانت فى شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وسببها ان قريشا لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وكلهم أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش الى أبى سفيان رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى كل من كان له تجارة فى تلك العير التى كانت سبب وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا ونحن طيبو النفس ان تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معى فجعلوا لذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا فكان الذى أخرج خمسين ألف دينار وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابى عزة الجمحى يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك على ان رجعت ان أغنيك وان أصبت أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من على وأطلقنى يعنى يوم بدر وأخذ على ان لا اظاهر عليه أحدا حين اطلقنى فلا أريد ان أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فخرج أبو عزة

العباس رضى الله تعالى عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن فى نصرته ولتشدن من أزره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى أخذ من بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجدن أحد فى نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختار لى جبريل أى لانه عليه الصلاة والسلام حضر البيعة فلما تخيرهم أى وهم سعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد ابن أبى خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان وأسيد ابن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد على قبيلة رضى الله عنهم أجمعين وقال صلى الله عليه وسلم لاولئك النقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المهاجرين وقيل ان الذى تولى الكلام من الانصار وشد العقدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة أى وهو من أصغرهم فانه أخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا أهل يثرب انا لن نضرب اليه أكباد الابل الا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان تعضكم السيوف فاما أنتم قوم تصبرون عليها اذا مستكم بقتل خياركم ومفارقة العرب كافة أى جميعا فخذوه وأجركم على الله تعالى وأما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر لكم عند الله عز وجل فقالوا يا أسعد أمط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها أى لا نطلب الاقالة منها وقيل ان الذى تكلم مع الانصار وشد العقدة العباس ابن عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس أى على من حارب منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له فى البداءة بالمحاربة الا بعد أن هاجر الى المدينة بمدة كما سيأتى وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن اسعد بن زرارة اى ثم توافقوا على ذلك وقالوا يارسول الله ما لنا بذلك ان نحن قضينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبسط يده صلى الله عليه وسلم فبايعوه ٥ أى وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم أى وبايعه المرأتان المذكورتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن كما سيأتى فكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أى العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية أى و يقال ان أبا الهيثم قال أبايعك يارسول الله على ما بايع

ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فقيل ان مسافعاً لم يعرف له اسلام وقيل اسلم بعد ذلك وأما أبو عزة فجيء به الى النبي صلى الله عليه
وسلم فامر عاصم بن ثابت رضي الله عنه فضرب عنقه ودعا جبير بن مطعم رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما حبشيا يقال له وحشي
رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بن
عبد المطلب بعمي طعيمة بن عدي فانت حر ٢٠ لان حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدي يوم بدر وقيل ان ابنة سيده طعيمة قالت له ان

قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فاني لا أرى في القوم كفؤاله غيرهم فانت عتيق فسار القوم بالقيان والدفوف والمعازف أي آلات الملاهي والخمور والبغايا وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع أزواجهن منهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله عنهما فانها أسلمت عام الفتح هي وزوجها وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما فانهما أسلما أيضاً وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحرث ابن هشام وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وغيرهن من النسوة يبكين قتلى بدر وينحن عليهم ويحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوال وكتب العباس للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فابى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء من المال فجاء كتابه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بقباء وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بني غفار استأجره وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك فلما

جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لابي بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبياً ثم نزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره قلنا
بكتاب العباس رضي الله عنه فقال والله اني لارجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده
قالت له امرأته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا أم محمد ما أنت وذاك فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع وأخذ بيدها ولحق النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبرها وقال يا رسول الله اني خفت أن يفشو الخبر

عليه الاثنا عشر نقيبا من بني اسرائيل موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وان عبد الله
ابن رواحة قال أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى بن مريم
عليه الصلاة والسلام وقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يا رسول الله فأبايعك على أن أتم
عهدي بوفائي وأصدق قولي بفعلي في نصرك وقال النعمان بن حارثة أبايع الله عز وجل
يا رسول الله وأبايعك على الاقدام في أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد أي
لأعامل فيه بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يا رسول الله على ان لا تأخذني
في الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يا رسول الله على أن لا أعصي لكما أمرا
ولا أكذبكما حديثا فلما انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة الثانية ولما وقعت صرخ
الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب أي بجيمين الاولى مفتوحة
والثانية مكسورة وبعد كل جيم باء موحدة وهي منازل منى وفي الهدي يا أهل الاخاشب
هل لكم في مذمم والصباة معه يعني بمذمم النبي صلى الله عليه وسلم لان قريشا كانت تقول بدل
محمد صلى الله عليه وسلم مذمم ويعني بالصباة أصحابه الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن أسلم
صابئ لان الصابئ من خرج من دين الى دين وقد جاء ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم
قريش ولعنهم يسبون مذمما وأنا محمد فانهم قد أجمعوا أي عزموا على حربكم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن وازب بكسر الهمزة
واسكان الزاي ثم بالباء الموحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاي وتشديد الموحدة أي
شيطان سمي بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه عامرها والازب في الاصل القصير
ومن ثم رأى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على بردعة رحله فقال له ما أنت قال ازب قال
وما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود سوطه فهرب وعند ذلك قال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم أي تفرقوا وفي لفظ انفضوا الى رحالكم وفي رواية لما بايع الانصار
بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على
قتالكم ففزعوا أي الانصار عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت
فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد ممن تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة
وصراخ ابليس الذي هو أبو الجن ويجوز أن يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من
الابالسة وأنه تارة باللفظين معاً وقد حضر ابليس جبريل كما تقدم فعن حارثة بن النعمان رضي
الله تعالى عنه لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبي الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته
قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل والله أعلم ثم ان الحديث شاع وسمع
المشركون من قريش بذلك أي وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى عاذ كر شبه صوته
بصوت منبه بن الحجاج فنال عمرو بن العاص ما نال أبو جهل قال عمرو وذهبت أنا وهو الى عتبة
ابن ربيعة فاخبره بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا وقال هل أتاكم فاخبركم بهذا منبه

فترى اني أنا المفشي له وقد استكتمتني اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم
مائتا فارس وسبعمائة دارع ومعهم الاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو
جبل باسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة ما سجا الليل ووضح نهار وما رسا حبيش مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل
وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم وخرج معهم أبو عامر الراهب في سبعين ٢١ فارسا من الاوس وكان أبو عامر الراهب في

المدينة مقاوما للنبي صلى الله عليه وسلم ومباعداله ومنكر النبوته وكان قبل ذلك مترهبا يزعم أنه ينتظر النبي المبعوث ويذكر للناس كثيرا من صفاته ويقول لهم قد قرب خروجه فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وافتضحت صفاته للانصار واتبعوه حسده أبو عامر وأنكر نبوته وكان رئيسا في الاوس كعبد الله بن أبي في الخزرج فكل منهما حسد النبي صلى الله عليه وسلم لكن عبد الله ابن أبي دخل في الاسلام ظاهرا وهذا خرج من المدينة كافرا مباعدا فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يموت وحيدا طريدا فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلا عن الراهب وأما ابنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وهو من المستشهدين باحد وهو الذي غسلته الملائكة ومات أبو عامر الفاسق كافرا بارض الروم وحيدا طريدا اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم لانه لما فتحت مكة خرج فارا الى الروم ثم ان القوم بعد ان تجهزوا خرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة وكان وصولهم يوم الاربعاء ثاني عشر شوال فاقاموا به الاربعاء والخميس والجمعة فخرج

اليهم صلى الله عليه وسلم فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من
مشهد بدر وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا قبل خروجه وكانت ليلة الجمعة فلما أصبح قال والله اني قد رأيت خيرا رأيت
بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي أي طرفه الذي يضرب به ثلما ورأيت اني أدخلت يدي في درع حصينة وكأني مردف كبشا فاما
البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل وأولت الدرع الحصينة المدينة وأولت

قلنا الا فقال لعله ابليس الكذاب الحديث وفيه طول وأمور مستغربة ولا ينافي
سماع عمرو وأبي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد ممن تخافون
لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا
شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج وفي رواية يا معشر الخزرج أي بالتغليب بلغنا
أنكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حي
أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركو الاوس والخزرج يحلفون لهم
ما كان من هذا شيء وما علمناه أي حتى ان أبي بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان
هذا وما كان قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني
وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم أي ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار
فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن
عمرو فأما سعد فامسك وعذب في الله وأما المنذر فافلت ثم أنقذ الله سعدا من أيدي المشركين
قال نقل عنه أنه قال لما ظفروا بي ربطوا يدي في عنقي فلا زالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني
بجمتي أي وكان ذا شعر كثير حتى ادخلوني مكة فاوما الي رجل أي وهو أبو البختري بن
هشام مات كافرا ٥ وقال ويحك ما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال بلى قد
كنت أجير لجبير بن مطعم تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي وللحرث بن حرب بن أمية
أي وهو أخو أبي سفيان والاول اسلم بعد الحديبية والثاني لا يعلم له اسلام فقال ويحك فاهتف
باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من
الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو قال يقول انه سعد بن عبادة فجاآ فخلصاني
من أيديهم اهـ وعن سعد بينا أنا مع القوم أضرب اذ طلع علي رجل أبيض وضيء شعشاع
أي طويل زائد الحسن حلو من الرجال فقلت في نفسي ان يكن عند أحد من القوم خير فعند
هذا فلما دنا مني رفع يديه ولكمني لكمة شديدة فقلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير
أي وهذا الرجل سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار
المدينة أظهروا الاسلام أي اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل
قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح وهو من سادات بني سلمة بكسر اللام واشرافهم ولم
يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو ٥ وكان لعمرو في داره صنم أي من خشب يقال له
المناة لان الدماء كانت تمنى أي تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم
كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه أي
ولعله بعد اخراجه من داره في بعض الحفر التي فيها خرء الناس منكسا فاذا أصبح عمرو قال
ويحكم من عدا على الهتنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا أمسى عدوا عليه
وفعلوا به مثل ذلك الى أن غسله وطيبه وجاءه بسيف علقه في عنقه ثم قال له ما أعلم من يصنع

بك فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها خرء الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى أن وجده فى تلك البئر فلما رآه كذلك رجع الى عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن

أى حبل وأمر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة أى لان قريشا لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم آوى أى استند الى قوم أهل حرب وتحمل ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة أى فمكث أياما لا يأذن لهم ثم قال لهم أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هى هى والسراة بفتح السين أعظم جبال بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد اخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب فأذن لهم وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا أى متتابعين يخفون ذلك أى وفى رواية أريت فى المنام أنى هاجرت من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى أى وهمى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب وفى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أى هؤلاء الثلاثة نزلت هى دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين قال الترمذى هذا حديث غريب وزاد الحاكم فاختار المدينة ﴿أقول﴾ فيه ان هذا السياق المتقدم يدل على ان استئذانهم فى الهجرة عبارة عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وأن عدم اذنه صلى الله عليه وسلم لهم فى الهجرة لعدم تعيين المحل الذى يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا يناسب ما تقدم فى حديث المعراج من قول جبريل له صليت بطيبة واليها المهاجرة وقد يجاب بانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أنسى قول جبريل المذكور وحينئذ تذكره بعد ذلك فى قوله قد اخبرت بدار هجرتكم الى آخره وفيه ان هذا لا يحسن بعد مبايعته صلى الله عليه وسلم للاوس والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه مع علمه بان وطنه المدينة وكونهم يبايعونه على مناصرته مع كونه ساكنا فى البحرين أو قنسرين فى غاية البعد على أنه سيأتى فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم خشى ان الانصار لا ترى مناصرته الا فى المدينة أى فان فى بعض الروايات وعلى أن تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب والله أعلم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين أى المهاجرين على الحق والمواساة فآخى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارثة وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص وبين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة وبين سعيد بن زيد

الكبش بانى أقتل صاحب الكتيبة وقد صدق الله رؤياه صلى الله عليه وسلم فكان الرجل الذى من أهل بيته حمزة سيد الشهداء رضى الله عنه وقتل على رضى الله عنه طلحة بن عثمان العبدرى صاحب لواء المشركين فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم وقال عروة بن الزبير وجماعة كان الذى بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فان العدو أصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته السفلى ثم ٢٢ قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امكثوا بالمدينة فان دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وفى رواية فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبى ابن سلول يستشيره تألفا له ولم يستشره قبل ذلك فكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول مع رأيه صلى الله عليه وسلم فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرا وأسفوا على ما فاتهم من مشهدها يا رسول انا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم فقال ابن أبى يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منهم فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا وقال حمزة ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الانصار رضى الله عنهم انا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا انا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا زاد حمزة والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة وقال النعمان يا رسول الله لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لادخلنها فقال صلى الله عليه وسلم له فقال لانى أحب الله ورسوله وفى لفظ اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا أفر يوم الزحف فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاستشهد يومئذ فترجح عنده صلى الله عليه وسلم موافقة رأيهم وان كرهه ابتداء ليقضى الله أمرا كان مفعولا فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد

وطلحة بن عبيد الله وبين على ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يا رسول الله رضيت قال فأنت أخى فى الدنيا والآخرة قال وأنكر العباس بن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين سيما مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه قال لان المؤاخاة بين المهاجرين والانصار انما جعلت لارفاق بعضهم ببعض ولتألف قلوب بعضهم ببعض فلا معنى لمؤاخاة مهاجرى لمهاجرى قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى وليستعين الاعلى بالادنى ولهذا تظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه كان هو الذى يقوم بامره قبل البعثة وفى الصحيح فى عمرة القضاء ان زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخى أى بسبب المؤاخاة اهـ وكان أول من هاجر منهم اليها أى لا معهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وهو أخوه من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب اليسير كما تقدم فانه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار أى الاثنى عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير رآه رجال من قوم أم سلمة فقاموا اليه وقالوا يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبى سلمة وقالوا ان ابننا معها اذ نزعتموها من صاحبنا فنزع ولدنا منها ثم تجاذبوه حتى خلعوا يده وأخذه قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة بالابطح فتبكى حتى المساء مدة سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرأى ما بها فرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى بزوجك فلما بلغ ذلك قوم أبى سلمة ردوا عليها ولدها فارتحلت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة أى الحجبى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ مشركا ثم أسلم رضى الله تعالى عنه فى هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كما سيأتى فتبعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك هذا ثم انصرف وهى أول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة رضى الله تعالى عنها وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان ابن طلحة قال وقال ابن اسحق وابن سعد ثم كان أول من قدمها بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة وهى أول ظعينة قدمت المدينة اهـ ﴿أقول﴾ فأم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة لا مع زوجها وليلى أول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها فلا منافاة وفى كلام ابن الجوزى أول من هاجر الى المدينة من النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط والله أعلم قال بينت أى أم سلمة ما تقدم عنها فى حق عثمان بن طلحة بقولها فانه لما رآنى قال الى أين قلت الى زوجى قال أوما معك أحد قلت لا ما معى الا الله وابنى هذا

وأخبرهم بان لهم النصر ما صبروا وأى مدة صبرهم على أمره وأمرهم بالتهيئ لعدوهم ففرح الناس بذلك لانهم لا غرض لهم فى الدنيا وزهرتها الماوفر فى قلوبهم وارتاحت له نفوسهم من حب لقاء الله والمسارعة الى جنات النعيم ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا وحضر أهل العوالى ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه فى الدنيا والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه وألبساه أى عاوناه فى لبس عمامته وثيابه والتقليد بسيفه وغير ذلك مما تعاطاه عند ارادة ٢٣ الخروج وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد بن معاذ رضى الله عنه وأسيد ابن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الاوس وهو فى الانصار كالصديق فى المهاجرين رضى الله عنهم قال الزرقانى فهو أفضل الانصار فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهى بالهمز وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه فندم الطالبون لخروجه على ما صنعوا وقالوا ما كان ينبغى لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت وفى رواية فان شئت فاقعد فقال ما ينبغى لنبى اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم لواء للاوس وجعله بيد أسيد ابن حضير ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة ولواء للمهاجرين وجعله بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبى طلحة العبدرى فقال نحن أحق بالوفاء منهم فاخذه من على ودفعه الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أكبر أولاد قصى فجعل أبوه قصى القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة كلها اليه ثم اختلفت بنو عبد الدار وبنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ثم اتفقوا على ان اللواء والحجابة ودار الندوة لبنى عبد الدار والقيادة والسقاية والرفادة لبنى عبد مناف وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالوفاء منهم وفى شرح الزرقانى على المواهب انه لما قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه وكان فى المسلمين مائة دارع وهو لابس الدرع وركب صلى الله عليه وسلم

فرسه السكب وقيل خرج ماشيا وخرج السعدان أمامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة
فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف وكان ادار عين ورد صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين لصغرهم
نحو سبعة عشر منهم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن
جندب رضى الله عنهم ثم أجاز رافع بن خديج ٢٤ لما قيل له انه رام فخرج وأصيب بسهم فقال صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم
القيامة وعاش الى زمن عبد الملك
ابن مروان ولما أجازه قال سمرة
ابن جندب رضى الله عنه لزوج
أمه أجاز رافعا وردنى وأنا أصرعه
فأعلم النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال تصارعا فصرع سمرة
رافعا فأجازه ورأى صلى الله عليه
وسلم جماعة من اليهود مع عبد الله
ابن أبى يريدون الخروج فقال
وقد أسلموا قالوا لا يا رسول الله
قال مروهم فليرجعوا فانا
لا نستعين بالمشركين على المشركين
وكان المسلمون الخارجون معه
صلى الله عليه وسلم ألفا رجل ثم
انخزل عبد الله بن أبى ورجع هو
ومن معه من المنافقين وكانوا
ثلث الناس فبقى المسلمون سبعمائة
وكان المشركون ثلاثة آلاف
رجل من قريش والاحابيش
المحالفين لهم وقال ابن أبى حين
أراد الرجوع عصانى وأطاع
الولدان ومن لا رأى له علام نقتل
أنفسنا ارجعوا أيها الناس فقال
لهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد
جابر رضى الله عنه وكان خزرجيا
كابن أبى أذكركم الله أن تخذلوا
قومكم ونبيكم بعد ما حضر عدوهم
قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم فلما
أبوا قالوا أبعدكم الله سيغنى الله
عنكم قال موسى بن عقبة لما
انخزل ابن أبى بمن معه سقط فى
أيدى طائفتين من المسلمين وهمتا ان تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج و بنو سلمة بكسر اللام من الاوس وفى الصحيح
عن جابر رضى الله عنه نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بنى سلمة و بنى حارثة وما أحب انها لم تنزل والله يقول
والله وليهما أى الدافع عنهما قال الحافظ ابن حجر أى ان الآية وان كان فى ظاهرها عتاب عليهم لكن فى آخرها غاية الشرف لهم قال
ابن اسحق قوله والله وليهما أى الدافع عنهما ما هموا به من الفشل لان ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم فى دينهم وفى

فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معى فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بى ثم استأخر
فاذا نزلت جاء وأخذ بعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا
الرواح قام الى بعيرى فرحله وقدمه ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادنى
اه أى وقد قال فقهاؤنا من الصغائر مسافرة المرأة بغير زوج ولا محرم ولا امرأة ثقة فى غير
الهجرة وفرض الحج والعمرة أما فى ذلك فيجوز حيث أمنت الطريق وقولنا الا معهم لا ينافى أن
أول من قدم المدينة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير لان قدومه كان معهم
على ما تقدم أو يقال أبو سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه وأما مصعب فكان بارسال منه
صلى الله عليه وسلم ثم رأيت فى السيرة الهشامية أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بنى مخزوم أبو سلمة وعليه فلا اشكال ثم جاء عمار و بلال وسعد وفى رواية
ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار فى
دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعياش بن أبى
ربيعة فى عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه وقال تجدنى
أو اجدك عند محل كذا فتفطن بهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن على رضى الله تعالى عنه
قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانه لما
هم بالهجرة تقلد بسيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما واختصر عنزته أى وهى الحربة
الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا
ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه لا يرغم الله
الا هذه المعاطس أى الانوف من أراد أن تثكله أمه أى تفقده أو يوتم ولده أو ترمل زوجته
فليلقنى وراء هذا الوادى قال على رضى الله تعالى عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه ثم ان أبا جهل
وأخاه شقيقه الحرث بن هشام رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة
والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبى ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن
عمهما وكان أصغر ولد أمه وأخبراه ان أمه قد نذرت أن لا تغسل رأسها أى وفى لفظ ولا يمس رأسها
مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه أى وفى لفظ أن لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل مسكنا حتى
يرجع اليها وقالا له وأنت أحب اليها وأنت فى دين منه بر الوالدين فارجع الى مكة
فاعبد ربك كما تعبده بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما أى وأخذ عليهما المواثيق أن
لا يغشياه بسوء وقال له عمر انه يريد الا فتنتك عن دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك
القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش أبر أمى ولى مال هناك
آخذه فقال عمر خذ نصف مالى ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر حيث عصيت
خذ ناقتى هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فأبى ذلك وخرج
راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التاء أى شدا يديه الى خلف

الصحيح أيضا عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه لما خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحابه صلى الله
عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزل فما لكم فى المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا أى ردهم الى
كفرهم بما كسبوا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى فى الجبل فجعل ظهره وعسكره
الى أحد وصلى الصبح بأصحابه صفوفا ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطف ٢٥ المشركون بالسبخة وكان على ميمنة خيل المشركين
خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه
أسلم بعد ذلك وصار سيفا لله سله
على المشركين وعلى ميسرتها عكرمة
ابن أبى جهل رضى الله عنه فانه
أسلم بعد ذلك وعلى المشاة صفوان
ابن أمية وقيل عمرو بن العاص
رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد
ذلك وقال النبى صلى الله عليه وسلم
للزبير بن العوام استقبل خالد بن
الوليد وكن بازائه وأمر جماعة
آخرين ان يكونوا بازاء خيل اخرى
للمشركين ولم يكن مع المسلمين
الا فرس أو فرسان قال الحلبى
وما وقع فى الهدى لابن القيم ان
الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا
خمسين سبق قلم وجعل النبى صلى
الله عليه وسلم على الرماة عبد الله
ابن جبير بن النعمان الاوسى
البدرى المستشهد يوم أحد رضى
الله عنه وهو أخو خوات بن جبير
رضى الله عنه وكان الرماة خمسين
رجلا فأقامهم النبى صلى الله عليه
وسلم على جبل صغير من تفع وقال لهم
احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا
وارشقوهم بالنبل فان الخيل
لا تقوم على النبل انا لن نزال غالبين
ما ثبتم مكانكم اللهم انى اشهدك
عليهم وفى رواية قال لهم ان
رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا
من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان
رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم
أى مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا
حتى ارسل اليكم وفى رواية فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا اللهم انى اشهدك عليهم
ثم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه وكان مكتوبا عليه فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة *
والمرء بالجبن لا ينجو من القدر فقام رجال و بسطوا أيديهم كل انسان منهم يقول أنا يا رسول الله منهم أبو بكر وعمر وعلى والزبير
رضى الله عنهم فامسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه أبو دجانة واسمه سماك بن أوس الانصارى رضى الله عنه فقال وما حقه

بالكاف فى الطريق أى وفى السيرة الهشامية انه أخذ الناقة وخرج عليها معهما حتى اذا
كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل يا أخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على
ناقتك هذه قال بلى قال فاناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه وأوثقاه
رباطا ودخلا به مكة نهارا موثقا وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا
بسفهائنا وفى لفظ بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كما تقدم منع وحبس عن
الهجرة وجعل كل فى قيد وفى لفظ أنهما لما ذكر اله ان أمه حلفت أن لا يظلها سقف بيت حتى
تراه وأعطياه موثقا أن لا يمنعاه وأن يخليا سبيله بعد أن تراه أمه فانطلق معهما حتى اذا خرجا
من المدينة عمدا اليه فشداه وثاقا وجلداه نحوا من مائة جلدة وكان أعانهما عليه رجل من
بنى كنانة أى يقال له الحرث بن يزيد القرشى وفى كلام ابن عبد البر أنه كان ممن يعذبه بمكة مع أبى
جهل وفى الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وأنه لما جىء به الى مكة ألقى فى الشمس
وحلفت أمه انه لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه ففتن قيل وكان سبب نزول قوله تعالى ووصينا
الانسان بوالديه الآية وفيه أنه تقدم انها نزلت فى سعد بن أبى وقاص الا أن يقال يجوز أن
يكون مما تكرر نزوله فتكون نزلت فيهما وحلف عياش ليقتلن ذلك الرجل ان قدر عليه قيل
ولم يزل عياش محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش فلقى ذلك الرجل
الكنانى وكان قد أسلم وعياش لا يعلم باسلامه فقتله وأعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل
الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فقرأها النبى صلى الله عليه وسلم وقال لعياش
قم فحرر أى أعتق رقبة وما ذكر من أن عياشا استمر محبوسا الى الفتح يخالف قول بعضهم مكث
صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سيأتى أربعين صباحا يقنت فى صلاة الصبح بعد الركوع أى
من الركعة الاخيرة وكان يقول فى قنوته اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش بن أبى ربيعة وهشام
ابن العاص والمستضعفين من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان
هذا يدل على ان هشام بن العاص وعياش بن أبى ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام وفى
السيرة الهشامية ما يفيد أنهما فتنا الاول صريحا والثانى ظاهرا وفى السيرة الشامية
التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر ولانهما لو كانا فتنا الاطلقا من الحبس والقيد وادامة
ذلك الآن يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على أن رجوعهما
عن الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما أى وسيأتى أن الوليد
كان سببا لتخليص عياش بن أبى ربيعة وهشام بن أبى العاص بعد أن تخلص من الحبس وهاجر
الى المدينة فان الوليد كان أسر ببدر ثم افتداه أخواه خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به
الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبساه بمكة وقيل له هلا أسلمت قبل أن تفدى قال كرهت أن يظن
فى انى جزعت الاسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ورجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما
وجاء بهما الى المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه و به يعلم ضعف

يارسول الله قال ان تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه يارسول الله قال لعلك ان أعطيتكه تقاتل فى الكيول أى مؤخر الصفوف قال لا يارسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه صلى الله عليه وسلم يتبختر قال انها المشية يبغضها الله تعالى الافى مثل هذا الموطن وليس فى هذه القصة دليل على ان أبادجانة أشجع من النفر الذين منعهم النبى صلى الله عليه وسلم اعطاء السيف بل هذه خصوصية لابى دجانة ولعل ذلك بوحى من الله تعالى لاظهار شأن الانصار وفضلهم حيث أعطاه لرجل منهم قال الزبير رضى الله عنه لما منعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه أبادجانة قلت والله لانظرن مايصنع أبو دجانة فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء مكتوبا فى أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الآخر الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر فى الكيول
أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الاقتله قال أنس ففلق أبو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه أى قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله ان يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبادجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس أى يشجعهم حمسا شديدا فعمدت اليه فلما حملت السيف عليه ولول أى دعا بالويل أى قال ياويلاه. فعلمت انه امرأة فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اضرب به امرأة وعن الزبير رضى الله عنه قال خرج أبو دجانة بعدما أخذ السيف واتبعته فجعل لا يمر بشئ الا افراه وهتكه وفلق به المشركين وكان اذا كل شحذه بالحجارة ثم يضرب به العدو كأنه منجل حتى أتى نسوة فى سفح الجبل ومعهن هند وهى تغنى تحرض المشركين فحمل عليها فنادت بالصخر فلم يجبها أحد فانصرف عنها فقلت له كل سيفك رأيته فأعجبنى غير انك لم تقتل المرأة قال كرهت ان أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه

ماتقدم من أن عياشالم يزل محبوسا الى يوم الفتح وممن هاجر قبل النبى صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة أى لانه لما أعتقته زوجة أبى حذيفة وكانت أنصارية تبناه أبو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر بن الخطاب لانه كان أكثرهم أخذا للقرآن فكان عمر بن الخطاب يثنى عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند قتله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ماجعلتها شورى قال ابن عبد البر معناه انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة أى فانه قتل فى يوم اليمامة وأرسل عمر ميراثه لمعتقته فابت أن تقبله فجعله فى بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة أى بعد أن هاجر اليها صلى الله عليه وسلم خلافا لما يوهمه كلام الاصل والشامى قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى قالوا نعم قال فانى جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب (أقول) وذكر أن صهيبا تواعد معه صلى الله عليه وسلم أن يكون معه فى الهجرة فلما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل اليه أبابكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلى فكره أن يقطع عليه صلاته كما سيأتى وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم وهو مافى الخصائص الكبرى عن صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه أبو بكر وقد كنت هممت بالخروج معه فصدنى فتيان من قريش أى بعد أن أردت الخروج بعده وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم أنا أعطيكم أواقى من الذهب وفى لفظ ثلث مالى وفى لفظ مالى وتخلون سبيلى ففعلوا فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الاواقى وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل أن يتحول منها فلما رآنى قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يارسول الله انه ماسبقنى اليك أحد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام أى وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا نحو النبى صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل مافى كنانته ثم قال يامعشر قريش قد علمتم انى من أرماكم رجلا وايم الله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم فى كنانتى ثم أضرب بسيفى مابقى فى يدى منه شئ ثم افعلوا ماشئتم وان شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم فقال لهم ماتقدم وفى رواية أنهم قالوا له دلنا على مالك ونخلى عنك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى وتتركوا الى راحلة ونفقة ففعلوا ونزل قوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت وجدت النبى صلى الله عليه وسلم وأبابكر جالسين فلما رآنى أبو بكر قام الى فبشرنى بالآية التى نزلت فى أى وفى رواية فتلقانى أبو بكر وعمر ورجال فقال لى أبو بكر ربح

وسلم امرأة لا ناصر لها وكان أول من أنشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق لانه كما تقدم كان فى المدينة فلما هاجر صلى الله عليه وسلم اليها حسده وكفر به وخرج الى مكة وكان يعد قريشا انه لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فخرج بمن معه مع من خرج من قريش والاحابيش فنادى يامعشر الاوس أنا أبو عامر فقالوا الا انعم الله بك عينا يافاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا قال ابن سعد تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن

ويهابنى عبد الدار
ويها حماة الادبار
ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يافلان والادبار الاعقاب أى الذين يحمون أعقاب الناس والبتار القاطع ويقلن أيضا نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا البوارق * والمسك فى المفارق * والدر فى المخانق * ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق * والطارق النجم قيل المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وارتفاع القدر كالنجم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع تحريض النساء وقولهن ذلك يقول اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يامعشر الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن * وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير رضى الله عنه فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبى صلى الله عليه وسلم الذى يلى حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضى الله عنه فذبحه فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبى حوارى وان حوارى الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من احجام الناس عنه * وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد

يعك أبايحيى فقلت وبيعك هلا تخبرنى ماذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ على الآية وفى تفسير سهل بن عبد الله التسترى أن صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد حكى ان امرأة اشترته فرأته كذلك فقالت لا أرضى لك حتى تنام بالليل لانك تضعف فلا يتهيأ لك الاشتغال بأعمالى فبكى وقال ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه أى وليتأمل هذا مع مافى تاريخ ابن كثير ان الروم أغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه واسلام عمار بن ياسر فى يوم واحد وقد يقال يجوز أن تكون تلك المرأة التى اشترته كانت من بنى كلب وعن صهيب رضى الله تعالى عنه صحبت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه وانه قال له عمر رضى الله تعالى عنه ياصهيب اكتنيت وليس لك ولد فقال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى فهو من جملة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ولد له وكان فى لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد احدى عينيه فقال له تأكل رطبا وأنت أرمد فقال انما آكل من ناحية عينى الصحيحة فضحك صلى الله عليه وسلم وفى المعجم الكبير للطبرانى عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فاخذت آكل من التمر فقال لى أتأكل التمر وعينك رمدة فقلت يارسول الله أمضغه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولا مانع من التعدد ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة وهاجروا امكث صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه الا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأبو بكر أى وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا أو مريضا أو عاجزا عن الخروج وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا مايستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو وفى رواية تجهز أبو بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال له أبو بكر هل ترجو ذلك بأبى أنت وامى قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين عنده الخبط أى وفى لفظ ورق السمر بفتح المهملة وضم الميم قال الزهرى وهو الخبط قال ابن فارس والخبط مايخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفها أربعة أشهر وكان اشتراهما بثمانمائة درهم (أقول) ظاهر هذا السياق أن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ماذكر ومعلوم أن ذلك بعد مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والمدة بين مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والهجرة كانت ثلاثة أشهر أو قريبا منها لانها كانت فى ذى الحجة ومهاجرته صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفى السيرة الشامية مايصرح بان علفه للراحلتين كان بعد

فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الي بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فاختلفا ضربتين وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدره علي رضي الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا اجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم وعرفت ان الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال اقتله فرجع اليه فقتله فاخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي تنسب اليه الشيبيون فيقال لهم بنو شيبة فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة رضي الله عنه وهو يقول أنا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فاصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الافلح فقتله ثم حمله أخو مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم أيضا فقتله وكانت أمهما معهما واسمها سلافة فكان كل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها فتقول له يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمى يقول خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب الخمر فيه وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الابل فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب وجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم قتلوا كأبيهم وعمهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم فقتله علي رضي الله عنه وقيل حمزة رضي الله عنه ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله

قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر فيها أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لابي بكر وقد استأذنه في الهجرة لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا طمع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعني نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما اعدادا لذلك وسيأتي عن الحافظ ابن حجر أن بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف شهر على التحرير والله أعلم فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صار له شيعة أي أنصار وأصحاب من غيرهم ورأوا خروج أصحابه اليهم وانهم أصابوا منعة لان الانصار قوم أهل حلقة أي سلاح وبأس حذروا أي خافوا أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يجمع على حربهم فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت محل مشورتهم لا يقطعون أمرا الا فيها أي وهي أول دار بنيت بمكة كانت منزل قصي بن كلاب كما تقدم ثم صارت لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية لما حج وهو خليفة من أولاد عبد الدار وتقدم ان معاوية انما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال له حكيم ذهبت المكارم الا التقوى يا ابن أخي الى آخر ما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفي الآن وكان لها باب للمسجد وكان لا يدخلها عند المشورة من غير ولد قصي الا ابن أربعين سنة وفي كلام بعضهم

* ساد أبو جهل وما طر شاربه * ودخل دار الندوة وما استدارت لحيته وقد أدخلت في المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع الندى وهو الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لانه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني أسد وبني مخزوم وبني سهم وبني جمح وغيرهم ممن لا يعد من قريش ولم يتخلف من أهل الرأي والحجى أحد ثم ان ابليس جاء اليهم في صورة شيخ نجدي عليه طيلسان من خز وقيل من صوف أي وانما فعل ذلك ليقبل منه ما يشير به لان أهل الطيالسة في العادة من أهل الوقار والمعرفة ووقف ذلك الشيخ على الباب فقالوا له من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل أي نعم فادخل فدخل معهم أي وانما قال لهم من أهل نجد لان قريشا قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم كان مع محمد صلى الله عليه وسلم * قيل لما سمعهم يقولون لا يدخل معكم اليوم الا من هو معكم قال لهم لما سألوه وقالوا له من أنت قال شيخ من نجد وأنا ابن أختكم فقالوا ابن أخت القوم منهم وقيل ان ابليس لما دخل عليهم أنكروه وقالوا له من أنت وما أدخلك علينا في خلوتنا هذه بغير اذننا فقال اني رجل من أهل نجد رأيتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فاحببت أن أجلس اليكم وأسمع كلامكم فان كرهتم ذلك خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدي ولا عين عليكم منه وفي لفظ هذا من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم

قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم وكان عبدا حبشيا فقتله علي وقيل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ثم لم يزل اللواء طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ولا يعرف لها اسلام فرفعته لقريش فلاثوا به أي استداروا حوله وقد كان أبو سفيان قبل القتال قال لاصحاب اللواء أي لواء المشركين من بني عبد الدار يحرضهم على القتال يا بني عبد الدار انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذي أراده أبو سفيان ولما صرع صاحب لواء المشركين الذي هو طلحة بن أبي طلحة استبشر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أي لانه كبش الكتيبة أي الجيش أي حاميهم الذي رأى صلى الله عليه وسلم انه مردفه في رؤياه المتقدمة ثم قال أولت ذلك اني أقتل صاحب الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أمكنتهم وكان شعار المسلمين يومئذ امت امت وهو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار يا للعزى وهي شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وقيل خارجها بجانب الباب وخرج عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبو بكر رضي الله عنه شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن المبارزة أيضا يوم بدر وقد وقع للصديق رضي الله عنه أن العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش لقتال أهل الردة شاهرا سيفه فأخذ علي كرم الله وجهه بزمام راحلته وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وعلي رضي الله عنه مع الجيش وفي أول الامر يوم أحد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاثا والمسلمون ينضحونهم بالنبل فترجع

وعند المشورة قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما قد رأيتم وانا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا فتشاوروا فقال قائل أي وهو أبو البختري بن هشام أحبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم من هذا الموت فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا رأيا غيره فتشاوروا فقال قائل منهم أي وهو الاسود بن ربيعة بن عمير نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين يذهب فقال الشيخ النجدي والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي الله به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل بفتح أوله وضم الحاء المهملة أي ينزل ويجوز أن يكون بكسرها أي يسقط على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه ثم يسير به اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل بن هشام والله ان لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال الرأي أن تأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا أي قويا حسيبا في قومه نسيبا وسطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يغدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا منا بالعقل أي الدية فعقلناها لهم فقال النجدي القول ما قال هذا الرجل هذا هو الرأي ولا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه أي وأخبره بمكرهم وأنزل الله عز وجل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية فلما كانت عتمة من الليل أي الثلث الاول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه أي وكانوا مائة (أقول) في الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال يريدون أن يحبسوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال من حدثك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال أنا استوصي به بل هو يستوصي بي هذا كلامه ولم يتعقبه بان هذا كان بعد موت أبي طالب قال وكان ائتمارهم يوم السبت فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله قال ان قريشا أرادوا ان يمكروا فيه بي أي أرادوا فيه المكر فانزل الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا * وفي سيرة الحافظ الدمياطي فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من صير الباب أي شقه ويرصدونه يريدون بياته أي يوقعون به الامر ليلا ويأتمرون أيهم يحمل على المضطجع وفيه ان ائتمارهم

متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أي أضعفوهم قتلا ولما حميت الحرب قامت هند في النسوة اللاتي معها
وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن ويها بني عبد الدار الخ الابيات المتقدمة ثم أنزل الله نصره على المسلمين فساروا
يحسون الكفار حسا أي يقتلونهم قتلا كما قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى كشفوهم وانهزموا فولى الكفار
لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل ٣٠ قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة أي ما في سافها من الحلي
هي وصواحبها مشمرات هوارب
وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم
ووقعوا ينتهبون العسكر
ويأخذون ما فيه من الغنائم
واشتغلوا عن الحرب فقال أصحاب
عبد الله بن جبير وهم الرماة الذين
أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالبقاء بمكانهم الغنيمة أي قوم قد
غلب أصحابكم فما تنتظرون فقال
لهم عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال
لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني قوله لا تبرحوا فأبوا أن
يطيعوه وقالوا والله لنأتين الناس
ولنصيبن من الغنيمة فان المشركين
قد انهزموا فما مقامنا ههنا فلما
أتوهم متوجهين الى محل الغنيمة
كر المشركون راجعين فرجعوا
منهزمين عقوبة لهم لمخالفتهم قوله
صلى الله عليه وسلم ونظر خالد بن
الوليد الى خلاء الجبل الذي كان
فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل
وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا
على من بقي من الرماة وهم دون
العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم
عبد الله بن جبير رضي الله عنه
ووقعت الهزيمة في المسلمين قال
الحافظ ابن حجر وفيه شؤم ارتكاب
النهي وانه يعم ضرره من لم يقع
منه كما قال تعالى واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
ولذا قال تعالى ولقد صدقكم الله
وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم الاردن
من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول
يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم أي أصابتكم الهزيمة التي أغمتكم بسبب ادخالكم الغم على النبي صلى الله عليه وسلم في مخالفة
أمره ومع ذلك فقد أخبر الله في كتابه بأنه عفا عنهم بقوله ولقد عفا عنكم وصرخ ابليس لعنه الله أي عباد الله يعني المسلمين أخراكم

في ذلك لا يناسب ما اجتمع رأيهم عليه من أنهم يجتمعون على قتله ليتفرق دمه في القبائل ثم
رأيت بعضهم قال وأحدقوا ببابه صلى الله عليه وسلم وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر
ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بني هاشم قاتله من جميع القبائل فلا يتم لهم أخذ ثاره
وهو المناسب لما ذكروا والله أعلم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم أي علم ما يكون
منهم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه نم على فراشي واتشح بردائي هذا الحضرمي وقد
كان يشهد فيه العيدين وقد كان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان أخضر
أو أحمر يدل للثاني قول جابر كان يلبس رداء أحمر في العيدين والجمعة ثم رأيت في بعض الروايات
انه كان أخضر فلينظر الجمع وفي سيرة الدمياطي وارتد بردائي هذا الاحمر والحضرمي منسوب
الى حضرموت التي هي البلدة أو القبيلة باليمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسجى بذلك
البرد عند نومه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم (أقول) وأما ما روى ان الله تعالى أوحى
الى جبريل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر
صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله اليهما الا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت
بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى
الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل
بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب باهى الله بك الملائكة وأنزل الله عز وجل ومن الناس من
يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال فيه الامام ابن تيمية انه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث
والسير وأيضا قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم فلم
يكن فيه فداء بالنفس ولا ايثار بالحياة والآية المذكورة في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق
وقد قيل انها نزلت في صهيب رضي الله تعالى عنه لما هاجر كما تقدم لكنه في الامتاع لم يذكر
أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي ما ذكروه عليه فيكون فداؤه للنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه واختيارا
ولا مانع من تكرر نزول الآية في حق علي وفي حق صهيب وحينئذ يكون شرى في حق علي
رضي الله تعالى عنه بمعنى باع أي باع نفسه بحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي حق صهيب
بمعنى اشترى أي اشترى نفسه بماله ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها
مدنية لان الحكم يكون للغالب وفي السبعيات انه صلى الله عليه وسلم نظر الى أصحابه وقال أيكم
يبيت على فراشي وأنا أضمن له الجنة فقال علي أنا أبيت وأجعل نفسي فداءك هذا كلامه ولعله
لا يصح ثم رأيت في الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغني بخروجه
صلى الله عليه وسلم حين خرج الا علي وأبو بكر الصديق فليتأمل والله تعالى أعلم وكان في القوم
الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وأمية بن خلف وزمعة بن الاسود
وأبو لهب وأبو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يزعم انكم ان
تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان

أي احترزوا من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه فرجعت أولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط
العسكران فلم يتميز والشدة ما دهشهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذي وصل اليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه
شبرا واحدا عن موقفه كما في شرح الزرقاني وعند الاختلاط صاروا لا يعرفون المسلم من الكافر وترك المسلمون شعارهم الذي
يتعارفون به وهو أمت أمت فوقع القتل في المسلمين بعضهم في بعض فكان ممن قتلوه ٣١ خطأ اليمان والد حذيفة بن اليمان رضي
الله عنهما فقال ابنه غفر الله لكم
وترك ديته وأحاط المشركون
بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم
يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف
في المسلمين وهم آمنون وتفرقت
المسلمون من كل وجه وتركوا
ما انتهبوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه ذلك اليوم قتالا
شديدا حتى بلغ الذين قتلهم
أحدا وثلاثين رجلا كلهم من
شجعانهم وكان رضي الله عنه
يقاتل بسيفين بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقول أنا
أسد الله وخرج سباع بكسر السين
وتخفيف الباء ابن عبد العزى
الخزاعي فقال هل من مبارز فبرز
له حمزة رضي الله عنه وقال هلم
يا ابن مقطعة البظور أي لان أمه
أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس
كانت ختانة بمكة ثم قال حمزة رضي
الله عنه أتحاد الله ورسوله أي
تحاربهما وتعاندهما ثم شد عليه
حمزة رضي الله عنه فضربه ضربة
قتله بها فكان كأمس الذاهب
وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة
رضي الله عنه وأكب حمزة عليه
ليأخذ درعه قال وحشي غلام
جبير بن مطعم اني لأنظر الى حمزة
يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة
رضي الله عنه فانكشف الدرع
عن بطنه فهززت حربتي حتى اذا
رضيت منها دفعتها اليه فوقعت في ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة فأقبل نحوي ثم وقع فأمهلته حتى مات فجئته
فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي في شيء حاجة غيره لما تقدم ان حمزة رضي الله عنه قتل طعيمة بن عدي يوم بدر فقالت
ابنة طعيمة لوحشي ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا في أبي فأنت عتيق وفي رواية قال لي مولاي جبير بن مطعم ان قتلت حمزة بعمي فأنت
حر ولا مخالفة لاحتمال ان كلا من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك وجاء في بعض الروايات عن وحشي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال

الاردن أي بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل بأرض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا
كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون فيها وسمعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم أنا أقول ذلك وأخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى يس
والقرآن الحكيم الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون فأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلم
يروه وفي مسند الحرث بن أبي اسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في فضل يس انها ان
قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسي أو عاطش سقي أو سقيم شفي وعند خروجه صلى الله
عليه وسلم جعل ينثر التراب على رؤسهم فلم يبق رجل الا وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى
حيث أراد فأتاهم آت فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا فقال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد
ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل
رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب قال في النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم النبي
صلى الله عليه وسلم تكنى أم الرباب انها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا
ليلة فر من المشركين وينبغي ان يوفق بينهما ان صحا والا فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه
(أقول) التوفيق حاصل وهو انه يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يحب ان يخرج عليهم
من الباب فتسور الحائط التي نزل منها عليهم والله أعلم أي وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم في تلك
الليلة الى بيت أبي بكر رضي الله عنه فكان فيه الى الليل أي الى الليلة المقبلة ثم خرج هو وأبو
بكر رضي الله عنه ثم مضيا الى جبل ثور كذا في سيرة الدمياطي ثم أي بعد اخبارهم بخروجه
صلى الله عليه وسلم ووضعه التراب على رؤسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش
متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا محمد نائما عليه برده فلم يزالوا
كذلك أي يريدون أن يوقعوا به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى أصبحوا واتضح النهار فقام
علي رضي الله تعالى عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا أي ولما قام علي
رضي الله تعالى عنه سألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا علم لي به وفي رواية فلما أصبحوا
ساروا اليه يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا عليا رضي الله تعالى عنه رد الله تعالى
مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدري فأنزل الله تعالى قوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون وأنزل الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين كذا في الاصل تبعا لابن اسحق ولا يخفى ان الآية
الثانية موفية بما ذكروه من المشاورة قال والمانع من اقتحام الجدار عليه في الدار مع قصر
الجدار وقد جاؤا لقتله انهم هموا بذلك فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض انها السبة
في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى (أقول)
لا يخفى ان هذا لا يناسب ما قدمناه عن بعضهم انهم انما أرادوا قتله صلى الله عليه وسلم عند
طلوع الفجر ليظهر لبني هاشم قاتلوه فلا يثبوا عليه لئلا يتسوروا الجدار الا أن يقال ارادة ذلك

وخرجت ما أريد ان أقتل ولا أقاتل الا حمزة وكان وحشى يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطئ ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحربة
مسيلمة الكذاب وكان يقول ارجو ان هذه تكفر تلك وهذا لا ينافى ما ورد ان الذى قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الانصارى
أو أبو دجانة رضى الله عنهم لاحتمال أن يكون وحشى ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين فى قتله لعنه الله وكان عمر
مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة وكان ٣٢ مصعب بن عمير رضى الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم

منهم كانت عند طلوع الفجر ووجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافى ان المانع لهم عن الوثوب عليه الذى جاؤا بصدده وهم مائة رجل من صناديد قريش انما هى حماية الله تعالى الموجبة لخذلانهم واظهار عجزهم وفى ذلك تصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لعلى لا يخلص اليك شئ تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول بعضهم كان المشركون يرمون عليا يظنون أنه النبى صلى الله عليه وسلم يرمونه بأبصارهم لا بنحو حجارة أونبل كما لا يخفى فان قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعل ذلك لفات اذلالهم بوضع التراب على رؤسهم واظهار حماية الله تعالى له بخروجه عليهم ولم يبصره أحد منهم وفى رواية انهم تسوروا عليه صلى الله عليه وسلم ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار على فى وجوههم فعرفوه فقالوا هو أنت أين صاحبك فقال لا أدرى وهذا يخالف لما تقدم فلينظر الجمع بناء على صحة هذا وفى لفظ أمروه بالخروج فضربوه وادخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه والله أعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له فى الهجرة الى المدينة أى وأنزل الله تعالى عليه وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد بن أسلم جعل الله عز وجل مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار ويعارضه ما جاء أن عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قال له جبريل سل ربك فان لكل نبى مسئلة فقال ما تأمرنى ان أسأله قال قل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فأنزل الله تعالى عليه ذلك فى رجعته من تبوك بعد ما ختمت السورة أى الا ان يدعى تكرار النزول وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم فى الهجرة قال لجبريل من يهاجر معى قال جبريل أبو بكر الصديق أى ومن الغريب قول بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى صديقا فقد تقدم ان تسميته بذلك كان عند تصديقه له صلى الله عليه وسلم عند اخباره بالاسراء وعن صفة بيت المقدس ومن الغريب أيضا ما فى السبعيات ان النبى صلى الله عليه وسلم تشاور مع أصحابه فقال ايكم يوافقنى ويرافقنى فقد أمرنى الله تعالى بالخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنا يا رسول الله ويرده ما فى السير انه صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال أخرج من عندك فقال يا رسول الله انما هما ابنتاى أى يعنى عائشة وأسماء رضى الله تعالى عنهما قال شعرت أى علمت انه قد أذن لى فى الهجرة فقال يا رسول الله الصحبة أى أسألك الصحبة فقال أى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة أى لك الصحبة عندى فانطلقا أى ليلا كما تقدم عن سيرة الدمياطى لكن تقدم عنها انه دخل بيت أبى بكر فى ليلة خروجه من على فراشه وانه مكث ببيت أبى بكر الى الليلة القابلة التى كان فيها خروجه صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور فيحتاج الى الجمع وقد يقال ان مجيئه صلى الله عليه وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين حتى أتيا الغار وهو بجبل ثور فتواريا فيه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه

وكان حامل اللواء فقاتل قتالا شديدا حتى قتل فأخذ اللواء ملك فى صورته وفى رواية لما قتل اعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه فلعل الملك حمل اللواء عنه قبل ظهور موته لهم وشيوعه فيهم فلما ظهر وشاع اعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية لعلى رضى الله عنه وكان الذى قتله عبد الله بن قمئة بكسر الميم لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان مصعبا رضى الله عنه كان اذا لبس لأمته يشبه النبى صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة لظنه الخائب ان محمدا قد قتل وروى ابن سعد ان مصعبا رضى الله عنه حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء أى أكب عليه وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول الآية قال محمد ابن شرحبيل وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بما سمع قول القائل قد قتل محمد وقيل ان الصارخ الذى قال قتل محمد ليس هو ابن قمئة بل ابليس لعنه الله وانه تصور فى صورة جعال بن سراقة الضمرى وكان رجلا صالحا من
أسلم قديما ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون واستمروا الى قرب المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل وسلم
قال الحافظ ابن حجر انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا فى الهزيمة الى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم
الذين نزل فيهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وفرقة صاروا حيارى
لما سمعوا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته فى القتال الى أن يقتل

وهم أكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت اليه الفرقة الثانية شيأ فشيأ لما عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم حى
ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول الذى نطق به الشيطان وهو على صورته وشهد خوات بن جبير
وأبو بردة بان جعالا كان عندهما و بجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة لما غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن أعين
بعض القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين لو كان ٣٣ لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقال بعض

وسلم قال عند خروجه من مكة أى متوجها الى المدينة والله انى لأخرج منك وانى لأعلم انك أحب بلاد الله الى الله وأكرمها على الله ولولا ان أهلك أخرجونى منك ما خرجت أى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم وقف أى على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت وقال والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا ان أهلك اخرجونى منك قهرا ما خرجت وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم وقف فى وسط المسجد والتفت الى البيت فقال انى لأعلم ما وضع الله بيتا أحب الى الله منك وما فى الارض بلد أحب اليه منك وما خرجت منك رغبة ولكن الذين كفروا أخرجونى أى وهذا السياق يدل على ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحزورة أو فى وسط المسجد يقتضى انه جاء بعد خروجه من الغار الى ما ذكر ثم ذهب الى المدينة وفى رواية وقف صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله انك لخير أرض الله واحب أرض الله الى الله ولولم أخرج منك ما خرجت وفى لفظ ولو تركت فيك لما خرجت منك ولا مانع من تكرر ذلك ثم رأيت فى كلام بعضهم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان فى عام الفتح وفى لفظ آخر قال لمكة ما أطيبك من بلدة واحبك الى ولولا ان قومى أخرجونى ما سكنت غيرك أى وفى جمال القراء للسخاوى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف ونظر الى مكة وبكى فأنزل الله عز وجل عليه وكأين من قرية هى أشد قوة الآية واما ما روى الحاكم عن أبى هريرة مرفوعا اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فأسكنى فى أحب البقاع اليك فقال الذهبى انه موضوع وقال ابن عبد البر لا يختلف أهل العلم انه منكر موضوع (أقول) والذى رأيته عن المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم انهم أخرجونى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد اليك والمعنى واحد والى ما روى عن الزهرى اللهم انك أخرجتنى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد اليك استند من قال بتفضيل المدينة على مكة قال لان الله تعالى أجاب دعاءه فأسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلماء ومنهم الامام مالك رضى الله تعالى عنه والى الاحاديث الاول استند من قال بتفضيل مكة على المدينة وهم الجمهور ومنهم امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه واستندوا فى ذلك الى انه صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع أى بلد تعلمونه أعظم حرمة قالوا لا نعلم الا بلدنا هذه يعنون مكة وهذا اجماع من الصحابة اقرهم عليه صلى الله عليه وسلم انها أى مكة أفضل من سائر البلاد لان ما كان أعظم حرمة فهو أفضل وقد قال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام قال ابن عبد البر وانى لأعجب ممن ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله والله انى لأعلم أنك خير أرض وأحبها الى الله ولولا ان أهلك أخرجونى منك ما خرجت وهذا حديث صحيح ويميل الى تأويل لا يجامع ما تأوله عليه أى ولان الحسنة فيها بمائة ألف حسنة فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشيا كتبت له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات

منهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفى ذلك أنزل الله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآيات وقال رجل منهم لم يعرف اسمه ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليستأمن لنا من أبى سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه وشهد له بهذه المقالة عند النبى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضى الله عنه ووافق أنس بن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذين تمكن الايمان فى قلوبهم وروى ابن اسحق ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم فقال ان كان قتل فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضى الله عنه قال أنس ولقد وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة

فما عرفه الا أخته عرفته ببنانه وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال
يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلته المشركين لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون
قال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد
الجنة ورب النضر انى أجد ريحها دون أحد قال سعد فما استطيع ان أصنع ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة

بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته عرفته ببنانه وأنس بن مالك لم يحضر يوم أحد وانما سمع ذلك من سعد بن معاذ رضي الله عنه وممن قال مثل مقالة أنس بن النضر ثابت بن الدحداح رضي الله عنه فانه قال يا معشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حي لا يموت قاتلوا عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد ابن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضي الله عنهم وثبت النبي صلى الله عليه وسلم وقت رجوع المسلمين ولم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف عن موقفه الذي وصل اليه حين انهزام المشركين باجماع المسلمين قال ابن سعد ما زال صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمي بالحجر وكان أقرب الناس الى القوم وجاء عن علي رضي الله عنه وغيره كنا اذا اشتد البأس أي حمي القتال اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي فيجعلونه في وجه القوم ويكونون خلفه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن المقداد بن الاسود رضي الله عنه فوالذي بعثه بالحق ما زالت قدمه شبرا واحدا وانه لفي وجه العدو وتفيء اليه طائفة من أصحابه مرة وتفترق مرة فربما رأيته قائما يرمي عن قوسه ويرمي بالحجر حتى انحازوا عنه وروى أبو يعلى بسند حسن عن علي رضي الله عنه قال لما انجلى الناس يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه صلى الله عليه وسلم فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل فكسرت غمد سيفي ثم حملت على القوم فافرجوا لي فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم اى صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم في المستدرك بسند على شرط مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسي فاما ان أستشهد واما أن الحق حتى القى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك اذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو فاقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم

الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بمائة ألف حسنة والكلام في غير ما ضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم من أرض المدينة والا فذاك أفضل بقاع الارض بالاجماع بل حتى من العرش والكرسي على ان صاحب عوارف المعارف ذكر أن الطوفان موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى أرساها بالمدينة فهي من جملة أرض مكة وحينئذ لا يحسن الاستناد في تفضيل المدينة على مكة بقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه انهم لما اختلفوا في أي محل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبضه الله الا في أحب البقاع اليه ليدفن فيه كما سيأتي والله أعلم * وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت بينا نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر الصديق في نحر الظهيرة أي وسطها وهو وقت الزوال قال قائل لابي بكر أي وهذا القائل هي أسماء بنت أبي بكر وفي كلام بعض الحفاظ يحتمل ان يفسر بعامر بن فهيرة أي مولى أبي بكر قالت أسماء قلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي متطيلسا في ساعة لم يكن يأتينا فيها أي فعن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يمر علينا يوم أي قبل الهجرة الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا وفي لفظ كان لا يخطئ ان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أبي بكر أحد طرفي النهار اما بكرة واما عشيا أي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة الثانية والا فالاولى في البخاري وتفسير التقنع بالتطيلس ذكره الحافظ ابن حجر حيث قال قوله متقنعا أي متطيلسا وهو أصل في لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبس الطيلسان ولا احد من أصحابه وحينئذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع تغطية الرأس وأكثر الوجه بالرداء من غير ان يجعل منه شئ تحت رقبته الذي يقال له التحنيك وحمل قول ابن القيم المذكور على الطيلسان المقور التي تلبسها اليهود قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور هو المعروف بالطرحة وقد اتخذت خلفاء بني العباس الطرحة السوداء على العمامة عند الخطبة واستمر ذلك شعار الخلفاء فالحاصل ان ما يغطى به الرأس مع أكثر الوجه ان كان معه تحنيك أي ادارة على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له رداء مجازا وان لم يكن معه تحنيك قيل له رداء أو قناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعارا في القديم لقاضي القضاة الشافعي خاصة قال بعضهم بل صار شعار العلماء ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتاء والتدريس وكان الشيخ يكتب في اجازته وقد أذنت له في لبس الطيلسان لانه شهادة بالاهلية وما يجعل على الاكتاف دون الرأس يقال له رداء فقط وربما قيل له طيلسان أيضا مجازا وصح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وله حكم المرفوع التقنع من أخلاق الانبياء وقد ذكر بعضهم أن الطيلسان الخلوة الصغرى وفي حديث لا يتقنع الا من استكمل الحكمة في قوله وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع كالاسواق وأول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير ابن مطعم رضي الله تعالى عنه وعن الكفاية لابن الرفعة أن ترك الطيلسان للفقيه مخل بالمروأة

فتنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى اتوا الجبل ففعل ذلك مرارا ولا أدري من هو وبيني وبينه المقداد فبينا أنا أريد ان اسأل المقداد عنه اذ قال المقداد يا سعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت وأين هو فاشار اليه فقمت وكأنه لم يصبني شئ من الاذى واجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته فكان سعد مجاب الدعوة قال حتى اذا فرغ النبل من كنانتي نثر صلى الله عليه وسلم لي ما في كنانته وانكشف الناس عنه صلى الله عليه وسلم وعن سعد رضي الله عنه قال لقد رأيتني والنبي صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم به وجاء ان سعدا رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارم فداك أبي وأمي ففداه ذلك اليوم ألف مرة وعن علي كرم الله وجهه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبي وأمي الا لسعد رضي الله عنه يعني يوم أحد فلا ينافي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ذلك للزبير رضي الله عنه يوم الخندق كما سيأتي ان شاء الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد ويقول هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله أي لان سعدا رضي الله عنه كان من بني زهرة وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم منهم وكان رضي الله عنه اذا غاب يقول النبي صلى الله عليه وسلم ما لي لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضي الله عنه وثبت معه صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة رضي الله عنهم وكذا علي رضي الله عنه قال في فتح الباري فقد صحت الاحاديث بان عليا رضي الله عنه ممن ثبت وبعض الرواة لم يذكره لانه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج الى أن يقال ثبت وسبعة من الانصار وهم أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ واسيد ابن حضير وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضي الله عنهم وزاد بعضهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه بل جاء انه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك وعليك السلام غير مودع وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافي في

أي وهو بحسب ما كان في زمنه رحمه الله وفي الترمذي لم تكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع انما كان يفعله لحر أو برد وتعقب بان في حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفي طبقات ابن سعد مرسلا أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره أي لان فيه غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغرى كما تقدم ولما قيل لابي بكر رضي الله تعالى عنه ذلك أي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال أبو بكر فداه أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن له فدخل أي وتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه اخرج من عندك قال أبو بكر انما هي اهلك أي لانه صلى الله عليه وسلم كان عقد على عائشة رضي الله تعالى عنها كما تقدم فامهما من جملة أهله واختها كذلك وقيل هو على حد قول الشخص لآخر اهلي اهلك وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لا عين عليك انما هما ابنتاي أي وسكت عن أمهما استرا قال فانه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله بابي أنت وامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أي فبكى أبو بكر سرورا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب ان أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر ولله در القائل

ورد الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور علي حتى انني * من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

أي ومنه أقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن عينه لمن يدعى عليه وهو سخنة العين لما يحزن به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد روي أن نبيا من الانبياء اجتاز بحجر يخرج منه الماء فسأل ربه عن ذلك فانطق الله تعالى الحجر فقال منذ سمعت ان الله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وأنا أبكي هذا الدمع خوفا من تلك النار فاشفع لي عند ربك فشفع له فشفع فيه وبشره بذلك ثم مر به بعد مدة فاذا الماء يخرج منه فقال ألم ابشرك ان الله أنجاك من النار فما هذا فقال يا نبي الله ذاك بكاء الخوف والخشية وهذا بكاء الفرح والسرور ومن ثم لما قال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله أمرني ان أقرأ عليك سورة كذا أي لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب بكى من الفرح وقال أوذكرت هناك أي ذكرني الله عز وجل وفي لفظ وسماني قال نعم * وفي سفر السعادة قال العلماء البكاء على عشرة أنواع بكاء فرح وبكاء حزن لما فات وبكاء رحمة وبكاء خوف لما يحصل وبكاء كذب كبكاء النائحة فانها تبكي بشجو غيرها وبكاء موافقة بان يرى جماعة يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب وبكاء المحبة والشوق وبكاء الجزع من حصول ألم لا يحتمله وبكاء الخور والضعف وبكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس والبكى بالقصر دمع العين من غير صوت والممدود ما كان معه

الروايات لان اختلاف الاحاديث لاختلاف الاحوال فانهم تفرقوا فى القتال فلما ولى من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذب عن نفسه ثم عرفوا بقاءه صلى الله عليه وسلم فتراجعوا اليه أولا فاولا ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال فيشتغلون به وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعمارا وابن مسعود رضى الله عنهم وفى بعض الروايات لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الانصار ولعله فى بعض اللحظات لاختلاف الحالات كما مر * وثبت انه صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه أصحابه صار يقول الى" يا فلان الى" يا فلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم * وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك قال الحلبى فليتأمل فان المحفوظ انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك يوم حنين وان كان لا مانع من التعدد * وممن ثبت معه صلى الله عليه وسلم أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى زوج أم أنس بن مالك رضى الله عنه فانه استمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يحوز عنه بحجفته وكان رجلا راميا شديد الرمى فنثر له النبى صلى الله عليه وسلم كنانته بين يديه وصار رضى الله عنه يقول نفسى لنفسك فداء ووجهى لوجهك وقاء فلم يزل يرمى بها وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبى صلى الله عليه وسلم انثرها لابى طلحة وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف أى ينظر الى القوم ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يا نبى الله بابى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك وتطاول أبو طلحة رضى الله عنه بصدره يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زال النبى صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفى القوس اللذين هما محل الوتر وفى رواية حتى تقطع الوتر وبقى فى يده قطعة قدر شبر فاخذ القوس عكاشة بن محصن رضى الله عنه ليوتر له فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فو الذى بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه ليتين أو ثلاثا وكان صلى الله عليه وسلم أقرب الناس الى القوم * وممن كان مشهورا بالرماية سهل بن حنيف رضى الله عنه وكان ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا

صوت واما التباكى فهو تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم فالاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر يبكيان فى شأن أسارى بدر اخبرنى ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت ومن ثم لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك والثانى ما يكون لاجل الرياء والسمعة قال أبو بكر فخذ بابى أنت وأمى يا رسول الله احدى راحلتى" هاتين فانى أعددتهما للخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن أى لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله أى والا فقد انفق أبو بكر رضى الله تعالى عنه أكثر ماله عليه صلى الله عليه وسلم أى فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنفق أبو بكر على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم وفى لفظ دينار ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليس من أحد أمن على" فى أهل ومال من أبى بكر وفى رواية ما أحد أمن على" فى صحبته وذات يده من أبى بكر وما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالى الا لك يا رسول الله وفى رواية ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا الله يكافئه بها يوم القيامة ﴿أقول﴾ ولا ينافى كونه صلى الله عليه وسلم أخذ احدى ناقتى أبى بكر بالثمن ما رواه ابان بن أبى عياش أحد التابعين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه ما أطيب مالك منه بلال مؤذنى وناقتى التى هاجرت عليها وزوجتنى ابنتك وواسيتنى بمالك كأنى انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتى لان أبان بن أبى عياش معدود من الضعفاء وقد قال شعبة لان أشرب من بول حمار حتى أروى أحب الى" من أن أقول حدثنا عن أبان بن أبى عياش وقال فيه مرة أخرى لان يزنى الرجل خير من أن يروى عن أبان وقد طلب من شعبة أن يكف عن أبان هذا فقال الامر دين وهذا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ابن حبان عذر أبان بانه كان يروى عن أنس وأبان مجالس الحسن البصرى فكان يسمع كلامه فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن أنس مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحة ما قاله لا منافاة أيضا لانها كانت من مال أبى بكر قبل أن يأخذها صلى الله عليه وسلم بثمنها على ان فى الترمذى ما يوافق ما رواه ابان ففيه عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله قال وهذا حديث غريب والله أعلم وكان الثمن عن تلك الناقة التى هى القصواء وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه أو الجدعاء أربعمائة درهم أى لما علمت ان الناقتين اشتراهما أبو بكر بثمانمائة درهم وأما ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء فقد جاء ان بنته فاطمة رضى الله تعالى عنها تحشر عليها قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فجهزناهما أحب الجهاز أى أسرعه والجهاز بكسر الجيم أفصح من فتحها ما يحتاج اليه فى السفر ووضعنا لهما سفرة فى جراب أى زادا فى جراب لان السفرة فى الاصل الزاد الذى يصنع للمسافر ثم استعمل فى وعاء الزاد وكان فى السفرة شاة

مطبوخة

اليوم وكان بايع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انبلوا سهلا أى اعطوه نبلا * وممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بالتصغير وهى زوج زيد بن عاصم وأم ولده عبد الله بن زيد فعنها رضى الله عنها قالت خرجت يوم أحد لانظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال دونه وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراحة الى" روى انه كان على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن قمئة يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضى الله عنه فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان وجاء فى رواية خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم أهل بيت فقالت له نسيبة رضى الله عنها ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة وعند ذلك قالت رضى الله عنها ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دونى وقد جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضى الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة وكان ابنها عبد الله بن زيد رضى الله عنه مشاركا لوحشى فى قتل مسيلمة فعنها رضى الله عنها قالت قاتلت يوم اليمامة فقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت شكرا لله تعالى وقتله له كان بعد ضرب وحشى له بحربته وجاء انه شاركهما فى ذلك أبو دجانة رضى الله عنه وأنزل الله يوم أحد على المؤمنين النعاس قال الزبير بن العوام رضى الله عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه فى

مطبوخة فقطعت اسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب أى وابقت الاخرى أى نطاقها وهو يوافق ما فى صحيح مسلم عن اسماء رضى الله تعالى عنها أنها قالت للحجاج بلغنى انك تقول أى لولدها عبد الله بن الزبير تعيره يا ابن ذات النطاقين أما أنا والله ذات النطاقين أما احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأما الآخر فنطاق المرأة أى الذى لا تستغنى عنه أى عند اشتغالها لان النطاق ما تشد به المرأة وسطها الثلا تعثر فى ذيلها على ثوب يلقى على أسفله وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جاء ذات النطاق أى وكلاهما صحيح لكن فى لفظ قطعت نطاقها قطعتين فاوكت بقطعة منه فم الجراب وشدت فم القربة بالباقى أى فلم يبق لها شئ منه و يوافقه ما فى البخارى عن اسماء لم نجد لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لمحلها الذى هو الجراب ولا لسقائه أى الذى هو القربة ما نربطهما به فقلت لابى بكر لا والله ما أجد شيأ أربطه الا نطاقى قال فشقيه اثنين واربطى بواحد السقاء الذى هو القربة و بواحد السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين أى سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة وفيه أن الرواية الاولى التى عن عائشة والرواية الثانية التى عن أسماء رواهما مسلم لم يذكر السقاء وفى رواية البخارى ذكر السقاء واسقاط الجراب لكن ذكر بعد الجراب السفرة وقد يقال المراد بربط السفرة ربط محلها الذى هو الجراب كما أشار اليه قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغى أن يكون أقرب الى الضبط لان أسماء قالت فى آخر عمرها مخبرة عن نفسها أى ولم تربط الا الجراب باحد شقى النطاق وأبقت لها الآخر وقد يقال الحصر ليس فى محله لما فاته لرواية البخارى وحينئذ يجمع بانه يجوز انها لما شقت النطاق نصفين قطعت أحدهما قطعتين فشدت باحداهما الجراب والاخرى السقاء فهى ذات النطاقين الذى ابقته والذى فعلت به ما ذكر (وفى السيرة الشامية) أن اسماء بنت أبى بكر جاءت اليهما لما نزلا من الغار بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما فذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس لها عصام فشقت نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها به وانتطقت الآخر أى وهذا يدل على أن المراد بقول عائشة فجهزناهما أحب الجهاز أى عند خروجهما من الغار لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر من السياق ثم على المتبادر جرى ابن الجوزى حيث قال اسماء بنت أبى بكر أسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدا لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين هذا كلامه وقد قال لا مانع من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد به المرأة وسطها لئلا تعثر فى ذيلها يخالفه قول بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى على الاسفل وهذا يوافق القيل المتقدم واول له اطلاقين و يوافق الثانى ما قيل أول من فعله هاجر أم اسمعيل اتخذته لتخفى أثر مشيتها على سارة ولعله عند خروجها لما أمره الله عز وجل باخراجها مع ابراهيم فيذهب بها الى مكة قبل

صدره فوالله انى لاسمع كالحلم قول معتب بن قشير لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا قال تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم الآية وعن كعب بن عمرو الانصارى رضى الله عنه قال لقد رأيتنى يومئذ فى أربعة عشر من قومى الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس امنة أى لانه لا ينعس الا من يأمن فما منهم أحد الا غط غطيطا حتى ان الجحف أى الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن ٣٨ معرور سقط من يده وما شعر وتقدم فى غزوة بدر انه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء ان النعاس فى الصف من الايمان وفى الصلاة من الشيطان واما الطائفة المنهزمة فانها انفرقت فرقا فمنهم من ذهب الى المدينة فلقيتهم أم أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك أى اعطنى سيفك وطائفة من المنهزمين لم يدخلوا المدينة ويشكل على استقبال أم أيمن اياهم أنه جاء انها كانت فى الجيش تسقى الجرحى فقد جاء ان حبان ابن العرقة رمى بسهم فاصاب أم أيمن وهى تسقى الجرحى فتكشفت فاغرق عدو الله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فرمى به فوقع عدو الله مستلقيا حتى بدت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقادها سعد أجاب الله دعوته وفى رواية اللهم استجب دعاء سعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون أم أيمن كانت فى الجيش وبين كونها بالمدينة حين وصول بعض المنهزمين الى المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة * وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه فقد جاء انه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أى جعل نفسه ترسا فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل * وممن قاتل دونه صلى الله عليه وسلم عمارة بن زياد بن السكن رضى الله عنه حتى اثبتته الجراحة أى أصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم أدنوه منى فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم * وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضى الله عنه حتى قتله ابن قمئة لعنه الله

ان تركب مع ابراهيم على البراق ثم استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الديل وهو عبد الله بن اريقط ويقال ابن أرقط أو أرقد اسم أمه فاريقط مصغرها اليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش أى ثم أسلم بعد ذلك وقيل لم يعرف له اسلام وفى الروض ما وجدنا من طريق صحيح انه أسلم بعد ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه على جبل ثور بعد ثلاث ليال وقيل للجبل ذلك لانه على صورة الثور الذى يحرث عليه وسياق النسائى يدل على أن استئجار عبد الله المذكور كان قبل التجهيز قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثور أى ليلا كما تقدم وعن ابن سعد لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته الى بيت أبى بكر رضى الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا الى غار ثور فدخلاه أى وكان خروجهما من خوخة فى ظهر بيت أبى بكر فعن عائشة بنت قدامة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقد خرجت من الخوخة متنكرا فكان أول من لقينى أبو جهل لعنه الله فاعمى الله بصره عنى وعن أبى بكر حتى مضينا وفى كلام سبط ابن الجوزى وعن وهب بن منبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج الى الغار من بيت أبى بكر فخرج من خوخة فى ظهر الدار والاصح انما كان خروجه من بيت نفسه وجعل أبو بكر رضى الله تعالى عنه يمشى مرة أمام النبى صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون أمامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك (أقول) فى الدر المنثور فمشى صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما رآهما أبو بكر قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى على فم الغار فانزله وفى لفظ لم يصب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى قطرت قدماه دما وفى كلام السهيلى عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه أنه قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تقطرتا دما قال بعضهم ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك أو لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى ليلته رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ فانتهينا الى الغار مع الصبح ولا يحتمل ذلك مشى ليلته الا بتقدير ذلك أو أنه صلى الله عليه وسلم كما قيل ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل على ظهرى فاعذب فناداه جبل ثور الى يا رسول الله وساق فى الاصل رواية تقتضى أنه ذهب الى غار ثور راكبا ناقته الجدعاء ثم رأيته فى النور أشار الى أن ركوبه صلى الله عليه وسلم الجدعاء انما كان بعد خروجه من الغار لا أنه ركبها من منزل أبى بكر الى الغار كما هو ظاهر الرواية وفى الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما تشاور المشركون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلع الله نبيه على ذلك خرج تلك الليلة حتى أتى الغار فلما أصبحوا اقتفوا أثره صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل

الحديث

وهو يطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر فرجع الى المشركين فقال قتلت محمدا كما تقدم وقيل ان القاتل لمصعب بن عمير أبى بن خلف الجمحى أخو أمية بن خلف المقتول ببدر الذى كان يعذب بلالا رضى الله عنه يروى انه أقبل أبى بن خلف يوم أحد نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبله مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا فاستقبله رجال من المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه فاقبل وهو يقول يا كذاب أين تفر فتناول ٣٩ النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة أو الزبير بن العوام رضى الله عنه فرماه النبى صلى الله عليه وسلم بها فاصابت عنقه وخدشته خدشا غير كبير واحتقن الدم أى لم يخرج بذلك الخدش فرجع وهو يقول قتلنى والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك وفى رواية عقلك انا لنأخذ السهام من أضلاعنا فنرمى بها فما بك والله من بأس ما أجزعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ما ضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى باهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة وفى رواية لو كان بربيعة ومضر وفى رواية لو كان باهل الارض لماتوا أجمعون انه قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى أى فضلا عن هذه الضربة وكان أبى يقول بمكة للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد ان عندى العود يعنى فرسا له أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها والفرق بفتح الراء مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن سعيد بن المسيب ان أبى بن خلف قال حين افتدى ببدر من الاسر والله ان عندى لفرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله تعالى ويمكن الجمع بانه تكرر ذلك من أبى لعنه الله ومن النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية أبصر صلى الله عليه وسلم ترقوته من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى العنق من الدرع فطعنه طعنة كسر فيها ضلعا من أضلاعه وفى رواية طعنه طعنة وقع فيها من الفرس مرارا وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وانه صلى الله عليه وسلم حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه

الحديث أى وهو مخالف لما تقدم من أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان فى الليلة الثانية لا فى ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة لان قوله حتى لحق بالغار غاية لمطلق الخروج من بيته لا فى خصوص تلك الليلة أى خرج من بيته واستمر على خروجه حتى لحق بالغار وذلك فى الليلة الثانية لكن تقدم أنه صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت أبى بكر متقنعا فى وقت الظهيرة فليتأمل وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه الى الهجرة وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس لانه لم يكن بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من أمانته أى ولعل اعلام على بذلك كان عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت أبى بكر لانه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بعلى رضى الله تعالى عنه بعد ذلك الا فى المدينة لكن سيأتى عن الدر ما يقتضى أنه اجتمع به عند خروجه من الغار وفى الفصول المهمة أنه صلى الله عليه وسلم وصى عليا رضى الله تعالى عنه بحفظ ذمته وأداء أمانته ظاهرا على أعين الناس وأمره أن يبتاع رواحل للفواطم فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ولمن هاجر معه من بنى هاشم ومن ضعفاء المؤمنين وشراء على رضى الله تعالى عنه الرواحل مخالف لما يأتى فى الاصل أنه صلى الله عليه وسلم ارسل الى على حلة وأرسل يقول تشقها خمرا بين الفواطم وهى فاطمة ابنة حمزة وفاطمة بنت عتبة وفاطمة أم على وفاطمة بنته صلى الله عليه وسلم وارساله لتلك الحلة كان بعد وصوله الى المدينة فليتأمل قال فى الفصول المهمة وقال له أى لعلى اذا أبرمت ما أمرتك به كن على أهبة الهجرة الى الله ورسوله وبقدوم كتابى عليك واذا جاء أبو بكر توجهه خلفى نحو بئر أم ميمون وكان ذلك فى فحمة العشاء والرصد من قريش قد أحاطوا بالدار ينتظرون أن تنتصف الليلة وتنام الناس ودخل أبو بكر على على وهو يظنه أى وأبو بكر يظن عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج نحو بئر أم ميمون وهو يقول لك أدركنى فلحقه أبو بكر ومضيا جميعا يتسايران حتى أتيا جبل ثور فدخل الغار فليتأمل الجمع بينه وبين ما تقدم ولما انتهيا الى فم الغار قال أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك فان كان فيه شىء نزل بى قبلك فدخل رضى الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده كلما رأى جحرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقى جحر وكان فيه حية فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الحية التى فى الجحر لما أحست بعقب سيدنا أبى بكر جعلت تلسعه وصارت دموعه تنحدر قال ابن كثير وفى هذا السياق غرابة ونكارة أى وقد كان صلى الله عليه وسلم وضع رأسه فى حجر أبى بكر رضى الله تعالى عنه ونام فسقطت دموع أبى بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك يا أبا بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك أبى وأمى فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده قال بعضهم وقاه

من كان حوله ثم استقبله فطعنه فى عنقه ولا منافاة لان الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشة وبين كونه انتفض بالحربة انتفاضة شديدة وناهيك بعزمه صلى الله عليه وسلم لان كون الطعنة خدشة انما هو بحسب مايظهر للرائى والا فالطعنة شديدة فى الباطن وذلك أقوى فى النكاية ليكون من المعجزات أيضا ودليل وجود الشدة فى الباطن وقوعه مع خواره خوار الثور الذى يذبح وكون الطعن فى العنق يفضى الى كسر الضلع من خوارق العادة وجاء فى رواية انه ضربه تحت ابطه حتى انكسر ضلع من أضلاعه وقد يقال يجوز ان تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة أحدا الا أبى بن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم راجعون الى مكة بسرف وهو مناسب لوصفه لانه مسرف وقيل مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال انى لأسير ببطن رابغ بعد هدء من الليل واذا نار تأجج لى فهبتها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فنادانى ياعبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل ان يجهل اسمه ياعبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت ان أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف لعنه الله رواه البيهقى ويدل لهذا ماجاء فى الحديث كل من قتله نبى أو قتل بأمر نبى فى زمنه يعذب من حين قتل الى أن ينفخ فى الصور وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبى وفى رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير أى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وشفقة على عباد الله وتقدم ان ابن عمر رضى الله عنهما مر ببدر واذا رجل يعذب ويئن فناداه ياعبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقنى فأردت ان أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل ياعبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قتلهم أصحابه رواه الطبرانى فى الاوسط ولا بعد فى تعدد الواقعة بل فى الخصائص الكبرى للجلال السيوطى مايدل على

بعقبه فبورك فى عقبه قال بعضهم والسر فى اتخاذ الرافضة العجم اللباد المقصص على رؤسهم تعظيما للحية التى لدغت أبا بكر فى الغار أى لانهم يزعمون أن ذلك على صورة تلك الحية ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أين ثوبك فاخبره الخبر زاد فى رواية وأنه رأى على أبى بكر أثر الورم فسأل عنه فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتنى قال كرهت أن أوقظك فمسحه النبى صلى الله عليه وسلم فذهب مابه من الورم والالم أى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وحين أخبره أبو بكر بذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة فأوحى الله تعالى اليه قد استجاب الله لك وروى أنه لما صار يسد كل جحر وجده أصاب يده ما أدماها فصار يمسح الدم عن أصبعه وهو يقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

وسيأتى ان هذا البيت من كلام ابن رواحة وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم وأنه يجوز أن يكون ابن رواحة ضم ذلك البيت لابياته ومما قد يؤيد ان ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ماذكره سبط ابن الجوزى ان أبا بكر لما لحقه صلى الله عليه وسلم فى أثناء الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار فاسرع فى المشى فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم فرفع أبو بكر صوته ليعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه ومما يصرح بذلك مارأيت عن جندب البجلى قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار كذا فدميت أصبعه فذكر البيت المذكور وأراد بالغار غارا من الغيران لا هذا الغار كما توهم وجاء فى الصحيحين عن جندب بن عبد الله بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا اصبع دميت البيت أى ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أمر الله تعالى شجرة أى وهى التى يقال لها العشار وقيل أم غيلان فنبتت فى وجه الغار فسترته بفروعها أى ويقال انه صلى الله عليه وسلم دعا تلك الشجرة وكانت أمام الغار فاقبلت حتى وقفت على باب الغار وأنها كانت مثل قامة الانسان وبعث الله العنكبوت فنسجت مابين فروعها أى نسجا متراكما بعضه على بعض أى كنسج أربع سنين كما قال بعضهم وقد نسج العنكبوت أيضا على عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنه لما قتل سفيان بن خالد وقطع رأسه وأخذها ودخل فى غار فى الجبل وكن فيه حتى انقطع عنه الطلب كما سيأتى ونسج على نبى الله داود لما طلبه طالوت ونسج أيضا على عورة سيدنا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو أخو الامام محمد الباقر وعم الامام جعفر الصادق وهو الذى ينسب اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن أخذ عن واصل بن عطاء الآخذ عن الحسن البصرى ولما أثبت ابن عطاء المنزلة بين المنزلتين أمره الحسن البصرى باعتزال مجلسه فقيل له معتزلى وصار يقال لاصحابه معتزلة ولا يلزم من كون شيخ سيدنا زيد معتزليا ان يسلك زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد عريانا وأقام مصلوبا أربع سنين وقيل خمس سنين فلم تر عورته وقيل ان بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع

التعدد وذكر فيها ان ابن عمر ذكر ذلك الذى رآه ببدر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد حفر أبو عامر الفاسق الذى كان مع المشركين كما تقدم حفرا فى موضع المعركة وزعم ان ذلك من مكايد الحرب فوقع النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرة منها فأغمى عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت أى خدشت ركبتاه فأخذ على رضى الله عنه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة لعنه الله علاه بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا أن ثقل السيف أثر فى عاتقه فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو أكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه كما رواه الحاكم فى المستدرك قال قال حاطب رضى الله عنه لما رأيت مافعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فأخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى رضى الله عنك وأما ماذكره ابن منده من انه أسلم واستند لقول أخيه سعد فى ابن أمة زمعة عهد الى أخى عتبة انه ولده فليس فيه مايدل على اسلامه لاحتمال ان يكون عهد اليه وهو فى كفره بان أمة زمعة حملت منه وقد شدد أبو نعيم فى الانكار على ابن منده فى ذكره فى الصحابة واحتج بما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمى وجهه فقال اللهم لا تحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال الحول حتى مات كافرا الى النار قال الحافظ ابن حجر ان ذكره فى الصحابة غلط وليس فى الآثار مايدل على اسلامه بل فيها مايصرح بموته على الكفر فلا معنى لايراده فى الصحابة اه وروى ابن اسحق عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال ماحرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخى عتبة حين صنع برسول الله ماصنع ولقد كفانى فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسوله وصح انه لم يولد من نسل عتبة ولد

من وجود الامرين وكان عند صلبه وجهوه الى غير القبلة فدارت خشبته التى صلب عليها الى أن صار وجهه الى القبلة أى وقد وقع لخبيب نحو ذلك كما سيأتى ثم أحرقوا خشبة زيد وجسده وذرى رماده فى الرياح على شاطئ الفرات فانه خرج على هشام بن عبد الملك وقد سمت نفسه للخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفى أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله وانصرف عنه أكثرهم فقد بايعه ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل أتولاهما فقالوا اذن نرفضك فقال اذهبوا فانتم الرافضة فسموا بذلك من حينئذ رافضة وجاءت اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونبرأ ممن يبرأ منهما وقاتلوا معه فسموا الزيدية (أقول) والعجب ممن يتمذهب بمذهب سيدنا زيد ويتبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما وعند مقاتلته أصابته جراحات وأصابه سهم فى جبهته وحال الليل بين الفريقين فطلبوا حجاما من بعض القرى لينزع له النصل فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته وأخفوا قبره وأجروا عليه الماء واستكتموا الحجام ذلك فلما أصبح الحجام مشى الى يوسف بن عمر منتصحا وأخبره ودله على موضع قبره فاستخرجه وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن اصلبه عريانا فصلبه كذلك ويقال ان هشام بن عبد الملك قال يوما لزيد بلغنى أنك تريد الخلافة ولا تصلح لك لانك ابن أمة فقال قد كان اسمعيل ابن أمة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسمعيل خير ولد آدم فقال له هشام قم قال اذن لا ترانى الا حيث تكره ومن شعره

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا

قيل ورأس زيد دفنت بمصر القديمة بمسجد يقال له مشهد زين العابدين بن الحسين وكذلك وقع فى طبقات الشيخ الشعرانى نفعنا الله به وببركاته وليس كذلك بل هو محل زيد بن زين العابدين كما ذكره المقريزى فى الخطط ويقال له زيد الازياد وذكر فى حياة الحيوان ان ماينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها الا من جوفها وعن على رضى الله تعالى عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار أى وروى أنهما باضتا أى وفرختا قال لابى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم وتقدم مافى ذلك أى لان المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليهم ذلك وخافوا وطلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أى الذين يقصون الاثر فى كل وجه يقفون أثره فوجدوا الذى ذهب الى جبل ثور أثره وقال ماتقدم وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم أى ولما أقبلوا أشفق صلى الله عليه وسلم على صهيب وخاف عليه وقال واصهيباه ولا صهيب لى أى لانه تواعد معهما أن يكون ثالثهما فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل له أبو بكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلى فقال يارسول الله وجدت صهيبا يصلى فكرهت أن أقطع عليه صلاته فقال أصبت وتقدمت الحوالة على هذا فلما كان فتيان

فيبلغ الحلم الا وهو أبخر أى منتن الفم أهتم أى مكسور الثنايا يعرف ذلك فى عقبه وجاء ان الذى جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم عبد الله بن قمئة وفى رواية عبد الله بن شهاب الزهرى جد الامام الزهرى من قبل أبيه شهد أحدا مع الكفار ثم أسلم رضى الله عنه وهو الذى شجه فى جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته وهى ما ارتفع من لحم خده فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته صلى الله عليه وسلم وهشمت البيضة على رأسه أى كسرت وسال الدم على وجهه ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وفى الصحيح عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء لانه وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وجاء أن طلحة رضى الله عنه جرح يوم أحد تسعا وثلاثين أو خمسا وثلاثين وشل أصبعاه أى السبابة والتى تليها وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذكر يوم أحد قال كان ذلك اليوم كله لطلحة وروى النسائى والبيهقى عن جابر رضى الله عنه قال أدرك المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معه من الانصار قال ثم قاتل طلحة قتالا شديدا حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك فى جو السماء وانتزع أبو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا فى وجنته صلى الله عليه وسلم وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه فكان ساقط الثنيتين قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان أبى عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبى عبيدة لان ذلك الهتم حسن فمه وقيل ان عقبة بن وهب بن كلدة هو الذى نزع الحلقتين من وجنته صلى الله عليه وسلم وقيل انه أبو بكر رضى الله عنه فيجوز ان الثلاثة عالجوهما وامتص مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمه دمى لم تصبه النار وفى رواية من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزوة رضى الله عنه وفى رواية من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان ولما رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذها وأنا ابن

قريش على أربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين أى مع العنكبوت فقال ليس فيه أحد فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنه أى دفع عنه وفى رواية فلما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال أمية ابن خلف وما أربكم أى حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم أى ولو دخل الغار لانفتح ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا يدل على ان البيض لم يكن فرخ أى ويحتمل ان بعض البيض فرخ وبعضه لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فبال فقال أبو بكر يا رسول الله أنه يرانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر لو كان يرانا ما فعل هذا وفى بعض الروايات لو رآنا ما تكشف عن فرجه اى ما استقبلنا بفرجه وبوله وقال أبو جهل أما والله انى لاحسب قريبا يرانا ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا فانصرفوا وذكر ابن كثير أن بعض أهل السير ذكر أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه قال له النبى صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ولسنا نثبت شيأ من تلقاء أنفسنا ونهى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جند الله انتهى وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك يا أبا بكر الا أن البيوت تطهر من نسجها أى ينبغى ذلك لما تقدم ان وجود نسجها فى البيوت يورث الفقر وفى الجامع الصغير جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على الغار ﴿أقول﴾ فيه ان فى الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفى لفظ العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره فهو ناسخ له وان كان متقدما على ما هنا وصح ما هنا فهو منسوخ به والله أعلم وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمامتين وفرض جزاء الحمام وانحدرتا فى الحرم فافرختا كل شئ فى الحرم من الحمام أى ولاجل ذلك ذهب الغزالى من أئمتنا الى صحة الوقف على حمام مكة دون غيره من الطيور وهو الراجح ونظر فى الامتاع فى كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج فانه روى فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام أنه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقعت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها الحمرة فى رجليها وأسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وفى شعر الحرث بن مضاض الذى أوله

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ويبك لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر

ففى هذا أن الحمام قد كان فى الحرم من عهد جرهم أى ونوح وذكر بعضهم أن حمام مكة أظله

قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقمأك الله وهو يمسح الدم عن وجهه فسلط الله على ابن قمئة تيسا جبليا فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة فى نكاله وخزيه ووباله وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال الاوزاعى بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيأ فجعل ينشف فيه دمه ليمنعه من النزول على الارض ويقول لو وقع منه شئ على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فاعتذر عنهم وتضرع الى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد حقق الله رجاءه وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ولا قوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وعن معمر بن راشد عن الزهرى قال ضرب وجه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة فان قيل كيف شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس أجيب بان هذه الآية نزلت بعد وعلى تسليم انها نزلت قبل فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله تعالى لا يخفى ان أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى كثرة طائعى أمة اجابته ولا فى كثرة عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الشيطان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب ابن مالك الانصارى رضى الله عنه وهو أحد الثلاثة المذكورين فى قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الخ قال عرفت عينيه صلى الله عليه وسلم تزهران أى تضيئان وتتوقدان من تحت المغفر فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا له بالبركة ويروى ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما رأى قريشا أقبلت نحو الغار خصوصا ومعهم القافة بكى أى ويقال لما سمع القائف يقول لقريش والله ما جاز مطلوبكم من هذا الغار حزن وبكى وقال والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وأنزل الله تعالى سكينته على أبى بكر رضى الله تعالى عنه أى وأنزل عليه أمنته التى تسكن عندها القلوب قيل قال له لا تحزن ولم يقل له لا تخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النهى تأنيس وتبشير له كما فى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قولهم وبه يرد ما زعمته الرافضة أن ذلك غض من أبى بكر وذم له لان حزنه رضى الله تعالى عنه ان كان طاعة فالنبى صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا أنه معصية وفى رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه أى لانهما علوا على رؤسهما فعن أبى قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال بعضهم كان معهما وثالثهما باللفظ والمعنى أما باللفظ فكان يقال يا رسول الله ويقال لابى بكر يا خليفة رسول الله وأما بالمعنى فكان مصاحبا لهما بالنصر والهداية والارشاد والضمير فى أيده بجنود لم تروها راجع للنبى صلى الله عليه وسلم وتلك الجنود ملائكة أنزلهم الله تعالى عليه فى الغار يبشرونه صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائه وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه عطش فى الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب فانطلق أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى صدر الغار فوجد ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأزكى رائحة من المسك فشرب منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمر الملك الموكل بانهار الجنة أن يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار لتشرب قال أبو بكر يا رسول الله ولى عند الله هذه المنزلة فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم وأفضل والذى بعثنى بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا أى وذكر بعضهم قال كنت جالسا عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليقم فقام رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى بثلاث حثيات من تمر فقال أرسلوا الى على فجاء فقال يا أبا الحسن ان هذا يزعم كذا وكذا فاحث له حثى له فقال أبو بكر عدوها فعدوها فوجدوها كل حثية ستين تمرة لا تزيد ولا تنقص فقال أبو بكر صدق الله ورسوله قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة فى الغار كفى وكف على فى العدد سواء ذكر الذهبى أنه موضوع ولعل قول الصديق صدق الله ورسوله علة لاختياره عليا على نفسه فى أن يحثو لا ان ذلك علة لكون كل حثية جاءت ستين حبة ولما أيست قريش منهما ارسلوا لاهل السواحل أن من أسر أو قتل أحدهما كان له مائة ناقة أى ويقال ان أبا جهل أمر مناديا ينادى فى أعلى مكة وأسفلها من جاء بمحمد أو دل عليه

عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك فى أنه حق ومازلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين يعنى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما نعرفه بتكفئه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحرث بن الصمة وجماعة آخرون وفى خصائص ٤٤ العشرة أن الزبير رضى الله عنه ثبت يوم أحد مع النبى صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب فممنوع بل ثبت مع على رضى الله عنه غيره كما تقدم وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق فمشى اليه الحرث بن الصمة رضى الله عنه فاصطدما ساعة بسيفيهما ثم ضربه الحرث على رجليه فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أحانه أى أهلكه وأقبل عبيد بن أبى جابر العامرى يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه ووثب أبو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلو الصخرة التى فى الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أى فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع وسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع وقد قيل ان طلحة رضى الله عنه كان فى مشيه اختلاف أى لعرج كان به فلما حمل النبى صلى الله عليه وسلم تكلف استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبى صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا وقد جاء على رضى الله عنه بماء فى درقته ليغسل به جرح النبى صلى الله عليه وسلم فلم يشرب صلى الله عليه وسلم من ذلك لتغير

فله مائة بعير والى قصة الغار أشار صاحب الهمزية بقوله

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ * ه ومن شدة الظهور الخفاء

اى كانوا اسببا لاخراجه من تلك الارض التى هى مولده صلى الله عليه وسلم ومرباه ووطنه ووطن آبائه بسبب مبالغتهم فى ايذائه وايذاء أصحابه خصوصا ضعفاءهم وآواه غار وحمته منهم حمامة فى لونها بياض وسواد وكفته أعداءه عنكبوت بنسجها الذى كفته اياهم الحمامة الكثيرة الريش فتلك الحمامة كانت ورقاء حصداء واستتر منهم مع قرب محل رؤيته وحكمة خفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم الى ماتحت قدميه شدة ظهوره عليهم بالغلبة والمعونة الالهية ومكثا فى الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام يعرف ما يقال يأتيهما حين يختلط الظلام ويدلج من عندهما بفجر فيصبح مع قريش كبائت فى بيته فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه ويخبرهما به وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنهما كان مملوكا للطفيل فأسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب فى الله عز وجل فاشتراه أبو بكر من الطفيل وأعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة غنم أى قطعة من غنم أبى بكر فكان يرعاها حيث تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما ثم يغلس أى اذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يقفو أثر قدميه يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث أى وذلك بارشاد من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ففى السيرة الهشامية وأمر أبو بكر ابنه عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا أمسى فى الغار وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها تأتيهما اذا أمست بما يصلحهما من الطعام (أقول) وفى الدر عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان أحد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله بن أبى بكر وأسماء بنت أبى بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة فانه كان اذا سرح غنمه مر بهما فحلب لهما (وفى الفصول المهمة) وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام بلياليها فى الغار وقريش لا يدرون أين هو وأسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها تأتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث أمرها صلى الله عليه وسلم أن تأتى عليا وتخبره بموضعهما وتقول له يستأجر لهما دليلا ويأتى معه بثلاث من الابل بعد مضى ساعة من الليلة الآتية أى وهى الليلة الرابعة فجاءت أسماء الى على كرم الله وجهه فأخبرته بذلك فاستأجر لهما رجلا يقال له الاريقط بن عبد الله الليثى وأرسل معه بثلاث من الابل فجاء بهن الى أسفل الجبل ليلا فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم رغاء الابل نزل من الغار هو وأبو بكر فعرفاه أى والذى فى البخارى فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا وتقدم أن المستأجر لهما الدليل النبى صلى الله عليه

وجده به من طول المكث فخرج محمد بن مسلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد ثم ذهب الى موضع بعيد فأتى بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير وجاء ان نساء المدينة خرجن ومعهن فاطمة رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلى يسكب الماء فيتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيأ من حصير فاحرقته بالنار حتى صار رمادا وأخذت ذلك الرماد وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك ٤٥ الدم وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب مع بعض أصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغى لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين رضى الله عنهم حتى هبطوا من الجبل ونزل فى ذلك قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وفى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ارددهم قال سعد فأخذت سهما من كنانتى فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندى فى كنانتى لا يفارق كنانتى وكان بعد سعد عند بنيه وجاء فى رواية عن سعد رضى الله عنه قال لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه فظننت انه ملك وصلى صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراح التى أصابته صلى الله عليه وسلم وصلى المسلمون خلفه قعودا ثم نسخ وقيل ان الذين صلوا قعودا هم الذين أصابتهم الجراح وقد جاء انه وجد بطلحة رضى الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت أصبعه وفى رواية أنامله وفى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله التى وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شلاء ونزف الدم بطلحة رضى الله عنه حتى غشى عليه فجاءه أبو بكر رضى الله عنه ونضح الماء فى وجهه حتى

وسلم وأبو بكر وقد يجمع بان المراد باستئجار على رضى الله تعالى عنه اعطاؤه الاجرة وكونه استأجر لهما ثلاث رواحل وأتى بها معه فيه نظر ظاهر وركب النبى صلى الله عليه وسلم وركب أبو بكر وركب الدليل وفى الدر المنثور فمكث هو صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار ثلاثة أيام يختلف اليهما بالطعام عامر بن فهيرة وعلى يجهزهما فاشترى ثلاثة أباعر واستأجر لهم دليلا فلما كان فى بعض الليل من الليلة الثالثة أتاهم على بالابل والدليل فليتأمل ذلك مع ماقبله وفى حديث مرسل مكثت مع صاحبى فى الغار بضعة عشر يوما مالنا طعام الا ثمر البرير أى الاراك وتقدم فى باب رعيه الغنم ان ثمر الاراك النضيج يقال له الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة قال ابن عبد البر وهذا أى القول بانهما مكثا فى الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند أهل العلم بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد كما قال الحاكم أنهما مكثا مختفيين من المشركين فى الغار وفى الطريق بضعة عشر يوما وذكر فى الغار أى الاقتصار عليه من بعض الرواة والله أعلم قال وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما أن أبا بكر أرسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم أو أربعة آلاف وكان حين أسلم أربعين ألف درهم وفى لفظ أربعين ألف دينار أى ويؤيد ذلك ما جاء عن أنس رضى الله تعالى عنه أنفق أبو بكر على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار فحمل اليه ذلك فى الغار قالت أسماء فدخل علينا جدى أبو قحافة رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان قد ذهب بصره فقال والله انى لاراه يعنى أبا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا قالت فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة أى طاقة فى البيت كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس ان كان ترك لكم هذا فى هذا بلاغ لكم ولا والله ماترك لنا شيأ ولكن أردت ان أسكن قلب الشيخ اه أى ولما بلغ ضمرة بن جندب خروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا فقال لا عذر لى فى مقامى بمكة فأمر أهله فخرجوا به فلما وصل الى التنعيم مات به فأنزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت فى خالد بن حرام بن خويلد بن أسد أسلم قديما وهاجر الى الحبشة فى المرة الثانية فمات من نهش حية قبل ان يصل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضى الله تعالى عنه هل قلت فى أبى بكر شيأ قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه أى وفى لفظ فتبسم ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت انه أحب البرية اليه أى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل به غيره (أقول) فى ينبوع الحياة والذى أعرف فى هذين البيتين انهما من أبيات رثى بهما حسان أبا بكر رضى الله تعالى عنه ما هذا كلامه وقد يقال لا مانع أن يكون أدخلهما حسان فى مرثيته لابى

أفاق فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر رضى الله عنه هو بخير وهو أرسلنى فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وجرح عشرين جراحة فأكثر وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة وقتل الاصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل بأحد فبدا له الاسلام أى رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فعدا حتى دخل فى عرض الناس أى جانبهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله ورسوله ثم جئت وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث ان مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول حدثونى برجل دخل الجنة ولم يصل يعنى الاصيرم وقتل حنظلة رضى الله عنه وهو ابن أبى عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق ويقال لابى عامر بن صيفى وتقدم ان أبا عامر خرج من المدينة مباعدا للنبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه فنهاه صلى الله عليه وسلم وقد دعا صلى الله عليه وسلم على أبى عامر ان يموت طريدا وحيدا فاستجاب الله دعوته فخرج الى الشأم بعد فتح مكة فمات وحيدا طريدا قال السبكى فى تائيته

ومات ابن صيفى على الصفة التى ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وسبب قتل ابنه حنظلة رضى الله عنه انه ضرب فرس أبى سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس وهو غلط والصواب شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة وفى رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن فى صحائف الفضة فسئلت زوجته وهى جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين وكانت من المؤمنات الصادقات فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة

بكر بعد ذلك والله أعلم وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا أقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى وقال أنا والله صاحبه وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى أمام أبى بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو أفضل منك فى الدنيا والآخرة فوالذى نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتانى جبريل فقال ان الله تعالى يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر واجب على أمتى

باب الهجرة الى المدينة

لا يخفى انه لما كان صبيحة الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل الذى هو الرجل الدؤلى براحلتيهما فركبا وانطلق بهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة أى رديفا لابى بكر يخدمهما أى وفى البخارى ان أبا بكر كان رديفا له صلى الله عليه وسلم أى ولا مخالفة لما سيأتى ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب أخذ أبو بكر بغرزه أى بركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء ساكنة وزاى ركاب الابل خاصة فقال صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك قال بلى فداك أبى وأمى قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث لا أصل له قال السيوطى رأيت له متابعات ودعا صلى الله عليه وسلم بدعاء منه اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وأخذ بهم الدليل على طريق السواحل وصار أبو بكر اذا سأله سائل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الذى معك أى وفى رواية من هذا الذى بين يديك وفى رواية من هذا الغلام بين يديك أى بناء على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم يقول هذا الرجل يهدينى الطريق يعنى طريق الخير أى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر اله الناس أى اشغل الناس عنى أى تكفل عنى بالجواب لمن سأل عنى فانه لا ينبغى لنبى أن يكذب أى ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر يقول لمن سأله عن النبى صلى الله عليه وسلم ما ذكر وانما لم يسئل أبو بكر عن نفسه لان أبا بكر كان معروفا لهم لانه كان يكثر المرور عليهم فى التجارة للشأم أى معروفا لغالبهم فلا ينافى ما جاء فى بعض الروايات انه كان اذا سئل من أنت يقول باغى أى طالب حاجة فعلم ان الانبياء لا ينبغى لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك التورية لكن سيأتى فى غزوة بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم وفى رواية ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء أبى بكر ناقته وفى التمهيد لابن عبد البر انه لما أتى براحلة أبى بكر سأل أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركب ويردفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت اركب وأردفك أنا فان الرجل أحق بصدر دابته فكان اذا قيل له من هذا وراءك قال هذا يهدينى السبيل (أقول) لا مخالفة بين هذا وما تقدم لانه يجوز أن يكون ركب صلى الله عليه وسلم

تارة

وكان حنظلة رضى الله عنه دخل عليها عروسا تلك الليلة التى صبيحتها وقعة أحد وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعى وفى رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أى الصائحة بالخروج للعدو وفى رواية انه غسل أحد شقيه ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر فلذلك غسلته الملائكة وجاء انه التمس فى القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت وجاء انها أشهدت أربعة من قومها حين أراد الخروج بانه دخل بها خشية أن يحصل له موت فيكون فى ذلك نزاع قالت لانى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضى الله عنه فى تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم وبايعوه حين خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة الغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر الفاسق وقد جاء ان أبا قتادة الانصارى رضى الله عنه لما رأى ما فعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل أراد ان يمثل بقتلاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله على فيه وعساك ان طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال أبو قتادة والله يا رسول الله ما غضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم وجاء ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو عليهم أى يكرر الدعاء عليهم أو يستديم الدعاء عليهم فلا ينافى انه قد دعا عليهم فى بعض الاوقات فأنزل الله ليس لك من الامر شئ الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال لئن ظفرت بهم لامثلن بثلاثين منهم فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال اصبر واحتسب وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصارى الفارسى فضربه على عاتقه فقطع الدرع فقال خذها وأنا الغلام الفارسى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وأنا الغلام الانصارى وكان

تارة خلف أبى بكر على ناقة أبى بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقة نفسه امامه وأن ركوبه لها كان فى أثناء الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما أركب راحلته عامر بن فهيرة أو ترك ركوبه الاجل اراحتها والهداية كما تكون من المتقدم تكون من المتأخر وان كان الاول هو الغالب والله أعلم والى توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة أشار صاحب الهمزية بقوله

ونحا المصطفى المدينة واشتا * قت اليه من مكة الانحاء

أى وقصد صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات والنواحى من مكة وقد جاء انه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فأنزل الله تعالى عليه ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى الى مكة وأهل الرجعة يقولون الى الدنيا أى من يقول بان النبى صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وقد أظهرها عبد الله بن سبا كان يهوديا وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء أظهر الاسلام فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام فكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فحمد أحق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة والسلام وتقدم ذلك فى أثناء الكلام على بدء الوحى وسيأتى ذلك عند بناء المسجد وكانت قريش كما تقدم أرسلت لاهل السواحل ان من قتل أو أسر أبا بكر أو محمدا كان له مائة ناقة أى فى قتلهما أو أسرهما كان له مائتان فعن سراقة جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو أسرا دية فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أى بقديد وهو محل قريب من رابغ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى رأيت اسودة أى أشخاصا بالسواحل أراه محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا أى بمعرفتنا يطلبون ضالة لهم أى وفى لفظ قال رأيت ركبة بالتحريك جمع راكب ثلاثا مروا على آنفا أى قريبا انى لاراهم محمدا وأصحابه قال سراقة فأومأت اليه ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت الى منزلى فأمرت جاريتى ان تخرج فرسى خفية الى بطن الوادى وتحبسها على وأخذت رمحى وخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه فى الارض والزج الحديدة التى تكون فى أسفل الرمح وخفضت عاليه أى أمسكت باعلاه وجعلت أسفله فى الارض لئلا يراه أحد وانما فعل ذلك كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه أحد من قومه بخروجه معه لقتلهما أو أسرهما زاد فى رواية ثم انطلقت فلبست لامتى وجعلت أجر الرمح مخافة أن يشركنى أهل الماء يعنى قومه قال حتى أتيت فرسى أى وكان يقال لها العود والفرس لغة تقع على الذكر والانثى قال فى النور والمراد هنا الانثى لقوله فركبتها ولقوله فرفعتها أى بالغت فى اجرائها حتى دنوت منهم وفى لفظ فرفعتها تقرب بى

قد قتله بتلك الضربة فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدو كأنه كلب وهو يقول أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه فقال خذها وأنا الغلام الانصارى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسود يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله ٤٨ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى يريدون أن يحبسونى عن الخروج

معك فوالله انى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ماعليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وتوجه الى القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته وفى رواية انه قال يارسول الله أرأيت ان قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أأمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة ويمكن الجمع بانه فى أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة (وأصيبت) يوم أحد على الصحيح عين قتادة بن النعمان الاوسى رضى الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل صارت فى يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله لى الجنة فقال أفعل يا قتادة وفى رواية وان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى ان تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وعند الطبرانى عن قتادة رضى الله عنه قال كنت أتقى السهام بوجهى دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال

وحينئذ يكون المراد أسرعت بالسير بها الان التقريب دون العدو وفوق العادة فعثرت بى فرسى أى فوقعت لمنخريها كما فى حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما زاد فى رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها فقمت فأهويت بيدى على كنانتى فاستخرجت الازلام أى وهى عيدان السهام التى لا ريش لها ولم تركب فيها النصال واستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذى أكره وهو عدم اضرارهم أى لانه مكتوب عليها افعل لا تفعل ويقال للاول الآمر ويقال للثانى الناهى فركبت فرسى وعصيت الازلام تقرب بى حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت أى غابت يدا فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين أى وكانت الارض جلدة فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان أى غبار ساطع فى السماء مثل الدخان أى مع كون الارض جلدة فاستقسمت بالازلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالامان أى وقلت انظرونى لا أوذيكم ولا يأتيكم منى شئ تكرهونه أى وفى رواية ناديت القوم وقلت أنا سراقة بن مالك انظرونى أكلمكم أنا لكم نافع غير ضار وانى لا أدرى لعل الحى فزعوا لركوبى أى ان بلغهم ذلك وأنا راجع رادهم عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر قل له ماذا تبتغى فوقفوا فأخبرتهم بما تريد الناس منهم وفى رواية قال يا محمد ادع الله أن يطلق فرسى وأرجع عنك وأرد من ورائى وفى رواية قال يا هذان ادعوا الى الله ربكما ولكما ان لا أعود ففعل أى دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الفرس وحينئذ يكون زجره لها ونهوضها بعد الدعاء فلا مخالفة قال فركبت فرسى أى بعد نهوضها حتى جئتهم فقلت ان قومك جعلوا فيك الدية أى مائة من الابل ان قتلك أو أسرك وهذا هو المراد بقوله فى الرواية السابقة فأخبرتهم بما يريد الناس منهم وكأنه رأى ان ذلك كاف فى لحوقه بهم عن ذكر أبى بكر قال سراقة وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا اخف عنا أى وفى رواية عرضت عليهما الزاد والحملان أى ولعل الحملان هو المراد بالمتاع أى لانه جاء انه قال لهما خذا هذا السهم من كنانتى وغنمى وابلى بمحل كذا وكذا فخذا منهما ما شئتما فقالا اكفنا نفسك فقال كفيتماها ﴿أوله﴾ وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب فى دين الاسلام فانى لا أرغب فى ابلك ومواشيك وفى رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال لما أدركنا سراقة قلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا أى وقد تقدم أنه قال ذلك له فى الغار فلما كان بيننا وبينه قيد أى مقدار رمح أو ثلاثة قلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكى قلت أما والله ما على نفسى أبكى ولكن أبكى عليك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه فى الارض الى بطنها وكانت الارض صلبة أى ولا يخالف ما سبق انها بلغت الركبتين لجواز أن يكون ذلك فى أول أمرها ثم صارت الى بطنها وذلك كله فى المرة الاولى فلا يخالف ما فى الامتاع لما قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخت يدا فرسه فى الارض الى بطنها فقال ادع لى يا محمد أن

يخلصنى

اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك وردها الى موضعها وقال اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما أى أقواهما انظرا فكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وفى رواية أصيبت عيناى وهو من تصرف الرواة بل قال الدارقطنى ان هذه الرواية تفرد بها عمار بن نصر قال النووى وقد غلطوه فالصواب انها عين واحدة وروى الاصمعى عن أبى معشر قال قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فقال عمر من الرجل فقال أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد ٤٩ فعادت كما كانت لاول أمرها *

فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وفى رواية فقال عمر بمثل هذا فليتوسل المتوسلون ووصله وأحسن جائزته ورمى أبو رهم الغفارى واسمه كلثوم بن الحصين ابن خالد بسهم فوقع فى نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرئ وانقطع سيف عبد الله بن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد فى يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضى الله عنه قتله أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفى فقتل على رضى الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ودفن عبد الله بن جحش هو وخاله حمزة رضى الله عنهما فى قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركى من أمراء المعتصم بن الرشيد فى بغداد بمائتى دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق فى غزوة بدر الا ان سيف عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون واشتغل المشركون ذكورا وأناثا بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه وجاء وحشى بعد ان مات حمزة رضى

٧ سيره ثانى الله عنه وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به الى هند بنت عتبة وقال لها هذا كبد حمزة قاتل أبيك فأخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها وأعطته ثوبها وحليها ووعدته عشرة دنانير بمكة وجاء فى رواية ان النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أى يقطعن آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وكانت هند نذرت ان تأكل من قلب حمزة رضى الله عنه لكونه قتل أباها فاستخرج لها وحشى فلذة من قلبه فلاكتها فلم تستطع بلعها فلفظتها ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم

يخلصنى الله تعالى ولك على ان أرد عنك الطلب فدعا فخلص فعاد فتبعهم فساخت قوائم فرسه فى الارض أشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت ان هذا من دعائك على الحديث اذ هو يدل على انها فى المرة الاولى وصلت الى بطنها وفى الثانية وصلت الى ما هو زائد على ذلك وقد يدل له ما يأتى عن الهمزية ولعل المراد أنه دخل جزء من بطنها فى الارض فى المرة الثانية وفى لفظ فقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ينجينى مما أنا فيه فوالله لاعمين على من ورائى من الطلب فدعا له فانطلق راجعا وفى السبعيات للهمدانى ان سراقة لما دنا منه صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعنى الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فأخذت الارض أرجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان وعزة العزى لو أنجيتنى لاكونن لك لا عليك فقال يا أرض اطلقيه فاطلقت جواده * وروى فى بعض التفاسير أن سراقة عاهد سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه فى الارض وهذا أى الاقتصار على غوص قوائم فرسه فى الارض لا ينافى الزيادة فلا يخالف ما سبق وفى السابعة تاب توبة صدق وفى الفصول المهمة لما اتصل خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك فى اليوم الثانى من خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار جمع الناس أبو جهل وقال بلغنى ان محمدا قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان آخران فأيكم يأتينى بخبره فوثب سراقة فقال أنا لمحمد يا أبا الحكم ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه وأخذ معه عبدا له أسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسارا أى فى أثر النبى صلى الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقا به فقال أبو بكر يارسول الله قد دهينا هذا سراقة قد أقبل فى طلبنا ومعه غلامه الاسود المشهور فلما أبصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه وأقبل نحوهم فلما قرب منهم قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت وانى شئت فغابت قوائم فرسه فى الارض حتى لم يقدر الفرس أن يتحرك فلما نظر سراقة الى ذلك هاله ورمى نفسه عن الفرس الى الارض ورمى رمحه وقال يا محمد انت وأصحابك أى انت كما أنت أى آمن وأصحابك فادع ربك يطلق لى جوادى ولك عهد وميثاق أن أرجع عنك فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فاطلق له جواده قال فاطلق الله تعالى له قوائم فرسه حتى وثب على الارض سليما أى ولعل هذا فى المرة الثانية والمرة الاخيرة من السبع على ما تقدم وتقدم ان الاقتصار على القوائم لا ينافى الزيادة عليها فلا يخالف ما سبق فى هذه الرواية ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس عليه فانكر انه رأى محمدا فلا زال به أبو جهل حتى اعترف وأخبرهم بالقصة وفى ذلك يقول سراقة مخاطبا لابى جهل

أباحكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

وسياق هذه الرواية يدل على انه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ويدل لذلك ماذكر انه كان أحد القاصين لاثره صلى الله عليه وسلم في الجبل لكنه مخالف لما تقدم انه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجالس قومه وأخفى خروج فرسه وخروجه عن قومه وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون لما خرج من مكة سلك طريقا غير الطريق الذي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فجلس في مجالس قومه فلما أخبرهم فعل ما تقدم ثم وجد عبده الاسود في مروره وكان معه راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع أن يخرج من مكة بعد خروجهم من الغار ويسبقهم على قديد ولا ينافي ذلك قوله فأتانا رسل كفار قريش لانه يجوز أن يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافي ذلك كونه كان أحد القاصين لاثره صلى الله عليه وسلم لانه يجوز أن يكون عاد الى قديد قبل أن يجعل الجعل وفي كلام بعضهم انه أرسل بهذين البيتين الى أبي جهل ولا منافاة لجواز أن يكون أرسل بهما قبل أن يشافهه بهما وفي رواية لما لحق بهم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اصرعه فصرع عن فرسه فقال يانبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا * ثم لا يخفى ان صرعه عن فرسه يحتمل أن يكون لما ساخت ويحتمل انه صرع عنها قبل ذلك وهو ظاهر سياق الرواية الاولى وهي فعثرت بي فرسي فخررت عنها وحينئذ يكون عثورها بدعائه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * قال سراقة فسألته أن يكتب لي كتاب أمن لانه وقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي السبعيات قال سراقة يا محمد اني لاعلم أنه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني أني اذا أتيتك يوم ملكك فاكرمني فأمر عامر بن فهيرة أي وقيل أبابكر فكتب لي في رقعة من أدم أي وقيل في قطعة من عظم وقيل في خرقة (أقول) وحينئذ يمكن أن يكون كتب عامر بن فهيرة أولا فطلب سراقة أن يكون أبو بكر هو الذي يكتب فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فاحدهما كتب في الرقعة من الادم والآخر كتب في العظم أو الخرقة أو المراد بالخرقة الرقعة من الادم فلا مخالفة ولما أراد الانصراف قال له كيف بك ياسراقة اذا تسورت بسواري كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم وسيأتي ان سراقة أسلم بالجعرانة ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال له مرحبا بك وعن سراقة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت في كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يارسول الله هذا كتابي وأنا سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه

فصرخ باعلى صوته وقال أنعمت فعال ان الحرب سجال حنظلة بحنظلة يوم أحد بيوم بدر اعل هبل وسبب قوله ذلك انه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا وأجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فتوجه الى أحد فلذا قال اعل هبل أي زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه أجبه فقل الله أعلى وأجل وقوله أنعمت فعال بسكون التاء أي أجابت بنعم في فعلها البالغ ففعال معدول عن فاعلة صيغة مبالغة يعني بالغت هذه الفعلة أي الوقعة ثم قال له عمر رضي الله عنه لا سواء أي

لا نستوي نحن وأنتم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أي لا ناصر لكم قال ابن اسحق وعلت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر
ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري
شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي على عمري
حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد ابن المطلب المطلبية أخت مسطح ابن أثاثة فقالت

خزيت في بدر وبعد بدر
يابنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر
بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري
حمزة ليثي وعلي صقري
اذرام شيب وأبوك غدري
فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال العلامة الزرقاني قال الحافظ أبو الربيع في الاكتفاء هذا قول هند والكفر يحنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم ان الله هداها للاسلام وعبادة الله وترك الاصنام وأخذ بحجزتها عن سوء النار ودلها على دار الاسلام فصلحت حالها وتبدلت أقوالها حتى قالت له صلى الله عليه وسلم والله يارسول الله ما كان على الارض أهل خباء أحب الي أن يذلوا من أهل خبائك وما أصبح اليوم أهل خباء أحب الي أن يعزوا من أهل خبائك وكان اسلامها واسلام زوجها أبي سفيان عام الفتح وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبي صلى الله عليه

وأسلمت ولما جيء لعمر رضي الله تعالى عنه في زمن خلافته بسواري كسرى وتاجه ومنطقته أي وبساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور وجيء له بمال كثير من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثا وعليهن الحلي والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعا سراقة وقال ارفع يديك وألبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقة بن مالك أي ورفع عمر بها صوته وصب المال الذي جيء به من أموال كسرى في صحن المسجد وفرقه على المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين فأصاب عليا رضي الله تعالى عنه منه قطعة باعها بخمسين ألف دينار ثم جيء ببنات الملك الثلاث فوقفن بين يديه وأمر المنادي أن ينادي عليهن وان يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون في ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادي في صدره فغضب عمر رضي الله تعالى عنه وأراد أن يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له علي رضي الله تعالى عنه مهلا يا أمير المؤمنين فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فسكن غضبه فقال له علي ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر كيف الطريق الى العمل معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فقومن وأخذهن علي رضي الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر فجاء منها بولده سالم وأخرى لمحمد بن أبي بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده علي الملقب بزين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علما وورعا وكان أهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسري فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت أجالس سعيد بن المسيب وأعجب سعيد بي يوما فقال لي من أخوالك فقلت أمي فتاة فكأني نقصت من عينه فأنا عنده اذ دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلما خرج من عنده قلت له ياعم من هذا قال سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده ثم نهض فلما خرج قلت ياعم من هذا قال ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل عليه علي بن الحسين فجلس ثم نهض فلما خرج قلت له من هذا قال عجبت منك أتجهل مثل هذا هذا علي زين العابدين بن الحسين قلت فمن أمه قال فتاة قلت ياعمي رأيتني نقصت من عينك لما علمت ان أمي فتاة فمالي في هؤلاء اسوة فقال اجل وعظمت في عينه جدا ولما رجع سراقة صار يردعهم الطلب لا يلقى أحدا الا رده يقول سبرت أي اختبرت الطريق فلم أر أحدا وفي لفظ قال لقريش أي لجماعة منهم قصدوه صلى الله عليه وسلم كأنهم أخبروا بامكان مسيره ذلك قد عرفتم بصري بالطريق وقد سرت فلم أر شيئا فرجعوا أي فان كفار قريش لما سمعوا من الهاتف أي ومن غيره بانه صلى الله عليه وسلم نزل في خيمة أم

وسلم فقال له ان شئت يرجعها الله اليك أحسن مما كانت وان شئت عينا خيرا منها في الجنة فرمى بها وقال خيرا منها في الجنة وشهد غزوة اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وكان يحث الناس على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله ثم قلعت عينه الاخرى وتوفي بالمدينة سنة احدى أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه وكان أبو سفيان رضي الله عنه في أول دخوله في الاسلام مكرها فتألفه النبي صلى الله عليه

وسلم حتى شرح الله صدره للهدى وحسن اسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة وقال له العباس رضي الله عنه بعد اسلامه أين قولك أنعمت فعال وقولك اعل هبل فقال للعباس قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للاسلام فاياك ان تصغي الى طعن الطاعنين فيه أوفي أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي وأصهاري وهو من أصهاره وكذلك خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد وكانا من أشد الناس على المسلمين ثم أسلما وحسن اسلامهما حتى صار خالد بن الوليد سيفا من سيوف الله صبه الله على المشركين وصار عكرمة اذا فتح المصحف يصيح ويقول هذا كلام رب العالمين ويغشى عليه فالحمد لله الذي هدانا برسوله أجمعين وقال أبو سفيان يوم أحد الحرب سجال وفي رواية يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني وفي رواية والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرني ويروى ان الحليس سيد الاحابيش مر بأبي سفيان وهو يضرب بزج الرمح في شدق حمزة ويقول ذق عقق أي ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الدين الذي كنت عليه ياعاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يابني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان اكتمها عني فانها زلة ثم بعد اجابة عمر لابي سفيان قال له أبو سفيان هلم ياعمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن قال انت عندي أصدق من ابن قمئة

وأراى لأن ابن قميئة لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قتلت محمدا كما تقدم وفي رواية ان أبا سفيان قبل ندائه عمر نادى أفي القوم محمد ثلاثا فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثا ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لأجابوا فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذي عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد يعني العام القابل ثم ارتحل القوم وساروا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أو سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال له اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أي جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أي ركبوا مطاها أي ظهورها فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده ان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزهم قال علي أو سعد بن أبي وقاص فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة بعدما تشاوروا في نهب المدينة فأشار عليهم صفوان أن لا تفعلوا فانكم لا تدرون ما يغشاهم ثم بعد ذهاب القوم فزع المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر ما فعل سعد ابن الربيع أفي الاحياء هو أم في الاموات أي لان النبي صلى الله عليه وسلم رأى الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار وهو أبي بن كعب رضي الله عنه أنا أنظره لك يا رسول الله فقال له ان رأيت سعد بن الربيع فاقرأه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر أبي فوجده جريحا وبه رمق أي بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ان أنظر أفي الاحياء أنت أم في الاموات فقال قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وقد أنفذت الى مقاتلي فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له ان سعد ابن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى الله نبيا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر

معبد كما سيأتي أرسلوا سرية في طلبه يقول فأتاهم الطلب قبل ان يستعين عليكم بكلاب العرب فيحتمل ان هؤلاء هم الذين ردهم سراقة فكان سراقة أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر النهار مسلحة أي سلاحا له وفي رواية قال سراقة خرجت وأنا أحب الناس في تحصيلهما ورجعت وأنا أحب الناس في ان لا يعلم بهما أحد ويحتمل انه بعد ان ردهم سراقة ذهبوا الى أم معبد في تحفة الخبر أن تلك السرية جاءت الى أم معبد فسألوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشفقت أي خافت عليه منهم فتعاجمت عليهم أي أظهرت عدم علمها بذلك فقالت انكم تسألوني عن أمر ما سمعت به قبل عامي هذا ثم قالت انكم لئن لم تنصرفوا عني لأصرخن في قومي عليكم وكانت في عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا أين توجه أي من أي طريق توجه أي ولعلها قالت ذلك لما رأت منهم التشقيل عليها وهذا السياق يدل على ان قصة سراقة قبل قصة أم معبد والى قصة سراقة أشار صاحب الاصل بقوله

غرت سراقة أطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا

والبها أشار أيضا صاحب الهمزية بقوله

واقتفى أثره سراقة فاستهـ * ـوته في الارض صافن جرداء

ثم ناداه بعدما سيمت الخسـ * ـف وقد ينجد الغريق النداء

أي وتبع أثره سراقة فهوت أي سقطت به صافن وهي الفرس التي تقوم على ثلاث قوائم وتقيم الرابعة على طرف الحافر وهو وصف محمود في الخيل جرداء قصيرة الشعر وذلك وصف محمود في الخيل أيضا بعد ان قارب ان يخسف بها كلها وقد يخلص الدعاء الغريق كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال سرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه أحد فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ثم بسطت له فروة معي ثم قلت يا رسول الله نم وأنا أتحسس وأتعرف من تخافه فنام صلى الله عليه وسلم واذا براع يقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذي أردناه أي وهو الظل فلقيته فقلت له لمن أنت يا غلام فقال لرجل من أهل مكة فسماه فعرفته أي وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم هذا الراعي ولا على اسم صاحب الغنم قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقلت هل في غنمك من لبن قال نعم قلت أفتحلب لي قال نعم فأخذ شاة فحلب لي في قعب معه وفي رواية كان معي اداوة فيها خرقة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت أن أوقظه من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله فقلت يا رسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لانه جرت العادة بإباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذونا له في ذلك أي كما تقدم فلا ينافي ما جاء لا يحلبن أحد ماشية أحد الا باذنه أو ان هذا الحديث محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة للراعي وأما قول بعضهم انما استجاز شربه لانه مال حربي ففيه نظر

لان

لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم أي يصل اليه شيء من الاذى وفيكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره وفي رواية اقرأ على قومي السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله ما لكم عند الله عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر يعني أبا سفيان وأصحابه واعتذر اليك مما صنع هؤلاء أي بانهزامهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به جدع أنفه وقطعت أذناه ومذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه وقال أصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا وقال رحمة الله عليك فقد كنت فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لأمثلن بسبعين منهم ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثل بها أحد من العرب فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وفي كلام بعضهم ان هذه الآية مكية قال الحلبي يجوز أن تكون مما تكرر نزوله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضي الله عنه فانه وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق وبلغ به الغشي وقال يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وقال ذلك لا مع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعي الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت لان محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لنحو صالح للحث على سلوك طريقته

لان الغنائم أي أموال الحربيين لم تكن أبيحت له حينئذ ثم قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ألم يأن للرحيل قلت بلى فارتحلنا بعدما زالت الشمس انتهى أي وفي رواية ان أبا بكر قال قد آن الرحيل يا رسول الله أي دخل وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما بان يكون النبي صلى الله عليه وسلم بدأ فسأل فقال له أبو بكر بلى ثم أعاد عليه بقوله قد آن الرحيل واجتاز وافى طريقهم بأم معبد أي واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد أي وهو محل سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطرفه الاخير الذي يلي المدينة ومنزل سراقة بطرفه الذي يلي مكة وكانت مسافته متسعة فليتأمل وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء بيتها وتطعم وتسقي وهي لا تعرفهم أي وسألوها لحما وتمرا أي وفي رواية أو لبنا يشترونه فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم أي للشراء وفي رواية ما أعوزناكم القرى لانهم كانوا مسنتين أي مجدبين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم معبد هل عندك من لبن قالت لا والله فرأى شاة خلفها الجهد عن الغنم أي لم تطق اللحاق بهم لما بها من الهزال قال هل بها من لبن قالت هي أجهد من ذلك ٥ قال أتأذنين في حلابها قالت والله ما ضربها من فحل قط فشأنك أي اصلح شأنك بها ان رأيت منها حلبا فاحلبها فدعا بها فمسح ظهرها بيده أي وفي رواية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات فرقا فمسح ظهرها وفي رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى أي وقال اللهم بارك لنا في شاتنا فدرت واجترت وتفاجت أي فتحت ما بين رجليها للحلاب ثم دعا باناء يربض الرهط أي يرويهم بحيث يغلب عليهم الري فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة للعشرة وقيل من التسعة الى الاربعين فحلب فيها ثجا أي بقوة لكثرة اللبن ومن ثم قال حتى علاه البهاء وفي رواية حتى علته الثمالة بضم المثلثة أي الرغوة وفي رواية فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم لا بعد نهل أي مرة ثانية بعد الاولى ثم شرب صلى الله عليه وسلم فكان آخرهم شربا وقال ساقي القوم آخرهم شربا ٥ ثم حلب فيه وغادره أي تركه عندها وارتحل والى ذلك أشار الامام السبكي بقوله في تائيته

مسحت على شاة لدى أم معبد * بجهد فألفتها أدر حلوبة

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله في وصف راحته الشريفة

درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها وغناء

أي أرسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة ابن وزيادة وعن أم معبد ان هذه الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى سنة ثماني عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة أي وكانت تلك السنة أجدبت الارض اجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش تأوي الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها أي لخبث لحمها وكانت الريح اذا هبت ألقت ترابا كالرماد فسمي ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك آلى عمر رضي الله تعالى عنه ان لا يذوق لبنا ولا سمنا

وقال صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل فاخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن رؤيته فقال لها يا أمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي فدفعت في صدره وقالت له لم وقد بلغني انه مثل باخي وذلك في الله فما أرضاني بما كان في الله من ذلك أي أنا أشد رضا بذلك من غيري لاحتسبن ولاصبرن ٥٤ ان شاء الله تعالى فجاء الزبير فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفي رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضي الله عنهما فقالت لهما مافعل حمزة فارياها انهما لايدريان أي رجعة بها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أخاف على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته وفي رواية أنه لما منعها علي والزبير رضي الله عنهما قالت لاأرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يارسول الله أين ابن أمي حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو في الناس قالت لاأرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير يحبسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجى ببرده وفي رواية قال الا كفن فرمى رجل من الانصار بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال ياجابر هذا الثوب لابيك وهذا لعمي وفي رواية جاءت صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة أحدهما والآخر لرجل من الانصار ولعله والد جابر رضي الله عنه وفي رواية كفن حمزة رضي الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفي رواية الحرمل وعن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكفن في بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وفي رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير قبل الاسلام في مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا فلما أسلم رضي الله عنه تقشف

ولا لحما حتى تحيا الناس أي يجيء عليهم الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنيني شأن الرعية اذا لم يعني مامسهم وهذا السياق يدل على ان الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عند أم معبد شاة واحدة وفي تاريخ العيني شارح البخاري قال يونس عن ابن اسحق انه دعا ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العس حتى أرغى وقال اشربي يا أم معبد فقالت اشرب انت فانت أحق به فرده عليها فشربت ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما أدري ماتقولون قد ضافني حالب الحائل فقالوا ذلك الذي نريده وعند قول عمر رضي الله تعالى عنه ذلك قال كعب لعمر يا أمير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم يعني العباس فمشى اليه عمر وشكا اليه مافيه الناس فصعد عمر المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو أبيه صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا أبا الفضل قم وادع فقام وحمد الله وأثنى عليه ودعا بدعاء منه اللهم شفعنا في أنفسنا وأهلينا اللهم انا نشكو اليك جوع كل جائع اللهم انا لانرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك فسقوا قبل ان يصلوا الى منازلهم وخاضوا في الماء وأخصبت الارض وعاش الناس فقال عمر هذا والله هو الوسيلة الى الله تعالى فصار الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيأ لك ساقي الحرمين وذكر السهيلي ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة في ذلك اليوم فسمعوا صائحا يصيح في السحاب أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص هذا وذكر العلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضي الله تعالى عنه لاستسقين غدا بمن يسقيني الله به فلما أصبح غدا للعباس رضي الله تعالى عنه فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج حتى نستسقي الله بك قال اقعد فأرسل الى بني هاشم ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فاتوه واخرج طيبا وطيبهم ثم خرج وعلي أمامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره وقال ياعمر لا تخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال اللهم انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا في أوله فتفضل علينا في آخره قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا فما وصلنا الى منازلنا الا خوضا فقال العباس أنا ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات أشار الى ان أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقى هذا كلامه فلينظر الجمع قال ابن شهاب كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه أي وكان

لايمر

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه كان يوما صائما فجيء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم يوجد له مايكفن فيه الا بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وقد بسط لنا من الدنيا مابسط وأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام عن أنس رضي الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة في الثوب الواحد ثم يدفنون ٥٥ في القبر الواحد وقال صلى الله عليه وسلم في حق حمزة لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أي يتطاول جزعهن وفي رواية لولا تجد صفية في نفسها ويكون سنة من بعدي لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع وفي رواية حتى تأكله العافية ويحشر في بطونها لشدة غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة رضي الله عنه واحدا بعد واحد فيصلي على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فصلى عليهم وعليه حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ولم يغسلهم وفي رواية ولم يصل عليهم وهذا هو الذي في صحيح البخاري ولفظه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من روايات صلاته عليهم أو ان الصلاة بمعنى الدعاء وحملوا على ذلك أيضا حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أي دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء والاموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك قال السهيلي لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد في شئ من مغازيه الا هذه الرواية في أحد وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الائمة بعده نعم جاء ان حنظلة كان جنبا فغسلته الملائكة كما تقدم * وممن مثل به عبد الله بن جحش رضي الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل أحد بيوم اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يجدع أنفي ويقطع أذني فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت وهذا ليس من تمني الموت المنهي عنه لان المنهي عنه أن يكون ذلك لضر نزل به وتقدم ان عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم

لايمر عمر وعثمان وهما راكبان الا ترجلا حتى يجوز العباس وربما مشيا معه الى بيته اجلالا له أي لانه صلى الله عليه وسلم قال احفظوني في العباس فانه عمي وصنو أبي وفي رواية فانه بقية آبائي قالت أم معبد في وصف تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا أي بكرة وعشية ومافي الارض قليل ولا كثير أي مما يتعاطى الدواب أكله ولما جاء زوجها أبو معبد قال السهيلي لايعرف اسمه وقيل اسمه أكثم بالثاء المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله جاء عند المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عجب وقال يا أم معبد ماهذا اللبن ولا حلوب في البيت أي والشاة عازب أي لم يطرقها الفحل لكن رأيته في النور فسر العازب بالبعيدة المرعى التي لاتأوى الى المنزل في الليل وفي الصحاح العازب الكلأ البعيد الذي لم يؤكل ولم يوطأ قالت مر بنا رجل مبارك قال صفيه قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه أي مشرقه في اشفاره أي أجفان عينيه أي شعرها النابت بها وطف أي طول وفي عينيه دعج أي شدة سواد في شدة بياض أي وهذا هو الحور ومن ثم فسر بعضهم الدعج بشدة السواد وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بياض عينيه شديد البياض بل كان أشكل العين والشكلة حمرة في بياض العين وهو دليل الشهامة وهي من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة كما تقدم وفي صوته صحل أي بحة بضم الموحدة أي ليس حاد الصوت غصن بين الغصنين لاتشنؤه من طول أي لاتبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر أي تحتقره من قصره لم تعبه نجلة أي عظم البطن وكبرها ولم تزر به صعلة أي صغر الرأس كأن عنقه ابريق فضة أي والابريق السيف الشديد البريق اذا نطق فعليه البهاء واذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات النظم أزين أصحابه منظرا وأحسنهم وجها أصحابه يحفون به اذا أمر ابتدر وا أمره واذا نهى انتهوا عند نهيه قال وفي لفظ أنها قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه أي مشرقه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزر به صعلة وسيما قسيما أي حسنا في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل أو قالت صهل أحور أكحل أي في أجفان عينيه سواد خلقة وفي عنقه سطع أي نور وفي لحيته كثاثة أي لاطويلة ولا دقيقة أزج أي رقيق طرف الحاجب أقرن أي مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما به أي ارتفع على جلسائه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم من قريب حلو المنطق فصل لانزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لاتشنؤه أي تبغضه من طول أي من فرط طوله ولا تقتحمه عين من قصر أي لاتتجاوزه الى غيره احتقارا له غصنا بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال أنصتوا لقوله وان أمر ابتدروا الى أمره محفود محشود محشود له حشد وجماعة لاعابس ولا مفند أي يكثر اللوم اه قال هذه والله صفة صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته ولاجتهدن أن أفعل أي وفي الامتاع ويقال انها أي أم معبد ذبحت لهم شاة وطبختها فاكلوا منها ووضعت لهم في سفرتهم

أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار سيفا فى يده وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب فى قبر واحد وانما كان حمزة خاله لان أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له كما تقدم أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفى وأبو الحكم هذا قتل كافرا فى ذلك اليوم أعنى يوم أحد قتله على رضى الله عنه كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو وهو وعمرو بن الجوح فى قبر واحد لما بينهما من الصفاء عبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر رضى الله عنه وكان عمرو بن الجموح متزوجا بعمة جابر أخت عبد الله ابن عمرو وجاء ان عبد الله بن عمرو والد جابر رضى الله عنه أصابه جرح فى وجهه ومات ويده على جرحه فاميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن وحفر السيل قبر عبد الله بن عمرو هذا وهو أيضا قبر عمرو بن الجموح فوجدا طريين لم يتغيرا كأنما ماتا بالامس فازيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما انه قال استصرخنا الى قتلانا باحد وذلك حين أجرى معاوية رضى الله عنه العين وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم فاتيناهم فاخرجناهم طريا تتثنى أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث الدم وذكر انه فاح من قبورهم مثل المسك وفى لفظ على رأس خمسين سنة مع ان أرض المدينة سبخة يتغير الميت فى قبره من ليلة وانما لم يتغير والآن الارض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزاد قارئ القرآن والعالم العامل ومحتسب الاذان ويدل له حديث الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه لا يدود فى قبره أى كشهيد المعركة لا يأكله الدود وقد نظم هؤلاء السبع للتتائى المالكى فقال

فقالوا

لم تأكل الارض جسم النبى ولا * لعالم وشهيد قتل معترك

ولا لقارئ قرآن ومحتسب * اذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع فى قبر واحد لانه كان ابن عمه وذكر ان خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فاجهز عليه وقال الآن شفيت نفسى حين قتلت

منها ما وسعته تلك السفرة وبقى عندها أكثر لحمها وفى الخصائص الكبرى أنه صلى الله عليه وسلم بايعها أى أسلمت قبل أن يرتحلوا عنها وفى كلام ابن الجوزى ان أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم (أقول) فى شرح السنة للبغوى وهاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها حبيش بن الاصفر واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك ويقال ان زوجها خرج فى أثرهم فادركهم وبايعه صلى الله عليه وسلم ورجع وفى الاجوبة المسكتة لابن عون قيل لام معبد ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه به من سائر صفات من وصفه أى من الرجال فقالت أما علمتم ان نظر المرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل الى الرجل وفى ربيع الابرار للزمخشرى عن هند بنت الجون أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها أم معبد قام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك فى عوسجة لى جانب الخيمة فاصبحت وهى أعظم دوحة أى شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كاعظم ما يكون فى لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روى ولا سقيم الا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الا درفكنا نسميها المباركة فاصبحنا فى يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فما راعنا الا نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كما اشتهر أمر الشاة وعن أم معبد انها قالت مر على خيمتى غلام سهيل بن عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى مولاى يستهديه ماء زمزم فانا أعجل السير كى لا تنشف القرب أى فانه صلى الله عليه وسلم كتب الى سهيل بن عمرو ان جاءك كتابى ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمسين حتى تبعث الى من ماء زمزم فجاء بقربتين فملأهما من ماء زمزم وبعث بهما على بعيرين ولا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرها ويذكر أم معبد فى أبيات منها

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من أمسى رفيق محمد

فعلموا توجهه ليثرب أى وفى طريق اليمن محل يقال له الدهيم وبئر ام معبد قال بعضهم وليست بام معبد التى نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ويجوز أن يكون الخبر الذى وصل اليهم فى اليوم الثانى من خروجه من الغار هو قول هذا الهاتف أو عقبه من شخص رآهم والى قول الهاتف أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

أى وأظهرت الجن أوصافه صلى الله عليه وسلم الجيدة فى صورة الغناء الذى تتولع به النفس حتى أطرب ذلك الغناء الانس حيث سمعوه وأما قول بعضهم انهم علموا ذلك من هاتف هتف بقوله

ان يسلم السعدان يصبح محمد * من الامر لا يخشى خلاف المخالف

الاماثل من أصحاب محمد فقتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل وصفوان هذا أسلم عام الفتح رضى الله عنه وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ردوا القتلى الى مضاجعهم فادرك المنادى واحدا لم يكن يدفن فردوه ومن دفن أبقوه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال فى قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا أى يمتنعوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وقال النبى صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه ان الله كلم أباك كفاحا فقال سلنى أعطك فقال أن أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق انهم لا يرجعون الى الدنيا قال أى رب فابلغ من ورائى فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينهونى والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينه وقال تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفع وكان جابر رضى الله عنه لم يشهد القتال انما جاء بعد انصراف القوم وعن بشير بن عفرة رضى الله عنه قال أصيب أبى يوم أحد فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد فلما نعوا لها أى بلغها خبر موتهم قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ما فعل به قالوا

فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت القابلة سمعوا ذلك الهاتف يقول

فياسعد سعد الاوس كن أنت مانعا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

فقالوا سعد الاوس سعد بن معاذ وسعد الخزرجين سعد بن عبادة ففيه نظر لان السعدين المذكورين كانا أسلما قبل ذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان (أقول) يجوز أن تكون ان هنا بمعنى اذ أى صيرورته صلى الله عليه وسلم آمنا لا يخشى خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين أو المراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر فى الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع أهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ وذكر بعضهم أن السعود من الانصار سبعة أربعة من الاوس سعد بن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان أبو عبيدة والله أعلم قال وتقديم قصة سراقة على قصة أم معبد هو ما فى الاصل وقد التزم فيه ترتيب الوقائع وقضية الترتيب ذكر قصة أم معبد قبل قصة سراقة لانه الصحيح الذى صرح به جماعة اه ﴿أقول﴾ ومما يدل لذلك ما تقدم من أن كفار قريش لم يعلموا أين توجه صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر أم معبد وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ووقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك قلت والله لا أدرى فرفع أبو جهل يده فلطم خدى لطمة خرم منها قرطى أى وفى لفظ طرح منها قرطى والقرط ما يعلق فى شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال ولم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغنى بابيات وان الناس ليتبعونه يسمعون صوته حتى خرج باعلى مكة يقول جزى الله رب الناس الابيات كذا فى الاصل وفيه أن قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر فى خروجه للغار وقولها فمضى ثلاث لا ندرى أين توجه يقتضى أن المراد خروجه من الغار وتقدم أنهم علموا بخروجه الى المدينة فى اليوم الثانى من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا بذلك الا من الهاتف فليتأمل وقد تبع الاصل فى ذلك شيخه الحافظ الدمياطى حيث قدم خبر سراقة على قصة أم معبد الا أن يقال الدمياطى لم يلتزم الترتيب فلا تحسن تبعيته وهنا قصة أخرى فيها زيادة ونقص قيل هى قصة أم معبد وقيل غيرها وهى انه اجتاز صلى الله عليه وسلم بغنم فقال لراعيها لمن هذه فقال لرجل من أسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم لابى بكر وقال سلمت ان شاء الله تعالى ثم قال للراعى ما اسمك قال مسعود فالتفت الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال سعدت ان شاء الله تعالى وفى الامتاع ولقى بريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله تعالى عنه فى ركب من قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا أى والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد وفى الشرف ان بريدة لما بلغه ما جعلته قريش لمن يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم طمع فى ذلك فخرج هو فى سبعين من أهل بيته وفى لفظ كانوا نحو ثمانين بيتا وحينئذ يراد بيته قومه فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له من أنت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبى صلى

خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشيء الصغير يقال للشيء الكبير فهو من الاضداد ويعلم المراد بالقرينة وفي رواية انها مرت باخيها وزوجها وابنها وأبيها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها أخوك وزوجك وابنك أبوك فلم تكترث بل صارت تقول بابي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم أحد أم لا قال مجاهد حضرت الملائكة ولم تقاتل وما قاتلت الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد أي وهما جبريل وميكائيل قال البيهقي لا منافاة لانهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم فلا ينافي انهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة لكن جاء عن الحرث بن الصمة رضي الله عنه قال سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقلت رأيته في جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك كل هؤلاء قتلت فقال أما هذا وهذا فانا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا تنافي مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وتقدم انه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخذه ملك في صورة مصعب وجاء انه لما تصور الملك بصورة مصعب وأخذ اللواء جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك وقال لست بمصعب فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ملك وفي رواية أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقدم مصعب قال يا رسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه وتقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء بعد ذلك لعلي رضي الله عنه وجاء في رواية انه حمله أيضا أخو مصعب واسمه أبو الروم (ويجمع بين الاحاديث) باحتمال أن يكون

الله عليه وسلم وقال يا أبا بكر برد أمرنا وصلح قال ممن أنت قال من أسلم من بني سهم قال النبي صلى الله عليه وسلم سلمنا وخرج سهمك يا أبا بكر أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة وكل من كان معه أي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل بريدة عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه أي وقال له كما في الوفاء تنزل علام يا نبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناقتي هذه مأمورة فقال بريدة الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم يعني قومه طائعين غير مكرهين ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة (أقول) ولعل خروجهم كان في ثلاثة أيام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها في الغار والله أعلم فانقلبوا يوما بعد أن طال انتظارهم أي وأحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على أطم أي محل مرتفع من آطامهم أي من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين أي لانهم لاقوا الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا بيضا كما في البخاري وقيل ان الذي كساهما طلحة بن عبيد الله قال في النور ولعلهما لقياه معا أو متعاقبين فكسواه وأبا بكر ما ذكر وهذا الجمع أولى من ترجيح الحافظ الدمياطي لهذا القيل ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل هو الذي في السير ومال الدمياطي الى ترجيحه على عادته في ترجيح ما في السير على ما في الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شأنه في ابتداء أمره فلما اتضح من الاحاديث الصحيحة كان يرى الرجوع عن كثير مما وافق عليه أهل السير وخالف الاحاديث الصحيحة فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب أي يرفعهم ويظهرهم أي والسراب ما يرى كالماء في وسط النهار في زمن الحر فلم يملك اليهودي ان قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرون أي وفي رواية فلما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية الى أبي امامة وأصحابه من الانصار أي ولا مانع من وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فبلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة أي وفي لفظ فوافوه وهو مع أبي بكر في ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة فلا مخالفة ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفي لفظ فاستقبله زهاء خمسمائة أي ما يزيد على خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن الهدم أي لانه كان شيخ بني عمرو بن عوف أي وهم بطن من الاوس قيل وكان يومئذ مشركا ثم أسلم وتوفي قبل بدر بيسير وقيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة أي وعند نزوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم بغلام له يا نجيح فقال رسول

كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن * ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله وعامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة كن باصل أحد وقال اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش رضي الله عنها بنت عمته صلى الله عليه وسلم أخت زوجته زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسبي فقالت من يا رسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يا رسول الله قال أخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يا رسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ما هو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعني أي فلا تؤاخذني فدعا لها أن يحسن الله عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة وجاءت أم سعد بن معاذ رضي الله عنها وعنه تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجام فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد يا رسول الله أمي فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت اما اذا رأيتك سالما فقد اشويت المصيبة أي استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل باحد بعد ان قال لام سعد يا أم سعد ابشري وبشري أهلهم ان قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا وقد شفعوا في أهليهم قالت رضينا يا رسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع الله لمن خلفوا

الله صلى الله عليه وسلم أنجحت يا أبا بكر وكان يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه في بيت سعد بن خيثمة أي لانه كان عزبا لا أهل له هناك أي وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزب من الرجال من لا زوجة له ولا يقال أعزب وقيل هي لغة رديئة (أقول) وبذلك يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رأيت الحافظ الدمياطي أشار الى ذلك والله أعلم ونزل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما قدم المدينة على كلثوم أيضا بقباء بعد أن تأخر بمكة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدي الودائع التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لامره له صلى الله عليه وسلم بذلك كما تقدم فلما توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام علي رضي الله تعالى عنه بالابطح ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت تؤدى اليه أمانته فلما انفذ ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم ومعه أم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ﴿أقول﴾ سيأتي ما يخالف ذلك وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل في دار أبي أيوب بعث زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين يقدمان عليه بفاطمة وأم كلثوم بنته وسودة زوجته وأم أيمن وولدها اسامة الا أن يقال يجوز أن يكون الكتاب الذي فيه استدعاء سيدنا علي رضي الله تعالى عنه للهجرة كان مع زيد وأبي رافع رضي الله تعالى عنهما وانهما صحباه ولا ينافي ذلك ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تأخر بعده علي رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال يؤدي الودائع لان تلك الليالي الثلاث كانت مدة تأدية الودائع ومكث بعدها الى ان جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد نزوله بقباء على أم كلثوم فلا مخالفة لكن في السيرة الهشامية فنزل أي علي معه أي مع النبي صلى الله عليه وسلم على أم كلثوم وهو لا يتأتى الا على القول بأنه صلى الله عليه وسلم مكث في قباء بضع عشرة ليلة كما سيأتي وحينئذ يخالف ما سبق من مجيئه مع زيد وأبي رافع لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم انما أرسلهما بعد ان تحول من قباء الى المدينة وفي الامتاع لما قدم علي من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من علي مع وجود ما يركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة في عظيم الاجر وفي السيرة الهشامية ان اقامة علي بقباء كانت ليلة أو ليلتين وانه رأى امرأة مسلمة لا زوج لها يأتيها انسان من جوف الليل يضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئا معه فتأخذه قال علي فسألتها فقالت هذا سهل بن حنيف قد عرف أني امرأة لا أحد لي فاذا أمسى غدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذا أي اجعليه حطبا فكان علي يعرف ذلك لسهل بن حنيف والله أعلم قال ونزل أبو بكر على حبيب بن أبي اساف وقيل على خارجة بن زيد بالسنح بضم السين المهملة فنون ساكنة فحاء مهملة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد نبيكم يوم

ان عادة الله جرت أن الرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائما دخل فى المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ولو انقلبوا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا ومستورا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول كالتخذيل لهم وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم عاد ما كانوا يضمرونه ويتكاتمون به فيما بينهم ويخفونه عن المسلمين مصرحا به وعرف المسلمون أن لهم عدوا فى دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومن الحكم فى ذلك أيضا ان فى تأخير النصر فى بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها وتكبرها وتعاظمها فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون ومنها أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها قال تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين قال ابن اسحق أى أحسبتم ان تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدقكم فى الايمان بى والصبر على ما أصابكم أى أعاملكم معاملة المبتلى المختبر ليظهر علمى لكم ويكون ما أظهره مطابقا لما سبق فى علمى ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الاولياء فساقهم الله اليها اكراما لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل لقاء العدو كما قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت انى أقتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل ومنها ان الله أراد اهلاك أعدائه

صلى الله عليه وسلم واستتم بنيانه عمار فعمار أول من بنى مسجدا لعموم المسلمين قال وعن جابر لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة انتهى ونعمر يحتمل أن يكون بالتخفيف فيكون عطف نقيم الصلاة من عطف التفسير ويحتمل أن يكون بالتشديد فيكون بناء المساجد تعدد فى المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وفيه ان الحافظ ابن حجر قال كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران ونصف شهر على التحرير كما تقدم أى ورواية جابر تدل على أنه كان بين اجتماع الاثنى عشر من الانصار به صلى الله عليه وسلم ومجيئهم الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة سنتان وقد يقال ليس مراد جابر ان ابتداء المدة من قدوم الاثنى عشر عليه بل مراده ان ابتداءها من قدوم الستة عليه الذين منهم جابر والمدة تزيد على السنتين فليتأمل وهو أى مسجد قباء أول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ظاهرين أى آمنين وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرون والانصار يصلون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قباء صلى فيه ولم يحدث فيه شيأ ويخالفه ما تقدم عن السيرة الهشامية وما فى الطبرانى بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح الشين المعجمة بنت النعمان رضى الله تعالى عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس المسجد مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يصهره الحجر أى يتعبه فيأتى الرجل من أصحابه فيقول يا رسول الله بأبى أنت وأمى تعطينى أكفك فيقول لا خذ مثله حتى أسسه أى وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتونى بأحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار كثيرة فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجرى ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبى بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم أشار الى ترتيب الخلافة وسيجىء فى بناء مسجد المدينة نحوه ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وبعد تحوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان يأتيه يوم السبت ماشيا وراكبا وقال من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة وروى أى الترمذى والحاكم وصححاه عن أسيد بن حضير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة فى مسجد قباء كعمرة وفى رواية من صلى فى مسجد قباء يوم الاثنين والخميس انقلب بأجر عمرة وكان عمر رضى الله تعالى عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف من الاطراف وفى رواية فى افق من الآفاق لضربت اليه اكباد الابل أى وصحح الحاكم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قباء ماشيا وراكبا وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن أبيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قباء وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء فيصلى فيه ركعتين وعنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء فقام يصلى فجاءته الانصار تسلم عليه فقلت لبلال كيف رأيت رسول

الله

فقيض لهم الاسباب التى يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا انهم على شىء من ظفرهم الصورى بالمسلمين فازدادوا عتوا وتجبرا وطغيانا فى ايذاء أوليائه ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق لذلك الكافرين كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أى يهلك الكافرين الذين حاربوا يوم أحد ولم يسلموا والمعنى ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ومنها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والاسقام تعظيما لاجورهم تأسى بهم أتباعهم فى الصبر على المكاره قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال ابن اسحق أنزل الله فى شأن أحد ستين آية من آل عمران وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنه عنه قال قلت لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه اخبرنى عن قصتكم يوم أحد قال اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سبحانه وتعالى أعلم

غزوة حمراء الاسد

بفتح الحاء والمد مضافة الى أسد اسم موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق اذا أردت ذا الحليفة وكانت صبيحة أحد اذ وقعت أحد يوم السبت والغزوة المذكورة يوم الاحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكانت لطلب العدو الذين كانوا بالامس قال الواقدى باتت وجوه الانصار على بابه صلى الله عليه وسلم خوفا من كثرة العدو فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزنى فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه قد أقبل من عند أهله بالحيم ولامين اسم موضع قرب المدينة اذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيأ أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم وقد بقى منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقى وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول لا تفعلوا

الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلى أى يجعل باطنها الى أسفل وظهرها الى فوق وتقدم وقعت له صلى الله عليه وسلم الاشارة فى الصلاة برد السلام لما قدمت عليه ابنته رضى الله تعالى عنها من الحبشة وهو يصلى فسلمت فأومأ اليها برأسه (وفى الهدى) وأما حديث من أشار فى الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل وفى كلام بعضهم قد ثبت فى الاحاديث الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه أحد وهو فى الصلاة أشار باصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث معارض الا حديث مجهول وهو من أشار فى صلاته اشارة مفهمة فليعد صلاته وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الا غسل فرجه فقال هو هذا وفى لفظ أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء أى وفى الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أتؤمنون بالقضاء قالوا نعم قال وتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون على الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تتبعون عند الوضوء وعند الغائط أى المعبر عنه بالطهور فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا هذا كلامه وفى رواية فقال ان الله قد أحسن اليكم الثناء فى الطهور فما هذا الطهور الذى تتطهرون به قالوا يا رسول الله ما نعلم شيأ الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفى لفظ كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه وفى لفظ قالوا نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة فقال هل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان أحدنا اذا خرج الى الغائط أحب أن يستنجى بالماء وفى رواية نستنجى من البول والغائط زاد فى رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة قال هو ذاك فعليكموه أى الزموه أى وفى مسند البزار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم سألهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء قال بعضهم فى اسناده ضعف وبهذا وما تقدم من ذكر الحجارة يرد على الامام النووى حيث قال هكذا أى ذكر الحجر مع الماء فى خبر الانصار بقباء رواه الفقهاء فى كتبهم وليس له أصل فى كتب الحديث بل المذكور فيها أنهم قالوا كنا نستنجى بالماء وليس فيها مع الحجر أى ويكون السكوت عن ذكر الحجر لكونه كان معلوما فعله (وفى الخصائص الصغرى) ان مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى شرعه وأمته الاستنجاء بالجامد وبالجمع فيه بين الماء والحجر (ومن أهل قباء) عويمر بن ساعدة قال فى حقه صلى الله عليه وسلم نعم العبد من عباد الله والرجل من أهل الجنة عويمر بن ساعدة أى لانه كان أول من استنجى

فان القوم قد غضبوا وأخاف ان يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فانى لا آمن ان رجعتم ان تكون الدولة عليكم
فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشيد والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب
ودعا صلى الله عليه وسلم أبابكر وعمر رضى الله عنهما فذكر لهما ما أخبره به المزنى فقالا يارسول الله أطلب العدو لا يقتحمون على الذرية
أى يدخلون فلما صلى الصبح ندب الناس

وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج أى أمر بلالا ان ينادى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركم بطلب العدو وان لا يخرج
معنا أحد الا من خرج معنا أمس
يعنى من شهد أحدا وأراد بذلك
اظهار الشدة للعدو فيعلمون من
خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم
على غاية من القوة والرسوخ فى
الايمان وحب النبى صلى الله عليه
وسلم وأراد أيضا الزيادة فى تعظيم
من شهد أحدا وأيضا خاف
اختلاط المنافقين بهم فيمنون عليهم
بخروجهم معهم وهم مسلمون
ظاهرا فلا يمكنه منعهم وفى البخارى
ومسلم وغيرهما عن عائشة
رضى الله عنها قالت لما انصرف
المشركون عنه صلى الله عليه وسلم
خاف أن يرجعوا فقال من يذهب
فى أثرهم فانتدب منهم سبعون
رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد
الطبرانى عن ابن عباس رضى الله
عنهما وعمر وعثمان وعلى وعمار
وطلحة وسعد وابن عوف وأبو
عبيدة وحذيفة وابن مسعود قال
الحافظ ابن كثير والمشهور عند
أهل المغازى ان الذين خرجوا الى
حمراء الاسد كل من شهد أحدا
وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون
وبقى الباقون قال العلامة الشامى
فى سيرته والظاهر انه لا تخالف
بين قولى عائشة وأصحاب المغازى
لان معنى قولها فانتدب منهم
سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وانما خرج صلى الله عليه وسلم مرهبا للمشركين لما بلغه انهم يريدون
العود فخرج لارهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ولم
يشتغلوا بدواء جراحاتهم مع أن منهم من كان به بضع وسبعون جراحة (وذكر ابن سعد) انه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو
مجروح فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الاسد ولهم زجل وهم يأتمرون بالرجوع وصفوان

بالماء كما قيل أى ومن ثم جاء تخصيصه بالسؤال فقد روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويم بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذى أثنى الله
عليكم به فقال يا نبى الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الحديث وهذا السياق ربما
يقتضى ان الاستنجاء بالماء لم يكن معروفا فى غير أهل قباء قبل نزول هذه الآية وفى كلام
بعضهم أول من استنجى بالماء ابراهيم الخليل وكره بعض الصحابة الاستنجاء بالماء وهو حذيفة
ولعله لكونه فى الاستنجاء بالماء عدول عن الرخصة ونقل عن ابن عمر انه كان لا يستنجى بالماء
ولعله لما ذكرنا وكذا ما نقل عن ابن الزبير ما كانا فعله وعن الامام أحمد انه لم يصح حديث فى
الاستنجاء بالماء وبالغ مغلطاى فى رده وعن سيدنا مالك انكار ان النبى صلى الله عليه وسلم
استنجى بالماء ولعل المراد انكار صحة ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتأمل وذكر الاحجار فى
الخبر يؤيد ظاهره ما ذكره امامنا فى الام ان سنة الجمع بين الحجر والماء تتوقف على كون
الاستنجاء بالحجر كافيا واقتصر عليه بقوله والاستنجاء بالحجر كاف ولو أتى به أى بالاستنجاء الكافى
رجل ثم غسل بالماء كان أحب الى وانما قلنا ظاهره لامكان رجوع الضمير للاستنجاء لا بقيد
كونه كافيا والذى عليه متأخرو أصحابنا أن سنة الجمع يكفى فيها ازالة العين ولو بحجر واحد
وقد يقال هذا محبوب وما ذكره الامام أحب ولا يخفى أن حديث الانصار يقتضى اختصاص
سن الجمع بين الحجر والماء بالغائط وبه قال القفال فى كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص
الامام ان مثل الغائط البول ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة بقباء ركب
راحلته الجدعاء وقيل القصواء وقيل العضباء أى قاصدا المدينة والجدعاء بالدال المهملة
المقطوعة الانف أو مقطوعة الاذن كلها والقصواء المقطوع طرف أذنها والعضباء المشقوقة
الاذن قال بعضهم وهذه ألقاب ولم يكن بها أى بتلك الناقة شئ من ذلك وسيأتى عن الاصل ان
هذه ألقاب لناقة واحدة (ولما ركب صلى الله عليه وسلم) وخرج من قباء وسار سار الناس معه
ما بين ماش وراكب أى ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا أى حرصا على كرامة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة قال وصار الخدم والصبيان يقولون
الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء محمد صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف له صلى الله عليه وسلم يارسول الله
أخرجت ملالا انا أم تريد دارا خيرا من دارنا قال انى أمرت بقرية تأكل القرى أى تغلبها
وتقهرها والمراد أهلها أى ان أهلها تفتح القرى فيأكلون أموال أهل تلك القرى ويسبون
ذراريهم خلوا سبيلها يعنى ناقته صلى الله عليه وسلم أى ومن أسماء تلك القرية المدينة وروى
الشيخان أمرت بقرية تأكل القرى يثرب وهى المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية
كالنجم للثريا اذا أطلق فهى المرادة وان أريد غيرها قيد والنسبة لها مدنى ولغيرها من
المدن مدينى للفرق بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمى بذلك لانه

بهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضى صلى الله عليه وسلم بأصحابه ودليله ثابت بن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج حتى عسكر بحمراء
الاسد فوجد الرجلين فدفنهما وروى النسائى والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما رجع المشركون عن أحد
قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ارجعوا فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين فانتدبوا فخرج
بهم حتى بلغ حمراء الاسد أو بئر أبى عتبة فأنزل الله عز وجل الذين استجابوا لله

والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين
أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم
وخرج صلى الله عليه وسلم وهو
مجروح وفى وجهه أثر الحلقتين
ورباعيته مكسورة وشفته
السفلى مشقوقة وركبتاه
مجروحتان من وقعة الحفيرة
ولقيه طلحة بن عبيد الله رضى الله
عنه فقال له يا طلحة أين سلاحك
فقال قريب فذهب وأتى به وبه
بضع وسبعون جراحة منها سبعة
بصدره فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم يا طلحة أين تظن القوم
فقال بالسيالة فقال صلى الله عليه
وسلم ذلك الذى ظننت أما انهم
يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى
يفتح الله علينا مكة وقال لعمر بن
الخطاب رضى الله عنه يا ابن الخطاب
ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا
حتى نستلم الركن ولما وصل صلى
الله عليه وسلم حمراء الاسد أقام بها
الاثنين والثلاثاء والاربعاء وكان
المسلمون يوقدون تلك الليالى
خمسمائة نار حتى ترى من المكان
البعيد وذهب صوت معسكرهم
ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله
بذلك عدوهم وكان اللواء فى هذه
الغزوة بيد على بن أبى طالب رضى
الله عنه (واستعمل) صلى الله
عليه وسلم على المدينة ابن أم
مكتوم قال ابن اسحق ان النبى
صلى الله عليه وسلم لقى بحمراء
الاسد معبد بن أبى معبد الخزاعى
وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد رضى الله عنه وكان بنو خزاعة عيبة نصح للنبى صلى الله عليه وسلم مسلمهم
وكافرهم كلهم يحبونه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك وما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله أعلى
كعبك وأن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى حتى أتى أبا سفيان وأصحابه وهم بالروحاء وقد أجمعوا على الرجوع وقالوا أصبنا فى أحد أصحاب
محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك قال محمد خرج

نزل به يثرب من نسل نوح وفى الحديث المدينة تنفى الناس أى شرارهم كما ينفى الكير خبث
الحديد ففى بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها قيل وذلك كان فى
حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك فى زمن الدجال فقد جاء أن الدجال يرجف باهلها
فلا يبقى منافق ولا كافر الا خرج اليه وفى رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث
رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر وبهذا استدل من قال كون المدينة تنفى الخبث
ليس عاما فى الازمنة ولا فى الاشخاص لان المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار
الصحابة منهم على وطلحة والزبير وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود
وفى كلام ابن الجوزى ان عبد الله بن مسعود مات بالمدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم أى
أرض مات بها رجل من أصحابى كان قائدهم ونورهم يوم القيامة وفى رواية فهو شفيع لاهل
تلك الارض وأما قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون أى خير لهم من بلاد
الرخاء بدليل صدر الحديث يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء
هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها
الا أخلف الله من هو خير منه أى من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخاء والسعة
فلا دليل فى ذلك على انها أفضل من مكة ومن أسمائها آكلة البلدان ومن أسمائها البارة
بتشديد الراء وتسمى الفاضحة لان من أضمر فيها شيأ أظهر الله ما أضمره وافتضح به أى فالمراد
أضمر شيأ من السوء وقد قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى هى
طابة كشامة هى طابة هى طابة قال ذلك ثلاثا وفى رواية فليستغفر الله فليستغفر الله فليستغفر
الله هى طيبة كهيبة هى طيبة هى طيبة هى طائب ككاتب قيل وانما سميت طيبة لطيب
رائحة من مكث بها وتزايد روائح لطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم
أى لان ترابها يشفى من الجذام وتسميتها يثرب فى القرآن انما هو حكاية لقول المنافقين أى بعد
نهيهم عن ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا أراها الا يثرب أى ونحو ذلك من كل ما وقع فى
كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهى عن ذلك انتهى أى وجاء الايمان
ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ويأرز بكسر الراء أى ينضم ويجتمع بعضه الى
بعض وفى رواية ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ يأرز كما تأرز الحية الى جحرها
وانما كرهت تسميتها بيثرب لان يثرب مأخوذ من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ومنه
قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم أو من الثرب بالتحريك وهو الفساد وعن القاسم بن محمد قال
بلغنى ان للمدينة فى التوراة أربعين اسما وقيل أحد عشر من جملتها سكينة أى ومن جملتها الجابرة
أى التى تجبر والعذراء والمرحومة وفى كلام بعضهم لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار
ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووى لا يعرف
فى البلاد أكثر اسماء منها ومن مكة ومما يدل على أن خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء متوجها

في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا وفيهم من
الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل
بقيتهم قال فاني أنهاك عن ذلك فثنوا رعبا من ذلك ورجعوا الى مكة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله قذف
في قلب أبي سفيان الرعب بعد الذي كان منه يوم أحد فرجع الى مكة وقال صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب

منكم طرفا وقذف الله في قلبه الرعب (ثم رجع صلى الله عليه وسلم) بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر صلى الله عليه وسلم عند رجوعه الى المدينة بمعاوية بن المغيرة ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة فأمر بقتله وحاصل قصته انه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال أرسلي اليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان رضي الله عنه فلما نظر اليه قال أهلكتني وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بي منك رحما فأجرني فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله وجعله في ناحية ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه فأشارت اليهم أم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان بعد ان علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك فأخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضي الله عنه والذي بعثك بالحق ما جئت الا لآخذ له أمانا فهبه لي فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم أنه ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فأقام معاوية ثلاثا ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتي بها قريشا فلما كان في اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فقال صلى الله عليه وسلم انكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه وقيل

الى المدينة كان يوم الجمعة نزول بعضهم وعند مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة أدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي بمن معه من المسلمين وهم مائة وصلاها بعد ذلك في المدينة وكانوا به صلى الله عليه وسلم أربعين فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا أربعين رجلا أي ولم يحفظ انه صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة في ذلك المسجد سمي هذا المسجد بمسجد الجمعة وهو على يمين السالك نحو قباء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة أي وخطب لها وهي أول خطبة خطبها في الاسلام أي ومن خطبته تلك فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبي هذه الخطبة في تفسيره وأوردها جميعها في المواهب وليس فيها هذا اللفظ (أقول) هذا واضح ان كان أقام في قباء الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس كما تقدم وأما على انه صلى الله عليه وسلم أقام بضع عشرة ليلة أو أكثر من ذلك كما تقدم فيبعد انه لم يصل الجمعة في قباء في تلك المدة ثم رأيت في كلام بعضهم أنه كان يصلي الجمعة في مسجد قباء في اقامته هناك أي ويبعد انه صلاها من غير خطبة وفي الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في مشهدي هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من تركها من غير عذر مع امام عادل أو امام جائر فلا جمع له شمله ولا بورك له في أمره الا ولا صلاة له ولا حج له الا ولا بركة له ولا صدقة له فان كان قال ذلك في هذه الخطبة التي خطبها في مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو مخالف قول فقهائنا انها أوجبت بمكة ولم تقم بها لعدم قدرتهم على اظهارها بمكة لان اظهارها أقوى من اظهار جماعة الصلوات الخمس وفي الاتقان مما تأخر حكمه عن نزوله آية الجمعة فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة وقول ابن الغرس أن اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع النداء يستغفر لابي امامة أسعد بن زرارة فقلت يا أبتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال أي بني كان أول من صلى بنا الجمعة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة هذا كلامه وليتأمل ما وجه الرد من هذا وجاء صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها وصيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها كذا في الوفاء عن نافع عن ابن عمر وأول قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة قرية عبد القيس بالبحرين وهل كانت الخطبة قبل الصلاة أو بعدها في الدر انه صلى الله عليه وسلم كان وهو بالمدينة يخطب الجمعة بعد ان يصلي مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدمت عير دحية الكلبي وكان اذا قدم يخرج أهله للقائه بالطبل واللهو ويخرج الناس للشراء من طعام تلك العير والتفرج عليها

فأدركه زيد بن حارثة وعمار رضي الله عنهما فقتلاه وقيل انما قتلاه بعد ان جاآ به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بضرب عنقه صبرا
بأن أوثقوه حتى أمر بقتله وفي سيرة ابن هشام وظفر صلى الله عليه وسلم بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وكان قد أسره ببدر ثم من
عليه من غير فداء لاجل بناته وكان شاعرا يشتغل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهجاء أصحابه ويستنفر الناس للقتال وكان عاهد النبي
صلى الله عليه وسلم بعد بدر على أن لا يعود الى شيء من ذلك فلما من عليه وأطلقه رجع الى مكة ونقض العهد واشتغل

بما كان مشتغلا به قبل من السب والهجاء فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون بحمراء الاسد نزل معهم ثم ساروا وتركوه نائما فأدركه المسلمون وأسروه وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه فلما ظفر به صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله أقلني وامنن علي ودعني لبناتي وأعاهدك أن لا أعود فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وفي رواية تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفي لفظ سخرت بمحمد مرتين ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يا زبير وفي رواية يا عاصم بن ثابت فضربت عنقه وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم قيل ولما قتل حملت رأسه على رمح الى المدينة وهي أول رأس حملت في الاسلام الى المدينة أي على رمح فلا ينافي أن أول رأس حملت رأس كعب بن الاشرف فلا تعارض (قال بعضهم) في معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغي للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم (وفي هذه السنة) كانت ولادة الحسن بن على رضي الله عنهما وهي سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان وحملت فاطمة رضي الله عنها بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن على رضي الله عنهما وفي هذه السنة أيضا حرمت الخمر في شوال بعد وقعة أحد ﴿سرية أبي سلمة﴾ عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى قطن بفتح القاف والطاء وبالنون جبل بناحية فيد بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره وهو اسم ماء لبني أسد بنجد بعث صلى الله عليه وسلم

وقيل للتفرج على وجه دحية فقد قيل كان اذا قدم دحية المدينة لم تبق معصر الا خرجت لتنظر اليه لفرط جماله ولا مانع أن يكون ذلك لاجتماع الامرين فانفض الناس ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا نحو اثني عشر رجلا والجلال المحلي في قطعة التفسير أسقط لفظ نحو أي وانفضاض ما عدا هؤلاء يحتمل أن يكون بعد ذلك في حال الخطبة قبل تمام الاركان ويحتمل أن يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز أن يكون رجع ممن انفض ما يكمل به العدد أربعين قبل طول الفصل وقد أعاد صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعوه من أركان الخطبة عند انفضاضهم فلا يخالف ما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من وجوب سماع أربعين لاركان الخطبة قال مقاتل بلغني أنهم فعلوا ذلك أي الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات فأنزل الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا الآية ثم صار صلى الله عليه وسلم يخطب قبل أي يصلي أي ليحافظ الناس على عدم الانفضاض لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة الحسن البصري وحينئذ يكون قول بعض فقهائنا استدلالا على وجوب تأخر صلاة الجمعة عن الخطبتين بثبوت صلاته صلى الله عليه وسلم بعد خطبتين أي استقر ثبوت ذلك وعن الزهري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا خطب أي في غير الخطبة المتقدمة كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لامر من الناس يريد الناس أمرا ويريد الله أمرا فما شاء الله كان لا ما شاء الناس وما شاء الله كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شيء الا باذن الله والله أعلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة أي وقد أرخى زمامها ولم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا فسأله بنو سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة ابن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعزة والمنعة وفي لفظ والثروة وفي لفظ أنزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة أي السلاح ونحن أصحاب الحدائق والدرك يا رسول الله كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال خلوا سبيلها يعني ناقته دعوها فانها مأمورة أي وفي رواية أنها مأمورة خلوا سبيلها وهو يتبسم ويقول بارك الله عليكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة أي محلتهم أي والمراد القبيلة فسأله بنو بياضة أي ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو بمثل ما تقدم وأجابهم بأنها مأمورة خلوا سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة أي ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك وأجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار عدي بن النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم أي اخوال جده عبد المطلب كما تقدم أي أوائل دورهم فسأله بنو عدي بن النجار أي أولئك الطائفة منهم بمثل ما تقدم أي وفي رواية أنهم قالوا له نحن أخوالك هلم الى العدة والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله أي زاد في رواية لا تجاوزنا ليس أحد من قومنا أولى بك منا القرابتنا وأجابهم بأنها مأمورة فانطلقت حتى بركت في محل من محلات

أباسلمة ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والانصار منهم أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابنى خويلد الاسديين وسبب ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه صلى الله عليه وسلم فنهاهم قيس ابن الحرث فلم ينتهوا فدعا صلى الله عليه وسلم أباسلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمة فأغر عليهم فخرج فأسرع السير حتى انتهى الى أدنى قطن فأغار على سرح لهم مع رعائهم مماليك ثلاثة وأدات الباقون وتفرقوا فى كل وجه وفى رواية خافوا وهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة ابلا وشاء فأغار عليها ولم يلق كيدا أى حربا وفى رواية فعسكر به أى بقطن وتفرق قومه ثلاث فرق فرقة قامت معه وفرقتان أغارتا فى ناحيتين فرجعتا اليه سالمتين وقد أصابتا نعما وشاء فانحدر بها أبو سلمة الى المدينة وأخرج منها صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا وأعطى الوليد ابن زبيد الطائى وهو الدليل مارضى به ثم خمسها وقسم الباقى على أهل السرية فبلغ سهم كل واحد سبع بعير وأغناما ومدة غيبته فى تلك السرية عشرة أيام والله أعلم

﴿سرية عبد الله﴾
ابن أنيس رضى الله عنه الجهنى

السلمى الانصارى بعثه صلى الله عليه وسلم وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى ثم اللحيانى وكان بعرنة موضع قريب من عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائته فاقتله فقال صفه لى يا رسول الله حتى أعرفه قال اذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال فقلت يا رسول الله ما فرقت من شيء قط فقال وانا
آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته أن أقول فقال قل ما بدا لك وقال انتسب لخزاعة فأخذت سيفى وخرجت أعتزى لخزاعة فلما وصلت اليه بعرنة لقيته يمشى ووراءه الاحابيش فهبته وعرفته بنعت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت صدق الله وصدق رسوله وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشى وأومئ برأسى ايماء ثم دنوت منه فقال ممن الرجل قلت من بنى خزاعة سمعت بجمعك

بنى النجار وذلك فى محل المسجد أى محل بابه أو فى محل المنبر الآن وذلك عند دار بنى مالك بن النجار وعند باب أبى أيوب الانصارى أى واسمه خالد بن زيد النجار الانصارى الخزرجى شهد العقبة وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع على بن أبى طالب من خاصته شهد معه الجمل وصفين والنهروان غزا أيام معاوية أرض الشام مع يزيد بن معاوية سنة خمسين وقيل احدى وخمسين فتوفى عند مدينة قسطنطينية فدفن هناك وأمر يزيد بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره حتى خفى أثر القبر خوفا ان تنبشه الكفار وكان المشركون اذا أمحلوا كشفوا عن قبره فيمطروا فلم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت الى مبركها فبركت فيه وتحلحلت أى بالجيم تضعضعت ووضعت جرانها أى باطن عنقها من المذبح الى المنحر وأرزمت أى صوتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أى قال ذلك أربع مرات وأخذه صلى الله عليه وسلم الذى كان يأخذه عند الوحى أى وسرى عنه وقال هذا ان شاء الله يكون المنزل أى وأمر أن يحط رحله وفى لفظ ان أبا أيوب قال له ائذن لى ان أنقل رحلك فأذن له واحتمل أبو أيوب رحله فوضعه فى بيته أى وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده أى وذكر بعضهم ان أبا أيوب لما نقل رحله أناخ الناقة فى منزله وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون أسعد أخذ بزمامها بعد ذلك فكانت عنده أى وعن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اقترعت الانصار أيهم يأويه فقرعتهم الحديث وقد يقال مراده بالانصار أهل تلك المحلة التى بركت فيها الناقة (وذكر السهيلى) أنها لما ألقت جرانها فى دار بنى النجار أى فى محل من محلاتها جعل رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر أى وكان من صالحى المسلمين ينخسها رجاء أن تقوم فينزل فى دار بنى سلمة فلم تفعل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة وجد فى نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع أسرجوا لى حمارى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخته سهل فقال أتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره فحل عنه وفى رواية قال له اجلس ألا ترضى ان سماك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاربع الدور التى سمى فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بنى النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتحببننى وفى رواية أتحبوننى قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم ان قلبى يحبكن وفى رواية والله أحبكم وفى رواية وأنا والله أحبكم وأنا والله أحبكم

لمحمد بجمعك لاكون معك قال أجل انى لفى الجمع له فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثى فقلت له عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم قال انه لم يلق أحدا يشبهنى ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهد الارض حتى انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه الى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه قال اجلس قال فجلست معه حتى اذا نام الناس اغتررته وقتلته وفى رواية انه قال مشيت معه حتى اذا أمكننى حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلا ودخلت غارا وأقبل الطلب وأنا كامن فى الغار وضربت العنكبوت على الغار وأقبل رجل معه اداوة ضخمة ونعلاه فى يده وكنت حافيا فوضع اداوته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ثم قال لاصحابه ليس أحد فى الغار فانصرفوا راجعين فخرجت فشربت ما فى الاداوة ولبست النعلين ولم يرنى أحد فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما فرجع الى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفا من الطلب أن يدركنى حتى قدمت المدينة فوجدته صلى الله عليه وسلم بالمسجد فقال صلى الله عليه وسلم أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يا رسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبرى فدفع الى عصا وقال تخصر بها فى الجنة فان المتخصرين فى الجنة قليل فكانت العصا عنده حتى اذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها فى أكفانه ففعلوا والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم قال موسى بن عقبة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتل عبد الله ابن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبد الله بن أنيس رضى الله عنه والله أعلم ﴿بعث الرجيع﴾ وهى سرية عاصم بن ثابت الانصارى رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من السابقين الى الاسلام روى الحسن بن سفيان قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله عليه وسلم لمن عنده كيف تقاتلون فقام عاصم بن ثابت رضى الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال اذا كان القوم قريبا من مائتى ذراع كان الرمى واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة أى الملاعبة بالرماح حتى تنقصف فاذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة فقال

وأنا والله أحبكم قال ذلك ثلاثا وهذا دليل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس ويدل لذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس مرفوعا ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين وجاءت جارية يقال لها سيرين معها مزهر تختلف به بين القوم وهى تغنيهم وتقول

هل على ويحكم * ان لهوت من حرج

فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج ان شاء الله تعالى وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان من جوارى الانصار يغنيان وفى رواية يضربان بدفين فاضطجع صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فانتهرنى فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما وفى رواية قال أبو بكر بمزمور وفى رواية بمزمار وفى لفظ بمزمارة الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك مرتين وانتهرنى وكان صلى الله عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف فقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد أى لان تلك كانت أيام منى وقيل كان يوم عيد الفطر وقيل الاضحى ولا مانع من تعدد الواقعة ﴿أقول﴾ فى البخارى عن الربيع بنت معوذ أنه صلى الله عليه وسلم دخل عليها غداة بنى عليها وعندها جويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم لا تقولى هكذا وقولى ما كنت تقولين وفى حديث أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يارسول الله انى كنت نذرت ان ردك الله سالما ان أضرب بين يديك بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربى فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل عمر فالقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق منك يا عمر انى كنت جالسا وهى تضرب ودخل أبو بكر وهى تضرب فلما دخلت أنت ألقت الدف أى واذا كان الشيطان يخاف منك فما بالك بامرأة ضعيفة العقل ولا ينافى هذا أى سماعه الغناء من المرأة مع الضرب على الدف ما تقدم فى باب ما حفظ به صلى الله عليه وسلم فى صغره من أمر الجاهلية لان الدف ثم كان معه مزمار بخلافه هنا وتسمية أبى بكر رضى الله تعالى عنه الدف مزمارا لانه كان يعتقد حرمة ذلك فشبهه بالمزمار المحرم سماعه (قال بعضهم) واعلم أن السماع فى طريق القوم معروف وفى الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقال بعض آخر انه من أكبر مصايد النفوس أى والرجوع بها الى الله تعالى وقد شوهد تأثير السماع فى الحيوانات غير الناطقة بل فى الاشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غليظ الطبع وعن أبى بشر ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون ويقولون

يا أيها الضيف المعرج طارقا * لولا مررت بآل عبد الدار

لولا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من جهد ومن اقتار

صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم وشهد رضى الله عنه العقبة وبدرا وأحدا وكان بعثه فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة فيكون فى أول السنة الرابعة والرجيع اسم ماء لهذيل بن مدركة بن الياس بين مكة وعسفان وانما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لان الوقعة كانت بالقرب منه وسبب هذا أن بنى لحيان من هذيل بعد قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى مشوا الى عضل والقارة وهما

قبيلتان من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة فجعلوا لهم ابلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام وقيل انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يبعث عيونا الى مكة ليأتوه بخبر قريش فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث معهم ستة من أصحابه لالامرين جميعا وهم عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخبيب بن عدى الاوسى البدرى وزيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة وعبد الله بن طارق وخالد بن البكير وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف وأمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبى مرثد فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتى رجل فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا انا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم وقالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش و يأخذوا فى مقابلتهم مالا لعلمهم أنه لا شئ أحب الى قريش من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون به و يقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد فأبوا أن يقبلوا منهم فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضى الله عنهم وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا جبلا ورغبوا فى الحياة وفى رواية أنهم لما نزلوا بالرجيع أكلوا تمر عجوة فسقط نواه فى الارض وكانوا

أى ولم ينكر عليهم وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن التكسر فقد صحت الاخبار وتواترت الآثار بانشاد الاشعار بين يديه صلى الله عليه وسلم بالاصوات الطيبة مع الدف وبغيره وبذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف ولو فيه جلاجل لما هو سبب لاظهار السرور وعلى جواز انشاد الشعر واستماعه حيث خلا عن هجو لغير نحو فاسق متجاهر بفسقه وخلا عن تشبب بمعين من امرأة أو غلام والخلاف انما هو فى سماع الملاهى كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع صوت المرأة أو الامرد الجميل (ونقل) عن الجنيد انه قال الناس فى السماع أى سماع الآلات على ثلاثة أضرب العوام وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول مجاهداتهم والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه أبو طالب المكى وصححه السهروردى فى عوارف المعارف وفى كلام بعضهم جبلت النفوس حتى غير العاقلة على الاصغاء الى ما يحسن من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على رأس داود عليه الصلاة والسلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبى شيبة عن صفوان بن أمية وهو من المؤلفة قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب على الشقوة فلا أنال الرزق الا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء من غير فاحشة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت أى عدو الله أى يا عدو الله والله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله أما انك لو قلت بعد هذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا الا أن يقال هذا النهى ان صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه تنزيها وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم الله عليك الى آخره للمبالغة فى التنفير عن ذلك (ونزل صلى الله عليه وسلم) على أبى أيوب وقال المرء مع رحله أى بعد ان قال أى بيوت أهلنا يعنى أهل تلك المحلة من بنى النجار أقرب فقال أبو أيوب دارى هذه وقد حططنا رحلك فيها فذهبت تلك الكلمة أى التى هى المرء مع رحله مثلا وقال اذهب فهيئ لنا مقيلا فذهب فهيأ ذلك ثم جاء فقال يا نبى الله قد هيأت مقيلا فقم على بركة الله تعالى ونزل معه صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه (أقول) وفى رواية فتنازع القوم أيهم ينزل عليه أى كل يحرص على ان تكون داره له منزلا أى مقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب لاكرمهم بذلك فلما أصبح غدا حيث أمر وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم أنزل الليلة أى غد تلك الليلة ولا يخالف هذا ما قبله من قول بنى النجار هلم الينا وقوله لهم انها مأمورة لجواز ان يكون أمر بالنزول عليهم واعلم ان خصوص البقعة والمحلة من محلات بنى النجار التى ينزل بها من دارهم ما تبرك به الناقة وفيه انه يبعد مع ذلك أى مع قوله المذكور أى انه ينزل على بنى النجار سؤال غير بنى النجار فى النزول عنده الا ان يقال لعل السائلين له صلى الله عليه وسلم فى ذلك لم يبلغهم قوله المذكور أو جوزوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له فى ذلك رأى وقد أشار الى نزوله صلى الله

عليه

يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار لانهم لقلتهم غير آمنين من عدوهم من قريش وهذيل خصوصا وذلك قرب وقعة أحد وقتل سفيان ابن خالد الهذلى فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنما فرأت النوى فأنكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها وقالت قد أتيتم من قبل العدو فجاؤا فى طلبهم حين اخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل فأحاطوا بهم وقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا أن لا نقتل منكم رجلا فنزل اليهم على العهد والميثاق

خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله ابن طارق وقال عاصم بن ثابت رضى الله عنه أيها القوم أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبرهم يوم أصيبوا فحين امتنعوا من النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم عاصم بنبله حتى فنى وكان عنده سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره أى عن أن يمثلوا به بعد القتل فقتلوا عاصما وأطلقوا أوتار قسيهم فربطوا بها خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق هذا أول الغدر لا أصحبكم ان لى بهؤلاء يعنى القتلى أسوة فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وقيل مشى معهم حتى اذا كانوا بمر الظهران جذب يده وأخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة باعهما جامع وزهير الهذليان بأسيرين من هذيل بمكة وقيل انهم باعوا خبيبا بأمة سوداء والذى اشتراه بنو الحرث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف لان خبيبا هو الذى قتل عامر بن نوفل يوم بدر وبنو الحرث هؤلاء الذين اشتروه هم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما حجير بن أبى اهاب حليف بنى نوفل وقد أسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وقتل زيدا بابيه أمية وكان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى خرجت الاشهر الحرم فقتلوا زيدا وأما خبيب فكذلك مكث أسيرا حتى خرجت الاشهر الحرم ثم أجمعوا على قتله وكانوا فى أول الامر أساؤا اليه فى حبسه

عليه وسلم على بنى النجار الامام السبكى فى تائيته بقوله

نزلت على قوم بأيمن طائر * لانك ميمون السنا والنقيبة
فيا لبنى النجار من شرف به * يجرون أذيال المعالى الشريفة

وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم المذكور كان فى آخر ليلة وهو فى قباء وهو يرد قول بعضهم يشبه أن يكون ذلك فى أول قدومه صلى الله عليه وسلم من مكة قبل نزوله قباء لافى قدومه باطن المدينة فالمراد بأهل المدينة أهل قباء و يرد قول سبط ابن الجوزى لعله نزل على بنى النجار ليلة انتهى أى تلك الليلة ثم ارتحل الى بنى عمرو بن عوف أى فى قباء هذا وفى رواية عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى ملا من بنى النجار فجاؤا متقلدين سيوفهم قال أنس فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر رديفه وملا من بنى النجار حوله حتى أناخ بفناء أبى أيوب وهذه الرواية وقع فيها اختصار كبير ويقال انه صلى الله عليه وسلم عرج على عبد الله بن أبى ابن سلول وكان جالسا محتبيا وأراد النزول عليه فقال له اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يا رسول الله لا تجد فى نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه (وقد وقع له فى بعض الايام) انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو أتيت عبد الله بن أبى ابن سلول أى متألفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبى صلى الله عليه وسلم قال له اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدى والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما كذا فى البخارى وفيه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابن أبى ابن سلول وهو فى جماعة فقال ابن أبى لقد دعانا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضى الله تعالى عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه برأسه فقال له صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر أباك وكان أبى جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعنى بقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الآية ولكونه متبوعا جئ فيه بصيغة الجمع وعن الزهرى أخبرنى عروة ابن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف وأردف أسامة وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى ابن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن أبى ابن سلول فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فثار غبار من مشى الحمار فخمر ابن أبى أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل

فقال لهم ما يصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم فاحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهى ماوية مولاة حجير وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد أسلم هو وزوجه ماوية بعد ذلك رضى الله عنهما روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال قال لى خبيب وكانوا جعلوه عندى ياموهب أطلب اليك ثلاثا أن تسقينى العذب وان تجنبنى ما ذبح على النصب وان تعلمنى اذا أرادوا قتلى وقالت ماوية زوج موهب كان خبيب رضى الله عنه يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه فقلت له هل لك من حاجة قال لا الا أن تسقينى العذب ولا تطعمينى ما ذبح على النصب وتخبرينى اذا أرادوا قتلى فلما أرادوا ذلك أخبرته فوالله ما اكترث بذلك وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحرث موسى ليستحد به أى يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل عليه الصغير فأجلسه على فخذه والموسى بيده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها أتخشين أن أقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله ما كنت لاغدر قالت زينب والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا أى عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب وروت ماوية أيضا مثل ذلك وقالت وما أعلم فى الارض حبة عنب وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا قال فى المواهب وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه صلى الله عليه وسلم لتصحيح رسالته ثم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه خارجه فقال اتركونى أصلى فتركوه فصلى ركعتين قال موسى بن عقبة صلاهما فى موضع مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ثم انصرف اليهم وقال لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت وفى رواية لسجدت سجدتين أخريين ثم قال اللهم أحصهم عددا ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا أى متفرقين فلم يحل الحول ومنهم أحد حى وفى رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالارض خوفا من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حى غير ذلك الرجل الذى لبد فى الارض قيل ان ذلك الرجل هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فقد

ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذينا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشانا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعنى ابن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يارسول الله اعف عنه واصفح فوالله الذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى أنزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذى أعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم (ومكث) صلى الله عليه وسلم ببيت أبى أيوب الى ان بنى المسجد وبعض مساكنه وقد مكث فى بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة أى وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت أبى أيوب سبعة أشهر قال ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون أى غالبهم أخذا مما يأتى فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون فى دور الانصار وأموالهم انتهى وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابى امامة أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه بناه فى بعض مربد للتمر لسهل وسهيل أى يجفف فيه التمر ويرادف المربد الجرين والمسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع أو التمر للتجفيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى ذلك المسجد قال فعن أم زيد بن ثابت انها قالت رأيت أسعد بن زرارة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يصلى بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل قالت فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم وصلى بهم فى ذلك المسجد وبناه أى مع ادخال بقية ذلك المربد فهو مسجده وحينئذ لا يخالف ذلك قول الحافظ الدمياطى عن الزهرى قال بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وكان مربد السهل وسهيل وكان جدارا مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان أسعد بن زرارة بناه وكان يصلى بأصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صار يصلى فيه وفى الامتاع كان أسعد بن زرارة بنى فيه جدارا تجاه بيت المقدس كان يصلى اليه بمن أسلم قبل قدوم مصعب بن عمير ثم صلى بهم اليه مصعب هذا كلامه وتعلم ما فيه لما قدمناه فى قدوم مصعب المدينة لكن فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى مرابض الغنم قبل ان يبنى المسجد أى ولعله اتفق له ذلك فى بعض الاوقات لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلى حيث

حكى ابن اسحق عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال كنت مع أبى أى حين قتلوا خبيبا فجعل أبى يلقينى الى الارض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه قال العلامة الزرقانى ان دعوة خبيب أصابت منهم من سبق فى علمه تعالى أن يموت كافرا وأما من سبق فى علمه أن يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه وعلامة استجابة دعوته أن من هلك منهم بعد الدعوة فانما هلك بددا لانهم قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم فى أحد وبدر لان الدعوة بعدهما فنفذت الدعوة على صورتها وفى رواية أن خبيبا رضى الله عنه قال اللهم انى لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه فجاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فأخبر أصحابه بذلك وروى موسى بن عقبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم وهو جالس وعليك السلام خبيب قتلته قريش ثم أنشأ خبيب رضى الله عنه يقول

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى شق كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

لقد جمع الاحزاب فى وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

الى الله أشكو غربتى بعد كربتى
وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى

قال الزرقانى فى شرح المواهب روى أن قريشا طلبوا جماعة ممن قتل آباؤهم وأقرباؤهم ببدر فاجتمع أربعون بأيديهم الرماح والحراب وقالوا لهم هذا الرجل قتل آباءكم فطعنوه بالرماح والحراب فتحرك على الخشبة فانقلب وجهه الى الكعبة فقال الحمد لله الذى جعل وجهى نحو قبلته فلم يستطع أحد أن يحوله وقد ذكر ابن اسحق زيادة فى الشعر المتقدم وكذا الواقدى وغيره وهذا لفظهم

لقد جمع الاحزاب حولى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد * على لانى فى وثاق مضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتى ثم كربتى * وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيرونى الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناى من غير مجزع

أدركته الصلاة ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سأل أسعد بن زرارة أن يبيعه تلك البقعة التى كان من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا فانها كانت فى يده ليتيمين فى حجره وهما سهل وسهيل وقيل كانا فى حجر معاذ بن عفراء قال فى الاصل وهو الاشهر وفى المواهب أن الاول هو المرجح واليتيمان المذكوران من بنى مالك بن النجار وقيل كانا فى حجر أبى أيوب الانصارى قال بعضهم والظاهر ان الكل أى من أسعد ومعاذ وأبى أيوب كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم بنو عم فنسبا الى حجر كل (وقد عرض أبو أيوب عليه) صلى الله عليه وسلم أن يأخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين قيمتها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر أى وفى رواية فدعا الغلامين فساومهما بالمربد فقالا نهبه لك يارسول الله فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وأمر أبا بكر ان يعطيهما ذلك أى وحينئذ يكون وصفهما باليتم باعتبار ما كان وفى رواية ارسل صلى الله عليه وسلم الى ملا من بنى النجار ولعلهم من تقدم وهم أسعد ومعاذ وأبو أيوب ومعهم سهل وسهيل فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال لهم ثامنونى بحائطكم هذا أى خذوا منى ثمنه قالوا لا يارسول الله والله لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ان يأخذه الا بالثمن قال وجاء ان أسعد بن زرارة عوض اليتيمين من تلك الارض نخلا أى له فى بنى بياضة وقيل أرضاهما فيه أبو أيوب وقيل معاذ بن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من أسعد وأبى أيوب ومعاذ بن عفراء دفع للغلامين شيأ أى زيادة على العشرة دنانير فنسب ذلك لكل منهم وجاء انه كان فى تلك الارض قبور جاهلية فأمر بها صلى الله عليه وسلم فنبشت وأمر بالعظام فالقيت انتهى أى وفى رواية وأمر بالعظام ان تغيب أى وفى رواية كان فى موضع المسجد نخل وخرب أى حفر ومقابر للمشركين فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت أى وفى سيرة الحافظ الدمياطى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذى فى الحديقة أى وهى تلك الارض التى كانت مربدا أى وسمى حديقة لوجود النخل به وأمر بالغرقد الذى فيه أن يقطع أى والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه لا يدل على اليهودى اذا توارى به عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله للدجال ولجنده من اليهود فاذا توارى اليهودى بشجرة نادته يا روح الله ههنا يهودى فيأتى حتى يقف عليه فاما أن يسلم واما أن يقتل الا شجر الغرقد فانه لا يدل على اليهودى اذا توارى به فقيل له شجر اليهود لذلك قال وكان فى المربد ماء مستنجل فسيره حتى ذهب والمستنجل الذى ينشع ويظهر من الارض (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى به المسجد وجاء أنه صلى الله عليه وسلم عند الشروع فى البناء وضع لبنة ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة أى بجانب لبنته صلى الله عليه وسلم ثم دعا عمر فوضع لبنة بجانب لبنة أبى بكر ثم جاء عثمان فوضع لبنة بجانب لبنة عمر أى وقد أخرج ابن حبان لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع فى البناء حجرا وقال لابى

وما بى حذار الموت انى لميت * ولكن حذارى جحم نار ملفع   والله ما أخشى اذا مت مسلما * على أى جنب كان فى الله مضجعى
فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا انى الى الله مرجعى   قال الحافظ ابن حجر وفى هذا انشاد الشعر عند الموت وقوة نفس
خبيب وشدة قوته فى دينه وفى رواية قام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث بن عامر فقتله وقد أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان يقول
ما أنا قتلت خبيبا لانى كنت صغيرا ولكن أبا ميسرة العبدرى أخذ الحربة وجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى

بكر ضع حجرك الى جنب حجرى ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر أبى بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدى قال أبو زرعة اسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وفى رواية هؤلاء ولاة الامر بعدى قال ابن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعثمان مذكر أى ضع حجرك الى جنب حجر عمر يرد على من زعم أن هذا منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى قبورهم أى اذ لو كان اشارة الى ذلك لدفن عثمان بجانب عمر كما دفن عمر بجانب أبى بكر بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة أى لانه لا يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدى الا ذلك ومن ثم جاء فى رواية فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أمر الخلافة من بعدى وتصحيح الحاكم لما ذكر يظهر التوقف فى قول بعضهم ان هذا لم يجئ فى الصحيح الا أن يريد صحيح الشيخين وأما قوله قال البخارى فى تاريخه ان ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر وعثمان وعليا قالوا لم يستخلف النبى صلى الله عليه وسلم فقد يقال عليه معناه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند موته وذلك لا ينافى الاشارة لى وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافيه قوله هؤلاء الخلفاء بعدى لجواز أن يراد الخلافة فى العلم ثم رأيت ابن حجر الهيتمى أشار الى ذلك حيث قال فان هذا أى وضع تلك الاحجار وقوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدى مع احتماله للخلافة فى العلم والارشاد متقدم على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن نصا سالما من المعارض هذا كلامه ثم قال للناس ضعوا أى الحجارة فوضعوا ورفع بالحجارة أى قريب من ثلاثة أذرع بنى باللبن وجعل عضادتيه أى جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد وجعلت عمده وفى رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة أى كان ارتفاعه قدر قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف انتهى أى فالمراد اجعلوا سقفه يكون بحيث اذا قمت أصاب رأسى السقف أو رفعت يدى أصابت السقف والجمع بين هاتين الروايتين يدل على أن المراد ما هو قريب من ذلك بحيث لا يكون كثير الارتفاع فلا ينافى ما يأتى من أمره بجعل ارتفاعه سبعة أذرع فليتأمل وفى سيرة الحافظ الدمياطى فقيل له الا تسقفه فقال عريش كعريش موسى خشبات وثمام أى وقيل للحسن ما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العرش يعنى السقف وفى رواية لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد قال فقيل لى أى قال له جبريل عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع طولا فى السماء أى وكان سبعة أذرع بحيث يصيب رأسه ولا تزخرفه ثم الامر أعجل من ذلك أى وفيه أن هذا يقتضى أن موسى كان طوله سبعة أذرع وهو يخالف ما اشتهر ان قامة موسى كانت أربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته كذلك وقد جاء ما أمرت بتشييد المساجد أى ولعل قوله ذلك كان لما جمع الانصار مالا

وجاؤا

وبالحربة فطعنته بها حتى قتله وكان خبيب هو الذى سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة لانه فعل ذلك فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به من عمل العبد وعن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب أى طعنوه بها طعنا خفيفا وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه وقيل ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك فقال أبو سفيان رضى الله عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم بعد أن قتلوا خبيبا رضى الله عنه أبقوه على خشبته مصلوبا مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه فأرسل صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وفى رواية عمرو بن أمية الضمرى فأتوه فاذا هو رطب لم يتغير منه شئ بعد أربعين يوما فحمله الزبير على فرسه وسار فلحقهم سبعون من الكفار فقذفه الزبير فابتلعته الارض والذى أنزله من الخشبة عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه فقد روى الامام أحمد رضى الله عنه عن عمرو بن أمية قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدى عينا الى قريش فجئت خشبة خبيب بن عدى لانزله من الخشبة فصعدت خشبته ليلا فقطعت عنه وألقيته فسمعت وجبة خلفى فالتفت فلم أر خبيبا وكأنما ابتلعته الارض فلم أر له أثرا حتى الساعة ويمكن الجمع بأنه أرسله صلى الله عليه وسلم أولا ثم أرسل الزبير والمقداد فحين أنزله عن الخشبة كانا حاضرين فأخذه

الزبير الى آخر ما تقدم وبعثت قريش فى طلب عاصم بن ثابت رضى الله عنه حين بلغهم أنه قتل ليؤتوا بشئ من جسده يعرفونه به كرأسه لانه كان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر قال الحافظ ابن حجر ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن أبى معيط فان عاصما قتله على قول ابن اسحق صبرا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر وقيل الذى قتله هو على رضى الله عنه ولعلهما اشتركا فى ذلك فنسب الى كل منهما وجاء فى رواية ان عاصما لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهى أم مسافع وجلاس

وجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد زينه الى متى نصلى تحت هذا الجريد وجاء لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد وجاء من أشراط الساعة أن يتباهى الناس فى المساجد أى تزخرفها كما تزخرف اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم ولم يكن على السقف كبير طين اذ كان المطر يكف أى ينزل منه ماء المطر المخالط للطين عليهم بحيث يمتلئ أى المسجد طينا فقالوا يا رسول الله لو أمرت فطين أى جعل عليه طين كثير بحيث لا ينزل عليه المطر فقال لا عريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند بنائه عمل فيه المسلمون المهاجرون والانصار وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل فيه قال فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن أى فى ثيابه وفى رواية فى ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

اى هذا المحمول من اللبن أبر وأطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب فالحمال بالحاء المهملة بمعنى المحمول ووقع فى رواية بالجيم جمع جمل قال بعضهم وله وجه والاول أظهر ولا يحسن هذا الوجه الا اذا كانت جمال خيبر أنفس من جمال غيرها وصار يقول

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قال البلاذرى وهذا القول لامرأة من الانصار وتمامه

وعافهم من حر نار ساعره * فانها للكافر وكافره

والذى فى البخارى فاغفر للانصار والمهاجره ولعله صلى الله عليه وسلم هو الذى أخرجه عن الوزن كما هو عادته فى انشاد الشعر كما سيأتى وفى لفظ فأصلح وفى لفظ فأكرم وفى رواية للهم لا خير الا خير الآخره فارحم المهاجرين والانصاره وفى رواية فانصر الانصار والمهاجره وعن الزهرى أنه كان يقول اللهم لا خير الا خير الآخره فارحم المهاجرين والانصار لانه كان لا يقيم الشعر أى لا يأتى به موزونا ولو تمثلا وفيه انه مع قوله اللهم ان الاجر الى آخره لا يكون شعرا موزونا الا ان حذف ال من اللهم وقال لاهم وكسر همزة فارحم وحينئذ تكون المرأة من الانصار انما نطقت بذلك أى قالت لاهم الى آخره وهو صلى الله عليه وسلم هو الذى غيره ونقل عن الزهرى انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم أقف على قائله وسيأتى عن الزهرى انه من انشائه صلى الله عليه وسلم وسيأتى ما فيه وفى كلام بعضهم قال ابن شهاب يعنى الزهرى لم يبلغنا فى الاحاديث أنه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام أى موزون الا هذه الابيات قال ابن عائذ أى التى كان يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد أى وفيه ان هذا مخالف لما تقدم عن الزهرى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا الا قوله هذا الحمال فلا يحسن أن يفسر كلامه بذلك على انه تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم جعل يدور بين قتلى بدر ويقول

ابنى طلحة العبدرى وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر فى قحفه وهو ما انفلق من الجمجمة وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر أى الزنابير بعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شئ منه وفى رواية للبخارى فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيأ وفى رواية فبعث الله عليهم الدبر تطير فى وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن يقطعوا فقالوا دعوه حتى يمسى فتذهب الدبر عنه فنأخذه فبعث الله سيلا فاحتمل عاصما فذهب به وفى رواية فاحتمله السيل فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وقيل ان الله حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى أخذه المسلمون فدفنوه وكان عاصم بن ثابت رضى الله عنه قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا بمصافحة ونحوها فأعطاه الله ذلك والمراد انه قوى رجاؤه فى الله فعاهده على ذلك أو المراد أنه عاهد الله أنه لا يمكن هو مشركا من مسه أو المراد سأل الله ذلك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه فى حياته ففيه استجابة دعاء المسلم وا كرامه حيا وميتا وانما استجاب الله له فى حماية لحمه من المشركين لقوله اللهم انى حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره ولم يمنعهم من قتله لما أراد الله له من اكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه وفق ما طلب ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من حمزة ونحوه رضى الله عنهم لان المزية لا تقتضى الافضلية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية بئر معونة﴾

وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجى رضى الله عنه الى أهل بئر معونة ليدعوهم

الى الاسلام أو مدد الهم وبئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وقيل هي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين قريب منه وهو الى حرة بني سليم أقرب قال الزرقاني والظاهر انه لا تنافي لجواز أن يكون ذلك الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان وبجواره أرض بني عامر وحرة بني سليم وكانت هذه السرية في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وبعث صلى الله عليه وسلم مع المنذر المطاب السلمي رضي الله عنه ليدلهم على الطريق وكانت هذه السرية الى رعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور لنزولهم به وكان مع رعل بطن من بني سليم ومع ذكوان بطن منهم أيضا وتعرف هذه السرية أيضا بسرية القراء وكان من أمرها كما قاله ابن اسحق عن شيوخه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري واختلف في اسلامه وصحبته بعد ذلك قال الذهبي والصحيح انه لم يسلم ويعرف بملاعب الاسنة فعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وفي رواية انه أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية مشرك وعرض عليه الاسلام فقال يا محمد اني أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو انك بعثت معي نفرا من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك فانهم ان اتبعوك فما أعز أمرك وفي رواية لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك لرجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام اني أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار أي هم في ذمامي وعهدي وجواري فابعثهم فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون قال قتادة كانوا رضي الله عنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل زاد ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه وكانوا يشترون الطعام لاهل الصفة ويأتون به الى حجر أزواجه صلى الله عليه وسلم ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم خال أنس بن مالك رضي الله عنه بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي العامري وهو ابن أخي أبي براء ومات كافرا بالاجماع وليس هو عامر بن طفيل الا

نفاق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وألأما

وفي المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده أي ولذلك جاء ما أبالي ما أوتيت ان أنا قلت الشعر من قبل نفسي وفي الكشاف وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ولا دليل على منع انشاده أي الشعر موزونا متمثلا (أقول) نقل الحافظ الدمياطي عن الزهري انه كان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ من الشعر الا ماقد قيل قبله الا قوله

هذا الجمال لاجمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أي فانه من قوله وهو يخالف ما تقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهري المذكورة شئ والاصل انه لم يقل شيأ من الشعر الا ماقد قيل قبله ولم يقل ما قبله تاما أي موزونا الا قوله هذا الجمال الى آخره فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه كان لا يقيم الشعر أي لا يأتي به موزونا ولو متمثلا هو المنقول عن عائشة رضي الله تعالى عنها فقد قيل لها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بشئ من الشعر فقالت كان أبغض الحديث اليه الشعر غير أنه كان يتمثل و يجعل أوله آخره وآخره أوله أي غالبا كان يقول و يأتيك من لم تزود بالاخبار و يقول كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا أي وذلك قول سحيم بمهملة مصغرا عبد بني الحسحاس شاعر مشهور مخضرم

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * ولما غير ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضي الله تعالى عنه انما قال الشاعر كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سحيم

الحمد لله حمدا لا انقطاع له * فليس احسانه عنا بمقطوع

قال أحسن وصدق وقول الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يجري الشعر على لسانه موزونا وقد قيل له صلى الله عليه وسلم من أشعر الناس قال الذي يقول

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها وان لم تطيب طيبا

الاصل وجدت بها طيبا وان لم تطيب وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول له بأبي أنت وأمي يارسول الله ما أنت بشاعر ولا راويه والمراد بكون الشعر أبغض اليه الاتيان به والا فقد كان يسمع الشعر كما تقدم ويستنشده فقد ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء أخت صخر لامه ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه ياخناس ويومئ بيده وقد قال بعضهم أجمع أهل العلم أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ومن شعرها في أخيها المذكور

أعيني جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا
طويل النجاد عظيم الرماد * وساد عشيرته أمردا

وللجلال السيوطي كتاب سماه نزهة الجلساء في أشعار الخنساء وقولنا في قول عائشة انه كان يتمثل بالشعر ويجعل أوله آخره أي غالبا حتى لا ينافي ما جاء عنها كان يتمثل بشعر ابن رواحة * و يأتيك بالاخبار من لم تزود * وقولها ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد شعرا

الاسلمي الصحابي رضي الله عنه فلما أتى حرام بن ملحان الى عامر بن الطفيل لم ينظر في كتابه بل استمر في طغيانه حتى عدا على الرجل فقتله وفي رواية الطبري فخرج حرام فقال يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم فآمنوا بالله ورسوله فخرج رجل برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر وفي الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة قال ابن اسحق وهذا الذي طعنه هو عامر بن الطفيل وقيل انه ما مات بتلك الطعنة وانما أثخن وظنوا انه مات فقال الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه وكان مسلما يكتم اسلامه لامرأة من قومه هل لك في رجل ان صح كان نعم الراعي فضمته اليها فعالجته فسمعته يقول

أبا عامر ترجو المودة بيننا
وهل عامر الا عدو مداهن
اذا ما رجعنا ثم لم تك وقعة
بأسيافنا في عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ثم ان عامر بن الطفيل استصرخ بني عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر أبا براء أي لن ننقض عهده وذمامه لانه قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا كعب بن زيد الانصاري الخزرجي النجاري البدري رضي الله عنه فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا اصابه سهم واما عمرو بن أمية الضمري فانه أسر وأطلق قال ابن اسحق كان عمرو في سرح القوم هو ورجل من الانصار وهو المنذر بن محمد ابن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم والخيل التي أصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو ما ترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصاري لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل وأما عمرو فاسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أي الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه قال أنس بن مالك رضي الله عنه جاء خبرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام فقال

الا بيتا واحدا تفاءل لما تهوى يكن فلقلما * يقال لشئ كان الا تحققا

(وفي الخصائص الكبرى) قال المزني ولم يبلغني أنه صلى الله عليه وسلم أنشد بيتا تاما على رويه بل اما الصدر كقول لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * أو العجز كقول طرفة و يأتيك بالاخبار من لم تزود * أي وفيه ما تقدم عن عائشة وكقوله وقد أنشده أعشى بني مازن أبياتا في ذم النساء آخر تلك الابيات * وهن شر غالب لمن غلب * فجعل صلى الله عليه وسلم يقول * وهن شر غالب لمن غلب * فان أنشد بيتا كاملا غيره أي غالبا لما تقدم كبيت العباس ابن مرداس أي فانه صلى الله عليه وسلم قال يوما للعباس بن مرداس أرأيت قولك وفي لفظ أنت القائل * أصبح نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقيل له انما هو بين عيينة والاقرع فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الاقرع وعيينة فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأبي أنت وأمي يارسول الله وفي لفظ أشهد أنك رسول الله ما أنت بشاعر ولا راويه ولا ينبغي لك انما قال بين عيينة والاقرع أي أنه لا ينبغي لك أن تكون شاعرا كما قال الله ولا ينبغي لك أن تكون راويا للشعر أي بأن تأتي به على وجهه أي لا يكون شأنك ذلك مباعدة عن الشعر وكون شأنه ذلك لا ينافي وجوده منه على وجهه في بعض الاحيان فليتأمل (وعن بعضهم) ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط أي موزونا وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن المواهب لانه يجوز أن يكون هذا المنقول عن عائشة وعن المزني وعن بعضهم كان أغلب أحواله كما قدمناه في المنقول عن عائشة ثم رأيته في الامتاع أشار الى ذلك بقوله وربما أنشد صلى الله عليه وسلم البيت المستقيم في النادر وقول المواهب لا دليل على منع انشاده متمثلا أي دائما وأبدا ويدل لذلك قول الزهري انه لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الجمال الى آخره وفيه ما علمت ولا يخفى ان الشعر عرف بانه كلام عربي موزون عن قصد قال البدر الدمياطي وقولنا عن قصد يخرج ما كان وزنه اتفاقيا كآيات شريفة اتفق جريان الوزن فيها أي من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكرها الجلال السيوطي في نظمه للتلخيص وذلك كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكقوله تعالى وجفان كالجوابي وقدور راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب وككلمات شريفة نبوية جاء الوزن فيها اتفاقيا غير مقصود كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت أي بناء على تسليم انه من قوله صلى الله عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله بن رواحة أي فان ذلك مذكور في أبيات قالها في غزوة موتة وقد صدمت أصبعه فدميت وذكر بدل في سبيل الله في كتاب الله ولا مانع أن يكون ابن رواحة أدخل ذلك البيت في تلك الابيات التي صنعها كما تقدم وفي كلام ابن دحية ولا يعرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان منهوك ومشطور فالمنهوك * أنا النبي لا كذب * والمشطور * هل أنت الا أصبع دميت * وقيل البيت الواحد لا يكون شعرا على أنه قيل ان الرجز ليس

ذلك الليلة فقال هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ماصنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ومات عامر بن الطفيل بعد ذلك كافرا وقال حسان رضي الله عنه لربيعة بن عامر ملاعب الاسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء

ألا من مبلغ عني ربيعا * بما قد أحدث الحدثان بعدي

أبوك أبو الفعال أبو براء * وخالك ماجد حكم بن سعد

بني أم البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب أهل نجد

تحكم عامر بأبي براء * ليخفره وما خطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيغسل عن أبي هذه الغدرة ان ضرب عامرا ضربة أو طعنة قال نعم فرجع فضرب عامرا ضربة أشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر اقتص فقال قد عفوت ثم ان من جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر ابن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ولم يوجد جسده لان الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو ابن امية الضمري رضي الله عنه وكان أسيرا في أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل من هذا فقال هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفي هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضي الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك فقد روى ابن اسحق عن عروة بن الزبير ان عامر بن الطفيل لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع قال هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وروى ابن المبارك عن عروة أيضا قال كان الذي قتله رجلا من بني كلاب اسمه جبار بن سلمى وذكر انه لما طعنه قال فزت والله قال فقلت في نفسي ما قوله فزت فأتيت الضحاك بن سفيان فسألته فقال بالجنة قال فأسلمت ودعاني الى ذلك ما رأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء علوا قال البيهقي يحتمل انه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ثم روى عن عائشة رضي الله عنها موصولا بلفظ لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ولم يذكر فيها ثم وضع وروى ابن

من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل أي فان الاخفش احتج على ان الرجز ليس بشعر رادا على الخليل ومن تبعه القائلين بأنه من الشعر حيث قال لاحتجن عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا لو كان شعرا ما جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا كلامه قال في النور والصحيح انه شعر أي موافقة للخليل وقد علمت ان ما جرى منه على لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعرا لعدم قصده فليتأمل وقد نقل الماوردي من أئمتنا انه كما يحرم عليه قول الشعر أي انشاؤه يحرم عليه روايته أي دون انشاده متمثلا وفرق بعضهم بين الانشاد والرواية بأن الراوية يقول قال فلان كذا وأما انشاده متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه قال لما قيل له من أشعر الناس قال الذي يقول الى آخره وقال للعباس بن مرداس أنت القائل الى آخره قال ذلك البعض وكان الفرق بين الرواية والانشاد أن في قوله قال فلان فيه رفعة للقائل بسبب قوله وهذا متضمن لرفع شأن الشعر والمطلوب منه الاعراض عن الشعر من حيث كونه شعرا وفيه ان الصديق قال له عند كل من الرواية والانشاد است براويه كما تقدم وعن الخليل كان الشعر أحب اليه صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام أي وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان أبغض الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر لان المراد بالشعر الذي يحبه ما كان مشتملا على حكمة أو وصف جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه ما كان مشتملا على ما فيه هجنة أو هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الشعر الحسن أحد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا خفي عليكم شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب وفي كلام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه نعم الابيات من الشعر يقدمها الرجل في صدر حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها لؤم اللئيم والحاصل ان الحق الحقيق بالاعتماد وبه تجتمع الاقوال ان المحرم عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر أي الاتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله تعالى وما علمناه الشعر فان فرض وقوع كلام موزون منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه صلى الله عليه وسلم انه اذا أنشد بيتا من الشعر متمثلا أو مسندا لقائله لا يأتي به موزونا وربما أتى به موزونا وادعى بعض الادباء انه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر أي يأتي به موزونا قصدا ولكنه كان لا يتعاطاه أي لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا أتم وأكمل مما لو قلنا بانه كان لا يحسنه وفيه أن في ذلك تكذيبا للقرآن (وفي التهذيب للبغوي) من أئمتنا قيل كان صلى الله عليه وسلم يحسن الشعر ولا يقوله والاصح أنه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون

سعد هو فوعا ان الملائكة وارت جثته وأنزل في عليين قال الجلال السيوطي فوت الطرق ونعددت بمواراته في السماء وجبار بن سلمى صحابي رضي الله عنه ووقع في بعض الروايات أن عامر بن الطفيل هو الذي قتل عامر بن فهيرة رضي الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوز لكونه كان رأس القوم وقد مات كافرا بالاجماع كما تقدم روى ابن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أي حزن على أحد ما وجد على أهل بئر معونة

لكونه لم يرسلهم لقتال انما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بان الرسل لا تقتل ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهرا وفي رواية أربعين يوما يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحيان قال أنس رضي الله عنه وبلغ الله نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام انهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم وفي رواية فكنا نقرأ ابلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخ قال السهيلي هذا اللفظ ليس عليه رونق الاعجاز فلعله لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وانما ذكر بني لحيان وان كانوا ليسوا معهم في هذه الوقعة وانما هم في قصة أصحاب الرجيع لان الخبر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكل من الوقعتين في ليلة واحدة فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين في دعاء واحد ولهذا جمع البخاري القصتين في ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم انها قصة واحدة في موضع واحد وليس كذلك قال العلامة الزرقاني لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى اليه صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي الى رعل وذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة قال وانما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم كما أخبره بنظير ذلك في كثير من الاشياء لانه سبق في علمه تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول ذلك بمجيء أبي براء ومن جاء في طلب أصحاب الرجيع اه ﴿غزوة بني النضير﴾ هي قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم واختلف أهل السير في السنة التي كانت فيها فذهب الزهري وجماعة وجرى عليه

الموزون ثم رأيته في ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا لنفسه وماله يعرض في كلامه بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى في قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال بعضهم والحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع ان الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر التخييل بتصور الباطل في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله تعالى نبيه عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية وقد جاء التنفير عن انشاد الشعر في المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رأيتموه ينشد شعرا في المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاث مرات والاخذ بعمومه فيه من العسر ما لا يخفى وفي العرائس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من قال آدم قد قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالاثم وان محمدا والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم في النهي عن الشعر سواء وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له اعلم أن الشعر محل الاجمال واللغز والتورية أي ما رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم شيئا ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئا آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه واطال في ذلك وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة أوائل السور ولعله رضي الله تعالى عنه لا يرى أن ذلك من المتشابه أو ان المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه والله أعلم (ولما رآه صلى الله عليه وسلم) الصحابة ينقل اللبن بنفسه دأبوا في ذلك أي في نقل اللبن أي وهو المراد بالصخر في قول بعضهم وجعل أصحابه ينقلون الصخر أو المراد الصخر الذي يبني به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال قائلهم

لئن قعدنا والنبي يعمل * لذاك منا العمل المضلل

وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن رأس عمار ويقول يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال اني أريد الاجر من الله تعالى وفي رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال يا ابن سمية للناس أجر ولك أجران وآخر زادك أي من الدنيا شربة من لبن وجاء في حق عمار بن سمية ما عرض عليه أمران قط الا اختار رضي الله عنه الارشد منهما اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة وتدعوك الى النار وعمار يقول اعوذ بالله وفي رواية بالرحمن من الفتن أي وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يستمر بنقل اللبن بل نقل ذلك في بعض الاوقات وفي مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال اخبرني من هو خير مني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر لعمار حين شغل بحفر الخندق فجعل يمسح رأس عمار ويقول ابن سمية تقتلك فئة باغية وفي رواية تعيين من ابهمه أبو سعيد وهو أبو قتادة وزاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم

البخاري انها كانت بعد غزوة بدر وقيل أحد وذهب ابن اسحق الى انها كانت بعد بئر معونة ورجح المحققون من الحفاظ قوله قالوا
وكانت في ربيع من السنة الرابعة وسببها ما تقدم قريبا ان عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية الضمري لما قتل أهل بئر معونة وكان
عتقه اياه عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو الى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بني عامر ثم من بني كلاب وفي رواية
انهما من بني سليم فنزلا معه في ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو

فقال لهما عمرو ومن أنتما فذكرا له انهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن انه ظفر بثار بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة وجاء وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له لقد قتلت قتيلين لأدينهما أي أعطي ديتهما أي للجوار والعهد الذي عقده لهما ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى بني النضير ليستعين بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم فلما أتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه وقد آن لك ان تزورنا وان تأتينا اجلس تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفردا ليس معه احد من أصحابه الا نحو العشرة وكان صلى الله عليه وسلم قاعدا الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا من يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو ابن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة وفي

رواية فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان جلدة
وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وفي رواية قالوا المار أو اذلة أصحابه
نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض
للعهد الذي بيننا وبينه وفي رواية قال لهم يا قوم أطيعوني في هذه المرة وخالفوني الدهر والله ائن فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به وان هذا

لما حفر الخندق وكان الناس يحملون لبنة لبنة أي من الحجارة التي تقطع وعمار ناقه من وجع
كان به فجعل يحمل لبنتين قال لعمار يؤسالك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ثم رأيت بعضهم
قال يشبه أن يكون ذكر الخندق وهما أو قالها عند بناء المسجد وقالها يوم الخندق هذا كلامه أي
ويكون عمار بن ياسر في الخندق قد صار يحمل الحجر وكان في بناء المسجد يحمل اللبنتين وكان
عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه رجلا متنظفا متنزها فكان اذا حمل اللبنة يجافي بها
عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي
الله تعالى عنه وأنشد يقول أي مباسطة مع عثمان بن مظعون لا طعنا فيه

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

أي وكان عثمان هذا ممن جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب
عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني وذكر ابن اسحق قال سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر
عن هذا الرجز هل تمثل به علي أو أنشأه فكل يقول لا أدري فسمع ذلك الرجز عمار بن ياسر فصار
يرتجز بذلك وهو لا يدري من يعني بذلك فر يرتجز بذلك على عثمان فظن عثمان ان عمارا يقصد
التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما أعرفني بمن تعرض به لتكفن أو لأعترضن بهذه
الحديدة لحديدة كانت معه وجهك وفي لفظ والله اني أراني سأعرض هذه العصا بأنفك لعصا
كانت في يده فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب وقال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين
عيني ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار قد غضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أي ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه فقال يا رسول الله مالي ولأصحابك
قال مالك ولهم قال يريدون قتلي فيحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين أي وفي لفظ
يحملون على اللبنتين والثلاث أي ولعله حمل ثلاث لبنات في بعض الاوقات فأخذ بيده وطاف
به المسجد وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة الشعر الذي جهة القفا ويقول
يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية
يدعوهم الى الجنة أي الى سببها وهو اتباع الامام الحق لانه كان يدعو الى اتباع علي وطاعته
وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك ويدعونه الى النار أي الى سببها وهو عدم اتباع علي وطاعته
واتباع معاوية وطاعته وفيه ان تلك الفئة التي كان فيها قاتله كان فيها جمع من الصحابة وهم
معذورون بالتأويل الذي ظهر لهم الا أن يقال يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده واطلاق
البغي عليهم حينئذ باعتبار ذلك قال بعضهم وفئة معاوية وان كانت باغية لكنه بغي لا فسق فيه
لانه انما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه انتهى أي ومازاده بعضهم في الحديث لا أنالهم الله
شفاعتي يوم القيامة قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانه لم يقلها اذ لم تنقل عمن يقبل وقال الامام أبو العباس بن تيمية وهذا كذب مزيد
في الحديث لم يروه أحد من أهل العلم باسناد معروف وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عمار

نقض للعهد الذي بيننا وبينه قال ابن اسحق وأتى رسول الله الخبر من السماء مع جبريل عليه السلام بما أراد القوم فقام عليه
الصلاة والسلام مظهرا انه يقضي حاجة خوفا ان يفطنوا له فيؤذوا أصحابه ولذا ترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ثم
ان أصحابه صلى الله عليه وسلم استبطؤه فقاموا في طلبه فقال لهم حيي بن اخطب اليهودي لقد عجل أبو القاسم كنا نريد ان نقضي حاجته
ونقريه وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حيي هو المتولي أمر ذلك وكان سيد بني النضير وهو والد صفية رضي الله عنها

وفي رواية بينما بنو النضير على ارادة لقاء الحجر اذ جاء رجل من اليهود فقال ما تريدون فذكروا له الامر فقال أين محمد قالوا هذا محمد يعنون تحت الجدار فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فسقط في أيديهم أي ندموا وقالوا قد أخبر بأمرنا وفي رواية فقال لهم كنانة بن صويراء هل تدرون لم قام محمد صلى الله عليه وسلم قالوا والله ما ندري ولا تدري أنت فقال والله أخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله انه لرسول الله فأبوا ان يقبلوا قوله ولما انتهى أصحابه اليه صلى الله عليه وسلم قالوا قمت ولم نشعر فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به قال موسى بن عقبة ونزل في ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت في الاعرابي الذي اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة وأراد ان يقتله فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابي يا محمد من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال للاعرابي من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه فأسلم وجاء

 الى قومه ودعاهم الى الاسلام وقال جئتكم من عند خير الناس وقيل في سبب نزولها غير ذلك ولا مانع أن تكون
نزلت في الجميع قال ابن اسحق ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لحرب بني النضير ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية علي بن
أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين في عوالي المدينة من ناحية
قباء فنزل بهم وحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما وقيل قريبا من عشرين فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلا لهم يسمى العجوة

جلدة ما بين عيني لا يعرف له اسناد والذي في الصحيح تقتل عمارا الفئة الباغية وعن أبي العالية
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل عمار في النار ومن العجب ان أبا العالية هذا هو
القاتل لعمار يوم صفين فكان أبو العالية مع معاوية وكان عمار مع علي أي ويقول ان عمارا
لما برز للقتال قال اللهم لو أعلم رضاك عني ان أوقد نارا فأرمي نفسي فيها لفعلت أو أغرق نفسي
لفعلت واني لا أريد قتال هؤلاء الا لوجهك الكريم وأنا أرجو أن لا تخيبني وجعلت يده
ترتعش على الحربة أي لان عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين سنة أي وقد كان جيء له بلبن فضحك
فقيل له ما يضحكك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آخر شراب تشربه حين تموت
لبن وفي رواية آخر زادك من الدنيا مشيج من اللبن ثم نادى اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور
الحسان اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه ولما قتل عمار دخل عمرو بن العاص على معاوية فزعا
وقال قتل عمار فقال معاوية قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تقتل عمارا الفئة الباغية فقال له معاوية دحضت أي زلقت في بولك أنحن قتلناه انما قتله
من أخرجه وفي رواية قال له اسكت فوالله ما تزال تدحض أي تزلق في بولك انما قتله علي
وأصحابه جاؤا به حتى ألقوه بيننا وذكر أن عليا رضي الله تعالى عنه لما احتج على معاوية بقول
الله تعالى عنه بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما قتله من أخرجه من داره يعني
بذلك عليا فقال علي رضي الله تعالى عنه فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين
أخرجه ولما قتل عمار جرد خزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنه سيفه وقاتل مع علي وكان قبل ذلك
اعتزل عن الفريقين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية
فقاتل معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضي الله تعالى عنه مع معاوية وقال له يوما ولعمرو
ابن العاص كيف تقاتل عليا وعمار بن ياسر فقالا له ان عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل
ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس
الى علي أي لان ذا الكلاع كان ذووه أربعة آلاف أهل بيت وقيل عشرة آلاف وكان عبد الله
ابن بديل بن ورقاء رضي الله تعالى عنه مع علي رضي الله تعالى عنه فلما قتل عمار أخذ سيفين
ولبس درعين ولم يزل يضرب بسيفيه حتى انتهى الى معاوية فأزاله عن موقفه وأزال أصحابه
الذين كانوا معه عن موقفهم ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم قال ألا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الامر أهله ومن ليس قبله وجادل بالباطل
ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب وزين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حب
الفتنة ولبس عليهم الامر وأنتم والله على الحق على نور من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة
الجناة قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر أهله قوموا رحمكم الله ولما قتل عمار ندم ابن عمر رضي
الله تعالى عنهما على عدم نصرة علي والمقاتلة معه وقال عند موته ما أسفي على شيء ما أسفي على

وآخر يسمى اللين وكان ذلك احرق لهم لان ذلك خير أموالهم فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل وحرق بعض نخيلهم أيضا فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها أهو فساد أم اصلاح حتى ان بعض المسلمين وقع فى نفوسهم من هذا الكلام شىء تخوفوا أن يكون فعلهم ذلك فسادا وبعض المسلمين قال بل نقطع لنغيظهم بذلك والذين وقع فى نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى فاعتقدوا ان ذلك كان باجتهاد القاطعين حتى أنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين يعنى اليهود قال بعضهم واللينة أنواع التمر ما عدا العجوة والبرنى وقيل اللينة كرام النخل وقيل كل الأشجار للينها وانواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعا وقال السيد السمهودى مائة وبضع وثلاثون نوعا وكان موضع نخل بنى النضير الذى حرق بالبويرة تصغير بورة وهى الحفرة وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة الغرب قال ابن اسحق وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعثوا الى بنى النضير حين هموا بالخروج ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب فى قلوبهم فلم ينصروهم وفى ذلك نزل قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم وكان جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى وروى ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين هموا بغدره وأعلمه الله بذلك نهض الى المدينة سريعا ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه ان اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون واكتروا من اناس من أشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله بن أبى

ترك قتال الباغية قال بعضهم شهدنا صفين مع على بن أبى طالب فى ثمانمائة من أهل بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر وكان خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين كان مع على يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل لانه كان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية وفى الحديث من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله عمار يزول مع الحق حيث يزول عمار خالط الايمان لحمه ودمه عمار ما عرض عليه أمران الا اختار الارشد منهما وجاء ان عمارا دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب ان عمار بن ياسر حشى ما بين أخمص قدميه الى شحمة أذنه ايمانا وفى رواية ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وتخاصم عمار مع خالد بن الوليد فى سرية كان فيها خالد أميرا فلما جاآ اليه صلى الله عليه وسلم استبا عنده فقال خالد يا رسول الله أيسرك ان هذا العبد الاجدع يشتمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فان من سب عمارا فقد سب الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان عمارا قام مغضبا فقام خالد فتبعه حتى أخذ بثوبه واعتذر اليه فرضى عنه وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم يغلب عليه دلهة الكبر وهذا الحديث من اعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض الشحناء وأشيع عنه انه يريد أن يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن أبى وقاص وكان مريضا فقال له ويحك يا أبا اليقظان كنت فينا من أهل الخير فما الذى بلغنى عنك من السعى فى الفساد بين المسلمين والتأليب على أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا فغضب عمار ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتى هذه فقال سعد انا لله وانا اليه راجعون ويحك حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من الدين عريانا كما ولدتك أمك فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول أعوذ بربى من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال قد دله وخرف عمار وأظهر عمار القوم على ذلك قال وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب باب فى مؤخره والباب الذى كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذى يقال له الآن باب جبريل انتهى أى وهو الباب الذى كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم ويقال له باب عثمان لانه كان يلى دار عثمان وهو الذى يخرج منه الآن الى البقيع (أقول) وجعل قبلته الى بيت المقدس كان قبل أن تحول القبلة ولما حولت حولت قبلته الى الكعبة وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى رفعت لى الكعبة فوضعتها أمامها أو أؤمها أى أقصدها وفى رواية ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى ما بينى وبين الكعبة والله أعلم اى وفى كلام بعضهم ومن الفوائد الحسنة ما ذكره مغلطاى ان موضع المسجد كان ابتاعه تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بألف سنة وانه لم يزل على ملكه أى متملقا به من ذلك

العهد

لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم شىء وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيى بن اخطب فيما قاله عبد الله بن أبى فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك وكان قد نهى حييا عن فعله ذلك أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم وقال له يا حيى منتك نفسك والله يا حيى ان قول ابن أبى ليس بشىء وانما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك فأبى ولما أرسل حيى انا لا نخرج أظهر صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وقال حاربت يهود وسار اليهم عليه الصلاة والسلام فى أصحابه مشاة على أرجلهم لقرب الموضع وقيل ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فصلى العصر بفناء بنى النضير فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم واعتزلهم عبد الله بن أبى ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فقال سلام بن مشكم لحيى أين الذى زعمت قال ما أصنع ملحمة كتبت علينا وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبة من خشب عليها مسوح أرسل بها اليه سعد بن عبادة وجعلوها عند مسجد بنى خطمة ودخلها صلى الله عليه وسلم وكان عزوك اليهودى راميا فيرمى فيبلغ القبة فحولت الى مسجد الفضيخ فتباعدت من النبل ثم فقد على رضى الله عنه فى ليلة قرب العشاء فقال الناس يا رسول الله ما نرى عليا فقال دعوه فانه فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس عزوك وكان قد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين وكان شجاعا راميا فشد عليه على رضى الله عنه فقتله وفر من كان معه وبعث صلى الله عليه وسلم خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من على رضى الله عنه فقتلوهم وطرحوا رؤسهم فى بعض الآبار فيئسوا من نصرهم فقالوا نحن نخرج من بلادك فقال لا أقبله اليوم ثم قال لهم اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهى الدروع والسلاح فرضوا بذلك ونزلوا عليه فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وايدى المؤمنين يخربون باقيها فكان أهلها يخربونها

العهد على ما دل عليه كتاب تبع (أقول) سيأتى ان تبعا بنى للنبى صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة اذا قدمها ينزل فى تلك الدار وأنه يقال انها دار أبى أيوب وقد يجمع بأنه يجوز ان يكون ذلك المربد ودار أبى أيوب مجموعهما تلك الدار وان تلك الدار قسمت فكان دار أبى أيوب بعضها وذلك المربد بعضها الآخر وان الايدى تداولت سكنى تلك الدار الى ان صارت سكنا لابى أيوب وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار الملاك الى أن صارت لابى أيوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة فى الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الكتاب كما سيأتى وصل اليه فى مكة فى أول البعثة ونزوله دار أبى أيوب وأخذه المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك أى انه ذكر له أمر تلك الدار والله أعلم قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلى فى المسجد بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة أشهر ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان فى مؤخر المسجد (وفى كلام بعضهم) لما حولت القبلة لم يبق من الابواب التى كان يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا الباب الذى يقال له باب جبريل عليه السلام أى فانه بقى فى محله وأما باب الرحمة الذى كان يقال له أيضا باب عاتكة فأخر عن محله (وسبب) وضع الحصا فى المسجد ان المطر جاء ذات ليلة فأصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتى بالحصا فى ثوبه فيبسطه تحته ليصلى عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما احسن هذا وفى رواية ما احسن هذا البساط وقد يعارض هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان يحصب المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضى الله تعالى عنه (أقول) قد يقال لا معارضة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما أعجبه ذلك من فعل بعض الصحابة أمره ان يحصب جميع المسجد لان الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد الا ان يراد بالحصر ونحوها لانه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال أول من فرش الحصر فى المساجد عمر بن الخطاب وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصباء أى فى زمنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (وفى الاحياء) أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم اذ من عزيز المعروف فى زماننا فرش المساجد بالبسط الرقيقة فيها وقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة كانوا لا يرون أن يكون بينهم وبين الارض حائل هذا كلام الاحياء أى والحصباء لا تعد حائلا وسيأتى ان المسجد بنى بعد فتح خيبر وهى التى عناها خارجة رضى الله تعالى عنه بقوله لما كثر الناس قالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هى التى ادخل فيها الارض التى اشتراها عثمان رضى الله تعالى عنه من بعض الانصار بعشرة آلاف درهم ثم جاء عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتشترى منى البقعة التى اشتريتها من الانصار أى التى كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه ببيت فى الجنة أى وفى رواية أن عثمان رضى الله تعالى عنه لما حصر أى الحصرة الثانية وأشرف على الناس من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش قال أههنا على قالوا لا قال أههنا طلحة قالوا لا

هن داخلها والمؤمنون من خارجها نكالا وخزيا لهم وقيل كانوا يخربون بيوتهم بايديهم حسدا وبغضا للمسلمين ان يسكنوها بعدهم
ثم أجلاهم عن المدينة قال الله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا أى بالقتل والسبى ولهم فى الآخرة عذاب النار
أى مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل أو ان الله رأى مصلحة فى اجلائهم وان حربهم قد يؤدى الى سفك دماء المسلمين وقد يرجع
حلفاؤهم ويعينونهم وولى صلى الله عليه ٨٤ وسلم اخراجهم محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنه وحملوا النساء والصبيان
على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الاخضر والاحمر والمعصفر وحلى الذهب والفضة وأظهروا تجلدا عظيما قال ابن اسحق خرجوا بالنساء والابناء والاموال ومعهم الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم يرمثله ولم يسلم منهم الا يامين ابن عمير وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما قال وحدثنى بعض آل يامين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وماهم به فى شانى يعنى عمرو ابن جحاش الذى هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من تمر على ان يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ولحق أكثرهم بخيبر منهم حيى بن اخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع ودان لهم أهل خيبر فبقوا هنالك حتى أهلكهم الله فى غزوة خيبر كما سيأتى ان شاء الله تعالى وذهب بعضهم الى اذرعات واريحاء من أرض الشام وروى موسى بن عقبة انهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعنى أرض المحشر وهى الشام وقيل الحشر الجلاء فأول الحشر الجلاء والحشر الثانى هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا لكونهم اخوانهم وقبض صلى الله عليه وسلم ما تركوه من الاموال والدروع والسلاح فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفا وكانت أموال بنى النضير صفيا أى مختارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى خاصة به لان المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ولم يقع قتال بينهم فكانت حبسا لنوائبه صلى الله عليه وسلم فكان ينفق منها على أهله ويدخر قوت عليه

قال أنشدكم بالله الذى لا اله الا هو أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بنى فلان أى لمربد كان مجاورا للمسجد غفر الله له فابتعته بعشرين ألفا أو بخمسة وعشرين ألفا شك عثمان وتقدم انه اشتراه بعشرة آلاف درهم فلما أملى فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته فقال اجعله مسجدنا وأجره لك قالوا اللهم نعم فدكان ذلك وفى لفظ انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة ابن فلان لبقعة كانت الى جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها فى المسجد له مثلها وفى لفظ بخير له منها فى الجنة فاشتريتها ووسعتها فى المسجد فأنتم الآن تمنعونى أن أصلى فيها ركعتين أى وزاد فيه عثمان رضى الله تعالى عنه بعد ذلك زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج كما فى البخارى وعدد عثمان رضى الله تعالى عنه أشياء منها انه قال أنشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها أحد الا بثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بئر رومة يجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفى لفظ ليكون دلوه فيها كدلاء المسلمين بخير له منها فى الجنة وفى لفظ له بها مشرب فى الجنة فاشتريتها من صلب مالى فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم قال فأنتم اليوم تمنعونى ان اشرب منها بل وتمنعونى الماء ألا أحد يسقينا فانى فطر على الماء الملح وفى رواية هل فيكم من يبلغ عليا عطشنا وأبلغوه فلما بلغ ذلك عليا أرسل اليه بثلاث قرب مملوأة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالى بنى هاشم وبنى أمية أى وكانت هذه البئر ركية ليهودى يقال له رومة يقال انه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها كانت بالعقيق وتفل فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم وله بها مشرب فى الجنة فساومه فيها عثمان فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها باثنى عشر ألف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودى يوما فاذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأى اليهودى ذلك قال لعثمان أفسدت على ركيتى فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف وقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون ألف درهم وقول عثمان جعلتها للغنى والفقير وابن السبيل دليل على ان قوله دلوى فيها كدلاء المسلمين على انه لم يشترط ذلك بل قصد به التعميم فى الموقوف عليه ولا دليل فيه على جواز ان للواقف أن يشترط له الانتفاع بما وقفه كما زعمه بعضهم وكان حصار عثمان رضى الله تعالى عنه شهرين وعشرين يوما وفى كلام سبط ابن الجوزى كان الحصار الاول عشرين يوما والثانى أربعين يوما وفى يوم من تلك الايام قال وددت لو أن رجلا صادقا أخبرنى عن أمرى هذا أى من أين أوتيت فقام رجل من الانصار فقال أنا أخبرك يا أمير المؤمنين انك تطاطات لهم فركبوك وما جرأهم على ظلمك الا افراط حلمك فقال له صدقت اجلس (وأول من دخل

سنة من الشعير والتمر لازواجه وبنى عبد المطلب وما فضل جعله فى السلاح والكراع أى الخيل هذا ما ذهب اليه الامام أبو حنيفة
رضى الله عنه وجاء فى بعض الروايات انه خمسها واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله عنه فقال قسمها عليه الصلاة والسلام بين
المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم أى مشقتهم عن الانصار أى بحسب الواقع ونفس الامر وان كان الانصار يرون ذلك من أعظم النعم
قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكانوا قد قاسموهم فى الاموال ٨٥ والديار لما هاجروا وآخى بينهم صلى
الله عليه وسلم فذهب كل أنصارى بالمهاجرى الذى آخى بينه وبينه صلى الله عليه وسلم الى منزله وكفاه المؤنة ثم تنافسوا حتى آل أمرهم الى القرعة فاى أنصارى تخرج القرعة باسمه يذهب بالمهاجرى فبلغت مواساتهم الغاية القصوى رضى الله عنهم حتى ورد فى الصحيح ان سعد بن الربيع الانصارى رضى الله عنه قال لاخيه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه هلم اقسم مالى بينى وبينك نصفين ولى امرأتان انظر أعجبهما اليك أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك ثم قال دلونى على السوق وصار يبيع ويشترى حتى كان أكثر الصحابة مالا رضى الله عنه وعنهم (وروى الحاكم) عن أم العلاء رضى الله عنها قالت طار لنا عثمان ابن مظعون فى القرعة فكان فى منزلى حتى توفى رضى الله عنه قالت فكان المهاجرون فى دور الانصار واموالهم فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال بنى النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال ادع لى قومك قال ثابت الخزرج فقال صلى الله عليه وسلم الانصار كلها فدعا له الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم فى منازلهم وأموالهم وايثارهم اياهم على انفسهم ثم قال ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى منازلكم واموالكم وان احببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة رضى الله عنه يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا وقالت الانصار كلهم رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وفى رواية وأبناء أبناء الانصار رضى الله عنهم وقسم ما أفاء الله

عليه الدار) محمد بن أبى بكر تسور عليه هو وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم فاخذ بلحيته فقال له دعها يا ابن أخى فوالله لقد كان أبوك يكرمها فاستحى وخرج وفى رواية لما أخذ بلحيته هزها وقال له ما اغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبى سرح فقال له يا ابن أخى أرسل لحيتى فوالله انك لتجر لحية كانت تعز على أبيك وما كان أبوك يرضى مجالسك هذا منى فتركه وخرج ويقال انه قال له ما أريد بك أشد من قبضى على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك واستعين به ثم طعن جبينه بمشقص كان فى يده ثم ضربه بعض هؤلاء بالسيف فأتته نائلة زوج عثمان فقطع اصابع يدها الخمس * وعن ابن الماجشون عن مالك أن عثمان بعد قتله ألقى على المزبلة ثلاثة أيام وقيل اغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة أيام لا يستطيع احد ان يدفنه فلما كان الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وقيل صلى عليه أربعة وان ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما اجتازوا به للمقبرة منعوهم وقالوا والله لا يدفن فى مقابر المسلمين فدفنوه بمحل كان الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به فكان عثمان يمر به ويقول سيدفن هنا رجل صالح يتأسى به الناس فى دفن موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان وزاده فى البقيع فكان هو اول من قبر فيه وحملوه على باب وان رأسه ليقرع الباب لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفنوه عفوا قبره خوفا عليه ان ينبش واماء الاماء اللذان قتلا معه فجروهما بارجلهما وألقوهما على التلال فاكلتهما الكلاب وسبب هذه الفتنة انهم نقموا عليه امورا منها عزله لاكابر الصحابة ممن ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اوصى عمر رضى الله تعالى عنه بان يبقى على ولايته وهو ابو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه من البصرة فان عمر رضى الله تعالى عنه أوصى بان يبقى على ولايته فعزله عثمان وولى ابن خاله عبد الله بن عامر محله وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن أبى سرح وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعزل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عنها أيضا واشخصه الى المدينة وعزل سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه عن الكوفة وولى أخاه لامه الوليد ابن عقبة بن أبى معيط الذى سماه الله تعالى فاسقا بقوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وصار الناس يقولون بئس ما فعل عثمان عزل اللين الهين الورع المستجاب الدعوة وولى اخاه الخائن الفاسق المدمن للخمر ولعل مستندهم فى ذلك ما رواه الحاكم فى صحيحه من ولى رجلا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومنها انه ادخل عمه الحكم بن أبى العاص والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده الى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة أبى بكر بعد ان سأله عثمان فى ادخاله المدينة فابى فقال له عثمان عمى فقال عمك الى النار هيهات هيهات ان أغير شيأ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا رددته أبدا فلما توفى أبو بكر وولى عمر كلمه عثمان فى ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم فى لعين رسول الله

واعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار شيأ غير انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما واعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق اليهودي وكان سيفا له ذكر عندهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال للانصار ليس لاخوانكم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه واموالكم بينكم وبينهم جميعا وان شئتم امسكتم اموالكم وقسمت هذه خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من اموالنا ماشئت فنزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه جزاكم الله خيرا يا معشر الانصار فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوي

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت
بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا ان يملونا وان كان امنا
تلاقي الذي يلقون منا لملت

وكان صلى الله عليه وسلم يزرع تحت النخيل في أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ومافضل جعله في الكراع والسلاح قال ابن اسحق ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر بأسرها قال السهيلي اتفاقا وفي البخاري عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر قال قل سورة النضير قال لداودي كأنه كره تسميتها بذلك لئلا يظن انه يوم القيامة أولاجل اله فكره النسبة الى غير معلوم وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر في بني النضير وذكر الله فيها ما أصابهم من النقمة والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار صاحب الهمزية لبعض تلك القصة بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينـ * ـفق الا على السفيه الشقاء
ونهتهم ومانهت عنه قوم * فأبيد الامار والنهاء
أسلموهم لاول الحشر لا ميـ * ـعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء

﴿غزوة ذات الرقاع﴾ وتسمى غزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة واختلف فيها متى كانت وفي سبب تسميتها بذلك فقال ابن اسحق انها كانت بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى وقيل انها كانت سنة خمس ومال البخاري الى انها كانت بعد خيبر وخيبر انما كانت سنة سبع واستدل لذلك بامور منها ان هذه الغزوة حضرها أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لان

صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله فلما ولي عثمان رده الى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والانصار فانكر ذلك عليه أعيان الصحابة فكان ذلك من أكبر الاسباب على القيام عليه واعتذر عثمان عن ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وهو في مرض موته قال فشهدت عند أبي بكر فقال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لي عمر كذلك فلما صار الامر الي قضيت بعلمي أي واما عزله لابي موسى فان جنده له شكوا منه فعزله خوف الفتنة ومنها انه جاء الى عثمان أهل مصر يشكون من ولاه عليهم وهو ابن أبي سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه وقد عزل عمرو بن العاص عنا ورده بذا بان عزله لعمرو انما كان لكثرة شكايتهم منه وابن أبي سرح أسلم بعد الفتح وحسن حاله ووجدوه لسياسة الامر أقوى من عمرو بن العاص وعزله للمغيرة بانه انهى اليه فيه انه ارتشى فرأى المصلحة في عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن أبي سرح رجلا منهم فعادوا الى عثمان وكلموا أكابر الصحابة كعلي وطلحة بن عبيد الله فقالوا اعزله عنهم فانهم يسألونك رجلا مكانه فقال لهم عثمان يختارون رجلا أوليه عليهم فاختاروا محمد بن أبي بكر فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة من التابعين لينظروا بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح فلما كان محمد بن أبي بكر ومن معه على مسيرة ثلاثة مراحل من المدينة فاذا هم بغلام أسود على بعير فقالوا له ما قضيتك فقال لهم انا غلام أمير المؤمنين أرسلني الى عامل مصر فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعني محمد بن أبي بكر فقال ماهذا أريد فلما أخبر ذلك الرجل محمد بن أبي بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من المهاجرين والانصار أنت غلام من فصار تارة يقول غلام أمير المؤمنين وتارة يقول غلام مروان فعرفه رجل من القوم وقال هذا غلام عثمان فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا معه كتاب من عثمان الى ابن أبي سرح في قصبة من رصاص في جوف الاداوة في الماء ففتح الكتاب بحضرة جميع من معه فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وفي رواية انظر فلانا وفلانا اذا قدموا عليك فاضرب اعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا منهم نفر من الصحابة ونفر من التابعين وفي رواية اذبح محمد بن أبي بكر واحش جلده تبنا وكن على عملك حتى يأتيك كتابي فلما قرؤا الكتاب فزعوا ورجعوا الى المدينة وقرئ الكتاب على جميع من بالمدينة من الصحابة والتابعين فما منهم أحد الا واغتم لذلك فدخل عليه علي مع جماعة من أهل بدر ومعه الكتاب والغلام فقالوا له هذا الغلام غلامك قال نعم قالوا والبعير بعيرك قال نعم قالوا افانت كتبت هذا الكتاب فقال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به فقال له علي والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتابك عليه ختمك وأنت لا تعلم به فحلف بالله ما أمرت بهذا الكتاب ولا وجهت هذا الغلام الى مصر فعرفوا أنه خط مروان لا عثمان

وهو انما جاء بعد فتح خيبر وقال الغزالي انها آخر الغزوات وغلطه ابن الصلاح وانتصر بعضهم للغزالي بأن مراده آخر الغزوات التي صلى فيها صلاة الخوف ونازع بعضهم في ذلك وسبب تسميتها بذات الرقاع انهم رقعوا فيها راياتهم وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل ان الارض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل لان خيلهم كان بها سواد وبياض وقيل لها لانهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها لانهم فعلوا بعضها منفردين عن النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها معه فأشبه ذلك اصلاح خال الثوب برقعه قال السهيلي واصح الاقوال كلها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر أي من الاشعريين بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري أي من الحفاء فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ماقاله ابن اسحق قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان فحارب وسعد ابنا عم وسبب ذلك انه عليه الصلاة والسلام بلغه انهم جمعوا جموعا لمحاربته صلى الله عليه وسلم فاخبر أصحابه وأمرهم بالتجهز ثم خرج في أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنه وسار الى ان وصل الى موضع يسمى وادي الشقرة وبث السرايا فرجعوا اليه من الليل وأخبروه انهم لم يروا أحدا فسار حتى نزل نخلا وهو موضع من نجد من أراضي غطفان فلم يجد في مجالسهم الا نسوة فأخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرقوا في رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا لمحاربة جيش النبي صلى الله عليه وسلم فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض واخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف في صلاة العصر ولم يكن بينه وبين القوم حرب وألقى الله في قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم (وفي هذه الغزوة) نزل صلى الله عليه وسلم ليلا في شعب استقبله

لان عثمان لا يخاف باطلا وفي رواية الخط خط كاتبي والخاتم خاتمي وفي رواية انطلق الغلام بغير أمري وأخذ الجمل بغير علمي قالوا افانقش خاتمك قال نقش عليه مروان فسألوه ان يدفع لهم مروان وكان مروان عنده في الدار فابى فخرجوا من عنده غضابا وقالوا لا يبرأ عثمان الا أن يدفع الينا مروان حتى نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان عثمان أمر به عزلناه وان كان مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون في أمر مروان فابى عثمان ان يخرج اليهم مروان خوفا عليه من القتل فحوصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الماء ونحو ما تقدم وذكر ابن الجوزي انه لما دخل المصريون على عثمان رضي الله عنه والمصحف في حجره يقرأ فيه فمدوا اليه أيديهم فديده فضربت فسال الدم وقيل وقعت قطرة على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت المفصل هذا كلامه أي وهذا من اعلام النبوة فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال الذهبي انه حديث موضوع أي قوله فيه وانت تقرأ الى آخره وروى انه لما حوصر قال والله مازنيت في جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لي بديني بدلا منذ هداني الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلونني وقال يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم لا تقتلوني انكم ان قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه وقال معدد النعم الله تعالى عليه ماوضعت يدي على فرجي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا ان لا يكون عندي شئ فاعتقها بعد ذلك (قال بعضهم) وجملة من أعتقه عثمان ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا (وذكر) انه رأى في الليلة التي قتل في يومها المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر في المنام وقالوا له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما أصبح دعا بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن لبسها قبل ذلك في الجاهلية ولا في الاسلام خوفا ان يطلع على عورته عند قتله وكان من جملة ما انتقم به على عثمان رضي الله تعالى عنه انه اعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية واعطى الحرث عشر ما يباع في السوق أي سوق المدينة وانه جاء اليه ابو موسى بكيلة ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وانه أنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره وانه حمى لنفسه دون ابل الصدقة وانه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس عطاء وأبي بن كعب ونفى أبا ذر الى الربذة وأشخص عبادة بن الصامت من الشأم لما شكاه معاوية وضرب عمار بن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الى بعض الجبال وقال لعبد الرحمن بن عوف انك منافق وانه اقطع أكثر أراضي بيت المال وان لا يشتري أحد قبل وكيله وان لا تسير سفينة في البحر الا في تجارته وانه أحرق المصحف التي فيها القرآن وانه أتم الصلاة بمنى ولم يقصرها لما ج بالناس وانه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان (وقد أجاب) عن ذلك كله في الصواعق فراجعه ومارواه الزبير بن بكار عن

وكانت تلك الليلة ذات ريح فقال صلى الله عليه وسلم بعد نزوله من يكلؤنا فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن
يا رسول الله فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر رضى الله عنهما أنا أكفيك أول الليل وتكفينى أنت آخره فنام عمار
وقام عباد رضى الله عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتى أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتبع الجيش
وحلف لا ينثنى حتى يصيب محمدا أو يوثق ٨٨ فى أصحاب محمد دما فلما اقترب من الشعب رأى سواد عباد فقال هذه ربابة القوم

ففوق سهما فوضعه فى عباد فانتزعه
فرماه بآخر فانتزعه أيضا فرماه
بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال
لعمار اجلس فجلس عمار فلما رأى
المشرك عمارا جالسا علم انه قد
نذر به فهرب فقال عمار لعباد أى
أخى ما منعك ان توقظنى له فى أول
سهم رماك به فقال كنت أقرأ فى
سورة يعنى سورة الكهف
فكرهت أن أقطعها وفى رواية
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
شخصين من أصحابه يقال لهما عباد
ابن بشر من الانصار وعمار بن
ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو
فرمى أحدهما أى وهو عباد بن بشر
بسهم فاصابه ونزفه الدم وهو يصلى
ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد
ومضى فى صلاته ثم رماه بثان
وثالث وهو يصلى ولم يقطع صلاته
وقد قال عباد معتذرا عن ترك
ايقاظ صاحبه لوانى خشيت أن
أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما انصرفت
ولو أتى على نفسى (وفى هذه
الغزوة) أيضا وقعت قصة الرجل
الذى اخترط سيفه صلى الله عليه
وسلم وهو نائم تحت الشجرة وقد
تقدمت قريبا استطرادا عند
ذكر عزم بنى النضير على الغدر به
صلى الله عليه وسلم واسم الرجل
غورث وقيل دعثور وقيل انهما

قصتان لرجلين فى غزوتين هذه وغزوة أمر وتقدم أيضا ان ذلك الرجل أسلم وأسلم قومه باسلامه ثم رجع صلى الله واعروساه
عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة رضى الله عنه بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين ﴿غزوة
بدر الاخيرة﴾ وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها فهى صغرى بالنسبة للتى وقع فيها القتال وهى الكبرى وتسمى
هذه أيضا بدر الموعد للمواعدة عليها مع أبى سفيان يوم أحد وتسمى بدرا الثالثة وكانت فى شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول ابن

أنس من انه صلى الله عليه وسلم لم يعمل اللبن ولم يبن به المسجد الا بعد أربع سنين من الهجرة
رأيت ما يرده فى تاريخ المدينة ونصه ما روى عن أنس واه أو مؤول والمعروف خلافه والله
أعلم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بنى مسجدى
هذا الى صنعاء كان مسجدى قال بعضهم ان صح هذا كان من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أى
لانه وسع بعد ذلك أى وسعه المهدى وذلك فى سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المأمون فى سنة ثنتين
ومائتين وبه يرد القول بان المضاعفة خاصة بالموجود حين الاشارة أى لكن المحافظة على الصلاة
فيما كان فى عهده صلى الله عليه وسلم اولى قال وبنى حجرتين لعائشة وسودة أى بناهما مجاورتين
للمسجد وملاصقتين له على طرز بناء المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد
أى وقدم رجل من أهل اليمامة عند الشروع فى بناء المسجد يقال له طلق من بنى حنيفة فعنه
رضى الله تعالى عنه قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبنى مسجده والمسلمون
يعملون معه فيه وكنت صاحب علاج الطين فأخذت المسحاة وخلطت بها الطين فقال لى
يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أحسن صنعته وقال لى الزم انت هذا الشغل
فانى اراك تحسنه وفى لفظ ان هذا الحنفى لصاحب طين وفى لفظ قربوا اليمانى من الطين فانه
احسنكم له مسكا وأشدكم منكبا وفى لفظ دعوا الحنفى والطين فانه من اصنعكم للطين وارسل
وهو فى بيت أبى أيوب زيد بن حارثة وابا رافع مكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ليأتيا
بأهله أى والخمسمائة أخذها من أبى بكر ليشتريا بها ما يحتاجان اليه فاشترى بها زيد ثلاثة
أبعرة وارسل معهما أبو بكر رضى الله تعالى عنه عبد الله بن الاريقط دليلا أى ببعيرين أو ثلاثة
فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتيه صلى الله عليه وسلم وسودة زوجته وأم أيمن حاضنته صلى الله عليه
وسلم زوج زيد بن حارثة وابنها اسامة بن زيد فاسامة اخو أيمن لامه وكان اسامة حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابن حبه وابن حاضنته عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أسامة عثر يوما
فى أسكفة الباب فشج وجهه فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أميطى عنه قالت عائشة
فكأنى تقذرته أى لانه كان أسود أفطس فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه يعنى الدم
ثم يمجه (وأما بنته صلى الله عليه وسلم) زينب التى هى أكبر بناته فكانت مع زوجها ابن خالتها
أبى العاص بن الربيع فمنعها من الهجرة وسيأتى أنها هاجرت بعد ذلك قبله وتركته على شركه
وبعد ان اسر فى بدر وأطلق وأمره صلى الله عليه وسلم بأن يخلى سبيلها ففعل ثم لما أسلم ردها
اليه (وأما بنته) رقية فتقدم انها هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان وخرج مع فاطمة ومن
ذكر معها عبد الله بن أبى بكر ومعه عيال أبى بكر فيهم زوجته أم رومان وعائشة واختها
اسماء زوج الزبير أى وهى حامل بابنها عبد الله بن الزبير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها
انها كانت هى وأمها على بعير فى محفة فنفر البعير قالت فصارت أمى تقول وابنتاه واعروساه
فمسك البعير وسلم الله وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها لما صارت أمى تقول

اسحق قال ابن اسحق لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة
ورجبا ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد أبى سفيان وقيل كانت فى ذى القعدة وميعاد أبى سفيان هو ما سبق ان أبا سفيان قال يوم أحد
الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستعمل على المدينة ٨٩ عبد الله بن رواحة الخزرجى رضى الله عنه

وحمل اللواء على بن أبى طالب
رضى الله عنه وخرج أبو سفيان
فى قريش وهم ألفان ومعهم
خمسون فرسا حتى نزل موضعا
قريبا من مر الظهران وقيل نزل
عسفان ثم بدا له الرجوع وكان
قدد بر ذلك فى نفسه وهو بمكة لما
ألقى الله فى قلبه من الرعب روى
ان نعيم بن مسعود الاشجعى قدم
مكة فأخبر قريشا بتهيؤ المسلمين
لحربهم فكره أبو سفيان الخروج
وجعل لنعيم عشرين بعيرا على ان
يذهب الى المسلمين ويخذلهم
وضمنها له سهيل بن عمرو وحمله
على بعير فقدم نعيم المدينة وارجف
المسلمين بكثرة العدو حتى قذف
فى قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية
فى الخروج حتى خشى عليه
الصلاة والسلام ان لا يخرج معه
أحد فجاءه العمران أى أبو بكر وعمر
رضى الله عنهما فقالا ان الله مظهر
دينه ومعز نبيه وقد وعدنا القوم
موعدا لا نحب ان نتخلف عنه
فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم
فوالله ان فى ذلك لخيرا ان شاء الله
فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وقال
والذى نفسى بيده لاخرجن وان لم
يخرج معى أحد فأذهب الله عن
المسلمين ما كان الشيطان ارعبهم
به وقال أبو سفيان لقريش قد
بعثنا نعيما يخذل أصحاب محمد عن

 الخروج وهو جاهد فى تخذيلهم لكن نخرج فنسير ليلة او ليلتين ثم نرجع فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا
لانه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فلما أراد الرجوع قال
يا معشر قريش لا يصلحكم أى لا يريحكم ويزيل عنكم مشقة السفر الا عام ذو خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم
هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأما النبى

واعروساه وابنتاه سمعت قائلا يقول ارسلى خطامه فأرسلت خطامه فوقف باذن الله وسلمنا
الله وأم رومان ولدت لابى بكر عائشة وعبد الرحمن رضى الله عنهم وكانت قبل أبى بكر تحت عبد
الله بن الحرث فولدت له الطفيل قال صلى الله عليه وسلم فى حقها من يسره ان ينظر الى امرأة
من الحور العين فلينظر الى أم رومان وتوفيت فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت سنة
ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبرها وقال اللهم انه لم يخف عليك
ما لاقت أم رومان فيك وفى رسولك صلى الله عليه وسلم وعورض القول بموتها فى حياة رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما فى البخارى عن مسروق قال سألت أم رومان وهى أم عائشة رضى
الله تعالى عنهما ومسروق ولد بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وما فى البخارى
حديث صحيح مقدم على ما ذكره أهل السير من موتها فى حياته صلى الله عليه وسلم وفى البخارى
عن أسماء فنزلت بقباء فولدته بها يعنى ولدها عبد الله بن الزبير ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة أى بتلك التمرة ففى المواهب وحنكه بها ثم دعا له وبرك عليه
وهو أول مولود ولد فى الاسلام أى للمهاجرين وفيه ان أسماء انما قدمت المدينة أى الى قباء بعد
تحوله صلى الله عليه وسلم من قباء ويدل له قول بعضهم قدم آل أبى بكر من مكة وهو صلى الله عليه
وسلم يبنى مسجده وأنزلهم أبو بكر فى السنح الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جاء
الى قباء بعد ذلك فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل على أن عبد الله بن الزبير ولد فى السنة الاولى
لا فى الثانية كما قاله الواحدى وتبعه غيره فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به
المسلمون فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود وهذا ربما يؤيد
القول الثانى الا أن يقال يجوز أن يكون عبد الله مكث فى بطنها المدة المذكورة فقد ذكر أن
مالكا رضى الله تعالى عنه مكث فى بطن أمه سنتين وكذا الضحاك بن مزاحم التابعى مكث
فى بطن أمه سنتين وفى المحاضرات للجلال السيوطى ان مالكا مكث فى بطن أمه ثلاث سنين
وأخبر سيدنا مالك ان جارة له ولدت ثلاثة أولاد فى اثنتى عشرة سنة بحمل أربع سنين وحينئذ
يجوز أن تكون سيدتنا أسماء جاءت الى قباء فولدت سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه
وسلم الى قباء فى ذلك اليوم وقد سماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه أبا بكر بكنية جده
الصديق رضى الله تعالى عنه وروى أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع أو ثمان
سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمره والده الزبير بذلك فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبايعه وكون آل أبى بكر نزلوا عند مجيئهم المدينة فى السنح لا ينافى كون اسماء
نزلت بقباء وولدت بها لانه يجوز أن يكون نزول اسماء فى السنح بعد نزولها فى قباء قصد الراحتها
لكونها كانت حاملا حتى وضعت والسياق المتقدم يدل على ذلك وكون عبد الله بن الزبير أول
مولود ولد فى الاسلام للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أول مولود ولد

صلى الله عليه وسلم بخروج على الموعد هو وأصحابه وسمع الناس بمسيره وذهب صيته الى كل جانب وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لابى سفيان والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأونا قد اخلفناهم وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان لميعاده وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله فى ذلك الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود ان الناس وهو أبو سفيان وأصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقيل ان قوله الذين استجابوا الى أجر عظيم انما نزلت فى شأن حمراء الاسد وهو خروجهم فى أثر قريش بعد وقعة أحد وهذا هو الصحيح وقوله الذين قال لهم الناس الخ نزلت فى غزوة بدر الصغرى ولا مانع ان يكون صدر الآية مشيرا الى الامرين والله سبحانه وتعالى أعلم

غزوة دومة الجندل

وهى مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا عظيما يظلمون من مر بهم وانهم يريدون ان يدنوا من المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وكان صلى الله عليه وسلم يسير الليل ويكمن النهار فلما دنا منهم قال له مذكور العذرى رضى الله عنه وكان هو الدليل مع النبى صلى الله عليه وسلم اقم لى حتى أطلع لك على سوائم القوم فانها ترعى هنا فخرج العذرى فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فى فاخبره فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجهة وجاء الخبر أهل دومة فاصابهم الرعب فتفرقوا فرقا من المنهزم وبارز عبد صلى الله عليه وسلم ونزل بساحتهم فلم يلق بها أحدا فاقام بها أياما وبعث السرايا وفرقها فرجعوا سالمين وأصابوا رجلا من القوم فجاؤا به للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله عنهم فقال هربوا حين علموا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فاسلم

للمهاجرين بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق ان النجاشى ولد له مولود يوم ولد عبد الله هذا فارسل الى جعفر يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشى ابنه عبد الله وأرضعته اسماء بنت عميس مع ابنها عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك الاخوة من الرضاع (وأول مولود ولد) للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل النعمان بن بشير وذكر ان أم اسماء قدمت المدينة وهى مشركة على اسماء بهدية فخبتها اسماء وردت عليها هديتها فسألت عائشة رضى الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأمر اسماء ان تؤوى أمها وتقبل هديتها قيل وفى ذلك وفى ارسال عبد الرحمن بن أبى بكر وهو بمكة على دينه قبل ان يسلم الى أبيه يسأله النفقة فابى أبوه ان ينفق عليه انزل الله الاذن فى الانفاق على الكفار وقال أبو أيوب الانصارى لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى اسفل البيت وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى انى اكره واعظم ان اكون فى العلو وتكون تحتى فاظهر انت وكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا أيوب ارفق بنا اى السفل ارفق بنا وبمن يغشانا أى وفى لفظ ان ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت قال أبو أيوب فانكسر حب لنا فيه ماء والحب بضم الحاء المهملة الجرة الكبيرة فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ فيؤذيه ولم أزل أتضرع للنبى صلى الله عليه وسلم حتى تحول فى العلو أى وفى رواية عن أبى أيوب قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت فى العلو فلما خلوت الى أم أيوب فقلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينتثر التراب عليه من وطء أقدامنا وتنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحى وفى رواية ينزل عليه القرآن ويأتيه جبريل فما بت تلك الليلة أنا ولا أم أيوب فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم يا أبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا ينزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحى والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا أى وعن افلح مولى أبى أيوب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل اسفل وأبو أيوب فى العلو انتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال نمشى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فباتا فى جانب فلما أصبح الحديث (وعند نزوله) صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب صارت تأتى اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة كل ليلة أى وكانت جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه فقد جاء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة جفنة من ثريد أى عليه لحم أو خبز فى لبن أو فى سمن أو فى عسل أو بخل وزيت فى كل يوم تدور معه أينما دار مع نسائه وصار وهو فى بيت أبى أيوب يأتى اليه الطعام من غيرهما أى فقد جاء وما كان من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبى أيوب أى وفى لفظ وجعل بنو النجار يتناوبون فى حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه

غزوة المريسيع

ورجع النبى صلى الله عليه وسلم ودخل المدينة فى عشرين من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم

وهو ماء لبنى خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم وتسمى غزوة بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة وكانت فى شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحرث بن أبى ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها وقد أسلم لما جاء فى فدائها كما سيأتى سار فى قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيؤا للمسير معه وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله عنه ليعلم حالهم الذى هم عليه واستأذن النبى صلى الله عليه وسلم ان يقول فاذن له فاتاهم ولقى الحرث ابن أبى ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا له من الرجل قال منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل فاسير فى قومى ومن أطاعنى فنكون يدا واحدة حتى نستأصله قال الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا فقال لهم بريدة اركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومى فسروا بذلك ورجع هو الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرهم فندب صلى الله عليه وسلم الناس وخرج مسرعا فى جمع كثير وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزوة قط مثل خروجهم فى هذه الغزوة وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون من الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للانصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر الغفارى وقيل نميلة بن عبد الله الليثى رضى الله عنهم وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما وأصاب صلى الله عليه وسلم فى طريقه عينا أى جاسوسا للمشركين فسأله عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فابى فامر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فضرب عنقه وبلغ الحرث ومن معه مسيره صلى الله عليه وسلم وانه قتل جاسوسه فسىء بذلك الخبر هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين لابى بكر رضى الله عنه وقيل لعمار بن ياسر رضى الله عنه وراية الانصار لسعد بن عبادة رضى الله عنه وأمر عمر فنادى فى الناس قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم

فى منزل أبى أيوب رضى الله تعالى عنه وهو تسعة أشهر وأول طعام جىء به اليه صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب قصعة أم زيد بن ثابت فمن زيد بن ثابت أول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب قصعة ارسلتنى بها أمى اليه فيها ثريد خبز بسمن ولبن فوضعتها بين يديه وقلت يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمى فقال له بارك الله فيها أى وفى رواية بارك الله فيك ودعا أصحابه فاكلوا قال زيد فلم أرم الباب أى أبرحه حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم أى بفتح العين عظم عليه لحم فان أخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقد جاء كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفاء (ولما بنى المسجد) جعل فى المسجد محلا مظللا يأوى اليه المساكين يسمى الصفة وكان أهله يسمون أهل الصفة وكان صلى الله عليه وسلم فى وقت العشاء يفرقهم على أصحابه ويتعشى معه منهم طائفة وظاهر السياق ان ذلك أى المحل فعل فى زمن بناء المسجد واوى اليه المساكين من حينئذ لكن روى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى انزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم أصحاب الصفة وكان يجالسهم ويأنس بهم أى وكان اذا صلى أتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة (أقول) ذكر ان المسجد كان اذا جاءت العتمة يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الدارى المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد واوقدت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك أما والله لو كان لى ابنة لانكحتكها اهـ هذا وفى كلام بعضهم أول من جعل فى المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها أى المساجد وأول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانه لما جمع الناس على أبى ابن كعب فى صلاة التراويح علق القناديل فلما رآها على تزهر قال نورت مساجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الدارى ثم رأيت فى أسد الغابة عن سراج غلام تميم الدارى قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن خمسة غلمان لتميم الدارى فامرنى يعنى سيده فأسرجت المسجد بقنديل فيه زيت وكانوا لا يسرجون فيه الا بسعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرج مسجدنا فقال تميم غلامى هذا فقال ما اسمه فقال فتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اسمه سراج فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا وعن بعضهم قال أمرنى المأمون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح فى المساجد فلم أدر ما أكتب لانه شئ لم أسبق اليه فاريت فى المنام اكتب فان فيها انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغى ان يكون ذلك كتزويق المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله أعلم قال وذكر ابن اسحق فى كتاب المبدا وقصص

فابى المشركون أن يقولوها فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم أحد فقتلوا
عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء وكانت الابل ألفى بعير والشاء
خمسة آلاف شاة وكان السبى مائتى بيت ولم يقتل من المسلمين الارجل واحد وهو هشام بن صبابة أصابه رجل من رهط عبادة بن
الصامت رضى الله عنه خطأ وكان من جملة ٩٢ السبى جويرية بنت الحرث فاختص بها النبى صلى الله عليه وسلم وأعتقها وتزوج
بها وخرج الخبر الى الناس ان النبى
صلى الله عليه وسلم تزوج بها فقال
الناس اصهار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فارسلوا ما بايديهم قالت
عائشة رضى الله عنها فما أعلم امرأة
كانت أعظم بركة على قومها منها
رضى الله عنها وقيل انها طلبت
قومها من النبى صلى الله عليه وسلم
ليلة دخوله بها فوهبهم لها وهذا
لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا
انه تزوجها أطلقوا الاسرى فكان
ذلك زيادة اكرام من الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم حتى لا يسأل
أحدا منهم فى ذلك بشئ أو مجانا
ثم هدى الله أكثرهم للاسلام وجاء
ان جويرية رضى الله عنها قالت
رأيت قبل قدوم النبى صلى الله عليه
وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير
من يثرب حتى وقع فى حجرى
فكرهت ان أخبر بها أحدا من
الناس حتى قدم صلى الله عليه وسلم
فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما أعتقنى
وتزوجنى ما شعرت الا بجارية
من بنات عمى تخبرنى بفك الاسرى
فحمدت الله تعالى وجاء ان بعض
الاسرى انما أطلقوا بفداء ولعل
هذا قبل التزوج بها رضى الله عنها
وجاء عن جويرية رضى الله عنها
انها قالت لما أتانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن على المريسيع
سمعت أبى يقول أتانا ما لا قبل لنا به
فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة فلما أسلمت وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت ارى فعلمت انه رعب من الله يلقيه فى قلوب المشركين ثم ان اباها الحرث قدم على النبى
صلى الله عليه وسلم المدينة بعد رجوعه يريد فداء ابنته وفكاكها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التى يريد ان يفدى ابنته بها فرغب فى
بعيرين منها كانا من أفضلها فاعقبهما فى شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتى وهذا
فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا فقال الحرث أشهد أن لا اله الا الله
وانك رسول الله والله ما اطلع على ذلك أحد الا الله وقيل انه أسلم قبل ذلك وهذا اظهار لاسلامه ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يخير ابنته باسلامه فقالت له أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحى قومك يعنى بالرق فقالت اخترت الله ورسوله فرضى
أبوها بذلك وفى هذه الغزوة نزلت آية التيمم ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ٩٣ قالت خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم
فى بعض أسفاره قال ابن عبد البر
هى غزوة بنى المصطلق قالت حتى
اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش
انقطع عقد لى فاقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام
الناس معه وليسوا على ماء وليس
معهم ماء فاتى الناس الى أبى بكر
رضى الله عنه فقالوا الا ترى
ما صنعت عائشة رضى الله عنها
أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس وليسوا على ماء وليس
معهم ماء فجاء أبو بكر رضى الله
عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
واضع رأسه على فخذى قد نام فقال
حبست رسول الله صلى الله عليه
وسلم والناس وليسوا على ماء وليس
معهم ماء قالت عائشة رضى الله
عنها فعاتبنى أبو بكر رضى الله عنه
وقال ما شاء الله أن يقول وجعل
يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى
من التحرك الا مكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم على فخذى فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أصبح على غير ماء فانزل الله آية
التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير
رضى الله عنه ما هى باول بركتكم
يا آل أبى بكر قالت فبعثنا البعير
فاصبنا العقد تحته وفى رواية قال
اسيد لها جزاك الله خيرا ما نزل بك
أمر تكرهينه الا جعل الله لك
منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا
وقال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال لها أبو بكر رضى الله عنه والله يا بنتى انك كما علمت مباركة وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك فيكون
العقد قد سقط مرتين وقد اختلف أئمة السير اختلافا كثيرا هل كان ذلك فى غزوة واحدة أو غزوتين فقيل فى غزوة واحدة وهى
غزوة بنى المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا هل قصة آية التيمم أسبق أم قصة الافك واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول
أسيد بن حضير رضى الله عنه ما هى باول بركتكم يا آل أبى بكر أى بل مسبوقة بغيرها من البركات فهو يشعر بان هذه القصة

الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان تبع بن حسان الحميرى وهو تبع الاول أى الذى ملك الارض
كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرئيس لانه رأس الناس بما
أوسعهم من العطاء وقسم فيهم من الغنائم وكان أول من غنم ولما عمد الى البيت يريد تخريبه
رمى بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا وانتن حتى لا يستطيع أحد ان يدنو منه قيد رمح كما تقدم
وتقدم انه بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك اجتاز بيثرب وكان فى ركابه مائة ألف وثلاثون ألفا
من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة فأخبر ان أربعمائة رجل من أتباعه
من الحكماء والعلماء تبايعوا ان لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى ذلك فقالوا ان شرف
البيت انما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج منها فبنى فيها لكل واحد
منهم دارا واشترى له جارية وأعتقها وزوجها منه واعطاهم عطاء جزيلا وكتب كتابا وختمه
ودفعه الى عالم عظيم منهم وأمره ان يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه وفى
ذلك الكتاب انه آمن به وعلى دينه وبنى داراله صلى الله عليه وسلم ينزلها اذا قدم تلك البلد ويقال
انها دار أبى أيوب أى كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذى دفع اليه الكتاب أى فهو صلى الله
عليه وسلم لم ينزل الا داره أى على ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أى دعا الى
الاسلام ارسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى أبا ليلى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له أنت أبو ليلى الذى معك كتاب تبع الاول فقال له أبو ليلى من أنت قال أنا محمد هات
الكتاب فلما قرأه أى قرئ عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب أما بعد يا محمد فانى آمنت
بك وبربك ورب كل شئ وبكل ما جاءك من ربك من شرائع الاسلام والايمان وانى قلت ذلك
فان أدركتك فبها ونعمت وان لم أدركك فاشفع لى يوم القيامة ولا تنسنى فانى من أصل الاولين
وبايعتك قبل مجيئك وقبل أن يرسلك الله وأنا على ملتك وملة ابراهيم وختم الكتاب وتلا أى
قرأ عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فقد قرأ هذا قبل نزوله
وكتب عنوان الكتاب الى محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين من تبع
الاول حمير أمانة الله فى يد من وقع هذا الكتاب فى يده الى أن يدفعه الى صاحبه ودفعه الى رأس
العلماء المذكورين ثم وصل الكتاب المذكور الى النبى صلى الله عليه وسلم على يد بعض ولد العالم
المذكور حين هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى يدل على أن ذلك كان فى أول
البعثة وبعد قراءة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات
وكان بين تبع هذا أى بين قوله انه آمن به وعلى دينه وبين مولد النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة
سواء أى وتقدم أنه ابتاع المحل الذى بناه داراله قبل مبعثه بألف سنة فليتأمل ويقال ان الاوس
والخزرج من أولاد أولئك العلماء والحكماء اه (أقول) قد علمت ان نزوله صلى الله عليه وسلم دار
أبى أيوب على الوجه المتقدم وأخذه المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب اليه أول
البعثة أو بين مكة والمدينة وهو مهاجر الى المدينة يبعد هذا وفيه أيضا ان الذى فى التنوير لابن
دحية

دحية ان هذا تبع الاوسط وأنه الذى كسا البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة وأراد
خرابها انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبى اسمه محمد أى فقد ذكر بعضهم ان تبعا اراد تخريب
المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة الملك اجل
من ان يستخفه غضب وامره أعظم من ان يضيق عنا حلمه أو نحرم صفحه مع ان هذه البلدة
مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب الى
ان هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال ان الكتاب كان عند أبى أيوب الانصارى
وكان ذلك قبل مبعثه بسبعمائة عام وفى التنوير أيضا ان ابن أبى الدنيا ذكر انه حفر قبر بصنعاء
قبل الاسلام فوجد فيه امرأتان لم يبليا وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا
قبر فلانة وفلانة ابنتى تبع ماتتا وهما يشهدان أن لا اله الا الله ولا يشركان به وعلى ذلك مات
الصالحون قبلهما وجاء لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا وفى رواية لا تسبوا تبعا الحميرى فانه اول
من كسا الكعبة قال السهيلى وكذا تبع الاول كان مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال شعرا
ينبئ فيه بمبعثه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وكانت المدينة فى الجاهلية معروفة بالوباء أى
الحمى وكان اذا أشرف على واديها أحد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوباء وفى لفظ كان اذا دخلها
غريب فى الجاهلية يقال له ان أردت السلامة من الوباء فانهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك سلم
وفى حياة الحيوان كانوا فى الجاهلية اذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار أى نهقوا عشرة
أصوات فى طلق واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان ذلك يمنعهم من الوباء ولما قدم صلى
الله عليه وسلم المدينة وجد أهلها من أخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين الآية
فأحسنوا الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وأصحابه أصابت أصحابه الحمى
وفى لفظ استوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق أمزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا
حتى كانوا يصلون من قعود فرآهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا أن صلاة القاعد على النصف
من صلاة القائم فتجشموا المشقة وصلوا قياما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها قدمنا المدينة
وهى أوبأ أرض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى أراك
هكذا قالت بابى أنت وأمى هذه الحمى وسبتها فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شئت
علمتك كلمات اذا قلتهن أذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمنى قال قولى اللهم ارحم جلدى الرقيق
وعظمى الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعى الرأس
ولا تنتنى الفم ولا تأكلى اللحم ولا تشربى الدم وتحولى عنى الى من اتخذ مع الله الها آخر
فقالتها فذهبت عنها وعن على رضى الله تعالى عنه لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاصابنا
بها وعك أى حمى ومن جملة من اصابته الحمى سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه ومولياه عامر
ابن فهيرة وبلال أى وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى أنشد

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

كانت بعد قصة الافك وبعضهم أخر قصة الافك عنها والقائلون بان ضياع العقد كان في غزوتين قالوا أمره في غزوة ذات الرقاع ومرة في غزوة بني المصطلق واستدل كل قائل بادلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك في غزوة بني المصطلق قطعا والاختلاف انما هو في قصة التيمم هل هي في تلك الغزوة وبه جزم ابن عبد البر وجماعة أو في غزوة ذات الرقاع أو غيرها وبه جزم آخرون والله أعلم وحاصل قصة الافك مارواه البخاري ومسلم ٩٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فانا أحمل في هودجي وأنزل فيه حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق الله يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي ابن سلول فانه كان أول من أشاعه في العسكر لانه كان ينزل مع جماعة من المنافقين مبتعدين من الناس فمر رنا عليه فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفي لفظ ما برئت منه وما برئ منها وفي رواية قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم

أي وهذا من شعر حنظلة بن يسار بناء على الصحيح ان الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس من شعر أبي بكر فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان أبا بكر لم يقل شعرا في الاسلام أي ولا في الجاهلية كما في رواية عنها والله ماقال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الاسلام أي لم ينشئه حتى مات أي وهذا بما ينافي ما في الينبوع ليس عمل الشعر مرذلة فقد كان الصديق وعمر وعلي رضوان الله تعالى عليهم يقولون الشعر وعلي كرم الله وجهه أشعر من أبي بكر وعمر وما تقدم عن عائشة معارض بظاهر ماروي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

الا أن يحمل قولها على أنها لم تسمع ذلك منه بناء على أن ذلك من انشاء الصديق وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته أي صوته يقول منشدا وقال في مكة

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء وأراد بلال بالوادي وادي مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة أي وفي رواية وهل يبدون لي عامر وطفيل وعامر أيضا جبل من جبال مكة وفي شرح البخاري للخطابي كنت أحسب شامة وطفيلا جبلين حتى مررت بهما فاذا هما عينان من ماء هذا كلامه وقد يقال يجوز أن تكون العينان بقرب الجبلين المذكورين فاطلق اسم كل منهما على الآخر ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهي عن لعن المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح الا ان علم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب دون الكافر الحي لانه يحتمل ان يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها واما اللعن على الوصف كلعن الكافر فجائز أو ان ذلك محمول في ذلك على الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لا على الطرد عن رحمة الله تعالى الذي هو حقيقة اللعن وكان كل من أبي بكر وعامر وبلال في بيت واحد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فاذا بهم مالا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم أي وقالت لابيها يا أبت كيف أصبحت فانشدها الشعر المتقدم قالت فقلت انا لله ان أبي ليهذي قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال

اني وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

قالت فقلت هذا والله لا يدري ما يقول قالت ثم قلت لبلال كيف أصبحت فاذا هو لا يعقل وفي رواية وانشدها البيتين قالت وذكرت حالهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقلت انهم يهذون ولا يعقلون من شدة الحمى أي وهذا السياق يخالف ما في السيرة الهشامية ان الصديق رضي

باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم بها لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عروة بن الزبير أخبرت ان حديث الافك كان يشاع ويتحدث به عند ابن أبي فيقره ويستمعه ويستوشيه وقال عروة أيضا لم يسم من أهل الافك الا حسان بن ثابت رضي الله عنه ومسطح بن اثاثة رضي الله عنه وحمنة بنت جحش رضي الله عنها في ناس آخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم وكانت عائشة رضي الله عنها ٩٥ تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة رضي الله عنها فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الافك لا أشعر بشيء من ذلك ويريبني في وجعي اني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم علي ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا أي موضع قضاء حاجتنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر العرب الاول في البرية أي في الخروج اليها قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي سلمى ابنة رهم بن المطلب ابن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أي هنتاه أي يا هذه أولم تسمعي ما قال قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها ما قال فاخبرتني بقول أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيتهما فقلت لامي ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها قالت فقلت

الله تعالى عنه لما قدم المدينة أخذته الحمى هو وعامر بن فهيرة وبلال الآن يقال لا مخالفة لانه يجوز انها أخذتهم أولا وأقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة أو ان عائشة استأذنته في ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها الا انها كانت معقودا عليها ولعل الصديق كان في غير بيت أم عائشة والذي في تاريخ الازرقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوا بها فعاد النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقال كيف تجدك فانشده ما تقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فانشده ما تقدم ثم دخل على عامر بن فهيرة فقال كيف تجدك يا عامر فانشده ما تقدم ولا مانع من التعدد فليتأمل وحين ذكرت عائشة رضي الله تعالى عنها له ذلك نظر الى السماء أي لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد وفي رواية وأشد وبارك لنا في مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباءها الى مهيعة أي الجحفة كما في رواية وهي قرية قريبة من رابغ محل احرام من يجيء من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهود ودعاؤه صلى الله عليه وسلم ان يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء في حديث ان عائشة رضي الله تعالى عنها سألت رجلا بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر من أوصافها الحسنة ما غرغرت منه عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفي رواية دع القلوب تقر (أقول) ودعاؤه صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى كان في آخر الامر واما عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة تخير بين الطاعون والحمى أي بقائها فامسك الحمى بالمدينة وأرسل الطاعون الى الشام كما جاء في بعض الاحاديث أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون الى الشام وقولنا أي بقائها لما قد يتوهم من الحديث ان الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم اليها وانما اختار الحمى على الطاعون لانه كان حينئذ في قلة من أصحابه فاختار بقاء الحمى لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج للجهاد وأذن له في القتال ووجد الحمى تضعف أجساد الذين يقاتلون دعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله تعالى بعد ان كانت بخلاف ذلك كذا قيل فليتأمل فانه يقتضي ان الحمى لما انتقلت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وهو الموافق لما يأتي عن الخصائص وحين نقلت الحمى الى الجحفة صارت الجحفة لا يدخلها أحد الا حم بل قيل اذا مر بها الطائر حم واستشكل حينئذ جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بما فيه ضرر وأجيب بان الحمى انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز أو قبله حين التوقيت بها كذا قيل فليتأمل (وعنه صلى الله عليه وسلم) قال رأيت أي في النوم امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فأولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيعة وفي الخصائص الصغرى للسيوطي وصرف الحمى عنها يعني المدينة أول

سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى قالت ودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه واسامة بن زيد حين استلبث الوحى أى طال لبث نزوله يسألهما
ويستشيرهما فى فراق أهله قالت فاما اسامة بن زيد رضى الله عنهما فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله
وبالذى يعلم لهم فى نفسه فقال اسامة هم ٩٦ أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما على رضى الله عنه فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك

والنساء سواها كثير وسل الجارية
أى التى كانت تخدم عائشة
تصدقك قالت فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى
بريرة هل رأيت من شئ يريبك
قالت له بريرة رضى الله عنها والذى
بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا قط
أغمصه غير انها جارية حديثة
السن تنام عن عجين اهلها فتأتى
الداجن أى الشاة فتأكله قالت
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يومه فاستعذر من عبد الله بن
أبى وهو على المنبر فقال يا معشر
المسلمين من يعذرنى من رجل قد
بلغنى عنه أذاه فى أهلى والله ما علمت
على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا
رجلا يعنى صفوان بن المعطل
رضى الله عنه ما علمت عليه الا خيرا
وما يدخل على أهلى الا معى فقام
سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال
انا يا رسول الله اعذرك منه فان
كان من الاوس قبيلتنا ضربت
عنقه وان كان من اخواننا من
الخزرج امرتنا ففعلنا فيه أمرك
قالت عائشة رضى الله عنها فقام
سعد بن عبادة رضى الله عنه وهو
سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ
كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر
على قتله ولو كان من رهطك
ما أحببت ان يقتل فقام اسيد بن
حضير وكان ابن عم سعد بن معاذ

فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه أى ولو كان من الخزرج اذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فانك من
منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم
يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها فبكيت يومى ذلك
لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم حتى انى لاظن ان البكاء

ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما أتاه جبريل بالحمى والطاعون أمسك الحمى بالمدينة وأرسل
الطاعون الى الشام ولما عادت الحمى الى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم اياها لم تستطع
ان تأتى أحدا من أهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستأذنته فيمن يبعثها اليه فأرسلها الى الانصار
فقد جاء ان الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت أنا أم ملدم وفى رواية أنا
الحمى أبرى اللحم وأشرب الدم قال لا مرحبا بك ولا أهلا وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه
وسلم نهى عائشة عن سبها فقالت له امضى الى أحب قومك أو أحب أصحابك اليك فقال اذهبى
للانصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا له ادع لنا بالشفاء فقال ان شئتم دعوت الله عز وجل
يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فاسقطت ذنوبكم وفى رواية كانت لكم طهورا فقالوا بلى
دعها يا رسول الله ولعل هذا كان لطائفة من الانصار فلا ينافى ما جاء ان الانصار لما شكوا له
الحمى وقد مكثت عليهم ستة أيام بلياليها دعا لهم بالشفاء وصار صلى الله عليه وسلم يدخل دارا دارا
وبيتا بيتا يدعو لهم بالعافية وهذا الذى فى الخصائص يدل على ان الحمى لما ذهبت الى الجحفة
لم يبق منها بقية بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم والذى
نقله هو عن الحافظ ابن حجر ان الحمى كانت تصيب من أقام بالمدينة من أهلها او غيرهم فارتفعت
بالدعاء عن أهلها الا النادر ومن لا يألف هواها وقد جاء ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم
يوما كانت له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والذى رواه الامام أحمد وابن
حبان فى صحيحه عن جابر استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت
أم ملدم فأمر بها الى أهل قباء فلقوا ما لا يعلمه الا الله تعالى فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال
ان شئتم دعوت الله تعالى ليكشفها وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا أو يفعل قال نعم قالوا فدعها
والله أعلم (ثم دعا صلى الله عليه وسلم) بقوله اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة
وفى رواية واجعل مع البركة بركتين وجاء انهم شكوا اليه صلى الله عليه وسلم سرعة فناء طعامهم
فقال لهم فوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قيل معناه تصغير الارغفة ودعا للغنم كانت ترعى بالمدينة
فقال اللهم اجعل نصف أكراشها مثل ملئها فى غيرها من البلاد أى ولعل الدعاء بذلك ليس
خاصا بتلك الاغنام الموجودة فى زمنه صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما ذكره السيوطى فى
الخصائص الصغرى مما اختصت به المدينة أن غبارها يطفئ الجذام ونصف اكراش الغنم فيها
مثل ملئها فى غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكما صينت المدينة عن الطاعون بارساله
الى الشام صينت عن الدجال روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم على أنقاب المدينة أى على أبوابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال
وفى رواية لها أى المدينة سبعة أبواب على كل باب ملك فان قيل كيف مدحت المدينة بعدم
دخول الطاعون وكيف أرسله صلى الله عليه وسلم الى الشام مع انه شهادة وأجيب بأنه انما أرسله
الى الشام لما تقدم وصينت عنه بعد انتفاء ما تقدم لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع

فالق كبدى فبينا أبواى جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى قالت فبينا نحن على
ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه
فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة
فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا ٩٧ اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى

رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته
قلص دمعى حتى ما أحس منه
قطرة فقلت لابى أجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنى فقال أبى
والله ما أدرى ما أقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت لامى
أجيبى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما قال قالت أمى والله ما أدرى
ما أقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت وأنا جارية حديثة
السن لا أقرأ من القرآن كثيرا انى
والله لقد علمت لقد سمعتم هذا
الحديث حتى استقر فى أنفسكم
وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة
لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بامر
والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى
فوالله لا أجد لى ولكم مثلا الا أبا
يوسف عليه السلام حين قال فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون
ثم تحولت فاضطجعت على فراشى
وأنا أعلم أنى حينئذ بريئة وأن الله
مبرئى ولكن والله ما ظننت أن الله
تعالى منزل فى شأنى وحيا يتلى
ولشأنى فى نفسى كان أحقر من
أن يتكلم الله فى بامر ولكن
كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى
الله بها وعند ذلك قال أبو بكر رضى
الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب
دخل عليهم ما دخل على والله
ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث

١٣ سيره ثانى لا يعبد الله فيقال لنا فى الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا قالت عائشة رضى الله عنها فوالله ما قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحى فاخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحى من البرحاء بسبب
شدة ثقل الوحى حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو فى يوم شات قالت فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك
فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة أما الله فقد برأك أى بما أوحاه الى من القرآن قالت فقالت لى أمى قومى اليه صلى الله عليه

من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها فى زمن من الازمنة بخلاف مكة فانه وجد
بها فى بعض السنين وهى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ويقال انه وقع فى سنة تسع وثلاثين بعد
الالف لما هدم السيل الكعبة أى الجانب الذى جهة الحجر قال بعضهم فمن حين انهدم وجد
الطاعون بمكة واستمر الى ان أقاموا الاخشاب موضع المنهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع
الطاعون كذا أخبر بعض الثقات من أهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون فى المدينة
فى زمن من الازمنة يخالفه قول بعضهم وفى السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون فى المدينة
أفنى الخلق وهو أول طاعون وقع فى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع بأرض
فلا تخرجوا منها وان سمعتم به فى أرض فلا تقربوها ويروى أنه لما قدم صلى الله عليه وسلم
المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنها الوباء ثلاثا أى وفيه أن هذا قد يخالف
ما سبق من أن هذا كان فى آخرة الامر لا عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الا أن يحمل على
ان قدومه صلى الله عليه وسلم كان من سفر لا للهجرة (وفى الحديث) سيأتى على الناس زمان
يلتمسون فيه الرخاء فيحملون بأهليهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يلبث فيها أحد
فيصبر للأوائها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيامة شهيدا او شفيعا وفى مسلم لا يصبر على
لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتى الا وكنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا أى شفيعا للعاصى
وشهيدا للطائع واللأواء بالمد الجوع وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فانى أشفع لمن يموت بها الا يريد أحد أهل المدينة بسوء
الا أذابه الله تعالى ذوب الملح فى الماء وفى رواية أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى
الماء لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد أى وفى رواية فى
مسلم تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة وتقدم أن هذا ليس عاما فى الازمنة ولا فى
الاشخاص وفى رواية مكة والمدينة ينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد من أخاف أهل
المدينة ظلما أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة
صرفا ولا عدلا أى وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه فى اباحة المدينة
فى وقعة الحرة ورد بأنه لا دلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام انما هو فيه وانما يدل
على جواز لعنه بالوصف وهو من أخاف أهل المدينة وليس الكلام فيه والفرق بين المقامين
واضح كما علمت (وجاء) أهل المدينة جيرانى وحقيق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر
من حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال أى وهى
عصارة أهل النار وفى لفظ من أخاف هذا الحى من الانصار فقد أخاف ما بين هذين ووضع
يده على جنبيه وقيل لها طيبة لطيب العيش بها ولان للعطر أى الطيب بها رائحة لا توجد فيه
فى غيرها (ومن خصائصها) ان ترابها شفاء من الجذام كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من
كل داء وعجوتها شفاء من السم أى وفى الحديث تخرب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة

وسلم فقالت لا والله لا أقوم اليه فانى لا أحمد الا الله عزوجل الذى برأنى قالت وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين وأقيم الحد على من أقيم عليه كمسطح وحسان وحمنة رضى الله عنهم قال السهيلى ان من نسب عائشة رضى الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لان ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفى الخصائص للسيوطى من قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم 98 فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة رضى الله عنها وحضر بعض الشيعة فى مجلس الحسن بن يزيد الرفاعى وكان من عظماء أهل طبرستان فذكر الشيعى عائشة رضى الله عنها ونسب اليها شيأ من القبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنقه وكان عنده بعض العلويين فاراد أن يمنعه من قتله وقال هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهى الطاهرة المبرأة ياغلام اضرب عنق هذا الكافر يعنى الشيعى الذى تكلم فى عائشة رضى الله عنها فضرب عنقه وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة رضى الله عنه لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة رضى الله عنها ماقال فانزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضى الله عنه بلى والله انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وكفر عن يمينه وروى الطبرانى والنسائى أنه أضعف له النفقة ﴿لطيفة﴾ وهى ان المقرى منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول

لا تقطعن عادة برولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه

فان أمر الافك من مسطح * يحط أمر النجم من أفقه

وان خرابها يكون من الجوع وان خراب اليمن يكون من الجراد أى وقد دعا صلى الله عليه وسلم على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد واقتل كباره واهلك صغاره واقطع دابره وخذ بأفواهها عن مواشينا وأرزاقنا انك سميع الدعاء وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بأول الثمر فيقول اللهم بارك لنا فى مدينتنا وفى ثمارها وفى مدنا وفى صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة وانى عبدك ونبيك أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ثم بنى صلى الله عليه وسلم بقية الحجر التسع عند الحاجة اليها أى وهذا هو الموافق لما سبق ان بعضها بنى مع المسجد وهى حجرة سودة وحجرة عائشة رضى الله تعالى عنهما كما تقدم وفى كلام أئمتنا ان بيوته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة وأكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل يقتضى أنها بنيت كلها فى السنة الاولى من الهجرة حيث قال وفيها أى السنة الاولى بنى مسجده صلى الله عليه وسلم ومساكنه أى وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين فى كل أرض ليست لاحد وفيما وهبته له الانصار من خططها وأقام قوم منهم ممن لم يمكنه البناء بقباء عند من نزلوا عليه بها قال عبد الله بن زيد الهذلى رأيت بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك أى بعد موت أزواجه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ بادخالها فى المسجد فما رأيت أكثر باكيا من ذلك اليوم أى وكانت تسعة أربعة مبنية باللبن أى وسقفها من جريد النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد أى غير بيت أم سلمة فانها جعلت حجرتها بناء وكان صلى الله عليه وسلم فى غزوة دومة الجندل فلما قدم دخل عليها أول نسائه فقال لها ما هذا البنيان قالت أردت ان أكف أبصار الناس فقال صلى الله عليه وسلم ان شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم البنيان وعن على رضى الله تعالى عنه ان لله بقاعا تسمى المنتقمات فاذا اكتسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الماء والطين ثم لا يمتعه به أى وكانت تلك الحجر التى من الجريد مغشاة من خارج بمسوح الشعر وخمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر بها على أبوابها ستور من مسوح الشعر أى وهى التى يقال لها البلانس ذرع الستر فوجد ثلاثة أذرع فى ذراع هذا وفى كلام السهيلى كانت مساكنه صلى الله عليه وسلم مبنية من جريد عليه طين وبعضها من حجارة موضوعة وسقوفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه الصلاة والسلام أكسية من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا كلامه قال بعضهم وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرون ما رضى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الارض بيده أى فان ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فى البنيان وجاء أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض طرق المدينة فرأى فيه مشرعة فقال ماهذه قالوا هذه لرجل من الانصار فجاء ذلك الرجل فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه فعل ذلك مرارا فأعلم بالقصة فهدمها الرجل وعن الحسن البصرى قال كنت وأنا مراهق

ادخل

وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه

فكتب اليه والده يقول

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه * لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه * لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه

قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها عن أمرى فقال لها ماذا علمت أو رأيت فقالت يارسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت عليها 99 الا خيرا قالت عائشة رضى الله عنها وهى التى كانت تساميني أى تضاهيني وتفاخرني بجمالها من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها ولما بلغ صفوان بن المعطل رضى الله عنه ما قاله الناس قال سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى انه كان حصورا أى عنينا وان معه مثل الهدبة ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضى الله عنه ويكفى شهادة الله له ولعائشة رضى الله عنها بالبراءة بقوله فى ختم تلك الآيات أولئك أى صفوان وعائشة مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿وفى هذه الغزوة﴾ قال عبد الله ابن أبى ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وسبب ذلك ان رجلا من المهاجرين اسمه جهجاه بن مسعود كان أجيرا لعمر رضى الله عنه ويقود له فرسه انطلق ليملأ قربا للنبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فوجد الناس يزدحمون على الماء فامر الناس بالامساك ليملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فنازعه رجل من الانصار وكان أجيرا لعبد الله بن أبى فتنازعا فضرب المهاجرى الانصارى فقال الانصارى ياللانصار وقال المهاجرى ياللمهاجرين وأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادوا ان يقتتلوا فاسمع الله رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ماهذا فاخبروه فقال دعوها فانها منتنة يعنى دعوى الجاهلية وقال عبد الله بن أبى أوقد فعلوا أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقال لجماعة من أصحابه آويتموهم وقاسمتموهم أموالكم ويصنعون بكم هكذا وفى رواية أنه قال والله ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا أى غلبونا وكاثرونا فى بلادنا وأنكروا ملتنا والله ما أعدنا ى

أدخل بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدى أى لان الحسن البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب يقينا وكان ابن المولاة لام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت أم سلمة تخرجه للصحابة يباركون عليه وأخرجته الى عمر رضى الله تعالى عنه فدعا له بقوله اللهم فقهه فى الدين وحببه الى الناس وكان والده من جملة السبى الذى سباه خالد فى خلافة الصديق من الفرس وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لان عمره كان قبل أن يخرج على من المدينة الى الكوفة وذلك بعد قتل عثمان أربع عشرة سنة قيل له يا أبا سعيد انك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال لذلك السائل كل شئ سمعتنى أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر عليا أى خوفا من الحجاج وقد أخرج له عن على جماعة من الحفاظ كالترمذى والنسائى والحاكم والدارقطنى وأبو نعيم ما بين حسن وصحيح وبه يرد قول من أنكر أنه لم يسمع من على لان المثبت مقدم على النافى أو هو محمول على أنه لم يسمع من على بعد خروج على من المدينة قال بعضهم وتلك الفصاحة التى كانت عند الحسن والحكمة من قطرات ابن شربها من ثدى أم المؤمنين أم سلمة رضى الله تعالى عنها اذ ان أمه ربما غابت فيبكى فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به الى أن تجئ أمه فربما در عليه ثديها فشربه قال بعضهم كان الحسن البصرى أجمل أهل البصرة وفى كلام ابن كثير كان الحسن البصرى شكلا ضخما طوالا هذا كلامه وكان اذا أقبل كأنه أقبل من دفن حميمه واذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق الا له وعن الواقدى كان لحارثة ابن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهذا يخالف ما تقدم عن الاصل من ان مساكنه بنيت فى السنة الاولى ومات عثمان بن مظعون وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وأمر صلى الله عليه وسلم أن يرش قبره بالماء ووضع حجرا عند رأس القبر أى بعد أن أمر رجلا أن يأتيه بحجر فأخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله ووضعه فى المحل المذكور وقال أعلم به قبر أخى وأدفن اليه من مات من أهلى أى ومن ثم دفن ولده ابراهيم عند رجليه (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدى عثمان بن مظعون أى وفى الاستيعاب أنه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل وكفن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا معارضة بينه وبين خبر عائشة رضى الله تعالى عنها السابق كما لا يخفى وجعل النساء يبكين فجعل عمر يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وقالت

اطلننا يعني معاشر الانصار وقريش الا كما قال الاول أي الاقدمون في أمثالهم سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت أني سأموت قبل ان أسمع هاتفا يهتف بما سمعت والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا لاصحابه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا أي الناس عنه فسمع مقالته زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وشاع كلام ابن أبي بين الناس فقال له بعض الانصار انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى فلم يزل لوابه حتى رضي وذهب معهم الى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر وحلف انه ما قال ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره ظاهرا اتقاء له كما كانت عادته صلى الله عليه وسلم مع المنافقين ثم أنزل الله تكذيبا لابن أبي وتصديقا لزيد بن أرقم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن أرقم رضي الله عنه يا ذا الاذن الواعية ان الله صدق مقالتك وتلا صلى الله عليه وسلم الآيات فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله دعني أضرب عنق ابن أبي فانه رأس المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى في حق عمر رضي الله عنه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون وجاء في رواية عن عمر رضي الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبي ما كان جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في شجرة أي ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره أي يكبسه فقلت يا رسول الله كأنك تشتكي ظهرك فقال تقحمت بي الناقة فقلت يا رسول الله ائذن لي أن أضرب عنق ابن أبي أو مر محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث

امرأته وهي خولة بنت حكيم وقيل أم العلاء الانصارية وكان نزل عليها وقيل أم خارجة بن زيد طبت هنيئا لك الجنة أبا السائب فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال وما يدريك فقالت يا رسول الله فارسك وصاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يفعل بي فاشفق الناس على عثمان وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان خولة بنت حكيم دخلت عليها وهي متشوشة الخاطر فقالت لها عائشة ما بالك قالت زوجي تعني عثمان بن مظعون يقوم الليل ويصوم النهار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة فذكرت له ذلك فلقي عثمان فقال له يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا أما لك بي اسوة والله ان أخشاكم لله وحدوده لانا أي وسماه السلف الصالح فقال عند دفن ولده ابراهيم الحق بسلفنا الصالح وقال عند دفن بنته زينب الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ومات أسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه ووجد أي حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا عليه وكان نقيبا لبني النجار فلم يجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبا بعده أي بعد ان قالوا له اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم وقال لهم أنتم أخوالي وأنا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم أي ووهم ابن منده وأبو نعيم في قولهما ان أبا امامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه صلى الله عليه وسلم كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة أي وقد قيل ان قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مات البراء بن معرور فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو وأصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت وهي أول صلاة صليت على الميت في الاسلام بناء على ان المراد بالصلاة حقيقتها والا جاز أن يراد بالصلاة الدعاء ويوافق ذلك قول الامتاع لم أجد في شئ من كتب السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان بن مظعون وقد مات في السنة الثانية وكذلك أسعد بن زرارة مات في السنة الاولى ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود أي بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير أي صالحهم على ترك الحرب والاذى أي أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وأن لا يعينوا عليه أحدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وقد ذكر في الاصل صورة الكتاب وآخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك وهي دار أبي طلحة زوج أم أنس أي واسمه زيد بن سهل وقد ركب الصرغاز بالمفات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة أيام فدفنوه بها ولم يتغير وعن أنس رضي الله تعالى عنه ان أبا طلحة لم يكن يكثر من الصوم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما مات صلى الله عليه وسلم سرد الصوم وكانت المؤاخاة بعد بناء المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وفي لفظ دون القرابة فقال تآخوا في الله

الناس بأن محمدا يقتل أصحابه وفي رواية قال عمر يا رسول الله ان كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال صلى الله عليه وسلم لا آمر ولكن ائذن بالرحيل وكان ذلك في ساعة لم يكن يرحل فيها أي لشدة الحر ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أراد اطفاء الشر وخشي من اتساع الامر بين المهاجرين والانصار فارتحل الناس (وجاء) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أي قال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال يا نبي الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت ترحل في مثلها أي لانه كان لا يرحل الا اذا برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أنت والله تخرجه ان شئت وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا بحيث صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها أي مارق من جلد أسفل بطنها وساروا يومهم ذلك وليلتهم وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس وكان لعبد الله بن أبي ابن يسمى الحباب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله يوم موت أبيه وكان مؤمنا صادقا رضي الله عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغته مقالة عمر رضي الله عنه من قتل أبيه فقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني أباه فيما بلغك عنه فان كنت تريده فمرني أنا أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فأقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وفي رواية فمرني فوالله لاحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا واني لاخشى يا رسول الله ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان أنظر قاتل أبي يمشي في الناس فاقتله فادخل النار وعفوك أفضل ومنك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسن صحبته ما كان بين أظهرنا ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادي

أخوين أخوين ﴿أقول﴾ ذكر ابن الجوزي عن زيد بن أبي أوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول أين فلان أين فلان فلم يزل يتفقدهم ويبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال اني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الآية الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس واني أصطفي منكم من أحب ان أصطفيه وأواخي بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته قم يا أبا بكر فقام فجثا بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال ان لك عندي يدا الله يجزيك بها ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فأنت مني بمنزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه بيده ثم قال ادن يا عمر فدنا فقال قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله ان يعز بك الدين أو بأبي جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما الى الله فأنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة وآخى بينه وبين أبي بكر هذا كلام ابن الجوزي وهو يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة آخى بين المهاجرين والانصار أيضا كما آخى بينهم قبل الهجرة وهذا لا يتم الا لو آخى بين غير أبي بكر وعمر من المهاجرين ويكون ابن أبي أوفى اقتصر والمعروف المشهور ان المؤاخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل الهجرة ومرة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة والله أعلم ويدل لذلك قول بعضهم كانوا اذ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار أي وقيل كانوا تسعين فأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال هذا أخي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي أخوين وآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لابي بكر كانت ابنته تحت أبي بكر وبين عمر وعتبان بن مالك وبين أبي رويم الخثعمي وبين بلال وبين أسيد بن حضير وبين زيد ابن حارثة وكان أسيد ممن كناه النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عيس وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وكان أحد العقلاء أهل الرأي وكان الصديق رضي الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه أحدا وآخى بين أبي عبيدة وبين سعد بن معاذ وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن يا عبد الرحمن اني من أكثر الانصار مالا فأنا مقاسمك وعندي امرأتان فأنا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له بارك الله لك في أهلك ومالك وفي الاصل عن ابن اسحق آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والانصار فقال تآخوا في الله أخوين أخوين وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه أوصى حمزة يوم أحد فليتأمل فانهما مهاجران ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب وقال هذا أخي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي أخوين وفيه ان هذا ليس من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وقد تقدم في المؤاخاة بين المهاجرين قبل الهجرة مؤاخاته له صلى الله عليه وسلم وفي رواية لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه جاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة قال الترمذي هذا حديث

العقيق تقدم الحباب بن عبد الله بن أبي حتى أمسك بناقة أبيه وقال والله لا تدخلها يعني المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الأعز ومن الأذل وفي رواية حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعز وأنت الأذل أو لأضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله خيرا وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما وقدم المدينة في رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة الخندق﴾

وتسمى غزوة الأحزاب قال موسى ابن عقبة كانت سنة أربع وقال ابن اسحق سنة خمس في شوال وبذلك جزم أهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى بن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بني النضير سار نفر من اليهود منهم سلام بن مشكم وابن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله قال ابن اسحق فقالت لهم قريش انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسرت قريش بقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن غيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم وأخبروهم ان قريشا تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم وخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن أبي طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفا وخمسمائة بعير ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية وخرجت معهم بنو أسد يقودهم

حسن غريب وآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة وبين معاذ بن جبل أي ارصد معاذ الأخوة جعفر اذا قدم من الحبشة وبه يرد ما قيل جعفر بن أبي طالب انما قدم في فتح خيبر سنة سبع فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه الصلاة والسلام وآخى بين أبي ذر الغفاري والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب وفي الاستيعاب أنه آخى بين سلمان وأبي الدرداء وجاء سلمان لأبي الدرداء زائرا فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال ما شأنك قالت ان أخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا فقال له سلمان ان لربك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فسأل أبو الدرداء النبي صلى الله عليه وسلم عما قال سلمان فقال له مثل ما قال سلمان ولعل هذه المؤاخاة بين سلمان وأبي الدرداء كانت قبل عتق سلمان لانه تأخر عتقه عن أحد لان أول مشاهده الخندق كما تقدم * وروى الامام أحمد عن أنس أنه آخى بين أبي عبيدة وبين أبي طلحة وقد تقدم انه آخى بينه وبين سعد بن معاذ وقال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة أي الخدمة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم أي فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم به نوع مكافأة قال بعضهم والمؤاخاة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنبي قبله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاص أي المحبوسين عند قريش المانعين لهما من الهجرة فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة أي بعد أن خرج الى المدينة من حبس أهله له بمكة كما تقدم أنا لك يا رسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريدين يا أمة الله قالت أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكان بيتا لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة أي حجرا فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فأنشد أي متمثلا

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم أن ذلك يرد القول بان هشاما استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد دعا صلى الله عليه وسلم في قنوت الصلاة بقوله اللهم أنج الوليد بن الوليد أي وذلك قبل أن يتخلص من حبسه بمكة أي فان الوليد أسر يوم بدر أسره عبد الله بن جحش فقدم في فدائه أخواه خالد وكان أخاه لأبيه وهشام وكان أخاه لأمه وأبيه أي ومن ثم لما أبى عبد الله أن يأخذ في فداء الوليد الا أربعة آلاف درهم وصار خالد يأبى ذلك قال له هشام انه ليس بابن أمك والله لو أبى فيه الا كذا وكذا لفعلت ويقال انه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش لا تقبل في فدائه الا شكة أبيه وهي درع فضفاضة مقومة بمائة دينار فجاآ بها وسلماها الى عبد الله فلما افتدى وقدم الى مكة أسلم فقيل له هلا أسلمت قبل ان تفتدي فقال

طليحة بن خويلد الأسدي وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم في زمن الصديق رضي الله عنه وخرج الحرث بن عوف المري في بني مرة وقد أسلم بعد تبوك رضي الله عنه وكان قومه الذين خرجوا معه أربعمائة وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الأحزاب عشرة آلاف كما قال ابن اسحق وكان المسلمون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وكان مع المسلمين ست وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحزاب وما أجمعوا عليه من الأمر الذي زعموه وهو استئصال المسلمين اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة وكان الخندق في شامي المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وخط صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها وكان سلمان رضي الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والأنصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الأنصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملا ضعيفا ويعتذرون بالضعف وفي البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره وهو من كلام ابن رواحة رضي الله عنه وأصله * لاهم ان العيش عيش الآخره * فنطق به النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الخ لانه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق

كرهت أن يظنوا بي اني جزعت من الاسار فلما أسلم حبسه أهل مكة ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة القضاء وكتب الى أخيه خالد فوقع الاسلام في قلب خالد وكان خالد من جملة من خرج من مكة فارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كراهة الاسلام وأهله فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال لو أتانا خالد لأكرمناه وما مثله يجهل الاسلام فكتب له أخوه الوليد بذلك وفي مدة حبس الوليد كان صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اذا صلى العشاء الآخرة قنت في الركعة الأخيرة يقول اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج هشام بن العاص اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين مثل سني يوسف فأكلوا العلهز ثم لم يزل يدعو للمستضعفين حتى نجاهم الله أي بعد ان نجى عياشا وهشاما والوليد (أقول) هذه الرواية تدل على انه كان يدعو بما ذكر في الركعة الأخيرة من العشاء الآخرة وفي البخاري ان ذلك كان في الركعة الأخيرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لانه كان صلى الله عليه وسلم تارة يدعو في الركعة الأخيرة من صلاة العشاء الآخرة وتارة في الركعة الأخيرة من الصبح أو كان يدعو بذلك فيهما وكل روى بحسب ما رأى والله أعلم ثم لا زال المهاجرون والأنصار يتوارثون بذلك الاخاء دون القرابات الى ان نزل قوله تعالى في وقعة بدر وأولو الأرحام أي القرابات بعضهم أولى ببعض أي في الارث في كتاب الله أي اللوح المحفوظ فنسخت ذلك أي لانه كان الغرض من المؤاخاة ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الأهل والعشيرة وشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوي رحمه أي ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن حارثة أي بعد ان كان يقال له زيد بن محمد وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر وقيل غير ذلك ﴿أقول﴾ تقدم ان سبب امتناع ان يقال زيد بن محمد نزول قوله تعالى ادعوهم لآبائهم أي ومن ثم قيل للمقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الأسود لان الأسود كان تبناه في الجاهلية ومن لم يعرف أبوه رد الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد ان كان يقال له سالم بن أبي حذيفة فكان أبو حذيفة يرى انه ابنه ومن ثم أنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة أبي حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل علي وقد بلغ ما يبلغ الرجال وانه يدخل علي وأظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيأ فماذا ترى فيه فقال ارضعيه تحرمي وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لعائشة ما نرى هذه الا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم وكان سالم رضي الله تعالى عنه يؤم المهاجرين الأولين في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وفي ينبوع الحياة كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ ذلك قبل العمل به وأما قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا يتوارثون بذلك

فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى صلى الله عليه وسلم ما بهم من النصب قال * اللهم ان العيش عيش الآخره فاغفر للانصار والمهاجره * وأراد صلى الله عليه وسلم تسلية أصحابه وتهوين الامر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لا عيش الدنيا لكدورته وكونه مع المنغصات التى لا تتناهى ثم هو فان وان طال قل متاع الدنيا قليل وقال المهاجرون والانصار مجيبين

للنبى صلى الله عليه وسلم نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم بقوله اللهم ان العيش الخ ويحتمل أنه كان يجيبهم ويجيبونه فلا تنافى وفى انشاد الشعر تنشيط على العمل وبذلك جرت عادتهم فى الحرب وأكثر ما يستعملونه الرجز وفى البخارى من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال لما كان يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضى الله عنه

والله لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى قد رغبوا علينا
اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا أبينا وأخرج البيهقى عن سلمان رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم حين ضرب فى الخندق قال

باسم الاله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
فحبذا ربا وحب دينا

وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا أما اذا خرج موزونا بلا قصد فلا يسمى شعرا وقد وقع فى حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما فى صحيح البخارى وغيره عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت أى ظهرت لنا كدية شديدة بضم الكاف مصغرا وهى القطعة الصلبة من الارض لا يعمل فيها المعول فجاؤا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هذه كدية عرضت فى الخندق فقال رشوها بالماء فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم

حتى نزلت وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فعلماء انهم التزموا هذا الحكم ودانوا به ومن المشكل حينئذ ما نقل ان الحتات بضم الحاء وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين معاوية ولما مات الحتات عند معاوية فى خلافته ورثه بالاخوة مع وجود أولاده ثم رأيت الحافظ ابن حجر فى الاصابة ذكر ذلك ونظر فيه والله أعلم

﴿باب بدء الاذان ومشروعيته﴾

أى والاقامة ومشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الامة كما ان من خصائصها الركوع والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير فان صلاة الامم السابقة كانت لا ركوع فيها ولا جماعة وكانت الانبياء كأممهم يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح والتهليل أى وكان دأبه صلى الله عليه وسلم فى احرامه لفظة الله أكبر ولم ينقل عنه سواها أى كالنية ولا يشكل على الركوع قوله تعالى امريم واسجدى واركعى مع الراكعين لان المراد به فى ذلك الخضوع والصلاة لا الركوع المعهود كما قيل لكن فى البغوى قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود فى الشرائع كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا كلامه فليتأمل وكان وجود ذلك أى الاذان والاقامة فى السنة الاولى وقيل فى الثانية ذكر ان الناس انما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها أى لدخول أوقاتها من غير دعوة أى وقد قال ابن المنذر هو صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر الى المدينة والى ان وقع التشاور قال ووردت أحاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من تلك الاحاديث ما فى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به وعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب هو حديث موضوع ومنها ما رواه ابن مردويه عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا لما أسرى بى أذن جبريل فظنت الملائكة أنه أى جبريل يصلى بهم فقدمنى فصليت قال فيه الذهبى حديث منكر بل موضوع هذا كلامه على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة كما تقدم انها المرادة بالاذان انتهى ﴿أقول﴾ ومن أغرب ما وقع فى بدء الاذان ما رواه أبو نعيم فى الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل نادى بالاذان لآدم حين أهبط من الجنة وقد سئل الحافظ السيوطى هل ورد ان بلالا أو غيره أذن بمكة قبل الهجرة فاجاب بقوله ورد ذلك باسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور الذى صححه أكثر العلماء ودلت عليه الاحاديث الصحيحة ان الاذان انما شرع بعد الهجرة وأنه لم يؤذن قبلها الا بلال ولا غيره وذكر فى الدر فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة فى شأن المؤذنين والاذان انما شرع فى المدينة فهى مما تأخر حكمه عن نزوله هذا كلامه وفى كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث ذكر أن الحق أنه لا يصح شئ من الاحاديث الدالة على أن الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر

المعول فسمى ثلاثا ثم ضرب فعاد المضروب كثيبا أهيل أى رملا يسيل وفى رواية دعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية قال من حضرها فو الذى بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة وفى رواية للبراء بن عازب رضى الله عنهما عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان رضى الله عنه فقال باسم الله ثم ضربها فنثر ثلثها

وخرج نور أضاء ما بين لابتى المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها الحمر الساعة من مكانى ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن أى مدائن كسرى وفى رواية والله انى لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكانى هذا وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف ليل مظلم فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة رضى الله عنه انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار فى زمان عمر وعثمان رضى الله عنهما افتحوا ما بدا لكم والذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما ثبت فى الصحيح من حديث جابر رضى الله عنه من تكثير الطعام القليل فانه رضى الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة فأحب أن يدعو النبى صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه عليه فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى مبحث المعجزات وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بحفنة من تمر لابيها وخالها ابن رواحة رضى الله عنهما ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفيه فما ملأهما ثم

المنذر من أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى من غير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة والى ان وقع التشاور فى ذلك أى فقد ائتمر صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كيف يجمع الناس للصلاة فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رآها الناس آذن أى أعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له بوق يهود أى ويقال له الشبور بفتح الشين المعجمة ثم موحدة مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ويقال له القبع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل باسكان النون وبالعين المهملة قال السهيلى وهو أولى بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن الذى يدعون به لصلاتهم أى يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلى الله عليه وسلم وقال هو من أمر اليهود فذكر له الناقوس الذى يدعون به النصارى لصلاتهم فقال هو من أمر النصارى أى فقالوا لو رفعنا نارا أى فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فقال ذلك للمجوس وقيل كما فى حديث الشيخين عن ابن عمر أن عمر رضى الله تعالى عنهما قال أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة أى بحضورها أى ففعلوا ذلك وكان المنادى هو بلال رضى الله تعالى عنه قال الحافظ ابن حجر وكان اللفظ الذى ينادى به بلال أى قبل رؤيا عبد الله الصلاة جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد هممت ان ابث رجالا ينادون الناس بحين الصلاة أى فى حينها أى وقتها ولقد هممت ان آمر رجالا تقوم على الآطام ينادون المسلمين بحين الصلاة أى ولعل هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم أمر بلال بما تقدم وقيل ائتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالناقوس أى اتفقوا عليه فنحت ليضرب به المسلمون أى وهو خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام عبد الله بن زيد فأرى الاذان أى والاقامة فى منامه فعنه رضى الله تعالى عنه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فطاف بى وأنا نائم رجل وفى لفظ انى لبين نائم ويقظان طاف بى رجل والمراد أنه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فروحه كالمتوسطة بين النوم واليقظة قال الحافظ السيوطى أظهر من هذا أن يحمل على الحالة التى تعترى أرباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين هم رؤس أرباب الاحوال أى وهذه الحالة هى التى عناها الشيخ عبد الله الدلاصى بقوله كنت بالمسجد الحرام فى صلاة الصبح فلما أحرم الامام وأحرمت أخذتنى أخذة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى اماما وخلفه العشرة فصليت معهم فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة الاولى سورة المدثر وفى الثانية عم يتساءلون ثم سلم الامام فعقلت تسليمه فسلمت أى ويدل لذلك قول عبد الله بن زيد كما جاء فى رواية ولولا أن يقول الناس أى يستبعد الناس ذلك لقلت انى كنت يقظان غير نائم وذلك الرجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى أى

أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ فى أهل الخندق أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر يزيد حتى صدر واعنه وانه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا فى حفر الخندق ستة أيام وقيل عشرين يوما وقيل أربعة وعشرين وقيل شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكانوا عشرة آلاف كما تقدم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة رضى الله عنه ولواء الانصار بيد سعد ابن عبادة رضى الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة يبعث سلمة بن أسلم رضى الله عنه فى مائتى رجل وزيد بن حارثة رضى الله عنه فى ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفا على الذرارى من بنى قريظة وخرج عدو الله حيى بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى أن يفتح له فقال له حيى ويحك يا كعب افتح لى أكلمك فقال له اذهب عنى انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه فانى لم أر منه الا وفاء وصدقا فنسبه حيى الى البخل وقال له والله ما أغلقت دونى الا تخوفا على جشيشتك ان آكل معك منها والجشيشة بالجيم والشين البر يطحن غليظا ويقال الدشيش بالدال ولم يزل به حتى فتح له فقال ويلك يا كعب ان توافقنى وقيل جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون منزل قريش غطفان وقد عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد اهراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيى دعنى وما أنا عليه فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ولم يزل به يفتله فى الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله

وفى رواية فقلت أتبيع الناقوس فقال ماذا تريد به فقلت أريد ان ابتاعه لكى أضرب به للصلاة لجماعة الناس قال وأنا أحدثك بخير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله قال عبد الله ثم استأخر عنى أى ذلك الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت الى الصلاة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله أى فى هذه الرواية افراد ألفاظ الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير أولا وآخرا وفى رواية رأى رجلا عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد وفى رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة أى أصل الحائط ولا مخالفة لما سيعلم فأذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها أى مثل الكلمات أى كلمات الاذان الا أنه يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة أى زيادة على تلك الكلمات التى هى الاذان ففى هذه الرواية تثنية ألفاظ الاقامة والاتيان بالتكبير فى أولها أربعا كالاذان أى وهذا أى كونه على سقف المسجد وكونه على جذم حائط لا مخالفة بينهما لانه يجوز أن يكون لما قال له تقول الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا من جذم الحائط فنسب قيامه الى كل منهما ويكون قوله ثم استأخر عنى غير بعيد أى سكت غير طويل قال عبد الله فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت أى وفى رواية انه أتاه ليلا وأخبره وهى المذكورة فى سيرة الحافظ الدمياطى ولا منافاة لانه يجوز أن يكون قول عبد الله فلما أصبحت أى قاربت الصباح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فانه أندى وفى رواية أمد صوتا منك أى أعلى وأرفع وقيل أحسن وأعذب ولا مانع من ارادة ذلك كله هنا فقمت مع بلال وفى رواية فقال لبلال قم فانظر ما أمرك به عبد الله بن زيد فافعله فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به أى فبلال أول مؤذنيه صلى الله عليه وسلم أى وقيل أول مؤذنيه عبد الله بن زيد ذكره الامام الغزالى وأنكره ابن الصلاح أى حيث قال لم أجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه وقد يقال لا منافاة لان عبد الله أول من نطق بالاذان وبلال أول من أعلن به وحينئذ يكون أول مشروعيته كان فى أذان الصبح فلما سمع بذلك أى باذان بلال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته خرج يجر رداءه وفى رواية ازاره أى عجلا أى وقد أعلم بالقصة لقوله والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه وفى رواية مثل ما يقول أى بلال رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال الترمذى عبد الله بن زيد بن عبد ربه لا نعرف له عن النبى صلى الله عليه وسلم شيأ يصح الا هذا الحديث الواحد فى الاذان وقيل رأى مثل ما رأى عبد الله أبو بكر رضى الله تعالى عنه

عليه وسلم وأعطاه حيى عهدا على انه ان رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك فى حصنك يصيبنى ما أصابك ثم أرسل حيى بن أخطب الى قريش ان يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان ان يأتيه منهم ألف ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذرارى أشد من الخوف على أهل الخندق ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة نقضوا العهد قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم قال الزبير رضى الله عنه فقلت أنا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه فى الفداء أى قال فداك أبى وأمى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضى الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال انطلقوا لتنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى اعضاد الناس أى تكلموا لى بكلام فيه اشارة وتلويح ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفا على الناس ان يقع لهم تثبيط وأصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه وان كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم حتى ان بعضهم كلم بنى قريظة فى شأن عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقال بعضهم لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحنوا له كما أمرهم وقالوا عضل والقارة كغدرهما بأصحاب الرجيع أى غدروا كغدرهما بأصحاب الرجيع فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضى الله عنه لاحتمال انهم أرسلوا دفعة أو بعد ارساله وخص هؤلاء القوم بالارسال لانهم حلفاؤهم فيحتمل ان يرجعوا الى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فأتاهم عدوهم من فوقهم أى من أعلى الوادى من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل منهم أى من أسفل الوادى من قبل المغرب فانه نزل به قريش قال ابن عباس رضى الله عنهما اذ جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ومن أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن معه واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا أى الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من

وقيل سبعة من الانصار وقيل أربعة عشر قال ابن الصلاح لم أجد هذا بعد امعان النظر وتبعه النووى فقال هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه وقيل رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء أسمع ملكا يؤذن أى فقد جاء فى حديث بعض رواته متروك بل قيل انه من وضعه أنه لما أراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى أتى الحجاب الذى يلى الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وذكر بقية الاذان فرؤيا عبد الله دلت على ان هذا الذى رآه فى السماء يكون سنة فى الارض عند الصلوات الخمس التى فرضت عليه تلك الليلة أى فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله وفيه ان الذى تقدم عن الخصائص أن المراد بهذا الاذان الذى أتى به الملك الاقامة لا حقيقة الاذان أى ويدل لذلك ان الملك قال فيه قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقال الله صدق عبدى أنا أقمت فريضتها ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح قال بعضهم والاذان ثبت بحديث عبد الله بن زيد باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف فى ذلك الا ما روى عن محمد بن الحنفية وعن أبى العلاء قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤيا رآها رجل من الانصار فى منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل فى شرائع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه انما كان من رؤيا رآها رجل من الانصار فى منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض فى الناس قال هذا والله هو الباطل ثم قال وانما أخبرنى أبى أن جبريل عليه السلام أذن فى بيت المقدس ليلة الاسراء وأقام ثم أعاد جبريل الاذان لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء فسمعه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب وفى رواية عنه انه لما انتهى الى مكان من السماء وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله أكبر فقال الله صدق عبدى أنا الله أكبر الى ان قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه ما علمت ان هذا الاقامة لا الاذان وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتاج صلى الله عليه وسلم الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى ان يتمسك ابن الحنفية بما يأتى عن بعض الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله قد سبقك بذلك الوحى وكونه أتى بالبراق الى الحجاب هو بناء على ان العروج كان على البراق وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون هذا عروجا آخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم انه لما أسرى بى أذن جبريل وتقدم ما فيه ولا ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه مؤذن أهل السماء جبريل لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف أيضا ما جاء اسرافيل مؤذن أهل السماء وامامهم ميكائيل عند البيت المعمور وفى لفظ يؤم بالملائكة فى البيت المعمور ولعل كون ميكائيل امام أهل السماء لا يخالف ما جاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها امام أهل السماء جبريل لما علم وجاء ان مؤذن أهل السماء

بعض المنافقين كما قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ذلك معتب بن قشير
وكان منافقا قال كان محمد يرى ان نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن ان يذهب الى الغائط وقيل ان قائل ذلك عبد الله
ابن أبى ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا عورة
من العدو أى غير حصينة فأذن لنا نرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال تعالى وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا ثم أقبل

نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى
يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم
فى زعمه على فرس له يسوس
الخندق فوقع فى الخندق فاندقت
عنقه فقتله الله وقيل رماه المسلمون
بالحجارة ثم نزل اليه على رضى الله
عنه فقتله وعظم ذلك على المشركين
فأرسلوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا نعطيكم الدية أى
واذنوا لنا فى دفنه وفى رواية انهم
اعطوا فى جسده عشرة آلاف
على ان يدفع اليهم ليدفنوه فرد
اليهم النبى صلى الله عليه وسلم انه
خبيث لمونه كافرا محاربا لله ورسوله
وخبيث الدية فلعنه الله ولعن
ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا أرب
لنا فى ديته وأقام عليه الصلاة
والسلام على الخندق وعدوهم
يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا
انهم لا يدعون الطلائع بالليل
يطمعون فى الغارة ووقع بينهم
مراماة بالنبل ولما نظر المشركون
الى الخندق قالوا والله ان هذه
لمكيدة ما كانت العرب تكيدها
وصار المشركون يتناوبون
فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما
ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو
عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة
ابن وهب يوما ويغدو عكرمة بن
أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن
الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون

خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقربون منهم
ويقدمون رجالهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم أبشروا بعون الله ونصره انى لأرجو أن أطوف بالبيت
العتيق وآخذ المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالهما فى سبيل الله يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ثم انه صلى
الله عليه وسلم أراد ان يعطى عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا فمنعه السعدان رضى الله عنهما وقالا كنا نحن

يؤذن لاثنتى عشرة ساعة من النهار ولاثنتى عشرة ساعة من الليل (أقول) وفى النور لو رآه أى
الاذان ليلة الاسراء لم يحتج الى ما يجمع به المسلمين الى الصلاة ورد بأنه لم يكن يعلم قبل هذه
الرؤيا ان ما رآه فى السماء يكون سنة للصلوات الخمس التى فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرؤيا
علم ان ذلك سنة فى الارض كما تقدم (وعبارة بعضهم) ولا يشكل على أذان جبريل ببيت المقدس
ان الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسراء قبل مشروعيته للصلوات
الخمس وهذا كله على تسليم ان المرئى له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت ما فيه ثم رأيت
بعضهم قال وأما قول القرطبى لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسراء ان يكون مشروعا فى حقه
ففيه نظر لقوله فى أوله لما أراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان أى لان المتبادر تعليمه الاذان
الذى يأتى به فى الارض للصلوات وقد يقال على تسليم ذلك قد علمت ان المراد بالاذان الذى سمعه
ليلة الاسراء الاقامة وقد قال الحافظ ابن حجر الحق انه لم يصح شئ من هذه الاحاديث الواردة
بأنه سمعه ليلة الاسراء ومن ثم قال ابن كثير فى بعض الاحاديث الواردة بأنه سمع هذا الاذان فى
السماء ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما زعم البيهقى انه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن
المنذر أبو الجارود الذى تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين وبهذا يعلم ما فى
الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم بذكر اسمه فى الاذان فى عهد آدم وفى الملكوت
الاعلى والله أعلم أى وروى بسند واه ان أول من أذن بالصلاة جبريل عليه السلام فى سماء الدنيا
فسمعه عمر وبلال رضى الله تعالى عنهما فسبق عمر بلالا فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء
بلال فقال له سبقك بها عمر وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز أن يكون ذلك بعد رؤيا عبد الله وذكران
عمر رضى الله تعالى عنه رآه من عشرين يوما وكتمه ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال له
ما منعك ان تخبرنى قال سبقنى عبد الله بن زيد فاستحييت منه ﴿أقول﴾ فى هذا الكلام مالا
يخفى فليتأمل انما قال له انها رؤيا حق لانه يجوز أن يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك
قبل ان يجئ اليه عبد الله بن زيد به ومن ثم قال له حين أخبره بذلك على ما فى بعض الروايات
قد سبقك بذلك الوحى فالاذان انما ثبت بالوحى لا بمجرد رؤيا عبد الله قال بعضهم فى قوله واذا
ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا الآية كان اليهود اذا نودى الى الصلاة وقام المسلمون اليها
يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء والسخرية وفيها دليل على مشروعية
الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده أبو حيان بان هذه جملة شرطية دلت
على سبق المشروعية لا على انشائها هذا كلامه أى وذلك على تسليم أن يكون المدعو به للصلاة
خصوص اللفظ الذى وجد فى المنام وصار بلال يؤذن بذلك للصلوات الخمس وينادى فى الناس
لغير الصلوات الخمس لامر يحدث يطلب له حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء
الصلاة جامعة قيل وكان بلال اذا أذن قال أشهد أن لا اله الا الله حى على الصلاة فقال له عمر على
اثرها أشهد أن محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا

روى

وهم على الشرك لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا بقرى أو بيع أفحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا
بهذا من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم أنتما وذاك وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث
الى عيينة بن حصن الفزارى والى الحرث بن عوف المزنى فى ان يقطعهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفيين
من أبى سفيان والتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم فوافقاه على ذلك بعد ان طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا بذلك

واراد ان يكتب بذلك صحيفة
واحضر الدواة ليكتب عثمان رضى
الله عنه فقيل أمره النبى صلى الله
عليه وسلم فكتب ثم استشار سعدا
وقيل قبل ان يكتب بعث صلى الله
عليه وسلم الى سعد بن معاذ
وسعد بن عبادة رضى الله عنهما
واستشارهما فى ذلك فقالا يا رسول
الله أمر تحبه فتصنعه أم شئ أمرك
الله به لا بد لنا من العمل به أم شئ
تصنعه لنا وفى رواية فان كان
أمرا من السماء فامض له وان كان
امرا لم تؤمر به ولك فيه هوى
فسمع وطاعة وان كان انما هو
الرأى مالهم عندنا الا السيف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو
أمرنى الله ما شاورتكما والله ما أصنع
ذلك الا انى رأيت العرب قد رمتكم
عن قوس واحدة وكالبوكم من
كل جانب فأردت ان أكسر شوكتهم
الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ
يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء
القوم يعنى غطفان على الشرك
بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله
ولا نعرفه لا يطمعون ان يأكلوا
منا ثمرة الا قرى أو بيعا وان كانوا
ليأكلون العلهز فى الجاهلية من
الجهد فحين أكرمنا الله بالاسلام
وهدانا له واعزنا بك وبه نقطعهم
اموالنا وفى رواية نعطى الدنية
ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم

الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة
وهذا يوافق القول بانها كتبت وقيل انه منع من كتابتها وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال له شق الكتاب فشقه سعد وقال
لعيينة والحرث ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته وروى البزار والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى الحرث
يعنى ابن عوف الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا تمر المدينة والا ملأناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى أستأمر السعود

روى عن ابن عمر فى حديث فيه راو ضعيف ولولا التعبير بكان لامكن حمل ذلك على ان بلالا أتى
بذلك ناسيا فى ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد ثم رأيت ابن حجر الهيتمى قال والحديث الصحيح
الثابت فى أول مشروعية الاذان يرد هذا كله هذا كلامه قيل وزاد بلال فى أذان الصبح بعد
الحيعلات الصلاة خير من النوم مرتين فاقرها صلى الله عليه وسلم أى لان بلالا كان يدعو
النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فيقول له الصلاة فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نائم فصرخ باعلى صوته الصلاة خير من النوم مرتين أى اليقظة
الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم ﴿أقول﴾ وهذا يقال له التثويب وذكر
فقهاؤنا انه صح أنه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك لابى محذورة أى قال له فان كانت صلاة الصبح
قلت الصلاة خير من النوم ولا منافاة لان تعليم أبى محذورة للاذان كان عند منصرفه صلى الله
عليه وسلم من حنين على ما سيأتى وكذا ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم قال ان ذلك من السنة
لانه يجوز أن يكون ذلك صدر منه بعد ان أقر بلالا عليه نعم ذكر انه لم ينقل ان ابن أم مكتوم
كان يقوله أى لقول بلال له فى الاذان الأول وهو يدل لمن قال انه اذا قيل فى الاذان الاول
لا يقال فى الثانى لان أذانه للصبح كان متأخرا عن أذان بلال فى أكثر الاحوال وهو محمل ما جاء
فى كثير من الاحاديث ان بلالا يؤذن بليل فكلوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ومن غير الاكثر محمل
ما جاء ان ابن أم مكتوم ينادى بليل وكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ان ابن أم مكتوم أعمى فاذا
أذن ابن أم مكتوم فكلوا واذا أذن بلال فأمسكوا ولا تأكلوا والراجح انه يقوله فيهما لكن ربما
يخالف ذلك ما فى الموطأ ان المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير
من النوم فأمره عمر رضى الله عنه ان يجعلها فى نداء الصبح وفى الترمذى ان بلالا قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب فى شئ من الصلاة أى من أذان الصلاة لا فى صلاة
الفجر أى بقول الصلاة خير من النوم وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه سمع الاذان فى
مسجد فأراد ان يصلى فيه فسمع المؤذن يثوب فى غير الصبح فقال لرفيق له اخرج بنا من عند
هذا المبتدع فان هذه بدعة أى سمع المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد
الصلاة الصلاة وهذا هو المراد بالتثويب الذى سمعه ابن عمر كما قاله بعضهم وفى كلام بعضهم
من المحدثات ان المؤذن يجئ بين الاذان والاقامة الى باب المسجد فيقول حى على الصلاة
قيل وأول من أحدثه مؤذن معاوية رضى الله تعالى عنه فكان يأتيه بعد الاذان وقبل
الاقامة يقول حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح يرحمك الله
اما قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلاة الصلاة فليس بدعة لان بلالا كان يقول ذلك
للنبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله حى على الصلاة فهذا لم يعهد فى عصره صلى الله عليه وسلم
ثم رأيت فى دور المباحث فى أحكام البدع والحوادث اختلف الفقهاء فى جواز دعاء الامير
الى الصلاة بعد الاذان وقبل الاقامة بان يأتى المؤذن باب الامير فيقول حى على الصلاة حى

سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود وقيل ان ذكر سعد بن الربيع وهم لانه استشهد يوم أحد فكلموا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا لا والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فأخبر الحرث فقال غدرت يا محمد ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم وكان منهم عمرو بن عبد ود العامري وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان المشهورين ومنهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه وقد أسلم ضرار وعكرمة رضي الله عنهما وأما هبيرة فمات على كفره فلما صاروا بالسبخة بين الخندق وسلع طلب عمرو بن عبد ود المبارزة وقال من يبارز فقام علي رضي الله عنه وقال أنا له يا نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمرو ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم يدخلها أفلا تبرزون لي رجلا فقام علي رضي الله عنه فقال أنا يا رسول الله فقال اجلس انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فمشى اليه علي رضي الله عنه فقال يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أي خصلتين الا قبلتها قال له أجل أي نعم قال علي رضي الله عنه فاني أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني أدعوك الى البراز وفي رواية انك كنت تقول لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال اجل قال علي فاني أدعوك ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخي أخر عني هذه قال وأخرى ترجع بلادك فان يك صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا ما لا يتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت أي لانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح ان لا يمس

على الفلاح أيها الامير وفسر به التثويب فاحتج من قال بجوازه أي بسنيته ان بلالا كان اذا أذن أتى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله أي كما كان يفعل مؤذن معاوية رضي الله تعالى عنه فليس من المحدثات وفي الحديث المشهور انه في مرضه صلى الله عليه وسلم أتاه بلال فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس واحتج من قال بالمنع بان عمر رضي الله تعالى عنه لما قدم مكة أتاه أبو محذورة فقال الصلاة يا أمير المؤمنين حي على الصلاة حي على الفلاح فقال ويحك أمجنون أنت اما كان في دعائك الذي دعوتنا ما يكفيك حتى تأتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه أي وكون عمر رضي الله تعالى عنه لم يبلغه فعل بلال من البعيد وعن أبي يوسف لا أرى بأسا ان يقول المؤذن السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الامراء بمصالح المسلمين أي ولهذا كان مؤذن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يفعله وذكر بعضهم أن في دولة بني بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين حي على خير العمل فلما كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وأمروا أن يقولوا في أذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير من النوم مرتين وذلك في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ونقل عن ابن عمر وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم انهما كانا يقولان في أذانهما بعد حي على الفلاح حي على خير العمل وورد الترجيع في خبر أذان أبي محذورة أيضا وهو ان يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه بهما ففي مسلم عن أبي محذورة انه قال قلت يا رسول الله علمني سنة الاذان قال فمسح مقدم رأسي وقال تقول أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد ان محمدا رسول الله وكان أبو محذورة يشفع الاقامة كالاذان أي يكرر ألفاظها فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله لقنه صلى الله عليه وسلم ذلك وهي الرواية الثانية التي تقدمت عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه وذكر الامام أبو العباس بن تيمية رحمه الله ان النقل ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم علم أبا محذورة الاذان فيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وان بلالا كان يشفع الاذان ويوتر الاقامة أي ولا يرجع الاذان ففي الصحيحين أمر بلال ان يشفع الاذان أي ومن شفع الاذان التكبير أوله أربعا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتي نعم يرد على شفع الاذان التهليل آخره فانه مفرد فالاولى ان يقال يشفع معظم الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة أي لفظها أي وهي قد قامت الصلاة فانه

يكررها

رأسه دهن حتى يقتل محمدا قال فالثالثة قال وما هي قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت اظن ان احدا من العرب يروعني بها وفي رواية يرومني بها ثم قال له عمرو ومن أنت لان عليا رضي الله عنه كان مقنعا بالحديد فما عرفه عمرو فأجابه وقال علي قال ابن عبد مناف فقال انا علي بن أبي طالب فقال غيرك يا ابن أخي من اعمامك من هو أشد منك فاني اكره ان اهريق دمك وان أباك كان صديقا لي وفي لفظ كنت نديما له فقال له علي رضي الله عنه انا والله ما اكره ان اهريق دمك وفي رواية قال عمرو يا ابن أخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال علي لكني والله أحب ان أقتلك فحمي عمرو عند ذلك أي أخذته الحمية وفي رواية فغضب فقال له علي كيف أقاتلك وانت على فرسك ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر وأقبل على علي رضي الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق وقيل طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا رضي الله عنه قد قتل عمرا ثم اقبل علي رضي الله عنه نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها فقال انه حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت قال الحاكم سمعت الاصم قال سمعت العطاردي قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل علي عمرا الا بقوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت (وفي تفسير الفخر الرازي) انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه بعد قتله عمرو بن عبد ود كيف وجدت نفسك معه قال وجدت ان لو كان أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم وذكر ابن اسحق ان المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى

يكررها مرتين يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم افرادها البتة أي وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتي وصح عنه تكرير لفظ التكبير مرتين أولا وآخرا وحينئذ يكون المراد بافراد الاقامة افراد معظمها فكان يقول في الاقامة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله ولم يكن في أذانه ترجيع أي وهو الاتيان بالشهادتين مرتين سرا ثم يأتي بهما جهرا أي كما تقدم قال فنقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح بلا ريب أي وكل روي عن عبد الله بن زيد كما علمت قال أي ابن تيمية وأحمد وغيره أخذوا باذان بلال واقامته أي فلم يستحبوا الترجيع في الاذان واستحبوا افراد الاقامة الا لفظها والشافعي رضي الله تعالى عنه أخذ باذان أبي محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع في الاذان والافراد في الاقامة الا لفظها وأبو حنيفة رحمه الله أخذ باذان بلال واقامة أبي محذورة أي فلم يستحب الترجيع واستحب تثنية ألفاظ الاقامة قال في الهدي وأخذ مالك بما عليه عمل أهل المدينة من الاقتصار في التكبير على مرتين في الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة أي ولعل هذا بحسب ما كان في المدينة والا ففي أبي داود ولم يزل ولد أبي محذورة وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة أي معظم ألفاظها ويحكونه عن جدهم غير ان التثنية عنه أكثر فيحتمل ان اتيان أبي محذورة بالاقامة فرادى واستمراره وولده بعده على ذلك كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم له بذلك بعد أمره أولا له بتثنيتها أي فيكون آخر أمره الافراد وقد قيل لاحمد رضي الله تعالى عنه وقد كان يأخذ باذان بلال أي كما تقدم أليس أذان أبي محذورة بعد أذان بلال أي لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه له عند منصرفه من حنين على ما سيأتي وهو الذي رواه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن أبي محذورة أنه قال خرجت في نفر وكنا ببعض طريق حنين فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون أي عن الطريق فصرنا نحكيه ونستهزئ به فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فأشار القوم كلهم الي فحبسني أي أبقاني عنده وأرسلهم وقال قم فاذن فقمت ولا شيء أكره الي من النبي صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرني به فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى علي التأذين هو بنفسه صلى الله عليه وسلم الحديث ثم دعاني حين قضيت التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصيتي ومر بها على وجهي ثم بين يدي ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتأذين بمكة فقال صلى الله عليه وسلم قد أمرتك به وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهته وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن أسيد رضي الله

كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد وقيل ان الذى قتل نوفلا على رضى الله
عنه وفى رواية ان رجلا من المشركين قال يوم الخندق من يبارز فقال صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية واحدى يا رسول
الله فقال قم يا زبير فقام فقتله ثم جاء بسلبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فنفله اياه وفى رواية ان نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس
بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه ١١٢ يا معشر العرب فنزل اليه على رضى الله عنه فقتله ويمكن ان عليا والزبير رضى الله
عنهما اشتركا فى قتله ورجعت الخيول مهزومة وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضى الله عنه بأبيات فلما رجعوا الى أبى سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شئ فارجعوا وجاء فى رواية ان الزبير رضى الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج أم هانئ أخت على رضى الله عنهما فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقط درع كان يحقبها الفرس أى يحملها على مؤخر ظهرها فاخذها الزبير رضى الله عنه وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهبيرة بن وهب على على رضى الله عنه فأقبل على رضى الله عنه عليهما فاما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت أولا ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وفى رواية ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصار يشتد فى أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدلى عندك غير مجزى بها فاحفظها ووقع له مع عمر رضى الله عنه نظير ذلك فى أحد فانه التقى معه فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب
ثم من الله على ضرار بالاسلام فاسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه (وكان شعار المسلمين) يوم الخندق حم لا ينصرون واعل وسلم
المراد خصوص الانصار فلا يخالف رواية ان شعار المسلمين يا خيل الله ورمى سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم فقطع الكحل وهو عرق
فى الذراع تتشعب منه عروق البدن ويقال لهذا العرق عرق الحياة وكان الذى رمى سعدا هو ابن العرقة العامرى والعرقة بفتح العين
وكسر الراء وهى أمه واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة سميت العرقة لطيب ريحها وهى جدة خديجة رضى

تعالى عنه عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فأذنت بالصلاة عن أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل علمه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم فتح مكة لما أذن بلال رضى الله تعالى عنه
للظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزؤن ببلال ويحكون صوته وكان من جملتهم
أبو محذورة فأعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه الاذان وأمره أن يؤذن لاهل مكة
فليتأمل الجمع وانما يؤخذ بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى
بالمتأخر عنه لان المتأخر ينسخ المتقدم فقال أليس لما عاد الى المدينة أقر بلالا على أذانه قال
أبو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب أكثر علماء الامصار وجرى به العمل فى الحرمين
والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحى المغرب أى الا مصر فى المساجد التى تغلب صلاة
الاروام بها فان الاقامة تثنى كالاذان فيها وقد ذكر ان أبا يوسف رحمه الله ناظر امامنا الشافعى
رضى الله تعالى عنه فى المدينة بين يدى مالك رضى الله تعالى عنه والرشيد فأمر الشافعى باحضار
أولاد بلال وأولاد سائر مؤذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف تلقيتم الاذان
والاقامة عن آبائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة فرادى هكذا تلقيناه من آبائنا وآباؤنا
عن أسلافنا الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقيم
الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال صلى الله عليه وسلم أقامها الله وأدامها وفى البخارى من
قال حين يسمع النداء أى الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وجبت له شفاعتى يوم القيامة قال بعضهم
كان المؤذنون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنين بلال وابن أم مكتوم فلما كان زمن
عثمان رضى الله تعالى عنه جعلهم أربعا وزاد الناس بعده ولما مات صلى الله عليه وسلم ترك
بلال الاذان ولحق بالشام فمكث زمانا فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له يا بلال
جفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا وفى لفظ انه قال له ما هذه الجفوة يا بلال
ما آن لك ان تزورنا فانتبه بلال رضى الله تعالى عنه فقصد المدينة فلما انتهى الى المدينة تلقاه
الناس أى وأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يبكى عنده ويتمرغ عليه وأقبل على الحسن
والحسين يقبلهما ويضمهما وألحوا عليه أن يؤذن فلما صعد ليؤذن اجتمع أهل المدينة رجالهم
ونساؤهم وخرجت العذارى من خدورهن ليسمعوا أذانه رضى الله تعالى عنه فلما قال
الله أكبر ارتجت المدينة وصاحوا وبكوا فلما قال أشهد أن لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال
أشهد أن محمدا رسول الله لم يبق ذو روح الا بكى وصاح وكان ذلك اليوم كيوم موت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى الشام وكان يرجع الى المدينة فى كل سنة مرة فينادى بالاذان
الى ان مات رضى الله تعالى عنه (أقول) فى كلام بعضهم كان سعد القرظ رضى الله تعالى عنه
مؤذنه صلى الله عليه وسلم بقبا فلما لحق بلال بالشام أيام عمر رضى الله تعالى عنه أمر سعد القرظ
ان يؤذن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فان بلالا لما توفى رسول الله صلى الله عليه

الله عنها أم أبيها وابن العرقة هذا اسمه حبان بن عبد مناف بن منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤى وقيل العرقة انما هى أم عبد مناف أبى
حبان ولما رمى سعدا قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد رضى الله عنه عرق الله وجهك فى النار وقيل ان الذى قال ذلك هو النبى
صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد رضى الله عنه اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى قريشا فاجعله الى شهادة ولا تمتنى حتى تقر
عينى وفى رواية حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب ١١٣ قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم أحب
الى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها الى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها ومامات حتى حكم فى بنى قريظة كما يأتى وقيل ان الذى أصاب سعدا أبو اسامة الجشمى حليف بنى مخزوم وقيل خفاجة ابن عاصم بن حبان والله أعلم (واستمرت المقاتلة) فى يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته فامر بلالا فاذن وأقام للظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى هو وأصحابه وجاء فى رواية جابر رضى الله عنه انه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووى بانهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما وفى رواية ان التى فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع فى بعض تلك الايام وجاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر
١٥ سيره ثانى حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا
بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيرا محملة شعيرا وتمرا وتبنا حمل ذلك حيى بن أخطب مددا وتقوية لقريش فاخذها الانصار وأتوا بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من
المشركين يطلب غرة المسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضى الله عنه على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشهم أى تقاربوا

وسلم جاء الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال يا خليفة رسول الله انى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول أفضل أعمال المؤمن الجهاد فى سبيل الله وقد أردت أن أرابط فى سبيل الله
حتى أموت فقال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنشدك الله يا بلال وحرمتى وحقى عليك أن
لا تفارقنى فاقام بلال حتى توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه وهو يؤذن ثم جاء الى عمر فقال له
كما قال لابى بكر ورد عليه رضى الله تعالى عنه كما رد عليه أبو بكر فأبى وخرج الى الشام مجاهدا
(وفى أنس الجليل) لما فتح أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه بيت المقدس حضرت الصلاة
فقال يا بلال أذن لنا يرحمك الله قال بلال يا أمير المؤمنين والله ما أردت ان أؤذن بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى أحد ولكن سأطيعك اذ أمرتنى فى هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال
وسمعت الصحابة رضى الله تعالى عنهم صوته ذكروا النبى صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا
ولم يكن من الصحابة يومئذ أطول بكاء من أبى عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر رضى الله
تعالى عنه حسبكما رحمكما الله تعالى فلم يؤذن بلال بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة
لما أمره عمر بالاذان هذا ما فى أنس الجليل أى فالمراد بالمرة هذه المرة التى كانت ببيت المقدس
وفيه أن هذا يخالف ما تقدم مما ظاهره أنه استمر يؤذن مدة خلافة أبى بكر رضى الله تعالى
عنه وما تقدم من الحاح الحسن والحسين عليه فى أن يؤذن عند مجيئه للمدينة الا أن يقال
المراد لم يؤذن خارج المدينة فلا يخالف ما سبق من أذانه بعد الحاح الحسن والحسين ولعل
ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس بل وبعد موت الخلفاء الاربعة ثم رأيت الزين العراقى قال
لم يؤذن بلال بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لاحد من الخلفاء الا ان عمر لما قدم الشام حين
فتحها أذن بلال هذا كلامه فليتأمل مع ما سبق * وفى الكتاب المذكور روى عن جابر بن
عبد الله رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله أى الخلق أول دخولا الجنة قال الانبياء
قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو البيت الحرام
قال ثم من قال مؤذنو مسجدى قال ثم من قال سائر المؤذنين ثم رأيت فى نسخة من شرح المنهاج
للدميرى عن جابر تقديم مؤذنى المسجد الحرام على مؤذنى بيت المقدس ورأيت فى بعض
الروايات ما يوافقه وهى أول من يدخل الجنة بعدى أبو بكر ثم الفقراء ثم مؤذنو المسجد الحرام
ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدى ثم سائرهم على قدر أعمالهم * وفى البدور السافرة
عن جابر رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله أى الخلق أول دخولا الجنة يوم القيامة
قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو الكعبة قال ثم من قال مؤذنو بيت
المقدس قال ثم من قال مؤذنو مسجدى هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر أعمالهم * وفيها
عن جابر أيضا أول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل
ثم يكسى المؤذنون وجاء ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله لقد تركتنا نتنافس
فى الاذان بعدك فقال اما انه يكون قوم بعدكم سفلتهم مؤذنوهم قيل وهذه الزيادة منكرة وقال

منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق وحشى الطفيل بن النعمان رضى الله عنه فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الاغارة فاقام المسلمون فى شدة من الخوف (وفى الصحيحين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم وقام صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف أى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وباصحابى وقال له المسلمون هل من شئ نقوله فقد بلغت الروح الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه وصار يرفع يديه ويقول شكرا شكرا وجاء ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه أى ومن ثم كان جابر يدعو فى مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك اليوم وأما الاحاديث التى جاءت بذم يوم الاربعاء فمحمولة على آخر أربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاءنى فادفأته فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة ويقول ما أخشى ان يؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبى وقاص اتيت احرسك يارسول الله فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام صلى الله عليه وسلم حتى غط ثم قام فى قبته يصلى لانه كان صلى الله عليه وسلم اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة

الدارقطنى ليست محفوظة وجاء اذا أخذ المؤذن فى أذانه وضع الرب عز وجل يده فوق رأسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وانه ليغفر له مد صوته فاذا فرغ قال الرب صدق عبدى وشهدت شهادة الحق فابشر والله أعلم قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود أى من التجار وعن السدى من النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال خزى الله الكاذب وفى رواية أحرق الله الكاذب فدخلت خادمة بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت واحترق هو وأهله انتهى أى وفى بعض الاسفار حضر وقت الصلاة أى صلاة الصبح فطلبوا بلالا يؤذن فلم يوجد أى لتأخره فى السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن زياد بن الحرث الصدائى أى بامره صلى الله عليه وسلم فقال له أذن يا أخا صداء وصداء حى من اليمن وعنه رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمرنى على قومى فقال لا خير فى الامرة لرجل مؤمن فقلت حسبى ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم مسيرا فسرت معه فانقطع عنه أصحابه وأضاء الفجر فقال لى أذن يا أخا صداء فأذنت ثم لما حضرت الصلاة أراد بلال أن يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انما يقيم من أذن واختلف هل أذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل نعم أذن مرة واستدل على ذلك بانه جاء فى بعض الاحاديث أى وقد صح انه صلى الله عليه وسلم أذن فى السفر وصلى وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته صلى الله عليه وسلم فصلى بهم يومئ ايماء يجعل السجود أخفض من الركوع وقيل ما أذن وانما أمر بلالا بالاذان كما فى بعض طرق ذلك الحديث ففى الهدى وصلى بهم الفرض على الرواحل لاجل المطر والطين وقد روى أحمد والترمذى انه صلى الله عليه وسلم انتهى الى مضيق هو وأصحابه والسماء من فوقهم والسيل من أسفل منهم فحضرت الصلاة فامر المؤذن فأذن وأقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث والمفصل يقضى على المجمل وفى رواية أذن اختصارا أى أمر بالاذان أى وهذا المجمل الذى نشير اليه هو فأذن صلى الله عليه وسلم على راحلته وأقام أى ويروى ان بلالا كان يبدل الشين فى أشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين قال ابن كثير لا أصل لرواية سين بلال شين فى الجنة ولا يلزم من كون هذه الرواية لا أصل لها ان تكون تلك الرواية كذلك وكان بلال وابن أم مكتوم يتناوبان فى أذانى الصبح فكان أحدهما يؤذن بعد مضى نصف الليل الاول والليل باق والثانى يؤذن بعد طلوع الفجر وروى الشيخان ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم أى وفى مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن أحدا منكم أذان بلال أو قال نداء بلال من سحوره فانه يؤذن أو قال ينادى ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصفه الاول فيرجع القائم المتهجد الى راحلته لينام غفوة ليصبح نشيطا أو يستيقظ النائم ليتأهب للصبح قال فى الهدى وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن أم مكتوم ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى بلال أى وقد علمت
انه

ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى يا عباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا فى نفر حول قبتك يارسول الله وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بان خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعى رضى الله عنه أسلم وكتم اسلامه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت وفى رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله فى قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلى فلما رآه جلس ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فاسلم ثم قال يارسول الله ان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضا مع سكون الدال وضمها أى ينقضى أمرها بالمخادعة ففيه التحذير من مكر الكافرين وانه لا ينبغى التهاون بهم والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن ان ينعكس الامر عليه وفى الحديث أيضا الاشارة الى استعمال الرأى فى الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلذا قصر الحرب على الخدعة فى قوله فان الحرب خدعة فهو كقوله الحج عرفة ثم قال نعيم يارسول الله انى أقول أى مايقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال قل ما بدالك فانت فى حل فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأونى رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب فقلت انى لم آت لشئ من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برأيى يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبه اموالكم وأبناؤكم

انه لا قاب وانهما كانا يناديان فكان بلال تارة يؤذن بليل وابن أم مكتوم عند الفجر الثانى وتارة يكون ابن أم مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ما هو موجود عند النطق ولم يكن بين أذانيهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا أى ان ينزل المؤذن الاول من أذانه ويرقى المؤذن الثانى كما ذكر فمن كان يؤذن أولا يتربص بعد أذانه للدعاء ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فأخبر صاحبه فيرقى ويؤذن مع الفجر أو عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد مما قيل ان ابن أم مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت وعن ابن عمر كان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه وفى أبى داود عن ابن عمر ان بلالا أذن قبل طلوع الفجر فأمره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادى الا ان العبد نام فرجع فنادى الا ان العبد نام الا ان العبد نام أى غفل عن الوقت أو رجع لينام لبقاء الليل ولعل هذا كان قبل ان يتخذ ابن أم مكتوم مؤذنا ثانيا أو كان أذان بلال فى هذه المرة بعد أذان ابن أم مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة والثابت فى الجمعة أذان واحد كان يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخارى عن السائب بن يزيد قال كان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وليس فيه ان ذلك الاذان كان بين يديه ولما كثر المسلمون أمر عثمان رضى الله تعالى عنه أى وقيل عمر وقيل معاوية بان يؤذن قبله على المنارة وعبارة بعضهم وفى السنة الرابعة والعشرين زاد عثمان النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فيأتوا الى المسجد وأول من أحدثه بمكة الحجاج والتذكير قبل الاذان الاول الذى هو التسبيح أحدث بعد السبعمائة فى زمن الناصر محمد بن قلاوون وأول ما أحدثت الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم أى على الكيفية المعهودة الآن بعد تمام الاذان على المنارة أى فى غير المغرب فى زمن السلطان المنصور حاجى بن الاشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون بامر المحتسب نجم الدين الطنبدى فى أواخر القرن الثامن واستمر ذلك الى الآن لكن فى غير أذان الصبح الثانى وغير أذان الجمعة أول الوقت اما أذان الصبح الثانى وأذان الجمعة المذكور فتقدم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان أحدث ذلك فى زمان صلاح الدين بن أيوب ولعل الحكمة فى ذلك اما فى الاول فلاستيقاظ النائم واما فى الثانى فلاجل حصول التكبير المطلوب فى الجمعة ولا يخفى ان من السنة مطلق الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففى مسلم اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على وقيس بذلك الاقامة فالاذان والاقامة من المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقد قيل فى معناه لا أذكر الا وتذكر معى لكن بعد فراغهما لا عند الابتداء بهما كما يقع لبعض الاروام ان يقول المقيم للصلاة عند ابتداء الاقامة اللهم صل على سيدنا محمد الله أكبر الله أكبر فان ذلك بدعة (ومن البدع) التطريب فى الاذان والتلحين

لاتقدرون على ان ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أى عاونتموهم عليهم وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان رأوا نهزة أى فرصة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أى يقاتلوه قالوا لقد أشرت بالرأى والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا على قالوا نفعل ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى أمر قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا اليه وأنا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك انا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أى سبعين رجلا فنعطيك اياهم فتضرب أعناقهم وترد جناحنا الذى كسرت الى ديارنا يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا هذا الامر قالوا لا نذكره ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الىّ ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز أى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم أى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم وفى رواية ان بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجىء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التوانى والرأى ان

فيه وفى كلام امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ويكون الاذان مترسلا بغير تمطيط ولا تغن قيل التمطيط التفريط فى المد والتغنى ان يرفع صوته حتى يجاوز المقدار (ومن البدع) رفع المؤذنين أصواتهم بتبليغ التكبير ان بعد عن الامام من المقتدين قال بعضهم ولا بأس به لما فيه من النفع أى حيث لم يبلغهم صوت الامام بخلاف ما اذا بلغهم ففى كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة حيث بلغ المأمومين صوت الامام ومعنى منكرة أنها مكروهة (وأول ما أحدث التسبيح) بالاسحار فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حين كان بالتيه واستمر الى أن بنى داود عليه الصلاة والسلام بيت المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على الآلات الى ثلث الليل الاخير ثم بعد ثلث الليل الاخير يقومون به على الآلات عند الفجر (وأول حدوثه فى ملتنا) كان بمصر أمر به أميرها من قبل معاوية مسلمة بن مخلد الصحابى رضى الله تعالى عنهما فانه لما اعتكف بجامع عمرو وسمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف الليل الى قريب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن أبى سفيان أخى معاوية رضى الله تعالى عنهما وعتبة تولاها حين مات أميرها عمرو بن العاص وهذا مما يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان عتبة خطيبا فصيحا قال الاصمعى الخطباء من بنى أمية عتبة بن أبى سفيان وعبد الملك ابن مروان خطب عتبة يوما أهل مصر فقال يا أهل مصر خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه وذم الباطل وأنتم تفعلونه كالحمار يحمل أسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها وانى لا أداوى داءكم الا بالسيف ولا أبلغ السيف ما كفانى السوط ولا أبلغ السوط ما صلحتم على الدرة فالزموا ما ألزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا وهذا يوم ليس فيه عتاب ولا بعده عتاب (ومما يؤثر عنه) ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم وقال لبنيه يوما تلقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها (ومسلمة) أول من جعل بنيان المنابر التى هى محل التأذين فى المساجد فلما ولى أحمد بن طولون رتب جماعة يكبرون ويسبحون ويحمدون فلما ولى صلاح الدين يوسف بن أيوب وحمل الناس على اعتقاد مذهب الاشعرى والخروج عما كان يعتقد الفواطم أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هى ثلاث ورقات ولم أقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها فى كل ليلة قيل فى سبب نزول قوله تعالى قل كل من عند الله ان اليهود قالوا فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله أى يبسط الارزاق ويقبضها وعند ظهور الاسلام وقوته فى المدينة قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر وقال فى موضع آخر ان تمسسكم حسنة تسؤهم (وعن صفية) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها بنت حيى قالت كنت أحب ولد أبى اليه

والى

تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنكم لا تخرجوا حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم ترد لهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا منى عناقا ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم وجاء حيى بن أخطب لبنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح أى ريح الصبا فى ليال شديدة البرد فاكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت أطنابها وصارت الريح تلقى الرجال على أمتعتهم وفى رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم وأرسل الله عليهم ملائكة زلزلتهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت فى روعهم الرعب قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم فى ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين أى لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أى من لعدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فاذن لنا نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه تلك الليلة الا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فرارا كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم انما رجع لالم البرد والجوع الشديدين أو الخوف الحقيقى على بيوتهم أو لفهمهم عدم التغليظ فى ذهاب من يذهب فكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا يا رسول الله قال ذلك ثلاثا والزبير رضى الله عنه يجيبه بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى أى ناصر وان حوارى الزبير وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له أيضا عند ارساله لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد أم لا كما تقدم وسيأتى قوله له ذلك أيضا فى خيبر وجاء فى حديث آخر حوارى

والى عمى أبى ياسر وكانا من أكبر اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاآ من العشى فسمعت عمى يقول لابى أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قال وفى رواية انها قالت ان عمى أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه صلى الله عليه وسلم وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم أطيعونى فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أطعنى فى هذا الامر واعصنى فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك اه أى ثم وافق أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله تعالى فيهما وفيمن كان موافقا لهما فى ذلك ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (وحيى بن أخطب هذا) قيل هو الذى قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغنى فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء أى وقيل فى سبب نزولها ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه دخل بيت المدراس فقال لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال والله لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت الآية وقيل فى سبب نزولها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فنحاص الكتاب قال أقد احتاج ربكم سنمده وفى رواية قال يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله جل وعلا اذا الفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت أن أضربه بالسيف وما منعنى ان أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لى لا تفتت على بشئ حتى ترجع الى فجاء فنحاص الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال قولا عظيما زعم ان الله عز وجل فقير وانهم أغنياء فغضبت لله تعالى وقال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت الآية تصديقا لابى بكر رضى الله تعالى عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن أغنياء لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافئ عليها فهو

من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضى الله عنهما وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال أى رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع وأسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة وفى لفظ يكون معى يوم القيامة وفى لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الجوع والبرد فدعا حذيفة بن اليمان رضى الله عنهم وأرسله كما يأتى ولم يرسل الزبير رضى الله عنه مع سؤاله ذلك ثلاثا لان له حدة وشدة لايملك معها نفسه أن 118 يحدث بالقوم شيأ مما نهى عنه حذيفة فيما يأتى فاختار ارسال حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند أئمة السير وهو ان المرسل انما هو حذيفة رضى الله عنه ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضى الله عنه وهو اشتباه وانما ارسال الزبير رضى الله عنه فى كشف خبر بنى قريظة لما نقضوا العهد كما تقدم قال حذيفة رضى الله عنه لما دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجد بدا من القيام حيث نوه باسمه فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامى منذ الليلة ولا تقوم فقلت والذى بعثك بالحق ان قدرت أى ماقدرت على مابى من الجوع والخوف والبرد فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة رضى الله عنه فلم يكن لى بد من الذهاب فقمت مستبشرا بدعائه فما شق على شئ مما كان وقال ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله حذيفة بن اليمان قال حذيفة رضى الله عنه فمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالى الا مرط لامرأتى مايجاوز ركبتى وأنا جاث على ركبتى فقال من هذا فقلت حذيفة فقال صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة فتقاصرت بى الارض قلت بلى يارسول الله وسلم قال قم فقمت فقال انه كان فى القوم خبر فائتنى بخبرهم فقلت والذى بعثك بالحق ماقمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى فقلت والله مابى أن أقتل ولكن أخشى أن أوسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال حذيفة فمشيت كأنى فى حمام وفى رواية فأذهب الله عنى القر أى البرد والفزع

الغنى الحميد (ومن شدة عداوتهم) أى اليهود ان لبيد بن الاعصم اليهودى سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى مشط أى له صلى الله عليه وسلم وقيل فى أسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم ومشاطة وهى مايخرج من الشعر اذا امشط أى من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودى كان يخدمه صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وفى لفظ ان الابر كانت فى العقد ودفن ذلك تحت راعونة فى بئر ذى اروان وقد مسخ الله تعالى ماءها حتى صار كنقاعة الحناء فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم انه يفعل الفعل وهو لا يفعله أى ومكث فى ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما (قال بعضهم) ويمكن ان تكون السنة أو الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه الشريف وان مدة اشتداده كانت فى الاربعين وقيل اشتد عليه ثلاثة أيام وقد يقال هى أشد الاربعين فلا منافاة وعند ذلك نزل جبريل عليه السلام وقال له ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا ودفنها بمحل كذا فارسل صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم بذلك خفة حتى قام كأنما نشط من عقال وفى رواية ان اليهودى دفن ذلك بقبر فانزل الله تعالى سورة الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية تحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفى لفظ فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك أى ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة بعد قراءة الآية أى وكان ذلك بين الحديبية وخيبر وذكر بعضهم انه بعد خيبر جاءت رؤساء يهود الذين بقوا فى المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن الاعصم وكان أعلمهم بالسحر فقالوا له ياأبا الاعصم قد سحرنا محمدا فسحره منا الرجال فلم يصنع شيأ أى ولم يؤثر سحرهم وأنت ترى أمره فينا وخلافه فى ديننا ومن قتل واجلى ونجعل لك على سحره ثلاثة دنانير ففعل ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاءنى رجلان أى وهما جبريل وميكائيل كما فى بعض طرق الحديث فقعد أحدهما عند رأسى والآخر تحت رجلى فقال أحدهما ماوجع الرجل فقال الآخر مطبوب أى مسحور فقال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيم قال فى مشط ومشاطة وفى لفظ ومشاقة أى وهى المشاطة وقيل هى مشاقة الكتان وجف بالجيم والفاء وقيل بالباء الموحدة طلعة ذكر أى غشاء طلع الذكر الذى يقال له كوز الطلع قال فاين هو قال فى بئر ذى ذروان على وزن مروان وفى لفظ بئر ذى اروان وفى لفظ بئر ذروان وعليه اقتصر فى الامتاع تحت صخرة فى الماء قال فادواء ذلك قال تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فتوجد الكدية فيها تمثال فيه احدى عشرة عقدة فتحرق فانه يبرأ باذن الله تعالى ثم أحضر صلى الله عليه

أى الخوف وفى رواية فوالله ماخلق الله تعالى فى جوفى فرا ولا فزعا الا خرج وماوجدت منه شيأ وخرجت كأنما أمشى فى حمام فلما وليت دعانى فقال لى لا تحدث شيأ وفى رواية لاترم بسهم ولا حجر ولا تضرب بسيف حتى تأتينى فجئت اليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فدخلت فى غمارهم فسمعت أباسفيان يقول يامعشر قريش ليعرف كل امرئ جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فاخذت بيد جليس لى على يمينى وقلت 119 من أنت قال معاوية بن أبى سفيان وقبضت بيدى على من على يسارى وقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فقال أبو سفيان يامعشر قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله الا وهو قائم أى فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة ابن أبى جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو ابن العاص رضى الله عنه ياأباعبد الله تقيم فى جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا لا نأمن من أن نطلب فقال عمرو وأنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ماترى أباسليمان فقال أنا أيضا أقيم فاقام عمرو وخالد فى مائتى فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضى الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حين بعثنى أن لا أحدث شيأ لقلته يعنى أباسفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه فدخلت العسكر فاذا الناس فى عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة لاتجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا أنا بنحو عشرين فارسا معتمين تخرج الى منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة رضى الله عنه ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلى فاخبرته الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وفى رواية فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل وعاودنى

وسلم لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل له يارسول الله لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافانى الله وما وراءه من عذاب الله تعالى أشد ويحتاج الى الجمع بين كون جبريل قال له سحرك الى آخره وكون جاءه رجلان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ماوجع الرجل الى آخره قيل وهذا أى عدم قتل الساحر يعارض القول بان الساحر يتحتم قتله وفيه انه عندنا لا يتحتم قتله ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بان سحره يقتل غالبا ولبيد هذا قيل انه أول من قال بنفى صفات البارى وقال بها الجهم بن صفوان وأظهرها فقيل لاتباعه فى ذلك الجهمية فعند ذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر الى تلك البئر فاستخرجا ذلك وقيل الذى استخرج السحر بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن (وفى الصحيح) عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم توجه الى البئر مع جماعة من أصحابه فاذا ماؤها كأنه خضب بالحناء فاستخرجا أى النبى صلى الله عليه وسلم وجماعته منها ذلك ويحتاج الى الجمع بين كونه صلى الله عليه وسلم أرسل لاستخراج السحر عليا كرم الله وجهه وكونه بعث لاستخراجه عليا وعمار بن ياسر وكونه أمر قيس بن محصن باستخراجه وكونه صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة أى واذا فيها ابر مغروزة ونزلت المعوذتان فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجد أى ولا ينافى ماتقدم أن القارئ لذلك جبريل عليه السلام لجواز أن يكون كل منهما صار يقرأ الآية أو انه صلى الله عليه وسلم صار يقرأ بعد قراءة جبريل وفى الامتاع عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت له أفلا استخرجته قال لا أما أنا فقد عافانى الله وكرهت أن أثير على الناس شرا ومراد عائشة بقولها أفلا استخرجته لسحر أى هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة حتى تنظر اليه فقال أكره أن أثير على الناس شرا قال ابن بطال أى كره أن يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذاك هو الشر الذى كرهه صلى الله عليه وسلم وذكر السهيلى أنه يجوز أن يكون الشر غير هذا وهو انه لو أظهر للناس لربما تأذى له طائفة من المسلمين ويغضب آخرون من عشيرته فيثور شر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم هلا تنشرت أى استعملت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر عليها قولها وكرهها جمع واستند والحديث فى أبى داود مرفوعا النشرة من عمل الشيطان وحمل ذلك على النشرة التى تصحبها العزائم المشتملة على الاسماء التى لا تفهم فامر بها فطمت أى تلك البئر وحفروا بئرا أخرى فاعانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرها حيث طموا الاخرى التى سحر فيها هذا كلامه فليتأمل مع ماقبله وقيل انما سحره بنات أعصم أخوات لبيد ودخلت احداهن على عائشة فسمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره ثم خرجت الى اخواتها فاخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا

البرد وجعلت أقرقف فأومأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل على من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أى طلوع الفجر فلما أصبحت أى دخل وقت صلاة الصبح قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أى يا كثير النوم وانما جاءه البرد بعد رجوعه لان النبى صلى الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى وقد رجع وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه لما دخلت بينهم نظرت فى ضوء نار توقد واذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبته قد تفرق عنه الاحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش لاضعه فى كبد القوس لارميه فى ضوء النار فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيأ حتى تأتينى فامسكت ورددت سهمى فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان انه قد دخل فيهم من غيرهم فقال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى فقلت من أنت قال معاوية بن أبى سفيان ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى فقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية ان يفطن بى فبدرتهم بالمسئلة ثم لبثت فيهم هنيهة فأتيت قريشا أى بقية قريش وبنى كنانة وقيسا وقلت ما أمرنى به صلى الله عليه وسلم أى فانه صلى الله عليه وسلم قال له أدخل حتى تدخل بين ظهرانى القوم فأت قريشا فقل يا معشر قريش انما يريد الناس اذا كان غدا ان يقال أين قريش أين قادة الناس أين رؤس الناس فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت بنى كنانة فقل اذا كان غدا فيقال أين الرماة فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت قيسا فقل يا معشر قيس انما يريد الناس اذا كان غدا ان يقال أين احلاس الخيل أين الفرسان فيقدمونكم فتصلوا ثم القتال فيكون القتل فيكم ثم ذكر بقية ارتحالهم كما تقدم وفى البخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم أى حتى لا يثبتوا للقتال عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترعد أقدامهم وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فارسل عليهم ريحا وجنودا فهزمهم

فسيخبر وان يكن غير ذلك فسوف يذهله هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله تعالى عليه (وقد يجمع) بين كون الساحر له صلى الله عليه وسلم لبيدا وكون الساحر له أخوات لبيد بان الساحر له أخوات لبيد ونسب السحر الى لبيد لانه جاء انه الذى ذهب به فادخله تحت راعوفة البئر أى أو فى القبر كما تقدم ولا منافاة لجواز ان يكون وضعه فى القبر مدة ثم أخرجه منه ووضعه تحت تلك الراعوفة أى وهى حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقى وقد يكون فى أسفل البئر يجلس عليه الذى ينظف البئر أى والثانى هو المراد بدليل ما سبق وفى النهر لابى حيان ونص القرآن والحديث ان السحر تخييل أى لا يقلب الاعيان ولا شك فى وجوده فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأما فى زماننا الآن فكل ما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافتراء لا يترتب عليه شئ فلا يصح منه شئ البتة وطعنت المعتزلة وطوائف من أهل البدع فى كونه صلى الله عليه وسلم سحر وقالوا لا يجوز على الانبياء ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا لجاز ان يجنوا وقد عصموا من الناس ورد بان الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم واما أبدانهم فيبتلون فيها والسحر انما أثر فى بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها من ذكرها ما أنكر صلى الله عليه وسلم من بصره لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل له انه يفعل الشئ ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل ثم رأيت أبا بكر بن العربى قال لم ينقل كل الرواة انه اختلط عليه صلى الله عليه وسلم أمر وانما هذا اللفظ زيد فى الحديث لا أصل له قال ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا واستجرارا الى القول بابطال معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقدح فيها وأنه لا فرق بين معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين فعل السحرة وان جميعه من نوع واحد هذا كلامه (وممن كان حريصا على رد الناس عن الاسلام أيضا شاس) بن قيس كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من الفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أى يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أى قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذا وقال الآخر قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة أى قالوا انما لو ان ردا الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا للاوس ونادى هؤلاء يا للخزرج ثم خرجوا اليهم وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أى اتقوا الله أبدعوى الجاهلية أى وهى يا للخزرج يا للاوس وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وألفكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج

الله حتى قال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وكذا قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وتقدم ان بعض الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما فى مائتى فارس فى ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب وفى حديث جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اتى مسجد الاحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه وقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر فى وجهه ومما دعا به صلى الله عليه وسلم كما تقدم قوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وباصحابى فاتاه جبريل فبشره بان الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فاخبر أصحابه بذلك ليزول خوفهم ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وأطفأت النيران وألقت عليهم الابنية وأكفأت القدور على أفواهها وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا فى جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع بقين من ذى القعدة وكان قد أقام بالخندق محاصرا خمسة عشر يوما وقيل أربعة وعشرين يوما وقيل شهرا وقال صلى الله عليه وسلم بعد انصراف الاحزاب ان تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفى رواية الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم وقد كان كما أخبر صلى الله عليه وسلم ففى ذلك علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفى السيرة الحلبية ان أبا سفيان قبل أن يرتحلوا كتب كتابا وأرسله للنبى صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى أحلف باللات والعزى واساف ونائلة وهبل لقد سرت

ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فى شاس بن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وقد جاء فى ذم هذه الكلمة التى هى دعوى الجاهلية وهى يا لفلان قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا أى قولوا له اعضض على ذكر أبيك ولا تكنوا عنه بالهن فلا تقولوا على هن أبيك بل قولوا على ذكر أبيك تنكيلا له وزجرا عما أتى به أى وقد كان أنزل الله تعالى فيهم يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الآية وقد قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فألقوا السلاح وفعلوا ما تقدم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان يهود كانوا يستفتحون أى يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه أى يقولون سيبعث نبى صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم كما تقدم عند مبايعة العقبة فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وكفر وتخبرونا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام أى بالتشديد ابن مشكم من عظمائهم وبنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه ما هو الذى كنا نذكره لكم فانزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما أنزل الله على بشر من شئ انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على اليهود أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شئ فقالت له اليهود ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه أغضبنى فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف أى لان فى قوله المذكور طعنا فى التوراة وقيل ان يهود المدينة من بنى قريظة وبنى النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا من بينهم من مشركى العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبى الامى الذى وعدتنا انك باعثه فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفى لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة فينصرون وفى لفظ يقولون اللهم ابعث النبى الذى نجده فى التوراة يعذبهم ويقتلهم وفى لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق محمد النبى الامى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فيهزموا غطفان وصار اليهود يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أشياء ليلبسوا الحق بالباطل أى ومن جملة ما سألوه صلى الله عليه وسلم عن الروح فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة

اليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود أبدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق وفى رواية قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد فارسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب فقد أتانى كتابك وقديما غرك بالله الغرور وأما ما ذكرت انك ١٢٢ سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك ياسفيه بنى غالب انتهى وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم وكسر اللات والعزى وغيرهما من الاصنام وأعز الله الاسلام فاخباره بذلك قبل وقوعه علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم (وقد ذكر ابن اسحق) انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير سعد بن معاذ رضى الله عنه وسيأتى بيان وفاته وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الاوس ومن الخزرج الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وزاد الحافظ الدمياطى قيس بن زيد ابن عامر وعبد الله بن أبى خالد (وذكر الحافظ ابن حجر) فى الكنى أبا سنان بن صيفى بن صخر وقال شهد بدرا واستشهد فى الخندق وقتل من المشركين ثلاثة منبه بن عبيد العبدرى أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومى وعمرو بن عبدود (وفى البخارى) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وهذا من السجع المحمود وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد والمذموم ما يأتى بتكلف واستكراه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة بنى قريظة﴾ وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق دخل المدينة فى اليوم الذى انصرف فيه لسبع بقين من ذى القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل

بتوكأ على عسيب أى جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفى رواية لئلا يستقبلكم بشئ تكرهونه أى يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه النبى الامى وأنتم تنكرون نبوته فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفى رواية يا أبا القاسم ما الروح وفى رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت أنه صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح أى التى يكون بها الحيوان حيا قل الروح من أمر ربى فقالوا هكذا نجد فى كتابنا أى التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحى قال صاحب الافصاح انه انما سأل اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح تطلق بالاشتراك على الروح للانسان وعلى القرآن وعلى عيسى وعلى جبريل وعلى ملك آخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهود انه بأى شئ أجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الجواب لرد كيدهم لان كل واحد مما ذكر أمر من مأمورات الحق تعالى ولما أنزل الله تعالى فى حق اليهود وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا وفى الكشاف انهم قالوا نحن مخصوصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه وسألوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت نبيا فأنزل الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى الآية أى وجاء يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال صلى الله عليه وسلم لهما لا تشركوا بالله شيأ ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرئ الى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يا يهود خاصة ان لا تعتدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد أنك نبى قال ما يمنعكما ان تسلما فقالا نخاف ان أسلمنا أن تقتلنا يهود أى وسألوه صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات أى فى أى زمن والارض وما بينهما أى مدة ما بينهما فقال لهم خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثاء أى ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق البحر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو تممت ثم استراح أى لو قلت هذا اللفظ لانهم يقولون انه استراح جل وعز يوم السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب أى تعب فاصبر على ما يقولون وفى رواية خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق

الجبال

بيت عائشة رضى الله عنها وقيل بيت زينب بنت جحش رضى الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل وقد غسل شق رأسه الشريف وفى رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه وفى رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه وفى رواية عليه لأمة ولا معارضة لانه يجوز ان الاعتجار بالعمامة على تلك اللأمة وهو على ١٢٣ بغلة شهباء عليها قطيفة وهى كساء له وبر من ديباج أحمر فقال أو قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح وفى رواية قال يا رسول الله غفر الله لك أو قد وضعتم السلاح وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعنى الاحزاب وقد بلغنا الاسد يعنى حمراء الاسد ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم بمن معى من الملائكة فمزلزل بهم الحصون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أصحابى جهدا فلو انظرتهم اياما فقال جبريل انهض اليهم أى بنى قريظة فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ولأدخلن عليهم فى حصونهم ثم لأضعضعنها فادبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الانصار وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم لموكب جبريل حين سار لبنى قريظة (وعن عائشة رضى الله عنها) انها قالت لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بينما هو عندى اذ دق الباب وفى رواية نادى مناد فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت فى اثره فاذا رجل على دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيتيه قلت نعم قال بمن شبهتيه قالت بدحية الكلبى قال ذلك جبريل أمرنى ان أمضى الى بنى قريظة وهذا يؤيد انه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة رضى الله عنها وجاء فى رواية عنها فكأنى برسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو أى جبريل ينفض رأسه من الغبار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو بلال رضى الله عنه أن

الجبال يوم الثلاثاء وخلق الانهار والاشجار يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما تقدم ان مبدأ الخلق يوم السبت حتى يكون آخر الاسبوع يوم الجمعة وهو الراجح على ما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم الى قوله ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من أراضى الشام لم يعلما ببعثته صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبى الخارج فى آخر الزمان فاخبرا بمهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم ووجوده فى تلك المدينة فلما رأياه قالا له أنت محمد قال نعم قالا نسألك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال صلى الله عليه وسلم اسألانى فقالا اخبرنا عن أعظم الشهادة فى كتاب الله تعالى فنزلت هذه الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا قال وعن قتادة رضى الله تعالى عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الذى خلق الجن والانس من خلقه وفى لفظ خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فاخبرنا عن ربك من أى شئ خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل عليه السلام وقال له خفض عليك فأنزل الله تعالى عليه قل هو الله أحد السورة أى متوحد فى صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته أى اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه اهـ (أقول) ونزول جبريل بذلك ربما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم توقف ولم يدر ما يقول كما وقع له لما سأله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه وقال له صف ربك كما سيأتى ثم رأيت عن الشيخين وغيرهما أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ذكر فى سبب نزول هذه السورة غير ما ذكر واعله ما سيأتى فى قصة اسلام عبد الله بن سلام ولا مانع من تكرر النزول لاسباب مختلفة ثم رأيته فى الاتقان ذكر أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة وقال قبل ذلك انها انما نزلت بالمدينة وفى دعوى تكرر نزولها يقال حيث سئل أولا ونزلت جوابا كيف يتوقف ثانيا عند السؤال الثانى حتى يحتاج الى نزولها مع بعد نسيان ذلك له صلى الله عليه وسلم ثم رأيت عن البرهان قد ينزل الشئ مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع التوقف وكان من أعلم أحبار يهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق أى وقد أثنى الله تعالى عليه فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بنى قينقاع كما تقدم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه أى فى أول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبى أيوب ٥ أى ولعل الذى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم هو قوله يا أيها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل

ينادي في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وفي رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلها فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا في بني قريظة وللذين صلوها لا تصلوا العصر الا في بني قريظة وبعث مناديا يقول يا خيل الله اركبي أي يا فرسان خيل الله ثم سار اليهم وبعث عليا رضي الله عنه على المقدمة ودفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه ولبس صلى الله عليه وسلم السلاح والدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريا ويمكن انه ركب في بعض الطريق حماره وفي بعضه فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ومر بنفر من الانصار وقد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء وفي رواية على فرس أبيض عليه اللأمة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا امر أبا قتادة الانصاري ان يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لي أذى قال نعم قال لو رأوني لم يقولوا شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفي رواية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا

والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضي الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس أي بالجيم أسرعوا فكنت ممن أتى اليه أي وهذا يدل على انه جاءه في قباء وسيأتي قال فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت انه وجه غير كذاب أي لان صورته وهيئته وسمته صلى الله عليه وسلم تدل العقلاء على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس الى آخره أي ولا مانع أن يكون ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك قال أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم أي في بيت أبي أيوب وقلت له لقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فاخبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني أسلمت فانهم قوم بهت أي بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وأعظم قوم عضهة أي كذبا وانهم ان يعلموا اني قد أسلمت قالوا في ما ليس في وخذ عليهم ميثاقا أني ان اتبعتك وآمنت بكتابك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أنزل عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأني جئتكم بحق أسلموا قالوا ما نعلم فأعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فأي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا وفي رواية خيرنا وابن خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة تحت أفعل تفضيل وقيل بالمهملة والباء الموحدة أي أعلمنا بكتاب الله سيدنا وعالمنا وأفضلنا قال أفرأيتم ان شهد أني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل علي تؤمنوا بي قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم اني رسول الله تجدني عندكم مكتوبا في التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم ان تؤمنوا بي وان تتبعوني من أدركني منكم قال ابن سلام بلى يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله والله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق قال زاد في رواية تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته قالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة والفصحى شرنا وابن شرنا بغير همزة وهي رواية البخاري قال ابن سلام رضي الله تعالى عنه هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور انتهى فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت اسلامي وأنزل الله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله يعني الكتاب أو الرسول وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل يعني عبد الله بن سلام على مثله يعني اليهود فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين (أقول) هذا السياق لا يناسب ما حكاه في الخصائص الكبرى عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله يعني

التوراة

يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وهو ما عبد من دون الله هل اخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتموني فجعلوا يحلفون ما قلناه ويقولون يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفي رواية ما كنت فاحشا وقال لهم أسيد بن حضير يا اعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن مواليك وخاروا أي خافوا فقال لا عهد بيني وبينكم وانما قال لهم يا اخوة القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بد عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر الى أن جاؤا بعد صلاة العشاء الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة وبعضهم قال نصلي ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا في أماكنهم قيل وجماعة صلوا على ظهور دوابهم ثم ساروا فما عابهم الله في كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كلا من الفريقين مأجور بقصده لانهم مجتهدون ولم يعنف الذين أخروها القيام عذرهم في التمسك بظاهر الامر وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل شهرا وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر واشتد الحصار على بني قريظة وقذف الله الرعب في قلوبهم وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما عاهده عليه كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أي يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يك من بني اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعني حيي بن أخطب أتذكرون

التوراة قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم أي توقف ولم يدر ما يقول فقال له جبريل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي الى آخر ما تقدم عن التوراة فانه يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولو كان كذلك لما قال فلما رأيت وجهه الشريف عرفت أنه غير وجه كذاب ولما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما سأله عن الامور الآتية ولما احتاج الى الاسلام ثانيا الا أن يقال على تسليم صحة ما قاله ابن عساكر جاز أن يكون قال ذلك وفعل ما ذكر اقامة للحجة على اليهود (وقد وقع لابن سلام) هذا أنه لقي عليا بالربذة وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد أن بويع بالخلافة متوجها الى البصرة لما بلغه أن عائشة وطلحة والزبير ومن معهم خرجوا الى البصرة في طلب دم عثمان وكان ذلك سببا لوقعة الجمل فأخذ بعنان فرس علي وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها يعني المدينة فوالله لئن خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين أبدا فسبه بعض الناس وقال له ما لك ولهذا يا ابن اليهودية فقال علي دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال لقد لقيت عبد الله بن سلام فقلت له اخبرني عن ساعة الاجابة يوم الجمعة فقال في آخر ساعة في يوم الجمعة قلت وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا صلاة فيها فقال ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي وفيه ان في الصحيحين ان في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي فسأل الله عز وجل شيأ الا أعطاه اياه ثم رأيت عن سنن ابن ماجه ان جواب ابن سلام تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ونص السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتابنا يعني التوراة في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله عز وجل فيها شيأ الا قضى حاجته قال عبد الله بن سلام فأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعض ساعة فقلت صدقت يا رسول الله أو بعض ساعة قلت أي ساعة هي قال آخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى ثم جلس لا يحبسه الا الصلاة فهو في الصلاة أي ولعل لفظ قائم في رواية الصحيحين يراد به مريد القيام الى الصلاة أي صلاة العصر وقد قيل ان تلك الساعة رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم وقيل هي باقية وهو الصحيح وعليه فقيل لا زمن لها معين وقيل هي في زمن معين وعليه ففي تعيينها أحد عشر قولا وقيل أربعون قولا (وقد وقع لميمون ابن يامين) وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام مع اليهود فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم واجعلني حكما فانهم يرجعون الي فأدخله داخلا وأرسل اليهم فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال لهم اختاروا رجلا حكما يكون بيني وبينكم قالوا قد

ماقال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونون آمنتم بالكتابين الاول والآخر
يعني التوراة والقرآن أي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان
مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم
قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما ١٢٦ قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم
على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أي ولدا يخشى عليه وان نظفر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد وأصحابه قد امنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا وأصابه مالم يخف عليك من المسخ وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية واعطوه الجزية فوالله ما أدري أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه وان القتل خير من ذلك قال فاني بريء منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو ولما أخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ذلك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم وجاء
لحصارهم يا بني قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والترف والرأي الفاضل والعقل
قد تركوا أموالهم يملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بني قينقاع نقضهم
العهد في الذل والسبي وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم صلى الله عليه وسلم فكلم فيهم فتركهم على

رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال أشهد أنه لرسول الله فأبوا أن يصدقوه والله أعلم
(وقد أشار) الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه فظلما * كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الاله تطفئه الافـ * ـواه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

أي عرفوه انه النبي المنتظر وأنكروه بظواهرهم ولاجل ظلمهم كتمت الشهادة به العارفون به أو نور الاله الذي هو النبوة تذهبه الالسن لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو الذي يستضاء به في الظاهر والباطن كيف يوصل الاله قلوبا للحق وملؤها البغضاء لحبيبه صلى الله عليه وسلم (أقول) وقيل في سبب نزول سورة قل هو الله أحد ان وفد نجران لما ناظروا بالتثليث قال لهم المسلمون من خالقكم قالوا الله قالوا لهم فلم عبدتم غيره وجعلتم معه الهين فقالوا بل هو اله واحد لكنه حل في جسد المسيح اذ كان في بطن أمه فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا كان يأكل الطعام فانزل الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد تكذيبا لهم في انه ثالث ثلاثة والصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وقيل سبب نزولها ان قريشا هم الذين قالوا له انسب لنا ربك يا محمد وتقدم مافيه والله أعلم وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود أوفوا بعهدي الذي أخذته في أعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءكم بتصديقه واتباعه أوف بعهدكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وانتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم (قال بعضهم) ولم يسلم من رؤساء علماء اليهود الا عبد الله بن سلام وضم اليه السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح وانما نسب لتفسير النقاش أي ويضم لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره وروى في سبب اسلام عبد الله بن سلام أي اظهار اسلامه على ما تقدم انه لما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في قباء فعنه رضي الله تعالى عنه جاء رجل حتى أخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي تحتي جالسة فلما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت فقلت لها أي عمة فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع بعث الساعة وفي لفظ مع نفس الساعة فقلت لها نعم أي وقد جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري

اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به علماؤنا لازال يخوفهم
بالحرب والسباء والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال والتوراة التي نزلت على موسى يوم طور سيناء انه العز والشرف في الدنيا
فبيناهم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة جيش النبي صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذي قلت لكم أي وبعد الحصار
أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت ١٢٧ عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا
الحاقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا له ثانيا بأنهم لا حاجة لهم بشيء من الاموال لا من الحاقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد شاس اليهم بذلك ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الانصاري رضي الله عنه لنستشيره في أمرنا أي لانه كان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة وكانوا محالفين للاوس وهو منهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه أي انه الذبح أي وفي لفظ ماترى ان محمدا قد أبى أن ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة فوالله مازالت قدماي من مكانهم حتى عرفت اني خنت الله ورسوله أي لان في ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم انزل الله في ذلك يا أيها
الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقيل
الذي نزل في ذلك قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم
والحق ان كلا من الآيتين نزل فيه الاولى في اللوم عليه والثانية في توبته وفي رواية عن أبي لبابة رضي الله عنه لما أرسلت بنو قريظة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرسلني اليهم دعاني فقال اذهب الى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام

وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين وقال بأصبعيه هكذا يعني السبابة والوسطى أي جمع بينهما وفي رواية بعثت في نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه وفي رواية سبقتها بما سبقت هذه هذه وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة قال الطبري الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع كما ان نصف يوم من سبعة أيام نصف سبع أي وقد تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم منها وتقدم في حديث أخرجه أبو داود لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة قال بعضهم فان قيل ما وجه الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الساعة ما المسؤول عنها باعلم من السائل لدلالة الرواية الاولى على علمه بها أجيب بان القرآن نطق بان علمها عند الله لا يعلمها الا هو ومعنى قوله بعثت أنا والساعة كهاتين انه ليس بيني وبينها نبي آخر يأتي بشريعة ولا يتراخى الى ان تندرس شريعتي فهو صلى الله عليه وسلم أول أشراطها لانه نبي آخر الزمان وهذا لا يقتضي ان يكون عالما بخصوص وقتها قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه أي في التوراة زاد في رواية فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت يا محمد اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذلك يعني جبريل عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولا مانع من أن يكون قال ذلك كل منهما أي وعن ابن صوريا أنه قال له صلى الله عليه وسلم من ينزل عليك بالوحي قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان غيره وفي لفظ لو كان ميكائيل لآمنا بك لان جبريل ينزل بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم وسبب العداوة انهم زعموا أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم أي يجعل النبي المنتظر في بني اسرائيل الذين هم أولاد اسحق فجعلها في غيرهم أي في ولد اسمعيل وقيل سبب عداوتهم لجبريل انه أنزل على نبيهم أن بيت المقدس سيخرب به بختنصر فبعثوا من يقتله من أعظم بني اسرائيل قوة فاراد قتله فمنعه عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره باهلاككم فانه لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه أي فان بني اسرائيل لما اعتدوا وقتلوا اشعياء جاء بختنصر ملك فارس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة واحرق التوراة وخرب بيت المقدس وقيل في سبب العداوة كونه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع من أن يكون كل ذلك سببا للعداوة ثم قال صلى الله عليه وسلم اما أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت أي وهي القطعة المنفردة المعلقة بالكبد قال بعضهم وهي في الطعم في غاية اللذة ويقال انها أهنأ طعام وأمرؤه وروي أن الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت فتأكل منه أهل الجنة ثم يحيا فيضر الثور بذنبه فتأكله أهل الجنة ثم يحيا قال وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل

كعب بن أسد فقال يا أبا بشر قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى تنزل على حكمه فلو زال عنا
لحقنا بارض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ما ترى فانا قد اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال أبو
لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال أبو لبابة فندمت واسترجعت فقال لى كعب مالك يا أبا لبابة فقلت قد خنت الله ورسوله
ثم نزلت من عندهم وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وارتبط فى المسجد
بعمود من عمده وهى التى كانت
عند باب أم سلمة رضى الله عنها زوج
النبى صلى الله عليه وسلم وكان أكثر
تنفل النبى صلى الله عليه وسلم عندها
وتعرف باسطوانة أبى لبابة وباسطوانة
التوبة وكان الوقت شديد الحر
وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال
والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى
أموت أو يتوب الله على مما صنعت
وعاهد الله لا يطأ بنى قريظة أبدا
ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه
أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم خبره وكان قد استبطأه قال
أما لو جاءنى لاستغفرت له وأما
اذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه
حتى يتوب الله عليه ومن قال انه
انما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة
تبوك فقد اغرب ثم مكث أبو لبابة
رضى الله عنه مربوطا ست ليال
لا يذوق طعاما ولا شرابا وتأتيه
امرأته فى كل وقت صلاة فتحله
للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع
وقيل مكث مربوطا بضع عشرة
ليلة يطلقونه للصلاة ثم يأمرهم
باعادة الربط حتى خر مغشيا عليه
ثم أنزل الله توبته على النبى صلى
الله عليه وسلم فى قوله تعالى
وآخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى
الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وكان نزول توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم
فى بيت أم سلمة رضى الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فرحا بالتوبة لانه بالمؤمنين
رؤف رحيم قالت فقلت يا رسول الله مم تضحك أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت
فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه

نزع الولد اليها أى لكن فى فتح البارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها اذا علا ماء الرجل ماء المرأة
أشبه أعمامه واذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله والمراد بالعلو السبق وعن ثوبان اذا علا
منى الرجل منى المرأة جاء الولد ذكرا وان علا منى المرأة منى الرجل جاء انثى والعلو فيه على بابه
هذا كلامه أى واذا استوى الماآن جاء خنثى وفى رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم أين تكون
الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ومن أول الناس اجازة وما تحفتهم أى الناس
حين يدخلون الجنة وما غذاؤهم على اثره وما شرابهم عليه فاجابهم عليه الصلاة والسلام بأنهم
يكونون فى ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط لكن فى رواية مسلم أين الناس يومئذ
قال على الصراط ثم رأيت عن البيهقى ان قوله على الصراط مجاز لكونهم بمجاورته ونقل
القرطبى عن صاحب الافصاح أن الارض والسماء يتبدلان مرتين المرة الاولى تتبدل صفتهما
فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر وتتناثر السماء كالمهل
وتكشط الارض وتسير الجبال والمرة الثانية تتبدل ذاتهما وذلك اذا وقفوا فى المحشر فتتبدل
الارض بارض من فضة لم يقع عليها معصية وهى الساهرة أى والسماء تكون من ذهب كما جاء
عن على رضى الله تعالى عنه وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى تكون الارض يوم القيامة
خبزة واحدة يكفأها الجبار كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لاهل الجنة فيأكل المؤمن من
تحت رجليه ويشرب من الحوض قال الحافظ ابن حجر ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعذبون
بالجوع فى طول زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته طبع الارض خبزا حتى يأكلوا منها من
تحت أقدامهم ما شاء الله من غير علاج ولا كلفة قال ويؤيد أن هذا مراد الحديث ما جاء تبدل
الارض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الاسلام حتى يفرغوا من الحساب هذا كلامه
فليتأمل مع ما قبله من ان الارض تبدل بارض من فضة وان هذا يدل على ان تلك الارض التى
تكون خبزة تكون فى موقف الحساب وما جاء عن على رضى الله تعالى عنه يدل على انها تكون
بعد مجاوزتهم الصراط وأول الناس اجازة فقراء المهاجرين وتحفة أهل الجنة حين يدخلونها
زيادة كبد النون أى الحوت وغذاؤهم ينحر لهم ثور الجنة الذى يأكل من أطرافها وشرابهم
من عين تسمى سلسبيلا وسألوه صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن علامة النبى فقال عليه
الصلاة والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه وسألوه أى طعام حرم اسرائيل على نفسه قبل
ان تنزل التوراة قال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل
يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن
أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب
الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم أى حرمهما ردعا لنفسه ومنعا لها عن شهواتها وقيل لانه
كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به (وذكر) أن سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان
حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول
انك

وقيل قالوا له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال يا رسول الله ان من تمام توبتى ان أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالى فقال له صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وجاء فى بعض الروايات عن أبى لبابة رضى الله
عنه عند ذكر هذه القصة حين ربط نفسه قال فكنت فى أمر عظيم فى حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن
شيأ ولا أشرب وقلت لا أزال
هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب
الله على وذكرت رؤيا رأيتها ونحن
محاصرون بنى قريظة فانى رأيت
كأنى فى حمأة أى طين أسود آسنة
أى متغيرة فلم أخرج منها حتى كدت
أموت من ريحها ثم رأيت نهرا
جاريا فارانى اغتسلت فيه حتى
استنقيت وأرانى أجد ريحا طيبة
فاستعبرتها أبا بكر رضى الله عنه
فقال لتدخلن فى أمر تغتم له ثم
يفرج الله عنك فكنت أذكر قوله
وأنا مرتبط فأرجو أن ينزل الله
توبتى فلم أزل كذلك حتى كنت
ما أسمع الصوت من الجهد ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى
حتى أنزل الله توبتى ثم ان بنى
قريظة نزلوا على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر بهم
فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا
ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين
مقاتلا وهو الذى تقدم عن حيى
ابن أخطب وقيل كانوا بين الثمانمائة
والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة
ويجوز أن يكون ما زاد على ذلك
أتباعا لا يعدون فلا تخالف وأخرج
النساء والذرارى من الحصون
وجعلوا ناحية وكانوا ألفا واستعمل
عليهم عبد الله بن سلام فتواثب
الاوس فقالوا يا رسول الله موالينا
 وحلفاؤنا وقد فعلت فى موالى اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج
عبد الله بن أبى ابن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما
تقدم فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم بنى قريظة كما وهب بنى قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبى أن
يفعل ببنى قريظة ما فعل ببنى قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال ذلك الى سعد بن

انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم
حتى انتهى الينا أى علمه فى التوراة فنحن أولى الناس بابراهيم منك ومن غيرك فانزل الله تعالى
الآية تكذيبا لهم أى بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ومن ثم جاء فيها فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين وكانت اليهود اذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم
يؤاكلوها ولم يشاربوها أى وفى كلام الواحدى قال المفسرون كانت العرب فى الجاهلية اذا
حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها فى بيت كفعل المجوس هذا كلامه
فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك أى قال له بعض الاعراب يا رسول الله البرد شديد
والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فانزل
الله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى الآية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصنعوا كل شئ الا النكاح أى الوطء وما فى معناه وهو مباشرة ما بين السرة والركبة أى فان
الآية لم تنص الا على عدم قربانهن بالوطء فى الحيض ومن ثم جاء فى رواية انما أمرتم أن تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا
الرجل أن يدع من أمرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالا ان اليهود قالت كذا أفلا نجامعهن أى نوافقهن فتغير وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم أى وعند ذلك قال بعض الصحابة فظننا أنه قد وجد أى غضب عليهما فلما خرجا
استقبلتهما هدية من لبن الى النبى صلى الله عليه وسلم فارسل فى أثرهما فسقاهما فعرفنا أنه لم
يجد عليهما وذكر المفسرون أن فى منع الوطء للحائض اقتصادا من افراط اليهود وتفريط
النصارى فانهم لا يمتنعون من وطء الحيض أى وذكر أن ابن سلام وغيره ممن أسلم من يهود
استمروا على تعظيم السبت وكراهة أكل لحم الابل وشرب ألبانها فانكر ذلك عليهم المسلمون
فقالوا ان التوراة كتاب الله فنعمل به أيضا فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم
كافة أى وفى رواية قالوا له ما هذا السواد الذى فى القمر فاجابهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك
بانهما كانا شمسين أى شمس فى الليل وشمس فى النهار قال الله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية
النهار مبصرة فالسواد الذى يرى هو المحو أى أثره قال بعضهم فى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار أن الليل ذكر والنهار أنثى فالليل كآدم والنهار كحواء وقد ذكر أن الليل من الجنة
والنهار من النار ومن ثم كان الانس بالليل أكثر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من
علماء اليهود أتشهد أنى رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده
هل تجدنى فى التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا
أن تكون أنت فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم ذاك قال معه من أمته سبعون ألفا ليس
عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال والذى نفسى بيده لانا هو وانهم لاكثر من
سبعين ألفا وسبعين ألفا وقد سأله صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد أى والبرق فقال صوت

معاذ وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابى فاختاروا سعد بن معاذ وهو سيد الاوس حينئذ وقيل ان بنى
قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام حدثنى من
أثق به ان عليا رضى الله عنه صاح على بنى قريظة وهم محاصرون يا كتيبة الايمان ثم تقدم هو والزبير وقال والله لا أذوقن ماذاق
حمزة أو لاقتحمن حصنهم فخافوا وقالوا ننزل على حكم سعد قال الحافظ ابن حجر كأنهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى
صلى الله عليه وسلم فلما سأله
الانصار فيهم رد الحكم الى سعد
وروى الطبرانى عن عائشة رضى
الله عنها فلما اشتد بهم البلاء قيل
لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما استشاروا أبا
لبابة قالوا ننزل على حكم سعد فحصل
فى سبب رد الحكم الى سعد أمران
أحدهما سؤال الاوس والآخر
اشارة أبى لبابة وكانوا حلفاء سعد
وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه
يومئذ فى المسجد النبوى فى خيمة
رفيدة رضى الله عنها وقد كان صلى
الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن
معاذ رضى الله عنه حين أصابه
السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة
رفيدة حتى اعوده من قرب ورفيدة
هذه امرأة من اسلم كانت لها
خيمة فى المسجد تداوى فيها
الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له
من يقوم عليه فاتاه قومه فحملوه
على حمار ثم أقبلوا به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يقولون
له يا أبا عمرو أحسن فى مواليك
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن
فيهم فقد رأيت من ابن أبى ما صنع
فى حلفائه وهو ساكت فلما
اكثروا عليه قال لقد آن لسعد
ان لا تأخذه فى الله لومة لائم فقال
بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم
وفى رواية الى خيركم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفى رواية فقمنا
صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله
ورسوله احق بالحكم قال قد أمرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد أى ان فى الناحية التى ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم

ملك موكل بالسحاب يسوقه أى بمخراق من نار فى يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى
* وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال البرق مخاريق من نار بأيدى ملائكة يزجرون
به السحاب والمخراق المنديل يلف ليضرب به أى وحينئذ فالمراد بالملك الجنس وفى رواية ان الله
ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك ومنطقه الرعد وضحكه البرق
(وفى بعض الآثار) لله ملائكة يقال لهم الحيات فاذا حركوا أجنحتهم فهو البرق أى
وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند الرعد * وعن بعضهم
قال بلغنى أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا
مصع بذنبه أى حركه فذلك البرق أى وتحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد * وعن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما البرق ملك يتراءى أى يظهر ويغيب وفى رواية الرعد ملك يزجر السحاب
والبرق طرف ملك أى ينظر به عند وجود الرعد غالبا وفى رواية ان ملكا موكل بالسحاب فى
يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب به صعقت * وعن مجاهد الرعد ملك
والبرق أجنحته يسوق بها السحاب فيكون المسموع صوته أو صوت سوقه فليتأمل الجمع بين
هذه الروايات وذهب الفلاسفة الى ان الرعد صوت اصطكاك أجرام السحاب والبرق ما ينقدح
من اصطكاكها فقد زعموا أن عند اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض تخرج نار لطيفة
حديدة ولا تمر بشئ الا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود وقيل فى سبب نزول قوله
تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ان اليهود أنكروا النسخ فقالوا ألا ترون
الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا
فنزلت وسألوه صلى الله عليه وسلم مم يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة
أما نطفة الرجل فنطفة غليظة أى بيضاء منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة
أى صفراء منها اللحم والدم فقالوا هكذا كان يقول من قبلك أى من الانبياء وتقدم فى ترجمة
سطيح ايراد عيسى عليه الصلاة والسلام على ذلك أى وقالوا اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما نرى
لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فانزل الله
تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وقد جاء انه كان لسليمان عليه
الصلاة والسلام مائة امرأة وتسعمائة سرية (وسألوه صلى الله عليه وسلم) عن رجل زنى
بامرأة بعد احصانه أى كان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما
لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا لهم
ان هذا الرجل الذى بيثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه الضرب فسألوه فاجابهم بالرجم فلم
يفعلوا ذلك فقال لجمع من علمائهم أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى أما تجدون فى
التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فانكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية
الرجم فاتوا بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها

بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم بما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له ثم قال سعد لبنى قريظة أترضون بحكمى قالوا نعم فأخذ عليهم
عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به سعد قال سعد فانى أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء وتكون
الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال انى أحببت أن يستغنوا عنكم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسعد لقد حكمت بحكم الملك
بكسر اللام وفى رواية لقد حكمت
فيهم بحكم الله من فوق سبع
سموات فدطرتنى بذلك الملك
سحرا والمراد ان شان هذا الحكم
العلو والرفعة ثم أمر ان يجمع
ما فى حصونهم من الحلقة
والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد
فيها ألف وخمسمائة سيف
وثلثمائة درع وألفا رمح وخمسمائة
ترس وجحفة ووجد اثاث كثير
وآنية كثيرة وجمال نواضح أى
يسقى عليها الماء وماشية وشياه
كثيرة وخمس ذلك مع النخل
والسبى ثم قسم الباقى على الغانمين
وفى رواية ثم أمر بالباقى فبيع ثم
قسمه بين المسلمين وكانت اسهم
القسمة ثلاثة آلاف واثنين
وسبعين سهما لان المسلمين ثلاثة
آلاف والخيل ست وثلاثون
وللفرس سهمين ولصاحبه سهما
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر بالاسارى أن يكونوا فى دار
اسامة بن زيد والنساء والذرية
فى دار بنت الحرث النجارية ثم
غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة
ثم خرج الى سوق المدينة فخندق
فيها خنادق أى حفر فيها حفائر
وفى رواية شق اخدودا وجلس
صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ثم
أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤا ارسالا تضرب أعناقهم ويلقون فى تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب
ابن اسيد يا كعب ما ترى يصنع بنا قال أنتم فى كل موطن لا تعقلون الا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم
الى غير هذا فابيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم التراب
فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشققت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملئت المدينة بالنوح

فرفعها فاذا آية الرجم (أقول) هذا كان فى السنة الرابعة وهو يخالف ما فى بعض الروايات ان
بعض أحبار يهود أى وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبى
الحقيق اجتمعوا فى بيت المدراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنى رجل
منهم بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا
بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبى من أنبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا
من مخالفته وفى رواية للصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان اليهود جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا أى بعد احصان فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نفضحهما أى بان نسود وجوههما
ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل ادبار الحمار وفى لفظ يحملان على الحمار وتقابل
أقفيتهما ويطاف بهما ويجلدان أى بحبل من ليف مطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان
فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما
بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها
آية الرجم وقد جاء ان موسى عليه الصلاة والسلام خطب بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل
من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة
جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت والله أعلم * قال ولما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم
قالوا يا أبا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة زنيا أى بعد احصان فقال لهم ما تجدون فى التوراة
فقالوا دعنا من التوراة فقل لنا ما عندك فافتاهم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الى أعلمكم فاخرجوا
اليه عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهود فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال أنشدكم بالله
الذى أنزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان قالوا يحمم أى يعير
ويجتنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم أى وفى رواية لما سألهم وأجابوه
الا شابا منهم فانه سكت فالح عليه صلى الله عليه وسلم فى النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد فى
التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زنى الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف
فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا أحكم بما فى التوراة ولعل هذا الشاب ابن صوريا ففى الكشاف انه لما أمرهم
عليه الصلاة والسلام بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا حكما أى ووصفه له جبريل فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد
أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودى على وجه الارض بما أنزل
الله على موسى فى التوراة ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى
لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق

والعويل وكان من جملة من أتى به معهم عدو الله حيى بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك منى والله مالمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى رواية قال بلى ولقد قلقلت كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ولما أتى بكعب بن أسيد سيد بنى قريظة قال له صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بى أما أمركم باتباعى وانكم ان رأيتمونى تقرؤنى منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم لولا أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فتضرب عنقه ففعل به ذلك وكان المتولى لقتلهم على ابن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما وقيل ان بعضا منهم تولى قتله الاوس لما جاء أن سعد بن عبادة والحباب بن المنذر رضى الله عنهما قالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم فقال سعد ابن معاذ رضى الله عنه ما كرهه من الاوس أحد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله وقام أسيد ابن حضير رضى الله عنه فقال يا رسول الله لا تبق دارا من الاوس الا فرقت فيها منهم فمن سخط فلا يرغم الله الا أنفه فابعث الى دارى أول دورهم ففرق صلى الله عليه وسلم منهم فيها فقتلوهم قال بعضهم ان الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الاوس فقتلوا من بعث به الى دورهم اتباعا لرضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وازالة لما حاك فى صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله على والزبير رضى الله عنهما فلا تنافى وبقى صلى الله عليه وسلم عند الاخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب صلى فرد عليهم التراب وكان الذين أرسلوا الى الاوس حملوا بعد القتل الى الاخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة كما تقدم ولم يقتل من النساء الا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بنانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضى الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم النبى صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر

فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب وفى رواية قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت أن تحرقنى التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبى الامى وهذا انما يدل على اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ ابن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سبب النزول لنزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ولنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وفى آية أخرى فأولئك هم الفاسقون وفى أخرى فأولئك هم الكافرون وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم فى الجاهلية فى غير بنى آدم كنت فى اليمن فى غنم لاهلى فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومى اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما وفى لفظ رأيت فى الجاهلية قردة زنت فرجموها يعنى القردة ورجمتها معهم قال فى الاستيعاب وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر لاضافة الزنا الى غير المكلف واقامة الحدود فى البهائم ولو صح هذا لكانوا من الجن لان العبادات فى الانس والجن دون غيرهما هذا كلامه فليتأمل والله أعلم وقد ذكر غير واحد أن أحبارهم وغيروا صفته صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيامهم بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة أى وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا مالكم على هؤلاء يعنى المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فأنزل الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى يجدونها فى كتابهم فقد كان فيه أكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى أتباعهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يخرج آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب الآية وكان اليهود اذا كلموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم أى لأن ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلسان اليهود السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شىء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبى

شهيدين وأسنهم لسنان بن محصن وقد مات فى زمن الحصار وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تتحدث وتضحك ظهرا وبطنا أى وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها أى لانها دخلت على عائشة رضى الله عنها وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين بنانة فقالت ها أنا والله قالت عائشة رضى الله عنها فقلت لها مالك ويلك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته وفى لفظ قالت قتلنى زوجى فقالت لها عائشة رضى الله عنها كيف قتلك زوجك قالت أمرنى أن ألقى رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين فى فيئه فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به وفى رواية قالت كنت زوجة رجل من بنى قريظة وكان بينى وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد الحصار قلت لزوجى يا حسرتا على أيام الوصال كادت أن تنقضى وتتبدل بليالى الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجى ان كنت صادقة فى دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون فى ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة فالقى عليهم حجر الرحى لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة رضى الله عنها فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضى الله عنها تقول ما رأيت أعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان فى بنى قريظة الزبير بن بطا وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث وهى الحرب التى كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج وذلك ان الزبير بن بطا أخذ ثابت بن قيس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت للزبير يوم قتل بنى قريظة فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى فقال وهل يجهل مثلى مثلك قال انى أردت ان أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم وأحوج ما كنت اليه الآن ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير على منة وقد أحببت ان أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد

صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفى رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضى الله تعالى عنهم تقول له صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيئا يا رسول الله راعنا أى انتظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتساب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بها تلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود قال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا ألستم تقولونها فنزلت وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود بأطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذى تحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار وما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء أن أحبار يهود منهم ابن صوريا أى قبل ان يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسيد اجتمعوا وقالوا انبعث الى محمد لعلنا نفتنه فى دينه فجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد قد عرفت انا أحبار يهود وأشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك عليهم فنزل قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية ومن اليهود من دخل فى الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع يهود فى السر أى وهم المنافقون وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بجيم مضمومة فلام مخففة فألف فسين مهملة ابن سويد بن الصامت قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا فنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضى الله تعالى عنه وهو ابن زوجة جلاس أى فان الجلاس كان زوجا لام عمير وكان عمير يتيما فى حجره ولا مال له وكان يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه فقال لئن كان ما يقوله محمد حقا فنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس وأحسنهم عندى يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها أى سكت عنها ليهلكن على دينى ولاحداهما أيسر على من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب على عمير وما قلت ما قال عمير فقال عمير بلى والله لقد قلته فتب الى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلنى معك ما قلته وجاء أنه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف أنه ما قال واستحلف الراوى عنه فحلف لقد قال وقال اللهم أنزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين فنزل قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم

فما يصنع بالحياة قال ثابت فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بابى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك فجئته
فقلت اهلك وولدك لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ماله قال هو لك فاتيته فقلت له قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أى ثابت أما أنت فقد كافأتنى وقد قضيت
الذى عليك ما فعل بالذى كان وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسيد سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل
بسيد الحاضر والبادى من يحملهم
فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيى
ابن أخطب فقلت قد قتل قال فما
فعل بمقدمتنا بكسر الدال مشددة
اذ شددنا وحامينا اذا فررنا عزال
بتشديد الزاى ابن سموأل بفتح
السين وكسرها قلت قد قتل قال
ما فعل المجلسان بكسر اللام محل
الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى
كعب بن قريظة وبنى عمرو بن
قريظة قلت قتلوا قال فانى أسألك
يا ثابت بيدك عندى الا ألحقتنى
بالقوم فوالله ما فى العيش بعد
هؤلاء من خير ارجع الى دار قد
كانوا احلولا فيها فاخلد فيها بعدهم
لا حاجة لى بذلك فما أنا بصابر
افراغة دلو ناضح حتى ألقى الاحبة
أى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه
ماء الدلو قال ثابت فقلت له ما كنت
لاقتلك فقال لا أبالى من قتلنى
فقتله الزبير بن العوام رضى الله
عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه
قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله
فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا وفى
رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لثابت بن قيس لك أهله وماله
ان أسلم أو لم يسلم ثم ان القتل كان
لمن أنبت ومن لم ينبت يكون فى
السبى قال عطية القرظى كنت
غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى
عن القتل وكان رفاعة القرظى
قد انبت فارادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده رسول
عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت يا رسول الله بابى أنت وأمى هب لى رفاعة فوهبه لها فاسلم رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه
وسلم لنفسه الكريمة من نساء بنى قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظى فتزوجها بعد ان أسلمت وحاضت حيضة وكانت
جميلة وسيمة وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا أى نصف أوقية وأعرس بها فى المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين وقد

الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته
وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يصنعه مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته فقال
صلى الله عليه وسلم لعمير وقيت اذنك ومنهم نبتل بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فمثناة فوقية
مفتوحة فلام ابن الحرث قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر
الى نبتل بن الحرث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه للمنافقين وهو الذى قال لهم
انما محمد أذن من حدثه بشئ صدقه فأنزل الله تعالى فيه ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون
هو أذن الآية وجاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل صفته
كذا فقال أى الحديث الذى تحدث به كبده أغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين
فاحذره ومنهم عبد الله بن أبى ابن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد فى الصحابة
وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم للمدينة قد نظموا له
الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم أى كانقدم لان الانصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب
الا قحطان ولم يبق من الخرز الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودى فلما جاءهم الله تعالى
برسوله صلى الله عليه وسلم انصرف عنه قومه الى الاسلام فضغن أى أضمر العداوة لانه رأى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا عظيما فلما رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل
فيه كارها مصرا على النفاق أى وكان له اماء يكرههن على الزنا ليأخذ أجورهن فأنزل الله تعالى
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا ان عبد الله بن أبى وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقال عبد الله بن أبى انظروا
كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ
الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال له على اتق
الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن
الى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال لاصحابه كيف رأيتمونى
فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين
الغنمين أى المترددة بينهما تعير الى هذه مرة والى هذه مرة (وفى السنة الاولى) من الهجرة
أعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله تعالى عنها كذا فى الاصل وفى المواهب أن ذلك
كان فى السنة الثانية من الهجرة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة أشهر
وقيل بعد ثمانية أشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها تزوجنى

أشار سبحانه وتعالى الى قصة بنى قريظة بعد ذكر قصة الاحزاب بقوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف
فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا
وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك والى نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم واغترارهم بالاحزاب بقوله
وتعدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم اننا لكم أولياء
ويوم الاحزاب اذ زاغت الابـ
صار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو
ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو
ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو
م وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد
ر اذ الميم فى مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه
فهو من سوء فعله الزباء
أو هو النحل قرصها يجلب الحتـ
ـف اليها وما له انكاء
ولما انقضى شأن بنى قريظة قال
صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم
قريش بعد عامكم هذا ولكنكم
تغزونهم وأقر الله عين سعد بن
معاذ بقتل بنى قريظة فانه سأل
الله لما أصيب بالسهم فى الخندق
وقال اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى
من بنى قريظة وقيل ان دعاءه
بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها
نزلوا على حكمه ويجوز ان يكون
دعا بتلك الدعوة مرتين وفى لفظ
فدعا الله أن لا يميته حتى يشفى
صدره من بنى قريظة فاستجاب
الله دعوته وكان جرحه قارب البرء
فدعا الله وقال اللهم انك تعلم انه
ليس أحد أحب الى ان أجاهدهم
فيك من قوم كذبوا رسولك
وأخرجوه من وطنه اللهم انى أظن انك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان قد بقى من حرب قريش شئ فابقنى له حتى أجاهدهم
فيك وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها أى الجراحة واجعل موتى فيها فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم
يرعهم أى أهل المسجد الا الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بنى غفار وهو زوج رفيدة الاسلمية فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا
الدم الذى يأتينا من قبلكم فاذا سعد يسيل جرحه دما له هدير فمات منها وجاء فى رواية ان عنزا مرت به وهو مضطجع فأصابت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بى فى شوال فأى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
أحظى عنده منى أى فما توهمه بعض الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين فتحصل
المفارقة بين الزوجين لا عبرة به ولا التفات اليه وعن عائشة رضى الله تعالى عنها جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال ونساء من الانصار فجاءتنى أمى وانى لفى
أرجوحة بين عذقين أى نخلتين فانزلتنى من الارجوحة ولى جميمة أى شعر لانى وعكت أى
مرضت لما قدمنا المدينة أى أصابتها الحمى فعن البراء رضى الله تعالى عنه قال دخلت مع أبى
بكر الصديق على أهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها الحمى فرأيت أباها يقبل خدها
ويقول كيف أنت يا بنية قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فتمزق شعرى ففرقتها ومسحت وجهى
بشئ من ماء ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب وانى لانهج حتى سكن نفسى ثم دخلت
بى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار
فأجلستنى فى حجره ثم قالت هؤلاء أهلك بارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال
والنساء فخرجوا وبنى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتنا أى فقد بنى بها نهارا وفى الصحاح
العامة تقول بنى باهله وهو خطأ وانما يقال بنى على أهله قال الحافظ ابن حجر ولا يخفى عن
الخطا كثرة استعمال الفصحاء له أى كاستعمال عائشة له هنا وفى الاستيعاب وأقره عن عائشة
رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله ما يمنعك ان تبنى باهلك قال
الصداق فاعطاه أبو بكر اثنتى عشرة أوقية ونشا فبعث بها الينا وبنى بى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى بيتى هذا الذى أنا فيه وهو الذى توفى به ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه ان سياق ما تقدم وما يأتى يدل على انه انما دخل بها فى بيت أبيها بالسنح ثم رأيت بعضهم
صرح بذلك فقال كان دخوله بها عنده بالصلاة والسلام بالسنح نهارا وهذا خلاف ما يعتاده
الناس اليوم هذا كلامه وفى رواية فجاءتنى أمى وانى لفى أرجوحة ومعى صواحب لى فصرخت
بى فاتيتها ما ادرى ما تريد منى فاخذت بيدى حتى وقفت بى على باب الدار وانا انهج حتى سكن
بعض نفسى ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ثم أدخلتنى الدار فاذا نسوة من
الانصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فاسلمتنى اليهن وأصلحن من شأنى فلم
يرعنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمتنى اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين قال بعضهم
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة ولعبتها معها أى وعنها رضى الله تعالى عنها انها كانت
تلعب بالبنات أى اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تأتيها جوريات يلعبن معها
بذلك وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربهن اليها أى يطلبهن لها ليلعبن معها قالت
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر
على صفة فى البيت عن بنات لى فقال ما هذا يا عائشة قلت بناتى ورأى بينهن فرسا لها جناحان من
رقاع قال وما هذا الذى أرى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذى عليه قلت جناحان قال

الجرح بطافها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ولم يحضر النبي صلى الله عليه وسلم موته بل جاءه جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفي رواية من هذا الميت الذي فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش لقدومه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد مات وجاء انه شهد جنازته سبعون ألفا من الملائكة ماوطئوا الارض الا يومهم ذلك (واختلف) العلماء في اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل ان اهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد وقيل جعل الله حركته علامة للملائكة على موته وقيل المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له ومنه اهتزت الارض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم فانهم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون ظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة فهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث تحرك العرش أسفا عليه لمحافظته على الحق ولذا قال كثير من المحققين انه كان في الانصار كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين ولما حملت جنازته رضي الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته وكان رجلا بادنا وكان المنافقين قالوا ذلك استهزاء به وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردا عليهم ان الملائكة كانت تحمله ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت

ويل أم سعد سعدا * صرامة وحدا
وسوددا ومجدا * وفارسا معدا
سد به مسدا

فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه وفي رواية من
قال لها الا تزيدي على هذا وكان فيما علمته والله حازما في أمر الله قويا في أمره كل النوائح تكذب الا أم سعد وروى أنه قال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ابنك يضحك الله له وذلك كناية عن اقبال الله عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت احتسبتك

جناحان قالت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وفيه هلا أمرها بتغيير ذلك وأجيب بان هذا مستثنى من عدم جواز تصوير ذي الروح وقولها أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة واقراره صلى الله عليه وسلم لها على ذلك يدل على صحته ثم رأيت بعضهم أورد أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة وقد ذكرت ذلك عند الكلام على اسمعيل صلوات الله وسلامه عليه في أوائل هذه السيرة (وعنها) رضي الله تعالى عنها أيضا أنها قالت وما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة أي عند بنائه بها صلى الله عليه وسلم حتى أرسل الينا سعد بن عبادة بجفنته التي كان يرسلها وأرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وفي كلام بعضهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم ما أولم على عائشة رضي الله تعالى عنها بشيء غير أن قدحا من لبن أهدى من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم بعضه وشربت عائشة رضي الله تعالى عنها باقيه ﴿أقول﴾ يجوز أن يكون سعد رضي الله تعالى عنه أرسل بالقدح من اللبن وبالجفنة وان بعض الرواة اقتصر على أحدهما ثم لا يخفى أنه يجوز أن تكون الرواية الاولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية وأنها ذهبت الى الارجوحة ثانيا بعد ان أصلح النساء من شأنها وفعلت بها أمها ما ذكر وأنه وقع الاقتصار في الرواية الاولى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم﴾

ذكر أن مغازيه أي وهي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعا وعشرين أي وهي غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة سفوان ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة بني قينقاع ثم غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر ثم غزوة نجران بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ثم غزوة بدر الآخرة وهي غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة الحديبية ثم غزوة ذي قرد ويقال لها قرد بضمتين وهو في اللغة الصوف الرديء ثم غزوة خيبر ثم غزوة وادي القرى ثم غزوة عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين والطائف ثم غزوة تبوك والتي وقع فيها القتال من تلك الغزوات أي وقع القتال فيها من أصحابه وهو المراد بقول بعضهم كالاصل التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وهي غزوة بدر الكبرى وأحد والمريسيع أعني بني المصطلق والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف أي وبعضهم أسقط فتح مكة قال النووي رحمه الله ولعل مذهبه انها فتحت صلحا كما قال امامنا الشافعي وموافقوه أي فيصح بيع دورها واجارتها واستدل لذلك بانها لو كانت فتحت عنوة لقسمها بين الغانمين وسيأتي الجمع بأن أسفلها فتح عنوة أي لوقوع القتال فيه

عند الله عز وجل وعزاها صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف ودعا له وأم سعد بن معاذ رضي الله عنها هي كبشة بنت رافع بن عبيد الانصارية الخدرية وهي أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الانصار وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم لهم أتعجبون من لين هذه الحلة والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى في الجنة وان أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لان المنديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل منه بالاولى وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق محمد ابن المنكدر قال قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله مرتين تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا ثم قال الحمد لله شكرا له على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر رضي الله عنه قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله لم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وجاء انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الانصاري بسبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها سلاحا وخيلا وفي رواية بعث بها سعد بن عبادة رضي الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحا وخيلا كثيرا ثم قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿سرية القرطاء وحديث ثمامة﴾ وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم بطن من بني بكر وكانوا ينزلون بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ثم تاء تأنيث وهي قرية لبني كلاب على طريق البصرة الى مكة وهي الى

من خالد بن الوليد مع المشركين واعلاها فتح صلحا لعدم وجود القتال فيه وفي الهدى من تأمل الاحاديث الصحيحة وجدها كلها دالة على قول الجمهور انها فتحت عنوة أي لوقوع القتال بها ومما يدل على ذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يصالح أهلها عليها والا لم يحتج الى قوله من دخل دار أبي سفيان فهو آمن الخ وانه لم يقسمها لانها دار المناسك فكل مسلم له فيها حق (أقول) هذا واضح في غير دورها وسيأتي الجواب عن ذلك وبما قررناه يعلم ان قول المواهب قاتل صلى الله عليه وسلم في تسع منها بنفسه فيه نظر ظاهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل بنفسه في شيء من تلك الغزوات الا في أحد كما سيأتي وكأنه اغتر في ذلك بقول بعضهم المتقدم قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت المراد منه والله أعلم ولا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرا على شدة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه لامر الله تعالى له بذلك أي بالانذار والصبر على الاذى والكف بقوله واعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالفتح أي فكان يأتيه أصحابه بمكة ما بين مضروب ومشجوج فيقول صلى الله عليه وسلم لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال لانهم كانوا بمكة شرذمة قليلة ثم لما استقر أمره صلى الله عليه وسلم أي بعد الهجرة وكثرت أتباعه وشأنهم ان يفدوا محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أي ولاصحابه في القتال أي وذلك في صفر من السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم وابتدأهم به بقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم قال بعضهم ولم يوجبه بقوله تعالى أذن للذين يقاتلون أي للمؤمنين ان يقاتلوا بانهم ظلموا أي بسبب انهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أي فكان ذلك القتال عوضا من العذاب الذي عوملت به الامم السالفة لما كذبت رسلها وذكر في سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية ان جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص وكانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فاذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فاني لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه ذلك فانزل الله تعالى الآية لا يقال يدل لما تقدم من انه قاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه في تلك الغزوات ما جاء عن بعض الصحابة كنا اذا لقينا كتيبة أو جيشا أول من يضرب النبي صلى الله عليه وسلم لاني أقول لا يبعد ان يكون المراد بالضرب السير في الارض أي أول من يسير الى تلقاء العدو ويؤيده ما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا وما كان أحد أقرب الى المشركين منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية كنا اذا حمي البأس والتقى القوم بالقوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي كان وقاية لنا من العدو وقد نقل اجماع المسلمين على انه لم ير واحد قط انه صلى الله عليه وسلم انهزم

مكة أقرب وبها جبل يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فى ثلاثين راكبا ابلا وخيلا وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وان يشن الغارة عليهم أى يفرق الخيل المغيرة على العدو ففعل ما أمره به فلما أغار عليهم هرب سائرهم أى باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليلة

وأسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفى روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه ان خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة ابن أثال الحنفى فربطوه بسارية من سوارى المسجد بامره صلى الله عليه وسلم لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك يا ثمامة قال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة قال عندى ما قلت لك فقال اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال والله يا محمد ما كان على وجه الارض وجه أبغض الىّ من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الىّ والله ما كان من دين أبغض الىّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الىّ والله ما كان من بلد أبغض الىّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد الىّ وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم أى بخير الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة يلبى وينفى الشريك عن الله قال له قائل صبوت أى خرجت عن دينك قال لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى

بنفسه فى موطن من المواطن بل ثبتت الاحاديث الصحيحة باقدامه صلى الله عليه وسلم وثباته فى جميع المواطن لا يقال سيأتى فى غزوة بدر عن السيرة الشامية غير معز ولا حد أنه قاتل بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكانا فى العريش يجاهدان بالدعاء فقاتلا بابدانهما جمعا بين المقامين وأيضا سيأتى فى خيبر ما قد يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه لانا نقول سيأتى ما فى ذلك مما يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال الا فى أحد كما سيأتى ولم تقاتل معه الملائكة الا فى بدر والا فى حنين قيل وأحد وسيأتى ما فى ذلك ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصباء فى وجوه العدو فى شئ من الغزوات الا فى هذه الثلاثة على خلاف فى الثالثة أى ولم يجرح أى لم تصبه جراحة فى غزوة من الغزوات الا فى أحد ولم ينصب المنجنيق فى غزوة من الغزوات الا فى غزوة الطائف وفيه انه نصبه على بعض حصون خيبر وسيأتى الجمع بينهما ولم يتحصن بالخندق فى غزوة الا فى غزوة الاحزاب ثم لا يخفى ان الآية المذكورة أى التى هى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال بعضهم هى أول آية نزلت فى شأن القتال ولما نزلت أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله أى وفى لفظ حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى محمد رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد اسلام أو قتل نفس (أقول) وظاهر هذا السياق يقتضى أن الآية فيها الامر له صلى الله عليه وسلم بالقتال المذكور وقد يتوقف فى ذلك ولعله أمر بذلك بغير الآية المذكورة لان الآية انما هى ظاهرة فى الاباحة والمباح ليس مأمورا به وحينئذ يكون قوله فى الآية الاخرى وهى فان قاتلوكم فاقتلوهم للاباحة لان صيغة افعل تأتى لها وان كان الاصل فيها الوجوب وعلى ان قوله صلى الله عليه وسلم أمرت وان أمره كان بغير هذه الآية يحمل على أن المراد الندب لان الامر مشترك بين الوجوب والندب فلا ينافى ما تقدم من انه لم يكن وجب عليهم القتال حينئذ والله أعلم ثم لما رمتهم العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب كانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل أنزل الله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ثم اذن فى القتال أى أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل أى لكن فى غير الاشهر الحرم أى التى هى رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم أى بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية ثم أمر به وجوبا أى بعد فتح مكة فى السنة الثانية مطلقا أى من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا فى أى زمن فعلم ان القتال كان قبل الهجرة وبعدها الى صفر من السنة الثانية محرما أى لانه كان فى ذلك مأمورا بالتبليغ وكان انذارا بلا قتال لانه نهى عنه فى نيف وسبعين آية ثم صار مأذونا له فيه أى أبيح

قتال

يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم وروى انهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله ولذا قيل فيه ومنا الذى لبى بمكة معلنا * برغم أبى سفيان فى الاشهر الحرم ثم خرج الى اليمامة فمنعهم ان يحملوا الى مكة شيأ فكتبوا اليه صلى الله عليه وسلم انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب صلى الله عليه وسلم الى ثمامة ان يخلى بينهم وبين الحمل وروى البيهقى فى الدلائل ان ثمامة بن أثال الحنفى لما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فاسلم ولحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز أى الوبر والدم فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وفى رواية أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب اليه ان يخلى بينهم وبين الحمل فانظر الى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة يواجهه بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريبا فى وقعة الاحزاب ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقا لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بل جاء فى بعض الروايات انه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم الله وفى قصة ثمامة رضى الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر فى المسجد والمن على الاسير الكافر والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض ويثبت الحب وان الكافر اذا أراد عمل خير ثم أسلم يشرع له أن يستمر فى ذلك الخير وملاطفة من يرجى اسلامه من الاسرى اذا كان فى ذلك مصلحة للاسلام ولا سيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعث السرايا الى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك فى قتله وابقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسئ لانه اقسم ان بغضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه اليه صلى الله عليه وسلم من العفو والمن من غير مقابل وجاء فى بعض الروايات انه بعد ان أسلم جاؤه بالطعام فلم ينل منه الا قليلا وباللقحة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم مم تعجبون امن رجل اكل أول النهار فى معى كافر واكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر يأكل فى سبعة امعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقا كثيرا من قومه

قتال من قاتل ثم أبيح قتال من لم يبدأ به فى غير الاشهر الحرم ثم أمر به مطلقا أى لمن قاتل ومن لم يقاتل فى كل زمن أى فى الاشهر الحرم وغيرها وظاهر كلام الامام الاسنوى ان القتال فى الحالة الثانية كان مأمورا به لا مباحا كالحالة الاولى وعبارته لما بعث صلى الله عليه وسلم أمر بالتبليغ والانذار بلا قتال فقال وأعرض عنهم وقال واصبر ثم أذن له بعد الهجرة فى القتال ان ابتدؤا به فقال فان قاتلوكم فاقتلوهم ثم أمر بذلك ابتداء ولكن فى غير الاشهر الحرم فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ثم أمر به مطلقا فقال وقاتلوا المشركين كافة هذا كلامه ولا يخفى ان الاسنوى ممن يرى ان أمر للوجوب وهو يقتضى ان يكون الامر به فى الحالة الثانية للوجوب والراجح ما علمت ان أمر مشترك بين الوجوب والندب وانه فى الحالة الثانية مباح لا مأمور به ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام (القسم الاول) محاربون له صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة أى يكفى ذلك فى اسقاط الحرج كاحياء الكعبة واستدل لذلك بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى فهلا نفر وقيل كان فرض عين لقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك ويحتاج الى الجواب عن ذلك وقيل كان فرض كفاية فى حق الانصار وفرض عين فى حق المهاجرين (والقسم الثانى) أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية أى صالحهم ووادعهم على ان لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوهم وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم (والقسم الثالث) أهل ذمة أى وهم من عقدت لهم الجزية وهنالك قسم آخر وهو من دخل فى الاسلام تقية من القتل وهم المنافقون كما تقدم وأمر صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشعائر الاسلام الظاهرة كالصلاة فلا يخالف ما رواه الشيخان لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار فقد ذكر أئمتنا أن ذلك ورد فى قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون أى أصلا بدليل السياق أى لان صدر الحديث أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر أى جماعتهما ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا ولقد هممت الخ (وفى الخصائص الصغرى) وكان الجهاد فى عهده صلى الله عليه وسلم فرض عين فى أحد الوجهين عندنا وكان اذا غزا بنفسه صلى الله عليه وسلم يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ومن ثم وقع ان تخلف عنه فى غزوة تبوك ما وقع وأما بعده صلى الله عليه وسلم فللكفار حالان مذكوران فى كتب الفقه وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم فى القتال خرج لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة أى مكث بالمدينة باقى الشهر الذى قدم فيه وهو شهر ربيع الاول وباقى ذلك العام كله الى صفر من السنة الثانية من الهجرة فخرج صلى

ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضى الله عنه بل جاء انه قام مقاما حميدا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم قال لهم فاين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا الى المسلمين رضى الله عنه ونفعه به

﴿غزوة بنى لحيان﴾

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل ابن مدركة بن الياس بن مضر وكانت فى غرة شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة وقيل سنة خمس وقيل أربع وسببها انه صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا والمراد باصحابه ما يشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وان كانوا فى سرية وحدهم فأظهر صلى الله عليه وسلم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وعسكر فى مائة رجل ومعهم عشرون فرسا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة ثم على طريقه الى الشام ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب واديه وبين عسفان خمسة أميال وهى منازل بنى لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رؤس الجبال خوفا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم فلم يقدر على أحد منهم فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف كراع اليه وكراع جبل أسود بطرف الحرة يمتد اليه ثم رجع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ولم يلقوا كيدا قال ابن سعد اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما ما حصل من غرتهم ما أراد قال صلى الله عليه وسلم لو انا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضى الله عنه مع عشرة فوارس وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو يقول آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر فى الاهل والمال اللهم بلغنا بلاغا صالحا ينظر الى خير مغفرتك ورضوانك

الله عليه وسلم غازيا حتى بلغ ودان بفتح الواو وتشديد الدال المهملة آخره نون وهى قرية كبيرة بينها وبين الابواء ستة أميال أو ثمانية والابواء بالمد قرية بين مكة والمدينة كما تقدم سميت بذلك لتبوء السيول بها وقيل لما كان فيها من الوباء فيكون على القلب والا قيل الاوباء وحينئذ لا تخالف بين تسمية ابن الخفاف لها بغزوة ودان وبين تسمية البخارى لها بغزوة الابواء لتقارب المكانين أى وفى الامتاع ودان جبل بين مكة والمدينة وأقول قد يقال لا منافاة لانه يجوز ان تكون تلك القرية كانت عند الجبل المذكور فسميت باسمه والله أعلم وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ليس فيهم انصارى يعترض عير القريش وابنى ضمرة أى وخرج صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة فكان خروجه للشيئين كما يفهم من الاصل ويوافقه قول بعضهم وخرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من أصحابه يريد قريشا وبنى ضمرة والمفهوم من سيرة الشامى ان خروجه صلى الله عليه وسلم انما كان لاعتراض العير وانه اتفق له موادعة بنى ضمرة ويوافقه قول الحافظ الدمياطى خرج يعترض عير القريش فلم يلق كيدا وفى هذه الغزوة وادع بنى ضمرة هذا كلامه أى صالح سيدهم حينئذ وهو مجدى بن عمرو وعبارة بعضهم فلما بلغ الابواء لقى سيد بنى ضمرة مجدى بن عمرو الضمرى فصالحه ثم رجع الى المدينة والمصالحة على ان لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا عليه صلى الله عليه وسلم جمعا ولا يعينوا عليه عدوا وقال وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة بانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصرة على من رامهم أى قصدهم الا ان يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة أى ما بقى فيه ما يبل الصوفة وان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصره أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله أى أمانهما انتهى وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم ابيض وكان مع عمه حمزة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وانصرف الى المدينة راجعا فهى أول غزواته صلى الله عليه وسلم أى وكانت غيبته خمس عشرة ليلة والله أعلم

﴿غزوة بواط﴾

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول أى وقيل الآخر أى من السنة المذكورة يريد عير القريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير خرج فى مائتين من أصحابه أى من المهاجرين خاصة وحمل اللواء وكان أبيض سعد بن أبى وقاص واللواء هو العلم الذى يحمل فى الحرب يعرف به موضع أمير الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يجعل فى مقدم الجيش وأول من عقد الالوية ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما أغاروا على لوط عليه السلام فعقد لواء وسار اليهم بعبيده ومواليه قال بعضهم صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية أى فيطلق على كل اسم الآخر وعن ابن اسحق وابن سعد ان اسم الراية انما حدث بعد خيبر واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة

وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة فى هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة الغابة﴾

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان وكانت فى ربيع الاول سنة ست وقيل فى جمادى الاولى وقيل فى شعبان وفى البخارى انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وبعد الحديبية بعشرين يوما وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهى ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذى لا مالك له بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم وبذى قرد تارة اخرى لتقارب الموضعين وكان أبو ذر وابنه وامرأته رضى الله عنهم فيها فاغار عليها عيينة بن حصن الفزارى ليلة الاربعاء فى اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر رضى الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل وأسروا المرأة واسمها ليلى وفى رواية ان أبا ذر رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم للقاحه فقال صلى الله عليه وسلم انى اخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فالح عليه فقال صلى الله عليه وسلم لكأنى بك قد قتل ابنك واخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك قال أبو ذر رضى الله عنه بعد ذلك عجبا لى يقول لى ذلك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال فلما كان الليل احدق بنا عيينة مع أصحابه فاشرف لهم ابنى فقتلوه وأسروا امرأتى ثم انها نجت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبى صلى الله عليه وسلم لانهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة للنبى صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم وفى رواية انهم أوثقوا المرأة فانفلتت ليلا من الوثاق فاتت الابل فكانت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء لانها من جملة ما استاقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوا مما يأتى ذكره فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها فانطلقت وعلموا بها فطلبوها فاعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبى صلى الله

سعد بن معاذ وقيل السائب بن مظعون أى أخا عثمان بن مظعون وقيل السائب بن عثمان حتى بلغ بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو والطاء المهملة أى وهو جبل الينبع أى ومن ثم قيل لها غزوة بواط قال بعضهم ومن هذا الجبل تقلع أحجار المسان وهذا الجبل لجهينة من ناحية رضوى وهو أحد الاجبل التى بنى منها أساس الكعبة وفيه أنه لم يذكر رضوى فى تلك الاجبل الخمس التى كان منها أساس الكعبة المتقدم ذكرها على المشهور وقد جاء فى الحديث رضوى رضى الله عنه وتزعم الكيسانية وهم أصحاب كيسان مولى على رضى الله تعالى عنه ان محمد بن الحنفية مقيم برضوى حى يرزق وهو الامام المنتظر عندهم أى وفى كلام بعضهم أن المنتظر هو محمد القاسم بن الحسن العسكرى الذى تزعم الشيعة أنه المنتظر وهو صاحب السرداب يزعمون أنه دخل السرداب فى دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يخرج اليها وكان عمره تسع سنين وأنه يعمر الى آخر الزمان كعيسى وسيظهر فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا واختفاؤه الآن خوفا من أعدائه قال وهو زعم باطل لا أصل له ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا أى حربا وأصل الكيد الاحتيال والاجتهاد ومن ثم يسمى الحرب كيدا والله أعلم

﴿غزوة العشيرة﴾

أى وبها بدأ البخارى المغازى ويدل له ما جاء عن زيد بن أسلم وقد قيل له ما أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذات العشيرة واجيب عنه بان المراد ما أول غزوة غزاها وانت معه ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر جمادى الاولى وفى سيرة الدمياطى الآخرة من تلك السنة أى وفى الامتاع فى جمادى الآخرة ويقال جمادى الاولى يريد عيرا لقريش متوجهة للشام يقال ان قريشا جمعت جميع أموالها فى تلك العير لم يبق بمكة لا قرشى ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به فى تلك العير الا حويطب بن عبد العزى يقال ان فى تلك العير خمسين ألف دينار أى وألف بعير وكان فيها أبو سفيان أى قائدها وكان معه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهى العير التى خرج اليها حين رجعت من الشام وكان سببا لوقعة بدر الكبرى كما سيأتى خرج فى خمسين ومائة ويقال فى مائتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة بالمعجمة والتصغير آخره هاء أى ولم يختلف فيه أهل المغازى كما قال الحافظ ابن حجر وفى البخارى آخرها همزة وفيه أيضا العسيرة بالسين المهملة آخره هاء أى بالتصغير واما التى بغير تصغير فهى غزوة تبوك كما سيأتى والتى بالتصغير تقال أيضا الموضع ببطن الينبع أى وهو منزل الحاج المصرى وهى لبنى مدلج واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وحمل اللواء وكان أبيض عمه حمزة بن عبد المطلب خرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بايام ورجع ولم يلق حربا ووادع صلى الله

عليه وسلم اخبرته بذلك وقالت يارسول الله انى نذرت لله تعالى ان انحرها ان نجانى الله عليها فقال بئسما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك ان تنحريها انه لانذر لاحد فى معصية ولا لاحد فيما لايملك انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله * وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما أغاروا على اللقاح فى يومهم ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ونودى ياخيل الله اركبى وركب صلى الله عليه وسلم فى خمسمائة وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وخلف سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء للمقداد رضى الله عنه فى رمحه وقال امض حتى تلحقك الخيول وانا على أثرك فادرك اخريات العدو وفى البخارى ومسلم عن سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه قال خرجت قبل ان يؤذن بالاولى وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات ياصباحاه ياصباحاه فاسمعت مابين لابتى المدينة وفى رواية للطبرانى وابن اسحق فاشرفت من سلع ثم صحت ياصباحاه فانتهى صياحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس الفزع الفزع فترامت الخيول اليه فكان أول من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد بن زيد الانصارى واسيد بن حضير وعكاشة ابن محصن ومحرز بن نضلة وأبو قتادة وأبو عياش وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر سعد ابن زيد وقال اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقيل أمر المقداد فسار وا وتقدمهم أبو قتادة فادرك فى طريقه مسعدة بن حكمة الفزارى فقتله وسجاه ببرده فلما وصل المسلمون اليه وهو مسجى استرجعوا أى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ظنا منهم ان المسجى هو أبو قتادة وانه قتل قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس بابى قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه وقيل ان قتيل أبى قتادة هذا هو حبيب بن عيينة الفزارى ويحتمل أن له اسمين فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه ولقى عكاشة بن محصن رضى الله عنه فى طريقه أبان بن عمرو وابنه عمرا على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز

عليه وسلم فيها بنى مدلج قال فى الاصل وحلفاؤهم من بنى ضمرة وذكر فى المواهب هنا صورة الكتاب الذى كتبه صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة فى غزوة ودان الذى قدمناه ثم فليتأمل ذلك وكنى صلى الله عليه وسلم فيها عليا بابى تراب حين وجده نائما هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب فايقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له قم أبا تراب لما يرى عليه من التراب أى الذى سفته عليه الريح ولما قام قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك باشقى الناس أجمعين عاقر الناقة والذى يضربك على هذا ووضع يده على قرن رأسه فيخضب هذه ووضع يده على لحيته وفى رواية أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال يوما لعلى كرم الله تعالى وجهه من أشقى الاولين فقال على الذى عقر الناقة يارسول الله قال فمن اشقى الآخرين قال على لا علم لى يارسول الله قال الذى يضربك على هذه وأشار الى يافوخه وكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فهو من اعلام نبوته فانه لما كان شهر رمضان سنة أربعين صار يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد فى أكله على ثلاث لقم ويقول احب ان ألقى الله وانا خميص فلما كانت الليلة التى ضرب صبيحتها أكثر الخروج والنظر الى السماء وجعل يقول والله انها الليلة التى وعدت فلما كان وقت السحر وأذن المؤذن بالصلاة خرج الى المسجد فاقبل الاوز الذى فى داره يصحن فى وجهه فمنعهن بعض نساء أهل بيته فقال دعوهن فانهن نوائح فلما دخل المسجد أقبل ينادى الصلاة الصلاة فشد عليه عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله من طائفة الخوارج فضربه الضربة التى أخبر بها صلى الله عليه وسلم وعند ذلك شد عليه الناس من كل جانب فطرح عليه رجل قطيفة ثم طنبوه وأخذ السيف منه وقالوا له ياأمير المؤمنين خل بيننا وبين مراد يعنون قبيلة الرجل الذى ضربه فقال ولكن احبسوا الرجل فان أنا مت فاقتلوه وان أعش فالجروح قصاص فحبس فلما مات رضى الله تعالى عنه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفن فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وصلى عليه الحسن وكبر عليه سبعا ودفن ليلا قيل بدار الامارة بالكوفة وقيل بغير ذلك وأخفى قبره لئلا تنبشه الخوارج وقيل حملوه على بعير ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى مسيرهم ليلا اذ ند البعير الذى عليه فلم يدر أين ذهب ومن الناس من يزعم أنه انتقل الى السماء وأنه الآن فى السحاب ولما أصيب كرم الله وجهه دعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شئ زوى منها عنكما وقولا الحق فلا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ولده محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك فقال نعم فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ولا تزين أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما ان أباكما كان يحبه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله الى ان قبض فلما قبض أخرج الحسن رضى الله عنه ابن ملجم من الحبس وقتله (أقول) ذكر بعضهم عن المبرد

ابن نضلة من بنى أسد بن خزيمة ممن شهد بدرا رضى الله عنه قال ابن اسحق كان أول فارس لحق بالقوم فقال قفوا يامعشر بنى اللكيعة فحمل عليه رجل منهم فقتله وتحول على فرسه فلحقه أبو قتادة فقتله وتحول على الفرس وأدرك سلمة بن الاكوع رضى الله عنه القوم قال ابن اسحق ان سلمة رضى الله عنه صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم فكان مثل السبع وكان يسبق الخيل فى جريه فلم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفى البخارى عنه رضى الله عنه ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى وكنت راميا وأقول خذها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وارتجز حتى استنقذت اللقاح وثلاثين بردة وفى صحيح مسلم فاقبلت أرميهم بالنبل وأرتجز فمازلت أرميهم وأعقرهم فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم رميته فعقرته فاذا تضايق الجبل ودخلوا فى مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة فمازلت كذلك حتى ماخلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بعير الا خلفته وراء ظهرى ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يتخففون بها فأتوا مضيقا فأتاهم عيينة ممدا لهم فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن فقال من هذا قالوا القينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعنى الشدة والاذى مافارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شئ فى أيدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لولا انه يرى وراءه طلبا لكم لترككم ليقم اليه أربعة منكم قال سلمة فصعدوا فى الجبل فقلت لهم أتعرفونى فقالوا ومن أنت قلت ابن الاكوع والذى أكرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لايطلبنى رجل منكم فيدركنى ولا أطلبه فيفوتنى فقال رجل منهم أظن فرجعوا فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد المعجمة جمع راضع والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع أى رضع اللؤم وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره وقيل معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من يرضعه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء فنزلوا بذى قرد وأقام يوما وليلة قال سلمة لما لحق رسول الله

قال ابن ملجم لعلى كرم الله تعالى وجهه انى اشتريت سيفى هذا بألف وسممته بألف وسألت الله تعالى أن يقتل به شر خلقه فقال على قد أجاب الله دعوتك ياحسن اذا أنا مت فاقتله بسيفه ففعل به الحسن ذلك ثم أحرقت جثته وتقدم أنه قطعت أطرافه وجعل فى قوصرة وأحرقوه بالنار (وقد ذكر) أن عليا قال يوما وهو مشير لابن ملجم هذا والله قاتلى فقيل له ألا تقتله فقال من يقتلنى وتبع الاصل فى كون تكنية على بابى تراب فى هذه الغزوة شيخه الدمياطى واعترضه فى الهدى بانه صلى الله عليه وسلم انما كناه بذلك بعد نكاحه فاطمة رضى الله تعالى عنها فانه صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما وقال أين ابن عمك قالت خرج مغاضبا فجاء الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به التراب فجعل ينفضه عنه ويقول اجلس أبا تراب وقيل انما كناه أبا تراب لانه كان اذا غضب على فاطمة فى شئ لم يكلمها ولم يقل لها شيأ تكرهه الا انه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رأى التراب على رأسه عرف أنه عاتب على فاطمة قال فى النور يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم خاطبه بهذه الكنية مرتين أى ويكون سبب الكنية علوق التراب به وكونه يضعه على رأسه والله أعلم

غزوة سفوان

ويقال لها غزوة بدر الاولى وحين قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة الا ليالى لم تبلغ العشرة حتى غزا وخرج خلف كرز بن جابر الفهرى وقد أغار قبل أن يسلم على سرح المدينة أى النعم والمواشى التى تسرح للمرعى بالغداة خرج فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان بالمهملة والفاء ساكنة وقيل مفتوحة من ناحية بدر أى ولذا قيل لها غزوة بدر الاولى وفاته صلى الله عليه وسلم كرز ولم يدركه وكان قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء وكان أبيض على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد تبعت الاصل فى تقديم غزوة العشيرة على غزوة سفوان لما تقدم وهو عكس ما فى سيرة الشامى الموافق لسيرة الدمياطى ولما فى الامتاع والله أعلم

باب تحويل القبلة

وحولت القبلة فى شهر رجب من السنة المذكورة التى هى الثانية فى نصفه وقيل فى نصف شعبان قال بعضهم وعليه الجمهور الاعظم وقيل كان فى جمادى الآخرة أى فقد قيل انه صلى الله عليه وسلم صلى فى المدينة الى بيت المقدس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا وقيل أربعة عشر شهرا وقيل غير ذلك وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجده بعد قدومه الى بيت المقدس خمسة أشهر والاكثرون على ان تحويلها كان فى صلاة الظهر وقيل العصر أى ففى الصحيحين عن البراء ان أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى للكعبة صلاة العصر وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون المراد أول صلاة صلاها كلها للكعبة صلاة العصر لان

صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله ان القوم يعني غطفان وفزارة عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثتني في مائة لاستنقذت
ما في أيديهم من السرح وأخذت باعناق القوم أي أسرتهم وقتلتهم وفي رواية لمسلم وأتاني عمي عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت ثم
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه فاذا هو قد أخذ كل شيء استنقذته منهم ونحر له بلال رضي الله عنه ناقة
وشوى له من كبدها وسنامها فقلت يارسول الله خلني أنتخب من القوم مائة رجل فأتبعهم فلا يبقى منهم مخبر فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أتراك كنت فاعلا قلت نعم والذي أكرمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الاكوع ملكت فاسجح أي قدرت عليهم فاحسن وارفق والسجاحة بالكسر السهولة أي لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو فقد حصلت النكاية في العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمد على نصر الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليقرون في قومهم يعني انهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة في البعث في أثرهم لانهم لحقوا باصحابهم وزاد مسلم فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وقالوا أتاكم القوم وخرجوا هرابا وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك فكان كما قال وقال سلمة رضي الله عنه فلما أصبحنا قال صلى الله عليه وسلم خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة فاعطاني سهم الراجل والفارس جميعا وفي رواية وذهب الصريخ الى بني عمرو ابن عوف من الانصار فجاءت
الامداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذوا عشر
لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشر من اللقاح وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة في الصحيحين انه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم
بأن سلمة قال ذلك بحسب ظنه وهو في الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم ثم كون اللقاح عشرين لا ينافي بمجرده ان معها زيادة
عليها لما روي ان معها جملا كان لابي جهل ومعها الناقة التي رجعت عليها امرأة أبي ذر رضي الله عنهما وكان عودها بعد عود النبي

الظهر صلى نصفها الاول لبيت المقدس ونصفها الثاني للكعبة ثم رأيت الحافظ ابن حجر فعل
كذلك حيث قال التحقيق ان أول صلاة صلاها بالمسجد النبوي صلاة العصر وان التحويل
في العصر كان في محل آخر للانصار أي وهم بنو حارثة وقيل حولت في صلاة الصبح وهو محمول
على ان ذلك كان في قباء لان الخبر لم يبلغهم الا حينئذ كما سيأتي وانما حولت لانه صلى الله عليه
وسلم كان يعجبه أن تكون قبلته الكعبة سيما لما بلغه أن اليهود قالوا يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا
أي وفي لفظ قالوا للمسلمين لو لم تكن على هدى ما صليتم لقبلتنا فاقتديتم بنا فيها وفي لفظ كان
يحب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقة ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكراهة
لموافقة اليهود ولقول كفار قريش للمسلمين لم تقولون نحن على ملة ابراهيم وأنتم تتركون
قبلته وتصلون الى قبلة اليهود أي ولانه لما هاجر صار اذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر
الكعبة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل وددت أن الله سبحانه وتعالى صرفني
عن قبلة اليهود فقال جبريل انما أنا عبد لا أملك لك شيأ الا ما أمرت به فادع الله تعالى فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى ويكثر اذا صلى الى بيت المقدس من النظر الى
السماء ينتظر أمر الله تعالى أي لان السماء قبلة الدعاء وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل وددت انك سألت الله تعالى ان يصرفني الى الكعبة فقال جبريل لست أستطيع
ان أبتدئ الله جل وعز بالمسئلة ولكن ان سألني اخبرته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
زائرا أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وحانت صلاة الظهر فصلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم باصحابه في مسجد هناك فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار اليه أن صل
الى الكعبة واستقبل الميزاب فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة أي فاستدار
النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء أي فقد تحول من مقدم المسجد الى مؤخره لان
من استقبل الكعبة في المدينة يلزم ان يستدبر بيت المقدس أي كان من يستقبل بيت
المقدس يستدبر الكعبة وهو صلى الله عليه وسلم لو دار كما هو مكانه لم يكن خلفه مكان يسع
الصفوف قيل وكان ذلك وهم راكعون وفيه ان هذا يستدعي عملا كثيرا في الصلاة وهو
مفسد لها عندنا اذا توالى وقد يقال لا مانع لجواز ان يكون ذلك قبل تحريم العمل الكثير في
الصلاة أو ان هذا العمل لم يكن على التوالي (أقول) وبدخوله أي على أم بشر صلى الله عليه وسلم
وعلى الربيع بنت معوذ بن عفراء وعلى أم حرام بنت ملحان وعلى أختها أم سليم والخلوة بكل
منهن فقد كانت أم حرام بنت ملحان تفلي رأسه الشريفة وينام عندها استدل ان من
خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز النظر الى الاجنبية والخلوة بها لامنه الفتنة كما سيأتي
والله أعلم وسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وقيل كانت تلك الصلاة التي هي صلاة الظهر التي
وقع التحول فيها في مسجده صلى الله عليه وسلم فخرج عباد بن بشر وكان صلى مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومر على قوم من الانصار يصلون العصر وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد

صليت

صلى الله عليه وسلم المدينة كما تقدم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف وأقام به يوما وليلة يتجسس الخبر
ورجع وقد غاب خمس ليال وأردف أسامة رضي الله عنه خلفه في رجوعه وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وبعث اليهم
سعد بن عبادة رضي الله عنه باحمال تمر وبعشر جزائر فيحتمل ان الجزائر المنحورة مما بعثه أو مما أخذوه من القوم قال الحافظ ابن حجر
وفي القصة من الفوائد جواز العدو الشديد في الغزو والانذار بالصياح العالي وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه
واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لاسيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ومحله حيث يؤمن الافتتان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية الغمر﴾

وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم بعدها راء وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال في القاموس قلعة بطريق مكة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلا عقب أمره صلى الله عليه وسلم له بالخروج دون تراخ فنذر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجدوا ديارهم خلوفا أي خلية عن سكانها الهاربين فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريبا فقصدوها فاصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم على نعم لبني عم لهم فاغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

﴿سرية محمد بن مسلمة الانصاري﴾

الى ذي القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا من طريق الربذة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من
الهجرة ومعه عشرة الى بني ثعلبة فوردوا عليهم ليلا فكمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام
هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم فما شعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح في أصحابه السلاح فوثبوا
فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن

صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت يعني الكعبة ثم بلغ أهل قباء ذلك وهم
في صلاة الصبح في اليوم الثاني أي وهم ركوع وقد ركعوا ركعة فنادى مناد ألا ان القبلة
قد حولت الى الكعبة فتحولوا اليها أي وفي البخاري بينا الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم
آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر ان يستقبل
الكعبة فاستقبلوها فاستداروا الى الكعبة وفي مسلم بدل صلاة الصبح صلاة الغداة قال الحافظ
ابن حجر وهو أحد أسمائها وقد نقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك ولم ينقل انهم أمروا بقضاء
العصر والمغرب والعشاء ولا اعادة الركعة التي صلوها من الصبح وهو دليل على ان الناسخ
لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله وعلى انه يجوز ترك الامر المقطوع به وهو استقبال
بيت المقدس الى أمر مظنون وهو خبر الواحد وأجيب عن هذا الثاني بان الخبر المذكور
احتفت به قرائن افادت القطع عندهم بصدق المخبر فلم يتركوا الامر المعلوم الا لامر معلوم
أيضا على انه يجوز نسخ المتواتر بالآحاد لان محل النسخ الحكم ودلالة المتواتر عليه ظنية
كما تقرر في محله ويقال ان المبلغ لهم عباد بن بشر أيضا فيكون عباد أتى بني حارثة أولا في صلاة
العصر ثم توجه الى أهل قباء فأعلمهم بذلك في وقت الصبح والقرآن الذي نزل قوله تعالى قد نرى
تقلب وجهك في السماء الآيات أي والى هذا يشير بعضهم بقوله

كم للنبي المصطفى من آية * غراء حار الفكر في معناها
لما رأى الباري تقلب وجهه * ولاه أي قبلة يرضاها

وعن عمارة بن أوس الانصاري قال صلينا احدى صلاتي العشي أي وهما الظهر والعصر فقام
رجل على باب المسجد ونحن في الصلاة فنادى ان الصلاة قد وجهت نحو الكعبة فتحول امامنا
نحو الكعبة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء أي متطلعا نحو الوحي ومتشوقا
للامر باستقبال الكعبة فلنولينك أي نحولنك قبلة ترضاها أي تحبها فول وجهك شطر المسجد
الحرام أي نحوه والمراد بالمسجد الحرام الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان
الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق أي الرجوع الى الكعبة الحق من ربهم أي لما في كتبهم
من نعته صلى الله عليه وسلم بأنه يتحول الى الكعبة ﴿أقول﴾ ولعل هذه القصة التي رواها
عمارة هي التي رويت عن رافع بن خديج قال أتانا آت ونحن نصلي في بني عبد الاشهل فقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر ان يوجه الى الكعبة فدار امامنا الى الكعبة ودرنا معه
والله أعلم (واجتمع قوم) من كبار اليهود وجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا له يا محمد ما ولاك
عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه أي وما كنت عليه قبلة ابراهيم
وهذا بناء على دعواهم ان بيت المقدس كان قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما سيأتي عنهم
وسيأتي ما فيه ثم قالوا ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك
فتنته ليعلم الناس أنه صلى الله عليه وسلم في حيرة من أمره أي واختبار لما يجدونه في نعته صلى

مسلمة فوقع جريحا يضرب كعبه فلا يتحرك يجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة جريحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الامة أحد العشرة المبشرين رضى الله عنهم فى ربيع الآخر فى أربعين رجلا الى مصارعهم فاغاروا عليهم فلم يجدوا أحدا ووجد نعما وشاء فساقه ورجع وصريح هذا ان سبب بعث أبى عبيدة رضى الله عنه طلب ثار المقتولين وقيل ان سببه ان بنى ثعلبة وانمارا أجمعوا على ان يغيروا على صرح المدينة وهى ترعى بهيفاء وهو موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة فى أربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا فى الجبال وأصاب رجلا واحدا فاسلم فتركه وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه وشيأ من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقى عليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه

الى بنى سليم بالجموم ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة وكانت فى شهر ربيع الآخر سنة ست فاصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فاسروها فدلتهم على منازل بنى سليم فاصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فاسروهم فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما رجع زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها والظاهر انها أسلمت وتوقف بعضهم فى ثبوت ذلك وقال لا أعلم لها اسلاما ولا صحبة ولا ترجمة وليس فى الصحابيات حليمة الا المرضعة رضى الله عنها ولم يذكروا عدة الابل والغنم والاسرى والله أعلم

ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى العيص

قالت عائشة رضى الله عنها ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله عنه فى سرية الا أمره عليهم ولو بقى لاستخلفه أخرجه ابن أبى شيبة وفى البخارى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد ابن حارثة رضى الله عنه سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيص موضع على أربع ليال من المدينة

الله عليه وسلم من انه يرجع عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة وانه لا يرجع عن تلك القبلة وفى رواية انهم قالوا للمسلمين ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب وقبلة الانبياء أى ويوافقه قول الزهرى لم يبعث الله منذ هبط آدم عليه السلام الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ويوافق هذا ظاهر قول الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته

وصليت نحو القبلتين تفردا ✽ وكل نبى ماله غير قبلة

قال شارحها يشير الى أن كل نبى كانت قبلته بيت المقدس وهو صلى الله عليه وسلم قد شاركهم فيها أى واختص بالكعبة ومن ثم جاء فى التوراة فى وصفه صلى الله عليه وسلم صاحب القبلتين وفيه أن قبلة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم انما هى الكعبة فعن أبى العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء وكان موسى يصلى الى صخرة بيت المقدس وهى بينه وبين الكعبة ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف أى ويقال بمثل هذا فيما تقدم عن اليهود وعن الزهرى على تسليم صحته من ان صخرة بيت المقدس كانت قبلة لجميع الانبياء انهم كانوا يصلون اليها ويجعلونها بينهم وبين الكعبة فلا مخالفة لا يقال هذا ليس أولى من العكس أى ان استقبال الانبياء للكعبة انما كانوا يجعلونها بينهم وبين صخرة بيت المقدس لانا نقول قد ذكر فى الاصل فى تفسير قوله تعالى ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك أى يكتمون ما علموا من ان الكعبة هى قبلة الانبياء أى المقصودة بالاستقبال لانهم يستقبلونها لاجل صخرة بيت المقدس (وذكر عن بعضهم) أن اليهود لم تجد كون الصخرة قبلة فى التوراة وانما كان تابوت السكينة على الصخرة فلما غضب الله على بنى اسرائيل رفعه فصلوا الى الصخرة بمشاورة منهم أى وادعوا أنها قبلة الانبياء وما تقدم عن الزهرى تقدم الجواب عنه ثم قالوا والله ان أنتم الا قوم تفتنون فأنزل الله تعالى سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب أى الجهات كلها فيأمر بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أى فكان أول ما نسخ أمر القبلة فعن ابن عباس أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة فاستقبل صلى الله عليه وسلم بيت المقدس أى بمكة والمدينة ثم صرفه الله تعالى الى الكعبة أى وأما قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله فمحمول على النفل فى السفر اذا صلى حيث توجه وما قيل ان سبب نزولها ما ذكره بعض الصحابة قال كنا فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ففيه نظر لضعف الحديث أو هو محمول على ما اذا صلوا باجتهاد أى ولما توجه صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال المشركون من أهل مكة توجه محمد بقبلته اليكم وعلم انكم كنتم أهدى منه ويوشك أى يقرب أن يدخل فى دينكم ومن ثم ارتد جماعة وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا (ولما حولت القبلة) الى الكعبة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدم جدار المسجد موضعه الآن وقالت الصحابة له يا رسول الله لقد ذهب منا قوم قبل التحول فهل يقبل منا ومنهم

وكانت غزوة زيد هذه فى جمادى الاولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيدا ومعه سبعون راكبا وقيل مائة وسبعون ليتعرض لها فادركها وأخذها وما فيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان ابن أمية بن خلف وأسر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم أو ياسر وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة وهو زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فلما قدم المدينة أسيرا أجارته زوجته السيدة زينب رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان استجار بها ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وفى رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم ثم قال والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ من هذا حتى سمعت ما سمعتم المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل وقال لها أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له وفى رواية ان زينب رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فابو ولد وانى قد أجرته فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله عنهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فانتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتى بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله باسره لا يفقد منه شيأ ثم ذهب الى مكة فادى الى كل ذى مال ماله ثم قال هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا قال هل أوفيت ذمتى قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام عنده لا تخوفا أن تظنوا انى انما أردت أن آكل أموالكم فلما ردها الله

ومنهم فأنزل الله تعالى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس وذكر فى الاصل أن الصحابة قالوا مات قبل ان تحول قبل البيت رجال وقتلوا أى وهم عشرون ثمانية عشر من أهل مكة واثنان من الانصار وهما البراء بن معرور وأسعد بن زرارة ٥ فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم الآية ولفظة القتل وقعت فى البخارى وأنكرها الحافظ ابن حجر فقال ذكر القتل لم أره الا فى رواية زهير وباقى الروايات انما فيها ذكر الموت فقط ولم أجد فى شئ من الاخبار ان أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على ان بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل فى تلك المدة فى غير الجهاد ثم قال وذكر لى بعض الفضلاء أنه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوى عمار فقلت يحتاج الى ثبوت ان قتلهما كان بعد الاسراء هذا كلام الحافظ وفيه أن الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة وبالعشى قبل فرض الصلوات الخمس كانتا لبيت المقدس فقد تقدم أنه كان يصلى هو وأصحابه الى الكعبة ووجوههم الى بيت المقدس فكانوا يصلون بين الركنين اليمانى والذى عليه الحجر الاسود لاجل استقبال بيت المقدس وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتزم ذلك بل كان فى بعض الاوقات يصلى الى الكعبة فى أى جهة أراد ثم لما قدم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ويستدبر الكعبة الى وقت التحويل ومن ثم قال فى الاصل ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا أى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس لم يتبين توجهه الى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة أى فانه استدبر الكعبة واستقبل بيت المقدس فقول ابن عباس لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس معناه أمره الله ان يستمر على استقبال بيت المقدس وهذا هو المراد بقوله الذى نقله بعضهم عنه وهو انه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر وأمره الله تعالى أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس أى يستمر على ذلك ويستدبر الكعبة ثم أمره الله باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس فلم يقع النسخ مرتين كما قد يفهم من ظاهر السياق ومن قول ابن جرير صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه ثم وجهه الله تعالى الى الكعبة هذا كلامه ومن ثم قال الحافظ ابن حجر هذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين قيل وكان أمره بمداومة استقبال بيت المقدس ليتألف أهل الكتاب لانه كان ابتداء الامر يحب ان يتألف أهل الكتاب فيما لم ينه عنه فلا يخالف ما سبق من انه كان يحب أن يستقبل الكعبة كراهة لموافقة اليهود فى استقبال بيت المقدس ولا يخالف هذا قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه وبعد الفتح يحب مخالفتهم لجواز ان يكون ذلك أغلب أحواله وقد يؤخذ من ان استدامة استقباله لبيت المقدس كان ليتألف أهل الكتاب

عليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج فقدم المدينة وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضى الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه
فخرج الى الشام فى تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت
يارسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا قال نعم قالت فاشهد أنى قد أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك الصحابة رضى الله عنهم
خرجوا اليه بغير سلاح فقالوا له انك فى شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك أن تسلم فتغنم
مامعك من أموال أهل مكة فقال بئس ما أمرتمونى به ان أفتتح دينى بغدرة فمضى الى مكة فسلمهم أموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل ان أسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبى بصير ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان أسلم وهاجر ردها صلى الله عليه وسلم اليه بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وهذا هو الذى عليه العمل لان الاسلام فرق بينهما قال الله تعالى لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وقيل ان هذه الآية متأخرة عن هذه الوقعة فلم يكن اختلاف الدينين مقتضيا للتحريم الا بعد نزولها وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أثنى على أبى العاص فى مصاهرته خيرا وقال حدثنى فصدقنى ووعدنى ووفى لى وانه صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب من أبى العاص رضى الله عنهم ماتت رضى الله عنه سنة اثنتى عشرة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وأما زينب رضى الله عنها فتوفيت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وهى أكبر بناته رضى الله عنهن والله أعلم

﴿ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى الطرف﴾ بفتح الطاء
وكسر الراء وبالفاء ككتف وهو ماء أى ماء عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق وكانت فى جمادى الآخرة سنة ست
خرج الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت الاعراب لانهم خافوا أن يكون صلى الله عليه وسلم سار اليهم بنفسه
وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب أربع ليال عن المدينة ﴿ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى حسمى﴾

جواب عما يقال اذا كانت الكعبة قبلة الانبياء كلهم فلم وفق الى استقبال بيت المقدس وهو بمكة بناء على أن صلاته لبيت المقدس وهو بمكة كانت باجتهاد وحاصل الجواب انه أمر بذلك أو وفق اليه لانه سيصير الى قوم قبلتهم بيت المقدس ففيه تأليف لهم وقد يوافقه ما فى الاصل عن محمد بن كعب القرظى قال ماخالف نبى نبيا قط فى قبلة الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس أى فهو مخالف لغيره من الانبياء فى ذلك وهذا موافق لما تقدم عن أبى العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء أى ثم فى السنة المذكورة التى هى الثانية فرض صوم رمضان وفرضت زكاة الفطر وطلبت الاضحية أى استحبابا (وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) فرض شهر رمضان بعدما صرفت القبلة الى الكعبة بشهر فى شعبان أى على ماتقدم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم هو وأصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة أيام من كل شهر أى وهى الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر قيل وجوبا فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر الايام البيض فى حضر ولا سفر وكان يحث على صيامها وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل فرض رمضان صوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بوجوب رمضان وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ففى البخارى ثم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما صام النبى صلى الله عليه وسلم عاشوراء فلما فرض رمضان ترك صوم عاشوراء هذا والمشهور من مذهبنا معاشر الشافعية انه لم يجب على هذه الامة صوم قبل رمضان وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا دلالة فيه على الوجوب لجواز أن يكون شأنه صلى الله عليه وسلم صيام تلك الايام على الوجه المذكور حتى بعد فرض رمضان وحديث البخارى أيضا لا دلالة فيه لجواز ان يكون تركه لصوم يوم عاشوراء فى بعض الاحايين بعد فرض رمضان خشية اعتقاد وجوب صومه كرمضان ويجاب بمثل ذلك عما فى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه موافقة لهم أى ولم يأمر أحدا من أصحابه بصيامه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه أى ترك صلى الله عليه وسلم صومه خوفا من توهم انه فرض كرمضان وقولها رضى الله تعالى عنها فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه أى لانه صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أى فى أيام قدومه للمدينة وذلك فى شهر ربيع الاول وجد اليهود تصومه وتعظمه فسألهم عن ذلك فقالوا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه كما جاء ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفى كلام الحافظ ناصر الدين عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة يوم عاشوراء فاذا اليهود صيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا قالوا هذا يوم

اغرق

بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصورا وهى اسم أرض ينزلها جذام وراء وادى القرى وذلك من جهة الشام وكانت فى
جمادى الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع فتكون بعد الحديبية لانها بعد رجوع دحية من عند قيصر وبعث دحية الى قيصر
كان آخر سنة ست بعد الحديبية وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه من عند قيصر لما أرسله صلى
الله عليه وسلم اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لانه قارب أن يسلم ولم يسلم خوفا
على ملكه فلقيه الهنيد بن عارض فى ناس من جذام بضم الجيم وبالذال المعجمة وهى قبيلة من معد بجبال حسمى فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شئ كان معه ولم يتركوا عليه الا سمل ثوب وهو الخلق البالى من الثياب فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامى ممن كان أسلم فاستنقذوا لدحية متاعه وفى رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم واستنقذوا ما كان فى أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة رضى الله عنه فى خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا أى أكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ماشيتهم ونساءهم فاخذوا من الابل ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبى مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة ابن زيد الجذامى فى نفر من قومه فدفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذى كان كتبه له ولقومه
ليالى قدم عليه فاسلم وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن
دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أقبل ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم
على قومه أسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضى الله
عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضى الله عنه قال حسان انا قوم مسلمون فقال اقرأ

أغرق الله تعالى فيه فرعون وأنجى فيه موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أولى بموسى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والمدينة يحتمل ان المراد بها قباء ويحتمل ان المراد بها باطنها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلما فرض رمضان قال صلى الله عليه وسلم أى لاصحابه من شاء صامه ومن شاء تركه أى قال ذلك لهم خشية اعتقادهم وجوب صومه كوجوب صوم رمضان وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين لذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم كما تقدم أو هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فكيف يكون فى ربيع الاول وأجيب بان السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق فى ذلك الزمن أى زمن قدومه صلى الله عليه وسلم وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يدل على ذلك ما فى المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد قال ليس يوم عاشوراء اليوم الذى تقوله الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور فى السنة وكان الناس يأتون فلانا اليهودى فيسألونه فلما مات اليهودى أتوا زيد بن ثابت فسألوه فصام صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وأمر بصيامه حتى انه أرسل فى ذلك اليوم أسلم بن حارثة الى قومه وهم أسلم وقال مر قومك بصيام عاشوراء فقال أرأيت ان وجدتهم قد طعموا قال فليتموا أى يمسكوا تعظيما لذلك اليوم (وفى دلائل النبوة) للبيهقى عن بعض الصحابيات قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم يوم عاشوراء ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يوم عاشوراء بالرضعاء فيتفل فى أفواههم ويقول للامهات لا ترضعنهن الى الليل والظاهر ان المراد بيوم عاشوراء هذا اليوم الذى هو عاشر المحرم الهلالى لا الشمسى وكذا يقال فى قوله وقيل سمى الخ فليتأمل وقيل سمى يوم عاشوراء لان عشرة من الانبياء أكرمهم الله تعالى فيه بعشر كرامات تاب الله فيه على آدم واستوت فيه سفينة نوح على الجودى أى فصامه نوح ومن معه حتى الوحش شكرا لله ورفع الله فيه ادريس ونصر الله فيه موسى ونجى فيه ابراهيم من النار وفيه أخرج يوسف من السجن أى وفيه ولد ورد فيه على والده يعقوب وأخرج فيه يونس من بطن الحوت أى وتاب الله على مدينته وتاب الله فيه على داود وعوفى فيه أيوب وفى كلام الحافظ ابن ناصر الدين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل افترض على بنى اسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على أهاليكم فيه فانه من وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فصوموه وهو اليوم الذى تاب الله فيه على آدم وذكر ما تقدم وزاد عليه وانه اليوم الذى أنزل الله فيه التوراة على موسى وفيه فدى الله اسمعيل من الذبح وهو اليوم الذى رد الله فيه على يعقوب بصره وهو اليوم الذى

أم الكتاب فقرأها فقال زيد نادوا فى الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاؤا منها الا من ختر وكانت أخت حسان فى الاسارى فقال له زيد خذها فقالت امرأة أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم فقال زيد لاخت حسان اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن ونهى الجيش أن يهبطوا الى واديهم الذى جاؤا منه فامسوا فى أهليهم فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صبحوا رفاعة فقال له حسان ابن ملة انك لجالس تحلب المعز ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به فدعا رفاعة بجمل فشد عليه رحله وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ألاح لهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال يارسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين أى عندهم فصاحة لسان وبيان فقال رفاعة رحم الله من لم يحذنا فى يومنا هذا الا خيرا ثم دفع كتابه اليه صلى الله عليه وسلم فقال دونك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ياغلام اقرأه وأعلن فلما قرأه استخبرهم فأخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت أعلم يارسول الله لانحرم عليك حلالا ولانحل لك حراما فقال أبو زيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هذه فقال صلى الله عليه وسلم صدق أبو زيد اركب معهم ياعلى فقال ان زيدا لن يطيعنى فقال خذ سيفى هذا فأعطاه سيفه فقال ليس لى راحلة فحملوه على بعير وخرجوا فاذا رسول لزيد على ناقة من ابلهم فأنزلوه عنها فقال ياعلى ماشأنى قال مالهم عرفوه فأخذوه ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء فأخذوا مافى أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل وأخبروهم بان النبى صلى الله عليه وسلم انما بعث عليا رضى الله عنه الى زيد بن حارثة رضى الله عنه قال يأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم وفى رواية فقال على رضى الله عنه لزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم مابيدك من أسير أوسبى أومال فقال زيد رضى الله عنه علامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أى اطلب علامة فقال على رضى الله عنه هذا سيفه فعرفه زيد فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شئ من سبى أومال فليرده فهذا رسول

ردالله فيه على سليمان ملكه وهو اليوم الذى غفر الله فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ذنبه ماتقدم وماتأخر وأول يوم خلق من الدنيا يوم عاشوراء وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء وأول رحمة نزلت من السماء يوم عاشوراء فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله وهو صوم الانبياء الحديث بطوله ثم قال هذا حديث حسن ورجاله ثقات وذكر الحافظ المذكور عن بعضهم قال كنت أفت للنمل خبزا فى كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم تأكل وتقدم ان الصرد أول طير صام يوم عاشوراء وفى كلام بعضهم ماقيل فى يوم عاشوراء كانت توبة آدم الى آخر ماتقدم من الاحاديث الموضوعة وفى كلام بعض آخر مايفعل فيه من اظهار الزينة بالخضاب والاكتحال ولبس الجديد وطبخ الحبوب والاطعمة والاغتسال والتطيب من وضع الكذابين والحاصل ان الرافضة اتخذوا ذلك مأتما يندبون وينوحون ويحزنون فيه والجهال اتخذوا ذلك موسما وكلاهما مخطئ مخالف للسنة وأما التوسعة فيه على العيال فحديثها وان لم يكن صحيحا فهو حسن خلافا لقول ابن تيمية ان التوسعة على العيال لم يرد فيها شئ عنه صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم عاشوراء كما تصومه اليهود أى ويوم عاشوراء مختلف لانه عند اليهود من السنة الشمسية وعند أهل الاسلام من السنة الهلالية وفى مسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه قال له بعض الصحابة يارسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل صمنا اليوم التاسع قبله أى مخالفة لليهود فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى هذا الحديث اشكال فان سياقه يدل على انه صلى الله عليه وسلم ماصام يوم عاشوراء ولا أمر بصيامه الافى السنة التى توفى فيها وهو مخالف لما سبق ويجاب عن هذا الاشكال بأن المراد بقوله حين صام أى حين واظب على صومه واتفق ان قول بعض الصحابة ذلك كان فى السنة التى توفى فيها وهو صلى الله عليه وسلم كان شأنه موافقة أهل الكتاب قبل فتح مكة ومخالفتهم بعده كما تقدم وبعض متأخرى فقهائنا أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان شاء الله تعالى صمنا اليوم التاسع من تتمة حديث وما تقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود تصومه فصامه وأمر بصيامه فاستشكل وأجاب بأن المراد لما قدم من سفرة سافرها من المدينة بعد الهجرة أى وكان قدومه من تلك السفرة فى السنة التى توفى فيها وقد علمت انهما حديثان وقد علمت معنى الحديث الذى تقدم اذا كان العام المقبل وفى كون اغراق فرعون ونجاة موسى كان يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة يلزم عليه أن ذلك اليوم انتقل من ذلك الشهر الى اليوم العاشر من المحرم الذى هو الشهر الهلالى من السنة الثانية واستمر كذلك كما هو ظاهر سياق الاحاديث أن الذى واظب على صيامه انما هو ذلك اليوم وكونه وفق اليهود على صوم ذلك اليوم ثم خالفهم فى السنة الثانية ومابعدها من أبعد البعيد ثم رأيت أبا الريحان البيروتى نازع فى ذلك فى كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية حيث

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم كل ماأخذ منهم وظاهر السياق يقتضى انهم كانوا يطؤن الجوارى بلا استبراء وهو كذلك لان وجوبه انما كان فى سبى هوازن والله أعلم ﴿ثم سرية زيد بن حارثة أيضا﴾ رضى الله عنه الى وادى القرى وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وكانت فى رجب سنة ست سار رضى الله عنه الى وادى القرى فلقى به بنى فزارة وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم ورد بن مرداس رضى الله عنه وحمل منهم جريح به رمق والله أعلم

﴿ثم سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الى دومة الجندل﴾

بضم الدال المهملة وبفتحها وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام آخره وهو حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة أوست عشرة ليلة وكانت فى شعبان سنة ست من الهجرة وقد ذكر ابن اسحق فى أول هذه القصة حديثا فى أوله زيادة لابأس بذكرها فقال حدثنى من لاأتهم عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وأبو سعيد اذ أقبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فاى المؤمنين اكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأكثرهم له استعدادا قبل أن ينزل به أولئك هم الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن فى اسلافهم الذين مضوا ولم ينتقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الامنعوا القطر من السماء فلولا البهائم ماأمطروا ومانقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فأخذوا ماكان فى أيديهم ومالم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجروا فيما أنزل الله الا جعل بأسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن بن عوف ان يتجهز لسرية بعثه عليها فاصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فادناه صلى الله عليه وسلم منه فاقعده بين يديه وعممه بيده وفى

قال رواية ان الله أغرق فرعون ونجى موسى وقومه يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الامتحان يشهد عليها بالبطلان وبين ذلك بما يطول وحينئذ يكون من جملة مايحكم عليه بالبطلان اقرارهم على ذلك وكونه صلى الله عليه وسلم صامه وأمر بصيامه وفرض الله عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته صيام شهر رمضان أو الاطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه من الاصحاء المقيمين فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا أى زاد على اطعام المسكين فهو خير له وان تصوموا خير لكم أى من الفطر والاطعام فكان من شاء صام ومن شاء أطعم عن كل يوم مدا ثم ان الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله فمن شهد منكم الشهر أى علمه فليصمه الا فى حق من لايستطيع صومه لكبر أولمرض لايرجى زواله فيجزيه الاطعام ورخص فيه للمريض أى اذا كان بحيث تحصل له مشقة تبيح التيمم وللمسافر أى الذى يباح له قصر الصلاة وان لم يحصل له مشقة بالكلية مع وجوب القضاء اذازال المرض والسفر بقوله تعالى ومن كان مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر أى فأفطر فعليه صيام عدة ماأفطر من أيام أخر وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا بعد الغروب أو يدخل وقت العشاء الآخرة فاذا ناموا أودخل وقت العشاء الآخرة امتنع عليهم ذلك الى الليلة القابلة ثم نسخ الله ذلك وأحل الاكل والشرب واتيان النساء الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ثم قال تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولما فهم بعض الصحابة ان المراد الخيط حقيقة حتى صار يجعل عند وسادته حبلا أبيض وحبلا أسود أنزل الله تعالى من الفجر اشارة الى أن المراد بياض النهار وسواد الليل * وذكر فى التفسير فى سبب نزول هذه الآية ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع أهله بعد ماصلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة انى رجعت الى أهلى فوجدت رائحة طيبة فسولت لى نفسى فجامعت أهلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك ياعمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت وذكر له صلى الله عليه وسلم ان بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فاخبر أنه أهل حرث وانه جاء لينظر ماتعمله له زوجته ليتعشى به فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ الا بعد الغروب فلم يتناول شيأ فانزل الله تعالى وكلوا واشربوا الآية وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم جاء فى بعض الروايات أن المراد بهم أهل الكتاب أى اليهود والنصارى وجاء فى بعضها ان المراد بهم النصارى خاصة وجاء فى بعض الروايات أن المراد بهم جميع الامم السابقة فقد جاء مامن أمة الا وجب عليها صوم رمضان الا أنهم أخطؤه ولم يهتدوا له وهذه الرواية تدل على أنه لم يصمه أحد من الامم السابقة فصومه من خصوصيات هذه الامة وفى الانساب لابن قتيبة أول من صام رمضان نوح عليه السلام هذا كلامه وفى بعض

رواية نقضها ثم عممه بها فأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن
يدفع اليه اللواء فدفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها يا ابن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا
من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فأخذ عبد الرحمن اللواء وفي رواية بعثه الى
كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا ١٥٢ لك أي أطاعوك فاسلموا فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

الروايات ما يفيد أن النصارى صامته واتفق انه وقع في بعض السنين في شدة الحر فاقتضى رأيهم تأخيره بين الصيف والشتاء وأن يزيدوا في مقابلة تأخيره عشرين يوما وعلى هذا فصومه ليس من خصائص هذه الامة وقيل التشبيه انما هو في مطلق الصوم لا في خصوص صوم رمضان لانه كان الواجب على جميع ما تقدم من الامم صوم ثلاثة أيام من كل شهر صام ذلك نوح فمن دونه حتى صامه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وتقدم أن تلك الايام التي صامها صلى الله عليه وسلم كانت البيض التي هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وتقدم انه قيل ان صوم ذلك كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وقيل كان الواجب عليه وعلى أصحابه قبل صوم رمضان عاشوراء وتقدم رده وكان فرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قبل العيد بيومين يعلم الناس زكاة الفطر فيأمر باخراج تلك الزكاة قبل الخروج الى صلاة العيد أي بعد ان شرعت لان مشروعيتها تأخرت عن مشروعية صلاة عيد الاضحى وكان فرض زكاة الفطر قبل فرض زكاة الاموال وكان فرض زكاة الاموال في تلك السنة التي هي الثانية ولم أقف على خصوص الشهر الذي وجبت فيه قال بعضهم ولعل هذا محمل قول بعض المتأخرين المطلعين على الفقه والحديث لم يتحرر لي وقت فرض الزكاة أي زكاة المال ولعله عنى ببعض المتأخرين الامام سراج الدين البلقيني رحمه الله لان الامام سراج الدين البلقيني سئل هل علمت السنة التي فرضت فيها زكاة المال فاجاب بقوله لم يتعرض الحفاظ ولا أصحاب السير للسنة التي فرض فيها زكاة المال ووقع لي حديثان ظهر منهما تقريب ذلك ولم أسبق اليه ثم قال فقد ظهر أن زكاة المال بعد زكاة الفطر وقيل قدوم ضمار بن ثعلبة وقدومه كان في السنة الخامسة هذا كلامه وقيل فرضت زكاة الفطر قبل الهجرة وعليه يحمل ظاهر ما في سفر السعادة كان صلى الله عليه وسلم يرسل مناديا ينادي في الاسواق والمحلات والازقة من مكة ألا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسألة الحديث ورد بانه فرض قبل الهجرة بعد الايمان الا الصلوات الخمس وكل الفروض فرضت بعد الهجرة وفيه انه فرض قيام الليل كما تقدم وصلاة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى على ما تقدم الا أن يقال المراد الفروض الموجودة الآن المستمر فرضها وما تقدم عن سفر السعادة يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم يرسل المنادي الذي ينادي في مكة بوجوب زكاة الفطر وهو بالمدينة بعد وجوبها بالمدينة وأمر صلى الله عليه وسلم أن تخرج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب أو صاع من بر فكان صلى العيدين قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة أي بل يقال الصلاة جامعة لكن في سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المصلى شرع في الصلاة من وقته بلا أذان ولا اقامة ولا الصلاة جامعة والسنة أن لا يكون شئ من هذا كله هذا كلامه وكانت تحمل العنزة بين يديه فاذا وصل المصلى نصبت تجاهه وهي عصا قدر نصف الرمح في أسفلها زج

بجيشه حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ثم أسلم في اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج تماضر بنت الاصبغ وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضي الله عنها وفي رواية ان عبد الرحمن رضي الله عنه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره باسلام من أسلم من القوم وانه أراد ان يتزوج فيهم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ويمكن الجمع بين الروايتين بان عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولا فان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم لاحتمال انه أراد ان أسلم الجميع مع انه قد بقي منهم جماعة على الجزية فكتب اليه احتياطا فولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أبا سلمة وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله وقيل اسمعيل توفي سنة أربع وتسعين والله أعلم

سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه

ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر أي الى حي منهم وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم ساعون في جمع الناس من
يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار علي رضي الله عنه الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الغمج بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم اسم ما بين
فدك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا ما أنت قال باغ أي طالب لشئ ضل مني فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد قال لا علم لي به
فشددوا عليه فاقر أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون

عليهم فقالوا له فأين القوم قال تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى تدلنا قال على أن تؤمنوني قالوا ان دللتنا عليهم أو على
سرحهم أمناك والا فلا أمان لك قال فذاك فخرج بهم دليلا حتى ساء ظنهم به ثم أفضى بهم الى أرض مستوية فاذا نعم كثيرة وشاء فقال
هذه نعمهم وشاؤهم فاغاروا عليها فقال أرسلوني فقالوا حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا فقال الدليل
علام تحبسوني وقد تفرقت الاعراب قال علي حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه ١٥٣ فلم ير أحدا فارسلوه وساقوا النعم والشاء

من حديد وكانت تلك العنزة للزبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يصلي اليها أي أخذها منه بعد وقعة بدر وقد قتل بها الزبير عبيدة بفتح العين المهملة وبضمها ابن سعيد بن العاص الذي كان يقال له أبو ذات الكرش قال الزبير لقيته لا يرى منه الا عيناه فقال لي أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات وأردت اخراجها فوضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفها ولما قبض صلى الله عليه وسلم أخذها الزبير ثم طلبها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فاعطاه اياها فلما قبض أبو بكر رضي الله تعالى عنه أخذها الزبير ثم سألها عمر رضي الله تعالى عنه فاعطاه اياها فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان فاعطاه اياها فلما قتل دفعت الى علي ثم أخذها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من صلاة عيد الفطر وخطبته يقسم زكاة الفطر بين المساكين ولعل المراد الزكاة المتعلقة به لانه تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يأمر الناس باخراجها قبل الصلاة الا أن يقال المراد باخراجها جمعها له صلى الله عليه وسلم ليفرقها واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاة الاضحى وخطبته يؤتى له بكبشين وهو قائم في مصلاه فيذبح أحدهما بيده ويقول هذا عن أمتي جميعا من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ وعند الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح كبشا أقرن بالمصلى أي بعد أن قال بسم الله والله أكبر وقال اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي واستدل بذلك على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يضحي عن غيره بغير اذنه ويذبح الآخر ويقول هذا عن محمد وآل محمد فيأكل هو وأهله منهما ويطعم المساكين ولم يترك الاضحية قط وهل كانت الانبياء من بعد ابراهيم تضحي هم وأممهم أو هم خاصة ٥ وكان في مسجده صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قبل أن يوضع له المنبر يخطب ويسند ظهره الى اسطوانة من جذوع النخل أو من الدوم وهو شجر المقل وعبارة بعضهم كان يخطب الناس وهو مستند الى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي فلما كثر الناس أي وقالوا له صلى الله عليه وسلم لو اتخذت شيأ تقوم عليه اذا خطبت يراك الناس وتسمعهم خطبتك فقال ابنوا لي منبرا فلما بني له المنبر عتبتين أي ومحل الجلوس فكان ثلاث درجات وقام عليه في يوم جمعة أي وخطب وفي لفظ لما عدل الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك الجذع سمع لتلك الاسطوانة حنين كحنين الواله بصوت هائل سمعه أهل المسجد حتى ارتج أي اضطرب المسجد وكثر بكاء الناس لذلك ولا زالت تحن حتى تصدعت وانشقت أي وفي رواية سمع له صوت كصوت العشار أي النوق التي أتى لحملها عشرة أشهر وقيل التي أخذ ولدها وفي بعض الروايات كحنين الناقة الخلوج وهي التي انتزع ولدها منها وفي رواية جأر بفتح الجيم وبعدها همزة مفتوحة أي صوت أو بالخاء المعجمة بلا همزة وهو بمعناه كخوار الثور فنزل صلى الله عليه وسلم فالتزمها وحضنها أي فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت فيسكت أي وفي كلام بعضهم وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه

معهم وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن وقدم علي رضي الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود والله أعلم

سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه الى أم قرفة

بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث وهو اسم امرأة وهي بنت ربيعة بن بدر الفزاري التي جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لانها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة وكان لها عشرة بنين وبنتان وكانت بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام وكانت هذه السرية في رمضان سنة ست من الهجرة وسببها ان زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره وفي رواية ان زيدا رضي الله عنه حلف ان لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة فرجع وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه اليهم في جيش

وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة فعلمت بهم بنو
فزارة فجعلوا لهم ناظورا لحين يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذي يرون انهم يؤتون منه فينظر مسافة يوم
فاكثر فيقول اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم فاذا كان العشاء اشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا لا بأس عليكم فلما
كان اصحابه على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق فسار في آخر حتى أمسوا وهم على خطأ فعاينوا الحاضر من بني فزارة فحمدوا

خطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بمن حضر من بنى فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة رئيسة وكانت ذات شرف فى قومها وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمه قيس بن المحسر وقيل ابن مسحل الى أم قرفة وهى عجوز كبيرة فأسرها وبنتها فقتلها اقتلا عنيفا ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانها جهزت ثلاثين راكبا

من ولدها وولد ولدها وقالت اغزوا المدينة واقتلوا محمدا وقدم زيد بن حارثة رضى الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبى صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الاكوع رضى الله عنه هو الذى أسر بنت أم قرفة فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لخاله حزن ابن أبى وهب فولدت له عبد الرحمن ابن حزن

سرية عبد الله بن عتيك

لقتل أبى رافع عبد الله أو سلام بتشديد اللام ابن أبى الحقيق بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغرا اليهودى وهو من الذين حزبوا الاحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير بعث اليه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء والكاف الخزرجى الانصارى رضى الله عنه فى رمضان سنة ست وقيل فى ذى الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب وفى البخارى قال الزهرى بعد قتل كعب بن الاشرف الواقع سنة ثلاث قال ابن اسحق ان الزهرى أخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال لما قتلت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته للنبى صلى الله عليه وسلم باذنه صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنته الخزرج فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحق حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب ابن مالك قال كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أى يحمل كل منهما على الآخر والمراد ان كلا من الاوس والخزرج يدفع عن النبى صلى الله عليه وسلم ويفتخر بذلك لا يصنع

وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه فعاد الى مكانه وفى رواية ووضع يده عليها وقال لها اسكنى واسكنى فسكنت وفى رواية ان هذا أى الجذع يبكى لما فقد من الذكر والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا أى يحن الى يوم القيامة زاد فى رواية حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لما فقد من الذكر هو واضح على الرواية الاولى وأما على الثانية فالمراد لما يفقده من الذكر والى حنين الجذع أشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وحن اليك الجذع حين تركته * حنين الثكالى عند فقد الاحبة

وعن بعضهم قال قال لى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت اعطى عيسى احياء الموتى فقال اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع فهذا أكبر من ذلك وفى رواية لا تلوموه أى الجذع على حنينه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارق شيأ الا وجد عليه أى حزن وفى رواية انه قال له ان شئت ادركك الى الحائط أى البستان الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك فى الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بصوت سمعه من يليه بل تغرسنى فى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت قد فعلت وفى رواية لما أصغى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقال اختار ان اغرسه فى الجنة أى وفى رواية اختار دار البقاء على دار الفناء ولا يخالف ما قبله لانه يجوز ان يكون السائل من غير من سمع جوابه وأمر به فدفن تحت المنبر وقيل جعل فى السقف وأخذه عنده أبى رضى الله عنه بعد ان هدم المسجد وازيل سقفه فكان عنده الى ان أكلته الارضة وعاد رفاتا أى متكسرا من شدة اليبس (أقول) فى سيرة الحافظ الدمياطى قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب الى جذع فى المسجد قائما فقال ان القيام شق على فقال له تميم الدارى الا اعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام أى تصنعه النصارى فى كنائسهم لاساقفتهم تسمى المرقاة به مدون عليها عند تذكيرهم فتشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين فى ذلك فرأوا ان يتخذوه فقال العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه ان لى غلاما يقال له كلاب أعلم الناس أى بالنجارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مره ان يعمله فأرسله الى أثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منه درجتين ومقعدا ثم جاء به فوضعه فى موضعه اليوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عليه أى وقال ان أتخذ منبرا فقد اتخذه أبى ابراهيم أى وله صلى الله عليه وسلم يعنى به المقام الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وهو الحجر الا ان ثبت ان ابراهيم كان له منبر يحدث عليه الناس وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده ثم يقول انا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون ويميل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك حتى انى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية عنه فقال المنبر هكذا

الاوس شيأ فيه عنه صلى الله عليه وسلم غناء الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الاسلام واذا فعلت الخزرج شيأ قالت الاوس مثل ذلك ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا أبدا فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف فذكروا سلام بن أبى الحقيق فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى قتله فأذن لهم فخرج اليه

من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة واسمه الحرث بن ربعى والاسود ابن خزاعى ومسعود بن سنان الاسلمى حليف بنى سلمة بطن من الخزرج فأمرهم صلى الله عليه وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل عن الحركة جاؤا الى منزل له وكان فى حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله بن عتيك لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل الحصن فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كى لا يعرف كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس وكانوا فقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه وجلوسه كأنه يقضى حاجته مخافة أن يعرف فناداه البواب ياهذا ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب لانه ظن أنه من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاقاليد أى المفاتيح على وتد فى كوة فقمت الى الاقاليد فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر الناس عنده وفى رواية فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل وكان فى غرفة عالية له اليها عجلة من خشب فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلق على من داخل وقلت ان القوم ان نذروا بى لم يخلصوا الى حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله فى بيت مظلم قد طفئ سراجه لا أدرى أين هو وكان عبد الله بن عتيك يتكلم باليهودية فقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبى رافع فيظنه انه

هكذا وهكذا الجذع وذهب ثلاث مرات وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها فرجعت برسول الله صلى الله عليه وسلم منبره حتى قلن ليحزن وقال منبرى هذا على ترعة بضم المثناة فوق واسكان الراء وبالعين المهملة من ترع الجنة أى افواه جداول الجنة وقوائم منبرى رواتب أى ثوابت فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم منبرى على حوضى وقال ان حوضى كما بين عدن الى عمان أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك اباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وأكثر الناس ورودا عليه يوم القيامة فقراء المهاجرين قلنا من هم يارسول الله قال الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد أى الابواب الذين يعطون الذى عليهم ولا يأخذون الذى لهم وقال صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى وفى رواية بدل قبرى بيتى وفى لفظ حجرتى والمراد قبره الشريف فانه فى حجرته وحجرته هى بيته صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة أى يكون بعينه فى الجنة بقعة من بقاعها أى ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها وقيل ان الصلاة والدعاء فيها يستحق بذلك من الثواب ما يكون موجبا لدخول الجنة كما قيل بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف مع ان تلك السيوف كانت بأرض الكفر وقيل انها ابركتها اضيفت الى الجنة كما قيل فى الضأن انها من دواب الجنة وقال ابن حزم ليس على ما يظنه أهل الجهل من ان تلك الروضة قطعة مقتطعة من الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبرى كاذبا ولو على سواك اراك فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية الا وجبت له النار (أقول) وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يعتمد على عصا من شوحط وفى الهدى لم يعتمد صلى الله عليه وسلم فى خطبته على سيف أبدا وقبل ان يتخذ له المنبر كان يعتمد على قوس أو عصا أى وقيل كان يعتمد على قوس ان خطب فى الحرب وعلى عصا ان خطب فى غيره واختلف فيها يعنى تلك العصا هل هى العنزة التى كان يصلى اليها أو غيرها وما يظنه بعض الناس من انه كان يعتمد على سيف وان ذلك اشارة الى ان الدين قام بالسيف فمن فرط جهله هذا كلامه وفيه ان بعض فقهائنا ذكر ان اعتماده فى خطبته كان على سيف روى ولم يثبت وذكروا فيه وأن تلك الحكمة حيث قالوا وحكمة اعتماده على العصا أو القوس أو السيف الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح وقول صاحب الهدى وكان قبل ان يتخذ المنبر يعتمد على قوس أو عصا يقتضى ان بعد اتخاذ المنبر لم يعتمد على شئ من ذلك أى وصرح به صاحب القاموس فى سفر السعادة حيث قال لم يكن يأخذ السيف والحربة بيده بل كان يعتمد على القوس أو العصا وذا قبل اتخاذ المنبر وأما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ انه اعتمد على العصا ولا على القوس ولا على غير ذلك هذا كلامه فيكون الاعتماد على ذلك فوق المنبر بدعة وهو خلاف ما عليه أئمتنا من انه يسن ان يشغل يمناه بحرف المنبر ويسراه بما يعتمد عليه من نحو العصا لكن قالوا كعادة من يريد الضرب بالسيف والرمى بالقوس وهو لا يأتى فى العصا ولا يأتى فى السيف اذا كان فى غمده ووجود المرقى الذى

من قومه فلا يفزع منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت قال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقالت ذلك صاحبك
فلما رأت السلاح أرادت ان تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت قال فقلت أبا رافع لأعرف موضعه فقال من هذا فأهويت نحو
الصوت فضربته ضربة وانا دهش فما أغنت شيئا ولم أقتله وصاح أبو رافع فخرجت من البيت وكنت غير بعيد فقالت امرأته يا أبا
رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك
قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ثم دخلت عليه كأني أغيثه وغيرت

صوتي فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لأمك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف فضربته ضربة أثخنته ولم أقتله فصاح وقام أهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف أي حده في بطنه حتى دخل في ظهره وسمعت صوت العظم فعرفت أني قد قتلته فجعلت أفتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وانا أرى أني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم خرجت وكنت في موضع واوقدت اليهود النيران وذهبوا في كل وجه يطلبون حتى اذا أيسوا رجعوا اليه وجلست كامنا وقلت لا اخرج الليلة حتى اعلم اقتلته فلما صاح الديك صعد الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر الحجاز فانطلقت الى أصحابي فقلت النجاء أي أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع وفي رواية فعصبت رجلي وأتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا أبرح حتى اسمع الناعي فلما كان وجه الصبح صعد الناعي فقال أنعى أبا رافع فقمت أمشي ما بي قلبة فادركت أصحابي قبل ان يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته صلى الله عليه وسلم وفي رواية

يقرأ الآية والخبر المشهور بدعة لانه حدث بعد الصدر الاول ولم أقف على أول زمان فعل فيه ذلك لكن ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من يستنصت له الناس عند ارادة خطبته وعليه ان كان استنصتهم بالحديث فذكر المرقي للخبر ليس من البدعة الا أن يقال هو بالنسبة لخطبة الجمعة بدعة لانه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الحديث على المنبر فالسنة أن يذكره الخطيب كذلك ففي سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم في أثناء الخطبة يأمر الناس بالانصات ويقول ان الرجل اذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وكان صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول أنصت ليس له جمعة وقول الحافظ الدمياطي كان صلى الله عليه وسلم يخطب على جذع قائما وانه قال ان القيام شق علي يقتضي أن حنين الجذع كان عند قيامه على ذلك المنبر من الخشب وأنه لم يتخذ قبل ذلك المنبر من الطين الذي قدمناه وفيه نظر وكذا في قوله وقال له تميم الداري الى آخره لان تميما الداري انما أسلم في السنة التاسعة وهذا المنبر الذي من الخشب انما فعل في السابعة أو الثامنة وعلى هذا اقتصر الاصل حيث قال في الحوادث وفيها أي لسنة الثامنة اتخاذ المنبر والخطبة عليه وحنين الجذع وهو أول منبر عمل في الاسلام وهو في ذلك موافق لما قدمه هو أي الاصل من اتخاذ المنبر له من الطين قبل ذلك وأنه كان عنده حنين الجذع وعلى كون المنبر عمل في الثامنة لا يشكل كون العباس رضي الله تعالى عنه أمر غلامه بعمله لان العباس رضي الله عنه قدم المدينة في السنة الثامنة لكن في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا فقال أتصنع لي المنبر قال نعم قال ما اسمك قال فلان قال لست بصاحبه ثم دعا آخر فقال له مثل ذلك ثم دعا الثالث فقال له ما اسمك قال ابراهيم قال خذ في صنعته فصنعه وفي رواية عمله رجل رومي اسمه باقوم غلام سعيد بن العاص أي ولعله هو الذي تقدم ذكره عند بناء قريش للكعبة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى امرأة فقال لها مري غلامك يعمل لي أعوادا أكلم الناس عليها فعمل له صلى الله عليه وسلم درجات من طرفاء الغابة ويجوز أن يكون غلام العباس رضي الله تعالى عنه انتقل الى ملك تلك المرأة وأنه كان غلاما لسعيد ابن العاص وأنه اشترك في عمله مع ابراهيم المتقدم ذكره فنسب لكل منهما ما سلف من كلام الاصل في غير الحوادث أنه كان صلى الله عليه وسلم يخطب أولا على الجذع ثم على المنبر من الطين وأن حنين الجذع كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على ذلك المنبر من الطين وهو يخالف لكلامه في الحوادث أن حنين الجذع كان عند اتخاذه صلى الله عليه وسلم المنبر من الخشب وانه أول منبر عمل في الاسلام الا أن يقال أول منبر عمل في الاسلام من خشب ويكون ذكر حنين الجذع عند القيام عليه من تصرف بعض الرواة لان حنين الجذع انما يتكرر حتى يقال جاز أن يكون كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على المنبر من الطين ثم عند قيامه على المنبر من الخشب ثم رأيته في النور رجح كلام الاصل في غير الحوادث الى كلام الاصل في الحوادث

فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه وسلم من
فكأني لم اشتكها قط وجاء في رواية ان الاسود بن خزاعي أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت أبي رافع
قال فذهبت انظر حتى دخلت في الناس فوجدت امرأته ورجالا من يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول
أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت أنى لابن عتيك بهذه البلاد ثم نظرت في وجهه فقالت فاظ أي مات واله

وما سمعت من كلمة كانت ألذ في نفسي منها ثم أدرك أصحابه فأخبرهم الخبر وجاء في بعض الروايات أن عبد الله بن عتيك لما تمادى
عليه المشي أحس بالم رجله وهو سائر مع أصحابه في الطريق فحملوه ثم لما أتاه صلى الله عليه وسلم مسح عليه فزال عنه جميع الالم ببركته
صلى الله عليه وسلم وفي رواية للحاكم عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال توجهنا من خيبر فكنا نكمن النهار ونسير الليل واذا كمنا
أقعدنا منا واحدا يحرسنا فاذا رأى ما يخافه أشار الينا فلما قربنا من المدينة كانت نوبتي فأشرت اليهم فخرجوا سراعا ثم لحقتهم

فدخلنا المدينة فقالوا ماذا رأيت قلت ما رأيت شيئا ولكن خشيت ان تكونوا أعييتم فاردت ان يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل ابن أبي الحقيق وهو على المنبر فلما رآنا قال أفلحت الوجوه وفي هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر وقتل من أعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والاخذ بالشدة في محاربتهم وايهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته ووقع في بعض الروايات أن الذي قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس والصواب ما في صحيح البخاري أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وفي قتل أبي رافع وكعب بن الاشرف يقول حسان رضي الله عنه

لله در عصابة لاقيتهم ... يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم ... مرحا كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

من أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له منبر من طين حيث قال قوله أي الاصل فبنوا له منبرا وهذا الكلام فيه تجوز يعني اتخذوا له منبرا وذلك لان المنبر كان من طرفاء الغابة وهو شجر معروف هذا كلامه وايته عكس لان هذا منه يقتضي حينئذ ان يكون صلى الله عليه وسلم استمر من حين خطب في المسجد الى السنة الثامنة يخطب الى الجذع لان المنبر من الخشب اتخذ في السنة الثامنة كما تقدم عن الاصل ويشكل عليه قول عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الافك فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر لان قصة الافك كانت في سنة خمس ثم رأيت في كتاب الشريعة للآجري عن انس ابن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب مسندا ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا فبنوا له عتبتين أي غير المستراح فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة الحديث وعن سهل بن سعد رضي الله عنه لما كثر الناس وصار يجيء القوم ولا يكادون يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخطبة قال الناس يا رسول الله قد كثر الناس وكثير منهم لا يكاد يسمع كلامك فلو انك اتخذت شيأ تخطب عليه مرتفعا من الارض ويسمع الناس كلامك فارسل صلى الله عليه وسلم الى غلام نجار لامرأة من الانصار فاتخذ له مرقاتين من طرفاء الغابة فلما قام حنت الخشبة التي كان يخطب اليها هذا كلامه وهو موافق لما تقدم عن الاصل في الحوادث والذي ينبغي الجمع بين الروايتين ما علم من ان اتخاذ المنبر من طرفاء الغابة كان بعد اتخاذه من الطين لانه أقوى في الارتفاع من منبر الطين وكون حنين الجذع عند اتخاذ المنبر من الطرفاء من تصرف بعض الرواة لان حنينه انما كان عند اتخاذ المنبر من الطين ولم يتكرر حنينه كما تقدم ولما ولي معاوية الخلافة كسا ذلك المنبر قبطية ثم كتب الى عامله بالمدينة وهو مروان بن الحكم ان يرفع ذلك المنبر عن الارض فدعا النجارين وفعل ست درج ورفع ذلك المنبر عليها فصارت تسع درجات وهذا يدل على ان قوله فاتخذ له مرقاتين أي غير المستراح ومن ثم تقدم فعمل له درجات وقيل أمره بحمله الى الشام فلما أرادوا قلعه اظلمت المدينة وكسفت الشمس حتى بدت النجوم وثارت ريح شديدة فخرج مروان الى الناس فخطبهم وقال يا أهل المدينة انكم تزعمون ان أمير المؤمنين بعث الي ان ابعث اليه بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين أعلم بالله من ان يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمرني ان اكرمه وارفعه ففعل ما تقدم وقيل ان معاوية لما حج اراد ان ينقل المنبر الى الشام فحصل ما تقدم من كسوف الشمس الخ فاعتذر معاوية للناس وقال أردت ان انظر الى ما تحته وخشيت عليه من الارضة وكساه يومئذ قبطية ولا مانع من تعدد الواقعة وان واقعة معاوية سابقة على واقعة مروان او قوله لا انظر ما تحته والا فمروان رفعه عن الارض ثم ان هذا المنبر احترق بسبب الحريق الواقع في المسجد أول مرة فارسل صاحب اليمن منبرا فوضع موضعه مكث عشر سنين وفي الامتاع ثم تهافت المنبر النبوي على طول الزمان فعمل بعض

سرية عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي رضي الله عنه الى أسير بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء ابن رزام براء
مكسورة فزاي مخففة فالف فميم اليهودي بخيبر وكانت في شوال سنة ست وسببها انه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود
عليها أسيرا فقال والله ما سار محمد الى أحد من يهود ولا بعث أحدا من أصحابه الا أصاب منهم ما أرادوا لكني أصنع ما لم يصنع أصحابي

خلفاء بنى العباس منبرا واتخذ من اعواد المنبر النبوى امشاطا يتبرك بها فاحترق هذا المنبر
الجدد فى حريق المسجد فبعث المظفر ملك اليمن منبرا هذا كلامه ثم ارسل الملك الظاهر بيبرس
من مصر منبرا فرفع منبر صاحب اليمن ووضع منبر الملك الظاهر فمكث مائة سنة واثنتين
وثلاثين سنة فبدا فيها أكل الارضة فارسل الظاهر برقوق منبرا فرفع منبر الملك الظاهر بيبرس
ووضع منبر الملك الظاهر برقوق ومكث ثلاثا أو أربعا وعشرين سنة ثم ان السلطان المؤيد
شيخ لما بنى مدرسته بالقاهرة التى يقال لها المؤيدية عمل أهل الشام له منبرا وأرسلوا به اليه
ليجعله فى مدرسته فوجد أهل مصر قد صنعوا لها منبرا فسير المؤيد منبر أهل الشام الى المدينة
فمكث سبعا وستين سنة ثم أحرق فى الحريق الواقع فى المسجد ثانى مرة ثم جعل موضعه منبر
مبنى بالآجر مطلى بالنورة فمكث احدى وعشرين سنة ثم جعل موضعه المنبر الرخام
الموجود الآن قيل وأعجب منبر فى الدنيا منبر جامع قرطبة قاعدة بلاد الاندلس بالمغرب ذكر
ان خشبه من ساج وابنوس وعود قاقلى أحكم عمله ونقشه فى سبع سنين وكان يعمل فيه سبع
صناع لكل صانع فى كل يوم نصف مثقال ذهب فكان جملة ما صرف على اجرته عشرة آلاف
مثقال وخمسين مثقالا وبالجامع المذكور مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان
رضى الله تعالى عنه بخط يده وفيه نقط من دمه وفى هذا المسجد ثلاثة أعمدة حمر مكتوب
على احدها اسم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى صفة عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام
وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح الجميع خلقة ربانية ولا بدع فقد ذكر بعضهم
رأيت بحمام القاهرة رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم مفسرا يقرؤه كل أحد خلقة
وعن سهل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس على المنبر أى من الخشب كبر
فكبر الناس خلفه ثم ركع وهو على المنبر ثم رجع فنزل القهقرى ثم سجد فى أصل المنبر ثم عاد حتى
اذا فرغ من الصلاة يصنع فيها كما يصنع فى الركعة الاولى فلما فرغ أقبل على الناس وقال أيها
الناس انما صنعت هذا لتأتموا بى ولتعلموا صلاتى وقوله لتأتموا بى أى تقتدوا بى فى مثل هذا
الفعل من الاحرام والركوع على المحل المرتفع ثم النزول عنه والسجود تحته ثم الصعود اليه
وهكذا الى ان تتم الصلاة وهذا عند أئمتنا مخصوص جوازه بما اذا لم يلزم عليه استدبار القبلة
أو توالى حركات ثلاث وقوله ولتعلموا صلاتى هو واضح لو كان ذلك أول صلاة صلاها الا ان
يقال المراد ولتعلموا جواز صلاتى هذه وفى كلام فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم كان ينزل من
المنبر ويسجد للتلاوة اسفل المنبر وآخر الامرين ترك ذلك فعلم ان منبره صلى الله عليه وسلم كان
ثلاث درجات بالمستراح وحينئذ يشكل ان صح ما روى ان أبا بكر نزل درجة عن موقفه صلى
الله عليه وسلم وعمر نزل درجة أخرى وعثمان درجة أخرى ومن ثم قال فى النور وهذا يدل على انه
كان أكثر من ثلاث درجات أى أربعة غير المستراح والا يلزم أن يكون عمر وعثمان كانا يخطبان
على الارض قال ويمكن تأويله هذا كلامه وانظر ما تأويله فانه يلزم على كونه درجتين غير

المستراح أن يكون الصديق كان يخطب على الدرجة الثانية وعمر يخطب على الارض وان
عثمان فعل كفعل عمر وحينئذ لا يحسن قولهم وعثمان نزل درجة أخرى اذ لا درجة بعد الدرجة
الثانية ينزل عنها وحينئذ يشكل ما فى الامتاع وهو كان منبره صلى الله عليه وسلم درجتين
ومجلسا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على المجلس ويضع رجليه اذا قعد على الدرجة
الثانية فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى
فلما ولى عمر رضى الله عنه قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الارض اذا قعد فلما ولى
عثمان رضى الله عنه فعل كذلك أى كفعل عمر ست سنين من خلافته ثم علا الى موضع وقوفه
صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وكان ينبغى أن يقول بدل قوله فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة
الثانية جلس على الدرجة الثانية وكذا قوله فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى جلس على
الدرجة السفلى أى فقد خطب على الارض وكذا عثمان وذكر فقهاؤنا أن منبره صلى الله عليه
وسلم كان ثلاث درج غير الدرجة التى تسمى المستراح وتسمى بالمقعد والمجلس فكان صلى الله
عليه وسلم يقف على الثالثة أى بالنسبة للسفلى واذا جلس يجلس على المستراح ويجعل رجليه
محل وقوفه اذا قام للخطبة وكذا الخلفاء الثلاثة كل يجعل رجليه محل وقوفه ويذكر أن المتوكل
قال يوما لجلسائه وفيهم عبادة أتدرون ما الذى نقم على عثمان نقم عليه أشياء منها أنه قام أبو بكر
رضى الله عنه دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضى الله عنه دونه بمرقاة
فصعد عثمان رضى الله عنه ذروة المنبر فقال له عبادة ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين
من عثمان قال وكيف ذاك قال لانه صعد ذروة المنبر وانه لو كان كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه
كنت أنت تخطبنا فى بئر عميق فضحك المتوكل ومن حوله وكون عثمان صعد ذروة المنبر انما هو
فى آخر الامر كما علمت (وفى كلام بعضهم) أول من اتخذ المنبر خمس عشرة درجة معاوية رضى
الله تعالى عنه وانه أول من اتخذ الخصيان فى الاسلام وأول من قيدت بين يديه الجنائب وعثمان
أول من كسا المنبر قبطية وعن الواقدى أن امرأة سرقت كسوة عثمان للمنبر فاتى بها اليه فقال
لها عثمان هل سرقت قولى لا فاعترفت فقطعها ثم كساه معاوية كما تقدم ثم كساه عبد الله
ابن الزبير فسرقتها امرأة فقطعها كما قطع عثمان ثم كساه الخلفاء من بعده

﴿باب غزوة بدر الكبرى﴾

ويقال لها بدر العظمى ويقال لها بدر القتال ويقال بدر الفرقان أى لان الله تعالى فرق فيها بين
الحق والباطل ثم ان العير التى خرج صلى الله عليه وسلم فى طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته
بايام لم يزل مترقبا قفولها أى رجوعها من الشام فلما سمع بقفولها من الشام ندب المسلمين أى
دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس
أى أجابوا وثقل آخرون أى لم يجيبوا لظنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق حربا
ولم يحتفل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لم يهتم بها بل قال من كان ظهره أى ما يركبه حاضرا

فقالوا وما عسيت ان تصنع قال أسير فى غطفان فأجمعهم ونسير الى محمد فى عقر داره بفتح العين وضمها وسكون القاف أى أصلها فانه لم
يغز أحد فى عقر داره الا أدرك منه عدوه بعض ما يريد قالوا انعم ما رأيت فسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم
وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فى ثلاثة نفر فى شهر رمضان سرا ليستكشف له الخبر فسأل عن
خبره وغرته أى غفلته فاخبر بذلك وذلك انه أتى ناحية خيبر فدخل فى الحوائط وفرق الثلاثة فى ثلاثة من حصونها فوعوا
ما سمعوا من أسير وغيره ثم خرج
بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لليال بقين من
رمضان فأخبره بكل ما رآه وسمعه
وقدم عليه أيضا خارجة بن حسيل
بمهملتين مصغرا فاستخبره صلى
الله عليه وسلم ماوراءه فقال
تركت أسير بن رزام يسير اليك
فى كتائب يهود فندب صلى الله
عليه وسلم الناس له فانتدب له
ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد
الله بن رواحة فقدموا عليه
فقالوا نحن آمنون حتى نعرض
عليك ما جئنا له قال نعم ولى منكم
مثل ذلك فقالوا نعم فقالوا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك
على خيبر ويحسن اليك فطمع
فى ذلك فشاورهم ودخالفوه فى
الخروج وقالوا ما كان محمد
يستعمل رجلا من بنى اسرائيل
قال بلى قد مل الحرب وخرج وفى
رواية لابن اسحق فلما قدموا
عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك
ان قدمت على رسول الله استعملك
وأكرمك فلم يزالوا به حتى خرج
معهم وخرج معه ثلاثون رجلا
من اليهود مع كل رجل رديف
من المسلمين وفى رواية فحمله أى
أسيرا عبد الله بن رواحة حتى اذا
كانوا بقرقرة موضع على ستة أميال
من خيبر ندم أسير على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ففطن له وهو
يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه أسير بمخرش فى يده من شوحط فأمه وفى رواية عن عبد الله بن
رواحة رضى الله عنه وأهوى أسير بيده الى سيفى ففطنت له فدفعت بعيرى وقلت غدرا أى عدو الله مرتين فنزلت فتقدمت بالقوم
حتى انفرد لى أسير فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه

فقتلوهم لظهور ارادة الغدر لهم منهم غير رجل واحد أعجزنا شدا أى جريا أفلت على رجليه ولم يصب من المسلمين أحد ولله الحمد فلما
قتلوا اليهود بعد التأمين الا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه فقال
تمشوا بنا الى الثنية لنبحث عن أصحابنا نخرجوا معه فلما أشرفوا عليها اذا هم بسرعان أصحابنا فجلس صلى الله عليه وسلم فى أصحابه
فانتهينا فحدثناه الحديث فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن رواحة
رضى الله عنه فلم تقح ولم تؤذه
حتى مات وفى رواية قال عبد الله
ابن رواحة رضى الله عنه ومسح
صلى الله عليه وسلم وجهى ودعا لى
وقطع لى قطعة من عصاه فقال
امسك هذه معك علامة بينى
وبينك يوم القيامة أعرفك بها
فانك تأتى يوم القيامة متخصرا
فلما دفن عبد الله جعلت معه على
جلده دون ثيابه ومر له مثل ذلك
لما جاء برأس الهذلى قيل فيحتمل
ان هذا وهم من بعض الرواة
والحق انه لا مانع من تكرار اعطائه
عصاه وأنه جعل الكل بين جلده
وكفنه والشارع اذا خص بعض
صحبه بشئ لا يسئل لم لم يفعله مع
بقية الصحابة والله أعلم

﴿قصة عكل وعرينة﴾

وهى سرية كرز بن جابر الفهرى
رضى الله عنه كان أحد رؤساء
قريش استشهد عام الفتح وعكل
حى من قضاعة وعرينة حى من
بجيلة وكانت هذه السرية فى
جمادى الاولى سنة ست وقيل
فى شوال سنة ست وسببها ان
ناسا من عكل وعرينة سبعة
أو ثمانية قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبايعوه
على الاسلام وتلفظوا بكلمة
التوحيد وأظهروا الاسلام
وكانوا حين قدموا المدينة سقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فقالوا يا رسول الله انا كنا أهل ضرع أى ماشية وابل ولم
نكن أهل ريف وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا نخرجنا الى الابل فامر لهم بذود من الابل وهى من الثلاثة الى
العشرة ومعها راع وامرهم بالحوق بها ليشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم
كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم وكان عبدا له صلى الله عليه وسلم اسمه يسار وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يديه

فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه ولما خرج صلى الله عليه وسلم الى بدر قالت له أم ورقة بنت نوفل يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقني الشهادة فقال لها قري في بيتك فان الله يرزقك الشهادة وكانت قد قرأت القرآن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة فكان الناس يقولون لها الشهيدة فلما كان زمن خلافة سيدنا عمر عدا عليها غلام وجارية كانت دبرتهما فغمياها بقطيفة الى أن ماتت فجيء بهما الى سيدنا عمر فأمر بصلبهما فكانا أول مصلوب بالمدينة وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة فكان أبو سفيان حين دنا بالعير من أرض الحجاز يتحسس الاخبار أي يبحث عنها ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه للعير أي ويقال انه لقي رجلا فأخبره أنه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره في بدايته وأنه تركه مقيما ينتظر رجوع العير ○ فخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري أي استأجره بعشرين مثقالا ولا يعرف له اسلام والذي من الصحابة ضمضم بن عمرو الخزاعي ○ ليأتي مكة أي وان يجدع بعيره وان يحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم اختلف في اسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني أي اشتدت علي وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك قال وفي رواية أنها قالت له لن أحدثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها فانهم ان سمعوها أي كفار قريش آذونا وأسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس اه فقالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح أي وهو ما بين المحصب ومكة ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر أي يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء الى مصارعكم في ثلاث أي بعد ثلاثة أيام وفي كلام السهيلي يا آل غدر بضم الغين والدال جمع غدور قالت فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره أي انتصب على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت أي تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منها فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة أي وكان صديقا له فذكرها له أي واستكتمه فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا بها ○ ففشا الحديث قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل لعنه الله يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم

هذه

ورجله وجعلوا الشوك في عينيه واستاقوا الذود فجاء الصريخ بما وقع منهم فبعث صلى الله عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين قريبا من العشرين وأمر عليهم كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الطلب في آثارهم قال اللهم اعم عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك جمل فاعمى الله عليهم السبيل وفي رواية فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم وفي رواية فبعث في آثارهم فقعدوا واذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيرا فاعطوني هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فأمروهم ولم يفلت منهم انسان فربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة فأمر بهم فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمر أعينهم وتركوا في ناحية الحرة في الشمس حتى ماتوا وانما سمر أعينهم لانهم فعلوا مثل ذلك بالراعي كما في فكان ذلك قصاصا أي كالقصاص قال أنس رضي الله عنه فقد رأيتهم يكدم أي يعض بعضهم الارض بفيه حتى ماتوا وفي رواية كانوا يستسقون أي يطلبون الماء فلا يسقون لانهم ارتدوا فلا حرمة لهم وانزل الله في هؤلاء انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا وفي القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره في مصالحهم ومشروعية الطب والتداوي بألبان الابل وأبوالها وان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة ان قلنا ان قتلهم كان قصاصا والمماثلة في القصاص وانه ليس من المثلة المنهي عنها وثبوت حكم المحاربة في الصحراء وأما في القرى ففيه خلاف وجواز استعمال أبناء السبيل ابل الصدقة في الشرب وفي غيره قياسا عليه باذن الامام والله أعلم

﴿سرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى أبي سفيان﴾ بعثه صلى الله عليه وسلم الى أبي سفيان ليقتله غيلة لان أبا سفيان أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم من يقتله وذلك ان أبا سفيان قال لنفر من قريش الا احد يغدر محمدا فانه يمشي في الاسواق فاتاه رجل من الاعراب في منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم

هذه النبية قال قلت وماذاك قال ذاك الرؤيا التي رأت عاتكة فقلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم وفي رواية ما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء اه قال أبو جهل قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير الا اني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيأ وفي رواية أن العباس قال لابي جهل هل أنت منته يا مصفر استه أي يا مأبون أو يا جبان أو الذي يغيرلون البرص الذي بمقعدته بالزعفران فان الكذب فيك وفي أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقا ولقي العباس رضي الله عنه من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني فقالت أقررتم أي قائلة أقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ثم قلت لهن وايم الله لا تعرضن له وان عاد قاتلته وغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى اني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله اني لامشي نحوه أتعرضه ليعود لي بعض ما قال فاوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد أي يعدو فقلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرق أي خوف مني فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره أي قطع أنفه وأذناه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أي أدركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها وفي لفظ ان أصابها محمد لم تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا أي وفزعوا أشد الفزع وأشفقوا أي خافوا من رؤيا عاتكة ○ ويروى أنهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا أي وأعان قويهم ضعيفهم وقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو يا آل غالب أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالي ومن أراد قوة فهذه قوتي ○ ولم يتخلف من أشراف قريش الا أبو لهب أي خوفا من رؤيا عاتكة فانه كان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد أي صادقة لا تتخلف ○ وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة أي استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا أفلس بها ○ أي قال له اخرج وديني لك أي ويقال ان ذلك الدين كان ربا ومن ثم جاء في لفظ وكان لاطه بأربعة آلاف درهم قال أبو عبيد وسمي الربا لياطا لانه ملصق بالبيع وليس ببيع وفي كلام البلاذري أنه قامر أبا لهب على أن يطيعه فيما أراد فقمره أبو لهب فأسلمه الى ضيق أي ضيق عليه بالطلب ثم

شدا أي جريا فان أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عيرة أسير وأسبق القوم عدوا فاني هاد بالطريق فقال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد الاشهل فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فذهب لينحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه بداخلة ازاره أي طرفه وحاشيته فاذا بالخنجر فأسقط في يده أي ندم وقال دمي دمي أي اتركوا دمي أو خلوا دمي فأخذ أسيد بلبيه أي منحره وخنقه أشد الخنق فقال صلى الله عليه وسلم اصدقني ما أنت قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم فأسلم رضي الله عنه وقال يا محمد والله ما كنت أفرق أي أخاف الرجال فما هو الا ان رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وانك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل صلى الله عليه وسلم يتبسم فأقام الرجل أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فأذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ثم بعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم الانصاري رضي الله عنه وقيل جبار بن صخر الى أبي سفيان وقال ان أصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية ابن أبي سفيان وفي رواية قدما مكة وجلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو ولو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وانهم ان رأوني عرفوني فاني أعرف بمكة من الفرس الابلق فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فأبى أن يطيعني فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله انا لنمشي بمكة اذ نظر الى رجل من أهلها فعرفني فقال عمرو بن أمية فوالله ان قدمها الا لشر فقيل ان هذا الرجل الذي أبهمه هو معاوية بن أبي سفيان وقيل غيره فأخبر أبا سفيان وقريشا

بوجود عمرو بمكة فخافوه وطلبوه وكان فاتكا جريا فى الجاهلية والفتك القتل على غفلة فحشد أى جمع له أهل مكة وصاروا يطلبونه
فهرب عمرو وسلمة أو جبار بن صخر فلقى عمرو رجلا من رؤس المشركين وهو عبيد الله بن مالك التيمى فقتله وقتل آخر من بنى الديل
سمعه يتغنى ويقول ولست بمسلم ما دمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا ولقى رسولين لقريش بعثتهما قريش الى
المدينة يتجسسان الاخبار فقتل أحدهما ١٦٢ وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره

ويضحك ثم دعا له بخير وفى سيرة ابن هشام بعد قوله السابق ان قدمها الاثير فقلت لصاحبى النجاء فخرجنا نشتد حتى اصعدنا فى جبل وخرجوا فى طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا فى الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يعنى به عبد الله بن مالك التيمى المتقدم ذكره يقود فرساله ويختلى عليها فغشينا ونحن فى الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فاخذنا وقتلنا قال ومعى خنجر قد أعددته لابى سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع أهل مكة ورجعت فدخلت مكانى وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك قال عمرو ابن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبى لما أمسينا النجاء فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدى فقال أحدهم والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية لولا انه بالمدينة لقلت انه عمرو بن أمية فلما حاذى الخشبة التى عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى أتى جرفا أى مهبط
مسيل فرمى الجثة فى الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبى النجاء ومضيت ثم أويت الى وقيل
جبل ودخلت كهفا فبينما انا فيه اذ دخل على شيخ من بنى الديل أعور فى غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بنى بكر فمن أنت قال من بنى
بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال ولست بمسلم ما دمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا فقلت فى نفسى ستعلم
ثم أمهلته حتى اذا نام أخذت قوسى فجعلت سيتها فى عينه الصحيحة والسية بكسر المهملة وفتح التحتية ما عطف من طرفها ثم تحاملت

قاهره فقمره أبو لهب أيضا فارسله مكانه الى بدر وهشام هذا قتله عمر بن الخطاب فى هذه الغزوة حتى ان أمية بن خلف أراد القعود وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبى معيط بمجمرة فيها مجمر أى بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال يا أبا على استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ما جئت به أى وكان عقبة كما فى فتح البارى سفيها وكان أبو جهل سلط عقبة على ذلك وفى لفظ أتاه أبو جهل فقال له يا أبا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى وفى لفظ وأنت من أشراف الوادى تخلفوا معك فسر يوما أو يومين أى ولا مانع من وجود ذلك كله فتجهز مع الناس أى وسبب تخلفه ان سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل عليه لان أمية كان ينزل على سعد بالمدينة اذا ذهب الى الشام فى تجارته فقال سعد لامية انظر لى ساعة خلوة لعلى أن أطوف بالبيت فقال أمية لسعد انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفلت الناس انطلقت فطفت وفى لفظ فخرج أمية به قريبا من نصف النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذى يطوف فقال له سعد أنا سعد بن معاذ فقال له أبو جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وفى لفظ آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت الى أهلك سالما فتلاحيا أى تخاصما ورفع سعد صوته بقوله أما والله لئن منعتنى هذا لامنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبى الحكم فانه سيد أهل الوادى وجعل يسكت سعدا فقال سعد لامية اليك عنى فانى سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك قال اياى قال نعم قال بمكة قال لا أدرى قال والله ما كذب محمد فكاد يحدث أى يبول فى ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال لها تعلمين ما قال أخى اليثربى يعنى سعد بن معاذ قالت وماذا قال زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلى قالت فوالله ما يكذب محمد قال فلما جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته أما علمت ما قال لك أخوك اليثربى قال فانى اذن لا أخرج فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة قيل له ما تقدم فخرج ناويا أن يرجع عنهم أى ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله انه كان سببا فى قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخيه وهو أبى بن خلف فى أحد ٥ كما سيأتى ومن ثم جاء فى رواية قال لامية ان أصحابه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يقتلونك ويحتمل ان سعد بن معاذ رضى الله عنه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول أنا أقتل أبى بن خلف ففهم سعد رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم يريد أمية لا أبيا أى وفى الامتاع أن أمية بن خلف وعتبة وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام استقسموا بالازلام فخرج لهم القدح الناهى أى المكتوب عليه لا تفعل فاجمعوا على المقام فجاءهم أبو جهل لعنه الله وأزعجهم وأعانه على ذلك عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث ويقال ان عداسا قال لسيديه عتبة وشيبة ابنى ربيعة بأبى وأمى أنتما والله ما تساقان الا لمصارعكما فارادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم أى وكان ذلك فى ثلاثة أيام

عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش كانت قريش بعثتهما
عينا الى المدينة فقلت استأسرا فأبيا فرميت أحدهما بسهم واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به المدينة وقد مر انه صلى الله
عليه وسلم بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فأنزلاه وخافا الطلب فالقياه فابتلعته الارض ويمكن ان عمرو بن أمية التقى معهما حين
ارسالهما لانزال خبيب وكان هو راجعا من مكة فشاركهما فى انزال خبيب فصح ١٦٣ نسبة ذلك الى كل منهم والله سبحانه
وتعالى أعلم

﴿قصة الحديبية ويقال غزوة الحديبية﴾

بتخفيف الياء وتشديدها وهى بئر يسمى المكان باسمها وقيل شجرة وقيل قرية أكثرها فى الحرم على تسعة أميال من مكة وسببها ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولا يريد قتالا واستنفر العرب من البوادى ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش ان يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فابطأ عليه كثير من الاعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائرا للبيت ومعظما له واخرج معه زوجته أم سلمة رضى الله عنها واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وقيل أبو رهم كلثوم بن الحصين وقيل استعملهما معا وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة
والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال وأربعمائة ألغاه وأما
رواية ألف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه فيمكن حملها على ما اطلع عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة
الثقة مقبولة أو ان الالف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو ان الزيادة من الاتباع والخدم والنساء
والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرج صلى الله عليه وسلم معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف فى القرب فلما كان بذى

وقيل فى يومين وأجمعوا السير أى عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس أى عليها مائة درع سوى دروع المشاة قال ابن اسحق وخرجوا على الصعب والذلول أى لشدة اسراعهم والصعب الذى لا ينقاد والذلول الذى ينقاد معهم القيان أى بفتح القاف وتخفيف المثناة تحت وفى آخره نون جمع قينة وهى الامة مطلقا وقيل المغنية والمراد هنا الثانى لقوله فى الامتاع ومعهم القينات يضربن بالدفوف يغنين أى بهجاء المسلمين وسيأتى فى أحد خروج جماعة من نساء قريش معهن الدفوف وعند خروجهم ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب أى والدماء وقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا أى لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة وان شخصا من قريش كان شابا وضيأ له ذؤابة وعليه حلة خرج فى طلب ضالة له فمر ببنى كنانة وفيهم سيدهم وهو عامر بن الخلوج فرآه فأعجبه فقال له من أنت يا غلام فذكر أنه من قريش فلما ولى الغلام قال عامر لقومه أما لكم فى قريش من دم قالوا بلى فاغراهم به فقتلوه ثم قال بنو كنانة لقريش رجل برجل فقالت قريش نعم رجل برجل ثم ان أخا المقتول ظفر بعامر بمر الظهران فعلاه بالسيف حتى قتله ثم خاط بطنه بسيفه ثم جاء وعلقه باستار الكعبة من الليل فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر عرفوه وعرفوا قاتله أى وكان ذلك يثنيهم أى يصرفهم عن الخروج ٥ فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة وقال لهم انا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج معهم ابليس يعدهم ان بنى كنانة وراءهم قد أقبلوا لنصرهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره ببئر أبى عتبة أى وأمر أصحابه ان يستقوا منها وشرب من مائها وفى الامتاع عسكر ببيوت السقيا وهى عين بينها وبين المدينة يومان كان يستقى له صلى الله عليه وسلم الماء منها وقد جاء ان عبده صلى الله عليه وسلم رباحا كان يستقى له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة وقال صلى الله عليه وسلم بئر غرس من عيون الجنة ومن ثم غسل منها صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وغرس اسم عبد كان يقوم عليها وقيل غير ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم حين فصل من بيوت السقيا أن تعد المسلمون فوقف لهم عند بئر أبى عتبة فعدوا وهى على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر أى وكان ممن رده أسامة بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت رضى الله عنهم ورد عمير بن أبى وقاص فبكى فاجازه وقتل وعمره ستة عشر عاما وحينئذ يتوقف فى رده لان الخمسة عشر بلوغ بالسن على ما عليه أئمتنا وخرج صلى الله عليه وسلم فى خمسة وثلثمائة رجل من المهاجرين أربعة وستون وباقيهم من الانصار وقيل كان المهاجرون نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا وأربعين ومائتين وذكر الامام الدوانى انه سمع من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم يعنى أصحاب بدر مستجاب وقد جرب ذلك وخلف عثمان على ابنته صلى الله عليه وسلم رقية وكانت مريضة أى وقيل لانه كان مريضا بالجدرى أى ولا مانع

الحليفة قلد الهدى وأحرم منها بعمرة وبعث عينا أى جاسوسا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط
أتاه جاسوسه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة وفى رواية انه لقيه
بعسفان فقال هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله
أن لا تدخلها عنوة أبدا والعوذ جمع عائذ ١٦٤ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها أطفالها والمراد أنهم خرجوا
بما ذكر لارادة طول المقام وعدم
الفرار وفى رواية قال له انى
لا أطوف بالبيت فى ليلة كذا وكذا
وقريش فى أنديتها اذ صرخ صارخ
من أعلى جبل أبى قبيس بصوت
أسمع أهل مكة يقول
هبوا لصاحبكم مثلى صحابته
سيروا اليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعى فى مهل
وأن يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوههم من معشر نكل
لا ينصرون اذا ما حاربوا صنما
فارتجت مكة وتعاقدوا على أن
لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال
صلى الله عليه وسلم هذا الهاتف
سلفع شيطان الاصنام يوشك أن
يقتله الله ان شاء الله فبينما هم
كذلك اذ سمعوا من أعلى الجبل
صوتا يقول
شاهت وجوه رجال حالفوا صنما
وخاب سعيهم ما أقصر الهمما
انى قتلت عدو الله سلفعة
شيطان أصنامهم سحقا لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله فى نفر
وكلهم محرم لا يسفكون دما
فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا
على أيها الناس أترون ان أميل
الى عيال هؤلاء الكفار الذين
يريدون أن يصدونا عن البيت
وذراريهم فان يأتونا كان الله عز
وجل قد قطع عينا من المشركين
والا تركناهم محروبين وفى رواية أترون أن نميل ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين حدثت
محروبين وان يجيئوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم
يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله
ويروى أن المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبى بكر قال والله يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو

من وجود الامرين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لك لاجر رجل وسهمه أى وكان أبو امامة
ابن ثعلبة الانصارى اجمع الخروج الى بدر وكانت أمه مريضة فأمره صلى الله عليه وسلم بالمقام
على أمه فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقد توفيت فصلى على قبرها واستعمل
صلى الله عليه وسلم أبا لبابة رضى الله عنه واليا على المدينة ورده من المحل المذكور أى من بئر أبى
عتبة كذا فى الاصل وقيل رده من الروحاء وهو المشهور وهى قرية على ليلتين من المدينة كما
تقدم واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس فى المدينة وخلف عاصم بن عدى على أهل قباء
وأهل العالية أى لشئ بلغه عن أهل مسجد الضرار لينظر فى ذلك وكسر بالروحاء خوات بن
جبير أى وفى كلام ابن عبد البر وقال موسى بن عقبة خرج خوات بن جبير مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما بلغ الصفراء أصاب ساقه حجر ودميت رجله واعتلت فرجع وضرب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسهمه وأهل الاخبار يقولون انه شهد بدرا وله فى الجاهلية قصة مشهورة
مع ذات النحيين التى تضرب العرب بها المثل فتقول اشغل من ذات النحيين وهى خولة يروى
انه صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يارسول الله قد رزقنى الله خيرا منها وأعوذ بالله
من الحور بعد الكور وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له ما فعل بعيرك الشارد يعرض بهذه
القصة فقال قيده الاسلام يارسول الله وقيل لم يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا
القول لتلك القضية وانما هو لقضية أخرى هى ان خوانا مر بنسوة فى الجاهلية أعجبه حسنهن
فسألهن ان يفتلن له قيدا لبعيره وزعم انه شارد وجلس اليهن بهذه العلة فمر عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث اليهن فاعرض عنه وعنهن فلما اسلم سأله رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك البعير وهو يتبسم وكسر أيضا الحرث بن الصمة وبعث صلى الله عليه وسلم طلحة
ابن عبيد الله وسعيد بن زيد رضى الله عنهم يتحسسان خبر العير والتحسس للاخبار بالحاء
المهملة ان يفحص الشخص عن الاخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا
ولا تجسسوا ولم يحضرا هذا القتال بل رجعا بخبر العير الى المدينة على ظن أنه صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فلما علما أنه ببدر خرجا اليه فلقياه منصرفا من بدر وأسهم لكل وصار كل من أسهم له
يقول وأجرى يارسول الله فيقول وأجرك ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء وكان أبيض الى مصعب
ابن عمير وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع على بن أبى طالب كرم
الله وجهه أى يقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة وفى كلام بعضهم كان أبو سفيان بن
حرب من أشراف قريش وكانت اليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب وكان لا يحملها فى الحرب
الا هو أو رئيس مثله وسيأتى انه حملها فى هذه الغزوة الأب الخامس لامامنا الشافعى وهو
السائب بن يزيد والاخرى مع بعض الانصار وابن قتيبة اقتصر على الأولى وذكر بعضهم أن
بعض الانصار هذا قيل هو سعد بن معاذ وقيل الحباب بن المنذر وهذا يرد ما تقدم فى غزوة
بواط عن ابن اسحق وما سيأتى فى غزوة بنى قينقاع عن ابن سعد ان الرايات لم تكن وجدت وانما

اسرائيل لنبيها اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال صلى الله عليه وسلم
فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم امتثالا لقوله تعالى وشاورهم فى الامر فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد
بالغميم موضع قريب من مكة فى خيل لقريش فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن ١٦٥ أبى جهل طليعة وهى مقدمة الجيش
فخذوا ذات اليمين وفى رواية قال
من رجل يخرج بنا على غير
طريقهم التى هم بها فقال رجل
من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى
أنا يارسول الله فسلك بهم طريقا
وعرا فخرجوا منه بعد أن شق
عليهم وأفضوا الى طريق سهلة
فقال لهم قولوا نستغفر الله ونتوب
اليه فقالوا ذلك فقال والله انها
للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل
فلم يقولوها وفى رواية فقال صلى
الله عليه وسلم اسلكوا ذات اليمين
بين ظهرى الحمض بفتح المهملة
وسكون الميم وبالضاد المعجمة اسم
موضع يخرج على مهبط الحديبية
من أسفل مكة فسلك الجيش
ذلك الطريق فلما رأت خيل
قريش قترة الجيش قد خالفوا
عن طريقهم ركضوا راجعين الى
قريش وفى رواية فوالله ما شعر
بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش
أى غباره كذا أطلقه بعضهم وقيده
بعضهم بالغبار الاسود فانطلق
يركض نذيرا لقريش وفى رواية
أن خالدا دنا فى خيله حتى نظر
المصطفى صلى الله عليه وسلم
والصحابة وصف خيله بينهم وبين
القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم
عباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام
بازائه فصف أصحابه وحانت صلاة
الظهر فصلاها بهم صلى الله
عليه وسلم فقال خالد قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن ستأتى الساعة صلاة أخرى هى أحب اليهم من أنفسهم
وأبنائهم فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآية فحانت صلاة
العصر والعدو جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف فلما قام هو
ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه فى الثانية من حرس أولا وحرس الآخرون فلما جلس سجد من حرس وتشهد

حدثت يوم خيبر ومما يؤيد الرد ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله
عليه وسلم اعطى عليا كرم الله وجهه الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وفى الهدى ان لواء
المهاجرين كان مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن
معاذ ولم يذكر الرايتين وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم عقد الالوية وهى ثلاثة لواء يحمله
مصعب بن عمير ورايتان سوداوان احداهما مع على والاخرى مع رجل من الانصار وفيه
اطلاق اللواء على الراية وقد تقدم ان جماعة من أهل اللغة صرحوا بترادف اللواء والراية وكان
صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة على غير لواء معقود وقال فى الاصل والمعروف ان سعد بن
معاذ كان على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش أى كما سيأتى قال أى جوابا عما
تقدم عن الاصل العريش كان ببدر اى وهذا كان عند خروجهم وفى الطريق فلا منافاة
أى لانه يجوز ان يكون فى بدر دفع الراية لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليكون معه فى العريش
ولبس صلى الله عليه وسلم درعه ذات الفضول وتقلد صلى الله عليه وسلم سيفه العضب وحين
فصل صلى الله عليه وسلم من بيوت السقيا قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع
فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فما رجع أحد منهم يريد أن يركب الا وجد ظهرا للرجل البعير
والبعيران واكتسى من كان عاريا واصابوا طعاما من ازوادهم وأصابوا فداء الاسارى فاغتنى
به كل عائل وكان حبيب بن يساف ذا باس ونجدة ولم يكن اسلم ولكنه خرج نجدة لقومه من
الخزرج طالبا للغنيمة ففرح المسلمون بخروجه معهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يصحبنا الا من كان على ديننا أى وفى رواية ارجع فانا لا نستعين بمشرك أى وسيأتى فى أحد
انه صلى الله عليه وسلم قال لا ننتصر باهل الشرك على أهل الشرك لما رد حلفاء عبد الله بن أبى
ابن سلول من يهود وتكررت من حبيب المراجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الثالثة
قال له تؤمن بالله ورسوله قال نعم فاسلم وقاتل قتالا شديدا وفى الامتاع وقدم حبيب بن يساف
بالروحاء مسلما ولا مخالفة لجواز ان يكون اسلم قبل الروحاء ولما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
صام يوما أو يومين ثم نادى مناديه يامعشر العصاة انى مفطر فافطروا وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان قال لهم قبل ذلك أفطروا فلم يفطروا والنهى وسيأتى فى فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم أمرهم
بالفطر فلم يفعل جماعة منهم ذلك فقال أولئك العصاة وكانت ابل أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أى التى معهم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة يعتقبون بعيرا أى الا ما كان
من حمزة وزيد بن حارثة وأبى كبشة وانيسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هؤلاء
الاربعة كانوا يعتقبون بعيرا أى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمر بالاجراس ان تقطع من اعناق الابل يوم بدر وفى الامتاع فكانوا يتعاقبون الابل
الاثنين والثلاثة والاربعة هذا كلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب
كرم الله وجهه ومرثد يعتقبون بعيرا وفى لفظ كان أبو لبابة وعلى والنبى صلى الله عليه وسلم

بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى تشرف على الحديبية
وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء بركت ناقته القصواء فقال الناس حل حل وهى كلمة تقال للناقة اذا
تركت السير فتمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء أى حرنت وبركت من غير علة والخلاء بالمد للابل
كالحران للخيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أى

دعتقبون بعيرا أى وذلك قبل أن يرد أبا لبابة لأنه بعثه من الروحاء وبعد أن رده قام مقامه مرثد
وقيل زيد بن حارثة وقيل زيد كان مع حمزة أى كما تقدم ويجوز انه كان مع حمزة تارة ومع النبى
صلى الله عليه وسلم أخرى فكان اذا كانت عقبة النبى صلى الله عليه وسلم قالا له أى رفيقاه اركب
حتى نمشى معك فيقول ما انتما بأقوى منى على المشى وما انا بأغنى عن الاجر منكما وكان أبو بكر وعمر
وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم يعتقبون بعيرا أى ورفاعة وخلاد ابنا رافع وعبيد بن يزيد
الانصارى يعتقبون بعيرا حتى اذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم عيا فمر بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله برك علينا بكرنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتمضمض
وألقاه فى اناء أى وفى الامتاع فتمضمض وتوضأ فى اناء ثم قال افتح فاه فصب منه فى فيه ثم صب
باقى ذلك عليه ثم قال اركبا ومضى فلحقاه وانه لينفر بهم أى وامر صلى الله عليه وسلم باحصاء من
معه وهو محتمل لان يكون امر بذلك ثانيا بعد الروحاء بعد ان رد أبا لبابة وبعد عدهم فى بئر أبى
عنبة فاذا هم ثلثمائة وثلاثة عشر ففرح بذلك وقال عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر
وهذا قول عامة السلف كما قاله ابن جرير رحمه الله ومن زاد على ذلك عد منهم من رده صلى الله
عليه وسلم من الروحاء ومن اسهم له ولم يحضر ومن نقص عن ذلك وعدهم ثلثمائة وخمس رجال
أوست رجال أو سبعة رجال فالجواب عنه لا يخفى وكان فى الجيش خمسة أفراس فرسان له
صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد ويقال له السبل وفرس للمقداد بن الاسود نسب اليه لانه تبناه
فى الجاهلية كما تقدم ويقال لها سبحة وفرس للزبير ويقال له اليعسوب وقيل لم يكن فى الجيش
الا فرسان فرس المقداد وفرس الزبير وعن على رضى الله تعالى عنه ما كان فينا فارس يوم بدر
غير المقداد (أقول) يجوز أن يكون المراد لم يقاتل يوم بدر فارسا الا المقداد وغيره ممن له فرس
قاتل راجلا ويؤيده ما يأتى أنه صلى الله عليه وسلم لما قسم الغنيمة لم يعط أحدا من أحداث اجل
مع الراجل والفارس مع الفارس لكن قد يخالفه قول الزمخشرى فى خصائص العشرة كان
الزبير رضى الله عنه صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وليس على الميمنة يومئذ
فارس غيره هذا كلامه الا ان يقال كون الزبير فارسا على الميمنة لا يخالف كون المقداد فارسا
فى محل آخر مع الجماعة الذين فيهم سيدنا على كرم الله وجهه فقول سيدنا على لم يكن فينا أى
فى الجماعة الملازمين لنا أو لى والله أعلم وفى أثناء الطريق بعرق الظبية لقوا رجلا من الاعراب
فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فاخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه
فقال له سلامة بن سلامة لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أنا أخبرك
عن ذلك نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مه أفحشت على
الرجل ثم أعرض عن سلامة فلما نزلوا بواد يقال له ذفران بكسر الفاء أى وهو واد قريب من
الصفراء أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه

حبسها الله عن دخول مكة كما
حبس الفيل عن دخولها ومناسبة
ذلك التشبيه أن الصحابة لو دخلوا
مكة على تلك الصورة وصدهم
قريش لوقع القتال المفضى الى
سفك الدماء ونهب الاموال كما لو
قدر دخول الفيل وأصحابه لكن
سبق فى علم الله انهم لا يدخلون
الآن لانه سيدخل فى الاسلام
خلق منهم ويستخرج من أصلابهم
ناس يسلمون ويجاهدون وكان
بمكة جمع كثير مؤمنون من
المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان فلو طرق الصحابة مكة
لما امن ان يصاب منهم ناس بغير
عمد كما أشار اليه قوله تعالى ولولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم
منهم معرة بغير علم وجواب لو
محذوف أى لاذن لكم فى الدخول
والقتال واغنائكم من الدخول
والقتال ليدخل الله فى رحمته
من يشاء أى من الكفار الذين
سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أى
لو تميز الكفار من المؤمنين
المستضعفين لعذبنا الذين كفروا
منهم عذابا أليما ثم قال صلى الله
عليه وسلم عقب قوله حبسها
حابس الفيل والذى نفسى بيده
لا يسألونى خطة فيها تعظيم حرمات
الله أى من ترك القتال فى الحرم
والجنوح الى السلم او الكف عن اراقة الدماء وفى رواية لا يدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم
وهى من حرمات الله الا أعطيتهم اياها أى أجبتهم اليها وان كان فيها تحمل المشقة ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى
الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادى ماء ننزل عليه وكان فيه حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلا قليلا فأخذوه حتى
نزحوه وشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فنزل ناجية بن الاعجم وقيل ناجية بن جندب وقيل

واخبرهم

عبادة بن خالد او خالد بن عبادة وقيل البراء بن عازب رضى الله عنه فوضعه فى البئر ويمكن أن الجميع تعاونوا فى ذلك قال فوالله مازال يجيش
أى يفور الماء حتى صدروا عنه أى رجعوا رواء بعد ورودهم وفى رواية فما زال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير
البئر وفى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال
دعوها ساعة فارووا انفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وعند غير البخارى توضأ فى الدلو ثم افرغه فيها وانتزع السهم فوضعه

وأخبرهم الخبر أى قال لهم ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول أى مسرعين
فما تقولون العير أحب اليكم من النفير فقالوا بلى أى قالت ذلك طائفة منهم العير أحب الينا
من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وفى رواية
يا رسول الله عليك العير ودع العدو فعند ذلك تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى
ذلك عن أبى أيوب رضى الله عنه فى سبب نزول قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق
وان فريقا من المؤمنين لكارهون وعند ذلك قام أبو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن
ثم قام المقداد فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو
اسرائيل أى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون اذهب انت وربك فقاتلا انا
معكم مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فوالله الذى بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا الى برك الغماد
أى وهى مدينة بالحبشة لجالدنا أى ضربنا بالسيوف معك من دونه حتى نبلغه وفى لفظ نقاتل
عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك قال ابن مسعود فرأيت وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشرق لذلك وسر بذلك وفى الكشاف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير هذا وفى العرائس روى ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحر عند البيت واستشار
أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود أما والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب
أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معكم مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك
ومن بين يديك ولو خضت بحرا لخضناه معك ولو علوت جبلا لعلوناه معك ولو ذهبت بنا برك
الغماد لتابعناك فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك تابعوه فأشرق عند ذلك
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعدد ممكن لكنه بعيد ثم قال اشيروا على فقال عمر يا رسول
الله انها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك
أهبته واعدد لذلك عدته أى ثم استشارهم ثالثا فقال أشيروا على أيها الناس ففهمت الانصار
انه يعنيهم وذلك لانهم عدد الناس أى أكثرهم عددا ومن ثم قيل وانما كرر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاستشارة أى فى ذلك المجلس ليعرف حال الانصار فانه تخوف ان لا تكون الانصار
ترى عليها نصرته الا ممن دهمه أى جاءه على حين غفلة بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير
بهم الى عدو من بلادهم عملا بظاهر قولهم له صلى الله عليه وسلم حين بايعوه عند العقبة يا رسول
الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع به أبناءنا
ونساءنا ومن ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس وقيل سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما حكى
بصيغة التمريض لانه قد اختلف فى عده فى البدريين والصحيح انه لم يشهد بدرا فانه كان تهيأ
للخروج فنهس بالمهملة أى لدغته الحية قبل أن يخرج فاقام أى وضرب له بسهم فقال لعلك
تريدنا معاشر الانصار يا رسول الله فقال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت

فيها ويمكن الجمع بانه فعل ذلك كله
وفى حديث جابر عند البخارى
ومسلم قال عطش الناس يوم
الحديبية وبين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ
منها فاقبل الناس نحوه فقال
مالكم قالوا يا رسول الله ليس عندنا
ما نتوضأ به ولا نشرب الا ما فى
ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل
الماء يفور من بين أصابعه كأمثال
العيون فشربنا وتوضأنا وجمع
ابن حبان بينهما بان ذلك وقع فى
وقتين وكان قصة الركوة قبل
قصة البئر وقد اخرج الامام أحمد
عن جابر رضى الله عنه القصة
وفيها فجاء رجل باداوة فيها شئ
من ماء ليس فى القوم ماء غيره
فصبه صلى الله عليه وسلم فى قدح
ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم انصرف
وترك القدح وتزاحم الناس
عليه فقال على رسلكم فوضع كفه
فى القدح ثم قال اسبغوا الوضوء
قال فقد رأيت العيون عيون الماء
تخرج من بين أصابعه واختلاف
ألفاظ حديث جابر لعله كان من
تصرف الرواة ووقع فى بعض
الروايات انهم توضؤا وشربوا
وسقوا دوابهم وملؤا قربهم فقيل
كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا
كنا ألفا وأربعمائة وفى حديث
زيد بن خالد رضى الله عنه انهم
أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم وفى هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب
اليه صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعى فى نفر من قومه خزاعة وكان
ذلك قبل اسلامه فانه أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكانت خزاعة عيبة نصح للنبى صلى الله عليه وسلم وتقدم أن بنى هاشم فى الجاهلية
كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك فى الاسلام فقال بديل للنبى صلى الله عليه وسلم غورت أى أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك

فقال لم نجئ لقتال فتكلم أبو بكر رضى الله عنه فقال له بديل أنا لا آتيهم ولا قومى ثم قال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى اعداد
مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل والعوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها أطفالها يريد انهم خرجوا
معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا
بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام ان دعا اليه الامر ليكون ادعى الى عدم الفرار وخص كعب بن لؤى وعامر بن
لؤى لرجوع انساب قريش الذين
بمكة اجمع اليهما وبقى من قريش
بنو سامة بن لؤى وبنو عوف بن
لؤى وهم قريش البطاح ولم يكن
بمكة منهم أحد وكذلك قريش
الظواهر الذين منهم بنو تيم بن
غالب ومحارب بن فهر وقوله
اعداد مياه الحديبية قال الحافظ
ابن حجر يشعر بانه كان بها مياه
كثيرة وان قريشا سبقوا الى
النزول عليها فلهذا عطش المسلمون
وقد جاء التصريح بذلك عن عروة
ابن الزبير فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مجيبا لبديل انا لم نجئ
لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين
وان قريشا قد نهكتهم الحرب
أى أضعفت قوتهم واهزلتهم
واضعفت أموالهم وأضرت بهم
فان شاؤا ماددتهم أى جعلت بينى
وبينهم مدة تترك الحرب فيها
ويخلوا بينى وبين الناس من كفار
العرب وغيرهم فان أظهر أى
باظهار الله تعالى دينى بحيث يدخله
الناس ويتبعونى فيما جئت به
فان شاؤا الدخول فيما دخل فيه
الناس فعلوا والا أى وان لم أظهر
فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم
المضمومة يعنى استراحوا من
القتال وفى رواية فان ظهر الناس
على فذلك الذى يبغون وفى رواية
وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة
وانما ردد الامر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم
وفرض الامر على مازعمه ثم قال وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى وهى صفحة العنق كنى
بذلك عن القتل أى حتى أموت وابقى منفردا فى قبرى وقيل المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده فى مقاتلتهم والمعنى ان لى من القوة بالله
والحول به ما يقتضى مقاتلتهم عن دينه لو انفردت فكيف لا اقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم فى نصر دين الله ولينفذن

به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة زاد فى رواية ولعلك
يارسول الله تخشى أن تكون الانصار ترى عليها ان لا ينصروك الا فى ديارهم وانى أقول عن
الانصار واجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وفى
لفظ وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ
من أموالنا ما شئت وما اخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر فأمرنا
تبع لامرك فامض يارسول الله لما اردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر فى
الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك وفى لفظ بعض ما تقر به عينك فسر بنا
على بركة الله تعالى فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك فسر النبى صلى الله عليه وسلم
لذلك أى وأشرق وجهه بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا وأبشروا فان
الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين أى وهما عير قريش ومن خرج من مكة من قريش يريد
حماية ذلك العير فوالله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم أى فقد أعلمه الله تعالى بعد وعده
بذلك الظفر بالطائفة الثانية وأراه مصارعهم فعلم القوم انهم ملاقون القتال وأن العير
لا تحصل لهم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران حتى نزل قريبا من بدر فركب
صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه أى وقيل بدل أبى بكر قتادة بن النعمان وقيل معاذ
ابن جبل حتى وقفا على شيخ من العرب أى يقال له سفيان قال فى النور لا أعلم له اسلاما فسأله
صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبرانى
من أنتما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك فقال الشيخ ذاك بذاك قال
نعم قال فانه قد بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرنى به فهم
اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبلغنى ان
قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرنى به صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان
الذى نزلت به قريش فلما فرغ من خبره قال من أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن
من ماء أى من ماء دافق وهو المنى ثم انصرف عنه فقال الشيخ من ماء أمن ماء العراق فهم أن
المراد بالماء حقيقته أى لكن فى الامتاع فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحن من ماء وأشار بيده
الى العراق فقال من ماء العراق أى واضيف الماء الى العراق لكثرته به وفيه ان هذا من
التورية وقد تقدم فى أوائل الهجرة انه لا ينبغى لنبى أن يكذب ولو صورة ومنه التورية لكن
فى كلام القاضى البيضاوى وما روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم عليه الصلاة
والسلام ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ثم رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى أصحابه ودعا لهم فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم
اللهم انهم جياع فأشبعهم ففتح الله تعالى لهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل الا وقد

رجع

الله أمره وفى هذا تصريح بما كان عليه صلى الله عليه وسلم من القوة والثبات فى تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره والندب الى صلة الرحم
والابقاء على من كان من أهلها وبذل النصيحة للقرابة فقال بديل سأبلغهم ما تقول فاذن له * قال الزرقانى فى شرح المواهب وفى
هذا جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة اذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بايثارهم أهل الاسلام على غيرهم
ولو كانوا من أهل دينهم ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارا على غيرهم ولا يعد ذلك من موالاة
الكفار ولا من موادة أعداء الله
بل من قبيل استخدامهم وتقليل
شوكة جمعهم وانكاء بعضهم ببعض
ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة
بالمشركين على الاطلاق اهـ
وبديل بن ورقاء كان سيد قومه
وأسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد
حنينا والطائف وتبوك وكان من
كبار مسلمة الفتح وقيل أسلم قبل
الفتح وقال ابن منده وأبو نعيم أسلم
قديما ولعله كان يكتم اسلامه
والمشهور هو الاول وخزاعة قبيلة
من الازد ثم انطلق بديل مع من
معه من قومه حتى أتى قريشا
فقال ناس منهم هذا بديل وأصحابه
وانما يريدون أن يستخبروكم فلا
تسألوهم عن حرف واحد فرأى
بديل انهم لا يستخبرونه فقال
انا قد جئناكم من عند هذا الرجل
يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
وسمعناه يقول قولا فان شئتم
نعرضه عليكم فعلنا وفى رواية
انا جئنا من عند محمد أتحبون أن
نخبركم عنه فقال سفهاؤهم لا حاجة
لنا أن تخبرنا عنه بشئ ولكن
اخبره عنا انه لا يدخلها علينا عامه
هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل
واحد وقال ذو الرأى منهم هات
ما سمعته يقول ولم يكن أبو سفيان
حاضرا هذه القضية على الصحيح
بل كان غائبا فى بعض تجاراته فمن
ذكره معهم فقد غلط وفى رواية فاشار عليهم عروة بن مسعود الثقفى بان يسمعوا كلام بديل فان أعجبهم قبلوه والا
تركوه فقال صفوان بن أمية والحرث بن هشام أخبرونا بالذى رأيتم وسمعتم قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه
وسلم فرجعوا الى قريش فقالوا انكم تعجلون على محمد انه لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فقالوا وان كان جاء لا يريد قتالا بل جاء زائرا
فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث عنا العرب بذلك أبدا فقام عروة بن مسعود الثقفى وقد أسلم رضى الله عنه عند منصرفه

رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أى
شبعوا واكتسوا بما أصابوه من كسوة وأزواد قريش وفى الامتاع ان دعاءه صلى الله عليه
وسلم المذكور كان عند مفارقته محل معسكره بالمدينة وهو بيوت السقيا كما تقدم وتقدم فيه
زيادة وعالة فاغنهم فاصابوا الاسرى فاغتنى بهم كل عائل ولا مانع أن يكون دعاؤه صلى الله عليه
وسلم بذلك تكرر فلما أمسى صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد
ابن أبى وقاص فى نفر من أصحابه رضى الله عنهم الى بدر يلتمسون الخبر فاصابوا راوية لقريش
معها غلام لبنى الحجاج وغلام لبنى العاص فاتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى
فقالوا لمن انتما وظنوا انهما لابى سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء
فضربوهما فلما اوجعوهما ضربا قالا نحن لابى سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقا والله
انهما لقريش أخبرانى عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب أى التل من الرمل الذى يرى
بالعدوة القصوى أى جانب الوادى المرتفع فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم
قالا كثير أى وفى لفظ هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندرى أى وجهد
النبى صلى الله عليه وسلم ان يخبراه كم هم فأبيا قال صلى الله عليه وسلم كم تنحرون أى من الجزر
كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف أى
لكل جزور مائة ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن
عدى بن نوفل والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه
ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو العامرى أى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح
وهو من اشراف قريش وخطبائهم وسيأتى أنه ممن اسر فى هذه الغزاة وعمرو بن عبد ود فاقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ كبدها
أى أشرافها وعظماءها وذكر ان مسيرهم واقامتهم كانت عشر ليال حتى بلغوا الجحفة أى
وهى قرية بقرب رابغ كما تقدم نزلوا بها عشاء أى وفى الامتاع انهم ردوا القيان من الجحفة
أقول هذا والذى فى مسلم وأبى داود عن أنس رضى الله تعالى عنه فاذا هم بروايا قريش فيها
رجل أسود لبنى الحجاج فجاؤا به فكانوا يسألونه عن أبى سفيان فيقول مالى بابى سفيان علم فاذا
قال ذلك ضربوه واذا قال هذا أبو سفيان تركوه الحديث أى وفى الامتاع وأخذ تلك الليلة
يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج وأبو رافع غلام أمية بن خلف
فاتى بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الحديث وقد يقال لا منافاة لان بعض الرواة ذكر
الثلاثة وبعضهم اقتصر على اثنين وبعضهم اقتصر على واحد والله أعلم وكان مع قريش رجل
من بنى المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت رضى الله تعالى عنه فانه أسلم فى عام خيبر

صلى الله عليه وسلم من الطائف وهو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
فأحدهما الوليد بن المغيرة كان بمكة ومات كافرا والثانى عروة بن مسعود الثقفى وكان بالطائف فالقريتان مكة والطائف فقال
لقريش يا قوم ألستم بالوالد أى مثل الوالد فى الشفقة على ولده قالوا بلى قال أولست بالولد أى مثله فى النصح لوالده قالوا بلى بل جاء ان
أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف فاراد انهم ولدوه فى الجملة قال فهل تتهمونى قالوا لا ما أنت عندنا بمتهم قال ألستم

تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ
أى دعوتهم الى نصركم فلما امتنعوا
من الاجابة جئتكم بأهلى وولدى
ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا
يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
قد عرض عليكم خطة رشد أى
خصلة خير وصلاح وانصاف
اقبلوها ودعونى آتيه أى أجئ
اليه قالوا ائته فأتى عروة بن
مسعود النبى صلى الله عليه وسلم
فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم
بنحو ما قال بديل بن ورقاء فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من
قوله لبديل السابق وأخبره أنه
لم يأت يريد حربا وعند قول النبى
صلى الله عليه وسلم فان هم أبوا
فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم قال
عروة أى محمد أخبرنى ان استأصلت
قومك أى أهلكتهم بالكلية هل
سمعت بأحد من العرب اجتاح
أى أهلك أصله قبلك وان تكن
الاخرى أى وان تكن الغلبة
لقريش فانى والله لارى وجوها
أشوابا أى أخلاطا من الناس
خليقا أن يفروا عنك ويدعوك
وفى رواية فكأنى بهم لو لقيت
قريشا قد أسلموك فتؤخذ أسيرا
فأى شئ أشد عليك من هذا وانما
قال ذلك لان العادة جرت ان
الجيوش المجتمعة لا يؤمن عليها
الفرار بخلاف من كان من قبيلة
واحدة فانهم يأنفون الفرار عادة وما درى عروة ان مودة الاسلام أعظم من مودة القرابة وقد ظهر له ذلك بعد من
مبالغة المسلمين فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما قال عروة بن مسعود ما قاله وعرض بل صرح بنسبتهم الفرار قال له أبو بكر الصديق
رضى الله عنه وكان قاعدا خلف النبى صلى الله عليه وسلم امصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان فى
فرج المرأة واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء هذا مبالغة فى سب عروة فانه أقام معبود عروة

وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقا وقيل أسلم بعد الفتح فوضع رأسه
فاغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف على فقالوا لا قال قد وقف على
فارس فقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البخترى وأمية بن خلف وفلان
وفلان وعد رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر أى وقال أسر سهيل بن عمرو وفلان
وفلان وعد رجالا ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر
فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما
شاعت هذه الرؤيا فى العسكر وبلغت أبا جهل قال قد جئتم بكذب بنى عبد المطلب مع كذب بنى
هاشم سيرون غدا من يقتل وفى لفظ قال أبو جهل هذا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من
المقتول نحن أو محمد وأصحابه وأول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل بن هشام عشر
جزائر أى بمر الظهران وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت فى العسكر فما بقى خباء
من أخبية العسكر الا أصابه من دمها كذا فى الامتاع ومن هذا المحل رجع بنو عدى أى تفاؤلا
بذلك ثم نحر لهم سفيان بن أمية بعسفان تسع جزائر ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشر جزائر
وساروا من قديد فضلوا بها ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر فلما أصبحوا
بالابواء نحر لهم مقيس بن عمرو الجمحى تسع جزائر أى ويقال ان الذى نحرلهم بالابواء نبيه
ومنبه ابنا الحجاج عشرا ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشر جزائر ونحر لهم الحرث بن عامر بن
نوفل تسعا ونحر لهم أبو البخترى على ماء بدر عشر جزائر ونحر لهم مقيس الجمحى على ماء بدر
تسعا أى ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم ثم مضى رجلان من الصحابة أى قبل وصوله
صلى الله عليه وسلم الى بدر وكذا قبل وصول قريش الى بدر كما يدل عليه الكلام الآتى خلاف
ما يدل عليه هذا السياق الى ماء بدر فنزلا قريبا منه عند تل هناك ثم أخذا شنا لهما يستقيان
فيه وشخص فى الماء واذا بجاريتين يتلازمان أى يتخاصمان وتمسك احداهما الاخرى على
الماء والملزومة تقول لصاحبتها انما تأتى العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم وأقضيك الذى لك
فقال ذلك الرجل الذى على الماء صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك الرجلان فجلسا على بعيرهما
ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا ان أبا سفيان تقدم العير
حذرا حتى ورد الماء فقال لذلك الرجل هل أحسست أحدا قال ما رأيت أحدا أنكره الا
انى قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان
مناخهما فأخذ من أبعار بعيرهما ففتته فاذا فيه النوى فقال والله هذه علائف يثرب فرجع الى
أصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق وترك بدرا بيسار وانطلق حتى أسرع فلما علم أنه قد
أحرز عيره أرسل الى قريش أى وقد كان بلغه مجيئهم لحرز العير وكانوا حينئذ بالجحفة انكم
انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله تعالى فارجعوا فقال أبو جهل
والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم عليه ثلاثة أيام فلا بد أن ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى
الخمر

وهو صنمه مقام امرأة تحقير المعبودة وعادة العرب الشتم بذلك فقال عروة من هذا يا محمد واستفهم عنه لجلوسه خلف النبى صلى الله عليه
وسلم فلا ينافى أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا أبو بكر بن أبى قحافة فقال عروة مخاطبا لابى بكر أما والذى
نفسى بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك لولا يد لك عندى لم أكافئك بها لاجبتك ولكن هذه بها أى جعلت عدم اجابتك عن شتمى
جزاء ليدك التى كنت أحسنت الى بها قال الزهرى ان اليد المذكورة هى أن عروة كان تحمل دية فأعانه فيها أبو بكر رضى الله عنه بعون
حسن وفى رواية أعانه بعشر قلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث وجعل عروة بن مسعود يكلم النبى صلى الله عليه وسلم

فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته
صلى الله عليه وسلم وكانت تلك عادة
العرب وكان المغيرة بن شعبة بن
مسعود الثقفى وهو ابن أخى عروة
بن مسعود قائما على رأس النبى صلى
الله عليه وسلم ومعه السيف بقصد
الحراسة وعليه المغفر قال عروة بن
الزبير ان المغيرة لما رأى عروة بن
مسعود لبس لأمته وجعل على
رأسه المغفر ليستخفى من عمه عروة
وقام على رأس النبى صلى الله عليه
وسلم قال الحافظ ابن حجر فيه
جواز القيام على رأس الأمير
بالسيف لقصد الحراسة ونحوها
من ترهيب العدو ولا يعارضه
النهى عن القيام على رأس
الجالس لان محله ما اذا كان على
وجه العظمة والكبر فكان
المغيرة كلما أهوى عروة بن
مسعود بيده الى لحية النبى صلى
الله عليه وسلم ضرب يده بنعل
السيف وهو ما يكون أسفل
القراب من فضة أو غيرها وفعل
المغيرة ذلك اجلالا وتعظيما للنبى
صلى الله عليه وسلم وكان يقول
لعروة أخر يدك عن لحية رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه لا ينبغى
لمشرك أن يمسه فيقول عروة
ما أفظك وأغلظك وقد كانت عادة
العرب أن يتناول الرجل لحية
من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة
يريدون بذلك التحية والتواصل وفى الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لعظمته فى قومه أنه نظير النبى صلى الله عليه
وسلم وما علم حينئذ أنه لا نظير له فلا يليق منعه فلذا كان المغيرة رضى الله عنه يمنعه لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضى أى يتغافل ويسكت
لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفا له ولقومه والمغيرة كان يمنعه فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال من هذا
وفى رواية فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعرى من هذا الذى قد آذانى من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه

الخمر وتعزف علينا القيان أى تضرب بالمعازف أى الملاهى وقيل الدفوف وقيل الطنابير وقيل
نوع منها يتخذه أهل اليمن وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها
وسيأتى فى غزاة بدر الموعد ان موسم بدر يكون عند هلال ذى القعدة فى كل عام يمكث ثمانية
أيام ويبعد ارادة ذلك لابى جهل أى اقامتهم ببدر بقية رمضان وتمام شوال قال ولما أرسل
أبو سفيان يقول لقريش ما تقدم أى ورد عليه أبو جهل بما ذكر قال هذا بغى والبغى منقصة
وشؤم وعند ذلك رجع منهم بنو زهرة وكانوا نحو المائة انتهى أى وقيل ثلثمائة وقائدهم كان
الاخنس بن شريق وفى كلام ابن الاثير فلم يقتل منهم أى من بنى زهرة أحد ببدر وفى كلام
غيره ولم يشهد بدرا أحد من بنى زهرة الا رجلان قتلا كافرين فان الاخنس قال لبنى زهرة
يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله
واجعلوا بى جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا فى غير منفعة لا ما يقول هذا يعنى
أبا جهل وقال لابى جهل أى وقد خلا به أترى محمدا يكذب فقال ما كذب قط كنا نسميه الامين
لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فاى شئ
يكون لنا فانخنس الاخنس ورجع ببنى زهرة أى واسمه أبى وانما لقب بالاخنس من حين رجع
ببنى زهرة فقيل خنس بهم فسمى الاخنس كان حليفا لبنى زهرة ومقدما فيهم رضى الله تعالى
عنه فانه أسلم يوم الفتح وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة قلوبهم ورأيت عن
السهيلى انه قتل يوم بدر كافرا وتبعه على ذلك التلمسانى فى حاشية الشفاء واستدل له بقول
القاضى البيضاوى ان قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الآية نزلت فى
الاخنس بن شريق وفى الاصابة أنه كان من المؤلفة ومات فى خلافة عمر وعن السدى ان
الاخنس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأظهر اسلامه وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد
ذلك فمر بقوم مسلمين فحرق زرعهم فنزلت ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله
وبئس المهاد قال ابن عطية ما ثبت قط أن الاخنس أسلم قلت قد أثبته فى الصحابة جماعة ولا
مانع أن يكون أسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام هذا كلام الاصابة وفى كلام ابن قتيبة ولم يسلم
الاخنس وفى كلام بعضهم ثلاثة ابن وأبوه وجده شهدوا بدرا الاخنس وابنه يزيد وابنه معن
فليتأمل ذلك قال وأراد بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة
حتى نرجع انتهى ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء ونزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون بعيدا من الماء بينهم وبين الماء رحلة فظمئ المسلمون وأصابهم
ضيق شديد وأجنب غالبهم وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ فوسوس اليهم تزعمون انكم
أولياء الله تعالى وانكم على الحق وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش
وتصلون مجنبين أى وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيحكموا

ولا أشر منزلة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك شعبة وفي رواية هذا المغيرة بن شعبة فلما عرف
انه ابن أخيه قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف وفي رواية
وهل غسلت سوأتك الا بالامس فيمكن أن الاختلاف من تصرف الرواة أو انه قال ذلك كله ويعني بغدرته ما كان من المغيرة قبل اسلامه
وانه صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف ١٧٢ من بني مالك خرجوا الى المقوقس ملك مصر بهدايا فأحسن اليهم وأعطاهم وقصر

فيكم كيف شاؤا وفي الكشاف فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا
بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا وكان الوادي دهسا بالسين المهملة أي لينا كثير
التراب تسيخ فيه الاقدام فبعث الله السماء أي المطر فاطفأت الغبار ولبدت الارض أي
شدتها للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه أي وطهرهم به واذهب عنهم رجز الشيطان أي وسوسته
وشربوا منه وملؤا الاسقية وسقوا الركائب واغتسلوا من الجنابة أي وطابت نفوسهم فذلك
قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أي من الاحداث ويذهب عنكم رجز
الشيطان أي وسوسته وليربط على قلوبكم أي يشدها ويقويها ويثبت به الاقدام أي بتلبيد
الارض حتى لا تسوخ في الرمل وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا منه أي
ويصلوا الى الماء أي فكان المطر نعمة وقوة للمؤمنين وبلاء ونقمة للمشركين وعن علي رضي الله
تعالى عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من
المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وعن علي رضي الله تعالى عنه ما كان فينا
أي تلك الليلة قائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده أن يقول
يا حي يا قيوم يكرر ذلك حتى أصبح أي لان المسلمين أصابهم تلك الليلة نعاس شديد يلقي الشخص
على جنبه أي وعن قتادة كان النعاس أمنة من الله وكان النعاس نعاسين نعاس يوم بدر ونعاس
يوم أحد لان النعاس هنا كان ليلا قبل القتال وفي أحد كان وقت القتال وكون النعاس أمنة
وقت القتال أو وقت التأهب له وهو وقت المصافة واضح لا قبله هذا وذكر الشمس الشامي
انه لما نزلت الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم وبشرهم صلى الله عليه
وسلم بنزول الملائكة حصل لهم الطمأنينة والسكينة وقد حصل لهم النعاس الذي هو دليل على
الطمأنينة وعبارته يقتضي أنه حصل لهم النعاس عند المصافة والاقدام يقال ان قوله وقد حصل
لهم النعاس جملة حالية أي والحال انه حصل لهم قبل ذلك في تلك الليلة لا في وقت المصافة ولا
بعد ذلك قوله بعد ذلك وهذا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه النعاس في المصاف من
الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق أي لانه في الاول يدل على ثبات الجنان وفي الثاني يدل
على عدم الاهتمام بامر الصلاة فلما طلع الفجر نادى صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء
الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال أي في
خطبة خطبها فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه أما بعد فاني احثكم على ما حثكم الله عليه الى ان
قال وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله تعالى به الهم وينجي به من الغم الحديث ثم خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم أي يسابق قريشا الى الماء فسبقهم عليه حتى جاء ادنى
ماء من بدر أي أقرب ماء الى بدر من بقية مياهها فنزل به صلى الله عليه وسلم فقال له الحباب بن
المنذر يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل انزلكه الله تعالى ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه
أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال يا رسول الله ان هذا

بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم
بل من أحلافهم فغار منهم ولم
يواسه أحدهم فلما كانوا ببعض
الطريق شربوا الخمر وناموا
فوثب المغيرة فقتلهم وأخذ
أموالهم ثم جاء الى المدينة فأسلم
فقال أبو بكر رضي الله عنه ما فعل
المالكيون الذين كانوا معك
قال قتلتهم وجئت بأسلابهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليخمس أو ليرى رأيه فيها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم أما
الاسلام فأقبل وأما المال فلست
منه في شيء أي لا أتعرض له
لكونه أخذ غدرا الا انه لا يحل
أخذ مال الكفار غدرا حال
الامن لان الرفقة يصطحبون على
الامانة وهي تؤدى الى أهلها
مسلما كان أو كافرا وانما تحل
أموالهم بالمحاربة والمغالبة فلعله
صلى الله عليه وسلم ترك المال في
يده لامكان اسلام قومه فيرد
اليهم أموالهم وقيل انه لما فعل
ذلك كان مثلهم حربيا والحربي
اذا أتلف مال الحربي لم يضمن
وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ
ثقيفا ما فعله المغيرة من قتل أصحابه
وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان
للقتال بنو مالك والاحلاف رهط
المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود
حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر

نفرا واصطلحوا وقيل ان عروة بن مسعود ليس عم المغيرة نفسه بل عم أبيه ولا ضير في ذلك فعم الاب عم عند العرب والمغيرة ليس
ابن شعبة رضي الله عنه كان من دهاة العرب أحصن في الاسلام ثمانين امرأة وقيل ثلثمائة وقيل ألف امرأة ثم ان عروة بن مسعود
جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه فقال حين حدث الحديث والله ما تنخم يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة
الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركا واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره أي أسرعوا الى فعله واذا توضأ كادوا

يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فكان في فعلهم ذلك رد لما ظنه من فرارهم
فكأنهم قالوا بلسان الحال من نحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم كيف يظن بنا أن نفر عنه ونسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا أي
تعلقا وتمسكا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم فرجع عروة الى أصحابه فقال أي قوم فوالله لقد وفدت
على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط يعظمه ١٧٣ أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله

ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي ادنى ماء من القوم أي اذا نزل القوم يعني قريشا كان ذلك
الماء أقرب المياه أي محله أقرب المياه اليهم قال الحباب فاني أعرف غزارة مائه وكثرته بحيث
لا ينزح فننزله ثم نغور ما عداه من القلب أي وهي الآبار غير المبنية ثم نبني عليه حوضا فنملأه
ماء فنشرب ولا يشربون لان القلب كلها حينئذ تصير خلف ذلك القليب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد اشرت بالرأي ونزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
الرأي ما أشار اليه الحباب فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار
حتى أتى أدنى ماء من القوم أي من المحل الذي ينزل به القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت
بسكون الواو وقال السهيلي لما كانت القلب عينا جعلها كعين الانسان ويقال في عين
الانسان غورتها فغارت ولا يقال غورتها أي بالتشديد وبنى صلى الله عليه وسلم حوضا على القليب
الذي نزل به فملأه ماء ثم قذفوا فيه الآنية ومن يومئذ قيل للحباب ذو الرأي وظاهر كلام بعضهم
انه كان معروفا بذلك قبل هذه الغزاة وفيه ان ذلك القليب اذا كان خلف ظهورهم وسائر
القلب خلفه ما المعنى في تغويرها لانها اذا لم تغورها يشربون ولا يشرب القوم الآن يقال
المعنى لئلا يأتوا اليها من خلفهم فالغرض قطع اطماعهم من الماء فليتأمل واستدل بقوله
صلى الله عليه وسلم بل هو الرأي على جواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم في الحرب نظرا لصورة
السبب أو مطلقا لان صورة السبب لا تخصص وجواز الاجتهاد له مطلقا هو الراجح ومما
استدل به على وقوع الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم في الاحكام قوله الا الاذخر عقب ما قيل له الا
الاذخر قال السبكي وليس قاطعا الاحتمال أن يكون اوحي اليه في تلك اللحظة هذا وفي كلام
بعضهم انهم نزلوا على ذلك القليب نصف الليل فصنعوا الحوض وملؤه وقذفوا فيه الآنية بعد
ان استقوا منه وسيأتي ما يؤيده وقال سعد بن معاذ يا نبي الله الا نبني لك عريشا أي وهو شيء
كالخيمة من جريد يستظل به تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى
وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا
فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في الجهاد
ونية ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك
ويجاهدون معك فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير وقال أو يقضي
الله خيرا من ذلك يا سعد أي وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم ثم بنى أي ذلك العريش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي فوق تل مشرف على المعركة ه كان فيه أي وعن علي رضي
الله تعالى عنه أنه قال لجمع من الصحابة اخبروني عن أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس
أبو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم أي من يكون معه لئلا يهوي اليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد الا أبو
بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه أحد الا أهوى اليه أي

ما يتنخم نخامة الا وقعت في كف
رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده
واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا
توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه
واذا تكلم خفضوا أصواتهم
وفي رواية واذا تكلموا خفضوا
أصواتهم عنده اجلالا وتوقيرا
وما يحدون النظر اليه تعظيما له
وانه قد عرض عليكم خطة رشد
فاقبلوها ولقد رأيت قوما
لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم
وفي رواية فقال عروة أي قوم
قد رأيت الملوك ما رأيت مثل
محمد وما هو بملك ولقد رأيت الهدي
معكوفا وما أراكم الا ستصيبكم
قارعة وهذا دليل على جودة عقله
وتفطنه لما كان عليه الصحابة
من المبالغة في تعظيمه صلى الله
عليه وسلم وتوقيره ومراعاة
أموره وردع من جفا عليه بقول
أو فعل والتبرك بآثاره فلم يسمع
القوم ما قاله عروة بن مسعود
وما رغبهم فيه من الصلح فانصرف
هو ومن تبعه الى الطائف فقال
رجل من بني كنانة يسمى
الحليس بن علقمة ولا يعرف له
اسلام وكان سيد الاحابيش أي
القبائل التي تجمعت من غير
قريش دعوني آته يعني النبي
صلى الله عليه وسلم أي أذهب اليه
فقالوا ائته فلما أشرف على النبي

صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن يعني التي تهدى للحرم فابعثوها
أي أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لا يريدون حربا فيعينهم على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس
يلبون بالعمرة فلما رأى الحليس ذلك قال متعجبا سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أي يمنعوا عن البيت وفي رواية قال أبى الله ان
تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب وفي رواية فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده وقد حبس

عن محله رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عند الحاكم انه صاح وهو على بعد فقال هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم انما أتوا عمارا فقال صلى الله عليه وسلم اجل يا أخابنى كنانة قال الحافظ ابن حجر فيحتمل انه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعا بين الروايتين فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقالوا له اجلس انما أنت اعرابى لا علم لك فغضب عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أولا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له اكفف عنا ياحليس حتى ناخذ لانفسنا مانرضى به * وفى القصة دليل على ان كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بنى عامر بن لؤى ولم يذكره أحد فى الصحابة الا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاى فقال دعونى آتيه فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر وفى رواية غادر قال الحافظ ابن حجر مازلت متعجبا من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه فى قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها مايشعر بخلاف ذلك كما سيأتى من كلامه فى قصة أبى جندل الى ان رأيت فى مغازى الواقدى فى غزوة بدر ان عتبة ابن ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا وذلك ان حفص بن الاخيف كان له ولد وضىء فقتله رجل من بنى بكر بن كنانة بدم لهم كان فى قريش فتكلمت قريش فى ذلك ثم اصطلحوا فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بنى بكر غرة فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك فكان مكرز معروفا بالغدر وذكر الواقدى أيضا ان مكرزا أراد ان يبيت المسلمين بالحديبية فخرج فى خمسين رجلا فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس وانفلت مكرز فكان صلى الله عليه وسلم أشار الى ذلك حين قال وهو رجل فاجر أو غادر فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل

ولذلك حكم على انه أشجع الناس وبه يرد قول الشيعة والرافضة ان الخلافة لا يستحقها الا على لانه أشجع الناس أى وهذا كان قبل أن يلتحم القتال والا فبعد التحامه كان على على باب العريش الذى به صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وسعد بن معاذ قائمان على باب العريش فى نفر من الانصار كما سيأتى ومما استدل به على أن أبا بكر أشجع من على أن عليا أخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يقتله الا ابن ملجم فكان اذا دخل الحرب ولاقى الخصم علم انه لا قدرة له على قتله فهو معه كالنائم على فراشه وأما أبو بكر فلم يخبر بقاتله فكان اذا دخل الحرب لا يدرى هل يقتل أو لا ومن هذه حاله يقاسى من التعب ما لا يقاسيه غيره ومما يدل على ذلك ما وقع له فى قتال أهل الردة وتصميمه العزم على مقاتلة مانعى الزكاة مع تثبيط سيدنا عمر له عن ذلك فلما كان الصباح أقبلت قريش من الكثيب وهذا يؤيد القول بأنه صلى الله عليه وسلم سار بأصحابه ليلا يبادرهم الى الماء لان ذلك بعد طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم لان الظاهر من قول الراوى أقبلت أى عليهم وهم ما كثون ويؤيده أيضا ما فى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليلة بدر أى بعد ان وصل الى محل الوقعة هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا ووضع يده على الارض وهذا مصرع فلان ههنا وهذا مصرع فلان ههنا قال أنس ما ماط أحدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم أى ما تنحى فليتأمل الجمع ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقد أقبلت بالدروع السابرة والجموع الوافرة والاسلحة الشاكية أى التامة قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها أى كبرها وعجبها وفخرها تحادلك أى تعاديك وتخالف أمرك وتكذب رسولك فنصرك أى انجز نصرك الذى وعدتنى أى وفى لفظ اللهم انك أنزلت على الكتاب وأمرتنى بالثبات ووعدتنى احدى الطائفتين أى وقد فاتت احداهما وهى العير وانك لا تخلف الميعاد اللهم احنهم أى أهلكهم الغداة وفى رواية اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الامة اللهم لا تفلتن زمعة بن الاسود اللهم واسخن عين أبى زمعة واعم بصر أبى زمعة اللهم لا تفلتن سهيلا الحديث ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحى أى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وشهد أحدا معه صلى الله عليه وسلم ٥ فقالوا احزر لنا أصحاب محمد أى انظر لنا عدتهم فاستجال بفرسه حول عسكر النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ولكن أمهلونى حتى أنظر للقوم كمينا أو مددا فذهب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيأ ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيأ ولكنى قد رأيت يامعشر قريش البلايا أى وهى فى الاصل النوق تبرك على قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت تحمل المنايا أى الموت أى نواضح يثرب تحمل الموت الناقع أى البالغ زاد بعضهم ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعى لا يريدون أن ينقلبوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصا تحت الحجف يعنى الانصار قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير

وأصحابه فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو العامرى وكان خطيب قريش وقد أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان ملازما للجهاد حتى استشهد يوم اليرموك وقيل مات بالشام بطاعون عمواس وكان يقول والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمرى ان يتلو بعضه بعضا قال الشافعى سهيل بن عمرو رضى الله عنه كان محمود الاسلام من حين أسلم ولما جاء خبر وفاة النبى صلى الله عليه وسلم أهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدون فخطب الناس خطبة كخطبة الصديق بالمدينة رضى الله عنه وثبتهم فيها وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفا يسرك فكان ذلك الموقف هو خطبته لاهل مكة وتثبيتهم فكان ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قيل ان وصول سهيل ابن عمرو الى النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان مكرزا رجع الى قريش فاخبرهم بقوله صلى الله عليه وسلم وان ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز وجمع بانه رجع فاخبرهم ثم جاء مع سهيل فى الصلح ولما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى قال ابن اسحق دعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل ولا تكن فى صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة أبدا فأتى سهيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لما رآه مقبلا قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم برك على ركبتيه وجلس النبى صلى الله عليه وسلم متربعا وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين فى الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر اخفض صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما وهذا يقتضى أن ارسال سهيل بن عمرو كان قبل أن يرسل النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه الى أهل مكة وجرى على ذلك كثير من أهل السير وقال آخرون ان ارسال سهيل بن عمرو كان بعد ارسال النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان

العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى أن لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر قال وماذاك يا حكيم قال ترجع بالناس فقام عتبة خطيبا فقال يامعشر قريش انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيأ والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان أصابوه فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون أى ياقوم اعصبوها اليوم برأسى أى اجعلوا عارها متعلقا بى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون انى لست بأجبنكم ٥ أى وفى لفظ آخر ان حكيم بن حزام قال لعتبة بن ربيعة تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى أى الذى قتله واقد بن عبد الله فى سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وهو أول قتيل قتله المسلمون وتحمل ما أصاب محمد من تلك العير أى الذى غنمه عبد الله ابن جحش كما سيأتى فى السرايا فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت أى هو حليفى فعلى عقله وما أصيب من المال ونعم ما قلت ونعم ما دعوت اليه وركب عتبة جملا له وصار يجيله فى صفوف قريش يقول ياقوم أطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمى وما أخذ من العير وقد تحملت ذلك زاد بعضهم انه قال يامعشر قريش انشدكم الله فى هذه الوجوه التى تضىء ضياء المصابيح يعنى قريشا ان تجعلوها اندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الانصار وهذا كما ترى وما يأتى أيضا يضعف قول من قال انه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمى أى أعطى ديته وقد كان صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا أقبلت من الكثيب وعتبة على جمل أحمر قال ان يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر أى وفى رواية ان يكن أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الجمل الاحمر يجيله فى صفوف قريش قال يا على ناد حمزة وكان أقربهم الى المشركين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من صاحب الجمل الاحمر وماذا يقول لهم فقال هو عتبة بن ربيعة ينهى عن القتال وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن فى أحد من القوم خير الخ من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ٥ ثم قال عتبة لحكيم بن حزام انطلق لابن الحنظلية يعنى أبا جهل قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد سل درعا له من جرابها أى أخرجها منه فقلت له يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا للذى قال فقال انتفخ والله سحره أى رئته كلمة تقال للجبان وفى لفظ أنه قال لعتبة وقد جاء اليه أنت تقول هذا والله لو غيرك يقول هذا لاعضضته أى قلت له اعضض على بظر أمك ان قد ملأت رئتك جوفك رعبا كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقال لحكيم ما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى ان محمدا وأصحابه أكلة جزور أى فى قلة بحيث يكفيهم الجزور وفيهم ابنه أى وهو أبو حذيفة رضى الله تعالى عنه فانه كان ممن أسلم قديما فقد تخوفكم عليه أى وفى رواية أنه قال

رضى الله عنه الى أهل مكة فقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية أحب أن يبعث الى قريش يعلمهم أنه انما قدم معتمرا لا مقاتلا فبعث خراش بن أمية الخزاعى على جمله عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبى جهل وأراد قتله فمنعه الاحابيش فأتاه صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له فقال يارسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظى عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فان بنى عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكتب له كتابا الى أشراف قريش يخبرهم انه لم يات الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته وأمر النبى صلى الله عليه وسلم عثمان ان ياتى رجالا مسلمين مستضعفين بمكة ونساء مؤمنات مستضعفات بها ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم بان الله وشيك أى قريب ان يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان فخرج عثمان رضى الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضى الله عنهم باذن النبى صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل ان يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان ابن عم عثمان رضى الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضى الله عنه من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المسلمون الذين مع النبى صلى الله عليه وسلم قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يارسول الله وقد خلص اليه قال ذاك ظنى به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكثت كذا وكذا سنة فلما رجع عثمان وقيل له فى ذلك أى قالوا له طفت بالبيت فقال والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا كذا وكذا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف الذى

يامعشر قريش انما يشير عليكم عتبة بهذا لان ابنه مع محمد ومحمد ابن عمه فهو كره أن تقتلوا ابنه وابن عمه فغضب عتبة وسب أبا جهل وقال سيعلم أينا أفسد لقومه أى ومن غريب الاتفاق ان أم أبان بنت عتبة بن ربيعة المذكور كان لها أربعة اخوة وعمان كل منهم حضر بدرا اثنان من اخوتها مسلمان واثنان مشركان وواحد من عميها مسلم والآخر كافر فالاخوان المسلمان أبو حذيفة ومصعب بن عمير ولعله كان أخاها لامها والكافران الوليد بن عتبة وأبو عزير والعم المسلم معمر بن الحرث ولعله كان أخا لعتبة لامه والعم الكافر شيبة بن ربيعة وكان من حكمة الله تعالى ان الله جعل المسلمين قبل ان يلتحم القتال فى أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم الله فى أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال فى أعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ومن ثم قال الله تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم أى يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأى العين أى وقد ذكران قباث بن أشيم رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك قال فى نفسه يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا وأصحابه وعنه انه قال لما كان بعد الخندق قدمت المدينة سألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك فى محل المسجد مع ملا من أصحابه فاتيته وأنا لا أعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا قباث أنت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا وأصحابه فقال قباث والذى بعثك بالحق ما تحدث به لسانى ولا ترفرفت به شفتاى ولا سمعه منى أحد وما هو الا شئ هجس فى قلبى وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم له أنت القائل أى فى نفسك أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن ما جئت به الحق ولما بلغ عتبة ما قاله أبو جهل قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو وقد تقدم معنى مصفر استه وذكر السهيلى هنا ان هذه الكلمة لم يخترعها عتبة ولا هو أبو عذرتها فقد قيلت لبعض الملوك كان مترفها لا يغزو فى الحروب يريدون صفرة الخلوق والطيب وسادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب الا فى الدعة وتعيبه فى الحرب أشد العيب وأظن أن أبا جهل لما علم بسلامة العير استعمل الطيب والخلوق ولذلك قال له عتبة هذه الكلمة وانما أراد مصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة فى الذم فخص منه بالذكر ما يسوءه أن يذكر هذا كلامه وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم يقول ارجعوا فانه ان يلى هذا الامر منى غيركم أحب الى من أن تلوه منى فقال حكيم بن حزام قد عرض نصفا فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف فقال أبو جهل والله لا نرجع بعد ان مكننا الله منهم ثم ان أبا جهل بعث الى عامر بن الحضرمى أى أخو المقتول

رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس انهم قتلوه هو والعشرة الذين معه فبلغ ذلك الخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ينادى الناس الى البيعة قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وفى رواية بايعناه على الموت ولما لم يكن قتل عثمان رضى الله عنه محققا بل كان بالاشاعة بايع عنه النبى صلى الله عليه وسلم أى على تقدير حياته وفى ذلك اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى ان عثمان لم يقتل وانما فعل المبايعة مع القوم لاجل أخذ ثار عثمان رضى الله عنه جريا على ظاهر تلك الاشاعة تثبيتا وتقوية لاولئك القوم فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك وفى لفظ ان عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا لانه علم عدم صحة القول بقتله وبعد ان جاء عثمان رضى الله عنه بايع بنفسه تحصيلا لتلك الفضيلة (وقد أشار) الى امتناع عثمان رضى الله عنه من الطواف والى مبايعة النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية فقال

وأبى ان يطوف بالبيت اذلم
يدن منه الى النبى فناء
فجزته منه ببيعة رضوا
ن يد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الاعـ
مال بالترك حبذا الادباء

(ويروى) أن قريشا بعثت الى عبد الله بن أبى ابن سلول ان أحببت ان تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضى الله عنه يا أبت اذكرك الله ان تفضحنا فى كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت البيعة تحت شجرة هناك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كما تقدم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن سنان الاسدى وقيل انه أبو سنان

الذى هو عمرو وقال هذا حليفك يعنى عتبة يريد أن يرجع بالناس وفى لفظ يخذل الناس عن القتال وقد تحمل دية أخيك من ماله يزعم أنك قابلها ألا تستحى ان تقبل الدية من مال عتبة وقد رأيت ثارك بعينك فقم فاذكر مقتل أخيك وكان عامر كأخيه المقتول من حلفاء عتبة وسيأتى ذلك فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف أى كشف استه أى وحثا عليه التراب ثم صرخ واعمراه واعمراه فثارت النفوس أى وعامر هذا لا يعرف له اسلام أى وفى الاستيعاب عامر بن الحضرمى قتل يوم بدر كافرا وأما أخوهما العلاء فمن فضلاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم أى وقد كان يقال انه مجاب الدعوة وانه خاض البحر هو وسريته التى كان أميرا عليها وذلك فى زمن خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ويقال يبس حتى رئى الغبار من حوافر الخيل بكلمات قالها ودعا بها وهى يا على يا حكيم يا على يا عظيم انا عبيدك وفى سبيلك نقاتل عدوك اللهم فاجعل لنا اليهم سبيلا وقد وقع نظير ذلك أى دخول البحر لابى مسلم الخولانى التابعى فانه لما غزا الروم مع جيشه مروا بنهر عظيم بينهم وبين العدو فقال أبو مسلم اللهم أجزت بنى اسرائيل البحر وانا عبادك وفى سبيلك فاجزنا هذا النهر اليوم ثم قال اعبروا بسم الله فعبروا فلم يبلغ الماء بطون الخيل وكذا وقع نظير ذلك لابى عبيد الثقفى التابعى أمير الجيوش فى أيام سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه فان دجلة حالت بينه وبين العدو فتلا قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش وراءه ولما نظر اليهم الاعاجم صاروا يقولون ديوانا ديوانا أى مجانين ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا أموالهم وله أخ يقال له ميمون وهو الذى حفر البئر التى بأعلى مكة التى يقال لها بئر ميمون ولم أقف على اسلامه وأما أختهم التى هى الصعبة وهى أم طلحة بن عبيد الله فصحابية رضى الله تعالى عنها كانت أولا تحت أبى سفيان بن حرب فطلقها فخلف عليها عبيد الله فولدت له طلحة الذى قال فى حقه صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ثم ان الاسود بن عبد الاسد المخزومى وهو أخو أبى سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان رجلا شرسا سيئ الخلق شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه أول من يعطى كتابه بشماله كما ان أخاه أبا سلمة أول من يعطى كتابه بيمينه كما تقدم قال أعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لاهدمنه أو لاموتن دونه فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه أى أسرع قطعها فطارت وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه أى وشرب منه وهدمه برجله الصحيحة يريد أن تبر يمينه فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض وأقبل نفر من قريش حتى وردوا ذلك الحوض منهم حكيم بن حزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل كافرا الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم بدر وعلى أن هذا الحوض كان وراء ظهره صلى الله عليه وسلم

أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنهما ولما بايعه رضى الله عنه قال أبايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك
حتى يظهرك الله أو اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل
سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقيل ان سلمة رضى الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره صلى الله عليه
وسلم فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له فى ذلك
فضيلة لانه أراد ان يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات وجاء ان عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما بايع مرتين (وقد قيل) فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الى قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز ابن حفص الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يصيبوا منهم أحدا أو يجدوا منهم غرة أى غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم بسهم فاسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا
ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى منهم بالصلح على ان يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا
معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ومعه حويطب بن عبد العزى وقيل معه
جمع منهم وقيل ان ارسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما أقبل سهيل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانيا وطالت المراجعة بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك ان النبى

يكون مجىء هؤلاء للعوض من خافه صلى الله عليه وسلم فليتأمل ثم ان عتبة بن ربيعة التمس
بيضة أى خودة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر على
رأسه ببرد له أى تعمم به ولم يجعل تحت لحيته من العمامة شيأ وخرج بين أخيه شيبة وابنه الوليد
حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة اخوة أشقاء هم معوذ
ومعاذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من
الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة وفى رواية أكفاء كرام انما نريد قومنا أى وفى لفظ ولكن
اخرجوا الينا من بنى عمنا أى وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالرجوع فرجعوا الى
مصافهم وقال لهم خيرا لانه كره أن تكون الشوكة لغير بنى عمه وقومه فى أول قتال وعند ذلك
نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن
الحرث وقم يا حمزة وقم يا على وفى لفظ قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم اذ
جاؤا بباطلهم ليطفؤا نور الله قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا على فلما قاموا ودنوا قالوا لهم
من أنتم أى لانهم كانوا متلبسين لا يعرفون من السلاح قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال
على على قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة بن الحرث وكان أسن القوم كان أسن من النبى صلى
الله عليه وسلم بعشر سنين عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فاما حمزة فلم يمهل
ان قتل شيبة وأما على فلم يمهل أن قتل الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما
أثبت صاحبه وكر حمزة وعلى باسيافهما على عتبة فذففاه بالمهملة والمعجمة واحتملا صاحبهما
فجراه الى أصحابه أى أضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فافرشه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد
أى بعد أن قال له عبيدة ألست شهيدا يا رسول الله فتوفى فى الصفراء ودفن بها عند مرجع
المسلمين الى المدينة وقيل برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلى للوليد واختلف عبيدة وشيبة
بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه ووقعت الضربة فى ركبة عبيدة فاطاحت رجله وصار مخ
ساقه يسيل ثم مال حمزة وعلى على شيبة فذففا عليه أى ويقال ان شيبة لما صرع من ضربة
عبيدة قام فقام اليه حمزة فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيفه شيئا فأعان كل واحد منهما صاحبه
فاهوى عبيدة وهو صريع فضرب شيبة فقطع ساقه فذفف عليه حمزة وقيل بارز على شيبة
وبارز عبيدة الوليد فقد روى الطبرانى باسناد حسن عن على أنه قال أعنت أنا وحمزة عبيدة بن
الحرث على الوليد فلم يعب النبى صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وقال هذا أصح الروايات ولكن
المشهور أن عليا كرم الله وجهه انما بارز الوليد وهذا الاوفق بالمقام لان عتبة وشيبة كانا
شيخين كعبيدة وحمزة بخلاف على والوليد فكانا شابين وقتل حمزة طعيمة بن عدى أخا المطعم بن
عدى وتقدم ان المطعم مات قبل هذه الغزاة بسبعة أشهر كافرا قيل وهذه المبارزة أول مبارزة
وقعت فى الاسلام وفى الصحيحين عن أبى ذر أنه كان يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان

اختصموا

صلى الله عليه وسلم قال له لم لم تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة أى بالشدة
والاكراه ولكن ذلك بالعام القابل ثم تم الامر على الصلح على ترك القتال وان يوضع الحرب بينهم عشر سنين وان يأمن بعضهم بعضا
وان يرجع عنهم عامهم هذا ويأتى فى العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة ايام وان لا يدخلوا الا بالسيوف فى قربها واشترط سهيل على
النبى صلى الله عليه وسلم شروطا منها انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا وقيل هذا الشرط انما
ذكره عند كتابة الكتاب كما سيأتى فلما تم الامر ولم يبق الا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بمسلمين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية أى الخصلة المذمومة فى ديننا فقال أبو بكر رضى الله عنه يا عمر الزم غرزه أى ركابه وفى رواية قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت فانى اشهد انه رسول الله فقال عمر وانا اشهد انه رسول الله ثم أتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ما قال لابى بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى الله ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن خولة رضى الله عنه وأمره أن يكتب بينهم فقال له سهيل بن عمرو لا يكتب الا ابن عمك على أو عثمان بن عفان رضى الله عنهما وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضى الله عنه على بعض الروايات فامر النبى صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أى الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك
اللهم أى لان قريشا كانت تكتبها فقال المسلمون والله لا يكتبها وانما يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وضج المسلمون ثم أسكتهم النبى صلى
الله عليه وسلم وقال اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن
عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولم نصدك عن البيت ولكن اكتب باسمك واسم أبيك وفى رواية لو اعلم
أنك رسول الله ما خالفتك ولتابعتك أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه

اختصموا فى ربهم نزلت فى حمزة وصاحبه وعتبة وصاحبه يوم بدر وفى البخارى عن على رضى الله
تعالى عنه انه أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة وقيل أول من يقف بين يدى
الله تعالى للخصومة على ومعاوية ثم تزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض وقد كان عدل رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه بقدح فى يده أى بسهم لا نصل له ولا ريش فمر بسواد بتخفيف
الواو ولا بتشديدها كما زعمه ابن هشام ابن غزية بفتح الغين المعجمة وكسر الزاى وتشديد الياء أى
حليف بنى النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم فى بطنه بالقدح وقال استو
يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدنى أى مكنى من القود أى
القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أى خذ
القود أى القصاص فاعتنقه فقبل بطنه الشريف فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول
الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله صلى
الله عليه وسلم بخير وفيه أن هذا الا قود فيه ولا قصاص عندنا فليتأمل وسواد هذا جعله صلى الله
عليه وسلم بعد فتح خيبر عاملا على خيبر كما سيأتى أى وفى حديث حسن عن عبد الرحمن بن عوف
قال صففنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف فنظر اليهم النبى صلى
الله عليه وسلم فقال معى معى أقول لعل وقع له صلى الله عليه وسلم مع بعض الانصار أى وهو
سواد بن عمرو ومثل هذا الذى وقع له مع سواد بن غزية ففى أبى داود أن رجلا من الانصار كان
فيه مزاح فبينما هو يحدث القوم يضحكهم اذ طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خاصرته
بعود كان فى يده وفى لفظ بعرجون وفى آخر بعصا فقال أصبرنى يا رسول الله أى أقدنى ومكنى
من نفسك لاقتص منك فقال اصبر أى اقتص قال ان عليك قميصا وليس على قميص فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه أى ومن خصائصه صلى الله
عليه وسلم أنه ما التصق بيدنه صلى الله عليه وسلم وتمسه النار كذا فى الخصائص الصغرى وفيها فى محل آخر ولا
تأكل النار شيأ مس جسده وكذلك الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ثم لما عدل الصفوف
قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم أى ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم أى لا ترموهم
على بعد فان الرمى مع البعد غالبا يخطئ فيضيع النبل بلا فائدة أى وقال لهم لا تسلوا السيوف
حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد وعلى المصابرة فيه منها وان الصبر فى مواطن
البأس مما يفرج الله عز وجل به الهم وينجى به من الغم وهذا السياق يدل على تكرر هذه
الخطبة أى وقوعها قبل مجيئهم الى محل القتال وبعد مجيئهم اليه ولا مانع منه ثم رجع صلى الله
عليه وسلم الى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره وسعد بن معاذ قائم على باب
العريش متوشح بسيفه مع نفر من الانصار يخافون على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة
العدو أى والجنائب مهيأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان احتاج اليها ركبها ولما اصطف
الناس للقتال رمى قطبة بن عامر بحجر ابين الصفين وقال لا أفر الا ان فر هذا الحجر وكان أول من

أمر رسول الله فقال على رضى الله عنه ما أنا بالذى امحوه وفى رواية والله لا أمحوك أبدا فقال أرنيه فاراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال أنا رسول الله وان كذبتمونى وأنا محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب فجعل على رضى الله عنه يبكى ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وأنت
مقهور وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم ١٨٠ واعلام نبوته فانه اشارة لما سيقع بين على ومعاوية رضى الله عنهما فانهما

بعد حرب صفين وقعت بينهما
المصالحة الى رأس الحول فلما
كتب الكاتب هذا ما صالح عليه
أمير المؤمنين على بن أبى طالب
معاوية بن أبى سفيان فقال عمرو
ابن العاص وكان أحد الحكمين
وكان من جهة معاوية لا تكتب
أمير المؤمنين وارسل معاوية
أيضا رضى الله عنه لعمرو بن
العاص يقول لا تكتب ان عليا
أمير المؤمنين لو كنت أعلم ان
عليا أمير المؤمنين ما قاتلته فبئس
الرجل أنا ان أقررت أنه أمير
المؤمنين ثم أقاتله ولكن اكتب
على بن أبى طالب وامح أمير
المؤمنين فقال أصحاب على رضى
الله عنه لعلى يا أمير المؤمنين لا تمح
اسم امارة المؤمنين فانك ان
محوتها لا تعود اليك فلم يسمع منهم
وقال للكاتب امحها ثم تذكر قول
النبى صلى الله عليه وسلم له فى
الحديبية ان لك مثلها تعطيها
وأنت مقهور فقال الله أكبر مثلا
بمثل والله انى لكاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد
لك بذلك اكتب اسمك محمد بن
عبد الله فقال له عمرو بن العاص
رضى الله عنه سبحان الله أتشبه
بالكفار ووقع بينهما نزاع فى ذلك
حتى تمت الكتابة على عدم ذكر
أمير المؤمنين وظهر صدق قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور ما
ولما أبى على رضى الله عنه يوم الحديبية أن يكتب الا رسول الله وافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير
وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فاخذا بيد على رضى الله عنه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فالسيف بيننا
وبينهم وضج المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لا نعطى هذه الدنية فى ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم

خرج من المسلمين مهجع بكسر الميم واسكان الهاء فجيم مفتوحة فعين مهملة مولى عمر بن
الخطاب فقتله عامر بن الحضرمى بسهم أرسله اليه ونقل بعض المشايخ أنه أول من يدعى من
شهداء هذه الامة وانه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الشهداء أى من هذه الامة فلا
ينافى ما جاء أن سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكريا وقائدهم الى الجنة وذابح الموت يوم
القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة فى يده والناس ينظرون اليه لكن جاء سيد الشهداء هابيل
الا أن تجعل الاولية اضافية فيراد أول أولاد آدم اصابه قيل وكون مهجع أول قتيل من المسلمين
لا ينافى كون أول قتيل من المسلمين عمير بن الحمام لان ذاك أول قتيل من المهاجرين وعمير أول
قتيل من الانصار ولا ينافى ذاك أن أول قتيل من الانصار حارثة بن قيس أى قتل بسهم لم يدر
راميه ففى البخارى عن حميد قال سمعت أنسا يقول أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فقتل
بارسال سهم اليه أى فانه أصابه سهم غرب أى لا يعرف راميه وهو يشرب من الحوض وفى كلام
ابن اسحق أول من قتل من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ومن بعده حارثة بن سراقة
وقد جاءت أم حارثة وهى عمة أنس بن مالك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
حدثنى عن حارثة فان يكن فى الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن وان يكن فى النار بكيت ما عشت
فى دار الدنيا وفى رواية ان يكن فى الجنة صبرت وان يكن غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء فقال
يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنات وحارثة فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك
وتقول بخ بخ لك يا حارثة وهذا قد يخالف قول ابن القيم كالزمخشرى ان الجنة التى هى دار
الثواب واحدة بالذات كثيرة بالاسماء والصفات وهذا الاسم الذى هو الجنة يجمعها من
اسمائها جنة عدن والفردوس والمأوى ودار السلام ودار الخلد ودار المقامة ودار النعيم
ومقعد صدق وغير ذلك مما يزيد على عشرين اسما أى وعن الواقدى أنه بلغ أمه وأخته وهما
بالمدينة مقتله فقالت أمه والله لا أبكى عليه حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله فان
كان فى الجنة لم أبك عليه وفى رواية اصبر واحتسب وان كان ابنى فى النار بكيته وفى رواية
ترى ما أصنع فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءت أمه فقالت يا رسول الله
قد عرفت موقع حارثة من قلبى فاردت أن أبكى عليه ثم قلت لا أفعل حتى أسأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان كان فى الجنة لم أبك عليه وان كان فى النار بكيته فقال النبى صلى الله عليه وسلم
هبلت وفى رواية ويحك أوهبلت أجنة واحدة انها جنان كثيرة والذى نفسى بيده انه لفى
الفردوس الاعلى ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه
ثم ناوله أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان فى جيوبهما ففعلتا
فرجعتا من عند النبى صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان أقر عينا منهما ولا أسر وقد
كان حارثة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بالشهادة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم
قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر

ويومى بيده اليهم ان اسكتوا ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل أمر محمد بن مسلمة رضى الله عنه فكتب
والحق أن الذى كتبه محمد نسخة أخرى مثل ذلك الكتاب لان سهيلا قال يكون هذا الكتاب معى فكتب محمد بن مسلمة مثله ليكون
عند المسلمين وجاء فى بعض الروايات ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال ان النبى
صلى الله عليه وسلم كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب ١٨١ وجرى على ذلك أبو الوليد الباجى المالكى

فشنع عليه علماء الاندلس فى
زمانه وقالوا ان هذا مخالف
للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم
بان هذا لا ينافى القرآن وهو
قوله تعالى وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
بان هذا النفى مقيد بما قبل
ورود القرآن وقبل تحقق أميته
أما بعد القرآن وبعد ان تحققت
أميته وتقررت بذلك معجزته فلا
مانع أن يعرف الكتابة من غير
معلم معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك
عن كونه أميا والجمهور على أن
الروايات التى فيها أخذ الكتاب
بيده فكتب محمولة على المجاز أى
أمر أن يكتب الكاتب وقوله
بيده متعلق باخذ وليس متعلقا
بقوله كتب قال العلماء وافقهم
النبى صلى الله عليه وسلم على عدم
كتابة بسم الله الرحمن الرحيم
وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم
فى محمد بن عبد الله وترك كتابة
رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة
بالصلح التى أطلع الله نبيه صلى
الله عليه وسلم عليها وحجب المسلمين
عنها حتى ضجوا وتشوشوا من ذلك
ولم يكن أحد فى القوم راضيا
بجميع ما رضى به النبى صلى الله
عليه وسلم غير أبى بكر الصديق رضى
الله عنه وبهذا يتبين علو مقامه
ويمكن أن الله كشف لقلبه وأطلعه
على بعض تلك الاسرار التى ترتبت على ذلك الصلح كما أطلع على ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانه حقيق بذلك رضى الله عنه كيف وقد قال
النبى صلى الله عليه وسلم والله ما صب الله فى قلبى شيأ الا وصببته فى قلب أبى بكر رضى الله عنه قال أبو بكر رضى الله عنه ما كان فتح أعظم من
فتح الحديبية ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ربه والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى
تبلغ الامور ما أراد ولقد رأيت سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله

ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزلت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت
نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر الى أهل
النار يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد أى أنت عبد نور الله الايمان فى قلبه قال فقلت ادع الله
لى بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال أبو جهل وأصحابه حين قتل عتبة
وشيبة والوليد نصرنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
مولانا ولا مولى لكم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار (أقول) سيأتى وقوع مثل ما قال أبو جهل
وأصحابه من أبى سفيان وانه أجيب بمثل هذا الجواب فى يوم أحد والله أعلم وصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر أى وهذا العريش هو المراد بالقبة فى قول
البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة يوم بدر
اللهم أنشدك عهدك الحديث ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد أى وفى مسلم
انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك ان تشأ لا تعبد فى الارض قال ذلك فى هذا اليوم وفى
يوم أحد قال العلماء فيه التسليم لقدر الله تعالى والرد على غلاة القدرية الذين يزعمون أن الشر
غير مراد لله ولا مقدور له وذكر الامام النووى أن كونه قال ما ذكر يوم بدر هو المشهور وفى
كتب التفسير والمغازى أنه يوم أحد ولا معارضة بينهما فقاله فى اليومين هذا كلامه أى يجوز
أن يكون قال ذلك فى يوم بدر وفى يوم أحد وفى رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر
الشرك ولا يقوم لك دين أى لانه صلى الله عليه وسلم علم أنه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه
لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفى لفظ آخر اللهم لا تودع منى ولا تخذلنى أنشدك ما وعدتنى
لانه كان وعده النصر وفى رواية ما زال يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه
عن منكبيه فاخذ أبو بكر رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك
تناشدك ربك فانه سينجز لك ما وعدك أى وفى رواية والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك أى وفى
لفظ قد ألححت على ربك وكون وعد الله لا يتخلف لا ينافى الالحاح فى الدعاء لان الله يحب الملحين
فى الدعاء وانما قال أبو بكر ما ذكر لانه شق عليه تعب النبى صلى الله عليه وسلم فى الحاحه
بالدعاء لانه رضى الله تعالى عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل لان الصديق كان فى تلك الساعة فى مقام الرجاء والنبى صلى الله عليه وسلم كان فى مقام
الخوف لان الله يفعل ما يشاء وكلا المقامين سواء فى الفضل ذكره السهيلى وحين رأى المسلمون
القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى فانزل الله تعالى عند ذلك اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم أنى ممدكم بالف من الملائكة مردفين أى متتابعين وقيل ردفا لكم ومددا لكم وقيل وراء كل
ملك ملك آخر ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمد الله نبيه يوم بدر بالف
من الملائكة فكان جبريل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فامده الله تعالى بالملائكة
ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وجاء أمده الله بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع

صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فانا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره صلى الله عليه وسلم ويجعل بعضه على عينيه واذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية ببسم الله الرحمن الرحيم أي وبرسالة النبي صلى الله عليه وسلم فحمدت الله الذي هداه للاسلام مع أنه لا مفسدة في عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليهما مصلحة وانما المفسدة لو طلبوا أن يكتب مالايحل ثم كتب على رضي الله عنه هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم على أن

يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به وأراد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اظهار ما تكرم به مع سهيل أولا ليطلع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد للمسلمين في ذلك الصلح فقال سهيل والله لاتخلى بينك وبين البيت وتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب على رضي الله عنه ذلك فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل الا رددته الينا وان كان على دينك ومن جاء قريشا ممن تبعك لم يردوه اليك وفي رواية لمسلم من حديث انس رضي الله عنه أن قريشا صالحت النبي صلى الله عليه وسلم على أن من جاء منا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم فانه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله فرجا ومخرجا وفي رواية للبخاري وكان فيما اشترط سهيل على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا أي غضبوا وأنفوا منه فأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى

ميكائيل وألف مع اسرافيل وهذا رواه البيهقي في الدلائل عن علي باسناد فيه ضعف وقيل وعدهم الله تعالى أن يمدهم بالف ثم زيدوا في الوعد بألفين ثم زيدوا في الوعد بألفين أيضا وقيل أمدهم الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ثم أكملهم بخمسة آلاف قال الله تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أي ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فان ذلك كان يوم بدر على ما عليه الاكثر وقيل يوم أحد كان الامداد فيه بذلك أي بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد باكمالهم خمسة آلاف معلقا على شرط وهو التقوى والصبر عن حوز الغنائم فلم يصبروا ففات الامداد بما زاد على الثلاثة آلاف وهذا الثاني هو الذي في النهر لابي حيان كان المدد يوم بدر بالف من الملائكة ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم بخمسة لو صبروا على أخذ الغنائم فلم يصبروا فلم تنزل هذا كلامه وهو واضح لان عدم صبرهم عن أخذ الغنائم وعدم امتثال أمره انما كان في أحد لا في بدر وروى البيهقي عن حكيم ابن حزام رضي الله عنه أن يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نملا أي نازلا من السماء فوقع في نفسي أن هذا شيء أيد به صلى الله عليه وسلم وهي الملائكة أي وروى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود مبثوث حتى امتلأ الوادي فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم والبجاد كساء مخطط من أكسية الاعراب وسيأتي وقوع مثل ذلك في حنين قال وانما كانت الملائكة شركاء لهم في بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه والا فجبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل بمدائن قوم لوط وأهلك قوم صالح وثمود بصيحة واحدة ولايهام العدو بعد ذلك حيث يعلمون أن الملائكة تقاتل معهم وبهذا يرد ما قيل لم تقاتل الملائكة يوم بدر وانما كانوا يكثرون السواد والا فملك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا كلهم وجاء أن الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر لما رأت أهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم وجاء في حديث مرسل ما رؤي الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الا ما رؤي يوم بدر أي وكذا سائر مواسم المغفرة والعتق من النار كأيام رمضان سيما ليلة القدر وجاء ان ابليس جاء في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني في جند من الشياطين أي مشركي الجن في صور رجال من بني مدلج من بني كنانة معه راية وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اه أي كما قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم وقد خافوا من بني كنانة قوم سراقة وقد تقدم أنه كان وحده ولا منافاة لجواز أن يكون جنده لحقوا به بعد قال فلما رأى جبريل والملائكة وفي رواية وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين أي وهو الحرث بن هشام انتزع يده من يد الرجل ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الرجل ياسراقة أتزعم أنك لنا جار فقال

المشركين وقد جاء مسلما وكان ممن قال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل ابن حنيف رضي الله عنهم وفي رواية أن عمر رضي الله عنه قال يارسول الله أنرضى بهذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم الينا ورددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ومما كتب في كتاب الصلح ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما لا يدخل مكة بالسلاح الا السيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها باحد ان أراد أن يتبعه وأن لا يمنع

من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها وعند ابن اسحق على أن بيننا عيبة مكفوفة أي أمورا مطوية في صدور سليمة اشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها وأنه لا اسلال ولا اغلال أي لا سرقة ولا خيانة والمراد أن يأمن بعضهم من بعض في نفوسهم وأموالهم سرا وجهرا وقيل الاسلال من سل السيوف والاغلال من لبس الدروع وان من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن في عقد محمد

وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا وأنه اذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيره وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفي رواية أربع سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض اه فان قيل ما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلا على هذه الشروط التي من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا ورده اليهم فالجواب كما نقله النووي عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هي ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا باهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه

اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وتشبث به الحرث بن هشام رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضرب به ابليس في صدره فسقط وعند ذلك قال أبو جهل يامعشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة أي والوليد فانهم قد عجلوا واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وذكر السهيلي أنه يروى أن من بقي من قريش وهرب الى مكة وجد سراقة بمكة فقالوا له ياسراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشيء من أمركم وما شهدت وما علمت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه ابليس هذا كلامه قال قتادة صدق ابليس في قوله اني أرى ما لا ترون وكذب في قوله اني أخاف الله والله ما به مخافة من الله قال في ينبوع الحياة ولا يعجبني هذا فان ابليس عارف بالله ومن عرف الله خافه أي وان لم يكن ابليس خافه حق الخوف قيل وانما خاف أن يكون هذا اليوم هو اليوم الموعود الذي قال فيه سبحانه وتعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ورأيت عن سيدي علي الخواص أنه لا يلزم من قول ابليس ذلك أن يكون معتقدا له بالباطن كما هو شأن المنافقين ورأيت عن وهب أن اليوم المعلوم الذي أنظر فيه ابليس هو يوم بدر قتلته الملائكة في ذلك اليوم والمشهور انه منظر الى يوم القيامة ويدل لذلك ما روي أن ابليس لما ضرب الحرث في صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط في البحر ورفع يديه وقال يارب موعدك الذي وعدتني اللهم اني أسألك نظرتك اياي وخاف أن يخلص اليه القتل هذا وفي زوائد الجامع الصغير عن مسلم ان سيدنا عيسى عليه السلام يقتل ابليس بيده بعد نزوله وفراغه من صلاته ويري المسلمين دمه في حربته وفي كلام بعضهم ولعل المراد بيوم القيامة الذي أنظر اليه ابليس ليس نفخة البعث بل نفخة الصعق التي بها يكون موت من لم يمت من أهل السموات وأهل الارض قيل الا حملة العرش وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهؤلاء ممن استثنى الله تعالى في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يموت جبريل وميكائيل ثم حملة العرش ثم اسرافيل ثم ملك الموت فهو آخر من يموت وفي كلام بعضهم الصعق أعم من الموت أي فالمراد ما يشمل الغشي وذهاب الشعور أي فمن مات قبل ذلك وصار حيا في البرزخ كالانبياء والشهداء لا يموت وانما يحصل له غشي وذهاب شعور ويكون المستثنى من القسم الاول من تقدم ذكره من الملائكة ومن القسم الثاني موسى صلوات الله وسلامه عليه فانه جوزي بذلك أي بعدم الغشي وذهاب الشعور بما حصل له من ذلك بسبب صعقة الطور وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يجزم بذلك بل تردد في ذلك حيث قال فأكون أول من رفع رأسه أي أفاق من الغشي فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه أي أفاق من الغشي قبلي أو كان ممن استثنى الله فلم يصعق وفي رواية فاذا موسى متعلق بقائمة العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق

وسلم ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فاسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وغيرهما وازداد الآخرون أي الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد تمهد لهم الميل وكانت العرب من غير قريش ينتظرون باسلامهم اسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأي ولانهم كانوا يقولون قوم الرجل

أعلم به فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ففيه اشارة الى أنه
عند حصول نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه وفتح مكة يدخل الناس فى دين الله جماعات وكان الامر كذلك فجاء العرب
بعد فتح مكة من أقطار الارض طائعين وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فالله ورسوله أعلم بالحكمة البالغة
فان صد المسلمين عن البيت كان فى الظاهر ١٨٤ هضما للمسلمين وفى الباطن عزا لهم وقوة واذلالا للمشركين من حيث أرادوا
العز لانفسهم وقهرهم من حيث
أرادوا الغلبة ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين والله غالب على أمره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون
فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل
وقال البخارى عند ذكر كتابة
الشروط فبينما هم كذلك وقال
ابن اسحق فان الصحيفة لتكتب
اذ دخل أبو جندل واسمه العاص
ابن سهيل بن عمرو يرسف فى
قيوده وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك
رضى الله عنه فحبسه أبوه ومنعه
من الهجرة وأوثقه بالقيود فحين
سمع النبى صلى الله عليه وسلم
وأصحابه بالحديبية احتال على
نفسه حتى خرج من السجن
وتنكب الطريق وركب الجبال
حتى هبط على المسلمين ففرح به
المسلمون وتلقوه فقام سهيل بن
عمرو الى ابنه أبى جندل حين رآه
فضرب وجهه ضربا شديدا حتى
رق عليه المسلمون وبكوا وتلببه
أى جمع عليه ثوبه الذى هو لابسه
وقبض عليه نحره وقال سهيل
هذا يا محمد أول ما أقاضيك أى
أول شئ أحاكمك عليه أن ترده
الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم
انا لم نقض الكتاب بعد أى لم نفرغ
من كتابته فقال سهيل والله اذا
لا أصالحك على شئ أبدا فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم فاجزه لى

قبلى أم كان ممن استثنى الله ولعل بعض الرواة ضم هذا الخبر لخبر الشيخين أنا أول من تنشق
عنه الارض يوم القيامة فاذا موسى الخ وفيه نظر لان المراد يوم القيامة عند نفخة البعث
ونفخة الصعق سابقة عليها كما علمت ويلزم على هذا التردد مع كون الخبر من خبر واحد الاشكال
بجزمه صلى الله عليه وسلم بانه أول من تنشق عنه الارض وأجاب شيخ الاسلام عما يفيد انهما
خبران لا خبر واحد حيث قال التردد كان قبل أن يعلم انه أول من تنشق عنه الارض فهما
حديثان لا حديث واحد قيل قوله صلى الله عليه وسلم لا تخيرونى على موسى فان الناس
يصعقون يوم القيامة فاصعق معهم فأكون أول من يفيق فاذا موسى الحديث يقتضى أنه
صلى الله عليه وسلم ليس أفضل من موسى قلنا هو كقوله صلى الله عليه وسلم من قال أنا خير من
يونس بن متى فقد كذب وذلك منه صلى الله عليه وسلم تواضع أو كان قبل ان يعلم انه أفضل الخلق
أجمعين وقيل الوقت المعلوم خروج الدابة واذا خرجت قتلته بوطئها وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما أن ابليس اذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة وهذه النفخة
التى هى نفخة الصعق مسبوقة بنفخة الفزع التى تفزع بها أهل السموات والارض فتكون
الارض كالسفينة فى البحر تضربها الامواج وتسير الجبال كسير السحاب وتنشق السماء
وتكسف الشمس ويخسف القمر وهى المعنية بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
وبقوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل
ذات حمل حملها الآية وقال تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قيل
وهم الشهداء فقد جاء أن الاموات يومئذ لا يعلمون بشئ من ذلك قلنا يارسول الله فمن استثنى
الله تعالى فى قوله الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء وهم أحياء عند
ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر الشهداء
وسكوته عن الانبياء لعله لما هو معلوم من الاصل أن مقام الانبياء أرقى من مقام الشهداء وان كان
قد يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل ومن ثم قيل الرزق خاص بالشهداء ومن ثم اختصوا
بحرمة الصلاة عليهم ويقال انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمنى الجن سبعون أى لكن
لم يثبت انهم قاتلوا وكانوا مجرد مدد ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خفق خفقة أى مالت
رأسه من النعاس ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه
وفى لفظ آخذ برأس فرسه يقوده على ثناياه النقع أى الغبار وهو يقول أتاك نصر الله اذ دعوته
أى وفى رواية ان جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعدما فرغ من بدر على فرس
حمراء معقودة الناصية قد خضب الغبار ثنيته عليه درعه وقال يا محمد ان الله بعثنى اليك
وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى أرضيت أى ولا مانع من تعدد رؤيته صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام وان هذه بعد تلك وان المرة الاولى مساقها يقتضى انها كانت مناما
وان الغبار فى المرة الثالثة كان أكثر منه فى المرة الاولى بحيث علا على ثناياه ثم خرج رسول الله

قال ما أنا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب بلى قد أجزناه لك فأخذاه وأدخلاه فسطاطا
وكفا أباه عنه فأبى سهيل بن عمرو اجازتهما وقيل انما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه فكان ذلك من فجور مكرز الذى
أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فانه قال ذلك نفاقا وفى باطنه خلافه قال ابن اسحق ثم قال سهيل يا محمد قد لجت القضية أى وجبت
وتمت بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره ويتلببه ويجره ليرده الى قريش فلما رأى أبو جندل أباه معه ماعلى
صلى

أخذه قال أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى رواية
جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنونى فى دينى فزاد الناس ذلك على ما بهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتى وقد تلطفت بأبيك فأبى وان الله جاعل لك ولمن
معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ١٨٥ الى جنب أبى جندل يقول له اصبر يا أبا جندل
فانما هم المشركون وانما دم
أحدهم كدم الكلب ويدنى له
السيف قال عمر رضى الله عنه
رجوت أن يأخذ السيف فيضرب
به أباه وجعل يقول ان الرجل
يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا
لقتلناهم فى الله فقال له أبو جندل
مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
قتله وقتل غيره فقال أبو جندل
ما أنت أحق بطاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم منى ولعل عمر
رضى الله عنه ظن جواز قتل أبى
جندل لابيه لكونه أراد ان يفتنه
عن دينه وان قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل
اصبر واحتسب ثم رجع أبو جندل
رضى الله عنه مكة فى جوار مكرز
ابن حفص وحويطب بن عبد
العزى فأدخلاه مكة وكفا عنه أباه
وسيأتى فى آخر القصة ان أبا جندل
فى مدة الهدنة هرب من مكة
ومعه جماعة من المستضعفين
وانهم انضموا الى أبى بصير وقطعوا
الطريق على قريش حتى كتبت
قريش للنبى صلى الله عليه وسلم
تسأله بالارحام أن يأويهم عنده
كما سيأتى ثم ان سهيل بن عمرو له
ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم
قديما سرا وخرج مع المشركين
يوم بدر فلما وصلوا بدرا انحرج من

صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم
اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم
الحاء المهملة وتخفيف الميم وبيده تمرات يأكلهن بخ بخ كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه
ما بينى وبين ان أدخل الجنة الا ان يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل
القوم حتى قتل أى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات
والارض أعدت للمتقين فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبخبخ أى
تتعجب فقال رجاء أن أكون من أهلها أى وفى رواية ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله
يارسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها فأخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت
حتى آلوكهن وفى لفظ ان حييت حتى آكل تمراتى هذه انها الحياة طويلة فنبذهن وقاتل أى
وهو يقول
ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاد
* غير التقى والبر والرشاد *
ولا زال يقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه وسيأتى فى غزاة أحد مثل هذا لبعض الصحابة
أبهمه جابر رضى الله عنه فى القاء التمرات من يده ومقاتلته حتى قتل فعن جابر رضى الله عنه
قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد أرأيت ان قتلت فأين أنا قال فى الجنة قال فألقى تمرات
فى يده ثم قاتل حتى قتل اخرجه البخارى ومسلم والنسائى وسيأتى ما فى ذلك وقال عوف بن
الحرث بن عفراء يارسول الله ما يضحك الرب من عبده أى ما يرضيه غاية الرضا قال غمسه يده فى
العدو حاسرا أى لا درع له ولا مغفر فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم
حتى قتل رضى الله تعالى عنه فالضحك فى حق الله كناية عن غاية رضاه وقد جاء انه صلى الله
عليه وسلم قال فى طلحة بن الغمر اللهم الق طلحة يضحك اليك وتضحك اليه أى القه لقاء كلقاء
المتحابين المظهرين لما فى أنفسهما من غاية الرضا والمحبة فهى كلمة وجيزة تتضمن الرضا مع المحبة
واظهار البشر فهى من جوامع كلمه التى أوتيها صلى الله عليه وسلم وقاتل فى ذلك اليوم معبد بن
وهب زوج هريرة بنت زمعة أخت سودة بنت زمعة أم المؤمنين رضى الله عنها بسيفين ثم
أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء بالمد أمره بذلك جبريل عليه السلام
كما جاء فى بعض الروايات أى قال له خذ قبضة من تراب وارمهم بها فتناولها صلى الله عليه وسلم
وفى رواية انه قال لعلى كرم الله وجهه ناولنى فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه أى
قبحت الوجوه أى وزاد بعضهم اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفحهم أى ضربهم بها
فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه وفى رواية وأنفه وفمه لا يدرى أين يتوجه يعالج
التراب لينزعه من عينيه أى فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون هذا والمحفوظ
المشهور ان ذلك انما كان فى حنين لكن يوافق الاول ما نقله بعضهم ان قوله تعالى وما رميت

٢٤ سيره ثانى بينهم ودخل فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا والمشاهد كلها وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم
وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشا أرسلت عثمان بن عفان رضى الله عنه وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها
السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع فى المواهب ما يقتضى ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذى ذهب به عثمان كان
متضمنا للصلح الذى وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو وحبست قريش عثمان رضى الله عنه فحبس صلى الله عليه وسلم

سهيلا قال الحلبي ولا يخفى ما فيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح أشهد عليه رجالا من المسلمين وهم أبو بكر وعمر
وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم ومن المشركين حويطب
ابن عبد العزى ومكرز بن حفص وما تم هذا الصلح الا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم
ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط ١٨٦ لا سيما عمر رضي الله عنه فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيرا كما تقدم

ومن مراجعته انه قال له ألست نبي الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فلم نعطي الدنية أي الحالة الدنية الخسيسة في ديننا اذا ونرجع ولم يحكم الله بيننا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليس كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به أي للرؤيا التي رآها قال بلى أفأخبرتك انا نأتيه هذا العام قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به أي وكذلك الصحابة رضي الله عنهم لانه كان صلى الله عليه وسلم أخبرهم بانه رأى انهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وشق عليهم قال عمر رضي الله عنه لقد دخلني أمر عظيم وراجعت النبي صلى الله عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط حتى قال لي أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى البزار عن عمر رضي

اذ رميت ولكن الله رمى نزل يوم بدر هكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد وقتادة قال هذا البعض
وقد فعل عليه الصلاة والسلام مثل ذلك في غزوة أحد هذا كلامه وفي رواية انه صلى الله
عليه وسلم أخذ ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين
أيديهم فقال شاهت الوجوه فانهزم القوم وهذه الحصيات الثلاث قال جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن في طست فأخذهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرمى بهن في وجوه المشركين أي ميمنة وميسرة وبين أيديهم وحين رمى صلى الله عليه وسلم
بذلك قال لاصحابه شدوا فكانت الهزيمة وأنزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقيل
لا مانع من اجتماع الامرين وكل منهما مراد من الآية قال وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر رضي الله عنه كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء
قاتلا بابدانهما جامعين بين المقامين انتهى (أقول) كذا نقل بعضهم عن الاموي ويتأمل ذلك
فاني لم أقف عليه في كلام أحد غيره وكأن قائل ذلك فهم مباشرته صلى الله عليه وسلم للقتال مما
تقدم عن علي رضي الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان أشد الناس بأسا ولا دلالة في ذلك والله أعلم ذكر ابن سعد انه لما انهزم المشركون ولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا السيف يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر
وهذه الآية ذكر في الاتقان انها مما تأخر حكمه عن نزوله فانها نزلت بمكة وكان ذلك يوم بدر
فعن عمر رضي الله تعالى عنه قلت أي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا السيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم
بدر أخرجه الطبراني في الاوسط ولو قاتل صلى الله عليه وسلم لجرح أو قتل من قاتله ولو وقع
ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله وسيأتي في أحد من النور انه صلى الله عليه وسلم لم
يقتل بيده الشريفة قط أحدا الا أبي بن خلف لا قبله ولا بعده والى رميه بالحصا أشار صاحب
الهمزية بقوله ورمى بالحصا فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء
أي ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصا جيشا فأصابهم كلهم بها أي شيء القاء عصا موسى عليه
السلام على حبال سحرة فرعون وعصيهم عند ذلك الحصا المرمى بها لا يقاربه ذلك الالقاء
ولا يدانيه لان ذلك وجد له نظير وهو القاء السحرة الحبال والعصي والرمي بالحصا لم يوجد له نظير
أي وقال صلى الله عليه وسلم حينئذ من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له كما في الامتاع
فلما وضع القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد فوجد في وجهه
الكراهة لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره ما يصنع
القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في
القتل أي الاكثار منه والمبالغة فيه أحب الي من استبقاء الرجال (وذكر بعضهم) ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انكم قد عرفتم ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا
اكراها

الله عنه اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيي وما ألوت عن الحق فرضي صلى الله
عليه وسلم وأبيت حتى قال يا عمر تراني رضيت وتأبى وفي رواية قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله فرجع متغيظا فلم يصبر حتى
جاء أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية في ديننا اذا فقال
أبو بكر أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه فاستمسك بغرزه أي ركابه أي لا تفارقه فوالله انه على الحق قال قلت أوليس كان

يحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فاجابه بمثل ما أجابه النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ان هذه الرواية مصرحة بان اتيانه لابي بكر كان بعد اتيانه للنبي صلى الله عليه وسلم وتقدمت رواية صحيحة بان ذلك كان
قبل اتيانه صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان تلك المراجعة تكررت فجاء لابي بكر وراجعه قبل وبعد ودل جواب أبي بكر الموافق
لجواب النبي صلى الله عليه وسلم على ان أبا بكر رضي الله عنه أكمل الصحابة علما ١٨٧ وأعرفهم باحوال النبي صلى الله عليه وسلم

وأعلمهم بامور الدين وأشدهم موافقة لامر الله تعالى فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره وقد جاء في بعض الروايات ان المسلمين استنكروا الصلح المذكور وكانوا على رأي عمر رضي الله عنه وعنهم فلم يوافقهم أبو بكر رضي الله عنه بل كان قلبه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ومر في الهجرة ان ابن الدغنة وصفه بمثل ما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء ولجلالة قدر أبي بكر وسعة علمه عند عمر رضي الله عنه لم يراجع عمر في ذلك أحدا بعده صلى الله عليه وسلم أو قبله غير الصديق وانما سأله بعد سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم لشدة ما حصل لعمر رضي الله عنه من الغيظ ولقوته في نصر الدين واذلال الكافرين قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه شكا في الدين حاشاه رضي الله عنه ففي رواية ابن اسحق أنه لما قال له الزم غرزه فانه رسول الله قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله

اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله أي بل يأسره وذكر أبا
البختري بن هشام أي فقال من لقي أبا البختري فلا يقتله أي لانه كان ممن قام في نقض الصحيفة
وأنص على العباس بن عبد المطلب فقال أبو حذيفة رضي الله تعالى عنه أيقتل آباؤنا وأبناؤنا
واخواننا وعشيرتنا ويترك العباس أي لانه تقدم ان أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أول
من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهي بنو عبد شمس قد قتل منها جماعة لئن لقيته يعني
العباس لالجمنه السيف هو بالمهملة والمعجمة فبلغت أي تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال
عمر والله انه لاول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي حفص يا رسول الله دعني
أضرب عنقه يعني أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من
تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا ان تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة
شهيدا في جملة من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل ستمائة رضي الله عنهم
ولقي المجذر رضي الله عنه أبا البختري فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك
فقال وزميلي أي ورفيقي وكان معه زميل له خرج معه من مكة أي يقال له جنادة بن مليحة فقال له
المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله
اذا لاموتن أنا وهو جميعا لا تتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي أي يقتل حرصا على الحياة
فقتله المجذر أي بعد ان قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد
جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به فأبى الا ان يقاتلني فقتلته (أقول) لعل المجذر فهم ان ما عدا
من نهي عن قتله يقتل وان استأسر حتى قال ما نحن بتاركي زميلك أي ولا بد من قتله وان
استأسر فكان ذلك حاملا لابي البختري على ان لا يستأسر ويترك زميله فيقتل خوف لسبة
والله أعلم أي وكان من جملة من خرج من المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله
عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن ولد أبيه وكان صالحا
وفيه دعابة فلما أسلم قال لابيه لقد أهدفت لي أي ارتفعت لي يوم بدر مرارا فصدفت عنك
أي أعرضت عنك فقال أبو بكر لو هدفت لي لم أصدف أي أعرض عنك فالمراد بكونه أهدف
له ارتفع وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن بن أبي بكر يوم بدر دعا الى البراز
فقام اليه أبوه أبو بكر ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر
أما علمت انك عندي بمنزلة سمعي وبصري أي وفي بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن
يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم أين مالي يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة
الحرب التي هي السلاح وفرس سريعة الجري وجنان يقاتل عليه شيوخ الضلال أي وهذا
يدل على ان الصديق رضي الله تعالى عنه ترك مالا عند أهله لما هاجر وهو قد يخالف ما تقدم

بل كان سؤاله طلبا لكشف ما خفي عليه من المصلحة وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصر الدين
واذلال المبطلين ففي ذلك دليل على جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى وفي البخاري قال عمر رضي الله عنه فعملت لذلك أعمالا
وفي ابن اسحق فما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون
خيرا وعند الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا وانما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة

بامتثال الامر وان كان معذورا فى جميع ماصدر منه بل ماجور الانه مجتهد وانما توقف لتظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة
ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح والاشهاد وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب قام صلى الله عليه وسلم الى
هديه فنحره ومن جملته جمل كان لابى جهل نجيب مهرى غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له صلى الله عليه وسلم وكان يضرب فى
لقاحه صلى الله عليه وسلم وفى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب وانما أدخله صلى الله عليه وسلم فى الهدى ليكون
فى ذبحه اغاظة للمشركين وكان قد
فرهذا الجمل من الحديبية ودخل
مكة وانتهى الى دار أبى جهل
وخرج فى أثره عمرو بن غنمة
الانصارى فابى سفهاء مكة أن
يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو
بدفعه ودفعوا فيه عدة نياب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
انا سميناه فى الهدى فعلنا وفى لفظ
قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه
فاعرضوا على محمد مائة من الابل
فان قبلها فامسكوا هذا الجمل
والا فلا تتعرضوا له فعرضوا ذلك
عليه صلى الله عليه وسلم فابى وقال
لولم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت
المائة فردوه اليه فنحره وفرق لحمه
ولحم بقية الهدى على الفقراء
الذين حضروا الحديبية وفى
رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث
الى مكة عشرين بدنة مع ناجية
رجل من أسلم وفى رواية أنه صلى
الله عليه وسلم بعد فراغهم من
الكتاب أمرهم بالنحر والحلق
ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد
فدخل على أم سلمة رضى الله عنها
وهو شديد الغضب فاضطجع
فقالت ماشانك يا رسول الله
فذكر لها مالقى من الناس وقال
لها هلك المسلمون أمرتهم
أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا
وفى لفظ قال عجبا يا أم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر
فلا يفعلونه قالت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى و ينظرون وجهى
فقالت يارسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت
اليه أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم و ينحر بدنه و يحلق رأسه ففعل ذلك أى أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى

عن ابنته أسماء من قولها ان أبا بكر ارسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم
الى الغار فدخل علينا جدى أبو قحافة الحديث ولعل ماله الذى عناه الصديق ما كان من نحو
امتعة و بعض مواشى لا النقد فلا مخالفة (و يروى عن ابن مسعود) ان الصديق رضى الله
تعالى عنه دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم أحد الى البراز فقال له النبى صلى الله عليه وسلم متعنا
بنفسك اما علمت انك منى بمنزلة سمعى و بصرى فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا الله
وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى فى نزول الآية لكن يبعد نزولها فى
أحد أيضا كون أبى بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا فى بدر ثم رأيت ابن ظفر قال فى الينبوع
انه لم يثبت أن أبا بكر دعا ابنه للمبارزة وانما هو شئ ذكر فى كتب التفسير فأنزل الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا استجيبوا الله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فالآية مدنية لا مكية و به يرد ما ذكر
أن سببها ان أبا بكر سمع والده أبا قحافة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط
منها فأخبر أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرنى السيف
لقتلته به وفى كلام الزمخشرى أن عبد الرحمن أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات
سنة ثلاث وخمسين بجبل بينه و بين مكة ستة أميال وحمل على أعناق الرجال الى مكة
وقدمت أخته عائشة رضى الله تعالى عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه أى وفى هذا اليوم
الذى هو يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا فان أباه قصده ليقتله فولى عنه أبو
عبيدة لينكف عنه فلم ينكف عنه فرجع عليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم
الآية وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال لقد لقيت أمية بن خلف وكان صديقا
لى فى الجاهلية ومعه أى مع أمية ابنه على أى آخذ بيده وكان على ممن أسلم والنبى صلى الله عليه
وسلم بمكة قبل ان يهاجر ففتنهم أقاربهم عن الاسلام ورجعوا عنه وماتوا على كفرهم وأنزل الله
تعالى فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية أى وهم الحرث بن ربيعة
وأبو قيس بن الفاكه وأبو قيس بن الوليد والعاص بن منبه وعلى بن أمية المذكور (وفى السيرة
الشامية) وذلك انهم كانوا أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المدينة حبستهم آباؤهم وعشيرتهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا أى رجعوا عن
الاسلام ثم ساروا مع قومهم الى بدر فاصيبوا جميعا وسياقه كما ترى يقتضى انهم لم يرجعوا الى
الكفر الا بعد الهجرة وسياق ما قبله ربما يقتضى انهم رجعوا الى الكفر قبل ان يهاجر صلى الله
عليه وسلم قال عبد الرحمن بن عوف وكان معى أدراع استلبتها أى فانا أحملها فلما رآنى أمية نادانى
باسمى الاول يا عبد عمرو فلم أجبه لانه كان قال لى لما سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد
الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم قال الرحمن لا أعرفه ولكنى أسميك بعبد الاله
كما تقدم فلما نادانى بعبد الاله قلت نعم أى وظاهر السياق يقتضى انه عرف انه المراد بذلك وانه

ترك

البدنة رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل قبة له من أدم ودعا بخراش الخزاعى فحلق رأسه و رمى شعره على شجرة فاخذه الناس
وتحاصوه وأخذت أم عمارة رضى الله عنها طاقات منها فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه صلى الله عليه وسلم التى نحرها
بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قاموا ونحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام
وارادة التعجيل اقتداء به صلى الله عليه وسلم وكان نحرهم لا يهدايا الحديبية وهى فى الحرم فى قول مالك رضى الله عنه
و بعضها فى الحل و بعضها فى الحرم
فى قول الشافعى رضى الله عنه وفى
رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم
أمر بالهدى فساقه المسلمون الى
جهة الحرم فقام اليه مشركو
قريش فحبسوه فامر صلى الله عليه
وسلم بنحره وعن ابن عباس رضى
الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن
البيت حنت كما تحن الى أولادها
فنحر صلى الله عليه وسلم بدنه حيث
حبسوه وهى الحديبية والمراد
نحر أكثره فلا ينافى ما رواه ابن
سعد عن جابر رضى الله عنه قال
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه
عند المروة مع رجل من اسلم و بعث
الله ريحا فحملت شعورهم فالقتها
فى الحرم جبرالهم فى صدهم عن
البيت فاستبشروا بقبول عمرتهم
قال الزرقانى ولعل المراد غير شعره
صلى الله عليه وسلم أى لانه أخذه
المسلمون كما تقدم ويحتمل انهم
أخذوا أكثره وألقت الريح باقيه
فى الحرم وحلق رجال وقصر آخرون
فقال صلى الله عليه وسلم يرحم الله
المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم
الله المحلقين قالوا والمقصرين قال
والمقصرين وفى رواية وقال فى
الرابعة والمقصرين وانما توقف
الصحابة رضى الله عنهم بعد الامر
لاحتمال أنه للندب أو لرجاء نزول
الوحى بابطال الصلح أو تخصيصه بمن أذن لهم فى دخول مكة ذلك العام لاتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لانه زمان وقوع النسخ ويحتمل
أن صورة الحال أبهتتهم فاستغرقوا فى الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم
بالغلبة أو لان الامر المطلق لا يقتضى الفور ويحتمل مجموع هذه الامور لمجموعهم أو فهموا انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل
أخذا بالرخصة فى حقهم وأنه هو يستمر على الاحرام أخذا بالعزيمة فى حق نفسه فاشارت اليه أم سلمة بالتحلل لينتفى هذا الاحتمال

ترك اجابته قصدا حيث جعله عبد اللصنم و يحتمل وهو الاقرب انه لم يجبه لعدم معرفته انه
المراد بذلك الاسم لكونه هجر بالمرة فلما ناداه أمية بعبد عمرو تذكر عرفه وعرف انه المراد بذلك لما
ذكر وعند ذلك قال له أمية هل لك فىّ فانا خير لك من هذه الادراع التى معك قلت نعم
فطرحت الادراع من يدى وأخذت بيده وبيد ابنه على وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال
لى يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره أى كانت فى درعه بحيال صدره قلت
ذلك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل وقيل قائل ذلك ابنه ثم خرجت أمشى
بهما فوالله انى لاقودهما اذ رآه بلال معى وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على ان يترك الاسلام
أى كما تقدم فقال بلال رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا فقلت أى بلال افبأسيرى
أى تفعل ذلك بهما قال لا نجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ باعلى صوته يا انصار الله
رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا وكرر ذلك فأحاطوا بنا فأصلت رجل السيف أى سله
من غمده وذلك الرجل هو بلال فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها
قط فضربوهما باسيافهم فهبروهما (أقول) الذى فى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا
لما استصرخ الانصار قال خشيت ان يلحقونا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم أتونا حتى
لحقونا وكان أمية رجلا ثقيلا أى كما تقدم فقلت ابرك فالقيت نفسى عليه لامنعه فتخللوه
بالسيوف من تحتى حتى قتلوه فاصاب أحدهم رجلى بسيفه أى ظهر قدمه وفى كلام ابن عبد
البر قال ابن هشام قتل أمية بن خلف معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف اشتركوا
فيه قال ابن اسحق وابنه على قتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف هذا شهد المشاهد كلها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج بنت خارجة بعد ان توفى عنها أبو بكر الصديق رضى الله
تعالى عنه وهو جد حبيب شيخ مالك رضى الله تعالى عنه والله أعلم (وكان عبد الرحمن بن عوف)
يقول يرحم الله بلالا ذهبت ادراعى وفجعنى باسيرى أى وفى رواية لما كان يوم بدر حصل لى درعان
واقينى أمية فقال خذنى وابنى فانا خير لك من الدرعين فالقيت الدرعين فاخذتهما فلما قتلا صار
يقول يرحم الله بلالا فلا درعى ولا أسيرى أى لانه صلى الله عليه وسلم جعل فى هذه الغزاة ان كل
من أسر أسيرا فهو له كما تقدم وسيأتى أى له فداؤه وهو يخالف ما عليه أئمتنا ان مال فداء الاسرى
ورقابهم اذا استرقوا كسائر اموال الغنيمة الا ان يقال ذلك كان فى صدر الاسلام ترغيبا فى
الجهاد ثم استقر الامر على ما قاله فقهاؤنا أى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل
ابن خويلد فقال على كرم الله وجهه انا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله
الذى أجاب دعوتى فيه أى فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معاشر قريش
اليوم يوم الرفعة والعلاء فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى نوفل بن خويلد وفى كلام بعضهم
ما يفيد ان قتل على كرم الله وجهه له كان بعد ان أسره جبار بن صخر فقد جاء أن جبارا بينما
هو يسوقه اذ رأى عليا فقال يا أخا الانصار من هذا واللات والعزى انه ليريدنى فقال هذا على

ففعلوا فلما رأوه بادروا الى فعل ما أمرهم به اذ لم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ما وقع لهم فى غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر فى رمضان فابوا حتى شرب فشربوا وفى سؤاله أم سلمة رضى الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة وفضل أم سلمة رضى الله عنها ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأى فاصابت الا أم سلمة قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب فى أمر موسى عليهما الصلاة والسلام أى حين قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وفى قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وفى الصحيح عن جابر رضى الله عنه قال قال لنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وروى أحمد باسناد حسن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما كنا بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم لا توقدوا نارا بليل فلما كان بعد ذلك قال أوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم وفى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضى الله عنه أنه لم يحضر هذه البيعة كما أنه لم يحضر غزوة بدر وأجيب بان هذه البيعة انما كانت لاجله لما أشاعوا موته وغيبته انما هى لامتثاله أمر الله ورسوله وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه عن عثمان وضرب بيده على الاخرى ولما رجع بايع كما تقدم فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأما عدم حضوره غزوة بدر فكان بامر النبى صلى الله عليه وسلم لاجل تمريض ابنته رقية رضى الله عنها وقد عده صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وضرب له بسهمه فهو معدود من البدريين فاخراجه غلط ظاهر ودل قوله لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة وأما قولهم العشرة المبشرون بالجنة فالمراد انهم ذكروا باسمائهم فى حديث واحد حيث قال أبو بكر فى الجنة الى آخرهم قال ابن عبد البر ليس فى الغزوات ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان قال الزرقانى لكن قال غيره الراجح وفى

ابن أبى طالب فعمد له على كرم الله وجهه فقتله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى جهل أن يلتمس فى القتلى وقال ان خفى عليكم أى بان قطع رأسه وازيل عن جثته انظروا الى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أسن منه أى أكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش أى خدش على احديهما فلم يزل أثره به أى ولعل هذا هو محمل قول بعضهم انه صلى الله عليه وسلم صارع أبا جهل فانه لم يصح انه صارعه ولعل هذا الاثر هو الذى عناه ابن مسعود رضى الله عنه بقوله لما قتلت أبا جهل لعنه الله وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت أبا جهل فقال لى عقيل وهو اسير عند النبى صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته فقلت له بل أنت الكذاب الآثم يا عدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال صدقت وكان أبو جهل قد استفتح أى طلب الحكم على نفسه لانه لما دنا القوم بعضهم من بعض قال اللهم اقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرف فاحنه أى أهلكه الغداة أى زاد بعضهم اللهم من كان أحب اليك وارضى عندك وفى لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره اليوم فانزل الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح (أقول) كون أبى جهل طلب الحكم على نفسه واضح لو سكت عن قوله وأتانا بما لا نعرف اذ هو نص فيه صلى الله عليه وسلم وفى تفسير سهل أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وارضاهما لك أى وفى رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث فنزل ان تستفتحوا يعنى تستنصروا فقد جاءكم الفتح وفى أسباب النزول للواحدى ان المشركين حين أرادوا الخروج من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين فانزل الله تعالى الآية وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين والله أعلم قال معاذ بن عمرو بن الجموح رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وجعلت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه أى أسرعت قطعه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى والمرضخة بالخاء المعجمة وبالمهملة وقيل الرضخ بالمعجمة كسر الرطب وبالمهملة كسر اليابس وضربنى ابنه أى عكرمة رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جسمى وأجهضنى القتال أى شغلنى عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت عليها حتى طرحتها وفى رواية فجاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها أى والصقها فالتصقت والى ذلك يشير الامام السبكى فى تائيته لكن قال ابن عفراء ولا منافاة لجواز أن يكون معاذ بن عمرو بن الجموح بن عفراء أو نسب الى ما يدل على ذلك قوله

وبانت بها كف ابن عفراء فاشتكى * اليك فعادت بعد أحسن عودة

الا أن قوله بها يرجع لغزاة أحد وقد علمت أن ذلك انما هو ببدر واحتمال تكرر ذلك فى أحد

تقديم أحد على الحديبية وأن التى تلى غزوة بدر فى الفضل وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما وقال بعضهم كانت مدة غزوته هذه كلها شهرا ونصفا ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفى نفوس أصحابه رضى الله عنهم شئ من عدم الفتح الذى كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم وقال ابن اسحق نزلت وهو بضجنان بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل على بريد من مكة وفى البخارى عن عمر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورة هى أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واختلف الناس فى المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضى الله عنهم الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح قال الحافظ ابن حجر ان الفتح فى اللغة فتح المغلق والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت فكانت الصورة الظاهرية ضيما للمسلمين والباطنة عزا لهم فان الناس للامن الذى وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفى اسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا أى حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر فيه بالماضى لتحقق وقوعه وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفى وقيل المعنى قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت وأصحابك قابلا من الفتاحة وهى الحكومة وفى الصحيح عن البراء رضى الله عنه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر يعنى بالفتح قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد وقع فيه اختلاف قديم والتحقيق أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الامن ورفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول فى الاسلام والوصول الى المدينة منهما

وفى بدر لشخص واحد بعيد الا أن يثبت النقل بذلك ثم مر بابى جهل وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق أى وما جاء فى بعض الروايات ضربه حتى برد بفتح الموحدة والراء والدال المهملة أى مات لا ينافيه لانه يجوز أن يكون المراد صار فى حالة من مات بان صار الى حركة المذبوح ومن ثم جاء فى بعض الروايات حتى برك بالكاف بدل الدال أى سقط الى الارض أى الى جنبه والا فقطع قدمه مع نصف ساقه لا يفضى غالبا أن يسقط الى جنبه ومعوذ هذا لا زال يقاتل حتى قتل قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه رأيت أبا جهل بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبم اخزانى اعار على رجل قتلتموه أى ليس بعار على رجل قتلتموه وفى رواية أعمد من رجل قتلتموه أى انا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم أى فلا عار على فى قتلكم اياى وجاء أنه قال لو غير أكار قتلنى والاكار الزراع يعنى الانصار لانهم كانوا أصحاب زرع أى لو كان الذى قتلنى غير فلاح لكان أحب الى واعظم لشأنى ولم يكن على فى ذلك نقص لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعبا أخبرنى لمن الدبرة أى النصرة والظفر اليوم زاد فى رواية لنا أو علينا قلت لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحاح فى دبر بالباء الموحدة والدبرة الهزيمة فى القتال ومما يدل للاول ما تقدم من قول أبى جهل أخبرنى على من كانت الدبرة لنا أو علينا وفى مغازى ابن عقبة التى قال فيها مالك رضى الله تعالى عنه مغازى موسى بن عقبة أصح المغازى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك فى وجهه ثم قال اللهم لا تعجزنى فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد ولمسلم برك أى وهو المراد من الاول كما تقدم فاخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل الحديث وأخذه بلحيته لا ينافى وضع رجله على رقبته لجواز أن يكون جمع بينهما قال ابن مسعود ثم احتززت رأسه وفى رواية رويت عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لما ضربته بسيفى لم يغن شيأ فبصق فى وجهى وقال خذ سيفى فاحتز به رأسى من عرشى ليكون أهيب للرقبة والعرش عرق فى أصل الرقبة ففعلت كذلك ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذى لا اله غيره أى ورددها ثلاثا وروى الطبرانى آلله قتلت أبا جهل بنصب الجلالة وهو بهذا اللفظ عندنا كناية عن ومثل النصب الرفع والجر قال قلت نعم والله الذى لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى أى ويقال انه صلى الله عليه وسلم سجد خمس سجدات شكرا ويقال انه قال الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون أبى جهل بصق فى وجه ابن مسعود رضى الله عنه وقال له خذ سيفى الخ ينافى كونه وصل الى حركة المذبوح

وتتابع الامر الى أن كمل الفتح أى بفتح مكة وأما قوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لانها هى التى وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وروى الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصارى الاوسى رضى الله عنه قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وهو موضع أمام عسفان وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل يارسول الله أوفتح هو قال أى والذى نفسى

بيده انه لفتح وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال تهنيك يارسول الله فلما هنأه جبريل هنأه الناس وروى موسى ابن عقبة والزهرى والبيهقى عن عروة بن الزبير قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم فى الامان ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد اذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم فى أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يانبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت أعلم بالله وأمره منا وروى سعيد ابن منصور باسناد صحيح عن الشعبى فى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال لم يكن فى الاسلام فتح قبله أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضع الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد ذو عقل فى تلك المدة بالاسلام الا دخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم خرج فى الحديبية فى ألف وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة فى عشرة آلاف وما ظهر من مصلحة الصلح انه كان مقدمة بين يدى الفتح الاعظم الذى

الا أن يقال يجوز أن يكون فى أول الامر كان كذلك ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ماذكر فليتأمل مع ما يأتى قيل وبهذا أى بحمل رأس أبى جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على الزهرى قوله لم يحمل الى النبى صلى الله عليه وسلم رأس قط ولا يوم بدر وحمل رأس لابى بكر رضى الله عنه فانكره ويجاب بان البيهقى رحمه الله قال ماروى من حمل رأس أبى جهل قد تكلم فى ثبوته وبتقدير صحته فهو من محل الى محل لا من بلد الى بلد أى من بلد الكفر الى دار الاسلام أى الذى أنكره أبو بكر رضى الله عنه فانه أنكر نقل الرأس من بلد الكفر الى بلد الاسلام وقد جوزه من أئمتنا الماوردى والغزالى اذا كان فى ذلك مكايدة للكفار وفى النور تحصلنا على جماعة حملت رؤسهم اليه صلى الله عليه وسلم أبو جهل وسفيان بن خالد وكعب بن الاشرف ومرحب اليهودى والاسود العنسى على ماروى وعصماء بنت مروان ورفاعة بن قيس أوقيس بن رفاعة أى ورأس عتبة بن أبى وقاص الذى كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشق شفته السفلى يوم أحد كما سيأتى وفى وضع ابن مسعود رضى الله تعالى عنه رجله على عنق أبى جهل وقطع رأسه تصديق لتعبيره للرؤيا التى رآها لابى جهل وقال له ان صدقت رؤياى لاطأن رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة وفى رواية ان ابن مسعود رضى الله عنه وجده مقنعا فى الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة أى الخودة عن قفاه لان سابغة البيضة ما يغطى بها العنق ومن ثم يقال بيضة لها سابغ فضربه فوقع رأسه بين يديه وعن ابن مسعود كما فى المعجم الكبير للطبرانى انتهيت الى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعى سيف ردئ فجعلت أنقف رأسه واذكر نقفا كان ينقف رأسى بمكة فاخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست برويعى بمكة فقتلته ثم سلبته فلما نظرت اليه اذ هو ليس به جراح واذا هى أحدار أى أورام فى عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط أى آثار سود كهيئة النار أى ليس به جراح من جراح الآدميين داخل بدنه فلا ينافى ما تقدم من قطع ابن الجموح رجله ويجوز أن يكون ضرب ابن عفراء حتى اثبته لم ينشأ عنه جراحة داخل بدنه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره به فقال ذلك ضرب الملائكة أى فان الملائكة عليهم السلام كانت لا تعلم كيف قتل الآدميين فعلمهم الله تعالى ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان أى مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كهيئة النار ولا ينافى ذلك وصفه بالخضرة فى بعض الروايات لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه أسود وتلك الآثار فى الاعناق والبنان الظاهر ان ذلك يكون موجودا حتى بعد مفارقة الرأس أو اليد ليستدل به على أن مفارقة الرأس أو اليد من فعل الملائكة وينبغى أن يكون هذا أى ضربهم فوق الاعناق والبنان أكثر أحوالهم فلا ينافى وجود ضربهم فى الكتفين كما تقدم وفى الوجه والانف فعن بعض الصحابة رضى الله عنهم كنا ننظر الى المشرك أمامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر

دخل الناس عقبه فى دين الله أفواجا فكانت قصة الحديبية مقدمة الفتح فسميت فتحا اذ مقدمة الظهور ظهور وجاء انهم فى مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة فقالوا يارسول الله جهدنا أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر أى ابل فانحره لنا نأكل من لحمه وندهن من شحمه ونحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا لقينا عدونا غدا جياعا رجالا ولكن ان رأيت

أن تدعو الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو لهم فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا أوعيتكم فأخذوا ما شاء الله وملؤا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة وأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ماء أى قليل من ماء وقيل للماء اليسير نطفة لانه ينطف أى يصب فأفرغها فى قدح ووضع راحته الشريفة صلى الله عليه وسلم

فاخضر ذلك الموضع وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس وهو غير مناسب لما ذكرنا وروى عن سهل بن حنيف عن أبيه رضى الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك أى يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف ويمكن الجمع بين هذا وماقبله بان ضرب الملائكة فى الاعناق تارة يفصلها وتارة لا وفى الحالتين يرى أثر ذلك أسود فى العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة كما تقدم وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انتهيت الى أبى جهل يوم بدر وقد قطعت رجله وهو صريع وهو يذب الناس عنه بسيف له فقلت الحمد لله الذى أخزاك يا عدو الله قال هل هو الا رجل قتله قومه قال فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل فاصبت يده فبدر أى سقط سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته ثم خرجت حتى آتيت النبى صلى الله عليه وسلم كأنما أقل من الارض أى احمل من شدة الفرح فاخبرته فقال الله الذى لا اله الا هو وفى لفظ تقدم لا اله غيره رددها ثلاثا وفى رواية عن ابن مسعود فاستحلفنى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ثم قال الحمد لله الذى أعز الاسلام وأهله ثلاث مرات وخر ساجدا أى خمس سجدات شكرا كما تقدم وفى رواية صلى ركعتين قال ابن مسعود رضى الله عنه ثم انه صلى الله عليه وسلم خرج يمشى معى حتى قام عليه فقال الحمد لله الذى أخزاك يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة زاد فى لفظ ورأس قاعدة الكفر ونفلنى سيفه أى وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة ومع قصره كان أقصر من سيف ابن مسعود فلا منافاة (أقول) يجوز أن يكون المضى اليه بعد القاء الرأس بين يديه صلى الله عليه وسلم استعظاما لقتله أى وان ابن مسعود فى هذه الرواية سكت عن قطع رأسه والمجىء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مخالفة وقد قال له النبى صلى الله عليه وسلم يوما وقد أخذ بمجامع ثوبه أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أى وعيدا على وعيد فقال ما تستطيع أنت ولا ربك بى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فانزل الله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى وقيل نزلت كالتى قبلها فى عدى بن ربيعة لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت هذا اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام فانزل الله تعالى أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه الآيات والله أعلم وعن قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف الهيئة قتلته الملائكة وفى لفظ قتله ابن عفراء وقتلته الملائكة وقد ذففه أى أجهز عليه ابن مسعود وابن عفراء هذا يجوز أن يكون هو معاذ بن عمرو بن الجموح ويجوز أن يكون أخاه معاذ بن الحرث وكونه قتله لانه أزال منعته كما تقدم وفى مسلم عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف نظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة أسنانهما فغمزنى أحدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام قلت نعم وما حاجتك به قال بلغنى أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده أى

فى ذلك الماء فتوضأنا كلنا أى الاربعة عشرة مائة ندغفقه دغفقة أى نصبه صبا شديدا وذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون انه صلى الله عليه وسلم رأى وهو بالحديبية ان يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فاخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا اين رؤياك يارسول الله فانزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية قال الحلبى فى السيرة ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا

المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هذا الذى قلت لكم ولما كان فى حجة الوداع ووقف بعرفة قال هذا الذى قلت لكم فان قيل انه لم يذكر فى الرؤيا انه أخذ المفتاح ولان يقف بعرفة أجيب بانه يجوز أن يكون أخبر بذلك بعد الرؤيا أو ان المراد من ذلك مجرد دخوله والله أعلم والشجرة التى كانت البيعة عندها بلغ عمر رضى الله عنه فى خلافته ان ناسا يأتون عندها ويطوفون بها فخاف رضى الله عنه من اتساع الامر وظهور البدعة وأن تعبد كالاصنام فأمر بها فقطعت ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن تهاجر صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فى مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة وصحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وهى أخت عثمان ابن عفان رضى الله عنه لامه لان أم عثمان رضى الله عنه تزوجها بعد أبى عثمان عقبة بن أبى معيط فولدت له الوليد بن عقبة وأم كلثوم بنت عقبة وذكر بعضهم انها أول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وأعلمتها انها جاءت مهاجرة وتخوفت ان يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا بالشرط فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها أعلمته فرحب بام كلثوم فخرج أخواها عمارة والوليد فى ردها بالعهد فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فقالت يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء الضعف أفتردنى الى الكفار يفتنونى عن دينى ولا صبر لى فنزل القرآن بان النساء المؤمنات لا يرجعن وان الشرط فى الرجال فقط وان النساء يمتحن قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية فأبى صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة انها ما هاجرت نشزا ولا هاجرت الا لله ورسوله وفى رواية كانت المرأة اذا جاءت حلفها عمر بالله أنها ما خرجت

شخصى شخصه حتى يموت الاعجل منا أى الاقرب أجلا فغمزنى الآخر فقال مثلها فعجبت لذلك أى لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب أى ألبث أن نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس أى بالزاى يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما ألا تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه أى أشرفا به على القتل فصيراه الى حركة مذبوح ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه أى ما عدا سيفه لهما فلا ينافى ما سبق من اعطائه لابن مسعود رضى الله عنه وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ابن الحرث فهما أى معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن الحرث ابنا عفراء غاية الامر ان الاول اشتهر بابيه عمرو بن الجموح والثانى اشتهر بامه التى هى عفراء وقول الحافظ ابن حجر ان معاذ بن عمرو ابن الجموح ليس اسم أمه عفراء يجوز أن يكون مستنده فى ذلك مقابلة ابن الجموح بابن عفراء فى كلامهم المقتضى ذلك لان يكون ابن الجموح ليس ابن عفراء ولا يشكل على ذلك ما فى النور نقلا عن الامام النووى أن عمرو بن الجموح وابنى عفراء أى معاذ ومعوذ اشتركوا فى قتل أبى جهل لان معاذ الثانى ابن الحرث فكل من عمرو بن الجموح والحرث تزوج عفراء وكل سمى ولده منها معاذ ويدل لذلك ما يأتى عن الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله ابنى عفراء اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ولما قيل له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة ولم يقل عمرو بن الجموح لكن رأيت بعضهم ذكر أن عفراء اشهد لها بدرا سبع بنين ثلاثة من الحرث ابن رفاعة وهم معوذ ومعاذ وعاقل وأربعة من بكير بن عبد ياليل وهم خالد واياس وعاقل وعامر واستشهد منهم ببدر معاذ ومعوذ وعاقل هذا كلامه وذكر عامر فى الاول تقدم بدله ذكر عوف وهو واضح فقد تقدم أن عوف بن الحرث بن عفراء قال يا رسول الله ما يضحك الرب الخ ولم يذكر هذا البعض من أولادها معاذ بن عمرو بن الجموح وهو يؤيد ما تقدم عن الحافظ وعن الامام النووى فعليك بالتأمل وقيل قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح (أقول) أى لكونه هو الذى أزال منعته فاستحق سلبه ولا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لهما كلاكما قتله لجواز أن يكون أتى بذلك ملاطفة للثانى وترغيبا له فى الجهاد لمشاركته له فى قتله لانه زاد فى اثخانه الى أن صيره الى آخر رمق ويرده كونه صلى الله عليه وسلم أشركهما فى سلبه ومن ثم قال فقهاؤنا يعطى السلب لمن أثخن دون من قتل أى بعد ذلك فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلب أبى جهل لمثخنه ابن عفراء دون قاتله ابن مسعود لكن هذا القيل قال به بعض آخر من فقهائنا وهو الموافق لما فى البخارى فى كتاب فرض الخمس معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن عفراء فقتلا أبا جهل ثم تنازعا فيه وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى السيفين فرأى فيهما أثر الدم فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح قال الاصحاب لانه أثخنه والآخر

جرحه

رغبة بارض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله فاذا احلفت لم ترد ويرد صداقها الى بعلها فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا بذلك ولم يكن لام كلثوم زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه فكان صلى الله عليه وسلم فى مدة الصلح يرد الرجال ولا يرد النساء بعد امتحانهن وممن جاء من الرجال الى النبى صلى الله عليه وسلم أبو بصير وكان مسلما بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة فكتب فى رده أزهر بن عبد عوف وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس ابن شريق الثقفى حليف بنى زهرة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه كتابا وبعثا به رجلا من بنى عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبى بن كعب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك فقال يا رسول الله أتردنى الى المشركين يفتنونى فى دينى قال يا أبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما وصار المسلمون يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يريدون بذلك اغراءه على من معه حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار ومعه صاحباه فقال أبو بصير لاحد صاحبيه ومعه سيفه أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله العامرى ثم هزه وقال لاضربن بسيفى هذا فى الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير ناولنيه أنظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعنى مات ثم طلب المولى الذى كان معه يهديه الطريق فوجده قد خرج سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصى يطن تحت قدميه وفى لفظ يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير فى أثره قد أعجزه

جرحه بعده وقوله كلاكما قتله تطييب لقلب الآخر هذا كلامه فليتأمل فان الذى أظنه أن كونه رأى أثر الدم فى سيفيهما خلط من الراوى لان ذلك كان فى قتل ابن الاشرف ويؤيد الخلط ما تقدم عن ابن مسعود أنه لم ير فيه اثر جراح داخل بدنه وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله ابنى عفراء فانهما قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر فقيل يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة وذففه ابن مسعود وهذا السؤال يقتضى أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم انهما قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ان غيرهما شاركهما فى ذلك فليتأمل وفى شرح الروض وهو من أجل كتبنا ان عبد الله بن رواحة وابنى عفراء تقاتلا مع أبى جهل مبارزة وأنه صلى الله عليه وسلم علم ذلك وأقره وجعلوا ذلك دليلا على اباحة مبارزة القوى الكافر لم يطلب المبارزة أى وأما ما تقدم من أمره صلى الله عليه وسلم لحمزة وعلى وعبيدة ابن الحرث بمبارزة عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فذاك لكافر طلب المبارزة فقد تقدم أن عتبة خرج بين أخيه شيبة وولده الوليد حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة وأنه خرج اليه فتية من الانصار ثلاثة اخوة أشقاء وهم معاذ ومعوذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فلم يرضوا بمبارزتهم فعند ذلك أمر صلى الله عليه وسلم من ذكر بمبارزتهم وعندى ان ما ذكره فى شرح الروض من مبارزة عبد الله بن رواحة وابنى عفراء لابى جهل ذكر أبى جهل اشتباه وانما هو لهؤلاء الثلاثة ولم تقع منهم مقاتلة وكيف يبارز ثلاثة واحدا فليتأمل وجاء فى الحديث ان الله قتل فرعون هذه الامة أبا جهل فالحمد لله الذى صدق وعده ونصر دينه والله أعلم وكان على الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها الى ظهورهم أى الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء أى وقيل حمراء قال بعضهم كان بعضهم بعمائم خضر وبعضهم بعمائم صفر وبعضهم بعمائم حمر أى وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود فلا منافاة وذكر ان عمامة جبريل عليه السلام يوم اغرق فرعون كانت سوداء قال وفى رواية سيماهم عمائم سود وعند ابن مسعود رضى الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر اه أى وبيض وسود وفى كلام بعضهم نزلت الملائكة يوم بدر بعمائم صفر ورواية بيض وسود ضعيفة وفى كلام ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء من نور أى وكانوا يوم أحد بعمائم حمر ويوم حنين كذلك وفى الجامع الصغير كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم أحد عمائم حمر وما ذكر لا ينافى ما قيل سيماهم ببدر عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم وما جاء كان على الزبير رضى الله عنه ببدر عمامة صفراء معتجرا بها فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة على سيما أبى عبد الله يعنى الزبير رضى الله عنه لجواز أن يكون أكثرهم كان بعمائم صفر وقد ذكر ان الزبير رضى الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح فى ظهره وعاتقه وقد سئل الحافظ السيوطى

فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قدرأى فزعا وفى رواية ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكذب انى لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو بصير أناخ بعير العامرى بباب المسجد ودخل متوشحا السيف وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى ان أفتن فيه فقال اذهب حيث شئت فقال يارسول الله هذا اسلاب العامرى الذى قتلته رحله وسيفه نخمسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأونى لم أوف لهم بالذى عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام يمر به ذوو الميرة واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا يتسللون اليه وانفلت أبو جندل ابن سهيل بن عمرو الذى رده صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج من مكة فى سبعين راكبا أسلموا فلحقوا بابى بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة الهدنة خوفا من ان يردهم الى أهلهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش لا يظفرون باحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفى رواية ان قريشا أرسلت أبا سفيان بن حرب فى ذلك وان قريشا أسقطت هذا الشرط وقالت ان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى جندل وأبى بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهليهم وأمنت قريش على عيرهم وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم سيجعل الله لابى جندل وأصحابه فرجا ومخرجا جاء أصحاب رسول الله

رحمه الله تعالى عن قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ما السمة التى كانت عليهم فاجاب بان ابن أبى حاتم ذكر فى تفسيره باسانيده عن على كرم الله وجهه انها الصوف الابيض فى نواصى خيولهم وأذنابها وعن مكحول وغيره أنها العمائم وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها كانت عمائم بيض قد أرسلوها الى ظهورهم وفى سنده رجل ضعيف وعنه أيضا عمائم سود وفى سنده متروك ثم قال ورواية البيض والسود ضعيفة هذا كلامه أى وعلى تقدير صحتها يجاب بما قدمناه وكان شعار الانصار أى علامتهم التى يتعارفون بها فى ذلك اذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد أى وشعار المهاجرين يومئذ يا بنى عبد الرحمن أى وعن زيد بن على قال كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم أى المهاجرين أو هو حتى لا يشتبه بغيره يا منصور أمت ويقال أحد أحد وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس يا بنى عبيد الله وعن ابن سعد يقال كان شعار الجميع يومئذ يا منصور أمت أى وقد يقال لا منافاة بين هذه الرواية وما قبلها من الروايات لان المراد بالجميع المجموع لكن يحتاج الى الجمع بين تلك الروايات السابقة على تقدير صحتها وكانت خيل الملائكة بلقا وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان سيما الملائكة أى سيما خيلهم يوم بدر الصوف الابيض أى وفى لفظ بالعهن الاحمر فى نواصى الخيل وأذنابها أى ولا منافاة لجواز أن يكون بعضهم كذا وبعضهم كذا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم سوموا خيلكم فان الملائكة قد سومت فهو أول يوم وضع فيه الصوف أى فى نواصى الخيل وأذنابها ولم أقف على لون الصوف الذى وضع فى ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال اقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة أى الغلبة فننهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه أى غشاؤه فمات مكانه واما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت واقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بالميم وربما قيل بالنون اسم فرس جبريل ولعلها هى الحياة واحدهما اسم لها والآخر لقب وقيل لها الحياة لانها ما مست شيئا الا صار حيا وهى التى قبض من أثرها أى من تراب حافرها السامرى نسبة الى سامر قرية أو طائفة ما ألقاه فى العجل الذى صاغه من حلى القبط فكان له خوار أى صوت فكان اذا خار سجدوا واذا سكت رفعوا قال فى النهر الظاهر أنه قامت به الحياة وقيل لما صنعه السامرى أجوف تحيل لتصويته بان جعل فى تجويفه أنابيب على شكل مخصوص وجعله فى مهب الرياح فتدخل فى تلك الانابيب فيظهر له صوت يشبه الخوار وفى كلام بعضهم فرس جبريل التى هى حيزوم كان صهيلها التسبيح والتقديس واذا نزل عليها جبريل عليه السلام علمت الملائكة أن نزوله للرحمة واذا نزل منشور الاجنحة علمت أن نزوله للعذاب أى وحينئذ فنزول جبريل عليه السلام عليها يوم بدر كان لرحمة المسلمين وان كان عذابا على الكافرين ويكون نزوله لا عليها بل منشور الاجنحة

اذا

صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الذين صعب عليهم رد أبى جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو ان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان المصالحة كانت أولى لهم كما تقدم بيان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة خيبر﴾ بوزن جعفر وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحق أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج صلى الله عليه وسلم فى بقية المحرم الى خيبر سنة سبع وقال ابن عقبة عن الزهرى أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها وقيل عشر ليال وقيل خمسة عشر يوما وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونها الى ان فتحها فى صفر وقيل انها كانت سنة ست وهو منقول عن الامام مالك وبه جزم ابن حزم لكن قال الحافظ ابن حجر الراجح ما ذكره ابن اسحق وهو قول الجمهور واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة غيلة بن عبد الله الليثى وقيل سباع بن عرفطة ويمكن الجمع بانه استخلف أحدهما أولا ثم عرض ما يقتضى استخلاف الآخر وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد فأما الغنيمة فلا أى فلا تعطوا منها شيأ ثم أمر مناديا ينادى بذلك قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طلحة رضى الله عنه وهو زوج أم أنس رضى الله عنها حين أراد الخروج الى خيبر التمسوا لى غلاما من غلمانكم يخدمنى فخرج أبو طلحة مردفى وأنا غلام وقد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال قال الحلبى وهذا السياق يدل على ان أول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما صح انه عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابنى وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال جاءت بى أمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتنى

اذا كان لمحض العذاب ويحتمل أن يكون حيزوم غير فرس الحياة واليه ذهب السهيلى رحمه الله فقال والحياة أيضا فرس لجبريل عليه السلام قال الحافظ ابن حجر ومن الاخبار الواهية أن الموت كبش لا يجد ريحه شئ الا مات والحياة فرس بلقاء أنثى أى خطوتها كما فى العرائس مد البصر وهى التى كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام يركبونها أى كلهم كما فى العرائس لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حى هذا وفى أثر مرسل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من القائل يوم بدر من الملائكة اقدم حيزوم فقال جبريل عليه السلام يا محمد ما كل أهل السماء اعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام أى وفيه أنه لا يبعد أن يقول أحد من الملائكة لفرس جبريل أقدم حيزوم ولا يعرف ذلك القائل وكان الحافظ ابن كثير رحمه الله فهم من قوله صلى الله عليه وسلم من القائل الخ أن ذلك الفرس لذلك القائل نعم ان كان هذا الاثر وقع بعد الرواية التى تلى هذه وهى جاءت سحابة الخ أو ان ذلك الاثر سقط منه لفظة لفرسه والاصل من القائل يوم بدر من الملائكة لفرسه اتجه ما فهمه ابن كثير رحمه الله فليتأمل قال وفى رواية جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا رجلا يقول لفرسه اقدم حيزوم فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة أخرى نزل منها رجال كانوا على ميسرته فاذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمى وأما أنا فتماسكت واخبرت النبى صلى الله عليه وسلم واسلمت ومن ثم ذكر فى الصحابة وفى النور هذا الرجل مذكور فى الصحابة وليس فى الحديث أى الرواية الاولى ما يدل على اسلامه الا أن تحديثه لابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذه المعجزة للنبى صلى الله عليه وسلم يشعر باسلامه هذا كلامه وفيه أن قوله ونحن مشركان يدل على أنه كان مسلما عند تحديثه لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الغمام الذى ظلل بنى اسرائيل فى التيه هو الذى يأتى الله تعالى فيه يوم القيامة وهو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر أى وعن على رضى الله تعالى عنه هبت ريح شديدة ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك فكانت الاولى جبريل نزل فى ألف من الملائكة أى لعلها امامه أخذا من قوله وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل نزل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك سكوت عن الرابعة أى زاد فى الامتاع وكان اسرافيل صلى الله عليه وسلم وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة وظاهر هذا ان كلا من جبريل وميكائيل قاتل وتقدم أنهم فى هذه الغزاة التى هى غزاة بدر قيل لم يمدوا الا بألف من الملائكة ورواية ألفين ضعيفة جاءت عن على رضى الله تعالى عنه فتكون هذه الرواية التى جاءت عن على أيضا كذلك ولا تنظر لما تقدم عن بعضهم أن امدادهم يوم بدر بثلاثة آلاف أولا وأنهم وعدوا أن يمدوا بخمسة آلاف ان ثبتوا وصبروا وهو ما عليه

بنصف تمر هاوردتنى بنعمة فقالت يارسول الله هذا أنيس ابنى أتيتك به يخدمك فادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وعند غير
مسلم وأطل عمره وأدخله الجنة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابى طلحة ماذكر رجاء ان أتى له بمن
هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضى الله عنه وكان الله قد وعد رسوله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية فى
سورة الفتح مغانم بقوله تعالى وعدكم الله ١٩٨ مغانم كثيرة تأخذونها أى مغانم خيبر وخرج معه من نسائه أم سلمة رضى الله عنها

وقال صلى الله عليه وسلم فى مسيره لعامر بن الاكوع ثم سلمة بن الاكوع رضى الله عنهما أنزل فحدثنا من هنياتك أى من أراجيزك وأشعارك وفى لفظ انزل حرك بنا الركاب وكان يحدو حداء حسنا وفى رواية وكان عامر رجلا شاعرا فقال يارسول الله تركت قول الشعر فقال له عمر رضى الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا
وألقين سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
انا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا
ان الذين قد بغوا علينا
اذا أرادوا فتنة أبينا

وعند انشاده الابيات المذكورة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك وفى رواية غفر لك ربك وما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لاحد فى مثل هذا الموطن الا استشهد فقال عمر رضى الله عنه وجبت أى الشهادة يارسول الله هلا أمتعتنا به أى هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر فاستشهد رضى الله عنه فى هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب
به ساق يهودى فجاءت ذبابته فى ركبته فمات من ذلك فقال الناس قتله سلاحه وفى رواية قتل نفسه أى فليس بشهيد قبل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وفى رواية قال سلمة بن الاكوع رضى الله عنه يارسول الله فداك أبى وأمى زعموا أن عامرا
حبط عمله وفى لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا حبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذب من قال ذلك أى أخطأ فى قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه انه لجاهد مجاهد والجاهد الجاد فى أمره فلما قام به وصفان كان

الا كثيرا علمت أن ذلك انما كان فى أحد وسيأتى ذلك مع زيادة قال بعضهم ولم تقاتل
الملائكة الا فى يوم بدر أى وفى غيره يكونون مددا من غير مقاتلة وسيأتى أنهم قاتلوا يوم أحد
ويوم حنين ففى مسلم عن سعد بن أبى وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل عليهما
السلام يقاتلان كأشد القتال قال الامام النووى رحمه الله فيه أن قتال الملائكة لم يختص
بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فان هذا صريح فى الرد عليه (أقول) يمكن
الجمع بان المختص ببدر قتال الملائكة عنه وعن أصحابه وفى غيره كان عنه صلى الله عليه وسلم خاصة
فلا منافاة ثم رأيتنى ذكرت هذا الجمع فى غزوة أحد عن البيهقى وتعقبته بما جاء أن الملائكة
قاتلت فى ذلك اليوم عن عبد الرحمن بن عوف وعلى تسليم ورود ذلك فيه أنهم لو قاتلوا يوم أحد
لظهر أثر قتالهم كما ظهر فى يوم بدر وقد يقال مرادهم بالمقاتلة يوم أحد المدافعة من غير
أن يوقعوا فعلا وفى يوم بدر المراد بالمقاتلة ايقاع الفعل والله أعلم وانكسر سيف عكاشة بتشديد
الكاف وتخفيفها ابن محصن وهو يقاتل به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا
من حطب أى أصلا من أصول الحطب وقال له قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم هزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به
رضى الله عنه حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة
وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وعكاشة
مأخوذ من عكش على القوم اذا حمل عليهم والعكاشة العنكبوت وسيأتى مثل ذلك فى أحد
لعبد الله بن جحش وانكسر سيف سلمة بن أسلم رضى الله عنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قضيبا كان فى يده أى عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل
عنده قال وعن خبيب بن عبد الرحمن قال ضرب خبيب جدى يوم بدر فمال شقه فتفل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق وعن رفاعة بن مالك رضى الله عنه
قال لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عينى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لى
فما آذانى منها شىء اهـ ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا
من مصارعهم التى أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وجودها فعن عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر يقول هذا
مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة وهذا مصرع أمية بن خلف وهذا مصرع
أبى جهل بن هشام وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى أى ويضع صلى الله عليه وسلم يده
الشريفة على الارض فما تنحى أحدهم عن موضع يده كما تقدم عن أنس وتقدم عنه أن ذلك
كان ليلة بدر بعد أن وصل الى محل الوقعة اذ لا يتصور وضع يده على الارض الا اذا كان بمحل
الوقعة وبه يعلم ما ذكره بعضهم أن اخباره صلى الله عليه وسلم بمصارع القوم تكرر منه مرتين

له أجران وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا أى قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ثم ركبوا
الهابكرة فصبحوها بالقتال وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتى قوما بليل لم يغزهم أى لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر فان سمع
أذانا كف عنهم والا أغار عليهم فلما أتى خيبر اصبح ولم يسمع أذانا فركب وفى رواية لابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم لما أشرف على
خيبر قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين ١٩٩ وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح
وماذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم وحكى الواقدى ان أهل خيبر سمعوا بقصده صلى الله عليه وسلم لهم فكانوا يخرجون فى كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات حتى اذا كان الليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحى طالبين مزارعهم فوجدوا المسلمين فلما رأوهم قالوا محمد والله والخميس أى جاء محمد وهذا محمد والله والخميس أى الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا وفى التنزيل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والثلاثة مبدأ الكثرة وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه ودفع راية لسعد بن عبادة رضى الله عنه وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم نزل بواد يقال له الرجيع
بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حسا خلفهم فظنوا ان المسلمين خلفوهم
فى ذراريهم فرجعوا وأقاموا وخذلوا أهل خيبر أى تركوهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد
فرفعوا أصواتهم بالتكبير يقولون الله أكبر لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بانفسكم لا تبالغون فى
رفع أصواتكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وجاء ان عبد الله بن أبى ابن سلول أرسل الى اليهود

قبل الوقعة بيوم أو أكثر ويوم الوقعة هذا كلامه الا أن يقال قوله يوم الوقعة هو بناء على أنه
صلى الله عليه وسلم وصل بدرا فى النهار والقول بان ذلك كان ليلا بناء على أنه وصل بدرا ليلا
ومعلوم انه انما وضع يده فى محل الوقعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا فطرحوا فى
القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتزايل أى
تقطعت أوصاله فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وهذا دليل على أن الحربى
لا يجب دفنه وبه قال أئمتنا بل قالوا يجوز اغراء الكلاب على جيفته وفى سنن الدارقطنى كان
من سنته صلى الله عليه وسلم فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بدفنه لا يسأل عنه مؤمنا كان
أو كافرا أى ولكثرة جيف الكفار كره صلى الله عليه وسلم أن يشق على أصحابه ان يأمرهم
بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر وكان الحافر لهذا القليب رجل من بنى النجار فكان
فألا مقدما لهم ذكره السهيلى ولما ألقى عتبة والد أبى حذيفة رضى الله تعالى عنه فى القليب
تغير وجه أبى حذيفة ففطن بفتح الطاء له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك دخلك
من شأن أبيك شىء فقال لا والله ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو
أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت ما مات عليه أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخير وقال له خيرا (أقول) وذكر فقهاؤنا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أبا حذيفة عن قتل أبيه
فى هذه الغزاة وقد أراد ذلك والله أعلم ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير
القليب أى قيل بعد ثلاثة أيام من القائهم فى القليب وذلك ليلا أى وفى الصحيحين عن أنس
رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان
اليوم الثالث أمر صلى الله عليه وسلم براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه حتى قام
على شفة الركى أى وهو القليب وجعل يقول يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم
ما وعد الله ورسوله حقا فانى وجدت ما وعدنى الله حقا وجاء فى بعض الطرق نداؤهم باسمائهم
فقال يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام وهذا يقتضى
انه فى تلك الرواية نطق بلفظ يا فلان ابن فلان ولا يخفى بعده فليتأمل واعترض بان أمية
ابن خلف لم يكن من أهل القليب لما علمته وأجيب بانه كان قريبا من القليب بئس عشيرة
النبى كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس
فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها وفى رواية أجسادا
قد أجيفوا وفى لفظ قد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم ما أنتم باسمع وفى رواية لاسمع لما أقول
منهم وفى رواية لقد سمعوا ما قلت غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا شيأ وعن قتادة رضى الله عنه
أحياهم الله تعالى حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم وتصغيرا ونقمة
وحسرة (أقول) والمراد باحيائهم شدة تعلق أرواحهم باجسادهم حتى صاروا كالاحياء فى
الدنيا للغرض المذكور لان الروح بعد مفارقة جسدها يصير لها تعلق به أو بما يبقى منه

خيبر يقول لهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وادخلوا أموالكم الى حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل وانما قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم وهى المساحى والمكاتل تفاءل بان حصونهم ستخرب ويحتمل ان الله أعلمه بذلك بالوحى وهو الاصح وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصون ٢٠٠ النطاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه الحباب ابن المنذر رضى الله عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان هو الرأى تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأى فقال يارسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمر النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد ابن مسلمة فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول وفى لفظ ان راحلته قامت تجر بزمامها فادركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وكان ذلك الموضع حائلا بين أهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها وقاتل صلى الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف فلعله كان فى الطريق اما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمى وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل وهو صلى الله عليه وسلم يقاتل هو وأصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم

ولو بجب الذنب فانه لا يفنى وان اضمحل الجسم باكل التراب أو باكل السباع أو الطير أو النار وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه اذا سلم عليه كما ثبت فى الاحاديث والغالب ان هذا التعلق لا يصير الميت به حيا كحياته فى الدنيا بل يصير كالمتوسط بين الحى والميت الذى لا تعلق لروحه بجسده وقد يقوى حتى يصير كالحى فى الدنيا ولعله مع ذلك لا يكون فيه القدرة على الافعال الاختيارية فلا يخالف ما حكى عن السعد اتفقوا على انه تعالى لم يخلق فى الميت القدرة والافعال الاختيارية هذا كلامه والكلام فى غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء رضى الله عنهم أى شهداء المعركة أما هما فتعلق أرواحهم باجسادهم تصير به أجسادهم حية كحياتها فى الدنيا ويكون لهم القدرة والافعال الاختيارية فقد روى البيهقى رحمه الله فى الجزء الذى ألفه فى حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الانبياء أحياء فى قبورهم يصلون وجاء ان علمى بعد موتى كعلمى فى الحياة وروى أبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لينزلن عيسى بن مريم عليه السلام ثم ان قام على قبرى وقال يامحمد لاجبته ومن ثم قال الامام السبكى حياة الانبياء والشهداء كحياتهم فى الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام فى قبره فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذا الصفات المذكورة فى الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وأما الادراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى هذا كلامه وسائر الموتى شامل للكفار أى وأكل الشهداء وشربهم فى البرزخ لا عن احتياج بل لمجرد الاكرام وكون الشهداء اختصوا بذلك دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا مانع منه لان المفضول قد يختص بما لا يوجد فى الفاضل ألا ترى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام شرعت الصلاة عليهم وجوبا وحرمت على الشهداء وبهذا يرد قول بعضهم فى الاستدلال على حياة الانبياء بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والانبياء أولى بذلك لانهم أجل وأعظم وما من نبى الا وقد جمع بين النبوة ووصف الشهادة فيدخلون فى عموم لفظ الآية ولانه صلى الله عليه وسلم قال فى مرض موته لم أزل أجد ألم الطعام الذى أكلته بخيبر فهذا أوان انقطاع ابهرى من ذلك السم فثبت كونه صلى الله عليه وسلم حيا فى قبره بنص القرآن اما من عموم اللفظ أو من مفهوم الموافقة ووجه رده أن الاولوية قد تمنع بل أصل القياس لما علمت أنه قد يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وان جمعوا بين النبوة والشهادة الا أن المراد فى الآية شهداء المعركة لا مطلق الشهادة اذ شهادة المعركة لم تحصل لاحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم لا يخفى أن الذى ثبت حياة الانبياء

وصلاتهم

يقال له ناشر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما وفى ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضى الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب اليهودى وقيل كنانة بن الربيع اليهودى ويحتمل أنهما اجتمعا فى ذلك وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فالقى عليه حجر الرحى فهشم ٢٠١ البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخى محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ومكث صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان ابن عفان رضى الله عنه فاذا أمسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه وكان يناوب بين أصحابه فى حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضى الله عنه فطاف عمر رضى الله عنه باصحابه حول العسكر وفرقهم فاتى برجل من يهود خيبر فى جوف الليل فأمر عمر رضى الله عنه بضرب عنقه فقال اذهب بى الى نبيكم حتى أكلمه فامسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عمر رضى الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى ما وراءك قال تؤمنى يا أبا القاسم قال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال والمراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافى ما تقدم انهم ادخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وأخبره ان فى هذا الحصن

وصلاتهم فى قبورهم وحجهم وأما صومهم وأكلهم وشربهم فى ذلك فلم أقف على ما يدل على ذلك فى شئ من الاحاديث والآثار وقياسهم فى ذلك على الشهداء علمت انه قد يمنع لما انه قد يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل والذى يدل على أنهم يحجون ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال أى واد هذا فقالوا وادى الازرق فقال صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر الى موسى عليه الصلاة والسلام واضعا اصبعيه فى أذنيه له جؤار الى الله تعالى بالتلبية مارا بهذا الوادى ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر الى يونس عليه الصلاة والسلام على ناقة حمراء عليه جبة صوف مارا بهذا الوادى ملبيا وقد جاء فى موسى عليه السلام انه كان على بعير وفى رواية على ثور ولا منافاة لجواز أن يكون تكرر حجه أو ركب البعير مرة والثور اخرى ولا يخفى ان رزق الشهداء يصدق على الجماع لانه مما يتلذذ به كالاكل والشرب ثم رأيت سيدى أبا المواهب الشاذلى رحمه الله ونفعنا ببركاته قال فى كتابه المسمى بعنوان أهل السر المصون فى كشف عورات أهل المجون واخبر سبحانه عن الشهداء أنهم احياء عند ربهم يرزقون وحمله أهل العلم على الحقيقة أنهم يأكلون ويشربون وينكحون حقيقة وقائل غير هذا أى أن الاكل والشرب والنكاح عبارة عن لذة تحصل لهم كاللذة الناشئة عن الاكل والشرب والنكاح صرف الآية عن ظاهرها من غير ضرورة تلجئ الى ذلك ثم قاس الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الشهداء فى ذلك لما تقدم من انهم أجل وأعظم وما من نبى الا وقد جمع بين النبوة والشهادة وقد علمت جواب من منع القياس ثم رأيت عن افتاء شيخنا الشمس الرملى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والشهداء رضى الله عنهم يأكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون فقيل نعم وقيل لا وانهم يثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم ولا تكليف عليهم فى ذلك لانقطاع التكليف بالموت بل من قبيل التكرمة ورفع الدرجات هذا كلامه ولعل مستنده فى اثبات ما عدا الصلاة والحج للانبياء قياسهم على الشهداء وقد علمت ما فيه واثبات الخلاف الذى ذكره شيخنا فى نكاح الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا أدرى هل هو خلاف أهل عصره أو من تقدمهم على ان اثبات النكاح للانبياء عليهم الصلاة والسلام ربما يبعده ما ذكروه فى حكمة قوله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم النساء والطيب حيث لم يقل من دنياى ولا من الدنيا فانه أشار بهذه الاضافة الى أن النساء والطيب من دنيا الناس لانهم يقصدونهما للاستلذاذ وحظوظ النفس وهو عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك وانما حبب اليه النساء لينقلن عنه محاسنه ومعجزاته الباطنة والاحكام السرية التى لا يطلع عليها غالبا غيرهن وغير ذلك من الفوائد الدينية وحبب اليه الطيب لالاقاته للملائكة لانهم يحبونه ويكرهون الريح الخبيث لان حقيقة الاكرام أن يحصل له فى البرزخ ما كان يتلذذ به فى الدنيا ليكون حاله فيه كحاله فى الدنيا وفيه

يعنى حصن الصعب من حصون النطاة فى بيت فيه تحت الارض منجنيق اودبابات ودروع وسيوفا فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودى ان شاء الله أو وفقك عليه فانه لا يعرفه غيرى وأخرى قيل وماهى قال ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احقن دمى قال أنت آمن ٢٠٢ قال ولى زوجة فهبها الى قال هى لك ثم دعاه الى الاسلام فقال انظرنى وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة فى بعض تلك الايام فيبعث اناسا من أصحابه فلم يكن فتح ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل اخيك وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبى صلى الله عليه وسلم الا ورجا أن يعطاها وفى رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم ايهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ما أحببت الامارة الا ذلك اليوم ويروى ان عليا رضى الله عنه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم انه يشتكى عينيه فقال من يأتينى به فذهب اليه سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الابيض قال ابن اسحق لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ أبى بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضى الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضى الله عنها وفى سيرة الحافظ الدمياطى وكانت له راية سوداء وفى رواية بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة فى ذلك اللواء ولعل هذا اللواء الذى فيه الاسود هو المعنى بما جاء فى بعض الروايات كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله أى بالسواد فلا تنافى

النافع

أن الحكمة المذكورة لا تناسب قوله صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع وعدمنها كثرة الجماع وهم كغيرهم فى هذا التعلق متفاوتون بحسب مقاماتهم وانه يعبر عن قوة هذا التعلق بعود الحياة ومنه ما ذكر عن قتادة وتعود الروح ومنه قول بعضهم أرواح الانبياء والشهداء بعد خروجها من اجسادها تعود الى تلك الاجسام فى القبر وأذن لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى ومن ثم قال ابن العربى رحمه الله تعالى رؤية المصطفى عليه الصلاة والسلام بصفته العلوية ادراك له على الحقيقة وعلى غير صفته العلوية ادراك للمثال ويعبر عنه بردها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسلم على الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام أى الاقوى تعلق روحى وذلك اكراما لهذا المسلم حيث لا يرد عليه سلامه الا وقد قوى تعلق روحه الشريفة بجسده الشريف والروح بناء على أنها غير عرض مع كونها فى مقاماتها لها تعلق بجسدها أو بما يبقى منه كما تقدم كالشمس فى السماء الرابعة ولها تعلق بالارض وربما عبر عن ضعف هذا التعلق بصعودها وطلوعها وبناء على أنها عرض تزول ويعود مثلها وقد أوضحت ذلك فى النفحة العلوية فى الاجوبة الحلبية عن الاسئلة القروية وهى أسئلة سئلت عنها من بعض أهل القرى المصرية وذكرت أن هذا أولى مما أطال به الجلال السيوطى من الاجوبة مع ما فيها مما لا يخفى ورأيت فى حديث عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ملكا أعطاه سمع العباد كلهم وانه ما من أحد يصلى على صلاة الا بلغنيها وانى سألت ربى عز وجل أن لا يصلى على أحد صلاة الا صلى الله عليه بها عشرة أمثالها وذكر الحافظ الذهبى ان راوى هذا الحديث انفرد به متنا واسنادا والله أعلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها أنكرت قوله صلى الله عليه وسلم لقد سمعوا ما قلت وقالت انما قال لقد علموا ان الذى كنت أقول حق وقالت انما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أى بقوله فى حق أهل القليب ما أنتم بأسمع منهم انهم الآن ليعلمون ان الذى أقول لهم هو الحق أى لا أنهم يسمعون ما أقول بحاسة سمعهم التى كانت موجودة فى الدنيا ثم قرأت أى محتجة على ذلك قوله تعالى انك لا تسمع الموتى الآية وبقوله وما أنت بمسمع من فى القبور ويجاب بأنه لا مانع من ابقاء السمع هنا على حقيقته لانه اذا قوى تعلق أرواح هؤلاء الكفار بأجسادهم بحيث صاروا أحياء كحياتهم فى الدنيا للغرض المذكور لا مانع من سماعهم بحاسة سمعهم لبقاء محل تلك الحاسة منهم كما ان الجسد بذلك التعلق يقوى على الجلوس للسؤال فى القبر والسماع المنفى فى الآيتين بمعنى السماع النافع وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطى رحمه الله بقوله نظما

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * جاءت به عندنا الآثار فى الكتب

وآية النفى معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للادب

لانه تعالى شبه الكفار الاحياء بالاموات فى القبور فى انهم لا ينتفعون بالدعاء الى الاسلام

بين الروايات فقال على يا رسول الله انى أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمى فوضع رأسه فى حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع وقال على رضى الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفى رواية فما رمدت ولا صدعت وفى لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفى هذا السياق لطيفة وهو أن من طلب شيأ أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشئ ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه ٢٠٣ وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة أى وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه كلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع الا على رأس من لا يريدها ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه وكرم وجهه بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال على رضى الله عنه فما وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا فكان رضى الله عنه يلبس فى الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفى لفظ الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد وكان يفعل ذلك اظهارا لهذه المعجزة وتحقيقا لها وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على على رضى الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أى قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك فى هذا المال وانت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأكم من مالكم فانها القطيفة التى خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك لحمى أصابته فى ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد على رضى الله عنه ببركة ريق النبى صلى الله عليه وسلم بقوله

وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى عليا رضى الله عنه الراية ليذهب للقتال فقال على رضى الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فى الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك

النافع ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بشيرا لاهل العالية أى وهى محل قريب من المدينة على عدة أميال وزيد بن حارثة بشيرا لاهل السافلة بها راكبا ناقته القصوى وقيل العضباء بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فجعل عبد الله ابن رواحة ينادى فى أهل العالية يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد بن حارثة فى أهل السافلة بمثل ذلك أى ويقولان قتل فلان وفلان أى وأسر فلان وفلان من أشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الاشرف يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها قال أسامة ابن زيد رضى الله عنهما فاتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولما عزى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وفى رواية من المكرمات دفن البنات ويعجبنى قول الباخرزى رحمه الله تعالى

القبر أخفى سترة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وجاء عثمان رضى الله عنه من رقية هذه بولد يقال له عبد الله فاكتنى به وكان قبل ذلك يكنى أبا عمرو وتزوج بعدها أختها أم كلثوم بوحى فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى عثمان ابن عفان مهموما بعد موت رقية رضى الله عنها فقال له مالى أراك لهفانا مهموما فقال له يا رسول الله وهل دخل على أحد ما دخل على انقطع الصهر بينى وبينك فبينا هو يحاوره اذ قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل عليه السلام يأمرنى عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها فزوجه اياها ولما تزوجها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنية أين أبو عمرو وقالت خرج لبعض حاجاته قال كيف رأيت بعلك قالت يا أبت خير بعل وأفضله فقال يا بنية كيف لا يكون كذلك وهو أشبه الناس بجدك ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وأبيك محمد وجاء عثمان من أشبه أصحابى بى خلقا وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل عليه السلام ان أردت أن تنظر من أهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان ولتزوجه بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذو النورين ولم يجمع أحد منذ آدم الى اليوم بين بنتى نبى غيره رضى الله عنه ومن ثم لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عنه قال ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الاعلى ذا النورين ولما ماتت أم كلثوم تحته وذلك سنة تسع قال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوجته اياها وما زوجته الا بوحى من الله وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال له لو ان لى أربعين بنتا لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وأم عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم قال وقال رجل من المنافقين لابى لبابة رضى الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا قد قتل محمد

فقاتلهم فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفى رواية قال على كرم الله وجهه علام أقاتلهم قال على أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وفى رواية لما اعطاهم الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يارسول الله علام أقاتلهم قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها ٢٠٤ وحسابهم على الله وعن حذيفة رضى الله عنه قال لما تهيأ على رضى الله عنه يوم خيبر للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى والذى نفسى بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لوضرب به الجبال لقطعها فابشر بالرضوان والجنة ياعلى انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم كان يعطى الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه فبعث أبابكر رضى الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية أى اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار غير فرار فدعا عليا رضى الله عنه وهو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ودعا له ومن معه بالنصر وفى رواية ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذى هو سيفه فى وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج على رضى الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودى من رأس الحصن فقال من أنت قال على بن أبى طالب قال اليهودى علوتم والتوراة التى أنزل الله على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحرث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون حيث وثب على رضى الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله على رضى الله عنه وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب وفى رواية ان مرحبا لما علم ان أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد نقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرتجز ويقول قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب قال اسامة فجئت حتى خلوت بأبى لبابة وسألته عما أسر له الرجل فأخبرنى بما أخبره به فقلت أحق ما تقول قال أى والله حق ما أقول يابنى فقويت نفسى ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شئ سمعته من الناس يقولونه انتهى أى وهذا كان قبل ان يجتمع اسامة بأبيه زيد ابن حارثة ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل أى الغنيمة وكانت مائة وخمسين من الابل وعشرة أفراس ومتاعا وسلاحا وانطاعا وثيابا وأدما كثيرا حمله المشركون للتجارة ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له أى كما تقدم ولعله تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم مرتين مرة للتحريض على القتال ومرة عند القسمة فالمقسوم ما بقى بعد اخراج السلب واخراج الاسرى قسم على المسلمين بالسوية بعد الاختلاف فيه فادعى من قاتل العدو وصده انهم أحق به وادعى من جمعه انهم أحق به وادعى من كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ان غيرهم ليس باحق به منهم أى لان سعد بن معاذ رضى الله عنه قام على باب العريش الذى به صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فى نفر من الانصار وفى رواية عن عبادة بن الصامت ان جماعة خرجت فى اثر العدو عند انهزامه وجماعة اكبوا على جمع الغنيمة فجمعوها وجماعة عند انهزام العدو أحدقوا به صلى الله عليه وسلم فى العريش خوفا ان يصيب العدو منه غرة ولعل هؤلاء كانوا زيادة عمن كان مع سعد بن معاذ على باب العريش فادعى من اكب على جمعها أنهم أحق بها وادعى من عداهم ان أولئك ليسوا باحق بها منهم أى وكون جماعة أحدقوا به صلى الله عليه وسلم بعد انهزام العدو قد يقال لا ينافى ذلك ما تقدم عن ابن سعد انه لما انهزم المشركون دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر لجواز أن يكون صلى الله عليه وسلم خرج فى اثرهم برهة من الزمان ثم عاد الى العريش فاحدق به هؤلاء مع من تقدم فأنزل الله تعالى سورة الانفال يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فالنفل قد يطلق على الغنيمة كما هنا كما أشرنا اليه وسماها الله تعالى أنفالا لانها زيادة فى أموال المسلمين وكذا الفئ المذكور فى سورة الحشر التى نزلت فى غزوة بنى النضير يطلق على الغنيمة وسمى فيأ لان الله تعالى أفاءه على المؤمنين أى رده عليهم من الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه انما خلق الخلق لعبادته فقد رد اليهم ما يستحقونه كما يعاد ويرد على الرجل ما غصب من ميراثه وان لم يقبضه قبل ذلك ومنه قول بعضهم كان أهل الفئ بمعزل عن أهل الصدقة وأهل الصدقة بمعزل عن أهل الفئ كان يعطى من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف فاذا احتلم اليتيم نقل الى الفئ أى الى الغنيمة وأخرج من الصدقة فنزعه الله من أيديهم فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعضه

* اذا الحروب أقبلت تلهب * فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره أكيلكم بالسيف كيل السندره * ثم حمل مرحب على على رضى الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول على رضى الله عنه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره وكان طول الباب ثمانين شبرا ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلا الا بعد جهد ففيه دلالة على فرط قوة ٢٠٥ على وكمال شجاعته رضى الله عنه وعن أبى رافع رضى الله عنه لقد رأيتنى فى سبعة نجهد على ان نقلب ذلك الباب فلم نقدر رواه ابن اسحق والبيهقى والحاكم وعن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عن جابر رضى الله عنهم أن عليا رضى الله عنه حمل الباب يوم خيبر وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا رواه البيهقى وفى رواية للبيهقى ان عليا رضى الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى القموص اجتذب أحد أبوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم ان أعادوا الباب مكانه وهذا لا يعارض رواية أربعين لانهم عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين وأما الرواية السابقة التى فيها لقد رأيتنى فى سبعة فقال الحافظ ابن حجر الجمع بينها وبين رواية الاربعين ان السبعة عالجوا قلبه والاربعين عالجوا حمله والفرق بين الامرين ظاهر ولو لم يكن الا باختلاف حال الابطال ثم ان عليا رضى الله عنه ضرب مرحبا فترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذى تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف فى الاضراس والى ذلك أشار بعضهم وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا
قد فؤادى فى الهوى قده * قد على فى الوغى مرحبا

وماذكر من قتل على رضى الله عنه لمرحب هو الصحيح المروى فى صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير ان الذى قتل مرحبا محمد ابن مسلمة رضى الله عنه فقال ان مرحبا طلب المبارزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضى الله عنه أنا يارسول الله فان أخى قتل بالامس ولم يأخذ أحد بثاره وكان الذى قتله مرحب فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فقام اليه وبارزه فضربه

حيث شاء فدلت الآية على ان الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد من المقاتلة شئ منها ثم نسخت هذه الآية بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاربعة أخماس الباقية للمقاتلة أى فكان ذلك الخمس يخمس خمسة أخماس واحد له صلى الله عليه وسلم يفعل فيه ما أحب والاربعة من ذلك الخمس لمن ذكر فى الآية والاربعة الاخماس الباقية تكون للمقاتلة وسيأتى فى سرية عبد الله بن جحش لنخلة انه صلى الله عليه وسلم خمس العير الذى جاء به عبد الله كذلك فجعل خمس ذلك لله وأربعة اخماسه للجيش وقيل عبد الله هو الذى خمسها كذلك وأقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وهى أول غنيمة فى الاسلام وأول غنيمة خمست فكان تخميسها قبل نزول الآية لما علمت ان نزول تلك الآية كان بعد بدر فهى من الآيات التى تأخرت تلاوتها عن حكمها كما قال بعضهم وكان ابتداء تحليل الغنائم لهذه الامة فى وقعة بدر كما ثبت فى الصحيحين وذلك فى قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الغنيمة لهم (أقول) وفيه ان هذا قد يعين القول بانه صلى الله عليه وسلم وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر ويضعف ما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم خمسها أو ان عبد الله هو الذى خمسها قبل بدر وأقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وقد علمت ان ما أصابه من بدر قسمه بين المسلمين سواء أى لم يتميز فيه أحد عن أحد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس سواء وفيه تفضيل الفارس على الراجل فى ذلك اليوم وسيأتى التصريح بذلك وهذا يؤيد القول بان الجيش كان فيه خمسة افراس أو فرسان دون القول بانه لم يكن فيه الا فرس واحد على ما تقدم حتى هو صلى الله عليه وسلم كان سهمه كسهم واحد منهم أى كفارس منهم بناء على ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان له فرسان الا ما اصطفاه وهو سيفه ذو الفقار كما سيأتى وحينئذ يكون قول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يارسول الله أتعطى فارس القوم الذى يحفظهم مثل ما تعطى الضعيف أراد بالفارس فيه القوى ففى مسند الامام أحمد قال سعد بن أبى وقاص قلت يارسول الله الرجل يكون حامية للقوم يكون سهمه وسهم غيره سواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثكلتك أمك وهل تنصرون الا بضعفائكم وما فى مسند الامام أحمد يدل على ان مراد سعد بالفارس القوى لمقابلته فى هذه الرواية بالضعيف فلا ينافى أنه أعطى الفارس لفرسه سهمين وله سهم كالراجل وقد أسهم لمن لم يحضر لكن أمره صلى الله عليه وسلم بالتخلف لعذر منعه من الحضور كعثمان بن عفان رضى الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم خلفه لاجل مرض زوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم أولما كان به رضى الله عنه من الجدرى على ما تقدم ولهذا عد من البدريين وأبى لبابة لانه صلى الله عليه وسلم خلفه على أهل المدينة وعاصم بن عدى فانه خلفه على أهل قباء والعالية وان أرسله لكشف أمر العدو وتجسس خبره فلم يجئ الا وقد انقضى القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد كما تقدم والحرث بن حاطب أمره بامر فى بنى عمرو بن عوف وخوات بن جبير والحرث بن

مرحب فاتى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد بن مسلمة فقتله وفى رواية فضربه فى ساقه فيحتمل انه بارزه وضربه فى ساقه وعلى رضى الله عنه هو الذى قتله وقيل ان الذى قتله محمد بن مسلمة انما هو الحرث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوبا على سيف مرحب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقول على رضى الله عنه

* أنا الذى سمتنى أمى حيدره *

أراد بذلك اعلام مرحب برؤية رآها علمها على رضى الله عنه مكاشفة وذلك ان مرحبا رأى تلك الليلة مناما ان أسدا افترسه فاشار بقوله حيدره وهو من أسماء الاسد الى انه الاسد الذى يفترسه فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه وهذا الاسم سمت عليا به أمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه عليا وقيل ان عليا كان يلقب بحيدرة وهو صغير والحيدرة الغليظ القوى فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئا ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر انى ياسر

شاكى السلاح بطل مغادر

وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضى الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها وكانت مع القوم وهى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله انه يقتل ابنى فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله تعالى فقتله الزبير وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبى حوارى وحوارى الزبير وذكر الزمخشرى أن هذه الواقعة للزبير كانت فى بنى قريظة قال نعنى الزبير أول من استحق السلب وكان ذلك فى بنى قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يازبير والذى فقالت أمه صفية رضى الله عنها واحدى يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضى الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السلب للقاتل هذا كلامه قال الحلبى فليتأمل فانى لم أقف فى كلام احد على أن بنى قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفى رواية ان القاتل لياسر على بن أبى طالب ويمكن الجمع بمثل ما تقدم أى من أنهما اشتركا فى ذلك وكان

الصمة لان كلا منهما كسر بالروحاء كما تقدم وبهذا يظهر التوقف فى قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وضرب لعثمان رضى الله عنه يوم بدر بسهم ولم يضرب لاحد غاب غيره رواه أبو داود عن ابن عمر قال الخطابى هذا خاص بعثمان لانه كان يمرض ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربعة عشر رجلا قتلوا ببدر ولعلهم ماتوا بعد انقضاء الحرب فلا يشكل على ما قاله فقهاؤنا ان من مات قبل انقضاء الحرب لاحق له وتنفل صلى الله عليه وسلم زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار أى وكان لمنبه بن الحجاج أى وقيل لابنه العاص قتل أيضا يوم بدر وقيل كان لعمه نبيه وفى كلام أبى العباس بن تيمية انه كان لابى جهل أى ويمكن ان يكون ذلك السيف كان فى الاصل لابى جهل ثم أعطاه لمنبه بن الحجاج أو لغيره ممن ذكر لا يقال أو بالعكس لان سيف أبى جهل أخذه ابن مسعود كما تقدم فلا مخالفة وتنفل أيضا صلى الله عليه وسلم جمل أبى جهل وكان مهريا ولم يزل يغزو عليه حتى ساقه فى هدى الحديبية كما سيأتى وهذا الذى كان يأخذه زيادة على سهمه أى قبل قسمة الغنيمة اذا كان صلى الله عليه وسلم مع الجيش يقال له الصفى والصفية عبدا أو امة أو دابة أو سيفا أو درعا لكن فى الامتاع عن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفى من المغنم حضر أو غاب قال بعضهم وهو محسوب من سهمه صلى الله عليه وسلم وقيل يكون زائدا عليه الا ان يقال ذلك الذى وقع فيه الخلاف كان بعد نزول آية التخميس وهذا كان قبل ذلك فلا يخالف ما سبق أن ما أخذه قبل القسمة كان زائدا على سهمه المساوى لسهام القوم أى وكان فى الجاهلية يقال للذى يأخذه الرئيس اذا غزا بالجيش المرباع وهو ربع الغنيمة ولم يسمع مرباع الا فى الربع دون غيره من الخمس وما بعده والصفايا أشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار ما يغنم والنشيطة ما أصابه الجيش فى طريقه قبل أن يصل الى مقصده وكان للرئيس النقيعة أيضا وهو بعير ينحره قبل القسمة فيطعمه الناس كذا فى شرح الحماسة للتبريزى قال وقد سقط فى الاسلام النقيعة والنشيطة وأمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقتل النضر بن الحرث بالصفراء أى وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم نظر الى النضر وهو أسير فقال النضر للبسير الذى بجانبه محمد والله قاتلى فانه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا رعب وقال النضر لمصعب بن عمير رضى الله عنه يا مصعب أنت أقرب من هنا الى رحما فكلم صاحبك أن يجعلنى كرجل من أصحابى يعنى المأسورين هو والله قاتلى فقال مصعب انك كنت تقول فى كتاب الله كذا وكذا وتقول فى نبيه صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وكنت تعذب أصحابه وفى أسباب النزول للسيوطى وأقره وكان المقداد رضى الله عنه أسر النضر فلما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله قال المقداد يارسول الله أسيرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول وقد رثته اخته وقيل بنته رضى الله تعالى عنها فانها اسلمت بعد ذلك يوم الفتح فقالت من أبيات

أمحمد يا خير ضنء كريمة

من جملة قتلى المسلمين الاسود الراعى كان أجير الرجل من اليهود يرعى له غنما وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم وقيل يسار فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يارسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فاسلم وفى رواية قال ان أسلمت ماذا لى قال الجنة فاسلم فلما أسلم قال يارسول الله انى كنت أجير الصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها وفى رواية انها أمانة وهى للناس الشاة والشاتان واكثر من ذلك قال اضرب فى وجهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فاخذ حفنة من حصى فرمى به وجوهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين فاصابه حجر وفى رواية سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فاعرض عنه فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد فى لفظ لقد اكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا ثم ان الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم وهو أول حصن من حصون النطاة على يد على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن يزيد بن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخارى وفى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى رجل ممن يدعى الاسلام انه من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب أى يشك فى قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل النار فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين وهو أكثم الخزاعى فقال يارسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال صلى الله عليه وسلم قم يابلال فاذن فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفى رواية عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا

والذى رأيته فى الحماسة

أمحمد ولانت ضنء نجيبة * فى قومها والفحل فحل معرق

أى له عرق فى الكرم والضنء الولد

ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

وحين سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى أخضل أى بل لحيته وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه أى لقبول شفاعتها عندى بهذا الشعر وليس معناه الندم لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل الا حقا أى وكان للنضر هذا أخ يقال له النضير بالتصغير وكان أسن المهاجرين وقيل كان من مسلمة الفتح وربما يدل له انه صلى الله عليه وسلم أمر له بمائة بعير من غنائم حنين فجاءه شخص يبشره بذلك فقال لا آخذها فانى أحسب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطنى ذلك الا تألفا على الاسلام وما أريد ان أرتشى على الاسلام فقيل له انها عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها واعطى المبشر منها عشرة أبعرة ثم قتل صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط بعرق الظبية بضم الظاء المعجمة وهى شجرة يستظل بها وقال حين قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عقبة لما قدم للقتل نادى يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وفى لفظ ببزاقك فى وجهى أى فان عقبة كان يكثر مجالسته صلى الله عليه وسلم واتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له الشهادة وليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده صلى الله عليه وسلم ساجدا فى دار الندوة ففعل به ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف كذا فى الكشاف وفى لفظ آخر بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله وأنزل الله فيه ويوم يعض الظالم على يديه الآية وذكر ابن قتيبة انه صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل عقبة أى وقد قال يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم أى وأنا واحد منكم قال له يا محمد ناشدتك الله والرحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنت الا يهودى من أهل صفورية وفى رواية قال له انما أنت يهودى من أهل صفورية أى فليس هو من قريش أى لا رحم بينى وبينك أى لان أمية جد أبيه خرج الى الشام لما نافر عمه هاشما كما تقدم فأقام بصفورية ووقع على أمة يهودية ولها زوج يهودى من أهل صفورية فولدت له أبا عمرو والذى هو والد أبى معيط على فراش اليهودى فاستلحقه بحكم الجاهلية ثم قدم به مكة وكناه بأبى عمرو وسماه ذكوان مع ان الولد للفراش وقيل كان عبدا لامية فتبناه فلما مات أمية خلفه على زوجته ويدل لهذا الثانى

قال الى عسكره ومال الآخرون الى عسكرهم وفى أصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة الا تبعها يضربها بسيفه فقيل ما أجزى أحد منا اليوم كما أجزى فلان فقال صلى الله عليه وسلم أما انه من أهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع معه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت فى طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها وانما الاعمال بالخواتيم وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الرجل انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك لنفاق فى قلبه أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليه أو لانه يرتد بعد ذلك و يستحل قتل نفسه قال العلماء هذا الرجل أعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم انه نفذ عليه الوعيد بالنار ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضى عليه بالنار بل يحتمل ان هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك فى الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافرا و يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وجاء فى رواية ان الذى نادى بلال وفى أخرى عمر بن الخطاب وفى اخرى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم قال الحافظ ابن حجر يجمع بأنهم نادوا جميعا فى جهات مختلفة ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبى هريرة وسهل بن سعد رضى الله عنهما فى بعض الالفاظ فقيل ان القصة متعددة فى موطنين لرجلين مختلفين وقيل انها قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة وسيأتى ان أبا هريرة رضى الله عنه لم يحضر قتال خيبر انما جاء عند تقسيم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضى الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتموها وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون واستشهد من المسلمين خمسة عشر

ما ذكره بعض المؤرخين ان معاوية رضى الله تعالى عنه سأل رجلا من علماء النسب وفد عليه كم عمرك قال أربعون ومائتا سنة قال كيف رأيت الزمان فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يهلك والد و يخلف مولود فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ولولا المولود لم يبق أحد فقال له هل رأيت عبد المطلب قال نعم أدركته شيخا وسيما متسما جسيما يحف به عشرة من بنيه كأنهم النجوم فقال له هل رأيت أمية بن عبد شمس يعنى جده قال نعم رأيته أخفش أزرق ذميما يقوده عبده ذكوان فقال ويحك كف فقد جاء غير ما ذكرت ذاك ابنه فقال أنتم تقولون ذلك والقاتل لعقبة عاصم بن ثابت وقيل على رضى الله تعالى عنهما أى وقيل صلب على الشجرة (أقول) قال محمد بن حبيب الهاشمى هو أول مصلوب فى الاسلام ورده ابن الجوزى بان أول من صلب فى الاسلام خبيب بن عدى وقد يقال لا مخالفة لان المراد بالثانى أول مصلوب من المسلمين و بالاول أول مصلوب من الكفار وذكر ان أول من استعمل الصلب فرعون والمراد به فرعون موسى بن عمران لا فرعون ابراهيم الخليل وهو أول الفراعنة ولا فرعون يوسف بن يعقوب وهو ثانى الفراعنة وفى قول ان فرعون يوسف هذا هو فرعون موسى يعنى انه بقى الى زمن موسى عليه السلام وكان هلاكه على يده وفى كلام ابن قتيبة عن سعيد بن جبير ضم طعيمة بن عدى الى عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث أى لانه ممن قتل معهم صبرا وفيه نظر فقد تقدم ان القاتل له حمزة رضى الله عنه فى الحرب وسيأتى فى أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم أى وروى عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لما قدمت الى المدينة وكنت جائعا استقبلتنى امرأة يهودية على رأسها جفنة فيها جدى مشوى فقالت الحمد لله يا محمد الذى سلمك الله كنت نذرت لله ان قدمت المدينة سالما لاذبحن هذا الجدى ولاشوينه ولاحملنه اليك لتأكل منه فانطق الله الجدى فقال يا محمد لا تأكلنى فانى مسموم أى بخلاف ما وقع له صلى الله عليه وسلم فى خيبر فانه لم يخبره الذراع بذلك الا بعد أكله منه كما سيأتى وسيأتى انه سأل المرأة عن سبب ذلك وهنا لم يسألها ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة أى قاربها خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء أى وقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش ما الذى تهنؤنا به فوالله ان لقينا أى ما لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقولة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أولئك الملأ من قريش أى الاشراف والرؤساء وتلقته الولائد عند دخوله المدينة بالدفوف والولائد جمع وليدة وهى الصبية والامة وتلك الولائد يقلن

طلع البدر علينا ✽ من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ✽ ما دعا لله داع

وتلقاه أسيد بن الحضير فقال الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ولما أقبلوا من بدر فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على فقالوا يا رسول الله فقدناك فقال ان أبا الحسن وجد مغصا فى بطنه فتخلفت عليه ثم لما قدمت الاسارى فرقهم بين

رجلا وقيل أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصنا حصنا وهى النطاة بوزن حصاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار فى سهمه بعد وكان فى قلة جبل والشق والقموص وحصن البرى وحصن أبى والوطيح والسلالم وهو حصن ابن أبى الحقيق وأخذ صلى الله عليه وسلم كنز آل أبى الحقيق الذى كان فى مسك أى جلد حمار فلما كثر جعلوه فى مسك ثور فلما كثر جعلوه فى مسك جمل وكانوا قد غيبوه فى خربة فدل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه فأخبره وضعه وكان من مال بنى النضير الذى حمله حيى بن أخطب لما أجلى عن المدينة روى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان أهل خيبر شرطوا له صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيأ فان فعلوا فلا ذمة لهم فأتى بكنانة والربيع فقال لهما ما فعل مال حيى الذى جاء به من بنى النضير قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال أين آنيتكم التى كنتم تعيرونها أهل مكة قالوا هربنا فلم تزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شئ فقال ان كتمتمانى شيأ فاطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما فقالا نعم فدعا رجلا من الانصار فقال اذهب الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة مرفوعة فأتنى بما فيها فجاء بالآنية والاموال فقومت بعشرة آلاف دينار فضرب عنقيهما وسبى أهليهما بالنكث الذى نكثاه وفى رواية أن كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعه صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف فى خربة ههنا ففتشوها فوجدوا المسك فقتل ابن أبى الحقيق واصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته ان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤنك السلام ويقولون أجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة أخو أسماء والله انى لارجو ان يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه أسماء وبلغه ما قالت أسلم فدعا لهم أى قال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدى شئ أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا

الصحابة وقال استوصوا بهم خيرا وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش ابن عبد عمرو رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف قريش أى وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن أمية وكان يقال له سيد البطحاء وكان من أفصح قريش لسانا وكان جالسا فى الحجر والله ان يعقل أى ما يعقل هذا سلوه عنى فسألوه أى قالوا ما فعل صفوان فقال هو ذاك الجالس فى الحجر وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا وعن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب أى ثم وهبه العباس له صلى الله عليه وسلم وسيأتى الكلام عليه فى السرايا وكان العباس رضى الله تعالى عنه أسلم وأسلمت زوجته أى أم الفضل قيل انها أول امرأة أسلمت بعد خديجة كما تقدم وهى أم أولاده وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وأم حبيب قيل رآها صلى الله عليه وسلم وهى تدب بين يديه فقال ان بلغت وأنا حى تزوجتها فقبض صلى الله عليه وسلم قبل ان تبلغ قال ابن الجوزى فليس فى الصحابيات من كنيتها أم الفضل الا زوج العباس قال أبو رافع وأسلمت أنا وكنا نكتم الاسلام أى لان العباس كان يكره خلاف قومه لانه كان ذا مال كثير وأكثره متفرق فيهم أى وسيأتى الجواب عن كونه أسر وأخذ منه الفداء مع كونه مسلما وسيأتى انه لم يظهر اسلامه الا يوم الفتح فلما جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر سرنا ذلك فوالله انى لجالس اذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس عندنا فبينا هو جالس اذ قدم أبو سفيان بن الحرث وكان مع قريش فى بدر فقال له أبو لهب هلم الى عندك الخبر فقال والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا و يأسروننا كيف شاؤا وايم الله ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله ما يقوم لها شئ قال أبو رافع فقلت والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة وثاورنه أى وأثبته أى قام كل للآخر فاحتملنى وضرب بى الارض ثم برك على يضربنى فقامت أم الفضل الى عمود وضربته به ضربة فى رأسه أثرت شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب سيده تعنى العباس فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رمى بالعدسة أى ما عاش صحيحا قبل ان يرمى بالعدسة الا سبع ليال أى وهى بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فلم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه الى الحائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه أى لان العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها و يرون انها تعدى أشد العدوى فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه و بقى بعد موته ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه حتى انتن فلما خافوا السبة أى سب الناس لهم فى تركه فعلوا به ما ذكر وفى رواية حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفيرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها (أقول) قال فى النور وهذا القبر الذى يرجم خارج باب شبيكة أى الآن ليس بقبر أبى لهب وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة

بالعذرة وذلك فى دولة بنى العباس فان الناس أصبحوا وجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فمسكوهما بعد أيام فصلبا فى ذلك الموضع فصارا يرجمان الى الآن والله أعلم فلما ظهر الخبر ناحت قريش على قتلاهم أى شهرا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور وينحن حولها ويخرجن الى الازقة ثم اشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا نبكى قتلانا حتى نأخذ بثارهم وتواصوا على ذلك وكان الاسود بن زمعة ابن عبد المطلب أصيب له فى بدر ثلاثة ولداه وولد ولده وكان يحب ان يبكى عليهم وكان قد ذهب بصره أى بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم عليه بذلك أى لانه كما تقدم كان من المستهزئين بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا رآهم يقول قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يشق عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمى وتقدم ذلك وتقدم سبب عماه وفى كلام بعضهم كان صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود هذا بان يعمى الله تعالى بصره ويثكل ولده فاستجاب الله تعالى له فسبق العمى الى بصره أولا ثم أصيب يوم بدر بن نعاه من ولده أى وهو زمعة وهو أحد الثلاثة الذين كان يقال لكل واحد منهم زاد الركب كما تقدم وأخوه عقيل والحرث فانهما قتلا كافرين ببدر فتمت اجابة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا به قد سمع صوت باكية بالليل فقال لغلامه انظر هل أحل النحب أى البكاء هل بكيت قريش على قتلاهم لعلى أبكى فان جوفى قد احترق فلما رجع الغلام قال انما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته فأنشد من أبيات

أتبكى ان يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود

والسهود بضم السين المهملة عدم النوم والبكر الفتى من الابل والجدود بضم الجيم جمع جد بفتحها وهو الحظ والسعد وبعد هذين البيتين بيت آخر وهو

الا قد ساد بعدهم رجال * ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعرض بأبى سفيان فانه رأس قريش قال وقد جاء فى بعض الروايات اختلاف الصحابة فيما يفعل بالاسرى لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون فى هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم أى وقد يخالف هذا ما سبق من قوله ان من أسر أسيرا فهو له وقد يقال لا مخالفة لان معنى كونه له انه مخير فيه بين قتله وأخذ فدائه ولعله لا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما أراد قتل النضر قال المقداد رضى الله عنه وكان أسره يا رسول الله أسيرى فقال له انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول وفى رواية استشار صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا أى وفى رواية أبا بكر وعمر وعبد الله بن جحش فيما هو الاصلح من الامرين القتل وأخذ الفداء فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله أهلك وقومك وفى رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر ونصرك عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار

ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد ان أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاما منه من شعير وتمر وودك أى سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب فقتله الحباب فخرج آخر يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفارى فقتله وقال خذها وأنا الغلام الغفارى فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب ابن المنذر رضى الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فاقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا فى ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيأ كثيرا ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أى لا تخرجوا به الى بلادكم وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال أصبت من فى خيبر أى غنيمتها جرابا فاحتملته على عنقى أريد رحلى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها وهو أبو اليسر كعب بن زيد الانصارى رضى الله عنه فأخذ بناصيتى وقال هلم به حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا أعطيك فجعل يجاذبنى الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب الغنائم لا أبالك خل بينه وبينه فارسلنى فانطلقت به الى رحلى وأصحابى فاكلناه وكل الحصون فتحت عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم فانهما مكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهم فهم صلى الله عليه وسلم ان يحمل عليهم وان ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وأن لا يصحب أحدا منهم الا ثوب واحد فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيأ فتركوا ما لهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فمن قال ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير

الكفار وعسى الله أن يهديهم لك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب قال يا رسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى ان تمكننى من فلان قريب وفى لفظ نسيب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من أخيه عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه أى العباس رضى الله تعالى عنه فيضرب عنقه حتى يعلم أنه ليست فى قلوبنا مودة للمشركين ما أرى ان تكون لك أسرى فاضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم أى وقال ابن رواحة رضى الله عنه انظروا واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس رضى الله تعالى عنه وهو يسمع ثكلتك رحمك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت أى ولم يرد عليهم فقال بعض الناس يأخذ بقول أبى بكر وقال بعض الناس يأخذ بقول ابن رواحة ولم يقل قائل يأخذ بقول عمر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر فى الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة لعله لا ينزل الا بالرحمة فلا ينافى أن جبريل ينزل بالرحمة فى بعض الاحايين كما تقدم قريبا ومن ثم جاء فى الحديث أرأف امتى بامتى أبو بكر ومثلك فى الانبياء مثل ابراهيم حيث يقول فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قيل ان قوله فانك أنت العزيز الحكيم من مشكلات الفواصل اذ كان مقتضى الظاهر فانك أنت الغفور الرحيم ورد بان العزيز الذى لا يغلبه أحد ولا يغفر لمن استحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه والحكيم هو الذى يضع الشئ فى محله ومثلك يا عمر فى الملائكة مثل جبريل نزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى أى أغلب أحواله ذلك فلا ينافى أنه ينزل بالرحمة فى بعض الاوقات كما تقدم ومثلك فى الانبياء مثل نوح عليه السلام اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك فى الانبياء مثل موسى عليه السلام اذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الجلال السيوطى رحمه الله فى الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان من أصحابه من يشبه بجبريل وبابراهيم وبنوح وبموسى وبعيسى وبيوسف وبلقمان الحكيم وبصاحب يس هذا كلامه وقد علمت أن أبا بكر رضى الله عنه شبه بميكائيل ولم يذكر ميكائيل ولينظر من شبه من أصحابه بيوسف ثم رأيتنى ذكرت فيما تقدم قريبا أنه عثمان بن عفان رضى الله عنه ولينظر من شبه من أصحابه بلقمان الحكيم وبصاحب يس ثم قال صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر لو توافقتما ما خالفتكما فلا يفلتن منهم أحد الا بفداء أو ضرب عنق وقد وقع له صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل ذلك لهما وقد اختلفا فى تولية شخصين أراد صلى الله عليه وسلم تولية أحدهما على بنى تميم فقال أبو بكر يا رسول الله استعمل فلانا وقال عمر يا رسول الله استعمل فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انكما

هذين الحصنين ومن قال صلحا حمل على هذين ووجدوا فى الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ووجدوا فى أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم ثم جمع السبى فجاء دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه فقال يا رسول الله أعطنى جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيى وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبى غيرها فاخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيى من سبط هرون أخى موسى عليهما السلام فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ثم أعتقها وتزوج بها وفى المواهب وانما أخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها ابنة ملك من ملوكهم قال الحافظ ابن حجر ولدت صفية مائة نبى ومائة ملك ثم صيرها الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليس ممن توهب لدحية لكثرة من فى الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى نفاستها نسبا وجمالا فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان فى ذلك رضا الجميع وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع فى حجرها فذكرت ذلك لابيها فلطم وجهها وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكونى عند ملك العرب فلم يزل الاثر فى وجهها حتى أتى بها صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فاخبرته وأخرج ابن أبى عاصم عن أبى برزة رضى الله عنه قال لما نزل صلى الله عليه وسلم خيبر كانت صفية عروسا فرأت فى المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت فى صدرها فقصت ذلك على زوجها فقال ما تمنين الا هذا الملك الذى نزل بنا ولا تنافى لامكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فاخبرت بالمنام الاول أباها وبالثانى زوجها (وفى هذه الغزوة) سمت اليهودية الشاة للنبى صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم أنها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمته فقال

صلى الله عليه وسلم لاصحابه ارفعوا أيديكم ثم قال اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقونى عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال من أبوكم فقالوا أبونا فلان أى وانتسبوا الى غير أبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم قال هل أنتم صادقونى عن شئ ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا فقال لهم صلى الله عليه وسلم من أهل النار قالوا نكون فيها زمانا يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقونى عن الشئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم قال هل جعلتم فى هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفى رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى مشير الذراع قالت نعم قال لها ما حملك على ذلك قالت ان كنت نبيا يطلعك الله وان كنت كاذبا أريح الناس منك وقد استبان لى انك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضى الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة وفى رواية أن اليهودية قبل أن تضع السم جعلت تسأل أى أجزاء الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها الذراع فعمدت الى شاة لها فذبحتها ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد ان شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم فسمت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من تلك الاكلة بسبب ذلك السم فدفع صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لاوليائه فقتلوها فيه وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة فان فى بعضها أنه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية وفى بعضها أنه قتلها فيحمل على قتلها قصاصا فى بشر بن البراء وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه بل يعفو ويصفح وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة

لو اجتمعتما لاخذت برأيكما ولكنكما اختلفتما على احيانا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله الآية واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم مثلك يا أبا بكر الخ على جواز ضرب المثل من القرآن وهو جائز فى غير المزح ولغو الحديث والا كره ونسبة الاختلاف فى اسارى بدر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما الا تخالف ما سبق من نسبته للصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه يجوز أن يكونوا هم المرادين بالصحابة وعدم ذكر على رضى الله تعالى عنه مع ادخاله فى الاستشارة وكذا عبد الله بن جحش على ما تقدم لانه يجوز أن يكون وافق أحدهما أى فقد ذكر ابن رواحة مع عدم ادخاله فى الاستشارة (وفى كلام الامام أحمد رحمه الله) استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فى الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد مكنكم منهم قال فقام عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال يا أيها الناس ان الله قد مكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس فقام عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل الفداء فلما كان الغد غدا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله ما يبكيكما وفى لفظ ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم لو نزل عذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب وفى مسلم والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء أى للعذاب الذى كاد ان يقع على أصحابك لاجل أخذهم الفداء أى ارادة أخذه لقد عرض على عقابهم أدنى أى أقرب من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم الآيات (أقول) قال بعضهم فى هذه الآيات دليل على أنه يجوز الاجتهاد للانبياء لان العتاب الذى فى الآيات لا يكون فيما صدر عن وحى ولا يكون فيما كان صوابا واذا اخطؤا لا يتركون عليه بل ينبهون على الصواب وأجاب ابن السبكى رحمه الله بان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم أى ما كان هذا النبى غيرك ولا يخفى عليك ما فيه وفى كلام بعضهم ما يقتضى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز أن يقروا على الخطا لان من بعد من يخطئ منهم يبين خطاه بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم لا نبى بعده يبين خطاه فلا يقر على الخطا وفيه أن بعد نبينا عليه الصلاة والسلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يوحى اليه ونظر بعضهم فى وقوع الخطا من الانبياء واستمرارهم عليه بانه غير لائق بمنصب

النبوة

جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفرا وقبل جبهته وعانقه وقام له وقد قام لصفوان بن أمية لما قدم عليه ولعدى بن حاتم رضى الله عنهما ثم قال صلى الله عليه وسلم ما أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضى الله عنه أشبهت خلقى وخلقى فرقص رضى الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عندما يجدون من لذة المواجيد فى مجالس الذكر والسماع وقدم من الحبشة مع جعفر رضى الله عنه أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه وجماعة من قومه ففى البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه قال بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا واخوان لى أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم فى ثلاث أو اثنين وخمسين رجلا من قومى فركبنا سفينة فالقتنا الى النجاشى فوافقنا جعفر بن أبى طالب فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا وأمرنا بالاقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فأسهم لنا ولم يسهم لاحد غاب عن فتح خيبر منها شيأ الا لمن شهدها معه الا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فانه قسم لهم معنا وكانت أسماء بنت عميس رضى الله عنها متزوجة بجعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضى الله عنه سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس باحق بى منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان وعند البيهقى حديث طويل فى قصتهم وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال انى لاعرف أصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل واعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الايام أيضا أبو هريرة رضى الله عنه وطائفة من قومه قال أبو هريرة رضى الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى رضى الله عنه فاخبرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر

النبوة لان وجود من يستدرك الخطا لا يدفع مقتضيه وفيه جواز وقوع الخطا والعمل به قبل مجىء الاستدراك وتقدم جواز الاجتهاد له مطلقا الا فى خصوص الحرب واستثناء عمر ربما يفيد ان جميع الصحابة رضى الله تعالى عنهم وافقوا أبا بكر على أخذ الفداء وخالفوا عمر مع أنه تقدم قريبا ان سعد بن معاذ كره ذلك قبل عمر فقد تقدم أن المسلمين لما وضعوا أيديهم يأسرون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ فوجد فى وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله تعالى باهل الشرك فكان الاثخان فى القتل أحب الى من استبقاء الرجال ومن ثم قال لو نزل عذاب لم يفلت منه الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ كما سيأتى وفيه ان ابن رواحة كرهه بل أشار باحراقهم بالنار وفى الاصل ان جبريل عليه السلام نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فقال ان شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعد ذلك فنادى منادى النبى صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فجاؤا أو من جاء منهم أى وهم المعظم فقال ان هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم وبين أن تفادوهم ويستشهد قابلا منكم بعدتهم فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون وفى لفظ ويستشهد منا عدتهم فليس فى ذلك ما نكره وهو كما ترى يدل على ان الصحابة وافقوا أبا بكر رضى الله عنهم على أخذ الفداء ولعل هذا الاخبار بالتخيير كان بعد الاستشارة التى تكلم فيها أبو بكر وعمر وان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان بعد هذه الاستشارة الثانية وقول صاحب الهدى بكاؤه صلى الله عليه وسلم وبكاء الصديق رحمة وخشية ان العذاب يعم ولا يصيب من أراد ذلك خاصة يفيد ان الذى أشار باخذ الفداء طائفة من الصحابة لا كلهم (أقول) وفيه ان هذا يشكل عليه قوله لو نزل عذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب أو الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ فان فيه تصريحا بان العذاب لو وقع لا يعم وأنه لا يصيب الا من أشار بالفداء وفيه ان من أشار بالفداء غاية الامر انهم اختاروا غير الاصلح من الامرين واختيار غير الاصلح لا يقتضى العذاب على ان حل أخذ الفداء علم من واقعة عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى فانه أسر فيها عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ولم ينكره الله تعالى وذلك قبل بدر بازيد من عام الا أن يقال أراد الله تعالى تعظيم أمر بدر لكثرة الاسارى فيها مع شدة تصلبهم فى مقاتلته صلى الله عليه وسلم وفى المواهب كلام فى الآية المذكورة يتأمل فيه ورأيت فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما لولا أنى لا أعذب من عصانى حتى أقدم اليه الحجة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وعن الاعمش سبق منه أنه لا يعذب أحدا شهد بدرا ومن ثم جاء كما يأتى أن رجلا قال يا رسول الله ان ابن عمى نافق أى ائذن لى أن أضرب عنقه فقال له انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم والله أعلم ولا ينافى قتل سبعين منهم فى قابل أى فى أحد كون بعض الاسارى فى بدر مات فى الاسر ولم يؤخذ فداؤه وهو مالك بن عبيد الله أخو

فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر للكتيبة فاقمنا حتى فتح الله وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم حجاج بن علاط السلمى وأسلم وكان مكثرا من المال فقال يارسول الله ان مالى عند امرأتى بمكة ومتفرق فى تجار مكة فأذن لى ان آتى مكة لآخذ مالى قبل ان يعلموا باسلامى فلا أقدر على أخذ شئ منه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لابد لى ان أقول أى خلاف الواقع لاحتال على التوصل لاخذ مالى قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتشممون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أهل القوة والمنعة بعد ما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير فى ان النبى صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثانى فلما جاءهم حجاج قالوا الحجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا باسلامه ثم قالوا ياحجاج بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندى من الخبر ما يسركم فاجتمعوا على يقولون ايه ياحجاج فقلت لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وانهم أسروا محمدا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم وفى لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينونى على غرمائى أريد أن اقدم فأصيب من مغانم محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى ما هنالك فجمعوا الى مالى على أحسن ما يكون ثم فشا الخبر بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور بمكة وحزن من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فجعل لا يستطيع ان يقوم ثم أرسل الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى وأجل من ان يكون الذى جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على ابى الفضل السلام وقل له ليخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم عنى فاقبل الغلام فقال ابشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يكن مسه شئ واخبره بذلك واعتق العباس ذلك الغلام وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده

طلحة بن عبيد الله وكون بعضهم اطلق من غير أخذ فداء لان المنكر عدم قتل أولئك السبعين الذين أسروا (قال بعضهم) اتفق أهل العلم بالسير على ان المخاطبين بقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها هم أهل أحد أى قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا والله أعلم وتواصت قريش على أن لا يعجلوا فى طلب فداء الاسرى لئلا يتغالى محمد وأصحابه فى الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبى وداعة السهمى بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فاخذ أباه باربعة آلاف درهم وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضى الله عنهم لما رأى أبا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه أى فكان أول أسير فدى واسم أبى وداعة الحرث وذكر فى الصحابة قال الزبير بن بكار زعموا أنه كان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم بمكة أى والمشهور أن شريكه صلى الله عليه وسلم انما هو السائب بن أبى السائب الذى قال فى حقه وقد أسلم يوم الفتح وقد جعل الناس يثنون عليه أنا أعلمكم به هذا شريكى نعم الشريك كان لا يدارى ولا يمارى وفى رواية أنه لما قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم به قال صدقت بابى أنت وأمى كنت شريكى فنعم الشريك لا تدارى ولا تمارى وعند ذلك بعثت قريش فى فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف الى ثلاثة آلاف درهم الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه فداء أى وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر أى الى المدينة يسأل النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه وفى رواية لو كان مطعم حيا وكلمنى فى هؤلاء النفر وفى رواية فى هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم كان أجار النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم ذلك (وكان من جملة الاسارى) عمرو بن أبى سفيان بن حرب أخو معاوية أى أسره على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ٥ فقيل لابى سفيان افد عمرا ابنك قال أيجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة يعنى ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين رضى الله عنها وأفدى عمرا دعوه فى أيديهم يمسكونه ما بدا لهم فبينما أبو سفيان اذ وجد سعد بن النعمان أخا بنى عمرو بن عوف أى قد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبى سفيان فخلى سبيل سعد أى ولم يذكر عمرو وهذا فيمن أسلم من الاسارى والظاهر أنه مات على شركه وكان فى الاسارى زوج بنت النبى صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله عنها وهو أبو العاص بن الربيع بكسر الموحدة وتشديد الياء مفتوحة قال فى الاصل ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بناء على ما تقوله العامة ان ختن الرجل زوج ابنته والمعروف لغة أن ختن الرجل أقارب زوجته مثل أبيها وأخيها

الله ان يكتم عنه ثلاثة أيام وقال انى أخشى الطلب فاذا مضت الثلاث فاظهر امرك فوافقه العباس رضى الله عنه على ذلك فقال انى أسلمت وان لى عند امرأتى مالا ودينا على الناس ولو علموا باسلامى لم يدفعوه الى وانى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيى بن أخطب وقتل ابن أبى الحقيق وأخبره الخبر بتمامه فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العباس رضى الله عنه تلك الليالى الثلاث

فلما مضت الثلاث عمد العباس رضى الله عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون لا يصيبك الا خير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى الا خير بحمد الله أخبرنى حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيى بن أخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها وانما قال لكم ذلك ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجناكم ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضى الله عنه ووقعت منهم خيانة وغدر ببعض المسلمين فاجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك والله أعلم

﴿غزوة وادى القرى﴾

اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتينا وادى القرى نزلناها أصيلا مع غروب الشمس وحاصرهم صلى الله عليه وسلم أربعة أيام وهيأ صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضى الله عنه وراية الى الحباب ابن المنذر رضى الله عنه وراية الى سهل بن حنيف رضى الله عنه وراية الى عباد بن بشر رضى الله عنه ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم

وأخيها ومع ذلك لا ينبغى أن يقال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ختن أبى العاص ولا ختن على لايهامه النقص وفى حفظى أن عند المالكية من قال عنه صلى الله عليه وسلم يتيم أبى طالب وختن حيدرة كان مرتدا وفى عبارة أو بدل الواو ورواية أو مبينة للمراد من رواية الواو وان ما أفهمته من اعتبار الجمعية ليس مرادا وحيدرة اسم على رضى الله تعالى عنه وأبو العاص أسلم بعد ذلك كما سيأتى وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وأبو ولدها على الذى أردفه صلى الله عليه وسلم خلفه يوم فتح مكة ومات مراهقا وأبو بنتها امامة التى كان يحملها صلى الله عليه وسلم فى الصلاة أى وكان يحبها حبا شديدا فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال لادفعنها الى أحب أهلى الى فقالت النساء ذهبت بها ابنة أبى قحافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة بنت زينب فعلقها فى عنقها وتزوجها على بعد موت خالتها فاطمة رضى الله تعالى عنها بوصية من فاطمة زوجها له الزبير بن العوام وكان أبوها أوصى بها الى الزبير ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فماتت عنده وكان تزويجها للمغيرة بوصية من على رضى الله تعالى عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لها انى لا آمن أن يخطبك معاوية وفى لفظ هذا الطاغية بعد موتى فان كان لك فى الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها أرسل معاوية الى مروان أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبنى فان كان لك حاجة فى فاقبل فجاء وخطبها من الحسن بن على أى فزوجها منه أى ولا يخالف ما تقدم ان المزوج لها الزبير بن العوام لانه يجوز أن يكون الحسن كان هو السبب فى تزويج الزبير لها فبعثت زينب رضى الله عنها فى فداء زوجها أبى العاص قلادة لها كانت أمها خديجة رضى الله عنها أدخلتها بها عليه حين بنى بها أى والجائى بها أخوه عمرو بن الربيع ولا يعلم لعمرو هذا اسلام فلما رأى تلك القلادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا قالوا نعم يارسول الله فاطلقوه وردوا عليها القلادة وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيل زينب أى أن تهاجر الى المدينة أى وقد كان كفار قريش مشوا اليه أن يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما طلق ولدا أبى لهب بنتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل الدخول بهما رقية وأم كلثوم كما تقدم وقالوا له نزوجك أى امرأة من قريش شئت فابى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بها امرأة من قريش فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وأثنى عليه بذلك خيرا فلما وصل أبو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها فخرجت وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل زيد ابن حارثة ورجلا من الانصار قال لهما تكونان ببطن كذا المحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيابها أى وذكر ان حماها كنانة بن الربيع أخا زوجها قدم لها بعيرا فركبته

انهم ان أسلموا احرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضى الله عنه ثم آخر فقتله الزبير أيضا ثم آخر فقتله على رضى الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة رضى الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل رجل دعا من بقى الى الاسلام حتى أعطوا ما بايديهم وفتحها صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الارض والنخل بايدى يهود وعاملهم عليها وولاها صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعد بن العاص وصالحه صلى الله عليه وسلم أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادى القرى وولاها صلى الله عليه وسلم يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه وكان اسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة وصالحه أيضا أهل فدك على ان لهم نصفها وله صلى الله عليه وسلم نصفها فأقرهم على ذلك فكانت له صلى الله عليه وسلم خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وقدم بعض أهل السير مصالحة أهل فدك على غزوة وادى القرى لانه صالحهم بعد ان فتح خيبر ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصورا مؤيدا والله أعلم

﴿ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء﴾

﴿سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾

الى تربة بضم التاء وفتح الراء وبالموحدة وتاء التأنيث واد بقرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء وهو موضع على أربع ليال من مكة وكانت فى شعبان سنة سبع بعث صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه ثلاثون رجلا فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوازن الى الطائفة التى كانت منهم بتربة فهربوا وجاء عمر رضى الله عنه الى محالهم فلم يلق منهم أحدا بل ترفعوا واخذوا سائر مالهم من نعم وغيرها فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذى الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بنى هلال هل لك فى جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد اجدبت بلادهم فقال عمر رضى الله عنه لم يأمرنى صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرنى ان اعمد لقتال هوازن بتربة

﴿ثم سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه﴾ الى بنى كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء

واتخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودها فى هودج لها وكانت حاملا فتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها وفى رواية أنه سبق اليها هبار ورجل آخر يقال له نافع وقيل خالد بن عبد قيس ثم ان كنانة برك ونثر كنانته وأخذ قوسه وقال والله لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه أبو سفيان فى رجال من قريش وقال له كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف ثم قال له انك لم تصب فى فعلك فانك خرجت بالمرأة جهارا على رؤس الاشهاد وقد عرفت مصيبتنا التى كانت وما دخل علينا من محمد فيظن الناس اذا اخرجت زينب علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا ان ذلك من ذل أصابنا وان ذلك منا من ضعف ووهن ولعمرى مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسربها سرا فالحقها بأبيها ففعل وأقامت ليالى ثم خرج بها ليلا حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجيء بزينب قال بلى يارسول الله قال فخذ خاتمى فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقى راعيا فقال لمن ترعى قال لابى العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له هل ان أعطيتك شيأ تعطيها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فاعطاه الخاتم فانطلق الراعى الى زينب وأدخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من أعطاك هذا قال رجل قالت فاين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها زيد اركبى بين يدى على بعيرى قالت لا ولكن اركب أنت بين يدى فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهرين من بدر وكان صلى الله عليه وسلم يقول زينب أفضل بناتى أصيبت بى أى بسببى (ومن العجب) ان هذه العبارة ساقها الامام سراج الدين البلقينى فى فتاويه فى حق فاطمة رضى الله عنها حيث قال وقد روى البزار فى مسنده من طريق عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة هى خير بناتى لانها أصيبت فى هذا كلامه ولينظر ما الذى أصيبت فاطمة بسببه صلى الله عليه وسلم وقد يقال اصابتها بسبب موته صلى الله عليه وسلم فى حياتها ثم رأيت الحافظ ابن حجر أجاب بذلك حيث قال لانها رزئت بابيها فكان فى صحيفتها أى فهو من أعلام نبوته أو ان قوله فى زينب ما ذكر كان قبل ما وهب الله لفاطمة من الكمالات وقد سئل الامام البلقينى رحمه الله تعالى هل بقية بناته صلى الله عليه وسلم أى بعد فاطمة سواء فى الفضل أو يفضل بعضهن على بعض ولم يجب عن ذلك ولا مخالفة بين خروج زينب الى زيد وخروج حموها بها الى زيد وبهذا أى بتأخر هجرة زينب يظهر التوقف فى قول ابن اسحق أما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن أدركن الاسلام وأسلمن وهاجرن معه الا أن يقال المراد اشتركن معه فى الهجرة وتقدم ما فى قوله وأسلمن وكون الجائى فى فداء أبى العاص أخوه عمرو يخالف ما جاء ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها

وتشديد الياء وكانت فى شعبان أيضا سنة سبع ويقال الى بنى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح امرنا فشننا الغارة فوردنا الماء وقتل من قتل منهم ورأيت الذرارى فخشيت ان يسبقونى الى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهى أم قرفة عليها قشع من ادم ومعها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم اسوقهم الى أبى بكر رضى الله عنه فنفلنى أبو بكر ابنتها فلم اكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقينى صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدى بها اسرى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين قال بعضهم ان تسمية المرأة بأم قرفة وهم لان ذلك انما كان فى سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم

﴿ثم سرية بشير بن سعد﴾

الانصارى الخزرجى رضى الله عنه الى بنى مرة بفدك فى شعبان أيضا سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس فقالوا هم فى نواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ فاخبرهم فادركه العدد الكثير منهم عند الليل فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير فأصيبوا وولى منهم من ولى وقاتل بشير حتى جرح وصار به رمق فضربوا كعبه اختبارا لحاله اهو حى أم ميت فلما لم يتحرك قالوا قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضى الله عنه بخبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر فى القتلى حتى امسى فلما امسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عندهم ودبها اياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة

﴿ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه﴾ الى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائة وثلاثين رجلا وقيل فى مائتين وثلاثين فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة وفى هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضى الله عنه نهيك بن مرداس الاسلمى وقيل الغطفانى بعد ان قال لا اله الا الله محمد

أرسلت فى فداء أبى العاص وأخيه عمرو بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة الحديث ولعلها تصحيف وان الاصل بعثت فى فداء أبى العاص أخاه عمرو بن الربيع ويدل لذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الرواية ان رأيتم أن تردوا لها أسيرها فأطلقوه ولم يقل أسيريها وكان فى الاسارى سهيل بن عمرو العامرى وتقدم أنه كان من أشراف قريش وخطبائها فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش فى الجاهلية فقال الاسود بن عبد المطلب وسهيل بن عمرو وسئل عن خطبائهم فى الاسلام فقال معاوية بن أبى سفيان وابنه يعنى يزيد وسعيد بن العاص وابنه يعنى عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير ولعل هذا لا يخالف ما تقدم من قول الاصمعى الخطباء من بنى مروان عتبة بن أبى سفيان أخو معاوية وعبد الملك بن مروان ومما يؤثر عن عتبة ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم كما تقدم وقال عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع أى بالدال والعين المهملتين يخرج لسانه أى لانه كان أعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله تعالى بى وان كنت نبيا وعسى ان يقوم مقاما لا تذمه فكان كذلك فانه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام حتى خافهم أمير مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وتوارى فقام سهيل بن عمرو رضى الله عنه خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ألم تعلموا ان الله تعالى قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآيات وتلا آيات أخر ثم قال والله انى أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم يعنى أبا سفيان فانه ليعلم من هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقو دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعنى أبا بكر رضى الله تعالى عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وعند ذلك ظهر عتاب بن أسيد رضى الله عنه وقدم مكرز بن حفص فى فداء سهيل فلما ذكر قدرا أرضاهم به قالوا له هات فقال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا وكان فى الاسارى الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد افتكه أخواه هشام وخالد فلما افتدى أسلم فعاتبوه فى ذلك فقال كرهت ان يظن بى انى جزعت من الاسر ولما أسلم واراد الهجرة حبسه أخواه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو له فى القنوت كما تقدم ثم أفلت ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء كما سيأتى أى وكان فى الاسارى السائب وهو الاب الخامس لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه وكان صاحب راية بنى هاشم فى ذلك اليوم أى التى كان يقال لها فى الحرب العقاب ويقال لها راية الرؤساء ولا يحملها فى الحرب الا رئيس القوم

رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اسامة من لك بلا اله الا الله فقال يارسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال اسامة لا اقاتل أحدا يشهد أن لا اله الا الله وفى رواية ان قوم مرداس لما انهزموا بقى وحده وكان ألجأ غنمه لجبل فلما لحقوه قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد رضى الله عنهما فلما رجعوا انزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله ٢١٨ فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الآية وقيل ان ذلك فى سرية أخرى سنة ثمان كان اسامة هو أميرها وانه لما قدم المدينة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال اسامة قلت يارسول انما كان متعوذا فما زال يكررها أى قوله اقتلته الخ حتى تمنيت انى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أى لان الاسلام يجب ماقبله فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم دفع لاهل القتيل ديته وأمر اسامة ان يعتق رقبة والله أعلم

﴿ثم سرية بشير بن سعد أيضا﴾

الانصارى رضى الله عنه الى يمن وجبار وهى أرض لغطفان ويقال لفزارة وكانت فى شوال سنة سبع من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بارض غطفان واعدهم عيينة بن حصن للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فاسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما فارسلهما والمناوشة تدانى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا ﴿عمرة القضاء﴾ قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب انه صلى الله عليه وسلم خرج فى هلال ذى القعدة سنة سبع معتمرا وأمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضا فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين الغفارى رضى الله عنه وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس وانما فعل ذلك احتياطا وتوثقا وخوفا من غدر

وكانت لابى سفيان أولى بيس مثله ولغيبة أبى سفيان فى العير حملها السائب لشرفه وفدى نفسه وأما أبوه الرابع الذى هو شافع الذى ينسب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه الذى هو ولد السائب اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فأسلم وكان فى الاسارى وهب بن عمير رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وكان أبو عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك جالس يوما مع صفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه فى الحجر فتذاكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان ما فى العيش والله خير بعدهم فقال عمير والله صدقت أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء وعيال اخشى عليهم الضيعة بعدى كنت آتى محمدا حتى أقتله فان لى فيهم علة ابنى أسير فى أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا قال عمير فاكتم عنى شأنى وشأنك قال أفعل ثم ان عميرا أخذ سيفه وشحذه بالمعجمة أى سنه وسمه أى جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين اناخ راحلته على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء الا بشر فدخل عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال صلى الله عليه وسلم فأدخله على فأقبل عمر رضى الله عنه حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه والحمالة بكسر الحاء المهملة العلاقة فمسكه بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر رضى الله عنه آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير انعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذى فى أيديكم يعنى ولده وهبا فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيأ قال صلى الله عليه وسلم أصدقنى ما الذى جئت له قال ما جئت الا لذلك قال صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيالى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يارسول الله نكذبك بما تأتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله انى لأعلم ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذى هدانا للاسلام وساقنى هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم فى دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا أسيره ففعلوا ذلك ثم قال يارسول الله انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد

أهل مكة فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضى الله عنه وأحرم صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الفرع ولبى ولبى المسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فأتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ٢١٩ ومدتنا ففيم يغزونا محمد فى أصحابه وبعثوا مكرز ابن حفص فى نفر من قريش حتى لقوه صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء ثم رجع باصحابه الى مكة فقال ان محمدا على الشرط الذى شرط لكم ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج موضع على أميال من مكة وخلف عليه اوس بن خولى الانصارى رضى الله عنه فى مائتى رجل حتى قضى الكل مناسك عمرتهم رضى الله عنهم وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال ولم يقدروا على رؤيته صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يطوفون بالبيت وفى رواية خرجوا استنكافا أن ينظروا اليه صلى الله عليه وسلم غيظا وحنقا أى حسدا وقدم صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه بذى طوى وخرج راكبا ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشى بين يديه وهو يقول

خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله
قد أنزل الرحمن فى تنزيله * بان خير القتل فى سبيله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله
يارب انى مؤمن بقيله * انى رأيت الحق فى قبوله

فقال له عمر رضى الله عنه يا ابن رواحة أبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال له صلى الله عليه وسلم

شديد الاذى لمن كان على دين الله فانا أحب ان تأذن لى فأقدم مكة فادعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وأسلم ولده وهب رضى الله عنه وكان صفوان حين خرج عمير يقول ابشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف ان لا يكلمه أبدا وان لا ينفعه بنفع أبدا أى ولما قدم عمير لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث لم يبدأ بى قبل منزله أنه قد نكس وصبأ ولا أكلمه أبدا ولا أنفعه ولا عياله بنافعة ثم ان عميرا وقف على صفوان وناداه أنت سيد من ساداتنا أرأيت الذى كنا عليه من عبادة الحجر والذبح له أهذا دين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذى استأمنه صلى الله عليه وسلم لصفوان كما سيأتى * وكان فى الاسارى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لابيه وأمه قال أبو عزيز مر بى أخى مصعب فقال للذى أسرنى شد يدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقلت له يا أخى هذه وصايتك بى فبعثت أمه فى فدائه أربعة آلاف درهم ففدته بها * وكان فى الاسارى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم أى وقد شدوا وثاقه فأن فلم يأخذه صلى الله عليه وسلم نوم فقيل ما يسهرك يارسول الله قال لانين العباس فقام رجل وأرخى وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم والذى أسره أبو اليسر كعب بن عمرو وكان دميما أى بالمهملة صغير الجثة والعباس جسيما طويلا فقيل للعباس رضى الله تعالى عنه لو أخذته بكفك لوسعته كفك فقال ما هو ان لقيته فظهر فى عينى كالخندمة أى وهو جبل من جبال مكة أى وأبو اليسر هذا هو الذى انتزع راية المشركين وكانت بيد أبى عزيز بن عمير قال وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل كعبا وقال له كيف أسرت العباس قال يارسول الله لقد أعانى عليه ملك كريم أى وفى رواية ان العباس رضى الله تعالى عنه لما قيل له ما تقدم قال والله ان هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أبلج من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه فى القوم فقال الذى جاء به والله أنا الذى أسرته يارسول الله فقال اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وفى الكشاف ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله بن أبى ابن سلول قميصه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس أربعمائة أوقية وفى رواية مائة أوقية وفى رواية أربعين أوقية من ذهب وفى رواية جعل على العباس أيضا فداء عقيل بن أخيه ثمانين أوقية أى وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحرث وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك يا عباس وابنى أخيك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث ابنى عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية وسيأتى ما يدل على انه انما فدى نفسه وابن أخيه عقيلا فقط وقال للنبى صلى الله عليه وسلم تركتنى فقير قريش ما بقيت وفى لفظ تركتنى أسأل الناس فى كفى فقال له

خـل عنـه يا عمر فلهى أى هذه الابيات أى نكايتها فيهم اسرع من نضح النبل وقيـل ان قوله نحن ضربناكم على تأويله الخ من قول عمـار بن ياسر رضى الله عنهما يوم صفين ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا وتمثل به عمـار يوم صفين ثم قال صلى الله عليه وسـلم لابن رواحة رضى الله عنه قل لا اله الا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس وفى أمره بذلك زيادة اغاظة للكفار ٢٢٠ لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور لاسيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على ناقته وفى رواية ماشيا وهرول ثلاثة أشـواط والمسلمون يطوفون معـه وقـد اضطبعوا بثيابهم وفى البخارى ومسـلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فامرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهـم فقالوا هؤلاء الذين زعمتـم ان الحمى وهنتهـم لهؤلاء اجلد من كذا وكذا انهـم لينفرون نفر الظبى والمشركون كانوا على جبل قعيقعان فامرهم أن يمشـوا بين الركنـين حيث لا يراهم قريش لانهم انما يرونهم اذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سـعى صلى الله عليه وسـلم بين الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هنالك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا الى أصحابه ببطن يأجج يقيمون عـلى السـلاح ويأتى الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش فى الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك الله والعهد الا ما خرجت من أرضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضى الله عنه فاسكته صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل قال الحافظ ابن حجر كأنه دخل فى أوائل النهار فلم تكمل الثلاث الا فى مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفى البخارى من حديث البراء فلما دخلها يعنى مكة ومضى الاجل أى الايام الثلاثة أتوا عليا رضى الله عنه فقالوا قل له اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبى صـلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه واسمها

رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فاين المال الذى دفنته لام الفضل يعنى زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبنى الفضل وعبد الله وقثم وفى كلام ابن قتيبة فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا فقال والله انى لاعلم انك رسول الله ان هـذا شئ ما علمه الا أنا وأم الفضل زاد فى رواية وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله وفى رواية ان العباس قال للنبى صلى الله عليه وسلم لقد تركتنى فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفى رواية أين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد أن الذى تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله وتقدم عن أبى رافع مولى العباس أن العباس رضى الله تعالى عنه وزوجته أم الفضل كانا مسلمين بل تقدم أنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة رضى الله عنها وكانا يكتمان اسلامهما وان أبا رافع كان كذلك ومما يؤيد اسلام العباس رضى الله عنه انه جاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله تعالى عنه قال علام يأخذ منا الفداء وكنا مسلمين أى وفى رواية كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا أى ايمانا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم أى من الفداء الآيات فعند ذلك أى عند نزول الآيات قال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم لوددت أنك كنت أخذت منى أضعافا فقد آتانى الله خيرا منها مائة عبد وفى لفظ أربعين عبدا كل عبد فى يده مال يضرب به أى يتجر فيه وانى لارجو من الله المغفرة أى وهذا القول من العباس رضى الله تعالى عنه يدل على تأخر نزول هذه الآيات (وجاء ان العباس رضى الله تعالى عنه) خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فأخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال اما شئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك وجاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله تعالى عنه لما أسر تواعدت طائفة من الانصار على قتله فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمر لم أنم الليلة من أجل عمى العباس زعمت الانصار أنهم قاتلوه فأتى عمر الانصار فقال لهم أرسلوا العباس فقالوا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فقالوا ان كان رضى فخذه فأخذه عمر فلما صار فى يده قال له يا عباس أسلم فوالله لان تسلم أحب الى من ان يسلم الخطاب أى وفى أسباب النزول للواحدى لما أسر العباس يوم بدر أقبل المسلمون عليه يعيرونه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ على له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له على ألكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج ونفك العانى فأنزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الآية وجاء أنه قال للمسلمين لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فأنزل الله تعالى أجعلتم سقاية

الحاج

امامة أو عمارة أو سلمى أو غير ذلك تنادى يا عم يا عم فتناولها على رضى الله عنـه وقال لفاطمة رضى الله عنها وهى فى هودجها دونك ابنة عمك وقال على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين فلم ينهـه فخرج بها ثم اختصم فيها على وجعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهـم أى فى انها تكون عند أيهم وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال على رضى الله عنـه أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهرانى المشركين وقال جعفر بن أبى طالب هى ابنة عمى ٢٢١ وخالتها اسماء بنت عميس تحتى وقال زيد بن حارثة هى ابنـة أخى أى لان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين حمزة رضى الله عنـه فكان لكل فيها شبهة فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى أنت منى وأنا منك تطييبا لخاطره وقال لجعفر اشبهت خلقى وخلقى وقال لزيد أنت أخونا ومـولانا وانما اقرهم النبى صلى الله عليـه وسـلم على اخراجها مع اشـتراط المشركين ان يرد اليهـم من جاء اليه وان لا يخرج بأحد من أهلها لانهـم لم يطلبوها ولان النسـاء المـؤمنات لم يدخلن فى ذلك الشرط وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة رضى الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف وجاء فى رواية انه عقـد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال قال المحققون ان ذلك وهـم والصحيح الاول واختلف الناس فى تسمية هـذه العـمرة عمرة القضاء فقال مالك والشافعى والجمهور لانه قاضى قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذى وقع عليـه الحكم لا لانها قضاء عن العـمرة التى صد عنها لانها لم تكن فسـدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة وقال أبو حنيفة وأحمد فى رواية عنه ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سـبحانه وتعالى أعلم ﴿ذكر خمس سرايا قبـل سرية مؤتة﴾ سرية الاخرم بن أبى العوجاء السلمى رضى الله عنه الى بنى سليم فى ذى الحجة سنة سبع فى خمسين رجلا فخرج اليهم فعلم بخروجه عين لبنى سليم فأخبرهـم بخروجه اليهـم وحذرهم فجمعوا الا ابن أبى العوجاء جمعا كثيرا فأتاهم وهـم معدون له فدعاهم الى الاسـلام فقالوا لا حاجـة لنا الى ما دعوتنا اليه فتراموا بالنبـل ساعة وأتتهـم الامـداد وأحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحيـة وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهـم وفى

الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله الآية (وذكر بعضهم) أن العباس رضى الله تعالى عنه كان رئيسا فى قريش واليه عمارة المسجد الحرام فكان لا يدع أحدا يتسبب فيه ولا يقول فيه هجرا والتشبيب ترقيق الشعر بذكر النساء والهجر الكلام الفاحش فكانت قريش اجتمعت وتعاقدت على تسليم ذلك للعباس وكانوا عونا له على ذلك ومن ثم قيـل فى العباس هذا والله هو الشرف يطعم الجائع ويؤدب السفيه فان طعامه كان لفقراء بنى هاشم وقيل وسوطه معد لسفهائهم واذا كان ذلك لسفهاء بنى هاشم فلسـفهاء غيرهم بطريق الاولى والظاهر أن ذلك لا يختص بسكونهم فى المسجد كما قد يدل عليـه الرواية الاولى ولا ينافى هذا أى قول عمر له أسلم الى آخره ما تقدم عن مولاه أبى رافع من ان العباس كان مسلما ومن قوله للنبى صلى الله عليه وسلم انه كان مسلما ومن اتيانه بالشهادتين عنده صلى الله عليه وسـلم لان ذلك لم يظهره علانية بل أظهره له صلى الله عليه وسـلم فقط ولم يعلم به عمر ولا غيره ولم يظهر النبى صلى الله عليه وسلم اسـلام العباس رفقا به لما تقدم ان العباس كان له ديون متفرقة فى قريش وكان يخشى ان أظهر اسـلامه ضاعت عندهم ومن ثم لما قهرهم الاسـلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه أى فلم يظهر اسـلامه الا يوم الفتح وكان كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فيكتب له مقامك بمكة خير لك أى وفى رواية استأذن العباس رضى الله عنه النبى صـلى الله عليه وسـلم فى الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذى أنت فيـه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة فكان كذلك وفى رواية أنه قال لابن عمـه نوفل بن الحرث بن عبـد المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالى شئ أفدى به نفسى قال افد نفسـك من مالك الذى بجدة وفى لفظ بارماحك التى بجدة فقال أشهد أنك رسول الله والله ما أحد يعلم أن لى بجدة أرماحا غير الله أى وفدى نفسه ولم يفده العباس ويدل لذلك ما رواه البخارى عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسـلم أتى بمال من البحرين أى من خراجهـما فقال انثروه فى المسجد فكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أى كان مائة ألف وكان أول خراج حمل اليه صلى الله عليه وسلم وكان يأتى فى كل سـنة وحينئذ لا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسـلم لجابر لو قد جاء مال البحرين أعطيتك فلم يقدم مال البحرين حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسـلم لان المراد انه لم يقدم فى تلك السنة ولما نثر ذلك المال فى المسجد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فكان لا يرى أحدا الا أعطاه فجاءه العباس فقال يا رسول الله اعطنى انى فاديت نفسى وفاديت عقيـلا أى ولم يقل نوفلا ولا حليفه عتبة بن عمرو فقال خذ فحثى فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يسـتطع فقال مر بعضهم يرفعه الى قال لا قال فارفعـه أنت على قال لا فنـثر منـه ولا زال يفعل كذلك حتى بقى ما يقدر على رفعه فرفعه على كاهله أى بين كتفيه ثم انطلق وهو يقول انما أخذت ما وعد الله فقد أنجز فما زال صلى الله عليه وسـلم يتبعه بصره عجبا من حرصه حتى خفى (ومن) رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من الاسارى بغير فداء

رواية قتلوا جميعا حتى أميرهم وقيل تركوه جريحا ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من صفر وقيل نجا معه اثنان أو أكثر فعاونوه فى الذهاب الى المدينة والله أعلم ﴿ سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه ﴾ الى بنى الملوح بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال وهو ماء بين عسفان وقديد وكانت فى صفر سنة ثمان روى ابن اسحق وغيره عن جندب بن مكيث الجهنى رضى الله عنه ٢٢٢ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها

وأمره بشن الغارة على بنى الملوح بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا الحرث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء فأخذناه فقال انى جئت أريد الاسلام وما خرجت الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة وان تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددنا وثاقا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود وقلنا له ان غارك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا فى ناحية الوادى وبعثنى أصحابى ربيئة لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله انى لمنبطح على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته انى لارى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى فانظرى الى أوعيتك هل تفقدين شيأ لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت وقالت لا والله ما أفقد شيأ قال فناولينى قوسى وسهمين فناولته فأرسل سهما فما أخطأ بين عينى فنزعته وثبت مكانى فأرسل الآخر فوضعه فى منكبى فنزعته ووضعته وثبت مكانى فقال لامرأته لو كان ربيئة لقوم لقد خالطه سهماى لا ابالك اذا أصبحت فابتغيهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان فى وجه السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا وادركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم الا الوادى قديد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشئ ليس لاحد به قوة ولا يقدر احد ان يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم لا يستطيع رسول

منهم أبو عزة عمرو الجمحى الشاعر كان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يارسول الله انى فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وفى رواية قال له ان لى خمس بنات ليس لهن شئ فتصدق بى عليهن ففعل وأعتقه وأخذ عليه ان لا يظاهر عليه أحدا أى ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر وقتل صبرا وحملت رأسه الى المدينة كما سيأتى أى فعلم أن أسرى بدر منهم من فدى ومنهم من خلى سبيله من غير فداء وهو أبو العاص وأبو عزة ووهب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط كما تقدم (ولما بلغ) النجاشى نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا فعن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن النجاشى أرسل اليه والى أصحابه الذين معه بالحبشة ذات يوم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال لهم انى أبشركم بما يسركم انه قد جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن الله عز وجل قد نصر نبيه وأهلك عدوه وفلانا وفلانا وعدد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه غنما لسيدى من بنى ضمرة فقال له جعفر ما لك جالس على التراب عليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على عيسى ان حقا على عباد الله أن يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفى رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا حدث له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما أحدث الله تعالى نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثت هذا التواضع وفى رواية انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة الحديث قال ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل وجوههم قالوا ان ثارنا بارض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من أتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى النجاشى ليدفع اليهما من عنده من المسلمين فأرسلوا معهما هدايا وتحفا للنجاشى فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى بكتاب يوصيه فيه على المسلمين انتهى وفى الاصل هنا ما يوافقه وفيه ان عمرو بن أمية الضمرى لم يكن أسلم بعد أى لانه كما فى الاصل شهد بدرا وأحدا مع المشركين وأول مشهد شهده مع المسلمين بئر معونة وأسر فى ذلك وجزت ناصيته وأعتق وكان ذلك فى سنة أربع كما سيأتى قال فلما وصل عمرو وعبد الله الى النجاشى ردهما خائبين أى فعن عمرو بن العاص قال دخلت على النجاشى فسجدت له فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيأ فقلت نعم أيها الملك أهديت لك أدما كثيرا ثم قربته اليه فأعجبه وفرق منه أشياء بين بطارقته وأمر بسائره فأدخل فى موضع وأمر ان يكتب ويحفظ به قال عمرو فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك انى رأيت رجلا خرج من عندك يعنى عمرو بن أمية الضمرى وهو

رجل منهم أن يعبر الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرث بن مالك هو ابن البرصاء وهى أمه وقيل أم أبيه وهو صحابى رضى الله عنه سكن مكة ثم المدينة وتوفى آخر خلافة معاوية رضى الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذى وابن حبان وصححاه والله أعلم ﴿ اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبى ٢٢٣ وعمرو بن العاص رضى الله عنهم ﴾ قال خالد بن الوليد

لما أراد الله عز وجل بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الاسلام وحضر لى رشدى وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن اشهده الا انصرف وأنا أرى فى نفسى انى فى غير شئ وان محمدا ظاهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم اشهد دخوله فكان أخى الوليد بن الوليد دخل معه فطلبنى فلم يجدنى فكتب الى كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام لا يجهله أحد قد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال أين خالد فقلت يأتى الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرتنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب اما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا فقال لو لم يكن يبق غيرى ما اتبعته أبدا فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذى قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا اذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبى قلت هذا لى صديق فأردت ان اذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان واخوته الاربع مسافع والجلاس والحرث وكلاب فانهم قتلوا كلهم يوم أحد فكرهت ان اذكر له ثم قلت له انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة وواعدنى ان سبقنى اقام بمحل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع

رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطنيه فاقتله فغضب ثم رفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه قد كسره فجعلت أتقى الدم بثيابى وفى رواية ثم رفع يده فضرب بها أنف نفسه ظننت أنه قد كسره وقد يجمع بوقوع الامرين منه وعند ذلك قال عمرو فأصابنى من الذل ما لو انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتكه فقال يا عمرو تسألنى ان أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى والذى كان يأتى عيسى بن مريم لتقتله قلت وتشهد أنت أيها الملك أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم أشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد بذلك عند الله يا عمرو فأطعنى واتبعه فوالله انه لعلى الحق قلت له أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فمد يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى أصحابى وقد كسانى فلما رأوا كسوة الملك سروا بذلك وقالوا هل من صاحبك قضاء لحاجتك يعنون قتل عمرو بن أمية الضمرى فقلت لهم كرهت ان أكلمه أول مرة وقلت أعود اليه قالوا الرأى ما رأيت وفارقتهم وهذا يدل على انه كان معه ومع عبد الله جماعة آخرون من قريش ويحتمل أنه عنى باصحابه عبد الله بن ربيعة ويؤيد الاول ما يأتى فليتأمل وكأنى أعمد الى حاجة فعمدت الى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبت معهم ودفعوها من ساعتهم حتى انتهوا الى الشعيبة وهو محل معروف كان موردة لجدة أى كان ترسى به السفن قبل وجود جدة كما تقدم فخرجت من السفينة فابتعت بعيرا وتوجهت الى المدينة حتى اذا كنت بالهداة اسم محل اذا رجلان وهما خالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة فرحبابى واذا هما يريدان الذى أريد فتوجهنا الى المدينة فقد علمت ما فى ارسال عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى عقب وقعة بدر من أنه كان فى ذلك الوقت كافرا لانه شهد مع الكفار أحدا ومن ثم قال فى الاصل هنا فلما كان شهر ربيع الاول وقيل المحرم سنة سبع أى وقيل سنة ست حكاه ابن عبد البر عن الواقدى من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به عمرو بن أمية الضمرى فلما قرئ عليه الكتاب أسلم وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه أم حبيبة ففعل وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه من بقى عنده من أصحابه ويحملهم ففعل وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة الى أرض الحبشة أن توجه عمرو بكتابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم سنة سبع يدعوه فى أحدهما الى الاسلام والثانى فى تزويجه عليه الصلاة والسلام أم حبيبة وقيل ارسال عمرو كان فى شهر ربيع الاول وسيأتى ذكر كتابى النبى صلى الله عليه وسلم الى النجاشى مع عمرو وعند ذكر كتبه الى الملوك هذا كله كلام الاصل فليتأمل ما فيه ثم رأيت صاحب النور قال قد رأيت غير واحد صرح بان النجاشى أسلم فى السنة السابعة يعنون من الهجرة وهذا يعكر على تصديقه واسلامه عند ارسال عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة أى عقب بدر حيث قال أنا أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ما تقدم هذا

الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين
مسيركم قلنا الدخول فى الاسلام قال وذلك الذى أقدمنى وفى لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أى
تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبى فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا والله ما جئت الا لاسلم فاصطحبنا جميعا وحدث
عمرو بن العاص رضى الله عنه عن سبب اسلامه كما رواه ابن اسحق وغيره قال عمرو لما انصرفنا عن الخندق جمعت

رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله أنى أرى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشى فان ظهر محمد فكونا تحت يده أحب الينا من يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم الا الخير قالوا ان هذا الرأى قلت فاجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشى فاعطانيه فضربت عنقه رأت قريش انى أجزت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيأ قلت له نعم أدما كثيرا وقربته اليه فاعجبه واشتهاه ثم قلت له انى رأيت رسول عدونا خرج من عندك فاعطنيه لاقتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم ضرب أنفى ضربة ظننت انه كسره فلو انشقت بى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت انك تكره
هذا ما سألته قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى
عليه السلام لتقتله قلت أكذلك هو قال ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على
فرعون وجنوده قلت أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلاقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح فصحبته حتى قدمنا المدينة وفى اسلام عمرو على يد النجاشى لطيفة هى ان صحابيا أسلم على

كلامه أى فكيف يكون ارسال عمرو بن أمية الى النجاشى ليسلم وقد يجاب بان المراد اظهار
اسلامه أى بعث له عمرو بن أمية لاجل أن يظهر اسلامه ويعلن به بين قومه أى لانه كان يخفى
اسلامه عن قومه ولما بلغ قومه أنه اعترف بان عيسى صلوات الله وسلامه عليه عبد الله ووافق
جعفر بن أبى طالب على ذلك سخطوا وقالوا له أنت فارقت ديننا وأظهروا له المخاصمة فارسل
النجاشى الى جعفر بن أبى طالب وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان
هربت فاذهبوا حيث شئتم وان ظفرت فاقيموا ثم عمد الى كتاب فكتب هو يشهد أن لا اله
الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم
ثم جعله فى ثيابه عند منكبه الايمن وخرج الى الحبشة وقد صفوا له فقال يا معشر الحبشة ألست
أرفق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتى فيكم قالوا خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت
ديننا وزعمت أن عيسى عبد قال فماذا تقولون أنتم فى عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال لهم
النجاشى ووضع يده على صدره على قبائه وقال هو يشهد أن عيسى بن مريم ولم يزد على هذا وانما
يعنى ما كتب فرضوا منه ذلك ويذكر أن عليا رضى الله عنه وجد ابن النجاشى عند تاجر بمكة
فاشتراه منه وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين وكان يقال له نيزر مولى على كرم الله
وجهه ويقال أن الحبشة لما بلغهم خبره أرسلوا وفدا منهم اليه ليملكوه ويتوجوه ولم يختلفوا
عليه فأبى وقال ما كنت لاطلب الملك بعد ان من الله على بالاسلام على أن ابن الجوزى رحمه
الله ذكر ان ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشى كان عند منصرفه مع قريش فى غزوة
الاحزاب أى لا عقب بدر فعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما انصرفنا مع الاحزاب عن
الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون مكانى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله أنى
لارى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وأنى قد رأيت رأيا فما ترون فيه قالوا وما رأيت قال أن
نلحق بالنجاشى فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى فانا أن نكون تحت يديه
أحب الينا أن نكون تحت يدى محمد وان ظهر قومنا فنحن ممن قد عرفوا فلن يأتينا منهم
الا الخير فقالوا ان هذا هو الرأى فقلت اجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا
الادم فجمعنا له ادما كثيرا ثم خرجنا اليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى بعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه الحديث وهذا لا يمنع أن يكون عمرو بن
العاص وفد على النجاشى هو وعبد الله بن ربيعة عقب بدر فيكون وفود عمرو بن العاص على
النجاشى كان ثلاث مرات مرة مع عمارة عقب مهاجرة من هاجر الى الحبشة ومرة مع عبد الله
ابن ربيعة عقب بدر وهذه المرة الثالثة التى كانت عقب الاحزاب وان ارسال عمرو بن أمية
واسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى كان فى هذه المرة الثالثة وحينئذ لا يشكل ارسال
عمرو بن أمية للنجاشى لانه كان مسلما حينئذ فيكون ذكر مجىء عمرو بن أمية الى النجاشى
فى المرة الثانية التى كانت عقب بدر اشتباه من بعض الرواة وكذا ذكر اسلام عمرو بن العاص على

يد

يد تابعى ولا يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة فاخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بهم وقال لاصحابه
رمتكم مكة بأفلاذ كبدها قال خالد فلبست من صالح ثيابى ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخى فقال أسرع فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم
حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله

قال الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله لى يغفر تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله وتقدم عثمان وعمرو فاسلما وفى رواية عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمنا المدينة فانخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا ان جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم وما استطعت ان أرفع طرفى حياء منه قال فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد فى أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة وروى الزبير بن بكار انهم لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال عمرو وكنت أسن منهما فاردت ان أكيدهما فقدمتهما قبلى
للبيعة فبايعا واشترطا أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما فاضمرت فى نفسى ان أبايع على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى
وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبى وأنسيت أن أقول وما تأخر وروى الزبير بن بكار ان رجلا قال لعمرو بن العاص رضى
الله عنه ما أبطأ بك عن الاسلام وأنت أنت فى عقلك قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازى أحلامهم الجبال فلذنا بهم فلما
ذهبوا وصار الامر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا حق بين فوقع الاسلام فى قلبى وكان عمرو رضى الله عنه أمير مصر فى خلافة عمر رضى الله

يد النجاشى فى المرة الثانية من تخليط بعض الرواة ثم رأيته فى الامتاع قال وقد رويت قصة
الهجرة الى الحبشة واسلام النجاشى من طرق عديدة مطولة ومختصرة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرسل عمرو بن أمية الضمرى فى أموره لانه كان من رجال النجدة أى ومعلوم أنه كان
لا يرسله الا بعد اسلامه واسلامه قد علمت أنه كان سنة أربع وفى الاصل أنه صلى الله عليه وسلم
أرسله الى مكة بهدية لابى سفيان بن حرب أى ولعل المراد بذلك ما حكاه بعض الصحابة قال دعانى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أراد أن يبعثنى بمال الى أبى سفيان يقسمه فى قريش بمكة
بعد الفتح وقال لى التمس صاحبا قال فجاءنى عمرو بن أمية فقال بلغنى انك تريد الخروج الى
مكة وتلتمس صاحبا قلت أجل قال فانا لك صاحب قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
وجدت صاحبا فقال من قلت عمرو بن أمية الضمرى فقال اذا هبطت بلاد قومه فاحذروه فانه
قد قال القائل أخوك البكرى ولا تأمنه وقد أسلم عبد الله ولده قبل أبيه عمرو بن العاص رضى
الله تعالى عنهما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال فيهما وفى أم عبد الله نعم البيت عبد الله وأبو عبد
الله وأم عبد الله وكان صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على أبيه لانه كان من عباد الصحابة
وزهادهم وفضلائهم وعلمائهم ومن أكثرهم رواية وذكر ابن مرزوق رحمه الله ان ابن عمرو
رضى الله عنهما مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقنى
فاردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين
قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبرانى فى الاوسط زاد السيوطى فى الخصائص
فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته قال أوقد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك
عذابه الى يوم القيامة وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن الشعبى ان رجلا قال للنبى صلى الله
عليه وسلم انى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حديد وفى لفظ
بعمود حديد حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذاك أبو جهل يعذب الى يوم القيامة * ومما جاء فى فضل من شهد بدرا أن جبريل عليه
السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة
نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفى رواية أن الملائكة
الذين شهدوا بدرا فى السماء لفضلا على من تخلف منهم وجاء بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابن عمى نافق أى وقد كان من أهل بدر أتأذن
لى أن أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وعسى أن يكفر عنه وفى رواية
وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر وقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قال وفى الطبرانى
بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على
أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو قال فقد وجبت لكم الجنة أى غفرت لكم ما مضى
وما سيقع من الذنوب أى وهو يفيد أن ما يقع منهم من الكبائر لا يحتاجون الى التوبة عنه لانه
اذا وقع يقع مغفورا وعبر فيه بالماضى مبالغة فى تحققه وهذا كما لا يخفى بالنسبة للآخرة

عنه وهو أحد دهاة العرب توفى سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة * وروى الخطيب مرفوعا يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو وهاجرا وأما خالد بن الوليد رضى الله عنه فهو أحد الاشراف كانت اليه أعنة الخيل فى الجاهلية وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة كما تقدم ثم صار سيف الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل روى أبو يعلى لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار وعزماته يوم مؤتة ويوم قتال أهل الردة وفى بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من ان تحصى اذ كان له فيها العناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل وروى أبو زرعة الدمشقى مرفوعا نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار وروى سعيد بن منصور عن خالد رضى الله عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلها عمرة الجعرانة فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى الا تبين لى النصر ورواه أبو يعلى بلفظ فما وجهت فى وجه الا فتح والاكثر على انه مات بحمص سنة احدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة وقيل توفى بالمدينة النبوية روى ابن المبارك عن خالد رضى الله عنه انه قال لما حضرته الوفاة لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى وأما عثمان بن طلحة بن أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصى العبدرى فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح فى الجاهلية والاسلام ووقع فى تفسير الثعلبى بلا سند أنه أسلم يوم الفتح بعد ان دفع له المفتاح قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة وهو منكر والمعروف انه أسلم وهاجر مع عمرو وخالد وبه جزم غير واحد ثم سكن المدينة وبها مات سنة ثنتين وأربعين وقيل استشهد باجنادين قال العسكرى وهو باطل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه أيضا﴾ لما رجع رضى الله عنه من سرية الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك فى صفر سنة ثمان روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم هيأ الزبير بن العوام رضى

لا بالنسبة لاحكام الدنيا ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر فى أيام عمر حده وكان بدريا أى وقد يقال هذا يقتضى وجوب التوبة فى الدنيا فاذا لم تقع لا يؤاخذ بذلك فى الآخرة لان وجوب التوبة من أحكام الدنيا الا يقال اذا سلم أن الذنب اذا وقع منهم يقع مغفورا لا معنى لوجوب التوبة وانما حد عمر رضى الله عنه قدامة زجرا عن شرب الخمر لانا نقول بل لوجوب التوبة فى الدنيا معنى وان كان الذنب اذا وقع يقع مغفورا لان المراد بذلك عدم المؤاخذة فى الآخرة وذلك لا ينافى وجوب التوبة عنه فى الدنيا لانه لا تلازم بين وجوب التوبة فى الدنيا و بين غفران الذنب فى الآخرة هذا وفى الخصائص الصغرى نقلا عن شرح جمع الجوامع أن الصحابة كلهم لا يفسقون بارتكاب ما يفسق به غيرهم وقدامة هذا كان متزوجا أخت عمر رضى الله تعالى عنه وكان عمر متزوجا باخت قدامة وهى أم حفصة رضى الله عنها فكان خالا لحفصة ولاخيها عبد الله وكان عاملا لعمر فى بعض النواحى أى البحرين فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر من البحرين وكان قدامة واليا عليها فاخبر عمر أن قدامة سكر قال وانى رأيت حدا من حدود الله حقا على أن أرفعه اليك فقال له عمر من يشهد معك قال أبو هريرة فشهد أبو هريرة رضى الله عنه انه رآه سكران أى قال لم أره يشرب ولكنى رأيته سكران يقىء فاحضر قدامة فقال له الجارود أقم عليه الحد فقال له عمر رضى الله عنه أخصم أنت أم شاهد فصمت ثم عاوده فقال له عمر رضى الله عنه لتمسكن أو لاسوءنك فقال ليس فى الحق وفى لفظ أما والله ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك وتسوءنى فارسل عمر رضى الله عنه الى زوجة قدامة أى بعد ان قال له أبو هريرة رضى الله عنه ان كنت تشك فى شهادتنا فارسل الى ابنة الوليد يعنى زوجته فجاءت فشهدت على زوجها بانه سكر فقال عمر لقدامة أريد أن أحدك فقال ليس لك ذلك لقول الله عز وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فقال له عمر أخطأت التأويل فان بقية الآية اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فانك ان اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك ثم أمر به فحد فغاضبه قدامة ثم حجا جميعا فى يوم استيقظ عمر رضى الله عنه من نومه فزعا فقال عجلوا بقدامة أتانى آت فقال صالح قدامة فانه أخوك فاصطلحا أى وقد احتج بهذه الآية أيضا جمع من الصحابة شربوا الخمر وهم أبو جندل وضرار ابن الخطاب وأبو الازور فاراد أبو عبيدة رضى الله عنه وهو وال بالشام أن يحدهم فقال أبو جندل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك وقال خصمنى أبو جندل بهذه الآية فكتب عمر لابى عبيدة ان الذى زين لابى جندل الخطيئة زين له الخصومة فاحدهم فلما أراد أبو عبيدة أن يحدهم قال أبو الازور لابى عبيدة دعنا نلقى العدو غدا فان قتلنا فذاك وان رجعنا اليكم فحدونا فلقوا العدو فاستشهد أبو الازور وحد الآخران وفى حواشى البخارى للحافظ الدمياطى أن نعيمان كان ممن شهد بدرا وسائر المشاهد وأتى به فى شربه الخمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله عنه وقال له سر حتى تنتهى الى مصاب أصحاب بشير فان أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم وهيأ معه مائتى رجل وعقد له لواء فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس وبعث غالبا ومعه مائتا رجل فاغاروا عليهم مع الصبح وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومعهم علبة بن الحرث الى محالهم فاشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر وروى ابن سعد عن حويصة رضى الله عنه قال بعثنى صلى الله عليه وسلم فى سرية مع غالب الى بنى مرة فاغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا ان لا نفترق وآخى بيننا وقال لا تعصونى فانه صلى الله عليه وسلم قال من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى وانكم متى ما تعصونى فانكم تعصون نبيكم فآخى بينى وبين أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فاصبنا القوم وروى أنه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعونى ولا تعصونى ولا تخالفوا الى أمرا فانه لا رأى لمن لا يطاع ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم لا يفارق أحد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت أمت وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل أو عدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم

﴿ثم سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله عنه﴾

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسىء بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة فى شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فاصابوا نعما كثيرا وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشرة من الغنم والله أعلم

﴿ثم سرية كعب بن عمير الغفارى رضى الله عنه﴾ الى ذات اطلاح من أرض الشام وراء ذات القرى فى ربيع الاول سنة ثمان فى خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى ذات اطلاح

وسلم فجلده أربعا أو خمسا أى من المرات فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يشرب وأكثر ما يحد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ولعل هذا التعليل لا ينظر لمفهومه وعند الامام أحمد رحمه الله عن حفصة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله تعالى أحد شهد بدرا والحديبية ولعل الواو بمعنى أو ويدل لذلك ما فى بعض الروايات عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ولا ينافى ما فى مسلم والترمذى عن جابر أن عبد الحاطب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا والحديبية لانه يجوز أن يكون ذلك لكونه أى الجمع بين بدر والحديبية هو الواقع لحاطب وفى الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر والذى نفسى بيده لو أن مولودا ولد فى فقه أربعين سنة من أهل الدين يعمل بطاعة الله تعالى كلها ويجتنب معاصى الله كلها الى أن يرد الى أرذل العمر أو يرد الى أن لا يعلم بعد علم شيأ لم يبلغ أحدكم هذه الليلة وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر ويقدمهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يا فلان قم يا فلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك أى ولعل المراد يجلسونهم مكانهم وفى الخصائص الصغرى وخص أهل بدر من أصحابه صلى الله عليه وسلم بأن يزادوا فى الجنازة على أربع تكبيرات تمييزا لهم لفضلهم وقد ذكر أن عمر بن عبد العزيز بن مروان كان يختلف الى عبيد الله بن عبد الله ليسمع منه فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص عليا رضى الله تعالى عنه فأتاه عمر فاعرض عبيد الله عنه وقام ليدلى فجلس عمر ينتظره فلما سلم أقبل عليه وقال له متى بلغك ان الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ففهمها عمر وقال معذرة الى الله واليك والله لا أعود فما سمع بعد ذلك يذكر عليا كرم الله وجهه الا بخير

﴿غزوة بنى سليم﴾

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم أى وفى رواية أبى داود ان استخلاف ابن أم مكتوم انما كان على الصلاة بالمدينة دون القضايا والاحكام فان الضرير

فوجدوا جمعا كثيرا وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم فاخبر بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل فدعاهم المسلمون الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح فى القتلى قال ابن سعد هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم سار والى موضع آخر فتركهم والله أعلم ٢٢٨ ﴿ثم سرية مؤتة﴾ وسماها البخارى وابن اسحق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبى صلى الله عليه وسلم وهى بضم الميم وسكون الواو وأو الهمز بدلها آخرها هاء وهى من عمل البلقاء وهى مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس وكانت فى جمادى الاولى سنة ثمان وسببها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحرث بن عمير الازدى بكتاب الى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحرث بن أبى شمر الغسانى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال له أين تريد فقال الشام فقال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا وكان ممن حضر يهودى اسمه النعمان فقال يا محمد ان كنت سميت من سميت أصيبوا جميعا لان أنبياء بنى اسرائيل كانوا اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد اعهد اى أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبيا قال زيد اشهد انه رسول صادق بار قال وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير وان يدعوا من هنالك الى الاسلام فان أجابوا والا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم

لا يجوز له أن يحكم بين الناس لانه لا يدرك الاشخاص ولا يثبت الاعيان ولا يدرى لمن يحكم ولا على من يحكم أى فامر القضايا والاحكام يجوز ان يكون فرضه صلى الله عليه وسلم لسباع فلا مخالفة فلما بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر أى وقيل لهذا الماء الكدر لان به طيرا فى ألوانها كدرة فاقام صلى الله عليه وسلم على ذلك ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا أى وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض حمله على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان فى تلك السنة تزويج على بفاطمة رضى الله تعالى عنهما أى عقد عليها فى رمضان وقيل فى رجب ودخل بها فى ذى الحجة وقيل بعد أن تزوجها بنى بها بعد سبعة أشهر ونصف أى فيكون عقد عليها فى أول جمادى الاولى وكان عمرها خمس عشرة سنة وكان سن على يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر أى وأولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار ولما خطبها على قال صلى الله عليه وسلم ان عليا يخطبك فسكتت أى وفى رواية قال لها أى بنية ان ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين فبكت ثم قالت كأنك يا أبت انما ادخرتنى لفقير قريش فقال صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق ما تكلمت فى هذا حتى أذن لى الله فيه من السماء فقالت فاطمة رضى الله عنها رضيت بما رضى الله ورسوله وقد كان خطبها أبو بكر ثم عمر فسكت صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال انتظر بها القضاء فجاآ أى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى على كرم الله وجهه يأمراه ان يخطبها قال على فنبهانى لامر كنت عنه غافلا فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجنى فاطمة قال وعندك شئ قلت فرسى وبدنى أى درعى قال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين درهما فجئته صلى الله عليه وسلم بها فوضعها فى حجره فقبض منها قبضة فقال أى بلال ابتع لنا بها طيبا وفى رواية لما خطبها قال له صلى الله عليه وسلم ما تصدقها وفى لفظ هل عندك شئ تستحلها به قال ليس عندى شئ قال فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا قال عندى فباعها من عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهما ثم ان عثمان رضى الله عنه رد الدرع الى على كرم الله وجهه فجاء على بالدرع والدراهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات وفى فتاوى الجلال السيوطى انه سئل هل لصحة ما قيل ان عثمان بن عفان رأى درع على رضى الله تعالى عنهما يباع بأربعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضى الله عنها فقال عثمان هذا درع على فارس الاسلام لا يباع أبدا فدفع لغلام على أربعمائة درهم وأقسم ان لا يخبره بذلك ورد الدرع معه فلما أصبح عثمان وجد فى داره أربعمائة كيس فى كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان فاخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هنيأ لك يا عثمان وفيها أيضا ان عليا خرج ليبيع ازار فاطمة ليأكل بثمنه فباعه بستة دراهم فسأله سائل فاعطاه اياها فجاء جبريل فى صورة اعرابى ومعه ناقة فقال يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة قال ما معى ثمنها قال الى أجل فاشتراها بمائة ثم عرض له ميكائيل فى صورة رجل فى طريقه فقال أتبيع هذه الناقة

من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ولما ودع ابن رواحة بكى رضى الله عنه فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود فلما سار وانادى المسلمون دفع الله عنكم ٢٢٩ وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أوطعنة بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثى
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفى رواية ان عبد الله بن رواحة لما أراد وداع النبى صلى الله عليه وسلم وفراقه قال له النبى صلى الله عليه وسلم قل شعرا تقتضبه اقتضابا أى من غير روية فقال

انى تفرست فيك الخير نافلة
فراسة خالفت فيك الذى نظروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله
والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فقال له صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما صلى رآه فقال ما منعك ان تغدو مع أصحابك قال اردت ان أصلى معك الجمعة ثم ألحقهم فقال صلى الله عليه وسلم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما أدركت غدوتهم وفى رواية لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغسانى فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع امامه فلما نزل المسلمون وادى القرى بعث أخاه سدوس بن عمرو فى خمسين من الكفار فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدو فأقاموا على معان ليلتين ومعان بفتح الميم موضع أو جبل من أرض الشام وبلغ المسلمين ان هرقل نزل بأرض البلقاء فى مائة ألف من مشركى الروم مع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهرام يبلغون مائة ألف وهم الذين جمعهم شرحبيل وجاء فى رواية ان القوم

قال نعم قال بكم اشتريتها قال بمائة قال آخذها بمائة ولك من الربح ستون فباعها له فعرض له جبريل فقال بعت الناقة قال نعم قال ادفع الى دينى فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة من أين لك هذا قال ضاربت مع الله بستة فاعطانى ستين ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال البائع جبريل والمشترى ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة أصل أم لا فأجاب عن ذلك كله بأنه لم يصح أى وهى تصدق بان ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يعقد خطب خطبة منها الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ثم ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على على أربعمائة مثقال فضة أرضيت يا على قال رضيت بعد أن خطب على كرم الله وجهه أيضا خطبة منها الحمد لله شكرا لانعمه وأياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال يا على اخطب لنفسك فقال على الحمد لله الذى لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجنى ابنته فاطمة على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا قالوا ما تقول يا رسول الله قال أشهدكم انى قد زوجته كذا رواه ابن عساكر قال الحافظ ابن كثير وهذا خبر منكر وقد ورد فى هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها ولما تم العقد دعا صلى الله عليه وسلم بطبق بسر فوضع بين يديه ثم قال للحاضرين انتهبوا وقول على كرم الله وجهه نبهانى لامر كنت عنه غافلا لا ينافى ما روى عن أسماء بنت عميس انها قالت قيل لعلى ألا تتزوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالى صفراء ولا بيضاء ولست بمأبور بالباء الموحدة يعنى غير الصحيح الدين ولا المتهم فى الاسلام أى لا أخشى الفاحشة اذا لم أتزوج وليلة بنى بها قال صلى الله عليه وسلم لعلى لا تحدث شيأ حتى تلقانى فجاءت بها أم أيمن حتى قعدت فى جانب البيت وعلى فى جانب آخر وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتينى بماء فقامت تعثر فى ثوبها وفى لفظ فى مرطها من الحياء فاتته بقعب فيه ماء فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ائتونى بماء فقال على كرم الله وجهه فعلمت الذى يريد فقمت وملأت القعب فأتيته به فأخذه فمج فيه وصنع بى كما صنع بفاطمة ودعا لى بما دعا لها به ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما فى شملهما أى الجماع وتلا قل هو الله أحد والمعوذتين ثم قال ادخل باهلك باسم الله والبركة وكان فراشها اهاب كبش أى جلده وكان لهما قطيفة اذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما واذا جعلاها بالعرض انكشفت رؤسهما ثم مكث صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لا يدخل على فاطمة وفى اليوم الرابع دخل عليهما فى غداة باردة وهما فى تلك القطيفة فقال لهما كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فأخذ على كرم الله وجهه احداهما فوضعها على صدره وبطنه

ليدفئها وأخذت فاطمة رضى الله عنها الاخرى فوضعتها كذلك وقالت له فى بعض الايام يارسول الله مالنا فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال لها صلى الله عليه وسلم يابنية اصبرى فان موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهم فراش الا عباءة قطوانية أى وهى نسبة الى قطوان موضع بالكوفة أى ولعل العباءة التى كانت تجلب من ذلك الموضع كانت صفيقة وعن على رضى الله تعالى عنه لم يكن لى خادم غيرها وعنه رضى الله تعالى عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لاربط الحجر على بطنى من الجوع وان صدقتى اليوم لتبلغ أربعين ألف دينار ولعل المراد فى السنة قال الامام أحمد بن حنبل ماورد لاحد من الصحابة ماورد لعلى رضى الله تعالى عنه أى من ثنائه صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك أنه كثرت أعداؤه والطاعنون عليه من الخوارج وغيرهم فاضطر لذلك الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ماحفظه ردا على الخوارج وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مانزل فى أحد من الصحابة من كتاب الله مانزل فى على نزل فى على ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماتكلمت به فى التفسير فانما أخذته عن على كرم الله وجهه ومن كلماته البديعة الوجيزة لايخافن أحد الاذنبه ولا يرجون الاربه ولا يستحى من لايعلم أن يتعلم ولامن يعلم اذا سئل عما لايعلم أن يقول الله أعلم ما أبردها على الكبد اذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم ومن ذلك لعالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه أولئك لاتصعد أعمالهم من مجالسهم تلك الى الله وقال صلى الله عليه وسلم لعلى يهلك فيك رجلان محب مطر وكذاب مفتر مكره لك يأتى بالكذب المفترى وقال له ياعلى ستفترق أمتى فيك كما افترقت فى عيسى بن مريم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن ثم لا آذن الا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى يريبنى ماأرابها ويؤذينى ما آذاها

غزوة بنى قينقاع

بضم النون وقيل بكسرها أى وقيل بفتحها فهى مثلثة النون والضم اشهر قوم من اليهود وكانوا اشجع يهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبى ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد اى لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بنى قريظة وبنى النضير أن لايحاربوه وان لايظاهروا عليه عدوه وقيل على أن لايكونوا معه ولا عليه وقيل على أن ينصروه صلى الله عليه وسلم على من دهمه من عدوه أى كما تقدم فهم أول من غدر من يهود فانه مع ماهم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قدمت

كانوا مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم خيول كثيرة فقال المسلمون نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضى له فشجعهم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه على المضى وقال ياقوم والله ان التى تكرهون التى خرجتم اياها تطلبون الشهادة ومانقاتل الناس بعدد ولاقوة ولا كثرة مانقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة رضى الله عنه فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم من لاقبل لاحد به من العدد الكثير الزائد على مائتى ألف والسلاح والكراع أى الخيل والديباج والحرير والذهب اظهارا للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم وفى هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضى الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم لانهم باعوها الله تعالى اذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتى ألف أصحاب حروب وشدة وهذا انما هو لما وقر فى قلوبهم واطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضى الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح رضى الله عنه ثم أخذ اللواء جعفر ابن أبى طالب رضى الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فألجمه القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان أسن من على رضى الله عنه بعشر سنين وقيل كان عمره أربعين وقيل احدى وأربعين وكان رضى الله عنه حين اشتد القتال واحاط به العدو يقاتل ويقول

ياحبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها * والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها * على اذلاقيتها ضرابها

وانما عقر فرسه خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولانه يقاتل ولايفر ففيه دليل على فرط شجاعته رضى الله عنه ولما أخذ اللواء قاتل قتالا شديدا فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضى الله عنه ووجد فيه بضع

قدمت امرأة من العرب بجلب لها أى وهو مايجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ منهم أى وفى الامتاع ان المرأة كانت زوجة لبعض الانصار أى ومعلوم ان الانصار كانوا بالمدينة أى وقد يقال لامخالفة لجواز أن تكون زوجة بعض الانصار من الاعراب وانها جاءت بجلب لها فجعلوا أى جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها قال وفى رواية خله بشوكة وهى لاتشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون أى وتقدم وقوع مثل ذلك وأنه كان سببا لوقوع حرب الفجار الاول ولما غضب المسلمون على بنى قينقاع أى وقال لهم صلى الله عليه وسلم ماعلى هذا أقررناهم تبرأ عبادة بن الصامت رضى الله عنه من حلفهم أى قال يارسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وتشبث به عبد الله بن أبى ابن سلول أى لم يتبرأ من حلفهم كما تبرأ منه عبادة بن الصامت أى وفيه نزلت ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم صلى الله عليه وسلم وقال لهم يامعشر يهود احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة أى ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى اليكم قالوا يامحمد انك ترى أنا قومك أى تظننا أنا مثل قومك ولايغرنك انك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب فاصبت لهم فرصة انا والله لوحاربناك لتعلمن انا نحن الناس وفى لفظ لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا أى لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا واشدهم بغيا فانزل الله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية أى وأنزل الله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية فتحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواؤه وكان أبيض بيد عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال ابن سعد ولم تكن الرايات يومئذ وقد قدمنا ان هذا يرده ماتقدم فى ضمن غزاة بدر من انه كان امامه رايتان سوداوان احداهما مع على ويقال لها العقاب ولعلها سميت بذلك فى مقابلة الراية التى كانت فى الجاهلية تسمى بهذا الاسم ويقال لها راية الرؤساء لانه كان لايحملها فى الحرب الا رئيس وكانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم مختصة بابى سفيان رضى الله عنه لايحملها فى الحرب الا هو أو رئيس مثله اذا غاب كما فى يوم بدر والاخرى مع بعض الانصار وسيأتى فى خيبر أن العقاب كان قطعة من برد لعائشة رضى الله عنها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار لان خروجه صلى الله عليه وسلم كان فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أى يخرجوا منها وان لهم نساءهم والذرية وله صلى الله عليه وسلم الاموال أى ومنها الحلقة

وسبعون وفى رواية وتسعون جرحا مابين ضربة بسيف وطعنة برمح ليس فيها شىء فى دبره ولاظهره أى ليس منها شىء فى حال الادبار بل كلها فى حال الاقبال لمزيد شجاعته ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يانفس لتنزلنه * لتنزلن أو لتكرهنه ان اجلب الناس وشدوا الرنه * مالى أراك تكرهين الجنه قد طالما قد كنت مطمئنه * هل انت الا نطفة فى شنه

(وقال أيضا) يانفس الا تقتلى تموتى * هذا حمام الموت قد صليت * وماتمنيت فقد أعطيت * ان تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا رضى الله عنهما ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك هذه مالقيت فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة فى الناس فقال وانت فى الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضى الله عنه روى سعيد بن منصور انهم دفنوا يومئذ فى قبر واحد زيدا وجعفرا وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وفى الصحيح ومايسرهم انهم عندنا أى لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلانى البلوى حليف الانصار وكان من أهل بدر رضى الله عنهم وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا انت قال ماأنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضى الله عنه وفى رواية ان ثابتا مشى باللواء الى خالد وقال انت اعلم بالقتال منى فلم يقبل خالد اللواء وقال انت احق به منى لانك ممن شهد بدرا فنادى ثابت يامعشر المسلمين فاجتمع الناس على خالد ابن الوليد رضى الله عنه وسلموه اللواء فأخذه وفى الصحيح حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة قال الحاكم فقاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة وانقطع فى يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى مابقى فى يده الا صفيحة يمانية وانهزم المشركون أسوأ هزيمة مارؤى مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وجاء فى رواية انه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا حتى لم ير اثنان جميعا ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين وفى رواية انه لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكر العدو حالهم وقالوا جاءهم

مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر رجلا وهذا من عناية
الله بالاسلام وأهله ومزيد اعزازه ونصره لهم اذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتي ألف ولا يقتل منهم الا اثنا عشر
رجلا مع انهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام وأما قتلى المشركين فلا يحصون فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته صلى الله عليه
وسلم الباهرة التي أكرم الله بها أصحابه رضي الله عنهم ورفعت الارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى
معترك القوم فأخبر أصحابه وذلك انه لما اطلع على ذلك نادى في الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال يا أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفي رواية ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم وفي رواية قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمي خالد سيف الله وفي لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهبا
لم تدرك عمله فقال يا رسول الله انهم يقعون في فأرد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على
الكفار قال بعضهم كون ما وقع يوم مؤتة فتحا ونصرا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا أكثر من مائتي ألف والصحابة
رضي الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية وجاء في رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة
وهذا الاختلاف ما جاء ان طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم أنتم الفرارون

التي هي السلاح والظاهر من كلامهم أنه لم يكن لهم نخيل ولا ارض تزرع وخمست أموالهم أي مع كونها فيأ له صلى الله عليه وسلم لانها لم تحصل بقتال ولا اجلوا عنها قبل التقاء الصفين فكان له صلى الله عليه وسلم الخمس ولاصحابه الاربعة الاخماس (أقول) ولا يخفى ان من جملة أموالهم دورهم ولم أقف على نقل صريح دال على ما فعل بها وعلم أنه صلى الله عليه وسلم جعل هذا الفيء كالغنيمة ومذهبنا معاشر الشافعية ان الفيء المقابل للغنيمة كالواقع في هذه الغزوة وغزوة بني النضير الآتية كان في زمنه صلى الله عليه وسلم يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم أربعة منها والقسم الخامس يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم منها قسم فيكون له أربعة أخماس وخمس الخمس والاربعة الاخماس الباقية من الخمس منها واحد لذوي القربى وآخر لليتامى وآخر للمساكين وآخر لابن السبيل فجميع مال الفيء مقسوم على خمسة وعشرين سهما منها احد وعشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأربعة اسهم لاربعة أصناف هم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ولعل امامنا الشافعي رضي الله عنه رأى ان ذلك كان أكثر أحواله صلى الله عليه وسلم والا فهو هنا وفي بني النضير كما سيأتي لم يفعل ذلك بل خمسه هنا وثم استقل به أي لم يعط الجيش منه وقد جعل صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني هاشم أي وبنات هاشم وبني أي وبنات المطلب دون بني اخويهما عبد شمس ونوفل مع ان الاربعة أولاد عبد مناف كما تقدم ولما فعل ذلك جاء اليه صلى الله عليه وسلم جبير بن مطعم من بني نوفل وعثمان بن عفان من بني عبد شمس فقالا يا رسول الله هؤلاء اخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وفي لفظ ومنعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة وفي رواية ان بني هاشم شرفوا عكانك منهم وبنو المطلب ونحن ندلي اليك بنسب واحد ودرجة واحدة فيم فضلتهم علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا وشبك بين أصابعه زاد في رواية انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام أي لان الصحيفة انما كتبت على بني هاشم والمطلب لانهم هم الذين قاموا دونه صلى الله عليه وسلم ودخلوا الشعب وبعده صلى الله عليه وسلم صار الفيء أربعة أخماس للمرتزقة المرصدة للجهاد وخمس الخمس الخامس لمصالح المسلمين والخمس الثاني منه لذوي القربى والخمس الثالث منه لليتامى والخمس الرابع منه للمساكين والخمس الباقي منه لابن السبيل ثم لا يخفى أنه صلى الله عليه وسلم اذا كان مع الجيش وغنم شيأ بقتال أو ايجاف خيل أو جلاء عنه أهله بعد التقاء الصفين كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يختار من ذلك قبل قسمته ويقال لهذا الذي يختاره الصفي والصفية كما تقدم (أقول) وتقدم عن الامتاع عن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما خلافه وتقدم هل صفيه صلى الله عليه وسلم كان محسوبا عليه من سهمه أولا قيل نعم وقيل كان خارجا عنه وتقدم الجواب عن ذلك في غزاة بدر أن هذا الخلاف لا ينافي الجزم ثم بانه كان زائدا على سهمه صلى الله عليه وسلم
لان

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفي لفظ العكارون أي الكرارون وجاء في رواية انا فئتكم يشير الى قوله تعالى
الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة يعني ان فرارهم كان من الانحياز الى فئة وأيضا زاد العدو على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم
والحاصل أن المسلمين لما قتل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه انهزموا وتفرقوا وذهب جماعة منهم الى المدينة ثم اجتمع الناس لما
انحاز خالد بن الوليد رضي الله عنه ورتب الناس وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا على ذلك وأثنى عليه ولما قدم
يعلى بن أمية رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بخبر الجيش قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرني وان شئت أخبرتك قال فاخبرني يا رسول الله لازداد يقينا فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر كله ووصفه له ما كان فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معتركهم وحين رأى ذلك قال حمي الوطيس أي حميت الحرب واشتدت وقيل ان الذي جاء بخبرهم أبو عامر الاشعري رضي الله عنه ولا مانع من ان كلا منهما جاء بالخبر وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتني ببني جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفي رواية وبكى حتى تقطرت لحيته الشريفة فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء قال نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع علي النساء وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي يا أسماء
لا تقولي هجرا ولا تضربي خدا وقال اللهم قدمه يعني جعفرا الى أحسن الثواب وأخلفه في ذريته بأحسن
ما خلفت أحدا من عبادك في ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما
فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم وفي لفظ انه دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكي ثم
قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم وفي رواية قد شغلهم ما هم فيه وعن عبد الله بن جعفر

لان ذلك كان قبل نزول آية تخميس الغنيمة فكان سهمه صلى الله عليه وسلم كسهم واحد من الجيش فصفيه يكون زائدا على ذلك واما سهمه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية التخميس للغنيمة فهو خمس الغنيمة فيجري فيما يأخذه قبل القسمة الخلاف هل يكون زائدا على ذلك الخمس أو يكون محسوبا منه فلا مخالفة بين اجراء الخلاف والجزم والله أعلم وقيل لما نزلت بنو قينقاع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتفوا فكتفوا فأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول وألح عليه أي فقال يا محمد أحسن في موالي فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم فادخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه أي وتلك الدرع هي ذات الفضول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلني فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فانهم عترتي وأنا امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل أي وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم وامر صلى الله عليه وسلم ان يجلوا من المدينة أي ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أي بعد ان سألوا عبادة بن الصامت ان يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى اذرعات بلدة بالشام أي ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابن أبي لا بارك الله لك فيهم ويذكر ان ابن أبي قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم يسأله في اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث في بلد يفعل فيه بابي الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء قال وقيل الذي تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه أي ولا مانع ان يكونا أي عبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة اشتركا في اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا أي لانهم كما تقدم أكثر يهود اموالا وأشدهم باسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي قوسا يدعى الكتوم أي لا يسمع له صوت اذا رمي به وهو الذي رمى به صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى تشظى بانطاء المشالة كما سيأتي وسيأتي ما فيه وقوسا يدعى الروحاء وقوسا يدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال له السغدية أي بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود التي لبسها صلى الله عليه وسلم حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف سيف يقال له قلعي وسيف يقال له بتار والآخر لم يسم انتهى أي وسماه بعضهم بالحيف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضي الله عنهما والله تعالى أعلم

﴿غزوة السويق﴾

لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة أي لا يأتي

رضى الله عنهما أن سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فأكلت من ذلك الطعام وحبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتى ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار فى بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذى جعل لآل جعفر رضى الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وروى الامام أحمد بسند صحيح ثم أمهل صلى الله عليه وسلم آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لهم لا تبكوا على أخى بعد اليوم ثم قال ائتونى ببنى أخى فجئ بنا كأنا أفرخ فدعا الحلاق فحلق رؤسنا ثم قال أما محمد فشبيه عمنا أبى طالب وأما عبد الله فشبيه خلقى وخلقى ثم دعا لهم قال عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما دعا لى وقال اللهم بارك له فى صفقة يمينه فما بعت شيأ ولا اشتريته الا بورك لى فيه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل لى زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهما صدودا أى اعراضا ورأيت جعفرا ليس فى عنقه صدود فسألت فقيل انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد وفى رواية رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا فى الجنة على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا من سريرى صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لى مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى أى فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه و يتردد بعض التردد فى النزول وفى لفظ كما دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال انى صائم فضعه فى ترسى عند رأسى فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات

النساء ولعل هذه العبارة وهى لا يمس رأسه ماء من جنابة وقعت من بعض الصحابة مراده بها ماذكر من انه لا يأتى النساء ويؤيده ما جاء فى بعض الروايات لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا أو أن ذلك قاله أبو سفيان بناء على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم ذكر الدميرى أن الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة كان معلوما قبل الاسلام بقية من دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فهو من الشرائع القديمة وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة و يغسلون موتاهم و يكفنونهم و يصلون عليهم وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره و يذكر محاسنه و يثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن وما ذكره الدميرى تبع فيه السهيلى حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسمعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح فكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر فلما لم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا الآية فخرج أبو سفيان فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبنى النضير أى وهم حى من يهود خيبر ينتسبون الى هرون أخى موسى بن عمران عليهما الصلاة والسلام تحت الليل فاتى حيى بن أخطب أى وهو من رؤساء بنى النضير وهو أبو صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فضرب عليه بابه فابى أن يفتح له لانه خافه فانصرف عنه وجاء الى سلام بن مشكم سيد بنى النضير أى وصاحب كنزهم أى المال الذى كانوا يجمعونه و يدخرونه لنوائبهم وما يعرض لهم ٥ أى وكان حليا يعيرونه لاهل مكة فاستأذن عليه فاذن له واجتمع به ثم خرج الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فاتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار قال فى الامتاع وهذا الانصارى هو معبد ابن عمرو وحليفا لهم فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار أى واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة بشير بن عبد المنذر وكان خروجه لخمس خلون من ذى الحجة وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب أى لاجله فجعلوا يلقون جرب السويق أى وهو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن ليسف تارة بماء وتارة بسمن وتارة بعسل وسمن ٥ وهو عامة أزوادهم فيأخذه المسلمون ولم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام

غزوة قرقرة الكدر

و يقال قرقرة الكدرة و يقال قراقر فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من بنى سليم وغطفان بقرقرة الكدر أى اعلمه بلغه انهم يريدون الاغارة على المدينة بعد أن غزاهم صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقرقرة الكدر أرض ملساء فيها طيور فى ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع

صائما قبل الغروب ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وكان النبى صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال مر بى جعفر بن أبى طالب فى ملا من الملائكة فسلم على وفى رواية مر بى وهو مخضب الجناحين بالدم * ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبى صلى الله عليه وسلم خذوا الصبيان فاحملوهم واعطونى ابن عبد الله ابن جعفر فأتى به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ولد بالحبشة وأمه أسماء بنت عميس رضى الله عنها وتزوجها أبو بكر رضى الله عنه بعد جعفر بن أبى طالب فولدت له محمد ابن أبى بكر رضى الله عنهما ثم تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد أبى بكر رضى الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيألك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه يطير مع الملائكة وفى رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروى جناحان من ياقوت قال السهيلى ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران لانهما جناحان كجناحى الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان وأطال فى ذلك والله أعلم وقد قال حسان بن ثابت رضى الله عنه قصيدة يرثى بها جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه و بعض من معه فقال

تأوبنى ليل بيثرب أعسر * وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى لوعة * سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * جميعا وأسباب المنية تخطر

كما تقدم أن الماء الذى بارضهم الذى بلغه صلى الله عليه وسلم ولم يجد به أحدا منهم يسمى الكدر لوجود ذلك الطير به فسار اليهم فى مائتين من أصحابه وحمل لواءه على بن ابى طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وتقدم فى تلك انه استخلف على المدينة سباع بن عرفطة أو ابن أم مكتوم وتقدم ما فيه فلما سار اليه أى الى ذلك الموضع لم يجد به أحدا وأرسل نفرا من أصحابه الى أعلى الوادى واستقبلهم فى بطن الوادى فوجد خمسمائة بعير مع رعاة منهم غلام يقال له يسار فاخذوها وانحدروا بها الى المدينة فلما كانوا بمحل على ثلاثة أميال من المدينة خمسها صلى الله عليه وسلم فاخرج خمسه وقسم الاربعة اخماس على أصحابه فخص كل رجل منهم بعيران ووقع يسار فى سهمه صلى الله عليه وسلم فاعتقه صلى الله عليه وسلم لانه رآه يصلى أى وقد أسلم وتعلم الصلاة من المسلمين بعد أسره أى وفى كون هذا غنيمة حيث قسمه كذلك وقفة وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة نعلم انه صلى الله عليه وسلم غزا بنى سليم وانه وصل الى ماء من مياههم يقال له الكدر لوجود ذلك الطير به وأنه استعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم وهنا وقع الجزم بالثانى وأن الاولى لم يذكر أنه وجد فيها شيأ من النعم وظاهر هذا يدل على التعدد وجرى عليه الاصل أى وحينئذ تكون تلك الطيور توجد فى ذلك الماء وفى تلك الارض فعلى هذا يكون صلى الله عليه وسلم غزا بنى سليم مرتين مرة وصل فيها لذلك الماء ولم يجد شيأ من النعم ومرة وصل فيها التلك الارض ووجد بها تلك النعم ولم أقف على أن محل ذلك الماء سابق على تلك الارض أو ان تلك الارض سابقة على محل ذلك الماء وفى السيرة الشامية ان غزوة بنى سليم هى غزوة قرقرة الكدر فعليه يكون انما غزا بنى سليم مرة واحدة أى وحينئذ يكون الماء الذى كان به ذلك الطير كان فى تلك الارض الملساء أو قريبا منها فليتأمل والحافظ الدمياطى جعل غزوة بنى سليم هى غزوة بحران الآتية وسنذكرها

غزوة ذى امر

بتشديد الراء اسم ماء أى وسماها الحاكم غزوة انمار و يقال انها غزوة غطفان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال واسكان العين المهملتين ثم مثلثة مضمومة ابن الحرث أى الغطفانى من بنى محارب جمع جمعا من ثعلبة ومحارب بذى امر أى وهو موضع من ديار غطفان أى ولعل به ذلك الماء المسمى بما ذكر كما تقدم يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة وخمسين رجلا لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وأصاب أصحابه رجلا منهم أى يقال له جبار وقيل حباب بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة من بنى ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره من خبرهم أى وقال له لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك الهربوا فى رؤس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة أزهر أغر كضوء البدر من آل هاشم * أبى اذا سام الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد * بمعترك فيه قنى متكسر فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى فى جعفر من محمد * وفاء وأمرا حازما حين يأمر ولا زال فى الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا يزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم * رضام الى طود يروق ويقهر ٢٣٦ بها ليل جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم
عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء فى كل مازق
عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه
عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه

بلاد بلى وعذرة وهى وراء وادى ذات القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام وبلى قبيلة كبيرة ينسبون الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد بن قضاعة وتسمى سرية ذات السلاسل سميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض فى أول الامر فلا ينافى انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله فى قلوبهم الرعب وفروا وقيل سميت بذلك لان بها ماء يقال له السلسل وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان جمعا من قضاعة تجمعوا للاغارة وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله عنه فى ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه
قال بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن آخذ ثيابى وسلاحى فقال يا عمرو انى أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت انى لم أسلم رغبة فى المال قال نعم المال الصالح للمرء الصالح فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه على وكان يكمن النهار ويسير الليل فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما

فاسلم وضمه صلى الله عليه وسلم الى بلال أى وأخذ به ذلك الرجل طريقا وهبط به عليهم فهم وأعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا فى رؤس الجبال أى فبلغوا ماء يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم وأصابهم مطر أى كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه ٥ فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع أى بمرأى من المشركين واشتغل المسلمون فى شؤنهم فبعث المشركون دعثورا الذى هو سيد القوم وأشجعهم الجمع لهم أى فقالوا له قد انفرد محمد فعليك به ٥ أى وفى لفظ انه لما رآه قال قتلنى الله ان لم أقتل محمدا فجاء دعثور ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من يمنعك منى اليوم وفى رواية الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده أى بعد وقوعه على ظهره فاخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى قال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفى رواية وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم أتى قومه أى بعد ان أعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه ٥ فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره فقال علمت أنه ملك فاسلمت ونزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق حربا وكانت مدة غيبته احدى عشرة ليلة

غزوة بحران

بفتح الموحدة وتضم وسكون الحاء المهملة وعبر عنها الحافظ الدمياطى بغزوة بنى سليم كما تقدم لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن ببحران وهو موضع بالحجاز معروف بينه وبين المدينة ثمانية برد جمعا كثيرا من بنى سليم خرج فى ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أى ولم يظهر وجها للسير ٥ وأحث السير حتى بلغ بحران فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم أى وكان صلى الله عليه وسلم قبل أى يصل الى ذلك بليلة لقى رجلا من بنى سليم فاخبره أن القوم تفرقوا فحبسه مع رجل وسار الى أن وجدهم كذلك فاطلق الرجل وأقام بذلك المحل أياما ثم رجع ولم يلق حربا وكانت غيبته عشر ليال وعلى مقتضى هذا السياق تبعا للاصل يكون غزا بنى سليم ثلاث مرات مرة عقب بدر وهذه الغزوة وغزوة ذى امر كانتا فى السنة الثالثة من الهجرة وفى تلك السنة التى هى الثالثة عقد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية وتقدم وقت موتها وعقد صلى الله عليه وسلم على حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وذلك فى شعبان لما انقضت عدة وفاة زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر بعد ان عرضها عمر على أبى بكر فلم يجبه لشئ وعرضها على عثمان فلم يجبه لشئ فقال عمر يا رسول الله قد عرضت حفصة

وأمره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فاراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا أى معينا ومقويا وأنا الامير أى ولا امارة لك حتى تؤم الناس فقال أبو عبيدة لا ولكن أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا تختلفا وانك ان عصيتنى أطعتك فاطاع له أبو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون ٢٣٧ فهربوا فى البلاد وتفرقوا بعد ان اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون فأقام هناك ثلاثة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويأكلون ولم يكن فى ذلك غنائم تقسم وقال البلاذرى فلقى العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم أى فرقهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم فيغنمك الله ويسلمك كما مر وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة ان عمرو بن العاص رضى الله عنه أمرهم فى تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا فانكر ذلك عمر رضى الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنه دعه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب فسكت عنه (وروى ابن حبان) عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انهم سألوه أن يوقدوا نارا فمنعهم فكلموا أبا بكر رضى الله عنه فكلمه فى ذلك فقال لا يوقد أحد نارا الا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فارادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره وروى الشيخان عن عمرو بن العاص
رضى الله عنه قال قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسى انه لم يبعثنى على قوم فيهم أبو بكر وعمر الا لمنزلة لى عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت انى لست أعنى النساء انما أعنى الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم وقلت فى نفسى لا أعود أسأله عن هذا وفى الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وفضل أبى بكر على الرجال وبنته على النساء ومنقبة لعمرو

على عثمان فأعرض عنى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد زوج عثمان خيرا من ابنتك وزوج ابنتك خيرا من عثمان فتزوج عثمان أم كلثوم وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج أيضا صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة فى رمضان وتزوج زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب فى تلك السنة وقيل تزوجها فى السنة الرابعة وصححها فى الاصل وقيل فى الخامسة وكان اسمها برة بفتح الموحدة واسم أمها برة بضمها فغير صلى الله عليه وسلم اسمها وسماها زينب وقال لها صلى الله عليه وسلم لو كان أبوك مسلما لسميناه باسم رجل منا ولكن قد سميته جحشا أى والجحش فى اللغة السيد وقد كان صلى الله عليه وسلم جاء اليها يخطبها لمولاه زيد بن حارثة فقالت لست بناكحته قال بل فانكحيه قالت يا رسول الله أؤامر أى أشاور نفسى فانى خير منه حسبا فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم الآية فقالت عند ذلك رضيت وفى رواية انها وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده فنزلت الآية أى وعن مقاتل ان زيد بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اخطب على قال له من قال زينب بنت جحش فقال له لا أراها تفعل انها أكرم من ذلك نسبا فقال يا رسول الله اذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس على فعلت قال انها امرأة لسناء أى فصيحة والمراد انها طويل فذهب زيد الى على رضى الله تعالى عنه فحمله على ان يكلم له النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق معه على الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال انى فاعل ذلك ومرسلك يا على الى أهلها لتكلمهم ففعل ثم عاد فأخبره بكراهتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم وأقضى أن تنكحوه فانكحوه وساق اليهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة امداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك جاء صلى الله عليه وسلم بيت زيد يطلبه فلم يجده فتقدمت اليه زينب فاعرض عنها فقالت له ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل فابى أن يدخل وأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لان الريح رفعت الستر فنظر اليها من غير قصد فوقعت فى نفسه صلى الله عليه وسلم فرجع وهو يقول سبحان مصرف القلوب وفى رواية مقلب القلوب وسمعته زينب يقول ذلك فلما جاء زيد أخبرته الخبر فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فافارقها لك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم أى فلم يستطع أن يغشاها من حين رآها صلى الله عليه وسلم الى أن طلقها فانها رضى الله تعالى عنها لما وقعت فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم لم يستطعنى زيد وما امتنعت منه وصرف الله تعالى قلبه عنى وجاء يوما وقال له يا رسول الله ان زينب اشتد على لسانها وأنا أريد ان أطلقها فقال له اتق الله وأمسك عليك

ابن العاص رضى الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضى ان له
فضلا فى الجملة وقد قال رافع الطائى وهذه الغزوة هى التى يفتخر بها أهل الشام أى ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضى الله
عنه والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿سرية الخبط﴾ وهى سرية أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال
القرشى الفهرى أحد العشرة المبشرين ٢٣٨ بالجنة رضى الله عنه وعنهم وسماها البخارى غزوة سيف البحر بكسر السين
أى ساحل البحر واشتهرت بسرية
الخبط بعث صلى الله عليه وسلم أبا
عبيدة ومعه ثلثمائة و بضعة عشر
رجلا وكان فيهم عمر بن الخطاب
رضى الله عنه الى أرض جهينة
ليلقى عير القريش ولمحاربة حى
من جهينة وكانت فى رجب سنة
ثمان بعد نكث قريش العهد
وقبل فتح مكة وزودهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر لم
يجدوا غيره وقيل كان معهم غيره
فلما فنى ما معهم أكلوا الخبط
وهو بفتح الخاء المعجمة والباء
الموحدة ورق السلم قال جابر رضى
الله عنه كنا نضرب بعصينا الخبط
ونبله بالماء فنأكله وفى رواية
كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة
فقالوا لجابر كيف كنتم تصنعون
قال نمصها كما يمص الصبى الثدى
ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا
الى الليل ثم أكلوا الخبط بعد فناء
التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن
عبادة رضى الله عنهما جزرا ونحرها
لهم وفى رواية انهم أصابهم جوع
شديد فقال قيس من يشترى منى
تمرا بالمدينة بجزر تجزر هنا فقال
له رجل من جهينة من أنت
فانتسب فعرفه الجهنى فقال
عرفت نسبك فابتاع منه خمس
جزائر بخمسة أوسق وأشهد له
نفرا من الصحابة وامتنع عمر
رضى الله عنه لكون قيس لا مال له فقال الاعرابى ما كان سعد ليقصر بابنه وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا عليه
فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا تنحر أتريد ان تخفر ذمتك
ولا مال لك فقال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يقضى عنى تمر القوم مجاهدين
فى سبيل الله فكاد أبو عبيدة يلين وجعل عمر يقول اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليهما

زوجك فقال استطالت على فقال له اذن طلقها فطلقها فلما انقضت عدتها أرسل زيدا لها
فقال له اذهب فاذكرها على فانطلق قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى فقلت يا زينب ابشرى
أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربى أى
أستخيره فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة اذ نزل عليه الوحى بان الله
زوجه زينب فسرى عنه وهو يتبسم وهو يقول من يذهب الى زينب فيبشرها أن الله
زوجنيها من السماء وجاء الهادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قالت دخل
على وأنا مكشوفة الشعر فقلت يا رسول الله بلا خطبة ولا اشهاد فقال الله المزوج وجبريل
الشاهد أى وأنزل الله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك
الآية فهذه الآية نزلت فى زيد رضى الله تعالى عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حق ولده
اسامة فقد جاء أحب أهلى الى من أنعم الله وأنعمت عليه اسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب
فنعمة الله على زيد وعلى ولده اسامة الاسلام ونعمة النبى صلى الله عليه وسلم عليهم العتق لان
عتق أبيه عتق له تأمل وانما توجه هذا العتب أى لان الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب
ستكون من أزواجه صلى الله عليه وسلم فلما شكا اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق
الله وأخفى منه فى نفسه ما الله مبديه ومظهره وهو ما أعلمه الله به من انك ستتزوجها فالذى
أخفاه ما كان الله أعلمه به وتخشى الناس أى اليهود والمنافقين أن يقولوا تزوج امرأة ابنه
والله أحق أن تخشاه فى امضاء ما أحبه ورضيه لك وأعطاك اياه وقد جعل الله تعالى طلاق زيد
لها وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى قال تعالى لئلا يكون على المؤمنين
حرج فى أزواج أدعيائهم وأولم صلى الله عليه وسلم عليها بما لم يولم به على نسائه وذبح شاة وأطعم
فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فشق ذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفى البخارى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون وفى
البخارى أيضا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل
البيت ورحمة الله وبركاته فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك
الله لك ثم دخل حجر نسائه كلهن يقول كما قال لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبى صلى
الله عليه وسلم فوجد القوم فى البيت يتحدثون قال أنس رضى الله تعالى عنه وكان النبى صلى
الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج فطلبها الى حجرة عائشة فاخبران القوم خرجوا فرجع حتى
وضع رجله فى أسكفة البيت داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بينى وبينه فنزلت آية الحجاب
قال فى الكشاف وهى أدب أدب الله تعالى به الثقلاء وفى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها
قالت خرجت سودة بعدما ضرب علينا الحجاب تقضى حاجتها أى بالمناصع محل كان أزواجه
صلى الله عليه وسلم يخرجن اليه بالليل للتبرز وكانت امرأة جسيمة فرآها عمر بن الخطاب
فقال يا سودة والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله

وبلغ سعدا مجاعة القوم فقال ان يكن قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت فى مجاعة قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال
نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميرى قال ولم قال زعم انه لا مال لى
وانما المال لابيك فقال لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم الجهنى مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبى
صلى الله عليه وسلم فعل قيس فقال ان الجود من شمت أهل ذلك البيت وقيل ان قيسا ٢٣٩ نحر قبل الثلاث ستا مما كان معه من
الظهر ثم ثلاثا من التى اشتراها
من الجهنى وكان قيس من دهاة
العرب أهل الرأى والمكيدة فى
الحرب مع النجدة والبسالة
والشجاعة من وقف على ماوقع
بينه وبين معاوية رضى الله عنهما
حين ولاه سيدنا على رضى الله عنه
مصر بعد قتل سيدنا عثمان رضى الله
عنه رأى العجب العجاب من وفور
عقله ومع ذلك كان له من الكرم
ما لا مزيد عليه ووقفت له عجوز مرة
وقالت أشكو اليك قلة الجرذان
ببيتى والجرذان نوع من الفيران
فقال ما أحسن هذا السؤال
وقال لها لاكثرن جرذان بيتك
فلأ بيتها طعاما وقيل قالت له
مشت جرذان بيتى على العصا
فقال لها لادعهن يثبن وثوب الاسود
ثم ملأ لها بيتها طعاما ولا مانع من
تعدد الواقعة وكان قيس لا شعر
بوجهه وكان مع ذلك جميلا وكانت
الانصار تقول وددنا أن نشترى
لقيس بن سعد لحية بأموالنا كلها
ولنرجع الى تمام قصة سرية الخبط
قال أهل السير ثم أخرج الله لهم
دابة من البحر تسمى العنبر وهى
سمكة كبيرة يتخذ من جلدها
الترسة وقيل ان العنبر المشموم
رجيعها قال الازهرى العنبر سمكة
بالبحر الاعظم يبلغ طولها خمسين
ذراعا وفى رواية لجابر رضى الله
عنه فالقى لنا البحر حوتا ميتا لم نر
مثله فأكلنا منه نصف شهر وفى رواية ثمانية عشر يوما حتى صحت أجسامنا وادهنا من ودكه فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه
فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته راكبه وفى رواية ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل فخرج من تحتها وما مست
رأسه وفى رواية فدخل أى الراكب تحتها ما يطاطئ رأسه وفى رواية لمسلم عن جابر رضى الله عنه فلقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه
أى حدقتيه الدهن بالقلال ونقتطع منه القدر أى القطع من اللحم كالثور وفى رواية عن جابر أيضا فدخلت أنا وفلان فعد خمسة فى

عليه وسلم فى بيتى ليتعشى وفى يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله انى خرجت فقال لى عمر كذا
وكذا قالت فاوحى الله تعالى اليه ثم رفع عنه وان العرق فى يده ما وضعه فقال انه قد أذن لكن
أن تخرجن لحاجتكن وكان قول عمر اسودة ماذكر حرصا على أن ينزل الحجاب قالت عائشة
رضى الله تعالى عنها فانزل الله الحجاب وفيه أنه تقدم عنها أن قول عمر لسودة كان بعد أن ضرب
الحجاب وقد يقال المراد بالحجاب هنا عدم خروجهن للبراز فلا ترى أشخاصهن والحجاب المتقدم
عدم رؤية شئ من أبدانهن فلا مخالفة فليتأمل (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها قالت
دخلت على زينب بنت جحش وعندى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت عليه فقالت له
ما كل واحدة منا عندك الا على خلاء أى على ما أردت ثم أقبلت على تسبنى فردعها النبى صلى
الله عليه وسلم فلم تنته فقال لى سبيها فسببتها وكنت أطول لسانا منها حتى جف ريقها فى فيها ووجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل سرورا أى وفى يوم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على زينب لقولها فى صفية بنت حيى تلك اليهودية فهجرها الذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر
ثم أتاها بعد وعاد الى ما كان عليه معها وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت أرسل أزواج
النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم تستأذن والنبى صلى الله عليه وسلم
معى فاذن لها فدخلت عليه فقالت يا رسول الله ان أزواجك أرسلننى اليك يسألنك العدل فى
ابنة أبى قحافة أى ان تعدل بينهن وبينها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أى بنية ألست
تحبين ما أحب فقالت بلى قال فاحبى هذه يعنينى فقامت فاطمة فخرجت فجاءت أزواج النبى
صلى الله عليه وسلم فحدثتهن بما قالت وبما قال لها فقلن لها ما أغنيت عنا من شئ فارجعى الى
النبى صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أكلمه فيها أبدا فارسل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم
زينب بنت جحش فاستأذنت عليه وهو فى بيت عائشة فأذن لها فدخلت فقالت يا رسول الله
أرسلنى أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة ثم وقعت أى زينب بى تسمعنى ما أكره
فطفقت أنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى يأذن لى فيها فلم أزل حتى عرفت أن النبى صلى
الله عليه وسلم لا يكره ان انتصر فوقعت بها أسمعها ما تكره فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم
وقال لها انها ابنة أبى بكر أى محل الفصاحة والشهامة وسبب ذلك أى طلبهن أن يعدل بينهن
وبين عائشة ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

﴿غزوة أحد﴾

وكانت فى شوال سنة ثلاث أى باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة أربع وأحد جبل من جبال
المدينة قيل سمى بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التى هناك وهذا الجبل يقصد
لزيارة سيدنا حمزة ومن فيه من الشهداء وهو على نحو ميلين وقيل على ثلاثة أميال من المدينة

حجاج عينهاما برانا أحد حتى خرجنا فسبحان القوى القادر فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال
هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمه فتطعمونا فكان معنا منه شئ فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل ولم
يذكر أحد من أهل السير انهم قاتلوا أحدا فى هذه السرية بل أقاموا نصف شهر أو أكثر فى مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا
كيدا والله سبحانه وتعالى أعلم

٢٤٠

﴿سرية أبى قتادة رضى الله عنه الى نجد﴾ واسم أبى قتادة الحرث وقيل عمرو
أو النعمان بن ربعى الانصارى السلمى بعثه صلى الله عليه وسلم الى خضرة وهى أرض محارب بنجد فى شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا وأمره ان يشن الغارة على غطفان بارض محارب فسار الليل وكمن النهار ثم هجم على جمع منهم فقاتله منهم رجال وقتل من أشرف منهم وسبى أبو قتادة ومن معه سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتى بعير والغنم ألفى شاة وفى رواية عن ابن عمر رضى الله عنهما بعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا ابلا كثيرة وغنما فكانت سهامنا اثنى عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وكان السبى أربع نسوة وأطفال وجوار وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبى وقعت فى سهم أبى قتادة فجاء محمية ابن جزء الزبيدى فقال يارسول الله ان أبا قتادة قد أصاب فى وجهه هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتنى جارية فأرسل صلى الله عليه وسلم الى أبى قتادة فقال هب لى الجارية فوهبها له فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية أبى قتادة أيضا رضى الله عنه الى اضم﴾ وهو بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم واد على ثلاثة برد من المدينة وكانت هذه السرية فى أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعد أن نقضوا العهد كما سيأتى بيانه بعث أبا قتادة رضى الله عنه فى ثمانية أنفار سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولتذهب بذلك الاخبار فلا تستعد قريش لحربه ويدخل عليهم على حين غفلة وكان يقول اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش

يقال ان فيه قبر هرون أخى موسى عليهما الصلاة والسلام وفيه قبض فواراه موسى فيه وكانا قدما حاجين أو معتمرين وعن ابن دحية أن هذا باطل بيقين وأن نص التوراة أنه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام وقد يقال لا مخالفة لانه يقال المدينة شامية وقيل دفن بالتيه هو وأخوه موسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم ان أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه اذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه أى وهى كل شجرة عظيمة لها شوك والقصد الحث على عدم اهمال الاكل من شجره تبركا به وقال صلى الله عليه وسلم أحد ركن من أركان الجنة أى جانب عظيم من جوانبها وفى رواية على باب من أبواب الجنة ولا يخالف ماقبله فانه جاز أن يكون ركنا بجانب الباب وفى رواية جبل من جبال الجنة ولا مانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها وضع الحب فيه كما وضع التسبيح فى الجبال المسبحة مع داود عليه السلام وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها وان منها لما يهبط من خشية الله وقيل هو على حذف مضاف أى يحبنا أهله وهم الانصار أو لان اسمه مشتق من الاحدية وأخذ من هذا انه أفضل الجبال وقيل أفضلها عرفة وقيل أبو قبيس وقيل الذى كلم الله عليه موسى وقيل قاف ولما أصاب قريشا يوم بدر ما أصابهم مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية رضى الله تعالى عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك ورجال أخر من أشراف قريش الى أبى سفيان رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى من كان له تجارة فى تلك العير أى التى كان سببها وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة فى دار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم أى قتل رجالكم ولم تدركوا دماءهم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا أى وقالوا نحن طيبو النفوس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معى فجعلوا ذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا أى فكان الذى أخرج خمسين ألف دينار وقيل أخرجوا خمسة وعشرين ألف دينار وأنزل الله تعالى فى ذلك ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابى عزة يا أبا عزة انك رجل شاعر فاعنا بلسانك ولك على ان رجعت أن أغنيك وان أصبت اجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من على أى وأخذ على أن لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقنى وأنا أسير فى أسارى بدر فلا أريد أن أظاهر عليه قال بلى فاعنا بلسانك فخرج أبو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فأما مسافع فلا يعلم له اسلام لكن فى كلام ابن عبد البر مسافع بن عياض بن صخر القرشى التيمى له صحبة وكان شاعرا لم يروشيأ ولا أدرى هل هو هذا أو غيره وأما أبو عزة فظفر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الوقعة بحمراء الاسد أى المكان المعروف الآتى

حتى نبغتها فى بلادها واستجيب له فعميت الاخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ولا علموا بذلك الا ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى
فخرج أبو قتادة ومن معه رضى الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الاشجعى فسلم عليهم بتحية الاسلام أى قال السلام عليكم وقيل عظمهم
بالانقياد ومنه كلمة الشهادة التى هى امارة على اسلامه فقتله محلم بن جثامة فأنزل الله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا
الآية روى الامام أحمد والطبرانى عن عبد الله بن أبى حدرد رضى الله عنه ٢٤١ قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أضم
فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعى على قعود له ومعه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فامسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشئ كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الى آخر الآية وتقدم فى سرية غالب الليثى أن الآية نزلت فى قتل اسامة بن زيد مرداس بن نهيك فيحتمل تعدد القصة وتكرر نزول الآية ثم ان أبا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعا وبلغهم انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا فاخبروه الخبر فقال لمحلم أقتلته بعد ماقال آمنت بالله وفى رواية بعد ماقال انى مسلم فجلس محلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له وقال انما قالها متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه لتعلم أصادق هو أم كاذب قال وهل قلبه الا مضغة من لحم قال صلى الله عليه وسلم انما كان ينبئ عنه
لسانه وفى رواية لا ما فى قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال استغفر لى يارسول الله قال لا غفر الله لك أى زجرا له وتهويلا
لهذا الامر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة فقام محلم وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالى حتى مات
فجهزوه ودفنوه فلفظته الارض ثم عادوا ودفنوه فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد ان يعظكم فى حرمة ما بينكم بما

بيانه قريبا وتقدم استطرادا ثم أمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت فضرب عنقه وحملت رأسه الى المدينة كما سيأتى وتقدم استطرادا ودعا جبير بن مطعم بن عدى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما له حبشيا يقال له وحشى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق أى لان حمزة هو القاتل له وقيل وحشى كان غلاما لطعيمة وان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا فى أبى فانى لا أدرى فى القوم كفؤا له غيرهم فانت عتيق وخرج معهم النساء بالدفوف وفى كلام سبط ابن الجوزى وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا هذا كلامه وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة أى مع أزواجهن ومنهن هند زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك أى وأم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وسلافة مع زوجها طلحة بن أبى طلحة وأم مصعب بن عمير يبكين قتلى بدر وينحن عليهم يحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أرسل به اليه عمه العباس أى بعد أن راودوه على الخروج معهم فاعتذر بما لحقه من القوم يوم بدر ولم يساعدهم بشئ وذلك فى كتاب جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو بقباء أرسله العباس مع رجل استأجره من بنى غفار وشرط عليه أن يأتى المدينة فى ثلاثة أيام بلياليها ففعل كذلك فلما جاءه الكتاب فك ختمه ودفعه لابى فقرأه عليه أبى بن كعب واستكتم أبيا ونزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس أى فقال والله انى لارجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لا أم لك وما أنت وذاك فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع وأخذ بيدها ولحقه صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها وقال يارسول الله انى خفت أن يفشو الخبر فترى انى أنا المفشى له وقد استكتمتنى اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها ٥ وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل وقال بعض الحفاظ جمع أبو سفيان قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والاحابيش وخرج معه أبو عامر الراهب فى سبعين فارسا من الاوس قال فى الاصل والاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون ابن خزيمة اجتمعوا عند حبشى وهو جبل باسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار ومارسا حبشى مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم وفيهم مائتا فارس أى وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة دارع حتى نزلوا مقابل المدينة بذى الحليفة أى وهو ميقات أهل المدينة الذى يحرمون منه أى وأرجفت اليهود والمنافقون فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينين له أى جاسوسين فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ويقال ان عمرو بن سالم الخزاعى مع نفر من خزاعة فارقوا قريشا

من ذى طوى وجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبروه خبرهم وانصرفوا ولما وصلوا أى كفار قريش ومن معهم للابواء أرادوا نبش قبر أمه صلى الله عليه وسلم والمشير عليهم بذلك هند بنت عتبة زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنها فقالت لو بحثتم قبر أم محمد فان أسر منكم أحدا فديتم كل انسان بارب من آرابها أى جزء من أجزائها فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب والا نبش بنو بكر موتانا عند مجيئهم وحرست المدينة وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد ابن عبادة وعليهم السلاح فى المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبحوا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا قال رأيت البارحة فى منامى خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى أى وهو ذو الفقار ثلما باسكان اللام وفى لفظ وكأن ظبة سيفى انكسرت وفى لفظ ورأيت سيفى ذا الفقار انفصم من عند ظبته فكرهته وهما مصيبتان ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة وفى رواية ورأيت أنى فى درع حصينة أى وانى مردف كبشا قال صلى الله عليه وسلم بعد أن قيل له ما أولتها قال فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون وفى لفظ أولت البقر بقرا يكون فينا وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى أى وفى رواية من عترتى يقتل وفى رواية رأيت أن سيفى ذا الفقار فل فأولته فلا فيكم أى وفلول السيف كسور فى حده وقد حصل فى حد سيفه كسور وحصل انفصام ظبته وذهابها فكان ذلك علامة على وجود الامرين وأما الدرع الحصينة فالمدينة أى وأما الكبش فانى أقتل كبش القوم أى حاميهم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها أى فانا أعلم بها منهم وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهى كالحصن وكان ذلك رأى أكابر المهاجرين والانصار قال ووافق على ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول أى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليه يستشيره ولم يستشره قبل ذلك قال يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها الا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا اه وهذا هو الظاهر خلافا لما ذكره بعضهم من أنه صلى الله عليه وسلم دعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكالب اذ لا يناسب ذلك ما يأتى عنه من رجوعه وقوله خالفنى الخ ونعما قال ذلك رجل من المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة يوم أحد وقال رجال أى غالبهم احداث أحبوا لقاء العدو ٥ وغالبهم ممن أسف على ما فاته من مشهد بدر اخرج بنا الى أعدائنا لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا أى فيكون ذلك جراءة منهم علينا والله لا تطمع العرب فى أن تدخل علينا منازلنا وفى لفظ ان الانصار قالوا يا رسول الله ما غلبنا عدو لنا أتانا فى دارنا أى فى ناحية من نواحيها فكيف وأنت فينا ووافقهم على ذلك حمزة بن عبد المطلب وقال للنبى صلى الله عليه وسلم والذى أنزل عليك

أراكم منه وجاء فى بعض طرق هذه القصة ان عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الاضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان وقام الاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عنده صلى الله عليه وسلم وأرادوا الاقتصاص من محلم ثم قبلوا الدية ثم سأل محلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يستغفر له فقال اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم

﴿غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى﴾ وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس بسببه فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا خرج صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط ان من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكانت خزاعة حلفاء جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل فى ساحات وأفنية من السقاية كانت فى يد عبد المطلب فأخذها منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم أحد وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك ثم كتب الى أخواله بنى النجار فجاء منهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن اختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفا ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده وما لا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم الا تجددا أبدا الدهر سرمدا وفى رواية حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما شرقت شمس على ثبير وحن بفلاة

الكتاب

الكتاب لا أطعم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم كاره للخروج فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافق على ذلك فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم ان لهم النصرة ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا أى اجتمعوا وقد حضر أهل العوالى ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فعمماه وألبساه وصف الناس ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه أى فما أمركم به وما رأيتم له فيه هوى ورأيا فأطيعوه ٥ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لبس لأمته ٥ وظاهر بين درعين ٥ أى لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التى أصابها من بنى قينقاع كما تقدم وذات الفضول هذه هى التى أرسلها اليه صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضى الله عنه حين سار الى بدر وهى التى مات صلى الله عليه وسلم عنها وهى مرهونة عند اليهودى وافتكها أبو بكر رضى الله عنه وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم من حمائل سيفه صلى الله عليه وسلم وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية أنه صلى الله عليه وسلم تمنطق حيث قال لم يبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم شد وسطه بمنطقة وقد يقال مراد ابن تيمية المنطقة المعروفة وليس هذا منها وفيه رد على بعضهم فى قوله كان له صلى الله عليه وسلم منطقة من أدم فيها ثلاث حلق من فضة والطرف من فضة وقد يقال لا يلزم من كونه له منطقة أن يكون تمنطق بها فليتأمل وتقلد صلى الله عليه وسلم السيف وألقى الترس فى ظهره أى وفى رواية فركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وتقلد القوس وأخذ قناة بيده أى ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك فقالوا والله ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت وفى رواية فان شئت فاقعد أى وقال قد دعوتكم الى القعود فأبيتم وما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه أى وفى رواية حتى يقاتل وأخذ منه أنه يحرم على النبى نزع لأمته اذا لبسها حتى يلحق العدو ويقاتل وبه قال أئمتنا أى وقيل انه مكروه واستبعد وقوله صلى الله عليه وسلم وما ينبغى لنبى يقتضى أن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله فى ذلك أى لان نزع ذلك يشعر بالجبن وذلك ممتنع على الانبياء صلى الله وسلم عليهم قاله فى النور وما اختص به من المحرمات فهو مكروه له لان المحرم فى المنهيات كالواجب فى المأمورات وعقد صلى الله عليه وسلم ثلاثة ألوية لواء للاوس وكان بيد أسيد بن حضير ولواء للمهاجرين وكان بيد على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل بيد مصعب بن عمير أى لانه كما قيل لما سئل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبى طلحة أى من بنى عبد الدار فأخذه صلى الله عليه وسلم من على ودفعه لمصعب بن عمير أى لان مصعب بن عمير من بنى عبد الدار وهم أصحاب اللواء فى الجاهلية كما تقدم وسيأتى ولواء للخزرج كان بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وخرج فى ألف ونيل

بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان حلف أبد الطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى به حميلا ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال صلى الله عليه وسلم ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا حلف فى الاسلام وهذا الذى نفاه فى الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات والذى قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق فلا تنافى حينئذ ثم انه قد كان بين بنى بكر بن عبد مناة ابن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر ومعه جماعة من قبيلة بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة وهى قوله لا اله له يا بنى بكر اصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فلا تصيبون ثاركم فيه وقيل ان سبب القتال بين بنى بكر وخزاعة ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة وأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل مع بنى بكر جمع من قريش خفية منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ولم يشاوروا فى ذلك أبا سفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا وأن هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زالوا يقاتلون

خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة فلما تناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وفي رواية ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع وانتهوا بهم في عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأصبحت خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمرو لنوفل بن معاوية البكري قد حصرتهم تريد قتل من بقي وهذا مما لا نطاوعك عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحرث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على ما صنعوا وقالا ان بينكم وبين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش ان محمدا غازينا فقال ابن أبي سرح لا يغزوكم حتى يخيركم في خصال كلها أهون من غزوة يرسل اليكم أن دوا قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلا أو تبرؤا من حلف بني بكر أو ننبذ اليكم على سواء فقال سهيل بن عمرو نبرأ من حلفهم أسهل وقال شيبة بن عثمان ندي القتلى أهون وقال قرظة بن عمرو لا ندي ولا نبرأ لكنا ننبذ اليه على سواء وقال أبو سفيان ليس هذا بشيء وما الرأي الاصوب الا جحد هذا الامر أي كون قريش دخلت في نقض عهد أو قطع مدة وأنه قطع قوم بغير رضا منا ولا مشورة فما علينا قالوا هذا الرأي ولا رأي غيره وكان هذا النقض من قريش في شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضي الله عنها صبيحة وقعة خزاعة لقد حدث يا عائشة في خزاعة أمر فقالت أترى قريشا تجترئ على نقض العهد الذي بينك وبينهم وقد أفناهم السيف فقال ينقضون العهد لامر يريده الله تعالى قالت يا رسول الله خير قال خير (وروى الطبراني) من حديث ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت بات عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول في متوضئه بالليل لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد فقال هذا راجز بني كعب وهم بطن من خزاعة

تسعمائة ولعله تصحيف عن سبعمائة لما سيأتي ان عبد الله بن أبي ابن سلول رجع معه ثلاثمائة فبقي سبعمائة من أصحابه صلى الله عليه وسلم منهم مائة دارع وخرج السعدان امامه صلى الله عليه وسلم يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم أي وسار الى ان وصل رأس الثنية أي وعندها وجد كتيبة كبيرة فقال ما هذا قالوا هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود فقال اسلموا فقيل لا فقال انا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك فردهم أي وهؤلاء اليهود غير حلفائه من بني قينقاع فلا يقال هذا انما يأتي على ان اجلاء بني قينقاع كان بعد أحد لانهم هم حلفاؤه من يهود كما تقدم لانا نمنع انحصار حلفائه من يهود في بني قينقاع وسار صلى الله عليه وسلم وعسكر بالشيخين وهما أطمان أي جبلان ٥ وعند ذلك عرض قومه فرد جمعا أي شبابا لم يرهم بلغوا خمس عشرة سنة بل أربع عشرة سنة كذا نقل عن امامنا الشافعي رضي الله عنه ونقل عنه بعضهم انه قال لم يرهم بلغوا أربع عشرة سنة منهم عبد الله بن عمر أو زيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء بن عازب واسيد بن ظهير وعرابة بن أوس خلافا لمن أنكر صحبته وعرابة هذا هو القائل فيه الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وأوس والده هو القائل في يوم الاحزاب ان بيوتنا عورة كما سيأتي وأبو سعيد الخدري وسعد بن خيثمة رضي الله تعالى عنهم أي وزيد بن حارثة الانصاري كان أبوه حارثة من المنافقين من أصحاب مسجد الضرار ورافع بن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج لما قيل له انه رام وأصيب في ذلك اليوم بسهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم القيامة ومات في زمن عبد الملك بن مروان لما انتقض عليه ذلك الجرح وعندما أجازه قال سمرة بن جندب لزوج أمه أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج وردني وانا أصرعه فاعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصارعا فصرع سمرة بن جندب رافعا فأجازه وممن رده صلى الله عليه وسلم يوم أحد لصغر سنه سعد بن حبتة عرف بامه حبتة فلما كان يوم الخندق رآه صلى الله عليه وسلم يقاتل قتالا شديدا فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله فكان عما لاربعين وخالا لاربعين وأبا لعشرين ومن ولده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهم وتقدم في بدر أنه صلى الله عليه وسلم رد زيد بن ثابت وزيد بن أرقم وأسيد بن ظهير فما فرغ العرض الا وقد غابت الشمس فأذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ثم أذن بالعشاء فصلى بهم وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطوفون بالعسكر ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه لما قال صلى الله عليه وسلم من يحفظنا الليلة حتى كان السحر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت أي في النوم الملائكة تغسل حمزة رضي الله عنه وأدلج رسول الله صلى الله عليه وسلم

يستنصر بي ويزعم ان قريشا أعانت عليهم بني بكر وهذا علم من أعلام النبوة باهر فاما انه أعلم بذلك بالوحي وعلم ما تصوره الراجز في نفسه أو ان الراجز كان يرتجز وأسمع الله نبيه صلى الله عليه وسلم كلامه (قال أهل السير) ولما انقضى قتال بني بكر وخزاعة خرج عمرو ابن سالم الخزاعي أحد بني كعب وهم بطن من خزاعة ومعه أربعون راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه وقبل قدومهم بثلاث أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها أن تجهزه أي تهيئ له أهبة السفر وما يحتاج اليه في قطع المسافة اعتمادا على ما أطلعه الله عليه مما وقع من نقض العهد وأمرها أن لا تعلم أحدا فدخل عليها أبو بكر رضي الله عنه قبل ان يخبره النبي صلى الله عليه وسلم ويستشيره في ذلك فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت ما أدري فقال والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فأين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا علم لي وفي رواية لابن أبي شيبة انها أعلمته وجمع بينهما بأنه دخل عليها مرتين الاولى قالت له لا علم لي ثم أخبرته صلى الله عليه وسلم فأذن لها في اخبار أبيها لكونه عيبة سره فدخل عليها ثانيا فأخبرته فقال والله ما انتقضت الهدنة بيننا وخرج رضي الله عنه فذكر ما قالت له للنبي صلى الله عليه وسلم فذكر له صلى الله عليه وسلم انهم أول من غدر قالت ميمونة رضي الله عنها فأقمنا ثلاثا أي بعد قوله لها هذا راجز بني كعب ثم صلى بالناس صلى اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده وذلك أن عمرو بن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالمسجد فقال منشئا

يا رب اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا * وجعلوا لي في كداء رصدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
(وفي رواية) هم قتلونا بصعيد هجدا * نتلو القرآن ركعا وسجدا
وزعموا ان لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

وسلم في السحر فحانت صلاة الصبح بالشوط حائط بين المدينة وأحد ومن ذلك المكان رجع عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلثمائة رجل وهو يقول عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له سيعلم ما ندري علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فرجعوا فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر رضي الله عنهما وكان في الخزرج كعبد الله بن أبي يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا بضم الذال المعجمة قومكم ونبيكم أي تتركوا نصرتهم واعانتهم عند ما حضر من عدوهم قالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ولكن لا نرى أنه يكون قتال وأبوا الا الانصراف فقال لهم أبعدكم الله أي أهلككم الله أعداء الله فسيغني الله تعالى عنكم نبيه وفيه ان قوله المذكور يخالف قوله علام نقتل أنفسنا الا أن يقال على فرض انه يقع قتال علام نقتل أنفسنا فلما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول بمن معه قالت طائفة نقاتلهم وقالت طائفة أخرى لا نقاتلهم وهمتا ان يقتتلا والطائفتان هما بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج فأنزل الله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم أي ردهم الى كفرهم بما كسبوا وفي كلام سبط ابن الجوزي ولما رأى بنو سلمة وبنو حارثة عبد الله بن أبي قد خذلهم وأبا الانصراف وكانوا جناحين من العسكر ثم عصمهما الله وأنزل قوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الآية فبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة رجل ومن هذا يعلم ما في المواهب من قوله ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط لان الذين ردهم صلى الله عليه وسلم لكفرهم حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود وكان رجوعهم قبل الشوط والذين رجع بهم عبد الله كانوا منافقين ورجوعه بهم كان من الشوط ولم يكن مع المسلمين يومئذ الا فرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة وقيل لم يكن معهم فرس أي وهذا القيل نقله في فتح الباري عن موسى بن عقبة وأقره وقالت الانصار أي لما رجع ابن أبي يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود أي يهود المدينة ولعلهم عنوا بهم بني قريظة لان بني قريظة من حلفاء سعد بن معاذ وهو سيد الاوس قال بعضهم كان في الانصار كأبي بكر في المهاجرين فقال صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا فيهم (أقول) وحينئذ يكون المراد قالت طائفة من الانصار وهم الاوس ولم يكونوا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم انا لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك والله أعلم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من يخرج بنا على القوم من كثب أي من طريق قريب لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله فنفذ به من حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى دخل في حائط لمربع بن قيظي الحارثي وكان رجلا منافقا ضريرا فقام يحثي التراب أي في وجوههم ويقول ان كنت رسول الله فاني لا أحل لك أن تدخل حائطي وفي يده حفنة من تراب وقال والله لو أعلم اني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدر اليه سعد بن زيد فضربه بالقوس في رأسه فشجه وأراد القوم قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر أي وغضب له ناس من

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وفي رواية فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما انصر به نفسي وفي رواية قال والذي نفسي بيده لامنعنهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بني كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان وفي رواية انه دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم وقال خزاعة مني وأنا منهم وسأل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم فيمن تهمتكم قال في بني بكر ٢٤٦

قال كلها قال لا ولكن في بني نفاثة وهم بطن من بني بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا في الاودية فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم اخفاء مجيئهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب عمرو بن سالم ومعه نفر من قومه فأخبروه صلى الله عليه وسلم الخبر ورجعوا ولزم بديل الطريق في نفر من قومه وقيل ان بديلا لم يفارق مكة حتى لقيه في الفتح بمر الظهران وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لركب خزاعة أنا باعث الى أهل مكة فسائلهم عن هذا الامر ومخيرهم في خصال ثلاث فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرؤا من حلف بني نفاثة أو ينبذ اليهم على سواء فأتاهم ضمرة فأخبرهم فقال قرطة بن عمرو لا ندي ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ثم ندمت قريش على ما ردوا به فبعثوا أبا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم في المدة وقيل ان أبا سفيان توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله وقيل ان الحرث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة مشيا الى أبي سفيان فقالا لئن لم يصلح هذا الامر لا يروعكم الا محمد في أصحابه فقال أي أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها قالوا وما هي قال رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة مليا ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكره القوم الرؤيا وقال أبو سفيان هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه ولا يحمل الا علي والله ما شوورت فيه ولا هويته حين بلغني ليغزونا محمد ان صدقني ظني وهو صادقي وما بد من أن آتي محمدا فأكلمه فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى

بني حارثة كانوا على مثل رأيه أي منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أبي فهم بهم أسيد بن حضير حتى أومأ أي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك ذلك ٥ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره الى أحد قال واستقبل المدينة وصف المسلمين في جبل أحد أي بعد ان بات به تلك الليلة وحانت الصلاة صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال وأقام وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صفوفا وخطب خطبة حثهم فيها على الجهاد ومن جملة ما ذكر فيها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة الا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا وفي رواية الا امرأة أو مسافرا أو عبدا أو مريض بالرفع وعليها فالمستثنى محذوف أي الا أربعة وما ذكر بدل منها قال ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غني حميد ما أعلم من عمل يقربكم الى الله تعالى الا وقد أمرتكم به ولا أعلم من عمل يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه وانه قد نفث أي أوحى وألقى في روعي بضم الراء أي قلبي الروح الامين أي الذي هو جبريل انه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شئ وان أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم وأجملوا أي احسنوا في طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه ان تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده والسلام عليكم انتهى أي ولما أقبل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ومعه عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام وقال له استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ولعل المراد وأمر جماعة أن يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين لانه تقدم أنه لم يكن معهم الا فرس أو الا فرسان أي وما وقع في الهدى أن الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين رجلا سبق قلم وقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وقال لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال أو كان الرماة خمسين رجلا وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا أي وفي رواية ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم زاد في رواية وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال وفي رواية انه قال أي للرماة الزموا مكانكم لا تبرحوا منه فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل انا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم اللهم اني اشهدك عليهم انتهى وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا أي وكان مكتوبا في احدى صفحتيه

في الجبن عار وفي الاقبال مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم من جملتهم علي رضي الله تعالى عنه قام ليأخذه فقال اجلس وعمر رضي الله تعالى عنه فأعرض عنه والزبير رضي الله تعالى عنه

له على راحلتين وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى مبركهم بعد ان فارقوه فأخذ بعر اوفتته فوجد فيه النوى فعلم انهم ذهبوا الى المدينة وفي رواية ان أبا سفيان لقي بديل بن ورقاء بعسفان فاشفق أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها قالوا لا علم لنا بها انما كنا بالساحل نصلح بين الناس في قتيل وفي لفظ قال من أين أقبلت ٢٤٧ يا بديل قال سرت الى خزاعة في هذا الساحل

قال أو ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أي توجه اليها قال أبو سفيان لئن كان جاء الى المدينة لقد علف بها النوى فجاء الى منزلهم ففتت أبعار أباعرهم فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان احلف بالله لقد جاء القوم محمدا وقبل قدوم أبي سفيان المدينة قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد في المدة وهو راجع بسخطة فلما انتهى أبو سفيان الى المدينة دخل على بنته أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فأراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه فقال يا بنية ما أدري ارغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر فقالت بل هداني الله للاسلام وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول في الاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر فقام من عندها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله ان يجدد العهد ويزيد في المدة فأبى عليه وقال ابن اسحق انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيأ وفي رواية قال يا محمد اني كنت غائبا في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة فقال صلى الله عليه وسلم فلذلك جئت قال نعم فقال هل كان من حدث فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك فأعاد أبو سفيان القول فلم يرد عليه شيأ فذهب الى أبي بكر رضي الله عنه فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل وفي رواية قال لابي بكر تكلم محمدا أو تجير بين الناس فقال جواري

أي وطلبه ثلاث مرات كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ٥ حتى أقام اليه أبو دجانة وقال ما حقه يا رسول الله قال تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال أنا آخذه بحقه فدفعه اليه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب أي يمشي مشية المتكبر وحين رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبختر بين الصفين قال انها المشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن أي لان فيها دليلا على عدم الاكتراث بالعدو وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان بن حرب يا معشر الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن قال وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يلي حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير فذبحه فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبي حواري وان حواري الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز اليه الزبير لبرزت اليه لما رأى من احجام الناس عنه انتهى وخرج رجل من المشركين بين الصفين أي وهو طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة والده اسمه عبد الله بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين لان بني عبد الدار كانوا أصحاب لواء المشركين لان اللواء كان لو الدهم عبد الدار كما تقدم وطلب طلحة المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان قتلانا كم الى الجنة وان قتلانا الى النار وفي رواية قال يا أصحاب محمد انكم تزعمون ان الله تعالى يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الي بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين فقتله علي رضي الله تعالى عنه أي وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدره علي فصرعه أي قطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عمي أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال اقتله فقتله أي ووقع لسيدنا علي كرم الله وجهه مثل ذلك في يوم صفين مرتين الاولى حمل على نصر بن ارطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه والثانية حمل على عمرو بن العاص فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه علي كرم الله وجهه ٥ فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي ينسب اليه الشيبيون فيقال بني شيبة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة وهو يقول أنا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة الذي قتله علي رضي الله تعالى عنه فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الافلح فقتله ثم حمله

فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عمر رضى الله عنه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وفى رواية قال له عمر رضى الله عنه ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله فقال أبو سفيان جوزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على على رضى الله عنه وعنده فاطمة رضى الله عنها وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا على انك أمس القوم بى رحما وانى جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لى فقال على رضى الله عنه ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بنى هذا ان يجير بين الناس وما كان أحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انه جاء عثمان رضى الله عنه قبل على رضى الله عنه فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال يا أبا ثابت انك سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس وزد فى المدة فقال سعد جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فأتى أشراف قريش والانصار فكلمهم وكلهم يقول جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فلما أيس منهم دخل على فاطمة رضى الله عنها فقال هل لك أن تجيرى بين الناس فقالت انما أنا امرأة وأبت عليه فقال مرى ابنك فقالت ما بلغ ان يجير فقال لعلى رضى الله عنه يا أبا حسن انى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله ما اعلم شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أو ترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال لا والله ما أظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن ان يخفرنى أحد ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى قد أجرت بين الناس فقال صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ثم ركب بعيره وانصرف الى مكة وكانت غيبته قد طالت واتهمته قريش أشد التهمة وقالوا قد صبا واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند امرأته ليلا قالت لقد غبت حتى

أخو مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم فقتله أى فكانت أمهما وهى سلافة معهما وكل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتى أمه ويضع رأسه فى حجرها فتقول له يا بنى من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى يقول خذها وأنا ابن أبى الافلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الابل وسيأتى مقتل عاصم فى سرية الرجيع فحمله أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير أى وقيل قزمان فحمله أخوهم وهو الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب والجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبى طلحة كل قتل كأبيهم طلحة وعميهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل فقتله على بن أبى طالب وقيل حمزة فحمله شريح بن قارظ فقتل أى ولم يعرف قاتله ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد شرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم أى وكان حبشيا فقاتل حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذه لصدره وعنقه حتى قتل عليه أى قتله قزمان وقيل القاتل له سعد بن أبى وقاص وقيل على وقد كان أبو سفيان قال لاصحاب اللواء أى لواء المشركين من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يا بنى عبد الدار انكم تركتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما تؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان قال ابن قتيبة ويقال ان هذه الآية نزلت فى بنى عبد الدار ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولما صرع صاحب لواء المشركين أى الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أى لانه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رآه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه المتقدمة انه مردفا كبشا وقال أولت ذلك أنى أقتل كبش الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل أصحاب اللواء صار واكتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى اجهضوهم أى أزالوهم عن أثقالهم أى وكان شعار المسلمين يومئذ امت امت وشعار الكفار بالعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة منصوبا على بئر هناك وسيأتى فى فتح مكة أنه كان خارجها بجانب الباب وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون فى أول الامر كان داخل الكعبة ثم أخرج منها وجعل بجانبها ٥ أى وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبوه أبو بكر شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن للمبارزة أيضا فى يوم بدر وتقدم عن ابن مسعود ان الصديق دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم أحد الى البراز وهو يخالف ما هنا الا أن يقال انه هنا يجوز وقوع كل من الامرين أى طلب المبارزة من الصديق لولده عبد الرحمن وطلب المبارزة من عبد الرحمن

انهمك قومك فان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فانت الرجل ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت ما صنعت فأخبرها الخبر وقال لم أجد الا ما قال لى على فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما أصبح حلق رأسه عند أساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤسهما وقال لا أفارق عبادتكما حتى أموت وأراد بذلك ان تبرئه قريش مما اتهمته به من قولهم انه صبا فلما صنع ذلك قالوا له ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة فى مدة فانا لا نأمن ان يغزونا فقال والله لقد أبى على وفى رواية كلمته فوالله ما رد على شيأ ثم جئت أبا بكر فلم أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته ادنى العدو وفى رواية اعدى العدو وكلمت عليه أصحابه فما قدرت على شئ منهم الا انهم يرموننى بكلمة واحدة وما رأيت قوما يوما اطوع لملك عليهم منهم له الا ان عليا لما ضاقت بى الامور قال أنت سيد بنى كنانة فأجر بين الناس فناديت بالجوار قالوا هل أجاز ذلك محمد قال لا وانما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة قالوا رضيت بغير رضا وجئتنا بما لا يغنى عنا ولا عنك شيأ ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك عليهم لهين والله ما زاد على على ان لعب بك تلعبا فقال والله ما وجدت غير ذلك فقالوا اما جئتنا بحرب فنحذر ولا صلح فنأمن وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها (وروى ابن أبى شيبة) عن أبى مالك الاشجعى قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره فجلس عند بابها وكان اذا جلس وحده لم يأته احد حتى يدعوه فقال ادع لى أبا بكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلا ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال ادع لى عمر فجاء فجلس فناجاه طويلا فرفع عمر صوته فقال يا رسول الله هم رأس الكفر الذين زعموا انك ساحر وانك كاهن وانك كذاب وانك مفتر ولم يدع شيأ مما كانوا يقولون الا ذكره ثم قال وايم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم هذين قالوا نعم يا رسول الله فأقبل بوجهه الكريم على أبى بكر رضى الله عنه فقال ان ابراهيم عليه السلام كان ألين فى الله تعالى من الدهن باللبن ثم أقبل على عمر رضى الله عنه فقال ان نوحا كان أشد فى الله تعالى من الحجر

لوالده الصديق وقد وقع للصديق رضى الله تعالى عنه ان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش شاهرا سيفه فأخذ على رضى الله تعالى عنه بزمام راحلته وقال له الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وفى أول الامر حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مغلولة أى بالفاء متفرقة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أى اضعفوهم قتلا فلما التقى الناس وحميت الحرب قامت هند فى النسوة اللاتى معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن

ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان والادبار الاعقاب أى الذين يحمون أعقاب الناس والبتار السيف القاطع ويقلن

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا النوازق أى الخفاف

والمسك فى المفارق * والدر فى المخانق * ان تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

والطارق النجم قال تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب قيل هو زحل أى نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالنجم واعترض بأنها لو أرادت النجم لقالت نحن بنات الطارق ثم رأيت ان هذا الرجز لهند بنت طارق وحينئذ فليس المراد بطارق النجم وانما هو الرجل المعروف كأنها قالت نحن بنات طارق المعروف بالعلو والشرف وعن بعضهم قال جلست بمكة وراء الضحاك فسئل عن قول هند يوم أحد نحن بنات طارق ما طارق فقلت هو النجم فقال لى كيف ذلك فقلت له قال الله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق والنمارق الوسائد الصغار والمراد نفرش ما تجعل عليه الوسائد مع جعلها عليه والوامق المحب أى فراق غير محب لان غير المحب لا يرجع اذا غضب بخلاف المحب ومن ثم قيل غضب المحب فى الظاهر مهابة سيف وفى الباطن كسحابة صيف قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع ذلك أى تحريض هند بنذكرته يقول اللهم بك أحول بالحاء المهملة أى أمنع وبك أصول وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل انتهى أى وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا لقى العدو قال اللهم بك أصاول وبك أحاول أى أطالب وقاتل أبو دجانة حتى امعن فى الناس فعن الزبير قال وجدت أى غضبت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف أى الذى قال فيه من يأخذه بحقه ثلاث مرات وأنا ابن عمته فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة فقلت والله لانظرن ما يصنع فاتبعته فأخذ عصابة حمراء أى أخرجها من ساق خفه وكان مكتوبا على أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الآخر الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت

وان الامر أمر عمر فتجهزوا وتعاونوا واتبعوا أبا بكر فقالوا انا كرهنا أن نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لي كيف تأمرني في غزو مكة قلت يا رسول الله هم قومك حتى رأيت انه سيطيعني ثم دعا عمر فقال هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم تجهز وما أعلم أحدا والمراد انه ما أعلم عامة الناس فلا ينافي انه أعلم كبار أصحابه ٢٥٠ رضي الله عنهم فتجهز الناس وقال حسان رضي الله عنه يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة

الانصار اخرج أبو دجانة عصابة الموت أي لانهم كانوا يقولون ذلك اذا تعصب بها الجعل لا يبقى أحد الا قتله أي وكان اذا كل ذلك السيف يشحذه أي يحده بالحجارة ولم يزل يضرب به العدو حتى انحنى وصار كأنه منجل وكان رجل من المشركين لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه أي أسرع قتله فدعوت الله ان يجمع بينه وبين أبي دجانة فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاها بدرقته فعضت الدرقة على سيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند أي بنت عتبة زوج أبي سفيان وقيل غيرها ثم رد السيف عنها قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس أي بالسين المهملة حمسا شديدا أي يشجعهم وبالشين المعجمة يوقد الحرب ويثيرها فعمدت اليه فلما حملت عليه بالسيف ولول أي دعا بالويل أي قال يا ويلاه فعلمت انه امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتالا شديدا ومر به سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلم أي أقبل يا ابن مقطعة البظور لان أمه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة أي وفي البخاري يا سباع يا ابن ام أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله أي تحاربهما وتعاندهما وفيه انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة فشد عليه فلما التقيا ضربه حمزة فقتله وفي رواية فكان كأمس الذاهب أي وكان تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة وفيه انه سيأتي عن الاصل وقتل من كفار قريش يوم أحد ثلاثة وعشرين رجلا واكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشي غلام جبير بن مطعم اني لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه يهد بالدال المهملة يهدم وبالذال المعجمة يقطع أي وقد عثر حمزة فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة وفي لفظ فندرته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغلب فوقع فأمهلته حتى اذا مات جئته فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي في شيء حاجة غيره أي وفي لفظ آخر كان حمزة يقاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين وهو يقول أنا أسد الله فبينا هو كذلك اذ عثر عثرة وقع منها على ظهره فانكشفت الدرع عن بطنه فطعنه وحشي الحبشي بحربته ثم لما قتل أصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد ولم يقدر أحد يدنو منه انهزم المشركون وولوا لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم بالدفوف وألقين الدفوف وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم ففارقت الرماة محلهم الذي أمرهم صلى الله عليه وسلم ان لا يفارقوه ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير فقالوا له انهزم المشركون فما مقامنا ههنا وانطلقوا ينتهبون وثبت عبد الله بن جبير مكانه وثبت معه دون العشرة وقال لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل من الرماة وقلة من به منهم فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم مع

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة
رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم
وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي
سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمننا يا ابن أم مجالد
اذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا
لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن اسحق قوله بأيدي رجال يعني قريشا وابن أم مجالد عكرمة ابن أبي جهل وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فلتة وأمر جماعة أن تقيم بالانقاب وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الانقاب فيقول لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه وفي رواية ثم أمر بالطرق فحبست فعمي على أهل مكة لا يأتيهم خبر فكتب حاطب بن أبي بلتعة البدري حليف بني أسد رضي الله عنه كتابا وأرسله الى مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم وأرسله مع امرأة استأجرها بعشرة دنانير وقال لها أخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرسا فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ وهو موضع على بريد من المدينة فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فالتمسناه فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنلقين عنك الثياب وفي رواية أو لنكشفنك أو لنضربن

اميرهم

عنقك فلما رأت الجد حلت قرونها فأخرجته من عقاصها وفي رواية فلما رأت الجد أهوت الى حجزتها فأخرجته فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية أما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لانفسكم والسلام وفي رواية ان لفظ الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس ٢٥١ بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت

أميرهم عبد الله بن جبير أي ومثلوا به ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت حشوته وأحاطوا بالمسلمين فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والاسر اذ دخلت خيول المشركين تنادي فرسانها ه بشعارها يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون في كل وجه وتركوا ما انتهبوا وخلوا من اسروا وانتقضت صفوف المسلمين واختلط المسلمون وصار يضرب بعضهم بعضا من غير شعار أي من غير أن يأتوا بما كانوا ينادون به في الحرب يتعارفون به في ظلمة الليل وعند الاختلاط وهو أمت أمت مما أصابهم من الدهش والحيرة ولم يزل لواء المشركين ملقى حتى أخذته عمرة بنت علقمة ورفعته لهم فلاثوا أي بالمثلثة استداروا به واجتمعوا عنده ونادى ابن قمئة بفتح القاف وكسر الميم وبعدها همزة ان محمدا قد قتل وقيل المنادي بذلك ابليس أي متمثلا بصورة جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا صالحا حاميا أسلم قديما وكان من أهل الصفة قيل وهو الذي غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه يوم الخندق وسماه عمرا كما سيأتي وسيأتي ما فيه ثم ان الناس وثبوا على جعال ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول وشهد له خوات بن جبير وأبو بردة بأن جعالا كان عندهما أو بجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ وقيل المنادي بذلك أزب العقبة قال ذلك ثلاث مرات أي لانه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صرخ الشيطان به قال هذا أزب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي والازب القصير كما تقدم وقد ذكر ان عبد الله بن الزبير رأى رجلا طوله شبران على رحله فقال ما أنت قال ازب قال ما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى هرب أي ويجوز أن يكون ذلك صدر من الثلاثة وهم ابن قمئة وابليس وازب العقبة فرجعت الهزيمة على المسلمين أي وقال قائل يا عباد الله أخراكم أي احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون على أخراهم يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة ولم يدخلوها وقال رجال من المسلمين حيث قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال آخرون ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء أي وفي الامتاع ان ثابت بن الدحداح قال يا معشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حي لا يموت قاتلوا على دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضي الله تعالى عنهم وكان من جملة من انهزم عثمان بن عفان والوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن معلى فأقاموا ثلاثة أيام ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبتم فيها عريضة وأنزل الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم قال وقال جماعة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي ليأخذ لنا أمانا من أبي سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم

أن تكون لي عندكم يد فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال أتعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال حاطب يا رسول الله لا تعجل علي أما والله اني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفي لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش يعني حليفا لهم ولم أكن من أنفسها وفي رواية ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه وكان من معك من المهاجرين ممن له أهل أو مال بمكة لهم قرابات يحمون بها أهاليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتني النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وفي رواية فقال حاطب والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت ولكنني كنت امرأ غريبا ولي في مكة بنون واخوة فكتبت كتابا لا يضر الله ورسوله ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فيما أخبركم به فقال له عمر رضي الله عنه قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش وفي رواية انه قال انه يعلم يا رسول الله أنك أخذت على الطريق وأمرت أن لا نرى احدا يمر ممن ننكره الا رددناه يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي رواية فقد وجبت لكم الجنة وفي اخرى لا يدخل النار أحد شهد بدرا فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله أعلم وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون

الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل فالذي نزل في ذلك الى هنا وقيل الى قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وانما قال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر رضي الله عنه من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن انه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من اخفاء مسيره عن قريش وحرصه على عدم وصول خبره اليهم وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقا لكونه اظهر خلاف ما أبطن وحاطب كان معذورا متأولا بما ذكره من عذره وكفاه منقبة شهادة الله له بالايمان حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ وقوله صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ليس فيه اباحة المعاصي لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضي الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا لان يغفر لهم ما سيحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم وما أحسن قول بعضهم

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضي الله عنهم ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار وأشجع وسليم وغيرهم فأرسل اليهم يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا في كل ناحية فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا من المهاجرين والانصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم وقيل ان العشرة

وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة فلقيتهم أم أيمن رضي الله عنها فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك اهـ أي اعطني سيفك أي فالمنهزمون في ذلك اليوم طائفتان طائفة لم تدخل المدينة وأخرى دخلتها وفيه أن أم أيمن كانت في الجيش تسقي الجرحى أي فقد جاء ان حبان بن العرقة رمى بسهم فاصاب أم أيمن وكانت تسقي الجرحى فوقعت وتكشفت فأغرق عدو الله في الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فوقع السهم في نحر حبان فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوته أي وفي رواية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون أم أيمن كانت في الجيش وبين كونها كانت في المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة وقال رجال أي من المنافقين لما قيل قد قتل محمد الذين بقوا ولم يذهبوا مع عبد الله بن أبي ابن سلول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا أي وقال بعضهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفي النهر أن فرقة قالوا ائتوا اليهم بأيدينا فانهم قومنا وبنو عمنا وهذا يدل على أن هذه الفرقة ليست من الانصار بل من المهاجرين قال وعن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وارسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه في صدره فوالله اني لاسمع كالحلم قول معتب بن قشير أي ويقال ابن بشير وكان ممن شهد العقبة لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فحفظتها فانزل الله تعالى في ذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وعن كعب ابن عمرو الانصاري رضي الله تعالى عنه قال لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر من قومي الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة منه أي لانه لا ينعس الا من يأمن ما منهم أحد الا غط غطيطا حتى ان الحجف أي الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر وان المشركين لتحتنا اهـ وتقدم في بدر أنه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه على ما تقدم وتقدم أن النعاس في الصف من الايمان وفي الصلاة من الشيطان وثبت صلى الله عليه وسلم لما انفرقت عنه أصحابه وصار يقول الي يا فلان الي يا فلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتي اليه من كل ناحية والله يصرفه عنه أي وفي الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك فليتأمل فان المحفوظ أنه انما قال ذلك في حنين وان كان لا مانع من التعدد وثبت معه صلى الله عليه وسلم جماعة أي من أصحابه منهم أبو طلحة فانه استمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يحوز عنه بحجفته وكان رجلا راميا شديد الرمي فنثر كنانته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وصار يقول نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء فلم يزل يرمي بها وكان الرجل يمر بالجعبة بضم الجيم من النبل فيقول صلى الله عليه وسلم انثرها لابي طلحة أي وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار

رسول

آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان قال الحلبي في السيرة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا ومعها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وكان معه صلى الله عليه وسلم من زوجاته أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين الغفاري وجمع بينهما بان أبارهم جعله للقضايا والاحكام وابن أم مكتوم للصلاة وخرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة وقيل لليلتين خلتا من رمضان وقيل لست عشرة وقيل ثمان عشرة قال النووي لا أعلم خلافا في ان ذلك في شهر رمضان أي وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف وهو موضع بين قديد وعسفان افطر لانه بلغه ان الناس شق عليهم الصيام وقيل له انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا باناء من ماء وقيل من لبن فوضعه على راحلته ليراه الناس فشرب فأفطر فناوله رجلا الى جنبه فشرب فلم يزل مفطرا رفقا بالمسلمين حتى انسلخ الشهر لانه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان في أهبة القتال وبعث السرايا ولم ينو الاقامة ولذا كان يقصر الصلاة وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج باهله وعياله مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان اسلامه قديما وكان يكتمه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم أمره بالاقامة بمكة ليكتب له أخبار قريش وكان العباس رضي الله عنه يسره ما يفتح الله على المسلمين وما أظهر اسلامه لاهل مكة الا يوم الفتح وكان مقيما بمكة على سقايته وكان ينفع المستضعفين بمكة وبه يتقوون ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وقيل انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة للفتح (وروى الطبراني) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال استأذن العباس النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه فان الله يختم بك

رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف أي ينظر الى القوم وفي لفظ ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك انتهى أي ويتطاول أبو طلحة بصدره يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل بذلك على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجب على كل مؤمن ان يؤثر حياته صلى الله عليه وسلم على حياته قال فلا خلاف ان هذا لا يجب لغيره وهذا المذكور عن أبي طلحة من قوله نحري دون نحرك نقله ابن المنير عن سعد بن أبي وقاص فقال ولهذا قال سعد يوم أحد نحري دون نحرك ولا زال صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه أي المسماة بالكتوم لعدم تصويتها اذا رمي عنها حتى صارت شظايا أي ذهب منها قطع وفي رواية رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفي القوس اللذين هما محل الوتر قال ومازال صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه حتى تقطع وتره وبقيت في يده منه قطعة تكون شبرا في سية القوس فاخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتره له فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فوالذي بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا على سية القوس ورمى صلى الله عليه وسلم بالحجارة وكان أقرب الناس الى القوم اهـ أي وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية كونه صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى صارت شظايا أي لانه يبعد وجود رميه صلى الله عليه وسلم من غير اصابة ولو أصاب أحدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعي على نقله وقاتل جماعة من أصحابه منهم سعد بن أبي وقاص فانه كان من الرماة المذكورين رمى بقوسه قال سعد لقد رأيته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم به وقد تقدم أنه رمى بسهم من تلك السهام التي لا نصل لها لمن رمى ام أيمن قال وفي رواية عن سعد قال أجلسني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فجعلت أرمي وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته حتى اذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في كنانته اهـ أي فكان سعد مجاب الدعوة كما تقدم ولما سعى أهل الكوفة به الى سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أرسل جماعة للكوفة يسألون عن حاله من أهل الكوفة فصاروا كلما سألوا عنه أحدا قال خيرا وأثنى عليه معروفا حتى سألوا رجلا يقال له أبو سعدة ذمه وقال لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية فلما بلغ سعدا ذلك قال اللهم ان كان كاذبا فأطل عمره وأدم فقره واعم بصره وعرضه للفتن فعمي وافتقر وكبر سنه وصار يتعرض للاماء في سكك الكوفة فاذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة يقول شيخ كبير فقير مفتون اصابتني دعوة سعد قيل لسعد لم تستجاب دعوتك من دون الصحابة فقال ما رفعت الى فمي لقمة الا وأنا اعلم من أين جاءت ومن أين خرجت أي لانه جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقام سعد بن أبي وقاص وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال والذي

الوعرة كما ختم بي النبوة ولما القيه قال هجرتك يا عم آخر هجرة كما ان نبوتي آخر نبوة (وكان) ممن لقيه صلى الله عليه وسلم فى الطريق أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع أبي سفيان ولده جعفر وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لابيها لان أمها عاتكة بنت عامر بن قيس وكان لقاء أبي سفيان ومن معه للنبي صلى الله عليه وسلم بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالابواء وهم مسلمون مهاجرون واسم أبي سفيان كنيته وقيل اسمه المغيرة وكان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفارقه قبل النبوة فلما بعثه الله عاداه وهجاه وأجابه عنه حسان رضي الله عنه كثيرا وكان عبد الله بن أبي أمية قبل اسلامه شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وفي لفظ وكان كل منهما أي من أبي سفيان وعبد الله من أشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهما صلى الله عليه وسلم لما لقياه لما كان باقي منهما من شدة الاذى والهجو فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال يعني قوله له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك فقالت له أم سلمة رضي الله عنها الا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن لي أولآخذن بيد ابني هذا يعني ولده جعفرا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشد أبو سفيان معتذرا عما مضى فقال

لعمرك انى يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران اظلم ليله * فهذا أواني حين أهدى وأهتدى
هدانى هاد غير نفسي ونالني * مع الله من طردته كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمد * وأدعى وان لم أنتسب من محمد

قال ابن اسحق انه لما قال ونالني مع الله من طردته كل مطرد

نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وقد جاء فى الحديث من كان مأكله حراما ومشربه حراما وملبسه حراما فأنى يستجاب له فليتأمل هذا الجواب وقد يقال مراد سعد بقوله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة أي ممن يأكل الحلال الطيب ويميز عند الاكل بين الحرام وبين غيره حتى أكون مستجاب الدعوة ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ولعل السكوت عن اللبس لانه نادر بالنسبة للاكل وجوابه صلى الله عليه وسلم بقوله والذي نفس محمد بيده تقرير لما فهمه سعد رضي الله عنه ان من يأكل غير الحلال لا يكون مستجاب الدعوة تأمل والحق ان سبب استجابة دعوة سعد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك ولعله انما لم يجب بذلك لمن سأله بقوله لم تستجاب دعوتك من بين الصحابة لانه يجوز أن يكون دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك تأخر عن هذا فليتأمل وفى الشرف ان سعدا رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ارم فداك أبي وأمي ففداه فى ذلك اليوم ألف مرة وعن علي كرم الله وجهه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبي وأمي الا لسعد رضي الله عنه وفى رواية فما جمع صلى الله عليه وسلم أبويه لاحد الا لسعد رضي الله تعالى عنه قال فى النور والرواية الاولى أصح لانه أخبر فيها انه لم يسمع أي لانه حينئذ لا يخالف ما جاء عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع لابيه الزبير رضي الله عنه بين أبويه أي قال له فداك أبي وأمي كسعد أي وذلك فى يوم الخندق حيث أتاه بخبر بني قريظة وكذا الرواية الثانية لا تخالف لانها محمولة على سماعه وعلى الاخذ بظاهرها وعدم حملها على ذلك يجاب بما قال فى النور ظهر لى ان عليا كرم الله وجهه انما أراد تفدية خاصة وهى ألف مرة أو فى خصوص أحد وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد فيقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله لان سعدا رضي الله عنه كان من بنى زهرة وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم منهم كما تقدم أي وكان رضي الله عنه اذا غاب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى لا أرى الصبيح المليح الفصيح ولما كف بصره رضي الله عنه قيل له لو دعوت الله سبحانه ان يرد عليك بصرك فقال قضاء الله أحب الى من بصرى (ولما حضرت الوفاة) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه دعا بخلق جبة من صوف فقال كفنوني فيها فانى كنت لقيت فيها المشركين يوم بدر وانما كنت أخبؤها لهذا وممن كان مشهورا بالرماية سهيل بن حنيف رضي الله عنه وكان ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم الذى هو يوم أحد قال بعضهم وكان بايعه صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم نبلوا سهيلا أى اعطوه النبل وجاء ان خاله صلى الله عليه وسلم وهو الاسود بن وهب بن عبد مناف بن زهرة استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا خالي ادخل فدخل فبسط له صلى الله عليه وسلم رداءه وقال اجلس عليه ان الخال والد يا خال من

ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وقال علي رضي الله عنه لابي سفيان بن الحرث عند اذنه صلى الله عليه وسلم له فى الدخول عليه ائت من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ولم يفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال له صلى الله عليه وسلم كل الصيد فى جوف الفرا وقيل قال ذلك لابي سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد وتوفى أبو سفيان ابن الحرث رضي الله عنه سنة خمس عشرة أو عشرين بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منيرة يروى انه قال عند موته ولا تبكن علي فانى لم انطق بخطيئة منذ أسلمت (وأما عبد الله ابن أبي أمية المخزومي فكذلك) كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيع ان يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد فى غزوة الطائف رضي الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فأعطى لبني سليم لواء وراية ولبني غفار راية ولاسلم لواءين ولبني كعب راية ولمزينة ثلاثة ألوية ولجهينة أربعة ألوية وكان جماعة من بنى بكر أسلموا فكانوا معه صلى الله عليه وسلم فأعطاهم لواء ولاشجع لواءين ورأى أبو بكر الصديق مناما قبل عقد الالوية وقيل عند نزولهم بمر الظهران فقال يارسول الله رأيت فى المنام انا دنونا من مكة فخرجت الينا كلبة تهر أى تصوت فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هي تشخب لبنا فقال صلى الله عليه وسلم ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم يسألونا بارحامهم وانكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه وقوله ذهب كلبهم أى شدتهم وقوله واقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام ثم لما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش أو تسمع بها فترعب من كثرتهم واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فأخذ العيون والاخبار عن أهل مكة

أسدى اليه معروف فلم يشكر فان اذا ذكر فقد شكر وقال له ألا أنبئك بشيء عسى الله ان ينفعك به قال بلى قال ان اربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه بغير حق وعن أم عمارة المازنية رضي الله عنها أى وهى نسيبة بالتصغير على المشهور زوج زيد بن عاصم رضي الله عنه قالت خرجت يوم أحد لانظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى حصلت الجراحة الى ورؤى على عاتقها جرح اجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان قال وفى كلام بعضهم خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها خبيب وعبد الله رضي الله عنهم وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمكم الله أهل البيت وفى رواية بارك الله فيكم أهل بيت قالت له أم عمارة رضي الله عنها ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة أى وعند ذلك قالت رضي الله عنها ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا ٥ وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دونى اه أى وقد جرحت رضي الله عنها اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف وعبد الله ابنها رضي الله عنهما هو القاتل لمسيلمة الكذاب لعنه الله فعنها رضي الله عنها قالت يوم اليمامة تقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية أى مانعة حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت اقتلته فقال نعم فسجدت لله شكرا ٥ ولا ينافيه ما اشتهر ان قاتله وحشى فعن وحشى رضي الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد ان قدم عليه فى وفد ثقيف وأسلم كما سيأتى يا وحشى اخرج فقاتل فى سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله فلما كان خروج المسلمين لقتال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة لما ولى الصديق رضي الله عنه الخلافة وارتدت العرب خرجت معهم فأخذت حربتى فلما رأيته تهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده وهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها فوقعت فيه وشد عليه الانصارى فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله قال بعضهم والانصارى هو عبد الله بن زيد أى كما تقدم وقيل غيره أى وفى كلام بعضهم اشترك فى قتل مسيلمة الكذاب لعنه الله أبو دجانة وعبد الله بن زيد ووحشى رضي الله عنهم وفى تاريخ ابن كثير رحمه الله الاقتصار على وحشى وأبى دجانة وقد يقال لا مخالفة لان كلا من الرواة روى بحسب ما رأى وذكر ابن كثير ان ما روى عن أبى دجانة رضي الله عنه من ذكر الحرز المنسوب اليه اسناده ضعيف لا يلتفت اليه وقد نقل عن وحشى رضي الله عنه أنه قال قتلت بحربتى هذه خير الناس وشر الناس وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة

ولم يبلغهم مسيره وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون وتقدم ان العباس رضى الله عنه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر فبعث أهله الى المدينة ورجع مع النبى صلى الله عليه وسلم قال العباس حين نزل النبى صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسى لاهل مكة وقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فجلست على بغلة رسول الله ٢٥٦ صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة وكان من قضاء الله وقدره أن خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعى يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقيل انه بلغهم مسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى اى جهة وقيل ان قريشا بعثوا أبا سفيان يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فاقبل أبو سفيان وحكيم وبديل يسيرون فلما سمعوا اصهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران فقال أبو سفيان ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة فقال بديل هذه نيران بنى عمرو يعنى خزاعة فقال أبو سفيان هم أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فلما دخل أبو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية أخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الانصار وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤا بهم فلما أخذوا بخطم أبعرتهم قال أبو سفيان من أنتم قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على اكباد قوم لم يعلموا بهم وروى الطبرانى عن أبى ليلى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فقال ان أبا سفيان بالاراك فخذوه فاخذناه وفى رواية وكان صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا تقتص العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضى ولما أخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤا بهم الى عمر رضى الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة فقالوا جئناك بنفر أخذناهم من صلى

(وذكر) ان أبا دجانة رضى الله عنه ترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل وقاتل دونه صلى الله عليه وسلم زيادة بن عمارة حتى اثبتته الجراحة أى اصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم ادنوه منى فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم وقاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا وقيل القاتل لمصعب رضى الله عنه أبى بن خلف لعنه الله فانه أقبل نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبل مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا فاعترضه رجال من المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه أى فاقبل وهو يقول يا كذاب اين تفر وتناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من بعض أصحابه أى وهو الحرث بن الصمة أو الزبير بن العوام على ما سيأتى فخدشه بها فى عنقه خدشا غير كبير احتقن الدم أى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد فقالوا ذهب والله فؤادك أى وفى لفظ ذهب والله عقلك انك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمى بها فاهذا والله مابك من بأس ما اخدعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين احدنا ماضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة كما تقدم وفى لفظ لو كان بربيعة ومضر أى وفى لفظ بأهل الارض لماتوا أجمعون انه قد كان قال لى بمكة انا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى أى فضلا عن هذه الضربة لانه كان يقول للنبى صلى الله عليه وسلم فى مكة يا محمد ان عندى العود يعنى فرسا له أعلفه فى كل يوم فرقا بفتح الراء هو مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا من ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه صلى الله عليه وسلم هذا وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أن أبى بن خلف قال حين افتدى أى من الاسر ببدر والله ان عندى لفرسا اعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله أقول يمكن الجمع بأنه تكرر ذلك من أبى لعنه الله ومن النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم وفى رواية ابصر صلى الله عليه وسلم ترقوته بالفتح لا بالضم من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى به العنق من الدرع كما تقدم فطعنه طعنة أى كسر فيها ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكينها من اضلاعه أى وهو المناسب لما فى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم طعنه طعنة وقع فيها مرارا من على فرسه وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وانه صلى الله عليه وسلم لما أخذ الحربة من الحرث بن الصمة وقيل من الزبير بن العوام رضى الله عنه انتفض بها انتفاضة شديدة ثم استقبله فطعنه فى عنقه أقول ولا مخالفة بين كون الطعنة فى عنقه وكونها فى ترقوته لان الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشا مع اعتنائه صلى الله عليه وسلم بالطعنة وناهيك بعزمه

أهل مكة فقال عمر رضى الله عنه وهو يضحك اليهم والله لو جئتمونى بابى سفيان مازدتم قالوا والله أتيناك بابى سفيان فقال احبسوه وفى رواية ان العباس رضى الله عنه كان صديقا لابى سفيان فلما ركب البغلة ليتوجه الى الاراك رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أمانا اذ سمع صوت أبى سفيان فاخذه وجاء به فامسكه الحرس فاجاره من الحرس أن يقتلوه وقال عمر رضى الله عنه لابى سفيان حين مر به العباس عليه أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك ٢٥٧ من غير عقد ولا عهد قال العباس وقلت له يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال أبو الفضل قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفى رواية قد جاءكم فى عشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبى وأمى قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فترك صاحبيه وركب خلف العباس رضى الله عنه فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قال العباس ثم خرج عمر رضى الله عنه يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فى أثرى فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعنى أضرب عنقه قال العباس رضى الله عنه قلت يا رسول الله انى قد أجرته ولعل العباس وعمر لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال العباس رضى الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دونى رجل فلما أكثر عمر فى شأن أبى سفيان قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى ما قلت هذا ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم ومابى الا انى عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس به

صلى الله عليه وسلم لان كون الخدش فى الظاهر أى بحسب ما يظهر للرائى والشدة فى الباطن أقوى فى النكاية ودليل وجود الشدة فى الباطن وقوعه مرارا وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون الطعن فى العنق يفضى الى كسر الضلع من خوارق العادات لكن رأيت فى رواية أنه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من أضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور قال فى النور ولم يقتل بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم قط أحدا الا أبى بن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة أى بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو المناسب لوصفه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال انى لاسير ببطن رابغ بعد هدو من الليل اذا نار تأجج لى لهبها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذبها يصيح العطش ونادانى يا عبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف لعنه الله رواه البيهقى ويدل لهذا ما جاء فى الحديث كل من قتله نبى أو قتل بامر نبى فى زمنه يعذب من حين قتل الى نفخ الصعقة وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبى أى وفى رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسحقا لاصحاب السعير وفى رواية اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله أى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله وفى شرح التقريب احترز بقوله فى سبيل الله عمن يقتله حدا أو قصاصا لان من يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله كان قاصدا قتله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق ذلك لابى بن خلف لعنه الله وقد تقدم أن ابن مرزوق رحمه الله ذكر أن ابن عمر مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أصحابه رواه الطبرانى فى الاوسط ولا بعد فى تعدد الواقعة ثم رأيت فى الخصائص الكبرى ما يقتضى التعدد فانه ذكر فيها أن ابن عمر رضى الله عنهما ذكر ذلك أى مروره ببدر للنبى صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم قال له ذلك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد ذكرت ذلك فى الكلام على غزوة بدر ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى حفرت للمسلمين أى التى حفرها أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضى الله عنه واسم أبى عامر عبد عمرو ومات كافرا بارض الروم فر اليها لما فتحت مكة ليقعوا فيها وهم لا يعلمون وأغمى عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت أى خدشت ركبتاه فأخذ على كرم الله وجهه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم ان ابن قمئة لعنه الله علاه صلى الله عليه وسلم بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا أن ثقل السيف أثر فى عاتقه

الى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به كذا فى رواية ابن اسحق وذكر موسى بن عقبة وغيره أن العباس قال قلت يارسول الله أبو سفيان وحكيم وبديل قد أجرتهم وهم يدخلون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله فشهد بديل وحكيم وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان فى النفس من هذا شيأ بعد فارجئها أى أخرها وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان اسلم تسلم قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر اخرأ عليهما وكان عمر رضى الله عنه خارج القبة ثم قال عمر أما والله لو كنت داخل القبة ما قلتها فقال أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم فقال صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس فذهب به فلما أصبح أتى به أول النهار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان أبا سفيان لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال ما للناس أمروا فى شئ قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فأمره العباس فتوضأ وانطلق به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبر الناس ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا فقال ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الاكارم ولا الروم ذات القرون باطوع منهم له يا أبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك فقال العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أو ذاك فلما رآه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فلما رأى أبو سفيان مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم له بهذا الخطاب اللين العذب وأنه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحا عما جرى منه فى عداوته ومحاربته قال بابى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لاغنى عنى شيأ لقد استنصرت الهى واستنصرت الهك فوالله ما لقيتك من مرة الا نصرت علىّ فلو كان الهى محقا والهك مبطلا لكنت غلبتك ثم قال صلى الله عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله فقال بابى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففى النفس منها شئ فخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لا سيما مع شدة حنق المسلمين عليه فقال له ويحك اسلم

الشريف فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو اكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى أى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا وقد استجاب الله تعالى ذلك وقتله فى ذلك اليوم حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه قال حاطب لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار النبى صلى الله عليه وسلم الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت وأخذت فرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى رضى الله عنك رضى الله عنك مرتين أى ولا يخالف هذا قول بعضهم فمات بعد بقليل لكن يخالف القول بأنه مات بعد ان أسلم بعد الفتح وأنه أثبت ولم يولد لعتبة ولد او ولد ولد الا وهو أهتم أى ساقط مقدم اسنانه أى التى هى الرباعيات أبخر يعرف ذلك فى عقبه وكسرت البيضة أى الخودة على رأسه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف شجه عبد الله بن شهاب الزهرى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو جد الامام الزهرى رحمه الله ويجوز أن يكون من قبل امه أى و يقال له عبد الله الاصغر أى ولعل هذا حصل منه قبل أو بعد قوله دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف الى جنبه ما معه أحد ثم جاوزه فعاتبه فى ذلك صفوان فقال والله ما رأيته أحلف بالله انه منا ممنوع وجد الامام الزهرى من قبل أبيه يقال له عبد الله بن شهاب ويقال له عبد الله الاكبر رضى الله عنه كان من مهاجرى الحبشة توفى بمكة قبل الهجرة وأشار صاحب الهمزية رحمه الله الى أن هذه الشجة لم تشنه صلى الله عليه وسلم بل زادته جمالا بقوله

مظهر شجة الجبين على البر ✱ ء كما أظهر الهلال البراء

ستر الحسن منه بالحسن فاعجب ✱ لجمال له الجمال وقاء

فهو كالزهر لاح من سجف الاكـ ✱ ـمام والعود شق عنه اللحاء

أى مظهر وجهه الشريف أثر جرح جبينه أى جبهته مع برئها ظهورا كظهور الهلال ليلة استهلاله ستر ذلك الوجه الحسن الاصلى بالحسن العارض بسبب ذلك الجرح فاعجب لجمال اصلى له الجمال العارض وقاية وساتر فهو أى ما ظهر بذلك الجرح كالزهر اذا ظهر من ستره وكالعود الذى يتطيب به اذا أزيل عنه قشره وقال حسان رضى الله عنه فى وصف جبينه الشريف صلى الله عليه وسلم

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه ✱ يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

وجرحت وجنتاه صلى الله عليه وسلم بسبب دخول حلقتين من المغفر فى وجنتيه بضربة من ابن قمئة لعنه الله وقال له لما ضربه خذها وأنا ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقمأك الله عز وجل أى صغرك وأذلك وقد استجاب الله فيه دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فانه بعد الوقعة

خرج

واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق رضى الله عنه وروى الحافظ الذهلى عن سعيد بن المسيب قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلة الفتح لم يزالوا فى تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سفيان لهند أترين هذا من الله ثم أصبح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قلت لهند أترين هذا من الله فقال أبو سفيان أشهد أنك عبد الله ورسوله والذى يحلف به ما سمع قولى هذا الا الله وهند وروى ابن عساكر عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال خرج صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان جالس فى المسجد فقال فى نفسه ما أدرى بم يغلبنا محمد فأتاه صلى الله عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك فقال أشهد أنك رسول الله وروى الحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى والناس يطؤن عقبه فقال فى نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا فجاء عليه السلام حتى ضرب فى صدره فقال اذن يخزيك الله فقال أتوب الى الله واستغفر الله ما أيقنت أنك نبى الا الساعة انى كنت لاحدث بذلك نفسى والحاصل ان أبا سفيان كان فى أول الامر مستنكرها فلم يزل صلى الله عليه وسلم يترفق به ويتألفه حتى تمكن الاسلام من قلبه ولقد حضر مع النبى صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف ففقئت عينه فجاء بها فى يده الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت أرجعها الله اليك خيرا مما كانت وان شئت خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وفقئت عينه الاخرى يوم اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس ويحرضهم على القتال ويقول هذا يوم من أيام الله انصروا دين الله ينصركم الله قال أنس ابن مالك رضى الله عنه لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضى الله عنه فى زمن خلافته وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون سنة قال السيوطى فى تحفة الادب روى القزوينى فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لطم أبو جهل فاطمة رضى الله عنها فى أول بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ائت أبا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف على أبى جهل

خرج الى غنمه فوافاها على ذروة الجبل أى أعلى الجبل فأخذ يعترضها فشد عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع وفى رواية فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه نطعة قطعة ه (أقول) ويمكن الجمع بأنه لما نطحه ذلك الكبش ووقع من شاهق الجبل الى أسفل سلط الله عليه عند ذلك تيس الجبل فنطحه حتى قطعه قطعا زيادة فى نكاله وخزيه ووباله لعنة الله عليه والله أعلم ✱ ولما جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم وفى لفظ ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم أى وفى رواية اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أى وفى رواية صار صلى الله عليه وسلم يقول اللهم العن فلانا وفلانا أى اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية فأنزل الله تعالى الآية فان قيل كيف هذا مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس أجيب بان هذه الآية نزلت بعد أحد وعلى تسليم انها نزلت قبله فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله لا يخفى أن أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر أجرا من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبى من الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى كثير من طائعى أمة اجابته ولا فى كثير عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وامتص مالك بن سنان الخدرى وهو والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما دم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمى دمه لم تصبه النار وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزاة وفى لفظ من سره ان ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان رضى الله عنه ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم أمر هذا الذى امتص دمه بغسل فمه ولا أنه غسل فمه من ذلك كما لم ينقل أنه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية رضى الله عنها بغسل فمها ولا هى غسلته من ذلك لما شربت بوله صلى الله عليه وسلم فعنها رضى الله عنها أنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة أى تحت سريره فبال فيها فقمت وأنا عطشى فشربت ما فى الفخارة وأنا لا أشعر فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم قال يا أم أيمن قومى الى تلك الفخارة فاهريقى ما فيها فقالت والله لقد شربت ما فيها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا يجفر بالجيم والفاء بطنك بعده أبدا وفى لفظ لا تلج النار بطنك وفى أخرى لا تشتكى بطنك أى ويجوز أنه صلى الله عليه وسلم قال هذه الالفاظ الثلاثة وكل روى بحسب ما سمع منها فتكون هذه الامور الثلاثة تحصل لام أيمن رضى الله عنها وفى رواية بدل فخارة اناء من عيدان بالفتح الطوال من النخل فان صحا حملا على التعدد لام أيمن رضى الله عنها ولا مانع منه وقد شرب بوله صلى الله عليه

فقال لها الطمه كالطمك ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنس الابي سفيان قال ابن عباس رضي الله عنهما ما شككت أن اسلامه كان لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بأصحابه وأنصاره وأصهاره وهو من أصهاره لان ابنته أم حبيبة رضي الله عنها كانت زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم انى سألت الله أن لا يدخل النار أحدا ممن صاهرني أو صاهرته فاياك أن تصغي لما ينقله بعض المؤرخين و يتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفي ابنه أو في أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتكون من الهالكين وما جرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد وكلهم مأجورون ان شاء الله تعالى فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن لا يجعل لاحد منهم في عنقنا ظلامة قال موسى بن عقبة قال أبو سفيان وحكيم بن حزام يا رسول الله جئت بأوباش الناس ممن يعرف ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم أظلم وأفجر فقد غدرتم بعهد الحديبية وظاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه فقالا صدقت يا رسول الله وقال بديل والله يا رسول الله لقد غدروا ولو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا يعني بني بكر ما نالوا منا ثم قالا لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحما وأشد عداوة لك فقال صلى الله عليه وسلم انى لارجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم فانى أرغب الى الله تعالى في ذلك ثم قال أبو سفيان يا رسول الله ادع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن ثم أراد العباس رضي الله عنه تثبيت اسلام أبي سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من حيث انه كان متبوعا فصح تابعا ليس له من الامر شئ فقال يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم ثم أعانه أبو بكر رضي الله عنه فقد روى ابن أبي شيبة ان أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب السماع أي الشرف يعني فاجعل له شيأ فقال

لما

وسلم أيضا امرأة يقال لها بركة بنت ثعلبة بن عمرو وكانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها جاءت معها من الحبشة أي ومن ثم قيل لها بركة الحبشية وفي كلام ابن الجوزي بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان الحبشية خادمة أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون يسار لقبه ثعلبة وكانت معها في الحبشة ثم قدمت معها مكة كانت تكنى بام يوسف فقال لها صلى الله عليه وسلم حين علم أنها شربت ذلك صحة يا أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها لقد احتظرت من النار بحظار وشرب دمه صلى الله عليه وسلم أيضا أبو طيبة الحجام وعلي كرم الله وجهه وكذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فعن عبد الله بن الزبير قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حتى لا يراك أحد قال فشربته فلما رجعت قال يا عبد الله ما صنعت قلت جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفى على الناس قال لعلك شربته قلت نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة ولما وفد أخوه شقيقه عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة من المدينة على عبد الملك ابن مروان قال له يوما أريد أن تعطيني سيف أخي عبد الله فقال له عبد الملك هو بين السيوف ولا أميزه فقال له عروة اذا حضرت السيوف ميزته أنا فأمر عبد الملك باحضارها فلما أحضرت أخذ منها سيفا مفلل الحد وقال هذا سيف أخي فقال له عبد الملك كنت تعرفه قبل الآن قال لا فقال كيف عرفته قال بقول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ❊ بهن فلول من قراع الكتائب

وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم حيث لم يأمره بغسل فمه ولم يغسل هو فمه وان شربه جائز حيث أقر على شربه وما أورده في الاستيعاب أن رجلا من الصحابة اسمه سالم حجمه صلى الله عليه وسلم ثم ازدرد دمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الدم كله حرام أي شربه غير صحيح فقد قال بعضهم هو حديث لا يعرف له اسناد فلا يعارض ما قبله على انه يمكن أن يكون ذلك سابقا على اقراره على ذلك والله أعلم ونزع أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح رضي الله عنه احدى الحلقتين من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنية أبي عبيدة ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى وقيل الذى نزعهما عقبة بن وهب بن كلدة وقيل طلحة ابن عبيد الله ولعل الثلاثة عالجوا اخراجها وكان أشدهم لذلك أبو عبيدة رضي الله عنه قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان أبي عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبي عبيدة لان ذلك الهتم حسن فاه وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول القائل قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران أي تضيآن وتتوقدان من تحت المغفر وهو ما يجعل على الرأس من الزرد فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الي ان أنصت وعن بعض الصحابة قال

صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال وما تسع داري زاد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن وهي من أسفل مكة ودار أبي سفيان باعلاها ومن دخل المسجد فهو آمن قال وما يسع المسجد قال ومن أغلق بابه فهو آمن قال أبو سفيان هذه واسعة وأمر صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي بذلك كله الامن استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم كما سيأتي ثم قال له العباس النجاء الى قومك أي بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان وحكيم بن حزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى اذا جاء أبو سفيان قومه صرخ باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به اسلموا تسلموا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقامت فيه هند زوجته فأخذت بشاربه وقالت اقتلوا الحميت أي الزق الضخم الدسم الاحمس قبحت من طليعة قوم وفي رواية انها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسكتي وادخلي بيتك والله لتسلمن أو لاضربن عنقك وقال لهم ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فقد جاءكم بما لا قبل لكم به فتفرقوا الى دوركم والى المسجد وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه اليه ان بمكة أربعة نفر أربأ بهم عن الشرك وارغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وهذا يدل على أن جبيرا أسلم يوم الفتح كمن ذكر معه وقيل ان اسلامه كان قبل ذلك وحكيم بن حزام رضي الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخ لخديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهي عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش في الاسلام ستين وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام أعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام ووقف بعرفة وأعتق بها مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة رضي الله عنه ولما أراد صلى الله عليه وسلم السير من مر الظهران قال للعباس رضي الله عنه لا آمن أن يرجع

لما صرخ الشيطان قتل محمد لم نشك في انه حق وما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين فعرفناه بتكفيه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحرث بن الصمة رضي الله عنهم (وفي خصائص العشرة) للزمخشري وثبت يعني الزبير رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبايعه على الموت هذا كلامه فليتأمل وقول بعض الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ممنوع وقوله وتعجبت الملائكة من شأن علي وقول جبريل عليه السلام وهو يعرج الى السماء لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وقوله وقتل علي كرم الله وجهه أكثر المشركين في هذه الغزوة فكان الفتح فيها على يديه وقال أصابتني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت الى الارض في أربع منهن فجاءني رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب الريح وأخذ بضبعي فأقامني ثم قال أقبل عليهم فقاتل في طاعة الله وطاعة رسول الله فانهما عنك راضيان ولما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا علي أما تعرف الرجل فقلت لا ولكن شبهته بدحية الكلبي فقال صلى الله عليه وسلم يا علي أقر الله عينك فانه جبريل عليه السلام جميعه رده الامام أبو العباس بن تيمية بانه كذب باتفاق الناس وبين ذلك بما يطول قال وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر ومشى اليه الحرث بن الصمة رضي الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجله فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أحانه أي أهلكه وأقبل عبيد الله بن جابر العامري يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه ووثب أبو دجانة رضي الله عنه الى عبيد الله فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى ملأ درقته ماء وغسل به صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف الدم وهو يقول اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه أي والسياق يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا بعد قوله كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ونزول تلك الآية فان ذلك كان قبل غسل وجهه الشريف قال ثم أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلو الصخرة التي في الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع أي لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه صلى الله عليه وسلم عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أي فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع انتهى أي وقيل ان طلحة رضي الله عنه كان في مشيه اختلاف لعرج كان به فلما حمل النبي صلى الله

أبو سفيان فيكفر فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاء أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذى قال يا رسول الله لو أمرت بأبى سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الاراك وفى رواية ومعه حكيم بن حزام فقال أبو سفيان اغدرا قال لا ولكن لى اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين وفى رواية قال له ان أهل النبوة لا يغدرون وأمر صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أن تكون عند راية صاحبها وتظهر ما معها من القوة والعدة فاصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ومرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة والكتيبة بالتاء المثناة القطعة من الجيش وأبو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم وأول من قدم خالد بن الوليد رضى الله عنه فى بنى سليم وهم ألف وقيل تسعمائة معهم لواآن يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة فحين مروا بأبى سفيان كبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء فقال خالد بن الوليد فقال خالد الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالى ولبنى سليم ثم مر على اثره الزبير بن العوام رضى الله عنه فى خمسمائة من المهاجرين وافناء العرب فكبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء قال الزبير بن العوام قال ابن أختك قال نعم ثم مرت كتيبة بنى غفار فى ثلثمائة يحمل رايتهم أبو ذر رضى الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال يا عباس من هؤلاء قال غفار قال مالى ولغفار ثم مرت اسلم فى أربعمائة فيها لواآن يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الاعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال أسلم قال مالى ولاسلم ثم مرت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال بنو كعب اخوة اسلم قال هؤلاء حلفاء محمد قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف وبلال بن الحرث فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال مزينة قال مالى ولمزينة قد جاءتنى تقعقع من شواهقها ثم مرت جهينة فى ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد ابن خالد وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال جهينة قال مالى ولجهينة والله

عليه وسلم تكاف استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم انطلق حتى أتى أصحاب الصخرة أى الجماعة الذين من الصحابة الذين علوا الصخرة أى التى فى الشعب فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه وأراد أن يرميه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رسول الله ففرحوا بذلك وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وجد فى أصحابه من يمنع أى ولعل هذا الذى أراد رميه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه ولا من معه من الصحابة لارتفاع الصخرة قال وعطش صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا أى ولم يشرب من الماء الذى جاء به على كرم الله وجهه فى درقته لانه صلى الله عليه وسلم وجد له ريحا فعافه أى كرهه فخرج محمد بن مسلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد فذهب الى مياه فأتى منها بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير وفى بعض الروايات ان نساء المدينة خرجن وفيهن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلى كرم الله وجهه يسكب الماء فتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيأ من حصير أى معمول من البردى فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكمدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم انتهى أى لان البردى له فعل قوى فى حبس الدم لان فيه تجفيفا قويا وفى حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم داوى جرحه بعظم بال أى محرق وقد يقال يجوز أن يكون الراوى ظن ذلك البردى المحرق عظما محرقا بناء على صحة تلك الرواية وعن وضع هذا الرماد الحار عبر بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم اكتوى فى وجهه وجعله معارضا للحديث الصحيح فى وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب بانهم لا يكتوون وعارضه أيضا بانه صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ مرتين ابرقا أى ينقطع الدم من جرحه وكوى أسعد بن زرارة رضى الله عنه لمرض الذبحة ففى كلام بعضهم كان موت أسعد بن زرارة رضى الله عنه بمرض يقال له الذبحة فكواه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وقال بئس الميتة لليهود يقولون أفلا دفع عن صاحبه وما أملك له ولا لنفسى شيأ وأجيب بان هذا الحديث محمول على من اكتوى خوفا من حدوث الداء أو لانهم كانوا يعظمون أمره ويرون أنه يقطع الداء واذا لم يكو العضو عطب و بطل وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من اكتوى أو على من يفعله مع قيام غيره من الادوية مقامه ومحمل ما فى الخصائص الكبرى ان الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين رضى الله عنه وتسلم عليه من جانب بيته ثلاثين سنة حتى اكتوى أى لبواسير كانت به فكان يصبر على ألمها فلما ترك الكى عادت الملائكة الى سلامها عليه لان ذلك قادح فى التوكل وما فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الشفاء فى ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنا أنهى أمتى عن الكى وفى رواية وما أحب ان اكتوى أى فالنهى للتنزيه لا للتحريم والالم يفعله عمران مع علمه بالنهى قال فى الهدى وأراد صلى الله عليه وسلم بقوله وأنا أنهى الى آخره أى انه لا يؤتى

بالكى

ما كان بينى وبينهم حرب قط ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواآن يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الاشجعى فكبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال أشجع قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد فقال له العباس أدخل الله الاسلام فى قلوبهم فهذا فضل الله ومرت بنو تميم وبنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك وقيل ان مرور هؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم ثم قال أبو سفيان أبعد ما مضى محمد فقال له العباس لو أتت الكتيبة التى محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال وما ليس لاحد به طاقة قال ومن له بهؤلاء طاقة وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة ما مر محمد فيقول العباس لا حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها اذ فى كل بطن منها لواء وهم فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان من هؤلاء قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه معه راية الانصار وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضى الله عنه وكان جملة من كبار المهاجرين مع النبى صلى الله عليه وسلم والانصار وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والانصار وفيها الرايات والالوية مع كل بطن من بطون الانصار لواء وراية وهم فى الحديد لا يرى منهم الا الحديد ولعمر بن الخطاب رضى الله عنه فيها رجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية قال أبو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فقال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقال يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أى يوم الحرب الذى لا يوجد منه مخلص اليوم تستحل الكعبة أى يقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستار الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار أى حبذا يوم الهلاك تمنى أبو سفيان أن يكون له

بالكى الا اذا لم ينجع الدواء فلا يأتى به أولا ومن ثم أخره قيل والفصد داخل فى شرطة الحجم والحجامة فى البلاد الحارة أنفع من الفصد هذا كلامه وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب مع أولئك النفر من أصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغى لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر ابن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوا من الجبل أى ونزل قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون أى لا تضعفوا عن الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالكفار ولعل هذا كان قبل ان يعلو صلى الله عليه وسلم الصخرة كما تقدم أو لعل الجبل كان أعلى من تلك الصخرة قال وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم قال لسعد اردد هم قال كيف أردد هم وحدى فقال له اردد هم قال سعد رضى الله عنه فأخذت سهما من كنانتى فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما آخر فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندى فى كنانتى لا يفارق كنانتى وكان بعده عند بنيه انتهى أى وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا أى كون سعد ردهم وحده بهذا السهم وما قبله الدال على ان الراد لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين وروى عنه أنه قال لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد أى حتى بعد انقضاء الحرب لم أعرفه فظننت أنه ملك أى وفى رواية عنه أنه قال رميت بسهم فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سهمى أعرفه حتى واليت بين ثمانية أو تسعة كل ذلك يرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا سهم دم أى يصيب فجعلته فى كنانتى لا يفارقنى (أقول) ولا منافاة بين هذا وبين قوله ثم أخذت سهما لان قوله المذكور لا ينافى أن يكون أخذه بمناولته صلى الله عليه وسلم لا من كنانته كما قد يتبادر ولا بين قوله فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه لانه يجوز أن يكون ذلك الرجل كان يرد السهام التى كان يرمى بها حتى لا تفنى سهامه الا هذا السهم فانه لم يرده له بل يناوله له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده عليه ولا منافاة بين قوله حتى واليت بين ثمانية أو تسعة وبين اخباره بقوله ثم أخذت سهما الى أن عد خمس مرات لانه يجوز أن تكون تلك الخمسة قتل فيها وفيما زاد لم يقتل بل جرح فليتأمل والله أعلم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراحة التى أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا أى ولعل ذلك كان بعد انصراف عدوهم وانما صلى المسلمون خلفه صلى الله عليه وسلم قعودا موافقة له صلى الله عليه وسلم وقد نسخ ذلك أو ان من صلى قاعدا انما هو لما أصابهم من الجراح وكانوا هم الاغلب فقيل صلى المسلمون خلفه قعودا فقد جاء انه وجد بطلحة رضى الله عنه نيف وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت أصبعه وفى رواية أنامله وعند ذلك قال حس فقال له صلى الله عليه

بدو قوة فيحمى قومه ويدفع عنهم وقيل معناه هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه قال ذلك غلبة وعجزا وقيل المعنى هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى لقربك من النبى صلى الله عليه وسلم وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فقالا يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد صولة فى قريش فقال لعلى رضى الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد

ابن عبادة ورأى صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه وقيل انما أمر باخذ الراية منه حين حاذى النبى صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فانه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما حاذاه وهو مار فى جنود الله أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له أبو سفيان ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم أى قال له أنشدك الله فى قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا أى بالاسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين وفى رواية ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة أشار بهذا الى انه صلى الله عليه وسلم هو الذى يكسوها ذلك العام وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان ثم أرسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها لابنه قيس رضى الله عنه وروى ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه قال لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبى الهدى اليك لجاحى * قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار * ض وعاداهم اله السماء
والتقت حاقتا البطان على القو * م ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهـ * ـر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجى لو يستطيع من الغيـ * ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشئ * غير سفك الدما وسبى النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوأة السوآء
اذ ينادى بذل حى قريش * وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى * يا حماة الادبار أهل اللواء
ثم ثابت اليه من بهم الخز * رج والاوس أنجم الهيجاء

وسلم لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة عليهم السلام والناس ينظرون اليك حتى تلج بك فى جو السماء زاد فى لفظ ولرأيت بناءك الذى بنى الله لك فى الجنة وأنت فى الدنيا وفى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أى من سهم وقيل من حربة ونزف به الدم حتى غشى عليه ونضح أبو بكر رضى الله عنه الماء فى وجهه حتى أفاق فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر هو بخير وهو أرسلنى اليك فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة وكان يقال لطلحة رضى الله عنه الفياض سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة العشيرة كما تقدم وسماه طلحة الجود فى أحد لانه أنفق فى أحد سبعمائة ألف درهم وسماه فى أحد أيضا طلحة الخير وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أصيب فوه فهتم وجرح عشرين جراحة قال وفى رواية عشرين جراحة فأكثر وجرح فى رجله فكان يعرج منها وأصاب كعب بن مالك رضى الله عنه سبعة عشر جراحة وفى رواية عشرون جراحة قال عاصم بن عمر بن قتادة كان عندنا رجل غريب لا ندرى ممن هو أى يظهر الاسلام يقال له قزمان وكان ذا بأس وقوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر يقول انه ان أهل النار فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالا شديدا أى فكان أول من رمى من المسلمين بسهم وكان يرمى النبال كأنها الرماح ثم فعل بالسيف الافاعيل فكان يكت كتيت الجمل وقتل ثمانية أو تسعة من المشركين ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك وأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بنى ظفر لانه كان حليفا لهم فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد ابتليت اليوم يا قزمان فابشر فيقول بماذا أبشر فوالله ما قاتلت الا على أحساب قومى أى على شرفهم ومفاخرهم أى مناصرة لهم ولولا ذلك ما قاتلت أى فلم يقاتل لاعلاء كلمة الله ورسوله وقهر أعدائهما أى وفى رواية أن قتادة رضى الله عنه قال له هنيأ لك الشهادة يا أبا الغيداق فقال انى والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ما قاتلت الا على الحفاظ ان تسير الينا قريش حتى تطأ أرضنا فلما اشتدت عليه الجراحة أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه أى قطع به عروقا فى باطن الذراع يقال لها الزواهق أى وفى رواية فجعل ذباب سيفه فى صدره أى بين ثدييه كما فى رواية ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه قال فى النور وهو الصحيح ولا مانع أن يكون فعل كلا من الامرين أى وعند ذلك جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما ذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أصحاب النار فعل كذا وكذا وقد جاء سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله فنص عليه وحينئذ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ففيه اشارة الى ان باطن الامر قد يكون

لتكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع فى أكف الاماء
فانهينه فانه أسد الاسـ * ـد لدى الغاب والغ فى الدماء
انه مطرق يريد لنا الامـ * ـر سكوتا كالحية الصماء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فأمر بالراية فاخذت من سعد ودفعت لابنه قيس وجاء انه لما جاءه الرسول من النبى صلى الله عليه وسلم بتسليمها لابنه أبى أن يسلمها الا بامارة من النبى صلى الله عليه وسلم فارسل اليه بعمامته فسلمها لابنه وجاء فى بعض

الروايات انه صلى الله عليه وسلم سلمها لعلى وفى بعضها انه سلمها للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر فى الجمع بين الروايات انه صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضى الله عنه لينزعها أو يدخل بها ثم خشى تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ثم ان سعدا خشى أن يقع من ابنه شئ ينكره النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مرور جنود الله كلها بابى سفيان قال له العباس النجاء الى قومك فجاء اليهم يصيح بالامان فامسكته زوجته وقالت اقتلوه الى آخر ما تقدم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة بن الزبير أخبرنى نافع بن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت العباس يقول للزبير رضى الله عنهما فى حجة اجتمعوا فيها بمكة فى خلافة عمر رضى الله عنه يا أبا عبد الله ههنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم قال الحلبى فى السيرة وفى ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية ودخل صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى وروى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه

صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا أسامة بن زيد رضى الله عنهما خلفه وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث أردف فى هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضى الله عنهما والمتكبر يعد ارداف ابنه اذا ركب فى السوق عارا عليه وما ذاك الا تكبر برأ الله منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفى رواية ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وفى رواية وعليه عمامة سوداء حرقانية واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى

بخلاف ظاهره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ٥ أى وقد أشار الى هذا الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقاتل شخص يدعى الدين انه * بنار فألقى نفسه للمنية

هذا وفى كلام ابن الجوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذى قلت انه من أهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبى صلى الله عليه وسلم كما قال الى النار ثم قيل انه لم يمت ولكن به جراحة شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراحة فقتل نفسه فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر أشهد أنى عبد الله ورسوله فأمر بلالا فنادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وهذا الرجل اسمه قزمان من المنافقين هذا كلامه فليتأمل فان تعدد الشخص المسمى بهذا الاسم فيه بعد ولعل ذكر خيبر بدل أحد اشتباه من الراوى وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر عام فيدخل فيه كل من الملك والعالم الذى جعل تسليكه وتعليمه مصيدة للدنيا وأكل الحرام فان الله يهدى بهما قلوبا ويهدى بهما الى سواء السبيل مع انهما فاجران وقتل الاصيرم اصيرم بنى عبد الاشهل قال بعضهم كان الاصيرم يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل له باحد فبدا له فى الاسلام أى رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولأمته وركب فرسه فغدا بالغين المعجمة حتى دخل فى عرض الناس أى بضم العين المهملة وبالضاد المعجمة جانبهم وناحيتهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة أصابت مقاتله فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم جئت وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل يعنى الاصيرم ويصدق على هذا قوله عليه الصلاة والسلام وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار الحديث أى وممن يدخل الجنة ولم يصل الاسود الراعى لبعض يهود خيبر الذى جاء للنبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فاسلم ثم تقدم ليقاتل فاصابه حجر فقتله وما صلى صلاة قط كما سيأتى فى غزاة خيبر وقتل حنظلة بن أبى عامر الفاسق رضى الله عنه وأبو عامر هذا هو الذى كان يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق كما تقدم وكان هو وعبد الله بن أبى ابن سلول من رؤس أهل المدينة وعظمائها المتوجين للرياسة على أهلها كان أبو عامر من الاوس ويقال له ابن صيفى وكان عبد الله من الخزرج فعبد الله بن أبى أظهر الاسلام وأما أبو عامر فأصر على

حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول اللهم ان العيش عيش الآخرة وفى رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن
الجمع بين ذلك كله وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح أى لما أراد الدخول رأى النساء
يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم والتفت الى أبى بكر رضى الله عنه وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فانشده قوله

عدمت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء

ينازعن الاعنة مسرجات * يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان وروى الطبرانى عن العباس رضى الله عنه قال لما بعث صلى الله عليه وسلم قلت لابى سفيان بن حرب أسلم بنا قال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء قلت ما هذا قال شئ طلع بقلبى لان الله لا يطلع هناك خيلا أبدا قال العباس رضى الله عنه فلما طلع صلى الله عليه وسلم من هناك ذكرت أبا سفيان به فذكره وتقدم هذا الحديث باطول من هذا وانهما توجها الى اليمن فى تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود وسألاه عن النبى صلى الله عليه وسلم فسألهما عن صفاته فوصفاه له فقال هو هو ذبحت يهود وقام وترك رداءه فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهودى به وخوفهم منه فقال له العباس ألا تسلم بنا فقال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء الى آخر الحديث قال الحافظ ابن حجر وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقا واضحا موافقا للاحاديث الصحيحة فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد وأمره أن يركز رايته بالحجون وان يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد فى قبائل منها قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم
وأمره أن يدخل من أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أى أقربها الى الثنية التى دخل منها وهو أول بيوت مكة من الجهة
التى دخل منها وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وكانت من برد لعائشة رضى الله عنها
وجعل أبا عبيدة على الرجالة أى المشاة وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه واستمر بلا راية فى

الكفر الى ان مات طريدا وحيدا اجابة لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا عليه بذلك
والى ذلك أشار الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

ومات ابن صيفى على الصفة التى * ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وقد كان أبو عامر هذا خرج من المدينة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاما وقيل خمسة عشر من قومه من الاوس فلحق بمكة وكان يعد قريشا أنه لو لقى قومه أى الاوس لم يختلف عليه منهم رجلان فلما جاء مع قريش نادى يا معشر الاوس أنا أبو عامر قالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق أى وفى لفظ قالوا لا مرحبا بك ولا أهلا يا فاسق ولا مانع من صدور الامرين منهم فلما سمع ردهم عليه قال لعنه الله لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتل قتالا شديدا وهو الذى حفر الحفائر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون التى وقع فى احداها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم أى وكان هو أول من أثار الحرب وضرب بالسهم فى وجوه المسلمين واستأذن ولده حنظلة رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله فنهاه عن قتله وسبب قتل حنظلة رضى الله تعالى عنه ان حنظلة ضرب فرس أبى سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة رضى الله عنه يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس كذا فى الاصل قيل وصوابه شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة أى وفى رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن فى صحاف الفضة فسئلت صاحبته أى زوجته وهى جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين أخت ولده عبد الله رضى الله عنهما فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة فانه دخل عليها عروسا تلك الليلة التى صبيحتها أحد وقد كان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أى فى الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها فاجنب منها ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعى وفى رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة أى الصياح بالخروج للعدو وفى لفظ الهيعة من الهياع وهو الصياح الذى فيه فزع وقد جاء فى الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها وفى رواية وقد كان غسل أحد شقيه فخرج ولم يغسل الشق الآخر وقد رأت هى تلك الليلة ان السماء قد فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وجاء انها أشهدت أربعة من قومها عليه بالدخول بها خشية أن يكون فى ذلك نزاع قالت لانى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضى الله عنه فى تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولم تغسل قريش بحنظلة رضى الله عنه لكون والده معهم الذى هو أبو عامر الراهب لعنه الله وفى الامتاع وجعل أبو قتادة الانصارى يريد التمثيل من قريش لما رأى من المثلة بالمسلمين فقال له صلى الله

مقدمة كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم فاندفع خالد بن
الوليد رضى الله عنه حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها ناس من بنى بكر وبنى الحرث بن عبد مناف وناس من هذيل الذين
استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد فى أصحابه
فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بنى بكر نحو أربعة وعشرين رجلا

ومن هذيل أربعة حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة وكانت سوقا بمكة ثم دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال هربا وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ويطرحون السلاح فى الطرق فيأخذه المسلمون وروى ابن اسحق ان أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش منهم صفوان بن أمية وعكرمة ابن أبى جهل وسهيل بن عمرو وتجمعوا بالخندمة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيأ من القتال فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلاء الجهنى وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا وفى ذلك يقول حماش بن قيس يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان سابقا يصلح سلاحه ويعدها أن يأتيها ببعض اسرى المسلمين يكون خادما لها وكانت أسلمت سرا وفى رواية انها رأته وهو يبرى نبلاله فقالت له لم تبرى هذا النبل قال بلغنى ان محمدا يريدان يفتح مكة ويغزوها فان كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسره فقالت والله لكأنى بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبؤك
فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل اليها وقال ويحك هل من مخبأ فقالت له وأين الخادم
فقال لها دعينى عنك وأنشد يقول

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالموتمه * واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يا بنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار

عليه وسلم يا أبا قتادة ان قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله تعالى الى فيه وعسى ان طالت بك مدة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا أن تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله فقال أبو قتادة والله يا رسول الله ما غضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم هم أن يدعو عليهم فنزلت الآية المذكورة أى ليس لك من الامر شئ فكف عن الدعاء عليهم أى وفيه أنها نزلت بعد قوله اللهم العن فلانا وفلانا الى آخر ما تقدم عن بعض الروايات الا أن يقال أراد صلى الله عليه وسلم المداومة على الدعاء عليهم وعن أبى سعيد الساعدى قال ذهبنا الى حنظلة رضى الله عنه فاذا رأسه يقطر ماء انتهى أى فعلم أنه لا منافاة بين كونه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وبين كونه هم بالدعاء عليهم لانه يجوز أن يكون المراد هم بتكرير الدعاء عليهم وفى البخارى ومسلم والنسائى عن جابر رضى الله عنه قال قال رجل يوم أحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتلت فاين أنا قال فى الجنة فألقى تمرات كن فى يده فقاتل حتى قتل قال فى طرح التثريب قال الخطيب كانت هذه القصة يوم بدر لا يوم أحد فاشار الى تضعيف رواية الصحيحين التى فيها يوم أحد ولا توجيه لذلك بل التضعيف تفسير هذه بهذه أى جعلهما قصة واحدة وكل منهما صحيحة وهما قصتان لشخصين هذا كلامه وقد تقدم فى غزاة بدر الحوالة على هذا فليتأمل أى وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصارى الفارسى فضربه على عاتقه فقطع الدرع وقال خذها وأنا الغلام الفارسى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وأنا الغلام الانصارى فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدو كأنه كلب وهو يقول أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه وقال خذها وأنا الغلام الانصارى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح رضى الله عنه وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بنى يريدون ان يحبسونى عن الخروج معك فوالله انى أريد ان أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فاخذ سلاحه وخرج وأقبل على القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو أقسم على الله لابره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته أى كشف له عن حاله يوم القيامة أى وفى رواية انه قال يا رسول الله أرأيت ان قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فرعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كأنى أنظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة (أقول) لكن يمكن الجمع بانه فى أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم

الاوس بابنى عبيد الله وقتل من أصحاب خالد أيضا رجلان حبيش بن الاشعر الخزاعى أخو أم معبد التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكرز بن جابر الفهرى وهذا أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذى أغار على سرح النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر الاولى ثم لما أسلم استعمله النبى صلى الله عليه وسلم وبعثه فى طلب العرنيين كما تقدم ولما وقع القتال بأسفل مكة نظر صلى الله عليه وسلم الى بارقة السيوف فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد أن يقاتلهم وجاء فى رواية انه قيل له يارسول الله هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يافلان فقل له فليرفع يديه من القتل فأتاه الرجل فقال له ان نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل اليه ألا آمرك ان تنذر خالدا قال أردت أمرا فأراد الله أمرا فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت الا الذى كان فسكت صلى الله عليه وسلم ومارد عليه وقوله قتل سبعين لا ينافى رواية أربعة وعشرين لان زيادة الثقة مقبولة والاقل داخل فى الاكثر وقال موسى بن عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن لخالد رضى الله عنه قاتلت وقد نهيت عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية ان قريشا وبشت أوباشا لها أى جمعت جموعا من قبائل شتى فنادى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضى الله عنه وقال له اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا واطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش واتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا قال أبو هريرة رضى الله عنه فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدا منهم الا قتلناه لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن أى أمر أن ينادى بذلك ونادى به ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد فقال يارسول الله هم بدؤنا بالقتال وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا فى كل وجه فقال صلى الله

تصبر صحيحة وعمرو بن الجموح رضى الله عنه كان فى الجاهلية على أصنامهم أى سادنا لها وكان فى الاسلام يولم عنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لانس ابن النضر عم أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم فانه لما كسرت أخته الربيع ثنية جارية من الانصار فطلب أهلها القصاص وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر ثنية الربيع قال أخوها أنس المذكور والله لا تكسر ثنية الربيع وصار كلما يقول صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص يقول والله لا تكسر ثنية الربيع فرضى القوم بالارش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره وقال صلى الله عليه وسلم ذلك فى حق البراء بن مالك أخى أنس بن مالك رضى الله عنهما فعن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك ومصداق ذلك ما وقع له رضى الله عنه فى مقاتلة الفرس فان الفرس غلبوا المسلمين فقالوا له يابراء اقسم على ربك فقال أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فحمل رضى الله عنه وحمل المسلمون معه فقتل عظيم الفرس وانهزم الفرس ثم قتل البراء رضى الله عنه (ومما وقع) أنه كان مع أخيه أنس رضى الله عنه عند بعض حصون العدو بالعراق وكانوا يلقون كلاليب معلقة فى سلاسل محماة يخطفون بها الانسان فكان من جملة من خطف أنس رضى الله عنه فأقبل البراء رضى الله عنه وصعد محلا عاليا وأمسك السلسلة بيده ولا زال حتى قطع السلسلة ثم نظر الى يده فاذا عظمها يلوح ليس عليه لحم ونجى الله أنسا رضى الله عنه بذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما تقدم فى حق أويس القرنى رضى الله عنه فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرنى فمن لقيه منكم فمروه ان يستغفر لكم وفى رواية خطابا لعمر رضى الله عنه يأتى عليك اويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له أم هو بها بار لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل والله أعلم وقتل أيضا أحد بنى عمرو بن الجموح وهو خلاد رضى الله عنه وقتل أخو زوجته هند بنت حزام وهو عبد الله والد جابر رضى الله عنه فحملتهم هند على بعير لها تريد أن تدفنهم فى المدينة فلقيتها عائشة رضى الله عنها وقد خرجت فى نسوة يستروحن الخبر فقالت لها عائشة رضى الله عنها اجاء خبر الجيش فقالت اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء ثم قالت لها من هؤلاء قالت أخى عبد الله وابنى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح رضى الله عنهم فبرك بهم البعير وصار كلما توجه الى المدينة يبرك وان وجه الى أرض أحد نزع فرجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته فقال ان الجمل مأمور فقبرهم باحد وقال صلى الله عليه وسلم لهند ياهند ما زالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل الى الساعة ينظرون أين يدفن ولعل هذا كان قبل أن ينادى برد القتلى الى مضاجعهم قال جابر رضى الله عنه كان أبى

اول

عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال كفوا القتال الا خزاعة عن بنى بكر الى صلاة العصر وهى الساعة التى أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان دخوله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين من رمضان ومعه صلى الله عليه وسلم زوجتاه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استثنى اناسا من الدخول فى الامان وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن أبى سرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعكرمة ابن أبى جهل والحويرث بن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وكعب بن زهير والحرث ابن هشام وهو أخو أبى جهل لابويه وزهير بن أبى أمية وسارة وهى مولاة لبنى المطلب وصفوان ابن أمية وهند بنت عتبة زوج أبى سفيان أم معاوية ووحشى قاتل حمزة وأكثر هؤلاء أسلموا كما سيأتى بيانه أما عبد الله بن أبى سرح بن الحرث العامرى فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان أخاه من الرضاع فقال يا أخى استأمن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقى فغيبه عثمان رضى الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به اليه صلى الله عليه وسلم وصار يقول عثمان يارسول الله أمنته فبايعه والنبى صلى الله عليه وسلم يعرض عنه مرارا ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وكان عباد ابن بشر رضى الله عنه نذر ان رأى عبد الله بن أبى سرح قتله وكان قائما على رأس النبى صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيفه ينتظر النبى صلى الله عليه وسلم يشير اليه ان يقتله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انتظرتك ان تفى بنذرك فقال يارسول الله خفتك أفلا أومضت الى فقال انه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الاعين وهو الايماء بالطرف قال الزرقانى ثم أدركته العناية الازليه وأتته السعادة الابديه فأسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضى الله عنه فى فتح مصر وكان له المواقف المحمودة فى الفتوح وهو الذى افتتح افريقية فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ثمان أو سبع

أول قتيل للمسلمين قتله أبو الاعور السلمى وفى الصحيح ان عائشة رضى الله عنها وأم سليم كانتا يسقيان الناس يفرغان من القرب فى أفواه القوم أى ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون ذلك شأن عائشة بعد وصولها لاحد أى وقد كان صلى الله عليه وسلم خلف اليمان والد حذيفة وثابت ابن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان لانهما كانا شيخين كبيرين فقال أحدهما لصاحبه لا أبا لك ما ننتظر فوالله ان بقى لواحد منا فى عمره الا ظمء حمار أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا الشهادة فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس من جهة المشركين ولم يعلم المسلمون بهما فأما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه (وذكر السهيلى) ان فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما أن الذى قتله خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعتبة هو أول من سمى المصحف مصحفا وعند ذلك قال حذيفة أبى فقالوا ما عرفناه فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فتصدق حذيفة رضى الله عنه بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا واسم اليمان حسيل وقيل له اليمان لانه نسب الى جده اليمان بن الحرث وقيل انما قيل له اليمان لانه أصاب دما فى قومه فهرب الى المدينة فحالف بنى الاشهل فسماه قومه اليمان لمحالفته اليمانية أى وهم أهل المدينة (ومما يؤثر عن حذيفة رضى الله عنه) أنه قيل له من ميت الاحياء قال الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وفى الكشاف وعن حذيفة رضى الله عنه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه وهو فى صف المشركين أى قبل أن يسلم فقال صلى الله عليه وسلم له دعه يليه غيرك هذا كلامه ولم أقف على أى غزاة كان ذلك فيها وسياق ما قبله يدل على انه كان من الانصار كان حليفا لبنى عبد الاشهل ولم يحفظ ان أحدا من الانصار قاتله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فليتأمل ثم ان هندا زوج أبى سفيان والنسوة اللاتى خرجن معها صرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أى يقطعن من آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وبقرت أى شقت هند بطن سيدنا حمزة رضى الله عنه وأخرجت كبده فلاكتها أى مضغتها فلم تستطع أن تسيغها أى تبتلعها فلفظتها أى ألقتها من فيها أى لانها كانت نذرت ان قدرت على حمزة رضى الله عنه لتأكلن من كبده ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم انها أخرجت كبد حمزة قال هل أكلت منه شيئا قالوا لا قال ان الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئا أبدا أى ولو أكلت منه أى استقر فى جوفها لم تمسها النار وفى رواية لو أدخل بطنها لم تمسها النار لان حمزة أكرم على الله من أن يدخل شئ من جسده النار أى ورأيت فى بعض السير انها شوت منه ثم أكلت وقد يقال لا منافاة لجواز حمل الاكل على مجرد المضغ من غير اساغة قال وفى رواية ان وحشيا هو الذى بقر بطن حمزة رضى الله عنه وأخرج كبده وجاء بها الى هند أى وقال لها ماذا لى ان قتلت قاتل أبيك قالت سلبى فقال هذه كبد حمزة فأعطته ثيابها وحليها ووعدته اذا وصلت الى مكة تدفع له عشرة دنانير وجاءها الى

وعشرين وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وغزا الاساود من النوبة سنة احدى وثلاثين وهادن باقى النوبة الهدنة الباقية بعده وغزا ذات الصوارى سنة أربع وثلاثين وولاه عمر رضى الله عنه صعيد مصر ثم ضم اليه عثمان رضى الله عنه مصر كلها وكان محمودا فى ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين وروى البغوى باسناد صحيح عن يزيد بن أبى حبيب قال لما كان عند الصبح قال ابن أبى سرح اللهم اجعل آخر عملى الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضى الله عنه وأما عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لانه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفى رواية كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيأ وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا فجعل يهجو النبى صلى الله عليه وسلم فى شعره وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يصنعه وقد جاء انه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره فأمر بقتله وقيل لما طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا باستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب فقتله سعيد ابن حريث وأبو برزة الاسلمى وقيل الزبير وقيل سعيد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد والظاهر انهم اشتركوا فى قتله جميعا جمعا بين الاقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فأمنها فأسلمت وأما عكرمة بن أبى جهل فانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان من أشد الناس أذية للنبى صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم اهدر دمه هرب ليلقى نفسه فى البحر أو يموت تائها فى البلاد وكانت امرأته أم حكيم رضى

مصرع حمزة رضى الله عنه فجدعت أنفه وأذنيه أى وفى لفظ فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت ذلك كالسوار فى يديها وقلائد فى عنقها واستمرت كذلك حتى قدمت مكة (وفى النهر لابى حيان) ان وحشيا جعل له على قتل حمزة أن يعتق فلم يوف له بذلك فندم على ماصنع ثم ان هندا علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها وأنشدت أبياتا ثم ان زوجها أبا سفيان أشرف على الجبل كذا فى البخارى أنه أشرف وفى رواية كان باسفل الجبل وقد يقال لا مخالفة لجواز وقوع الامرين معا ثم صرخ باعلى صوته أنعمت فعال ان الحرب سجال أى ومعنى سجال مرة لنا ومرة علينا يوم أحد بيوم بدر وأنعمت بكسر التاء خطابا للنفسه أو للازلام لانه استقسم بها عند خروجه الى أحد فخرج الذى يحب وهو افعل والفاء من فعال مفتوحة وليست من أبنية الكلمة وهى أمر أى ارتفع عن لومها أى النفس أو الازلام يقال عال عنى أى ارتفع عنى ودعنى أى وزاد فى لفظ يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان أى وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الحرب سجال وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وقد نزل ذلك فى قصة أحد باتفاق ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون فى القوم وفى رواية فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسرنى وفى رواية والله مارضيت وما سخطت وما أمرت وما نهيت وفى لفظ ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى أى وفى لفظ أما انكم ستجدون فى قتلاكم مثلا ولم تكن عن رأى سراتنا ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أما انه ان كان كذلك لم نكرهه ومر الحليس سيد الاحابيش بابى سفيان وهو يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة رضى الله عنه ويقول ذق عقق أى ذق طعم مخالفتك انا وتركك الذى كنت عليه يا عاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يا بنى كنانة هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان اكتمها عنى فانها زلة وقال أبو سفيان اعل هبل أى اظهر دينك أو ازدد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فاجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبو سفيان انكم تزعمون ذلك لقد خبنا اذا وخسرنا وهبل هذا تقدم أنه صنم وتقدم الكلام عليه (ورأيت) فى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله أنه الحجر الذى يطؤه الناس فى العتبة السفلى من باب بنى شيبة وبلط الملوك فوقه البلاط ثم قال أبو سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم ثم قال أبو سفيان لعمر أى بعد ان قال له هلم يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر رضى الله عنه لا وانه ليسمع كلامك الآن قال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر أى لانه لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا كما تقدم وفى رواية ان أبا سفيان نادى أفى القوم محمد أفى القوم محمد قال ذلك ثلاثا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة قالها ثلاثا ثم قال أفى

الله عنها بنت عمه الحرث بن هشام رضى الله عنه أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو داود والنسائى ان عكرمة ركب البحر أى حين هرب فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى فقال أهل السفينة أخلصوا ان آلهتكم لا تغنى عنكم شيأ ههنا فقال عكرمة والله لئن لم ينج من البحر الا الاخلاص لا ينجى فى البر غيره اللهم لك عهد ان أنت عافيتنى مما أنا فيه أن آتى محمدا حتى اضع يدى فى يده فلاجدنه عفوا غفورا كريما فجاء وأسلم أى بعد ان ذهبت اليه زوجته وجاءت به وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وروى البيهقى ان امرأته قالت يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف ان تقتله فأمنه فقال هو آمن فخرجت فى طلبه فادركته وقد ركب سفينة ونوتى يقول له أخلص أخلص قال ما أقول قال قل لا اله الا الله قال ما هربت الا من هذا وان هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتى ما الدين الا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال وغير الله قلبى وجاءت أم حكيم تقول يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك انى قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معها وجعل يطلب جماعها فتأبى وتقول انت كافر وانا مسلمة فقال ان أمرا امنعك منى لامر كبير فلما وافى مكة أو المدينة قال صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة فلا تسبوا اباه فان سب الميت يؤذى الحى قال الزهرى وابن عقبة فلما رآه صلى الله عليه وسلم وثب قائما فرحا به ورمى عليه رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه زوجته أم حكيم بنت الحرث ابن هشام رضى الله عنها وهى منتقبة فقال ان هذه أخبرتنى انك امنتنى فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فانت آمن فقال الام تدعو قال أدعو الى ان تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وكذا وكذا حتى عد خصال الاسلام قال ما دعوت الا الى خير وأمر حسن جميل قد كنت فينا يا رسول الله قبل ان تدعونا وانت اصدقنا حديثا وابرنا ثم قال فانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال ثم ماذا قال تقول أشهد الله واشهد من حضرنى أنى مسلم مجاهد مهاجر فقال عكرمة ذلك رواه البيهقى وفى رواية قال

القوم عمر قالها ثلاثا وفى رواية أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لاجابوا فما ملك عمر رضى الله عنه نفسه أن قال كذبت والله يا عدو الله ان الذى عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أى جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أى ركبوا مطاها أى ظهورها لان المطا الظهر فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده ان أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزهم قال على كرم الله وجهه أو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة أى بعد ان تشاوروا فى نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية ان لا تفعلوا أى وقال لهم فانكم لا تدرون ما يغشاكم وفزع الناس لقتلاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من رجل ينظر الى ما فعل سعد بن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الاموات أى زاد فى رواية فانى رأيت الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار أى وهو أبى بن كعب وقيل محمد بن مسلمة وقيل زيد بن حارثة وقيل غير ذلك ويجوز أن يكون أرسلهم كلهم قال أنا أنظر لك يا رسول الله أى وفى رواية قال للرسل ان رأيت سعد بن الربيع فاقرءه منى السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر فوجده جريحا وبه رمق أى بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات فقال أنا فى الاموات قد طعنت اثنتى عشرة طعنة وانى قد أنفذت مقاتلى فابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف وفى رواية شفر يطرف أى يتحرك قال ثم لم ابرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبره أى وفى رواية انه رأى الذى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور بين القتلى فقال له ما شأنك قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك قال فاذهب اليه الحديث وفى رواية ان محمد بن مسلمة رضى الله عنه نادى فى القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد أخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى أنظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف الحديث أى وفى رواية اقرأ على قومى منى السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله مالكم عند الله عذر الحديث وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا وخلف بنتين فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من ميراثه

عكرمة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له يا عكرمة ما تسألني شيأ أقدر عليه إلا أعطيتكه قال استغفر لي كل عداوة عاديتكها فقال اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به ورد صلى الله عليه وسلم زوجته له أي أبقاها على نكاحها الأول حيث اجتمعا في الإسلام قبل تمام عدتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وروى ابن عبد البر أنه صلى الله عليه وسلم ٢٧٢ رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه فقال لمن هذا فقيل لأبي جهل فشق عليه وقال لا يدخلها إلا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة ابن أبي جهل مسلما فرح به وأول ذلك العذق بعكرمة واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وأنها قد تكون لغير من ترى له ولم يزل عكرمة رضي الله عنه مستقيما حاله حتى استشهد في الشام في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقيل إنما استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه وتفصيل ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما فرغ من قتال أهل الردة قوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمّر عليهم أبا عبيدة رضي الله عنه ثم عزله وولى خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن أبي جهل والحرث ابن هشام وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم ووقفوا أنفسهم للجهاد وأنهم لا يرجعون لحضر وافتتوح الشام بعد حروب كثيرة ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى أبا عبيدة رضي الله عنه على الجنود وأبقى خالد بن الوليد رضي الله عنه أميرا من الأمراء تحت أمر أبي عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التي حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة فاقتتلوا مع المسلمين قتالا شديدا ولم يكن أحد في يوم حمص أشد قتالا ولا أكثر بأسا من عكرمة بن أبي جهل حتى كان وقد يقصد الأسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم إنا كنت أقاتل عن الأصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل في طاعة الملك العلام وإني أرى الحور العين يتشوقن إلي ولو بدت واحدة منهن لأهل الدنيا لأغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص في الروم ولم يزدد إلا إقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك

الثلاثين فكان ذلك بيان المراد من الآية وهي قوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وفي ذلك نزلت أي اثنتان فما فوقهما أي وحينئذ لا يحتاج إلى قياس البنتين على الأختين بجامع أن للواحدة منهما النصف ودخلت بنت له على أبي بكر رضي الله عنه فألقى لها رداءه لتجلس عليه فدخل عمر رضي الله عنه فسأله عنها فقال هذه ابنة من هو خير مني ومنك قال ومن هو يا خليفة رسول الله قال رجل تبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت هذه ابنة سعد ابن الربيع رضي الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء النفر أبو سفيان وأصحابه وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء بانهزامهم وهذا الدعاء نقل عن أنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه غاب عن بدر فشق عليه ذلك فلما كان يوم أحد ورأى انهزام المسلمين أي وكان قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني غبت عن أول قتال وقع قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فقال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما فعل هؤلاء يعني المشركين ولما سمع قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تصنعون بالحياة بعده موتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم أي وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد وقاتل رضي الله عنه حتى قتل أي ووجدوا فيه بضعا وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ولما قتل مثل به المشركون فما عرفته أخته الربيع إلا ببنانه قال ابن أخيه أنس بن مالك رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قلنا إن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رضي الله عنهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وأذناه أي وقطعت مذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه أي وقال لن أصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا وقال رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لأمثلن بسبعين وفي رواية بثلاثين رجلا منهم مكانك وفي رواية لئن ظفرني الله تعالى بقريش في موطن من المواطن لأمثلن بسبعين منهم مكانك ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن أظفرنا الله تعالى بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى أنزل في ذلك وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله الآية فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وكان نزول هذه الآيات بعد أن مثل صلى الله عليه وسلم بالعرنيين وستأتي قصتهم في السرايا واعترضه ابن كثير رحمه الله بأن هذه الآيات مكية وقصة أحد في المدينة بعد الهجرة بثلاث سنوات فكيف يلتئم هذا مع هذا هذا كلامه

اذ حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده حربة عظيمة تضيء وتلتهب فهزها في كفه وضربه بها فوقعت في قلبه ومرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه إلى الجنة رضي الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضي الله عنه وبكى بكاء شديدا ثم كر سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذي قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه إلى النار ثم فتح الله عليهم حمص وكان جملة من قتل من الكفار في ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة ٢٧٣ من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلا رضي الله عنهم وفي الإحياء للإمام الغزالي في كتاب تلاوة القرآن كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي رضي الله عنه ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضي الله عنها وكانت خرجت مع زوجها إلى الشام تزوجها خالد بن سعيد رضي الله عنه وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع تعني الروم فقال خالد إن نفسي تحدثني أني أصاب في جموعهم قالت فدونك فدخل بها في خيمة فما أصبح الصبح إلا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم رضي الله عنها عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التي دخل بها فيها خالد فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم وجاء أن عكرمة رضي الله عنه شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولهم له عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات وفي رواية لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء وفي أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقد كان قبل إسلامه رضي الله عنه بارز رجلا من المسلمين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الأنصار ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا قال أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضي الله عنه شهيدا في قتال الروم في وقعة اليرموك كما تقدم وأما الحويرث بن نقيد بنون وقاف مصغرا ابن وهب بن عبد بن قصي فإنما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لأنه كان يعظم القول فيه صلى الله عليه وسلم وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة وكان العباس رضي الله عنه حمل فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهما ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد

وقد يقال يجوز أن يكون ذلك مما تكرر نزوله فليتأمل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضي الله عنه وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق أي شهق حتى بلغ به الغشي يقول يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب أي بالذال المعجمة يا مانع عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قال ذلك لا مع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لأن ذلك مخصوص بما إذا قارنه البكاء وليس من نعي الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت على أن النداء بذلك محل كراهته إذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لنحو صالح للحث على سلوك طريقته وقال صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وأخبرني بأن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر صلى الله عليه وسلم الزبير رضي الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة رضي الله عنها عن رؤيته فقال لها يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي فدفعت في صدره وقالت لم وقد بلغني أنه مثل بأخي وذلك في الله فما أرضاني بما كان في الله من ذلك أي أنا أشد رضا بذلك من غيري لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى فجاء الزبير رضي الله عنه فأخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفي رواية أن صفية لقيت عليا والزبير رضي الله تعالى عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فأرياها أنهما لا يدريان أي رحمة بها فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أخاف على عقلها فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت أي لما رأته أي وفي رواية لما منعها علي والزبير رضي الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله أين ابن أمي حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو في الناس قالت لا أرجع حتى أنظر إليه فجعل الزبير رضي الله عنه يحبسها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت وصارت كلما بكت بكى صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجي ببرده وفي رواية قال ألا كفن فقام رجل من الأنصار فرمى بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا جابر هذا الثوب لأبيك وهذا لعمي وهذا يدل على أن والد جابر رضي الله عنهما استمر لم يقبر إلى ذلك الوقت وهو خلاف ظاهر سياق ما تقدم وفي رواية وجاءت صفية معها بثوبين لحمزة فكان أحدهما لحمزة والآخر لرجل من الأنصار ولعله والد جابر رضي الله عنهما ولعله لما جاءت صفية بالثوبين جعل صلى الله عليه وسلم أحدهما لحمزة والآخر لوالد جابر وترك ثوبي الرجلين وفي رواية كفن حمزة رضي الله عنه بنمرة كانوا إذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وإن مدوها على رجليه انكشف رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الإذخر وفي لفظ الحرمل أي ويحتاج إلى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما والمشهور حديث النمرة وقد يقال إنما اختار صلى الله عليه وسلم النمرة على الثوب لأنه كان به دم الشهادة أو أراد صلى الله عليه وسلم أن لا يكون لأحد

يوم المدينة فنخس الحويرث بها الجمل فرمى بها الى الارض وشاركه هبار بن الاسود فى نخس جمل زينب رضى الله عنها لما هاجرت فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله على رضى الله عنه وذلك أنه سأل عنه وهو فى بيته قد أغلق عليه بابه فقيل هو فى البادية فتنحى على رضى الله عنه عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت الى آخر فتلقاه على رضى الله عنه فضرب عنقه وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على انصارى فقتله وكان الانصارى ٢٧٤ قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ فى غزوة ذى قرد ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الانصارى ثم ارتد ورجع الى قريش فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله نميلة ابن عبد الله الليثى وأما هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الاسدى فانه كان شديد الاذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت رضى الله عنها فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح فهرب واختفى ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قال جبير بن مطعم رضى الله عنه كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الاسود فقالوا يا رسول الله هبار بن الاسود قال قد رأيته فأراد رجل القيام اليه فأشار اليه أن اجلس فوقف هبار فقال السلام عليك يا نبى الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد هربت منك فى البلاد وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلى وعما كان يبلغك عنى فانى مقر بسوء فعلى معترف بذنبى فقال صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام والاسلام يجب ما قبله قال الزهرى ان هبارا رضى الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكا ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فكفوا عنه وأما كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم وصار يعير أخاه بجيرا حين أسلم وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيرا

على حمزة رضى الله عنه منه ويؤيد الاول ما يأتى ولم يكفنوا الا فى ثيابهم التى قتلوا فيها فليتأمل فان السياق يقتضى أن ذلك انما هو عن احتياج وسيأتى ما يصرح به وسيأتى ما يعارضه فليتأمل وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه يوم أحد وكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وفى رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير هذا قبل الاسلام فى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا ولما أسلم رضى الله عنه تشعث وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه كان صائما وقد جىء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطيت رجلاه بدت رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا من الدنيا ما أعطينا وخشيت أن أكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وعن أنس رضى الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى فكان الرجل والرجلان والثلاثة فى الثوب الواحد ثم يدفنون فى قبر واحد وقال صلى الله عليه وسلم فى حق حمزة رضى الله عنه لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أى يتطاول جزعهن ويدوم وفى رواية لولا تجد صفية فى نفسها أى يطول ذلك وتكون سنة من بعدى لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع وفى رواية حتى تأكله العافية ويحشر من بطونها اشتد غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة أى واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة وفى رواية ثنتين وتسعين صلاة وهذا غريب وسبعين ضعيف والرواية الاولى تقتضى أن جملة من قتل باحد اثنان وسبعون والرواية الثانية تقتضى أنهم كانوا اثنين وتسعين وقوله واحدا بعد واحد تخالف ما تقدم عن أنس رضى الله عنه من جعل الرجلين أو الثلاثة فى كفن واحد فليتأمل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى على عشرة عشرة أى يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ويؤتى بتسعة أخرى فيوضعون الى جنب حمزة فيصلى عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات وحينئذ يكون جملة من قتل ثلاثة وستين وسيأتى الكلام على عدتهم وقيل كبر عليهم كبر تسعا وسبعا وخمسا أى بعد ان كبر على حمزة وحده أربعا فلا ينافى ما تقدم ولم أقف على عدد المرات التى كبر فيها ما ذكر وجاء ان قتلى أحد لم يغسلهم ولم يصل عليهم ولم يكفنهم الا فى ثيابهم التى قتلوا فيها أى غير الجلود أخذا مما يأتى أى ولا يضر تتميم ستر بعضهم بالاذخر وحينئذ لا يكون تكفين حمزة بنمرته ومصعب ببردته وتتميم تكفينهما بالاذخر عن احتياج كما تقدم عن عبد الرحمن بن عوف وعن أنس رضى الله عنهما أى وقال مغلطاى وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل وهذا أى دفنهم من غير غسل اجماع الا ما شذ به بعض التابعين وفيه نظر ظاهر وقد جاء أنه صلى الله عليه

قال لكعب أثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب بأبرق العزاف وهو ماء لبنى أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن به وسبب قول بجير لاخيه أثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل الخ ان أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم انه قد قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه انه قد مد سبب أى حبل من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته ٢٧٥ فأول ذلك بالنبى الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ان أدركوه ان يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بانه قد ظهر أمره وتحققت نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كاعانه فكتب اليه كعب

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل
على أى شىء غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا
عليه ولا تلفى عليه أخا لكا
فان كنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية
فأنهلك المأمون منها وعلكا

وكان صلى الله عليه وسلم يسمى فى الجاهلية الامين والمأمون ثم أرسل كعب بالابيات الى أخيه بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده اياها فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال صدق وانه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع قوله على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال صلى الله عليه وسلم من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بجير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر أى أقبل مسرعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض أى الى محل ينجيك وكتب له هذه الابيات

فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم

وسلم قال لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة وتقدم ان هذا السياق يقتضى ان هذه رؤيا نوم وحينئذ يظهر التوقف فيما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما اقتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر ولعل الراوى عن ابن عباس ذكر حمزة بدل حنظلة غلطا أما الصلاة عليهم فقال امامنا الشافعى رضى الله عنه جاءت الاخبار كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل على قتلى أحد وما روى انه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لم يصح وقد كان ينبغى ان عارض بذلك أى بما روى هذه الاحاديث الصحيحة ان يستحيى على نفسه أى فان من رواة ذلك الحديث الدال على أنه صلى عليهم سعيد بن ميسرة عن أنس رضى الله عنه وقد قال فيه البخارى انه يروى المناكير وقال ابن حبان يروى الموضوعات ومن جملة رواته أى رواة ذلك الحديث مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قال فيه البخارى منكر الحديث ومن ثم ذكر ابن كثير أن الذى فى البخارى أمره صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من صلاته عليهم وأما حديث عقبة بن عامر أى الذى رواه الشيخان وأبو داود والنسائى وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أى دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء والاموات أى حين علم قرب أجله أى فذلك كان توديعا لهم بذلك قال قال السهيلى رحمه الله لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه الا فى هذه الرواية فى أحد وكذلك لم يصل أحد من الائمة بعده صلى الله عليه وسلم اه وفى النور انه صلى الله عليه وسلم صلى على اعرابى فى غزوة أخرى وفى البخارى عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر فى قتلى أحد بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم بكسر اللام وفى رواية ولم يصل عليهم بفتح اللام لا يقال خبر جابر لا يحتج به لانه نفى وشهادة النفى مردودة مع ما عارضها من خبر الاثبات لانا نقول شهادة النفى انما ترد اذا لم يحط بها علم الشاهد ولم تكن بحضوره والا فتقبل بالاتفاق وهذه قضية معينة أحاط بها جابر وغيره علما واستدل أئمتنا على ان الشهيد لا يغسل ولو كان جنبا بقصة حنظلة رضى الله عنه لان تغسيل الملائكة لا يكتفى به فى اسقاط الحرج عن المكلفين من الانس لعدم تكليفهم بخلاف تغسيل الجن فانهم مكلفون ودفنوا بثيابهم ونزع عنهم الحديد والجلود أى وأسلم وحشى رضى الله عنه بعد ذلك فانه فى يوم فتح مكة فر الى الطائف ثم وفد مع أهل الطائف لما وفدوا اليه ليسلموا وقد قيل له بعد ان ضاقت عليه ويحك والله انه لا يقتل أحدا من الناس دخل دينه قال وحشى فلم يرعه صلى الله عليه وسلم الا أنى قائم على رأسه أتشهد شهادة الحق فقال لى أنت وحشى وسألنى كيف قتلت حمزة فأخبرته ثم قال ويحك غيب عنى وجهك فلا أراك وفى رواية لا ترنى وجهك وفى رواية تفل فى وجهى ثلاث تفلات وقيل تفل فى الارض وهو وجد مغضب أى وحينئذ لحق بالشام وكان وحشى لا يزال يحد فى الخمر فى زمن عمر رضى الله عنه حتى خلع من الديوان قال عمر رضى الله عنه قد علمت أنه لم يكن الله ليدع قاتل حمزة رضى

فدين زهير وهو لا شيء دينه * ودين أبي سلمى على محرم   فلما بلغت الابيات كعبا وبلغه انه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وأراق دمه ضاقت عليه الارض وخاف على نفسه وأرجف به أي خوفه من كان حاضرا عنده من مجيئه لرسول الله وقالوا انك لمقتول فلما لم يجد بدا ومخلصا يلتجئ اليه الا الاسلام خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فغدا به ٢٧٦ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فجاء حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاءك يستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أنا يا رسول الله كعب بن زهير ثم تشهد فقال أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم أنشده قصيدته المعروفة التي أولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

الى ان قال فيها

تمشي الوشاة بجنبيها وقولهم
انك يا ابن أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله
لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم
فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت ان رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال
قرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب وان كثرت في الاقاويل

(وقال فيها)

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا

الى آخر القصيدة قال ابن الانباري انه لما وصل الى قوله

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أعطانيه أحدا فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وكان الخلفاء يلبسونها في الاعياد

الله عنه أي لم يكن ليتركه من الابتلاء وهذا أي تكرر حده في شرب الخمر واخراجه من ديوان المجاهدين من أقبح أنواع الابتلاء عافانا الله من ذلك وروى الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه كان يقول عجبت لقاتل حمزة كيف ينجو أي من الابتلاء حتى بلغني انه مات غريقا في الخمر أي وذلك مع ما تقدم ابتلاء وقطيع له رضي الله عنه (وممن مثل به عبد الله بن جحش) بدعوة دعاها على نفسه فقال أي قبل أحد بيوم اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت قال وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه انتهى أي لان المنهي عنه أن يكون ذلك لضر نزل به فليتأمل وجاء أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار في يده سيفا وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد أي وانما كان حمزة خاله لان أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له أبو الحكم بن الاخنس بن شريق وأبو الحكم هذا قتل كافرا يوم أحد وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو أي وهو والد جابر رضي الله عنهما وعمرو بن الجموح وهو زوج عمة جابر رضي الله عنهم في قبر واحد لما بينهما من الصفاء وعبد الله بن عمرو هذا لما أصابه جرح في وجهه ومات ويده على جرحه فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن ويقال ان السيل حفر قبر عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنهما وعمرو بن الجموح فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وانه أزيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال استصرخنا الى قتلانا باحد وذلك حين أجرى معاوية رضي الله عنه العين في وسط مقبرة شهداء احد وأمر الناس بنقل موتاهم فاخرجناهم رطابا تتثنى اطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة ولعله وما قبله لا يخالف قول السهيلي وذلك بعد ثلاثين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث دما وذكر أنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك وفي لفظ نحو خمسين سنة مع ان أرض المدينة سبخة يتغير الميت في قبره من ليلته أي لان الارض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزاد بعضهم قارئ القرآن والعالم والمحتسب الاذان ويدل للاخير ما في الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره أي كشهيد المعركة لا يأكله الدود في القبر وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي رحمه الله تعالى فقال

لا تأكل الارض جسما للنبي ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب * اذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع رضي الله عنهما في قبر واحد لانه كان ابن عمه وولده خارجة وهو زيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت ذكر ان خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا

وقيل انها فقدت في وقعة التتار وروى ابن اسحق انه لما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء تائبا نازعا أي مائلا منسلا الى الاسلام كافا عن الشرك تاركا له فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع به صاحبهم وخص المهاجرين بمدحته في قصيدته لانهم لم يتكلموا فيه الا بخير وعرض بذم الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم لولا ذكرت الانصار بخير ٢٧٧ فانهم أهل لذلك فقال بعد ذلك يمدح الانصار

من سره كرم الحياة فلا يزل
في مقنب من صالحي الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر
ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون باعين محمرة
كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم
للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم
بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضي الله عنه وجاء عن سعيد بن المسيب ان كعبا لما قدم المدينة سأل عن ارق الصحابة رضي الله عنهم فدل على أبي بكر رضي الله عنه فاخبره بخبره فمشى أبو بكر وكعب على اثره حتى صار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يبايعك يا رسول الله فمد يده فبايعه قال العلامة الزرقاني والجمع ممكن بانه لما قدم المدينة نزل على الجهني فاخبره بان أبا بكر ارق الصحابة وأتى به اليه فسار به معا ثم تقدم الصديق وكعب على اثره فلما أمن عرفه بنفسه والله أعلم * واما الحرث بن هشام المخزومي وهو أخو أبي جهل شقيقه فانه كان شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكذا زهير بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها فانه كان شديدا في كفره فأهدر دمهما صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فهربا واختبيا في بيت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها فأجارتهما فأجاز صلى الله عليه وسلم جوارها ثم جاءت بهما فأسلما وحسن اسلامهما رضي الله عنهما وكون الذي أجارته مع الحرث بن هشام هو زهير بن أبي أمية هو الصحيح وقيل الذي اجارته معه هو عبد الله بن أبي ربيعة وقيل هو هبيرة بن أبي وهب قال الحافظ ابن حجر وهذا ليس بشيء لان هبيرة هرب عند الفتح الى نجران فلم يزل بها

فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فأجهز عليه وقال الآن شفيت نفسي حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن ارقم وقتلت أبا نوفل ودفن النعمان ابن مالك وعبد بني الحسحاس في قبر واحد وربما دفنوا الثلاثة في قبر وصار صلى الله عليه وسلم يقول احفروا واوسعوا واعمقوا وكان صلى الله عليه وسلم يقول انظروا أكثر هؤلاء جمعا أي حفظا للقرآن فقدموه في القبر أي في اللحد واحتمل ناس من المدينة قتلاهم الى المدينة فردهم صلى الله عليه وسلم ليدفنوا حيث قتلوا وبه استدل أئمتنا رحمهم الله على حرمة نقل الميت قبل دفنه من محل موته الى محل أبعد من مقبرة محل موته وفيه أنهم قالوا الا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس نص على ذلك امامنا الشافعي رحمه الله وقد يجاب بان هذا مخصوص بغير الشهيد أما هو فالافضل دفنه بمحل موته ولو بقرب ما ذكر كما بحث ذلك بعض المتأخرين من أئمتنا ويشهد له ما هنا ولا يشكل دفن اثنين أو ثلاثة في لحد على قول فقهائنا بحرمة جمع اثنين في لحد ولو الوالد وولده لان محل ذلك حيث لا ضرورة ككثرة الموتى ومشقة الحفر لكل واحد كما هنا (ثم رأيت في بعض السير) وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد وانما ارخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحفر لكل واحد واحد وفي رواية فحملوهم الى المدينة فدفنوهم في نواحيها فجاء منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادي واحدا لم يكن دفن فرد ومن دفن أبقوه (ولما أشرف صلى الله عليه وسلم) على قتلى أحد قال أنا شهيد على هؤلاء وما من جرح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفي رواية انه ليس مكلوم يكلم في الله تعالى الا وهو يأتي يوم القيامة لونه أي لون الكلم أي الجرح لون الدم وريحه ريح مسك أي وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في اجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا أي يمتنعوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء الآية وقد بينت في النفحة العلوية ان الارواح في البرزخ متفاوتة في مستقرها اعظم تفاوت فلا تعارض بين الادلة الدالة على تلك الاقوال المختلفة وحينئذ تكون أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونها في الملا الاعلى متفاوتة فيه وأرواح المؤمنين غير الشهداء أو غير الاطفال منها ما هو سماوي ومنها ما هو ارضي وأرواح الاطفال في حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وارواح الشهداء منهم من تكون روحه على باب الجنة ومنهم من تكون داخلها وحينئذ اما أن تكون في جوف طير أخضر

مشركا حتى مات وكانت أم هانئ رضى الله عنها تحت هبيرة بن أبى وهب المخزومى روى الامام أحمد وغيره عن أم هانئ رضى الله عنها قالت لما كان يوم الفتح فر الى رجلان من احمائى من بنى مخزوم فدخل على على رضى الله عنه فقال والله لاقتلنهما فأغلقت عليهما بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال مرحبا وأهلا يا أم هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر على رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ والمشهور ان اسلام أم هانئ رضى الله عنها كان عام الفتح وقيل أسلمت قديما وكانت تكتم اسلامها وعن الحرث بن هشام رضى الله عنه قال لما أجارتنى أم هانئ رضى الله عنها وأجاز النبى صلى الله عليه وسلم جوارها صار لا يتعرضنى أحد بعد ذلك وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمر على وأنا جالس ولم يتعرض لى وكنت أستحيى ان يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذكر برؤيته اياى ما كنت أفعله فى كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فتلقينى بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضى الله عنه وكذا ابن ابنه أبو بكر ابن عبد الرحمن وابنه عبد الملك ابن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم وأما سارة فهى مولاة لبنى المطلب ابن عبد مناف وانما اهدر صلى الله عليه وسلم دمها لانها كانت مغنية بمكة تغنى بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم وهى التى كان معها كتاب حاطب بن أبى بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها صلى الله عليه وسلم ما كان فى غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقى اليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغنى به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته وأسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها وأما صفوان بن أمية بن خلف الجمحى فكان أيضا من أشد الناس عداوة وأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاهدر دمه صلى

أو طير أبيض ومنهم من تكون روحه على صورة الطير وفى كلام القرطبى رحمه الله قال علماؤنا أرواح الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها انهم يرزقون أى وتقدم الكلام على رزقهم أى ومن جملة من قتل من الصحابة يوم أحد أبو جابر أى كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه يا جابر ألا اخبرك ما كلم الله تعالى أحدا قط لعل المراد من هؤلاء الشهداء كما يرشد اليه السياق الا من وراء حجاب وأنه كلم أباك كفاحا فقال سلنى اعطك فقال أسألك ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق منى أنهم لا يرجعون الى الدنيا قال أى رب فأبلغ من ورائى فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية أى ولا مانع من تعدد النزول للآية فلا يخالف ما تقدم قريبا أى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل أبى جعلت أبكى واكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينهونى والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينهنى وقال النبى صلى الله عليه وسلم تبكيه أو لا تبكيه مازالت الملائكة عليهم السلام مظللة له باجنحتها حتى رفع أى وسيأتى أن جابرا رضى الله عنه لم يحضر القتال وعن بشير بن عفراء رضى الله عنهما قال أصيب أبى يوم أحد فربى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال اما ترضى أن تكون عائشة أمك وأكون أنا أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وفى رواية وابنها يوم أحد فلما نعوا لها قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ما فعل به قالوا خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته صلى الله عليه وسلم قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشئ الصغير يقال للشئ الكبير فهو من الاضداد وفى لفظ أنها امرت باخيها وأبيها وزوجها وابنها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها هذا أخوك وابنك وزوجك وأبوك فلم تكترث بذلك بل صارت تقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى جاءته أخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابى أنت وأمى يا رسول الله لا أبالى اذ سلمت من عطب واصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته أى فارادوا قطعها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فدعاه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أى أخذها بيده الشريفة وردها الى موضعها أى براحته الشريفة وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى أى وجاء عن قتادة رضى الله عنه انه قال كنت يوم أحد اتقى السهام بوجهى عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما اندرت منه حدقتى فأخذتها أى رفعتها بيدى أى وقلت يا رسول الله ان لى امرأة أحبها واخشى أن ترانى تقذرنى أى وقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله تعالى لك فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل وانى مغرم بحب النساء وأخاف أن يقلن اعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعا لى بالجنة وجاء عن قتادة رضى الله عنه أنه

صلى الله عليه وسلم فاختفى وأراد أن يذهب ويلقى نفسه بالبحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى رضى الله عنه وقال يا نبى الله ان صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك أمنت الاحمر والاسود فقال ادرك ابن عمك فهو آمن فقال اعطنى آية يعرف بها أمانك فانى قد طابت منه العود فقال لا أعود معك الا ان تأتينى بعلامة أعرفها فأعطاه صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد يركب البحر فقال له صفوان اعزب عنى لا تكلمنى فقال أى صفوان فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة التى جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا يزعم انك أمنتنى قال صدق فقال أمهلنى بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى حرب هوازن استقرض منه أربعين ألف درهم وطلب منه دروعا كانت عنده فقال أغصبا يا محمد قال لا ولكن عارية مرجوعة أو مضمونة ثم خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بحنين اعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ثم رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا مملوأ نعما وشاء فقال له صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه وفى رواية ان صفوان رضى الله عنه طاف مع النبى صلى الله عليه وسلم ليتصفح الغنائم اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر اليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقبض صفوان ما فى الشعب وقال ان الملوك لا تطيب نفوسهم بمثل هذا ما طابت نفس أحد قط بمثل هذا الا نبى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وترك المدة التى كان طلبها وكان يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى صار أحب الخلق الى وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبى سفيان وأم ابنه معاوية رضى الله عنهم فانما أهدر دمها صلى الله عليه وسلم لانها مثلت بعمه حمزة رضى الله عنه يوم أحد

صلى الله عليه وسلم لما رآها فى كفه أى مرفوعة دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا أى بعد ان ردها الى موضعها براحته الشريفة كما تقدم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

وأعادت على قتادة عينا * فهى حتى مماته النجلاء

أى واعادت تلك الراحة الشريفة على قتادة بن النعمان رضى الله عنه عينا له ذهبت فهى الى مماته لواسعة أى الكثيرة النظر قال الشيخ ابن حجر الهيثمى ويجمع بين رواية العين الواحدة ورواية الثنتين أى فقد جاء فى حديث غريب اصيبت عيناى فسقطتا على وجنتى فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعادهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان بان أحد الرواة ظن أن الساقطة واحدة وبعضهم أن الساقط ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم أن زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية احدى الثنتين هذا كلامه فليتأمل وكون ذلك كان يوم أحد هو المشهور وقيل يوم الخندق وقد حكى أبو عمر بن عبد البر أن رجلا من ولد قتادة قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له من الرجل فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لاول أمرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر وأحسن جائزته ورمى كلثوم بن الحصين بسهم فى نحره فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليه فبرأ وحضرت الملائكة عليهم السلام يوم أحد ولم تقاتل قال ويؤيده قول مجاهد رحمه الله لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال وما رأيتهما قبل ولا بعد أى وهما جبريل وميكائيل عليهما السلام ولا منافاة فقد قال البيهقى رحمه الله لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم أى فلا ينافى أنهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة اه (أقول) ويجوز أن يكون المراد بقتالهم مدافعتهم عنه صلى الله عليه وسلم وفيه أنه جاء عن الحرث بن الصمة رضى الله عنه قال سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقلت رأيته فى جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت قال أما هذا وهذا فانا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقال صدق الله ورسوله أى ومقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لا ينافى مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وفى الامتاع كان قد نزل قبل أن يخرج صلى الله عليه وسلم الى أحد قوله تعالى ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى

ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فلم يصبروا وانكشفوا فلم يمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بملك واحد يوم أحد فليتأمل والله أعلم ولما قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه وسقط اللواء أخذه ملك فى صورة مصعب أى فانه لما قطعت يده اليمنى أخذ اللواء بيده اليسرى أى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فلما قطعت جثى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ولم تكن هذه الآية نزلت بل قالها لما سمع قول القائل قتل محمد وانما نزلت أى بعد قوله فى ذلك اليوم كما فى الدر فهو من القرآن الذى نزل على لسان بعض الصحابة ثم قتل أى وهذا لا ينافى ما تقدم من انه قاتل دونه صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قتله ابى بن خلف لعنه الله لانه يجوز أن يكون قتله وهو على هذه الكيفية المذكورة ثم رأيت فى بعض الروايات ان ابن قمئة فعل به هذه الكيفية أى ثم قتله وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للملك الذى على صورة مصعب تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك فقال لست بمصعب فعرف صلى الله عليه وسلم أنه ملك أيد به وفى رواية ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لما سمع صلى الله عليه وسلم يقول اقدم مصعب قال يا رسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه أى فلا ينافى ذلك قول الملك له صلى الله عليه وسلم لما قال له تقدم يا مصعب لست بمصعب لان مراده لست بمصعب الذى هو صاحبكم ورأيت فى رواية انه لما سقط اللواء أخذه أبو الروم أخو مصعب ولم يزل فى يده حتى دخل المدينة فليتأمل ووجود هذا الملك يخالف ما تقدم عن الامتاع من انه صلى الله عليه وسلم لم يمد بملك واحد ولما أراد صلى الله عليه وسلم ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى أى ومعه أربع عشرة امرأة فلما كانوا باصل احد قال صلى الله عليه وسلم اصطفوا حتى أثنى على ربى عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم للمدينة فلقيته حمنة بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها فقال لها صلى الله عليه وسلم احتسبى قالت من يا رسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال أخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ما هو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعنى فدعا لها صلى الله عليه وسلم ولولدها

ولا كف قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت فى بيت أبى سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته صلى الله عليه وسلم بالابطح وقالت الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه لتمسنى رحمتك يا محمد انى امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت أنا هند بنت عتبة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ثم أرسلت اليه بهدية جديين مشويين وقديد مع جارية لها فقالت انها تعتذر اليك وتقول لك ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكم فى غنمكم وأكثر والدتها قالت هند فلقد رأينا من كثرتها ما لم نره قبل وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وقالت كنت أرى فى النوم انى فى الشمس أبدا قائمة والظل قريب منى لا أقدر عليه فلما دنا صلى الله عليه وسلم رأيت كأنى دخلت الظل فكان ذلك هو الدخول فى الاسلام وجاء انها لما أسلمت عمدت الى صنم كان فى بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك فى غرور وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قالت هند بنت عتبة يا رسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب الىّ أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الارض أهل خباء أحب الىّ ان يعزوا من أهل خبائك قال النبى صلى الله عليه وسلم وأيضا والذى نفسى بيده أى ستزيدين من ذلك ويتمكن الايمان فى قلبك فيزيد حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوى رجوعك عن بغضه ثم قالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك فهل علىّ حرج ان أطعم من الذى له عيالنا قال لا أراه الا بالمعروف وكان اسلامها بعد اسلام زوجها فأقرهما صلى الله عليه وسلم على النكاح الاول لان الاسلام جمعهما فى العدة بل قيل ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة وكانت هند امرأة ذات أنفة ورأى وعقل وجاء فى رواية انه ان صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهم هند بنت عتبة متنقبة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعننى على ان لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصيننى فى معروف فقالت هند لما قال ولا تسرقن قالت والله انى كنت أصيب من مال أبى

ان يحسن الله تعالى عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة قال وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بلجامها فقال له سعد يا رسول الله أمى فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما اذا رأيتك سالما فقد اشتويت المصيبة أى استقليتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل من قتل بأحد أى بعد ان قال لام سعد يا أم سعد أبشرى وبشرى أهليهم ان قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعا وقد شفعوا فى أهليهم جميعا قالت رضينا يا رسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع صلى الله عليه وسلم نساء الانصار يبكين على أزواجهن أى وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لا بواكى له أى وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله رضى الله عنه لم يكن له بالمدينة لا زوجة ولا بنت فأمر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء أى وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة أى ولما جاء صلى الله عليه وسلم بيته حمله السعدان وأنزلاه عن فرسه ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم فلما رجع من المسجد من صلاة المغرب سمع البكا فقال ما هذا فقيل نساء الانصار يبكين حمزة فقال رضى الله عنكن وعن أولادكن وأمر ان ترد النساء الى منازلهن وفى رواية خرج عليهن أى بعد ثلث الليل لصلاة العشاء فان بلالا أذن بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة رضى الله عنه ولا يخالف ما سبق لان بيت عائشة رضى الله عنها كان ملاصقا للمسجد فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معى رحم الله الانصار فان المواساة فيهم كما علمت قديمة أى ولا منافاة لانه يجوز ان يكون الامر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة وبعد ثلث الليل كان لطائفة أخرى وصارت الواحدة من نساء الانصار بعد لا تبكى على ميتها الا بدأت بالبكا على حمزة رضى الله عنه ثم بكت على ميتها ولعل المراد بالبكا النوح وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش ان تعود الى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح وقال له الانصار يا رسول الله بلغنا انك نهيت عن النوح وانما هو شئ نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فاذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا وجاء انه فى يوم أحد دفع على كرم الله وجهه سيفه لفاطمة رضى الله عنها وقال لها اغسليه غير ذميم فقال صلى الله عليه وسلم ان تكن احسنت فقد

سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما ما أصبت فيما مضى فانت منه فى حل عفا الله عنك فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبى الله ولما قال ولا تزنين قالت أوتزنى يا رسول الله الحرة ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا فقتلتهم كبارا وفى لفظ وهل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى على قفاه وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصيننى فى معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا ان نعصيك فى معروف وحضرت هند قتال الروم يوم اليرموك مع ابى سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتى كن معها وتوفيت فى خلافة عمر رضى الله عنه فى اليوم الذى توفى فيه أبو قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهم وكان من جملة من أسلم وبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ابنها معاوية وأخوه يزيد ابنا أبى سفيان وقيل ان اسلام معاوية كان عام الحديبية وعن معاوية رضى الله عنه قال لما كان عام الحديبية وقع الاسلام فى قلبى فذكرت ذلك لامى فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت اسلامى فقال لى يوما أبو سفيان وكأنه شعر باسلامى أخوك خير منك هو على دينى فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامى ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بى وكتبت له بعد ان استشار فى ذلك جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه أمين وفى البخارى ان كريبا قال لابن عباس رضى الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم أردفه يوما خلفه فقال ما يلينى منك قلت بطنى قال اللهم املأه حلما وعلما وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له فى البلاد وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية رضى الله عنه يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعه الوسطى والتي تليها وقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذا ملكت فأحسن وفي رواية اذا ملكت من أمر أمتي شيأ فاتق الله واعدل وفي رواية يا معاوية انك ان وليت من أمر أمتي شيأ فارفق بهم ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشيء من شعره فقال عند موته ٢٨٢ كفنوني في القميص وادرجوني في الرداء وأزروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك ثم بكى حتى علا نحيبه وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وكان أبيض جميلا وهو من الموصوفون بالحلم ولي الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة وولي الخلافة سنة أربعين ومكث خليفة عشرين سنة الا ستة أشهر وأما ما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على أحد منهما وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأما وحشي بن حرب فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه لكونه قتل عمه حمزة رضي الله عنه فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال فكنت بالطائف فلما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت علي المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك والله انه ما يقتل أحدا يدخل في دينه فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرني الا وأنا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق الله
فلما رآني قال وحشي قلت نعم يا رسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب وجهك عني فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ثم خرج وحشي مع من خرج لقتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وقتل مسيلمة الكذاب بحربته التي قتل بها حمزة رضي الله عنه فكان يقول أرجو أن تكون هذه بتلك أي ان هذه

أحسن فلان وفلان وعدد جماعة أي منهم سهل بن حنيف وأبو دجانة وما روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم في يوم أحد دفع سيفه ذا الفقار لابنته فاطمة رضي الله عنها وقال اغسلي عنه دمه لقد صدقني اليوم وناولها علي كرم الله وجهه سيفه وقال وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه لئن صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة وعن ابن عقبة لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف علي كرم الله وجهه مختضبا دما قال ان تكن أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الافلح والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وكونه صلى الله عليه وسلم دفع سيفه لابنته فاطمة رضي الله عنها رده الامام أبو العباس بن تيمية بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل في ذلك اليوم بسيف لكن في النور أن هذا الحديث لم يتعقبه الذهبي قال ففيه رد على ابن تيمية هذا كلامه فليتأمل والاكثر على أن الذين قتلوا يوم أحد من المسلمين سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبد شمس وعدهم في الاصل ستة وتسعين وهذا لا يناسب ما تقدم في بدر من قوله صلى الله عليه وسلم ان شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعد ذلك وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون وقيل اثنان وعشرون (أقول) انظر هذا مع ما تقدم من ان حمزة وحده قتل واحدا وثلاثين ورأيت في الطبقات لمولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله ببركاته ان أويسا القرني كان مشغولا بخدمة والدته فلذلك لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد روي انه اجتمع به مرات وحضر معه وقعة أحد وقال والله ما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم حتى كسرت رباعيتي ولا شج وجهه الشريف حتى شج وجهي ولا وطئ ظهره حتى وطئ ظهري قال هكذا رأيت هذا الكلام في بعض المؤلفات والله أعلم بالحال هذا كلامه ولم أقف على أنه عليه الصلاة والسلام وطئ ظهره في غزوة أحد فان مجموع ما دلت عليه الاخبار أنه صلى الله عليه وسلم شج وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنتاه وشفته السفلى من باطنها ووهي منكبه وجحشت ركبته ثم رأيت بعض المؤرخين ذكر أن سيدنا عمر رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضلك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقد قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنبك فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم الى أن قال فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومما يدل على ان أويسا لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم خير التابعين رجل يقال له أويس القرني وما أخرجه البيهقي عن عمر رضي

تكفر تلك ومن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس أين ابنا أخيك لا أراهما يعني عتبة ومعتبا ابني أبي لهب فقال العباس رضي الله عنه تضيافين تنحى من مشركي قريش قال ائتني بهما فركبت اليهما فأتيته بهما فدعاهما الى الاسلام فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما ثم قام صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه فقال له العباس رضي الله عنه أسرك الله ٢٨٣ يا رسول الله اني أرى السرور في وجهك قال اني استوهبت عمي هذين من ربي فوهبهما الي وشهدا معه حنينا والطائف ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين وممن اختفى أيضا سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلما فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ له أمانا فقال صلى الله عليه وسلم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد النظر اليه فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا صغيرا برا كبيرا ثم انه خرج الى حنين وهو على شركه ثم أسلم بالجعرانة رضي الله عنه وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم حتى ان الله ثبت به أهل مكة يوم جاءهم خبر وفاته صلى الله عليه وسلم فكادوا أن يرتدوا فخطبهم خطبة مثل خطبة الصديق رضي الله عنه بالمدينة وقال فيها من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فثبتهم الله به رضي الله عنه واستشهد رضي الله عنه في اليرموك وقيل توفي بالشام في طاعون عمواس ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين بين أبي بكر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وهو متواضع مطأطئ رأسه على ناقته القصواء مردفا أسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه وهو صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وعن أنس رضي الله عنه قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعا وفي رواية حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله أي تواضعا لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح في حال دخوله حتى جاء البيت فطاف به وفي شرح المواهب

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له أويس ابن عامر وفي رواية ان عمر قال لأويس استغفر لي فقال كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس والمراد من خير التابعين كما في بعض الروايات فلا ينافي ما نقل عن أحمد بن حنبل وغيره ان أفضل التابعين سعيد بن المسيب ومما يدل على أن أويسا لم يكن موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم ما جاء في الجامع الصغير سيكون بعدي في أمتي رجل يقال له أويس القرني وان شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر وفي أسد الغابة ان أويسا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعي الكوفة وكان يسخر به ووفد رجل ممن كان يسخر به مع جماعة من أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال له عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس القرني وقد كان به بياض فدعا الله تعالى فأذهب عنه الا قدر الدينار او الدرهم فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم فأقبل ذلك الرجل لما قدم الكوفة الى أويس قبل أن يأتي أهله فقال له أويس ما هذا بعادتك قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول كذا وكذا فاستغفر لي قال لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي ولا تذكر قول عمر لاحد فالتزم له ذلك فاستغفر له وقتل أويس يوم صفين مع علي كرم الله وجهه ولما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أظهر المنافقون واليهود الشماتة والسرور وصاروا يظهرون أقبح القول أي ومنه ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه ويقولون لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل واستأذنه صلى الله عليه وسلم عمر في قتل هؤلاء المنافقين فقال أليس يظهرون شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله قال بلى ولكن تعوذا من السيف فقد بان أمرهم وأبدى الله تعالى أضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من اظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد أثبتته الجراحة فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله وللمسلمين خير قال وكانت عادة عبد الله بن أبي ابن سلول اذا جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله تعالى به وأعزكم فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا اجلس عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج وهو يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني انما قلت هجرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أبتغي ان يستغفر لي وأنزل الله تعالى في قصة أحد في آل عمران قوله تعالى واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الآية

للعلامة الزرقاني ان طوافه صلى الله عليه وسلم انما كان بعد ان استقر في خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فأدنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وأبو بكر رضي الله عنه يحادثه فمر ببنات أبي أحيحة بالبطحاء وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبي بكر رضي الله عنه واستنشده قول حسان الماضي * يلطمهن بالخمر النساء * الى أن انتهى الى الكعبة ومعه المسلمون فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل صلى الله عليه وسلم يشير اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا يستلم الحجر الاسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر بقين من رمضان وهو حلال غير محرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفي رواية لقفاه وفي رواية فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير أن يمسه بما في يده يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وفي رواية فاتى في طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام وكان في يده صلى الله عليه وسلم قوس فجعل يطعن بها في عينيه ويقول جاء الحق الآية ثم أمر به فكسر فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه لابي سفيان رضي الله عنه قد كسر هبل أما انك قد كنت يوم أحد في غرور حتى تزعم انه قد أنعم فقال أبو سفيان دع هذا عنك يا ابن العوام لقد أرى لو كان مع اله محمد غيره لكان غير ما كان وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدني ربي ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء
تاولت للمصطفى الآية الكبـ * ـرى عليهم والغارة الشعواء
فاذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

غزوة حمراء الأسد

لما كان صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد أذن مؤذنه صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا خلف قريش وأن لا يخرج الا من حضر أحدا وذلك ارهابا للعدو وليبلغهم أنه صلى الله عليه وسلم خرج في طلبهم ليظنوا به صلى الله عليه وسلم قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم أي يضعفهم عن عدوهم قال وقيل لانه صلى الله عليه وسلم بلغه أن أبا سفيان يريد أن يرجع بقريش الى المدينة ليستأصلوا من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بلغه ان المشركين قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئس ما صنعتم ارجعوا أي وفي لفظ انهم لما بلغوا بعض الطريق قدموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم قبل ان يجدوا قوة وشوكة فقذف الله في قلوبهم الرعب ويذكر ان عبد الله ابن عوف جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد وأخبره انه أقبل من أهله حتى اذا كان بمحل كذا اذا قريش قد نزلوا به فسمع أبا سفيان وأصحابه يقولون ما صنعتم شيأ قد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول يا قوم لا تفعلوا فاني أخاف أن يجمع عليكم من تخلف عن الخروج فارجعوا والدولة لكم فاني لا آمن ان رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر لهما الخبر أي ما أخبر به عبد الله بن عوف فقالا يا رسول الله اطلب العدو ولا يقتحمون على الذرية فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح ندب الناس وأمر بلالا أن ينادي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج الا من حضر القتال بالامس انتهى وعند تهيئه صلى الله عليه وسلم للخروج جاء جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال يا رسول الله انما تخلفت عن أحد لان أبي خلفني على اخوات لي سبع أي وقيل وهو الصحيح انهن تسع وقال يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقني الشهادة فتخلف على اخواتك فاستخلفت عليهن واستأثر علي بالشهادة فائذن لي يا رسول الله معك فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالامس غيري واستأذنه رجال لم يحضروا القتال أي منهم عبد الله بن أبي قال له أنا راكب معك فأبى ذلك عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويقال لابي بكر الصديق رضي الله عنه واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه أي المسمى بالسكب ولم يكن مع أصحابه فرس سواه وعليه الدرع والمغفر وما يرى الا عيناه ٥ وخرج الناس معه أي جميع من كان معه صلى الله عليه وسلم في احد وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت في قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم

القرح

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه نزل عن راحلته روى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال ما وجدنا مناخا في المسجد لراحلته صلى الله عليه وسلم حتى أنزل على أيدي الرجال فأخرجت الراحلة فأنيخت بالوادي ثم انتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا فنزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به ثم جلس صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها صلى الله عليه وسلم هو وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين وفي رواية جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة وفي رواية ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وفي رواية ان دخوله ذلك كان ثاني يوم الفتح ثم وقف على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الاحكام منها الا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا وانخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام ومما ذكره في تلك الخطبة قوله أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل

القرح الآية قالت لعروة بن الزبير يا ابن اختي كان أبواك الزبير رضي الله عنه وأبو بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يرجع في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا قال ابن كثير وهذا السياق غريب جدا فان المشهور عند أصحاب المغازي ان الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي الباقي هذا كلامه فليتأمل مع ما تقدم قال والظاهر أنه لا تخالف لان معنى قولها يعني عائشة انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق بهم الباقون وخرجوا وبهم الجراحات ولم يعرجوا على دواء جراحاتهم أي لم يلتفتوا لذلك والمراد دواء غير تكميد جراحهم بالنار وهو ان تسخن خرقة وتوضع على العضو الوجع ويتابع ذلك مرة بعد أخرى ليسكن الوجع فلا يخالف أنهم فعلوا ذلك أي أوقدوا النيران يكمدون بها جراحاتهم تلك الليلة فمنهم من كان به تسع جراحات وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه وعقبة بن عامر رضي الله عنه ومنهم من كان به عشر جراحات وهو خراش بن الصمة رضي الله عنه ومنهم من كان به بضع عشرة جراحة وهو كعب بن مالك رضي الله عنه ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة وهو طلحة بن عبيد الله وقطعت اصبعه قيل السبابة وقيل البنصر فشلت بقية أصابع يده وهي اليسرى وفي رواية أنامله كما تقدم ومنهم من كان به عشرون جراحة وهو عبد الرحمن بن عوف كما تقدم أي وجرح من بني سلمة أربعون جريحا فقال صلى الله عليه وسلم لما رآهم اللهم ارحم بني سلمة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجروح في وجهه اثر الحلقتين ومشجوج في وجهه ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت من باطنها أي وفي المنتقى وشفته العليا قد كلمت من باطنها متوهن منكبه الايمن اضربة ابن قمئة لعنه الله وركبتاه مجروحتان من وقعته في الحفيرة وتلقاه صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له يا طلحة اين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى بسلاحه وبصدره تسع جراحات من تلك الجراحات التي به وهي كما تقدم بضع وسبعون جراحة يقول طلحة وأنا أهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا طلحة اين ترى القوم فقلت بالسيالة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت اما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا وقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن انتهى وكان دليله صلى الله عليه وسلم في السير ثابت بن الضحاك وليس هو اخا جبير وقيل اخوه ولا زالوا سائرين حتى عسكروا بحمراء الاسد أي بهو محل بينه وبين المدينة ثمانية أميال أي وقيل عشرة أميال وعن رجل من الانصار قال شهدت أحدا انا وأخي فرجعنا جريحين فلما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو فقال لي أخي اتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفسق والله ما لنا من دابة نركبها فخرجنا وكنت أيسر

لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له
ان الله قد اذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم وانما احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالامس فليبلغ
الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم الى آخر ما تقدم وقد اختلفت الروايات فى كيفية احضار مفتاح الكعبة
له حين أراد الدخول والصحيح انه دعا عثمان بن طلحة وقال ائتنى بالمفتاح وتقدم انه أسلم فى مدة صلح الحديبية وهاجر هو
وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص
رضى الله عنهم فذهب عثمان الى
أمه سلافة بنت سعيد الانصارية
الاوسية وقد أسلمت بعد ذلك رضى
الله عنها فلما جاءها ليأخذ منها
المفتاح أبت ان تعطيه فقال يا أمه
ادفعى لى المفتاح فانه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأبت ان تعطيه
وقالت لا واللات والعزى فقال لها
لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير
ما كنا فيه والله لتعطنه وانك ان لم
تفعلى قتلت أنا وأخى وأنت قتلتينا
و والله لندفعنه أو ليأتين غيرى
فيأخذه منك فادخلته فى حجزتها
وقالت أى رجل يدخل يده هنا
قال الزهرى وأبطأ عثمان على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ينتظر حتى انه ليتحدر منه مثل
الجمان من العرق ويقول ما يحبسه
وفى رواية فجعلت تقول ان أخذه
منكم لا يعطيكموه فبينما هو
يكلمها اذ سمعت صوت أبى بكر
وعمر رضى الله عنهما فى الدار وعمر
رافع صوته وهو يقول يا عثمان
اخرج فقالت يا بنى خذ المفتاح فان
تأخذه أحب الى من أن يأخذه
تيم وعدى أى أبو بكر وعمر فاخذه
عثمان فخرج يمشى حتى اذا كان
قريبا من وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه
المفتاح فخنى عليه وتناوله وفى
رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم ببشر ففتح له عثمان الباب وفى رواية فاخذه صلى الله عليه وسلم منه وفتح الكعبة الله
فيحتمل انهما اشتركا فى الفتح فقدروى الفاكهى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كانت بنو أبى طلحة يزعمون انه لا يستطيع أحد فتح
الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتح بيده قال العلامة الزرقانى ويحتمل الجمع بانه صلى الله عليه وسلم لما فتح
الضبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب ففتحه له أى فصح اسناد الفتح لكل منهما وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبى صلى الله

جراح منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ويمشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون من
حمراء الاسد أى وذلك عند العشاء وهم يوقدون النيران فجاءتهما الحرس وكان على حرسه تلك
الليلة عباد بن بشر مع طائفة فلما أتى بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما حبسكما
فأخبراه بعلتهما فدعا لهما بخير وقال لهما ان طالت بكما مدة كانت لكما مراكب من خيل
وبغال وابل وذلك ليس بخير لكم أى وهذان الرجلان عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع والذى
ضعف عن المشى رافع والحامل له عبد الله (وأقام) المسلمون بذلك المحل ثلاث ليال وكانوا
يوقدون فى كل ليلة من تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت
معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله تعالى عدوهم قال جابر بن عبد الله رضى الله
عنهما وكان عامة زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضى الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت حمراء
الاسد وساق جزرا فنحر فى يوم اثنين وفى يوم ثلاثا ولقى كفار قريش معبد الخزاعى
وكان يومئذ مشركا بالروحاء وكان رأى خروجه صلى الله عليه وسلم خلف قريش فأخبرهم
بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلبهم وقد كانوا أرادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم
خروجه فتمادوا الى مكة (قال) لما كان صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد لقيه معبد الخزاعى
وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصح له صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك
فى نفسك وما أصابك فى أصحابك ولوددنا ان الله تعالى أعلى كعبك وأن المصيبة كانت لغيرك
ثم مضى معبد حتى كان بالروحاء فلما رأى أبو سفيان معبدا قال هذا معبد وعنده الخبر ما وراءك
يا معبد فقال تركت محمدا وأصحابه قد خرجوا اطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا
قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالامس من الاوس والخزرج وتعاهدوا على ان لا يرجعوا
حتى يلقوكم فيثأروا أى يأخذوا ثارهم منكم وغضبوا لقومهم غضبا شديدا وندموا
على ما فعلوا فيهم من الحنق شئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أرى أن ترحل
حتى ترى نواصى الخيل فقال والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك
عن ذلك فانصرفوا سراعا اه أى وعند انصرافهم أرسل أبو سفيان مع نفر يريدون المدينة
ان يخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بانهم اجمعوا على الرجعة فلما بلغوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك قال صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى
بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب أى وأرسل معبد الخزاعى
رجلا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصراف أبى سفيان ومن معه خائفين فانصرف الى
المدينة وظفر صلى الله عليه وسلم فى حمراء الاسد بابى عزة الشاعر الذى من عليه وقد أسر ببدر
من غير فداء لاجل بناته وأخذ عليه عهدا أن لا يقاتله ولا يكثر عليه جمعا ولا يظاهر عليه أحدا
كما تقدم فنقض العهد وخرج مع قريش لاحد وصار يستنفر الناس ويحرضهم على قتاله صلى

عليه وسلم الكعبة على باب الكعبة يذب الناس ولما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة جلس فى المسجد ومفتاح الكعبة فى يده فقام
اليه على رضى الله عنه فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه انما أعطيكم
ما تبذلون فيه أموالكم للناس أى وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم وفى رواية
ان العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان
ابن طلحة فدعى به فقال هاك
مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر
ووفاء وأنزل الله هذه الآية فى شأن
عثمان بن طلحة ان الله يأمركم ان
تؤدوا الامانات الى أهلها وروى
الازرقى وغيره عن مجاهد قال
نزلت هذه الآية فى عثمان بن طلحة
أخذ عليه الصلاة والسلام منه
مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح
فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان
فدفع المفتاح اليه وقال خذوها
أى الحجابة يا بنى أبى طلحة لا ينزعها
منكم الا ظالم قال وقال عمر رضى
الله عنه خرج صلى الله عليه وسلم من
الكعبة وهو يتلو هذه الآية
ما سمعته يتلوها قبل ذلك قال
السيوطى ظاهر هذا انها نزلت
فى جوف الكعبة وروى الازرقى
عن ابن المسيب خذوها خالدة
تالدة لا يظلمكموها الا كافر وفى
رواية عند ابن أبى شيبة عن عبد
الرحمن بن سابط انه صلى الله عليه
وسلم دفع المفتاح الى عثمان فقال
خذوها خالدة مخلدة انى لم أدفعها
اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا
ينزعها منكم الا ظالم وروى ابن سعد
وغيره عن عثمان بن طلحة رضى الله
عنه قال لقينى صلى الله عليه وسلم
بمكة قبل الهجرة فدعانى الى
الاسلام فقلت يا محمد العجب لك
حيث تطمع ان اتبعك وقد خالفت
دين قومك وجئت بدين محدث قال وكنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان
يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته فأغلظت له ونلت منه فحلم عنى ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى اضعه حيث
شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعنى ما دامت قريش انت لا تقدر على ذلك فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل
الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ما قال أى لانه كان معروفا بينهم بالصدق والامانة قال عثمان فأردت

الله عليه وسلم باشعاره كما تقدم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفلت فاسر ثم قيل ان
المشركين لما نزلوا بحمراء الاسد تركوه نائما فاستمر حتى ارتفع النهار وكان الذى أخذه عاصم
ابن ثابت وما أسر أحد من المشركين غيره فى تلك الوقعة وقيل أسره عمير بن عبد الله (وفى
النور) لا أستحضر أحدا فى الصحابة اسمه عمير بن عبد الله فلما جئ به اليه صلى الله عليه وسلم قال
يا محمد أقلنى وامنن على ودعنى لبناتى وأعطيك عهدا ان لا أعود لمثل ما فعلت فقال صلى الله عليه
وسلم لا والله لا تمسح عارضيك بمكة وفى لفظ تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفى لفظ
سحرت محمدا مرتين اضرب عنقه يا زبير وفى لفظ يا عاصم بن ثابت وفى لفظ يا زبير وقال صلى الله
عليه وسلم لا يلدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وفى لفظ لا يلسع المؤمن من جحر مرتين فضرب
عنقه (وذكر) ان رأسه حمل الى المدينة مشهورة على رمح قال بعضهم وهو أول رأس حمل فى
الاسلام أى ولا ينافيه ما قيل ان أول رأس حمل فى الاسلام رأس كعب بن الاشرف كما سيأتى
فى السرايا لامكان ان يراد أن رأس أبى عزة أول رأس حمل الى المدينة على رمح ولعل هذا
لا ينافى ما حكاه بعضهم أن عمرو بن الجموح كان رابع الاربعة الذين دخلوا على سيدنا عثمان
الدار وكان مع على كرم الله وجهه فى مشاهده فلما ولى معاوية رضى الله عنه فر هاربا الى
العراق فنهشته حية فدخل غارا ومات فأخبر بذلك زياد والى العراق فأرسل من حز رأسه
وأرسل به الى معاوية فكان أول رأس نقل فى الاسلام من بلد الى بلد (قال بعضهم) فى معنى
هذا المثل أى لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغى للمرء ان يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع
من غيره صلى الله عليه وسلم ومورده ان شخصا جرد سيفه وقصد النبى صلى الله عليه وسلم فضربه
ليقتله فأخطأت الضربة فقال كنت مازحا يا محمد فعفا عنه ثم عاد لمثل ذلك مرة أخرى وقال مثل
ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله وقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (وأمر) صلى الله عليه
وسلم فى ذلك المحل بقتل معاوية بن المغيرة بن أبى العاص وهو جد عبد الملك بن مروان لامه
وقد كان لجأ الى ابن عمه عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فانه لما رجع الكفار من أحد ذهب
على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم زوج عثمان
من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال ارسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت
اشتريته منه فجاء عثمان فلما نظر اليه قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن
أحد أمس بى رحما منك فأجرنى فادخله عثمان رضى الله عنه منزله وصيره فى ناحية ثم خرج عثمان
ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان فأشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها بانه
فى ذلك المكان فاخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضى
الله عنه والذى بعثك بالحق ما جئت الا لآخذ له أمانا فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم
صلى الله عليه وسلم ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد

الاسلام فاذا أنوى بزبرونى زبراشديدا فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتنى بالمفتاح فأتيته به ثم دفعه الىّ وقال خذوها يعنى سدانة البيت خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت نادانى فرجعت اليه فقال ألم يكن الذى قلت لك فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدى أضعه حيث شئت قلت بلى أشهد أنك رسول الله وفى تفسير الثعالبى بلا سند أن هذه الآية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فلوى علىّ يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك على رضى الله عنه فقال عثمان لعلى رضى الله عنهما اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على رضى الله عنه لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه اسلم قبل الفتح وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد وكذا قوله فى أول الحديث فلوى على يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فان ذلك كله منكر قال الزرقانى ولعله بفرض صحته وقع من ابن عمه شيبة لانه لم يكن أسلم بل كان بعده لا يخفى لانه لا يمكن من هو اجل منه منع شئ ولا قول شئ يومئذ والروايات السابقة هى التى صحت بها الاحاديث وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبى طلحة واسم أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب العبدرى وطلحة أبو عثمان قتل كافرا يوم أحد ويقال لعثمان الحجبى ولآل بيته الحجبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة قال الحافظ ابن حجر ان أبا طلحة له ولدان عثمان وطلحة فأتى عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان فلما مات عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة لان

فأقام معاوية ثلاثا يتسمع أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى بها قريشا فلما كان فى اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فادركه زيد ابن حارثة وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فرمياه حتى قتلاه وقد كان صلى الله عليه وسلم بعثهما اليه وقال لهما انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا فأى موضع بينه وبين المدينة ثمانية أميال فوجداه به فقتلاه وقيل تبعه على كرم الله وجهه فقتله وكان صلى الله عليه وسلم بعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم بالقوم بحمراء الاسد فقتلوهما فوجدهما صلى الله عليه وسلم قتيلين بحمراء الاسد فدفنهما فى قبر واحد ولا يأتى هنا الجواب المتقدم فى قتلى أحد وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بعد رجوعه الى المدينة بان الحرث بن سويد فى قباء فانهض اليه واقتص منه بمن قتله من المسلمين غدرا يوم أحد وهو المجذر وتقدم أنه بالذال المعجمة مشددة مفتوحة ابن ذياد وتقدم انه بكسر الذال المعجمة وفتحها وتخفيف المثناة تحت لان سويدا كان قد قتل ذيادا أبا المجذر فى الجاهلية فظفر المجذر بسويد والد الحرث فقتله فى أبيه وذلك قبل الاسلام وكان ذلك سببا لوقعة بعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحرث بن سويد وأسلم المجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحرث يطلب مجذرا يقتله بابيه فلم يقدر عليه كما تقدم فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحرث من خلفه فضرب عنقه قيل وقتل أيضا قيس بن زيد فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء فى وقت لم يكن يأتيهم فيه وهو شدة الحر فى يوم حار فخرج اليه الانصار من أهل قباء رضى الله عنهم ومنهم الحرث بن سويد وعليه ثوب مورس وفى لفظ فى ملحفة مورسة وفى لفظ فى ثوبين مضرجين وفى لفظ ممرضين فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عويم بن ساعدة بضرب عنقه أى فقال له قدم الحرث بن سويد الى باب المسجد واضرب عنقه وقيل أمر عثمان بن عفان بذلك فقدم ليضرب عنقه فقال الحرث لم يارسول الله فقال بقتلك المجذر بن ذياد وقيس بن زيد فما راجعه الحرث بكلمة فضرب عنقه قال وفى رواية ان الحرث قال والله قتلته أى المجذر وما كان قتلى اياه رجوعا عن الاسلام ولا ارتيابا فيه ولكن حمية من الشيطان وانى أتوب الى الله ورسوله مما عملت وأخرج ديته وأصوم شهرين متتابعين واعتق رقبة فلم يقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك انتهى ولم يذكر قتل قيس بن زيد ولعله اكتفى بذلك فى قتله الحرث ويعلم استحقاقه القتل بقتل قيس بن زيد بطريق اولى أى وكان فى هذه السنة الثالثة مولد الحسن بن على رضى الله عنهما وسماه حربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن أى لانه صلى الله عليه وسلم لما جاء قال أرونى ابنى ما سميتموه قال على حربا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم هو حسن وحنكه صلى الله عليه وسلم بتمر وكان فى هذه السنة تحريم الخمر وقيل كان تحريمها فى السنة الرابعة وهو محاصر بنى النضير وقيل كان تحريمها بين الحديبية وخيبر وقيل كان بخيبر قال صلى الله عليه وسلم الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة وفى رواية الكرمة والنخلة وفى

رواية

عثمان بن طلحة كان لا ولد له وبقى فى أولاد شيبة وهم الشيبيون قال العلامة الزرقانى وفى هذه الاخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن قال العلامة الشمس الحطاب المالكى المكى ولا التفات الى قول بعض المؤرخين ان عقبهم انقطع فى خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضى الله عنه لا يشرك مع الحجبة فى الخزانة أحد لانها ولاية منه صلى الله عليه وسلم ومالك ولد بعد هشام ابن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم فى زمانهما وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة وكذا ذكر العلامة القلقشندى وعاش الى احدى وعشرين وثمانمائة ولا دلالة لزاعم انقراضهم فى اخدام معاوية رضى الله عنه الكعبة عبيدا لان اخدامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم وكثيرا ما يقع فى كلام المؤرخين كالازرقى والفاكهى ذكر الحجبة ثم الخدمة عابيد على التغاير انتهى وقد تقدم الكلام على اسلام عثمان بن طلحة بن أبى طلحة فى قصة اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهم واما شيبة ابن عثمان بن أبى طلحة فاسلم عام الفتح وكان رضى الله عنه يحدث عن سبب اسلامه فيقول ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما عليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم صار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان أصيب من محمد غرة فاقتله فأكون أنا الذى قمت بثأر قريش كلها وفى لفظ اليوم ادرك ثأرى من محمد أى لان اباه وعمه وجملة من بنى عمه قتلوا يوم احد قتلهم حمزة وعلى وغيرهم رضى الله عنهم قال وقلت لو لم يبق من العرب والعجم أحد الا اتبع محمدا ماتبعته لا يزداد ذلك الامر عندى الا شدة فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته اصلت السيف ودنوت منه أريد الذى اريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الىّ شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه وفى رواية فلما هممت به حال بينى وبينه خندق من نار وسور من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك قال فالتفت الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذى اريد فنادانى يا شيبة

رواية الكرم والنخل كذا فى مسلم ولعل ذكر الكرم كان قبل النهى عنه والا ففى مسلم لا يقولن أحدكم للعنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم وفى رواية فان الكرم قلب المؤمن او قيل ذلك بيانا للجواز اشارة الى ان النهى للتنزيه وقد حرمت الخمر ثلاث مرات الاولى فى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر أى القمار قل فيهما اثم كبير فانه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون القمار فسألوه عن ذلك فنزلت الآية الثانية ان بعض الصحابة صلى باصحابه صلاة المغرب وهو سكران فخلط فى القراءة فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ثم أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فكف الناس عن شربها وقد جاء ان حمزة رضى الله عنه لما شربها قال للنبى صلى الله عليه وسلم ومن معه هل أنتم الا عبيد لابى أى ففى البخارى ان حمزة رضى الله عنه لما شرب الخمر خرج فوجد ناقتين لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه فعلاهما بالسيف وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما وجب سنامهما قال على كرم الله وجهه فنظرت الى منظر أفظعنى فاتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه زيد فانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة رضى الله عنه بصره وقال هل أنتم الا عبيد لابى فرجع النبى صلى الله عليه وسلم يقهقر حتى خرج وذلك قبل تحريم الخمر ولكون السكر كان مباحا لم يرتب على قول حمزة مقتضاه مع أن من قال لابى أنت عبدى أو عبد أبى كفر واعترض القول بانها فى السنة الرابعة بان أنس بن مالك كان ساقيا لما سمع المنادى بتحريمها أراقها وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه وانى لقائم اسقى أبا طلحة وفلانا وفلانا أى أبا أيوب وأبا دجانة ومعاذ ابن جبل وسهيل بن بيضاء وأبى بن كعب وأبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم اذ جاء رجل وقال هل بلغكم الخبر قالوا وما ذاك قال حرمت الخمر قالوا اهرق هذه القلال يا أنس فأهرقت وفى لفظ قال أنس رضى الله عنه فقمت الى مهراس فضربتها بأسفله حتى تكسرت وفى مسلم عن أبى طارق رضى الله عنه انه قال يارسول الله انما اصنعه أى الخمر للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء واراقة الخمر حينئذ مع انها كانت مباحة فهى محترمة تغليظ وتوكيد للتحريم وفطم للنفوس لان اراقتها لم تكن بامر منه صلى الله عليه وسلم وسئل الحافظ السيوطى رحمه الله عن حكمة رجوعه صلى الله عليه وسلم القهقرى فاجاب بانه لعله كان من خوف الوثوب عليه ارشادا لمن يخاف الوثوب أو كان مقصوده صلى الله عليه وسلم مداومة لحظه أو ان الراوى أراد بالقهقرى مطلق الرجوع الى المنزل لا بالظهر وأنس رضى الله عنه لم يكن خادما للنبى صلى الله عليه وسلم حينئذ أى فى السنة الرابعة بل بعدها وحينئذ يكون القول بأن كونه فى الثالثة اشكل واشكل من هذا ما حكاه ابن هشام فى قصة الاعشى بن قيس انه خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فلما كان بمكة اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن

لدن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو في الساعة صار أحب الي من سمعي وبصري وأذهب الله ما كان في ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم اني أحب أن أقيه بنفسي وكل شيء ولو كان أبي حيا ولقيته تلك الساعة لأوقعت السيف به فجعلت ألزمه فيمن لزمه أي ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد وقربت اليه بغلته فاستوى عليها قائما ٢٩٠ وجاء في رواية عن شيبة بن عثمان الحجبي رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله

أمره فاخبره انه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له يا أبا نصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله ان ذلك لأمر مالي فيه من ارب فقال انه يحرم الخمر فقال الاعشى اما هذه ان في النفس منها العلالات ولكني منصرف فأروى منها عامي هذا ثم آتيه فاسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد الى النبي صلى الله عليه وسلم هذا كلامه لما علمت ان الخمر لم تحرم بمكة وانما حرمت بالمدينة في السنة الثالثة أو الرابعة وأجاب بعضهم بان الاعشى أراد المدينة فاجتاز بمكة فعرض له بعض كفار قريش واعترض بانه قيل ان القائل له ذلك أبو جهل لعنه الله وكان في دار عتبة بن ربيعة وأبو جهل قتل ببدر في السنة الثانية واجيب بانه على تسليم صحة ذلك بانه يجوز ان يكون أبو جهل لعنه الله قصد صد الاعشى عن الاسلام بطريق التقول والافتراء لانه كان يعرف ميل الاعشى الى الخمر وعدم صبره على تركها فاختلف هذا القول من عنده ليمنعه بذلك عن الاسلام (أقول) لما حرمت الخمر قال بعض القوم قتل قوم وهي في بطونهم أي لان جماعة شربوها صبح يوم احد وقتلوا من يومهم شهداء فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وكون أنس رضي الله عنه لم يكن خادما للنبي صلى الله عليه وسلم الا بعد السنة الرابعة يخالف ما سبق أن عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه ليخدمه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم ثم أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر وتقدم الجمع بين كون الآتي به أبا طلحة والآتي به أمه وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طلحة التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني حين اخرج الى خيبر فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم يأمر أنسا بالخروج معه الى خيبر لظنه ان أمه لا تسمح له بذلك فلما قال لابي طلحة ما ذكر جاء اليه بانس رضي الله تعالى عنه والله أعلم

غزوة بني النضير

وهم قوم من اليهود بالمدينة وفي كلام بعضهم بنو النضير هؤلاء حي من يهود خيبر أي وقريتهم كان يقال لها زهرة كانت تلك الغزاة في ربيع الاول أي من السنة الرابعة وقيل كانت قبل وقعة أحد قال وبه قال البخاري قال ابن كثير والصواب ايرادها بعد أحد كما ذكر ذلك ابن اسحق وغيره من أئمة المغازي انتهى أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيء لحرب بني النضير والسير اليهم واختلف في سبب ذلك فمن جملة ما قيل انه ذهب اليهم ليسألهم كيف الدية فيهم أي لانه كان بينهم وبين بني عامر قبيلة الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري عند رجوعه

صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوالله اني لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قلت يارسول الله اني لأرى خيلا بلقا قال ياشيبة انه لايراها الا كافر فضرب بيده على صدري ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدري الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب الي منه ولما انقضى القتال ورجع صلى الله عليه وسلم الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه مادخل عليه غيري حبا لرؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وسرورا به فقال ياشيبة الذي أراد الله خير مما اردت بنفسك ثم حدثني بكل ما أضمرته في نفسي مما لم أذكره لاحد قط فقلت اني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله ثم قلت له استغفر لي فقال غفر الله لك وجاء ان بلالا رضي الله عنه أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين وكان أبو سفيان وعتاب بن أسيد وفي رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحرث بن هشام وغيرهم جلوسا بفناء الكعبة فقال عتاب ابن أسيد أو خالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحرث بن هشام أما والله لو أعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره وفي رواية انه قال اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال بعض بني سعيد بن العاص لقد أكرم الله سعيدا اقبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وقال الحكم بن أبي العاص والله ان هذا الحدث عظيم عبد بني جمح يصيح على بنية أبي طلحة وقال أبو سفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمت الذي قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال أما أنت يافلان فقلت كذا وأما أنت يافلان

فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا فقال أبو سفيان أما أنا يارسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحرث بن هشام وعتاب بن أسيد وخالد بن أسيد نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك وصار بعض من قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم ٢٩١ فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول

من بئر معونة غيلة حاف وعقد وقيل ذهب اليهم ليستعين بهم في دية الرجلين المذكورين أي وكان صلى الله عليه وسلم أخذ العهد على اليهود ان يعاونوه في الديات وقيل لاخذ دية الرجلين منهم لان بني النضير كانوا حلفاء لقوم الرجلين المذكورين وهم بنو عامر كذا في الاصل فليتأمل فان فيه أخذ الدية من حلفاء المقتول وسار اليهم صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه أي دون العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم فقالوا له نعم يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان صلى الله عليه وسلم جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحد ساداتهم انا لذلك أي وهو عمرو بن جحاش وقال لهم سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه فلما صعد ذلك الرجل ليلقي الصخرة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مظهرا انه يقضي حاجته وترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا في طلبه صلى الله عليه وسلم لما استبطؤه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه حتى انتهوا اليه فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أرادت بنو النضير وقد أشار الى ذلك الامام السبكي في تائيته بقوله

وجاءك وحي بالذي اضمرت بنو النضير وقد هموا بالقاء صخرة

أي وفي رواية لما رأوا قلة أصحابه صلى الله عليه وسلم قالوا نقتله ونأخذ أصحابه اسارى الى مكة فنبيعهم من قريش أي ولا مانع من وجود الامرين وقيل السبب في خروجه صلى الله عليه وسلم اليهم انهم أرسلوا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فلما غدا عليهم في ثلاثين من أصحابه قال بعضهم لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون كل يحب انه يموت قبله فأرسلوا اليه ان اخرج في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك اتبعناك ففعل واشتملت اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير لاخ لها مسلم تعلمه بذلك فاعلم أخوها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فرجع ولا مانع من وجود ذلك مع ما تقدم لكن في السيرة الشامية ان خبر ذلك بلغه قبل وصوله اليهم فرجع فبينما بنو النضير على ذلك أي على ارادة القاء الحجر والتهيء لالقائه اذ جاء من اليهود من المدينة فقال لهم ما تريدون فذكروا له الامر فقال لهم أين محمد قالوا هذا محمد فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فاسقط في أيديهم وقالوا قد اخبر بأمرنا فارسل اليهم محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه ان اخرجوا من بلدي يعني المدينة لان قريتهم من أعمالها فلا تساكنوني بها فقد هممتم بما هممتم به من الغدر أي وأخبرهم بما هموا به من ظهور عمرو ابن جحاش على ظهر البيت ليطرح الصخرة فسكتوا ولم يقولوا حرفا فقال ويقول لكم قد اجلتكم عشرا فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذلك لا ينافي ما تقدم

الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبي والله ايمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وامره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ست عشرة سنة وأولاده بعده كانوا يتوارثون الاذان بمكة ويروى ان جويرة بنت أبي جهل قالت عند اذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الاحبة أبدا ولقد جاء لابي الذي جاء محمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ثم أسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها * وممن جاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب ابن عبد الله المخزومي وقيل عبد الله ابن السائب وقيل السائب بن عويم وقيل قيس بن السائب بن عويم وكان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم قال لما أسلمت أخذ عثمان وغيره يثنون علي فقال صلى الله عليه وسلم لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك أي لتوقفها على الاسلام وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال نعم فضالة يارسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضي الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحب الي منه وفي سيرة ابن هشام قال فضالة فرجعت الى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها

فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة رضى الله عنه يقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى علىّ الله والاسلام

لو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس فى المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضى الله عنه وجاء بابيه عثمان ويكنى بابى قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه وفى لفظ لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه تكرمة لابى بكر رضى الله عنه فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه فاجلسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فاسلم ولم يعش لابى قحافة ابن ذكر الا أبو بكر رضى الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه باسلام أبيه وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام أبى طالب كان أقر لعينى من اسلامه يعنى أباه أبا قحافة وذلك ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينك وكان رأس أبى قحافة رضى الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب فقال صلى الله عليه وسلم غيروهما وجنبوه السواد وكانت أم أبى بكر بنت عم أبيه أسلمت قديما حين أسلم أبو بكر رضى الله عنه واخته ام فروة رضى الله عنها أسلمت أيضا وأبناؤه وبناته قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه واخته وجميع أولاده وبناته غير أبى بكر رضى الله عنه وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضى الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة أسماء وهى أكبرهن وهى شقيقة عبد الله وعائشة وهى شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم مات أبو بكر رضى الله عنه وهى فى بطن امها وأخبر بانها انثى قبل وفاته وهى حمل فى بطن امها حيث قال لعائشة رضى الله عنها انما هما اخواك واختاك ولم تكن تعلم ان لها اختا غير اسماء رضى الله عنها فسألته عن ذلك فاشار الى الحمل المذكور وقال أراها انثى فكان ذلك من كراماته

من ارادة قتله أيضا قيل وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ولا ينافى ذلك ما تقدم من نزولها فى حق دعثور فى غزوة ذى امر لجواز تكرار النزول فأرسلوا فى احضار الابل فأرسل اليهم المنافقون أن لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم ان قوتلتم فلكم علينا النصر وان أخرجتم لن نتخلف عنكم خصوصا عبد الله بن أبى ابن سلول لعنه الله فانه أرسل لهم لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قال ابن أبى فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وقال حاربت يهود قال والمتولى أمر ذلك سيد بنى النضير حيى بن أخطب والد صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد نهاه أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم وقال له منتك نفسك والله يا حيى الباطل فان قول ابن أبى ليس بشئ وانما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك ألا ترى انه أرسل الى كعب بن اسد القرظى سيد بنى قريظة ان تمدكم بنو قريظة فقال له لا ينقض رجل واحد منا العهد فأيس من بنى قريظة وأيضا قد وعد حلفاءه من بنى قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم فى صياصيهم أى حصونهم وانتظروا ابن أبى فجلس فى بيته وسار اليهم محمد حتى نزلوا على حكمه فاذا كان ابن أبى لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الاوس فى حروبهم أى فانه اذا كان بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس فكيف يقبل قوله فقال حيى تأبى الا عداوة محمد والا قتاله قال سلام فهو والله جلاؤنا من ارضنا وذهاب أموالنا وشرفنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فأبى حيى الا محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له بنو النضير أمرنا لامرك تبع لن نخالفك فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكر اه فتهيأ الناس لحربهم فلما اجتمع الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وحمل رايته على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسار بالناس حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة أى وفى كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه رضى الله عنهم بالمسير الى بنى النضير فسار بهم اليهم فوجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف أى الآتى قتله فى السرايا قالوا يا محمد داعية اثر داعية وباكية اثر باكية ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر أمرك فقال صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا من المدينة قالوا الموت أهون من ذلك ثم تبادروا بالحرب هذا كلامه قال ولما جاء وقت العشاء رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فى عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرس واستعمل على العسكر على بن أبى طالب ويقال أبا بكر وبات المسلمون

يحاصرونهم

رضى الله عنه وقد ذكر جملة من المفسرين ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى انعمت علىّ وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون قال بعضهم لا يعرف فى الصحابة أربعة متناسلون اسلموا وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم وكل واحد ابو الذى بعده الا فى بيت أبى بكر رضى الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ومن اثبت غير ذلك كزيد ابن حارثة وأبيه حارثة أى فانه أسلم وابنه اسامة بن زيد وابن اسامة فقد نوزع فى ثبوت ان ابن اسامة رآه النبى صلى الله عليه وسلم فاما أبو بكر رضى الله عنه وأهل بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم وبقى من الاصنام التى كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة وكان من صفر وفى رواية من نحاس موتدا باوتاد من حديد الى الارض فامر النبى صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ان يرميه فرمى به وكسره وجعل أهل مكة يتعجبون وروى الحاكم عن على رضى الله عنه قال انطلق بى صلى الله عليه وسلم حتى أتى بى الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد على منكبى ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست ثم قال يا على اصعد على منكبى ففعلت فلما نهض بى خيل لى انى لو شئت نلت افق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى صلى الله عليه وسلم فقال ألق صنمهم الاكبر وعالجه قال فلم أزل اعالجه حتى استمكنت منه فالقيته وقد أجاد القائل

يا رب بالقدم التى أوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما

وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما

ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما

واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة أى بحسب زعمهم وكانت تماثيل على صور شتى فامر بها فاخرجت وفى رواية أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة

يحاصرونهم ويكبرون حتى أصبحوا ثم أذن بلال بالفجر فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس وأمر بلالا فضرب القبة وهى قبة من خشب عليها مسوح فدخل صلى الله عليه وسلم فيها وكان رجل من يهود يقال له غزول وكان أعسر راميا يبلغ نبله ما لا يبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبة فأمر بها فحولت وفى ليلة من الليالى فقد على رضى الله تعالى عنه قرب العشاء فقال الناس يا رسول الله ما نرى عليا فقال دعوه أى اتركوه فانه فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس الرجل الذى يقال له غزول الذى وصل نبله قبته صلى الله عليه وسلم كمن له على حين خرج يطلب غرة من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفر من كان معه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على أبا دجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فأدركوا أولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول وفروا من على فقتلوهم انتهى وذكر بعضهم ان أولئك الجماعة كانوا عشرة وانهم أتوا برؤسهم فطرحت فى بعض الآبار وفى هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى ان عليا هو القاتل لاولئك العشرة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل أى وبحرقها بعد ان حاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل عشرين ليلة وقيل ثلاثا وعشرين ليلة وقيل خمسا وعشرين ليلة وكان سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى تلك المدة يحمل التمر للمسلمين أى يجاء به من عنده قال واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قطع النخل أبا ليلى المازنى وعبد الله بن سلام وكان أبو ليلى يقطع العجوة وعبد الله يقطع اللين أى ويقال له اللون وهو ما عدا العجوة والبرنى من أنواع التمر بالمدينة ومن أنواع تمر المدينة الصيحانى وجاء عن على كرم الله تعالى وجهه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاحت نخلة باخرى هذا النبى المصطفى وعلى المرتضى فقال صلى الله عليه وسلم يا على انما سمى نخل المدينة أى هذا النوع صيحانيا لانه صاح بفضلى وهو حديث مطعون فيه قيل انه كذب والبرن بالفارسية حمل مبارك أو جيد وفى شرح مسلم للنووى انها مائة وعشرون نوعا أى وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى ان أنواع التمر بالمدينة التى امكن جمعها بلغت مائة وبضعا وثلاثين نوعا ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها أكثر مما ذكره النووى قال ولعل ما زاد على ما ذكره حدث بعد ذلك أى واما أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازى ارسل الى عالم سجلماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة فارسل اليه حملا أو حملين من كل نوع تمرة واحدة وكتب اليه هذا ما تعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم رأيت فى نشق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتونى وهو أخضر اللون واحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر وكانت العجوة خير اموال بنى النضير أى لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذى احسن غذاء أى وتقدم ان آدم نزل بالعجوة من الجنة وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه فى ذلك اليوم سم ولا سحر أى وقد جاء فى عجوة العالية شفاء وانها ترياق اول البكرة من تصبح بسبع تمرات عجوة

فيهم وكل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور فكان عمر رضى الله عنه هو الذى أخرجها وأخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل
عليهما السلام فى أيديهما الازلام التى كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أما والله لقد علموا انهما لم
يستقسما بها قط وفى رواية عن جابر رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام فلما دخل صلى الله عليه
وسلم رآها فقال يا عمر ألم آمرك ان لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم

فقال امسحوا ما فيها من الصورة
قاتل الله قوما يصورون
مالا يخلقون وفى رواية اسامة بن
زيد رضى الله عنهما انه صلى الله
عليه وسلم دخل الكعبة فرأى
صورا فدعا بماء فجعل يمحوها
وهو محمول على انه بقيت بقية
خفيت على من محاها أولا وذكر
بعضهم ان صورة عيسى وامه
بقيتا أو بقى بعض أثرهما حتى
رآهما بعض من أسلم من نصارى
غسان فقال انكما لبلاد عربية
فلما هدم ابن الزبير رضى الله
عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما أثر
ثم نادى منادى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يدع فى
بيته صنما الا كسره فكسروا
الاصنام التى كانت فى بيوتهم
وعمدت هند بنت عتبة رضى الله
عنها الى صنم كان فى بيتها وجعلت
تضربه وتقول كنا منك فى غرور
ثم بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم السرايا الى كسر الاصنام
التى حول مكة لانهم كانوا اتخذوا
لهم اصناما جعلوا لها بيوتا
يعظمونها ويهدون لها ويطوفون
بها كما يطوفون بالكعبة فكان
فى كل حى صنم فمنها العزى ومناة
وسواع وسيأتى ذكر السرايا اليها
ولما كان الغد من يوم الفتح عدت
خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الى ابن
الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس
والقمر ووضع هذين الجبلين فهى حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دما ولا يعضد فيها شجرة
لم تحل لاحد كان قبلى ولم تحل لاحد يكون بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة يعنى من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها الا قد

لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر أى وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر أكبر من
الصيحانى تضرب الى السواد وهو مما غرسه النبى صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالمدينة أى
وقد علمت انها فى نخل بنى النضير وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اهبط آدم
من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا
والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وروى عن ابن عباس وعائشة وأبى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق اول البكرة وعليكم بالتمر
البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله هذا كلام العرائس وفى حديث وفد
عبد القيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك وذكر البرنى أنه من خير تمركم وأنه دواء
وليس بداء وجاء بيت لا تمر فيه جياع اهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء
الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل أى وذلك البعض الذى حرق كان بمحل يعرف بالبويرة
اه أى والبويرة تصغير بورة وهى هنا الحفرة ويقال لها البويلة باللام بدل الراء وعند ذلك
نادوه أى يا محمد وفى رواية يا أبا القاسم قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال
قطع النخل وتحريقها أى وفى رواية ما هذا الفساد وفى لفظ قالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح
أفمن الصلاح قطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الارض وقالوا
للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون وحينئذ رفع فى نفوس بعض المسلمين من ذلك
شئ فأنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين
أى فى قولهم ان ذلك من الفساد قال بعضهم جميع ما قطعوا وحرقوا ست نخلات ولا زال عبد الله
ابن أبى ابن سلول يبعث لبنى النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم
خرجنا معكم أى ومعه على ذلك جمع من قومه فانتظروا ذلك فخذلهم ولم يحصل لهم منه شئ أى
وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحيى أين نصر ابن أبى الذى زعمت فيقول
حيى ما اصنع هى ملحمة كتبت علينا ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حصارهم وقذف الله
فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم
ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة أى آلة الحرب ففعل فاحتملوا النساء والصبيان وحملوا
من أموالهم غير الحلقة ما استقلت به الابل وكانت ستمائة بعير فكان الرجل يهدم بيته عما
استحسن من خشبة كبابه وكشباك به أى اسكفته ٥ فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به أى وفى
لفظ صاروا ينقضون العهد والسقوف وينزعون الخشب حتى الاوتاد وينقضون الجدران
حتى لا يسكنها المسلمون حسدا وبغضا وفى رواية جعل المسلمون يهدمون ما يليهم من حصنهم
ويهدم الآخرون ما يليهم قال وفى رواية انهم خرجوا مظهرين التجلد خرجت النساء على
الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الاخضر والاحمر وحلى الذهب والفضة
وخلفهم القيان بالدفوف والمزامير ومنهم سلمى أم وهب وقال ابن اسحق أم عمرو صاحبة عروة

رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا
له ان الله تعالى قد أحلها لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جاء فى صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة
ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا افدم قاتله وان شاؤا انعقله ثم ودى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الذهلى وكان مع بنى بكر فلما دخل مكة وهو على شركه
عرفته خزاعة فأحاطوا به فقطعه
منهم خراش الخزاعى بمشقص فى
بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه
وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما
بكافر لقتلت خراش والمشقص
ما طال من النصل وعرض وقال
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى
مكة بعد اليوم الى يوم القيامة
أى لا تغزى على الكفر أى
لا يقاتلوا على أن يسلموا واختلف
العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة
صلحا أو عنوة فقال الاكثرون
انها فتحت عنوة وقال الشافعى
وأحمد فى رواية عنه انها فتحت
صلحا وجمع بعضهم بين الروايات
بان أعلاها فتح صلحا أى الذى
سلكه النبى صلى الله عليه وسلم
وأسفلها فتح عنوة أى الذى سلكه
خالد بن الوليد رضى الله عنه ولما
قرب صلى الله عليه وسلم من دخول
مكة أى قبل أن يدخلها بيوم قال
له اسامة بن زيد رضى الله عنهما
يا رسول الله أين تنزل غدا زاد فى
رواية أتنزل فى دارك فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا
عقيل من منزل وفى رواية وهل
ترك لنا عقيل من رباع أو دور
وكان عقيل ورث أبا طالب هو
وأخوه طالب ولم يرث جعفر ولا
على معهما شيأ لانهما كانا مسلمين
وترك لهما النبى صلى الله عليه وسلم
ما يخصه تفضلا واستمالة وتأليفا لهما وقيل تصحيحا للتصرفات الجاهلية كما تصحح أنكحتهم ثم ان عقيلا أسلم وأما طالب ففقد ببدر
وكان مع المشركين وقيل اختطفته الجن وفى رواية للبخارى قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله مكة الخيف وفى رواية
بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينا كحوهم
ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانما اختار صلى الله عليه وسلم النزول فى ذلك الموضع ليتذكر

ابن الورد الذى قيل فيه من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد أغار عروة على
قومها فسباها ثم اتخذها حليلة له فجاءت منه بأولاد ثم ان بعض بنى النضير اشتراها من عروة
بعد ان سقاه الخمر ثم لما أفاق ندم ثم اتفق هو ومن اشتراها على أن تكون عند من تختاره فخيرها
فاختارت من اشتراها وقيل ان قومها جاؤا اليه بفدائها فخيرها وكان لا يظن أن تختار عليه
احدا فاختارت قومها فندم وعند مفارقتها له قالت له والله ما اعلم امرأة من العرب أرخت
سترا على بعل مثلك اغض طرفا ولا أندى كفا ولا أغنى غناء وانك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف
على ظهور الخيل ثقيل على متون الاعداء واحنى الاهل والجار وما كنت لاوثر عليك اهلى لولا
انى كنت أسمع بنات عمك يقلن قالت أم عروة وفعلت أم عروة فاجد من ذلك الموت والله
لا يجامع وجهى وجه احد من أهلك فاستوص ببنيك خيرا ثم تزوجت فى بنى النضير وشقوا
سوق المدينة وصف لهم الناس فجعلوا يمرون قطارا فى اثر قطار وان سلام بن ابى الحقيق رافع
جلد جمل أى او ثور أو حمار مملوء حليا وينادى باعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها
وان كنا تركنا نخلا ففى خيبر النخل وحزن المنافقون لخروجهم اشد الحزن انتهى وهذا الحلى
كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكة وغيرهم وكان يكون عند آل أبى الحقيق وسيأتى فى غزوة
خيبر انه صلى الله عليه وسلم عبر عن هذا الحلى بالآنية والكنز وانه كان سببا لقتل ولدى ابى
الحقيق لما كتماه عنه صلى الله عليه وسلم فمنهم من سار الى خيبر أى ومن جملة هؤلاء اكابرهم
حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن أبى الربيع بن أبى الحقيق فلما نزلوا خيبر
دان لهم اهلها ومنهم من سار الى الشام أى الى اذرعات وكان فيهم جماعة من ابناء الانصار لان
المرأة من الانصار كان اذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها ان عاش لها ولد تهوده فلما أجليت
بنو النضير قال آباء أولئك لا ندع ابناءنا وأنزل الله تعالى لا اكراه فى الدين وهى مخصوصة بهؤلاء
الذين تهودوا قبل الاسلام والا فاكراه الكفار الحربيين على الاسلام سائغ ولم يسلم من بنى
النضير الا رجلان أى وهما يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب قال أحدهما لصاحبه والله انك لتعلم
انه رسول الله فما ننتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا فنزلا من الليل واسلما ٥ فأحرزوا
أموالهما أى وجعل يامين لرجل من قيس جعلا أى وهو عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من
تمر على قتل عمرو بن جحاش الذى أراد أن يلقى الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله غيلة
أى بعد ان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى
فسر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل فى أمر بنى النضير سورة الحشر ولذلك كان يسميها
ابن عباس رضى الله عنهما سورة بنى النضير كما فى البخارى وفى كلام السبكى رحمه الله لم يختلفوا
ان سورة الحشر نزلت فى بنى النضير وقد أشار لقصتهم صاحب الهمزية بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الا على السفيه الشقاء
ونهيتم وما انتهت عنه قوم * فأبيد الامار والنهاء

ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرا غالبا على رغم من سعى فى اخراجه منها ومبالغة فى الصفح عن الذين أساؤا ومقابلتهم بالمن والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعن جابر رضى الله عنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته أى التى ضربت له بعد وقال هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضى الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا مكة فى خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك أيضا صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فعن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بذلك المحصب وبعد ان فتح الله مكة جاء صلى الله عليه وسلم الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء وقد أحدقت به الانصار فقال بعضهم لبعض أما الرجل فقد أدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته فنزل عليه الوحى بما ذكر القوم فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يا معشر الانصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يا رسول الله قال فما اسمى اذن ان فعلت ذلك كيف اسمى وأوصف بانى عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك انى عبد الله ورسوله أى من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فأقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن أى البخل بالله ورسوله أى لا نسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير بلدنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم أى يقبلان عذركم ويصدقانكم وفى رواية ان الانصار قالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وتقدم له صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة نظير ذلك وهو ان الانصار قالوا يا رسول الله هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك

أسلموهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء * سكن الرعب والخراب قلوبا وبيوتا منهم نعاها الجلاء

اى وخدعهم قول المنافقين انهم يكونون معهم وينصرونهم على النبى صلى الله عليه وسلم ومابروج الشقاء الاعلى السفيه والمراد بالمنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول ومن كان معه على النفاق لانه كما تقدم لا زال يرسل لهم ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم ونهاهم عن موافقته سلام بن مشكم فلم ينتهوا أسلمهم أولئك المنافقون لاول الحشر وهو أى الحشر جلاؤهم وخروجهم من ديارهم فميعادهم لهم بأن ينصروهم على النبى صلى الله عليه وسلم غير صادق وكذا حلفهم لهم على ذلك غير صادق أيضا ذكر موسى بن عقبة انهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها فلذلك قال لاول الحشر والحشر الجلاء وقيل المراد بالحشر أرض المحشر فانهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعنى أرض المحشر والحشر الثانى هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف وقيل الحشر الثانى لهم كان على يد سيدنا عمر رضى الله عنه اجلاهم من خيبر الى تيماء وأريحاء وسيأتى ذكره وسكن الرعب وهو خشية انتقامه صلى الله عليه وسلم منهم قلوبهم وسكن الخراب بيوتهم وقد أخبر تلك البيوت بموت أهلها خروجهم وجلاؤهم من أرضهم وأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب وهم بنو النضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أى فى خذلانكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين ووجد صلى الله عليه وسلم من الحلقة أى آلة السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفا ولم يخمس ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى كما خمس أموال بنى قينقاع قال وقد قال له عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله الا تخمس ما أصبت أى كما فعلت فى بنى قينقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجعل شيأ جعله الله لى دون المؤمنين بقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية كهيئة ما وقع فيه السهمان ه أى فكان أموال بنى النضير وعقارهم فيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وتقدم التنبيه على ذلك فى غزوة بنى قينقاع وفسرت القرى بالصفراء ووادى القرى أى ثلث ذلك كما فى الامتاع وينبع وفسرت القرى ببنى النضير وخيبر أى بثلاث حصون منها وهى الكتيبة والوطيح وسلالم كما فى الامتاع وفدك أى نصفها كما فى الامتاع ذكره الرافعى فى شرح مسند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه (أقول) قال بعضهم وهذا أول فئ حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما تقدم فى غزوة بنى قينقاع الا ان يقال المراد أول فئ اختص به صلى الله عليه وسلم ولم يقسمه قسمة الغنيمة على ما تقدم ثم دعا الانصار الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين من انزالهم فى منازلهم وايثارهم

وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية قبل أن يسلم خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها فى أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخارى يقصر الصلاة فى مدة اقامته بها لانه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لمحاربته وولى مكة عتاب بن أسيد بن أبى العيص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان عمره احدى وعشرين سنة وفى رواية ان عمره كان ثمانى عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الفرائض والسنن وجعل رزق عتاب كل يوم درهما فكان رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم وفى رواية انه خطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم درهما فلا حاجة لى الى أحد وبقى على عمله الى آخر خلافة الصديق رضى الله عنه وتوفى فى اليوم الذى توفى فيه الصديق رضى الله عنه وقيل بل استعمله عمر رضى الله عنه وعاش الى سنة احدى وعشرين وكانت وفاته فى خلافة عمر رضى الله عنه وانما استعمله النبى صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان رأى فى المنام ان أسيدا والده ولى على مكة مسلما فمات كافرا فكان تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب رضى الله عنه حين أسلم وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قال له انطلق فقد استعملتك على أهل الله قال ذلك ثلاثا وفى رواية قال له يا عتاب أتدرى على من استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضى الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلق الباب

وايثارهم على أنفسهم باموالهم ثم قال لهم ان اخوانكم المهاجرين ليس لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال أى التى أفاء الله على وخصنى بها مع أموالكم بينكم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت وفى رواية ان أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى منازلكم وأموالكم أى الارض والنخل لانه لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شئ وكان الانصار أهل الارض والعقار أى النخل فآثروهم بمتاع من أشجارهم فمنهم من قبلها منيحة محضة ويكفونه العمل ومنهم من قبلها بشرط ان يعمل فى الشجر والارض وله نصف الثمار ولم تطب نفسه ان يقبلها منيحة محضة لشرف نفوسهم وكراهتهم ان يكونوا كلا وان أحببتم اعطيتهم أى وخرجوا من دوركم أى وأموالكم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا بل نحب ان نقسم ديارنا وأموالنا على المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وعشائرهم وخرجوا حبا لله ولرسوله ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار زاد فى رواية وأبناء ابناء الانصار وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه جزاكم الله يا معشر الانصار خيرا أى وأنزل الله تعالى فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أى ولو كان بهم فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بين المهاجرين أى وفى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يعم المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار الا رجلين كانا محتاجين أى وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة رضى الله عنهما وبعضهم ضم اليهما ثالثا وهو الحرث بن الصمة ونظر فيه بعضهم بانه قتل فى بئر معونة واعطى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ سيف بن أبى الحقيق أحد سادات بنى النضير وكان سيفا له ذكر عندهم وكان صلى الله عليه وسلم يزرع أرضهم التى تحت النخل فيدخر من ذلك قوت أهله سنة وما فضل يجعله فى الكراع أى الخيل والسلاح عدة فى سبيل الله تعالى (أقول) فيه تصريح بانه لم يقسم الارض ويحتمل ان المراد بقوله كان يزرع ارضهم التى تحت النخل أى بعض أرضهم ويدل له ما يأتى ولم أقف على كيفية زرعه صلى الله عليه وسلم للارض من مزارعة أو غيرها وفى الخصائص الكبرى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كان نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة اعطاه الله تعالى اياه وخصه بها فأعطى اكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وهذا السياق يدل على ان مراده بنخل بنى النضير اموالهم كما تقدم فى الروايات لا خصوص النخل ثم رأيت فى عبارة بعضهم واكثر الروايات على ان اموال بنى النضير أى من مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة له خصه الله تعالى بها لم يخمسها ولم يسهم منها لاحد وأعطى منها ما أراد ووهب العقار للناس وأعطى أبا بكر

ففقاها فاقلة الاشد يداحتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم قال ابن الجوزى انما استعمل صلى الله عليه وسلم عتابا حين أراد الخروج الى حرب هوازن وفى كلام غيره ان ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة حين أراد صلى الله عليه وسلم الذهاب الى المدينة ولا تخالف لاحتمال أن يراد انه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع الى المدينة وكان لعتاب رضى الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش حضر وقعة الجمل مع على رضى الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار الامام البوصيرى لبعض ماوقع فيها فقال

صرعت قومه حبائل بغى ... مدها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا ... ل وللخيل فى الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوافى الـ ... طعن منها ماشأنه الايطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا ... ظن أن الغدو منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى ... دون اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا ... مل منها الاكفاء والافواء
فدعوا أحلم البرية والعفـ ... ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش ... قطعتها التراث والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصـ ... ـه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله ... تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه ... من سواه الملام والاطراء
ولو أن انتقامه لهوى النفـ ... ـس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فأرضى الله ... منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينـ ... ـضح الا بما حواه الاناء

وقد أجاد العلامة أبو محمد عبد الله بن أبى زكريا يحيى بن على الشقراطسى حيث يقول فى قصيدته الشهورة بعد ما ساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتا فى قصة الفتح لانهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيه وهذه يوم استيلائه على مكة التى هى من أشرف البقاع ويوم عزه فى بلاده التى أوذى فيها ودخل الناس فى دين الله أفواجا فقال

ويوم مكة اذ أشرفت فى أمم * تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها * فى قاتم من عجاج الخيل والابل

وعمرو وعبد الرحمن بن عوف وصهيبا وأبا سلمة بن عبد الاسد ضياعا معروفة من ضياع بنى النضير ولعل المراد بالضياع الاراضى ويدل لذلك ما فى البخارى اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ارضا من اراضى بنى النضير كان ذلك هو المراد بقول الامتاع وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها حبسا النوائبه وكان صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منها وكانت صدقاته منها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون اعطى بعض اراض وأبقى بعضها يزرع له صلى الله عليه وسلم ولما اعطى المهاجرين امرهم برد ما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم ذلك وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها وظنت أم أيمن ان ذلك ملك لها فامتنعت من رده أى لان أم أنس كانت اعطته صلى الله عليه وسلم نخلات فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أيمن ولم ينكر عليها ذلك تطييبا لقلبها لكونها حاضنته وصار يعطيها وهى تمتنع من رده الى ان أعطاها عشرة أمثاله أو قريبا من ذلك وذكر هذا فى بنى النضير يخالف ما فى مسلم ان ذلك كان عند فتح خيبر حيث ذكر انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التى كانوا منحوهم من ثمارها وذكر قصة أم أيمن فليتأمل والله أعلم

﴿غزوة ذات الرقاع﴾

أى وتسمى غزوة الاعاجيب أى لما وقع فيها من الامور العجيبة وغزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى انمار عن ابن اسحق رحمه الله ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الاول وقال غيره شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة حين بلغه صلى الله عليه وسلم انهم جمعوا الجموع أى من غطفان لمحاربته فخرج صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة من أصحابه رضى الله عنهم أى وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة ه أى واحتج البخارى رحمه الله على ان هذه الغزاة كانت بعد خيبر بما رواه عن أبى موسى رضى الله عنه مما يدل على ان أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وهو خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر بيننا بعير فنقبت أقدامنا نقبت قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع واذا ثبت ان أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وثبت انه لم يجئ اليه صلى الله عليه وسلم من الحبشة الا بخيبر لزم أن تكون غزوة ذات الرقاع بعد خيبر الا ان يدعى تعدد غزوة ذات الرقاع مرتين وانها كانت قبل خيبر وبعدها والتى وجدت فيها صلاة الخوف هى الثانية أى والسبب فى تسميتها ذات الرقاع ما تقدم عن أبى موسى رضى الله عنه وحيث كانت بعد خيبر يلزم أن تكون بعد الخندق لقول الحافظ ابن حجر رحمه الله صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت أى لانها لو كانت شرعت لصلاها صلى الله عليه وسلم ولم يؤخر الصلاة كما سيأتى وسيأتى الجواب عن ذلك وقد ذكرها الشمس الشامى رحمه الله تعالى بعد خيبر والاصل لم يذكر ما تقدم عن البخارى بل رواه بالمعنى فقال روينا فى صحيح البخارى من حديث

وجحفل قذف الارجاء ذى لجب * عرمرم كزهاء السيل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم * فى بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب * متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت * بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما * ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى أعنتها * والعيس تنثال رهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الاقلام من قدر * وسابق من قضاء غير ذى حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب * وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت * له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت * بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه * كالاسد تزأر فى أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته * وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم * تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم * طولا أطال مقيل النوم فى المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها * تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذى لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * وأكرم الناس صفحا عن ذوى الزلل
زان الخشوع وقار منه فى خفر * أرق من خفر العذراء فى الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح فى شغل
والكفر فى ظلمات الرجس مرتكس * ثاو بمنزلة البهموت من زحل
حزت بالامن أقطار الحجاز معا * وملت بالخوف عن حيف وعن طلل
وحل أمن ويمن منك فى يمن * لما أجابت الى الايمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه * بعزة النصر واستولى على الملل
قد طاع منصرف منهم لمعترف * وانقاد منعدل منهم لمعتدل
أحبب بخلة أهل الحق فى الخلل * وعز دولته الغراء فى الدول

﴿هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله الذى صبه على الكفار﴾ وكانت عقب فتح مكة بخمس ليال بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه الى العزى ومعه ثلاثون فارسا لهدمها واختلف فى المراد من العزى فقيل هى شجرة وقيل صنم

أبى موسى رضى الله عنه انهم نقبت أقدامهم فلفوا عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع قال وجعله أى البخارى حديث أبى موسى هذا حجة على ان غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر لان أبا موسى انما قدم فى خيبر لا دلالة فيه على ذلك أى لانه يجوز أن يكون قول أبى موسى رضى الله عنه انهم نقبت أقدامهم يعنى الصحابة فيكون هذا مما رواه أبو موسى عمن شاهد الوقعة من الصحابة وفيه ان هذا لا يأتى مع قول البخارى عن أبى موسى فنقبت قدماى وسقطت أظفارى اذ هو صريح فى ان أبا موسى رضى الله عنه حضرها والاصل تبع فى تقديمها على خيبر شيخه الدمياطى وتابعه أيضا فى رواية ما تقدم عن البخارى بالمعنى ونظر الدمياطى فى رواية أبى موسى أى التى فى البخارى التى رواها عنه بالمعنى بانها مخالفة لما عليه أهل المغازى من تقديمها على خيبر قال الحافظ ابن حجر وادعى الدمياطى غلط الحديث الصحيح وان جميع أهل السير على خلافه والاعتماد على ما فى الصحيح أى من تأخيرها عن خيبر أولى لان أصحاب المغازى مختلفون فى زمانها قال والبخارى مع روايته عن أبى موسى الصريحة فى تأخر غزوة ذات الرقاع عن غزوة خيبر قدم غزوة ذات الرقاع على خيبر قال ولا أدرى هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازى انها كانت قبل خيبر او ان ذلك من الرواة عنه أو اشارة الى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين أى واحدة قبل خيبر والثانية بعدها كما قدمناه أى وقدمنا ان سبب التسمية فى الثانية ما ذكر عن أبى موسى رضى الله عنه وأما فى الاولى فأحد الاسباب الآتية قال فى الامتاع وقد قال بعض من أرخ ان غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة فواحدة كانت قبل الخندق وأخرى بعدها أى وبعد خيبر ولما غزا صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا ذر الغفارى وقيل عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ابن عبد البر وعليه الاكثر أى وقد نظر فى الاول بان أبا ذر رضى الله عنه لما أسلم بمكة رجع الى بلاد قومه فلم يجئ حتى مضت بدر وأحد والخندق ﴿أقول﴾ وهذا النظر بناء على انها كانت قبل الخندق وأما على انها كانت بعد الخندق وبعد خيبر فلا يتأتى هذا النظر والله أعلم وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحدا ووجد نسوة فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم لقى جمعا فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف بعضهم بعضا أى خاف المسلمون أن تغير المشركون عليهم وهم غارون أى غافلون حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت أول صلاة الخوف صلاها قال وفى رواية جاءت صلاة الظهر فصلاها صلى الله عليه وسلم باصحابه فهم بهم المشركون فقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه هى أحب اليهم من أبنائهم أى وهى صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف اه ﴿أقول﴾ سيأتى هذا كله بعينه فى غزوة الحديبية التى هى صلاة الخوف بعسفان ولا مانع من تعدد ذلك ويحتمل انه من الاشتباه على بعض الرواة والله أعلم وكان العدو فى غير جهة القبلة ففرقهم فرقتين فرقة وقفت فى وجه العدو وفرقة صلى بها ركعة

وضعه سعد بن ظالم الغطفانى لما قدم مكة ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلهما الى نخلة وهو موضع
على ليلة من مكة وكانت العزى لقريش وجميع بنى كنانة وحجابها بنى شيبان من بنى سليم وكانوا حلفاء بنى هاشم وكانت أعظم
أصنامهم وذلك ان عمرو بن لحى لعنه الله قال لهم ان الرب يشتى عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا
يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ويطوفون وينحرون عندها ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها
لانها بيت ابراهيم عليه السلام
ومسجده قال ابن اسحق فلما سمع
سادن العزى بسير خالد اليه علق
سيفه واستند فى الجبل الذى هى
فيه وهو يقول

أياعز شدى شدة لاسوى لها
على خالد ألقى القناع وشمرى
أياعز ان لم تقتلى المرء خالدا
فبوئى باثم عاجل أو تنصرى

فلما انتهوا اليها هدموا البيت التى
هى فيه وكان على ثلاث سمرات
فقطعها خالد رضى الله عنه وهدم
البيت وكسر الصنم ثم رجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
فأخبره فقال هل رأيت شيأ أخرج
منها حين هدمتها قال لا قال فانك
لم تهدمها أى الهدم الابدى المزيل
لها حقيقة فان الذى فعلته هو
ازالة الصورة الظاهرة وبقى أمر
خفى لا تزول الا بزواله فارجع
اليها فاهدمها فرجع خالد رضى
الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه
فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة
سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب
على رأسها ووجهها فجعل السادن
يصيح بها وهو يقول

ياعز خبليه * ياعز عوريه
ولا تموتى برغم فضربها خالد رضى
الله عنه وهو يقول

ياعز كفرانك لا سبحانك
انى رأيت الله قد أهانك

فجزلها أى قطعها اثنتين وفى رواية فضرب الشجرة بالفاس فقلعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها
واضعة يدها على رأسها فضربها فقطعها اثنتين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست ان تعبد
ببلادكم أبدا ﴿هدم سواع وهى سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه﴾ الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة
وكان بعثه فى رمضان أيضا بعد الفتح قال ابن حجر وسواع بن شيث بن آدم لما مات صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا

ثم عند قيامه للثانية فارقته وأتمت بقية صلاتها ثم جاءت ووقفت فى وجه العدو وجاءت تلك
الفرقة التى كانت فى وجه العدو واقتدت به فى ثانيته فصلى بها ركعة ثم قامت وهو فى جلوس
التشهد وأتمت بقية صلاتها ولحقته فى جلوس التشهد وسلم بها وهذه الكيفية فى ذات الرقاع
رواها الشيخان ونزل بها القرآن وهو قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية أى
وفى كلام بعضهم فصلى بهم النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين وبالاخرى
أخريين وسيأتى ان هذه صلاته صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وفى الخصائص الصغرى وخص
صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف فلم تشرع لاحد من الامم قبلنا وبصلاة شدة الخوف عند
التحام القتال أى وفى هذه الغزوة نزل صلى الله عليه وسلم ليلا وكانت تلك الليلة ذات ريح
وكان نزوله صلى الله عليه وسلم فى شعب استقبله فقال من رجل يكلؤنا أى يحفظنا هذه الليلة
فقام عباد بن بشر رضى الله عنه وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن يارسول الله نكلؤكم
فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر أنا أكفيك أول الليل وتكفينى آخره
فنام عمار رضى الله عنه وقام عباد رضى الله عنه يصلى وكان زوج بعض النسوة التى أصابهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتتبع الجيش وحلف لا ينثنى حتى يصيب
محمدا أو يهريق فى أصحاب محمد دما فلما رأى سواد عباد قال هذا ربيئة القوم ففوق سهما
فوضعه فيه فانتزعه عباد فرماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم
قال لعمار اجلس فقد أتيت فلما رأى ذلك الرجل عمارا جلس علم أنه قد نذر به فهرب فقال
عمار أى أخى ما منعك أن توقظنى له فى أول سهم رمى به فقال كنت أقرأ فى سورة أى فى سورة
الكهف فكرهت أن أقطعها وفى لفظ جعل صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال
لهما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو فرمى أحدهما بسهم
فأصابه ونزفه الدم وهو يصلى ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان
وثالث وهو يصيبه ولم يقطع صلاته أى وهو عباد بن بشر كما تقدم وقد قال عباد معتذرا عن
ايقاظ صاحبه لولا انى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت
ولو أتى على نفسى ﴿أقول﴾ وبهذه الواقعة استدل أئمتنا على ان النجاسة الحادثة من غير
السبيلين لا تنقض الوضوء لانه صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولم ينكره وأما كونه صلى مع الدم
فلعل ما أصاب ثوبه وبدنه منه قليل ولا ينافى ذلك ما تقدم فى الرواية قبل هذه فلما غلبه الدم
اذ يجوز مع كونه كثيرا انه لم يصب ثوبه ولا بدنه الا القليل منه والله أعلم ويقال ان رجلا من
القوم أى وهو غورث بالغين المعجمة مكبرا على الاشهر وقيل غويرث بالتصغير والمهملة ابن
الحرث قال لهم الا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به أى أجىء اليه على غفلة فجاء
اليه صلى الله عليه وسلم وسيفه فى حجره فقال يامحمد أرنى أنظر الى سيفك هذا فأخذه من
حجره فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله أى يخزيه ثم قال يامحمد ماتخافنى قال لا بل يمنعنى الله
تعالى

فى دعائه من الاجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر فلما ماتوا صورت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الا لانها
ترزق وتشفع وتضر فاتخذوها آلهة قال السهيلى وكان بدء عبادتها فى عهد مهلاييل بن قينان قبل نوح عليه السلام وفى البخارى عن
ابن عباس رضى الله عنهما صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب وهى أسماء قوم صالحين فلما هلكوا أوحى الشيطان الى
قومهم ان انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها انصابا وسموها بأسمائهم فلم تعبد فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت قال
عمرو بن العاص رضى الله عنه
فانتهيت الى سواع وعنده السادن
قال ما تريد فقلت أمرنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان أهدمه
قال لا تقدر على ذلك فقلت لم قال
يمنعك قلت حتى الآن أنت على
الباطل ويحك وهل يسمع أو
يبصر حتى يمنعنى قال فدنوت منه
فكسرته وامرت أصحابى فهدموا
بيت خزانته فلم نجد فيه شيأ ثم قلت
للسادن كيف رأيت فقال أسلمت
لله رب العالمين ولم يذكر أحد عدد
الذين كانوا مع عمرو رضى الله عنه

﴿هدم مناة وهى سرية سعد بن
زيد الاشهلى رضى الله عنه
الى مناة﴾

وهى صنم للاوس والخزرج ومن
دان دينهم وقيل انها أيضا لهذيل
وبنى كعب وخزاعة وغسان وكانت
بالمشلل بضم الميم وفتح الشين
واللام الاولى المشددة جبل على
ساحل البحر يهبط منه الى قديد
وكان بعثه فى رمضان أيضا بعد
الفتح فخرج سعد بن زيد رضى
الله عنه فى عشرين فارسا حتى
انتهى اليها وعليها سادن قال
السادن ما تريد قال أريد هدم
مناة قال أنت وذاك تهكما لظنه
انه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشى
اليها فخرجت اليه امرأة عريانة
سوداء ثائرة الرأس أى منتشرة
الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وأقبل الى الصنم ومعه أصحابه
فهدموه ولم يجدوا فى خزانته شيأ وانصرف راجعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم ماذكر من ان الذى ذهب لهدمها سعد بن زيد
الاشهلى هو ما مشى عليه فى المواهب تبعا لطبقات ابن سعد وقال ابن اسحق ان الذى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لهدمها أبو سفيان
ابن حرب رضى الله عنه وفى سيرة ابن هشام انه على بن أبى طالب رضى الله عنه ويمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله أعلم

تعالى منك ثم دفع السيف اليه صلى الله عليه وسلم فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى
فقال كن خير آخذ قال تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله قال أعاهدك على انى لا أقاتلك ولا
أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس وأسلم هذا بعد وكانت له صحبة وفى رواية جاء اليه صلى الله عليه وسلم
وهو جالس وسيفه فى حجره فقال يامحمد انظر الى سيفك هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه
ثم قال يامحمد أما تخافنى قال لا وما أخاف منك قال وفى يدى السيف قال لا يمنعنى الله تعالى منك
ثم غمد سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه وهذه واقعة غير واقعة دعثور المتقدمة
فى غزوة ذى امر فهما واقعتان احداهما مع دعثور والثانية مع غورث فقول أصله والظاهر
ان الخبرين واحد فيه نظر ظاهر فليتأمل قال وفى رواية لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا الى المدينة أدركته القائلة يوما بواد كثير العضاه أى الاشجار العظيمة التى لها شوك
وتفرق الناس فى العضاه أى الاشجار يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت ظل شجرة أى ظليلة قال جابر رضى الله عنه تركناها للنبى صلى الله عليه وسلم فعلق صلى الله
عليه وسلم سيفه فيها فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئنا اليه فوجدنا عنده
أعرابيا جالسا فقال ان هذا قد اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا أى مسلولا
فقال لى من يمنعك منى قلت الله قال ذلك ثلاث مرات ولم يعاقبه صلى الله عليه وسلم اه
وهذه الرواية مع ما قبلها يقتضى سياقهما أنهما واقعتان لا واقعة واحدة ويبعد أن يكون ذلك
الاعرابى هو غورث صاحب الواقعة الاولى فيكون تعدد منه هذا الفعل مرتين أى وأنزل الله
تعالى ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم
عنكم وتقدم أن سبب نزولها ارادة القاء الحجر عليه من بعض أهل بنى النضير لعنهم الله وتقدم أنه
لا مانع من تعدد النزول لتعدد الاسباب وفى الشفاء قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى أى وفيه ان هذا لا يحسن الا عند نزول آية والله يعصمك من
الناس الا أن يقال هو صلى الله عليه وسلم علم من ذلك ان الله مانع له ممن يريده بسوء وان كان يجوز
أن يمنعه من شخص دون آخر فليتأمل واعلم يعاقب صلى الله عليه وسلم ذلك الاعرابى حرصا على
استئلاف قلوب الكفار ليدخلوا فى الاسلام وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة
ليلة وبعث صلى الله عليه وسلم جعال بن سراقة الى المدينة مبشرا بسلامته وسلامة المسلمين
أى وكان رضى الله عنه من أهل الصفة وهو الذى تمثل به ابليس لعنه الله يوم أحد حين نادى ان
محمدا قد قتل كما تقدم وأبطأ جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فنخسه صلى الله عليه وسلم وفى
لفظ انه نخسه بمحجنه فانطلق متقدما بين يدى الركب وفى رواية فلقد رأيتنى أكفه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لا يسبقه أى وهو ينازعنى خطامه مع انى كنت أرجو أن

﴿غزوة حنين﴾ وهو اسم موضع فى طريق الطائف الى جنب ذى المجاز وهو سوق كان فى الجاهلية وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى غزوة اوطاس وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى أيضا غزوة هوازن وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر وسببها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها ٣٠٢ الى بعض وتشاوروا على قتاله صلى الله عليه وسلم لانهم خافوا ان يسير اليهم

ويغزوهم وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأى ان نغزوه قبل ان يغزونا بل جاء فى بعض الروايات انهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبى الزناد ان هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم فى العرب تجمعهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالوا الا ناهية له دوننا وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم وقال بعض منهم والله مالاقى محمدا قوم يحسنون القتال فأجمعوا أمركم وسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فأجمعوا أمرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس الى مالك ابن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن ويقال له النصرى بالصاد وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين وقيل قارب المائتين وقد عمى وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب لانه كان صاحب رأى وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان جملة من اجتمع من بنى سعد وثقيف أربعة آلاف وانضم اليهم من أعداد سائر العرب جموع كثيرة وكان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا وجعلوا أمر الجميع الى مالك بن عوف النصرى وكان عمره ثلاثين سنة واشترطوا عليه أن يأخذ برأى دريد بن الصمة فأمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كى يثبتوا عند الحرب ولا يفروا فلما نزلوا باوطاس قال دريد بن الصمة مالى أسمع رغاء البعير

يستاق معنا ثم قال له صلى الله عليه وسلم أتبيعنيه فابتاعه منه أى باوقية وقيل بأربع أواق وقيل بخمس أواق وقيل بخمس دنانير وقيل بأربع دنانير بعد ان أعطاه فيه أولا درهما بما زحاله فقال له جابر رضى الله عنه تبيعنى يا رسول الله وفى رواية لازال صلى الله عليه وسلم يزيده درهما درهما فيقول جابر أخذته بكذا والله يغفر لك يا رسول الله قال بعضهم كانه صلى الله عليه وسلم أراد باعطائه درهما درهما أن يكثر استغفاره له وقال له لك ظهره الى المدينة وفى رواية وشرط لى ظهره الى المدينة أى واستغفر لجابر رضى الله عنه فى تلك الليلة خمسا وعشرين مرة وقيل سبعين مرة فلما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أعطاه الثمن ووهب له الجمل أى وقيل ان هذه القصة أى ابطاء جمل جابر رضى الله عنه انما كانت فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقيل كانت فى رجوعه من غزوة تبوك أى والذى فى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فكنت على جمل ثقال انما هو فى آخر القوم فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت جابر بن عبد الله قال فمالك قلت انى على جمل ثقال قال أمعك قضيب قلت نعم قال أعطنيه فضربه فزجره فكان من ذلك المكان من أول القوم قال بعنيه قلت بل هو لك يا رسول الله قال بل بعنيه فقد أخذته بأربعة دنانير ولك ظهره الى المدينة فلما قدمت المدينة قال يا بلال اقضه وزده فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطا قال جابر رضى الله عنه وأعطانى الجمل وسهمى مع القوم وفى لفظ عن جابر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فدخلت اليه فعلقت الجمل فى ناحية البلاط فقلت يا رسول الله هذا جملك فخرج صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف بالجمل قال الثمن والجمل لك وفى لفظ انما باعه له بوقية أى ذهب وانه استثنى حملانه الى أهله فلما قدم المدينة وأنقده الثمن وانصرف أرسل على اثره وقال له ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك وعن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اشتراه بطريق تبوك بأربع أواق وفى لفظ بعشرين دينارا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها فان التعدد بعد دها بعيد قيل وسميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت فى ذلك المحل يقال لها ذات الرقاع أو لانهم رفعوا راياتهم أو لانهم لفوا على أقدامهم الخرق لما حصل لهم الحفاء كما تقدم أو لان الصلاة رقعت فيها أو لان الجبل الذى نزلوا به كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع فيه بقع حمر وسود وبيض واستغربه الحافظ ابن حجر قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل انها سميت بالجموع قال وفى هذه الغزوة جاءته صلى الله عليه وسلم امرأة بدوية بابن لها فقالت يا رسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ففتح فاه فبزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله ثم قال صلى الله عليه وسلم شأنك بابنك لن يعود اليه شئ مما كان يصيبه أى فكان كذلك وفيها أيضا جاء رجل بفرخ طائر فاقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه وفيها أيضا جىء له

صلى

ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين هو فحضر بين يديه فقال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود أى غالبهم اما قتلا واما اخراجا عن ذل وصغار فقال له مالك لا تخالفك فى أمر تراه فقال يا مالك أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كان له ما بعده من الايام مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ٣٠٣ ونساءهم وأموالهم قال له ولم قال أردت

ان أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم فزجره كما تزجر الدابة وهو أن يلصق اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى قول بعضهم صوت بلسانه فى فيه ثم قال له رويعى ضأن والله ماله وللحرب أى من كانت هذه صفته ماله وللحرب ثم أشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شئ هى ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشى وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك فلم يقبل ذلك منه مالك ثم قال دريد ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا ثم قال دريد لمالك ان يومك هذا الذى تلقى فيه محمدا ما بعده يوم فقال له مالك انى لاطمع ان ترى ما يسرك ثم أشار دريد عليه بأمور لم يقبلها مالك وقال والله لا أطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك فقال لهوازن قد شرط مالك ان لا يخالفنى وقد خالفنى فأنا أرجع الى أهلى فمنعوه وقال مالك والله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لا تكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره أن يكون لدريد فيها رأى أو ذكر فقالوا أطعناك فقال دريد يا معشر هوازن ان هذا فاضحكم فى عورتكم يعنى النساء والذرية وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه فأبوا فلما رأى دريد انهم خالفوه قال

يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها واضع
اقود وطفاء الزمع * كأنها شاة صدع

ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفا وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعل الابل والبقر والغنم وراء ذلك كى لا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس اذا رأيتمونى شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد

صلى الله عليه وسلم بثلاث بيضات من بيض النعام فقال لجابر دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات قال جابر رضى الله عنه فعملتهن ثم جئت بهن فى قصعة فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته أى الى الشبع والبيض فى القصعة كما هو وفيها أيضا جاء جمل يرقل أى حتى وقف عنده صلى الله عليه وسلم وارغا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما قال هذا الجمل هذا جمل يستعيذنى على سيده يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين وانه أراد أن ينحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به قال جابر رضى الله عنه فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه قال جابر فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئته به فكلمه صلى الله عليه وسلم فى شأن الجمل اهـ وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لى يا رسول الله فقال ألا تتقى الله عز وجل فى هذه البهيمة التى ملكك الله فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه وفى رواية كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم اذا بعير أقبل حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أيها البعير اسكن فان تك صادقا فلك صدقك وان تك كاذبا فعليك كذبك ان الله تعالى قد أمن عائذنا ولن يخيب لائذنا فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير قال يريد أهله نحره وأكل لحمه فهرب منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك اذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر اليهم البعير عاد الى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها فقالوا يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام فلم نجده الا بين يديك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه يشكو فقالوا يا رسول الله ما يقول قال يقول انه ربى فيكم سنين وكنتم تحملون عليه فى الصيف الى موضع الكلا فاذا كان الشتاء جاءتم عليه الى موضع الدفا فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله به ابلا سليمة فلما أدركته هذه السنة الجدبة هممتم بنحره وأكل لحمه فقالوا والله يا رسول الله قد كان ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نتعبه ولا ننحره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم لان الله قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين فاشتراه صلى الله عليه وسلم منهم بمائة درهم وقال أيها البعير انطلق حيث شئت فرغا البعير على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له آمين ثم رغا الثانية فقال له آمين ثم رغا الثالثة فقال له آمين ثم رغا الرابعة فبكى النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير فقال قال جزاك الله خيرا أيها النبى عن الاسلام والقرآن قلت آمين قال سكن الله رعب أمتك كما سكنت قلبى قلت آمين قال حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمى قلت آمين قال لا جعل الله بأسهم بينهم شديدا فبكيت لانى سألت ربى فيها أى فى هذه الرابعة فمنعنى اعطاءها وقوله صلى الله عليه

وسلم للجمل اذهب كيف شئت لا يناسب ما عليه أئمتنا من عدم جواز ارسال الدواب تقربا الى الله تعالى لانه فى معنى سوائب الجاهلية الا أن يقال المراد بقوله صلى الله عليه وسلم له اذهب كيف شئت أى أنت آمن فى سائر أحوالك مما شكوت منه ورأيت فى كلام ابن الجوزى رحمه الله ما يؤيد ذلك وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمه سمة نعم الصدقة ثم بعث به وعليه لا اشكال والى قصة الجمل أشار الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

ورب بعير قد شكا لك حاله * فأذهبت عنه كل كل وثقلة

وفى هذه أعنى السنة الرابعة تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة هند رضى الله تعالى عنها بعد موت أبى سلمة بن عبد الاسد رضى الله عنه ومار وى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال تزوجها سنة اثنتين ليس بشئ قيل وفيها شرع التيمم

﴿غزوة بدر الآخرة﴾

ويقال لها بدر الموعد أى لموعد أبى سفيان رضى الله عنه حيث قال حين منصرفه من أحد موعد ما بيننا وبينكم بدر أى موسمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل نعم ان شاء الله تعالى كما تقدم لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أقام بقية جمادى الاولى الى آخر رجب ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان وعليه اقتصر الاصل وقيل خرج فى شوال وقيل فى مستهل ذى القعدة كل ذلك فى سنة أربع ومن الوهم قول موسى بن عقبة رحمه الله انها كانت فى شعبان سنة ثلاث لما علمت انها بعد أحد وأحد كانت فى شوال سنة ثلاث والحافظ الدمياطى قدم هذه الغزوة على غزوة ذات الرقاع وتبعه الشمس الشامى وصاحب الامتاع وكان وصوله صلى الله عليه وسلم الى بدر هلال ذى القعدة وهذا لا يناسب الا القول بان خروجه صلى الله عليه وسلم كان فى شوال وكان ذلك موسم البدر فى كل سنة يحضره الناس ويقيمون به ثمانية أيام كما تقدمت الحوالة عليه وحين خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة استخلف عليها عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول رضى الله تعالى عنه وقيل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وخرج فى ألف وخمسمائة من أصحابه وكان الخيل عشرة أفراس وعند تهيئ المسلمين للخروج قدم نعيم بن مسعود الاشجعى أى وكان ذلك قبل اسلامه رضى الله تعالى عنه وأخبر قريشا ان المسلمين تهيؤا للخروج لقتالهم ببدر فكره أبو سفيان الخروج لذلك وجعل لنعيم ان رجع الى المدينة وخذل المسلمين عن الخروج لبدر عشرين بعيرا وفى لفظ عشرة من الابل وحمله على بعير أى وقال له أبو سفيان انه بدا الى أن لا أخرج وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة فلان يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة واعلمهم انا فى جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندى من الابل كذا وكذا أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو فجاء نعيم الى سهيل بن عمرو فقال له

ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم اجتماعهم وتحزبهم اجمع على الخروج اليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وكان معه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة والفان من الذين أسلموا فى فتح مكة الذين من عليهم واطلقهم يوم الفتح وفصل بعضهم العشرة الآلاف الذين جاؤا معه من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال اربعة آلاف من الانصار والف من المهاجرين ٣٠٤ وألف من جهينة وألف من مزينة والف من أسلم وألف من غفار وألف من أشجع وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استقرض من ثلاثة نفر من قريش اخذ من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب ابن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها فى أصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء وكان صفوان بن أمية على دين قومه واخذ امانا من النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يعطيه مهلة شهرين ثم ان شاء تبعه ودخل فى الاسلام وان شاء ذهب حيث شاء فأعطاه أربعة أشهر ثم أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وتقدم الكلام على قصة اسلامه مستوفى عند ذكره فى عداد من أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم واستثناهم من الدخول فى الامان ثم انه صلى الله عليه وسلم ذكروا له عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فارسل اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلقى به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهى مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفى رواية أربعمائة درع وسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل * وذكر بعضهم ان بعض تلك الادراع فقد فاراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فأبى بعد اسلامه وقال أنا اليوم يا رسول الله فى الاسلام أرغب واستعار صلى الله عليه وسلم من نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف رمح وقال كأنى أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم وخرج الناس معه وأهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء خرجن يمشين على غير دين رجاء

يا أبا يزيد تضمن لى هذه الابل وأنطلق الى محمد وأثبطه قال نعم فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبى سفيان أى وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية فى الخروج واستبشر المنافقون أى واليهود وقالوا محمد لا يفلت من هذا الجمع فجاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمعا ما أرجف به المسلمون وقالا له يا رسول الله ان الله مظهر نبيه ومعز دينه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم فوالله ان فى ذلك لخيرة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم قال والذى نفسى بيده لاخرجن وان لم يخرج معى أحد فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون وحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وخرج المسلمون معهم بتجارات الى بدر فربحت الضعف ثم ان أبا سفيان قال لقريش لقد بعثنا نعيما ليخذل أصحاب محمد عن الخروج ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فان كان محمد لم يخرج وبلغه انا خرجنا فرجعنا لانه ان لم يخرج كان هذا لنا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فخرج أبو سفيان فى قريش أى وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا الى مجنة أى بفتح الميم والجيم وتشديد النون وهو سوق معروف من ناحية مر الظهران وقيل الى عسفان ثم قال يا معشر قريش لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه الماء وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم لتشربوا السويق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده مدة الموسم التى هى ثمانية أيام أى فانه صلى الله عليه وسلم انتهى الى بدر هلال ذى القعدة كما تقدم وقام السوق صبيحة الهلال فأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة أى وصار المسلمون كلما سألوا عن قريش وقيل لهم قد جمعوا لكم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قيل لهم لما قربوا من بدر انها قد امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان يرعبونهم ويرهبونهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل فلما قدموا بدرا وجدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد فأنزل الله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فالمراد بالناس الاول نعيم نزل منزلة الجماعة وعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ان القائلين ذلك كانوا أربعة ولا مانع أن يكون هؤلاء الاربعة من المنافقين لعنهم الله وافقوا نعيما على ما قال حتى ان قائلهم قال للمسلمين انما أنتم لهم أكلة رأس وان ذهبتم اليهم لا يرجع منكم أحد وقيل القائلون ركب من عبد القيس كانوا قاصدين المدينة للميرة فجعل لهم أبو سفيان حمل أبعرتهم زبيبا ان هم خذلوا المسلمين وأرجفوهم ولا مانع من وجود ذلك كله هذا وقد نقل ابن عطية رحمه الله عن الجمهور ان هذه الآية الواقعة المذكورة انما كانت بحمراء الاسد عند انصرافه من أحد فليتأمل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى وبلغ قريشا خروج المسلمين لبدر وكثرتهم وانهم كانوا أصحاب الموسم أى والمخبر لهم

للغنائم ومن لم يكمل اسلامه لم يكره ان الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وترك معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الاحكام والشرائع وقد تقدم الكلام على ذلك فى غزوة الفتح وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلا منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقد تقدم قصة اسلامهما فلما قرب ٣٠٥ النبى صلى الله عليه وسلم من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا رضى الله عنه وقسم الرايات على كل بطن فأعطى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه راية واعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه راية وهكذا واعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الاوس لاسيد بن حضير رضى الله عنه وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ثم رتب قبائل العرب التى كانت معه وفرق عليهم الالوية والرايات ولبس صلى الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء وفى رواية الشهباء وهى بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء لان بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل وارسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيونا وجواسيس ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فرجعوا الى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى وان أطعتنا رجعت بقومك فقال اف لكم بل انتم اجبن القوم وحبسهم عنده خوفا ان يشيع ذلك فى جيشه ولم يصرفه ذلك ومضى على ما يريد وارسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه وهو عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى رضى الله عنه وأمره ان يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم ومكث يوما أو يومين وسمع ما يقولون ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره انه انتهى الى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لاصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم

واكسروا اغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولا وفى رواية ان ابن أبى حدرد رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم أى نسائهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين ان شاء الله فقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فيما تقدم بعشرين الف سيف حق وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وقيل كانوا ثلاثين الفا واما رواية انهم كانوا اربعة آلاف فرجوحة ولما كان صلى الله عليه وسلم بحنين وانحدر فى الوادى وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قد كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك بن عوف اجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت عليهم انت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم احد فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون فى الرجوع منهزمين لا يلوى أحد على أحد وفى رواية فاستقبلهم من هوازن مالم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وكانت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أى قال من كان منهم اسلامه مدخولا اخذلوهم فهذا وقته فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس وسأل رجل البراء بن عازب رضى الله عنهما فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وربيعة بن

بذلك معبد بن أبى معبد الخزاعى فانه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا الى مكة وأخبرهم بذلك فقال صفوان بن أمية لابى سفيان قد والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا أنا أخافناهم وانا خلفنا الضعف

﴿غزوة دومة الجندل﴾

بضم الدال ويجوز فتحها واقتصر الحافظ الدمياطى على الاول أى وأما دومة بالفتح لا غير فموضع آخر ومن ثم قال الجوهرى الصواب الضم وأخطأ المحدثون فى الفتح سميت بدومى بن اسمعيل عليه السلام لانه كان نزلها وهى بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال وهى أقرب بلاد الشام الى المدينة وبينها وبين المدينة خمس أو ست عشرة ليلة أى وهى بقرب تبوك بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك فخرج فى ألف من المسلمين أى وذلك فى أواخر السنة الرابعة وذكر بعضهم انها كانت فى ربيع الاول من السنة الخامسة ويوافقه قول الحافظ الدمياطى انها كانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجرته صلى الله عليه وسلم أى واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ٥ فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل له من بنى عذرة أى يقال له مذكور رضى الله تعالى عنه فلما دنا منهم جاءهم الخبر فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق بها أحدا وبعث السرايا فرجعت ولم تلق منهم أحدا أى ورجعت كل سرية بابل وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فأسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفى رجوعه وادع أى صالح عيينة بن حصن واسمه حذيفة الفزارى ان يرعى بمحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا أى لان أرضه كانت أجدبت ولما سمن حافره وخفه وانتقل الى أرضه غزا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة كما سيأتى وقيل له بئس ما جزيت به محمدا صلى الله عليه وسلم أحلك أرضه حتى سمن حافرك وخفك وتفعل معه ذلك فقال هو حافرى وقيل له عيينة لانه أصابته لقوة فجحظت عيناه وسمى عيينة وعيينة هذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة كما سيأتى وكان يقال له الاحمق المطاع كان يتبعه عشرة آلاف قناة ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأساء الادب فصبر النبى صلى الله عليه وسلم على جفوته وقال فيه صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه وقيل ان ذلك انما قيل فى مخرمة بن نوفل أى ولا مانع من تعدد ذلك وقد ارتد عيينة بعد ذلك فى زمن الصديق رضى الله عنه فانه لحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد رضى الله عنه وأرسل به الى الصديق

الحرث بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبى لهب وايمن ابن أم ايمن وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين وايمن هذا استشهد يومئذ واختلف فى عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع باختلاف اللحظات فكانوا تارة قليلا وتارة كثيرا وتارة يجتمعون معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه فى ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما وكان العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم آخذا بلجام بغلته يكفها أن تتقدم فى نحر العدو وجاء فى رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان آخذا باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة وكان أبو سفيان بن الحرث وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنه آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسى وبيدى السيف مصلتا والله يعلم انى أريد الموت دونه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الى فقال له العباس رضى الله عنه يارسول الله اخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله له كل عداوة عادانيها قال ثم التفت الى وقال يا أخى فقبلت رجله فى الركاب وقال صلى الله عليه وسلم فيه أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وفى رواية سيد فتيان أهل الجنة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يركض ناحية هوازن ويقول

أنا النبى لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

واخذ كفا من تراب فرماه فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ الله عينيه من تلك القبضة وجاء فى بعض الروايات انه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضى الله عنه قريبا منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت ترابا وقيل انه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده وفى رواية قال للعباس ناولنى من الحصباء فألهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الارض فتناول من البطحاء فحثا فى وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون وعن

الصديق فى وثاق فلما دخل المدينة صار أولاد المدينة ينخسونه بالحديد ويضربونه ويقولون أى عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك فيقول والله ما كنت آمنت فمن عليه الصديق فأسلم ولم يزل مظهر الاسلام وفى سنة أربع نزلت آية الحجاب لازواجه صلى الله عليه وسلم وكان فيها قصر الصلاة وولادة الحسين رضى الله عنه ووقع انه لما ولد سماه على كرم الله وجهه حربا فلما جاء صلى الله عليه وسلم قال أرونى ابنى ما سميتموه قالوا حربا قال بل اسمه حسين أى كما فعل ذلك بالحسن كما مر فلما ولد الثالث جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه قال على كرم الله وجهه سميته حربا فقال بل هو محسن ثم قال صلى الله عليه وسلم انى سميتهم باسماء ولد هرون شبر وشبير ومشبر ومن المستطرف ما حكاه بعضهم قال وقع بين الحسن والحسين كلام فتهاجرا فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن على الحسين وأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين ان الذى منعنى من ابتدائك بهذا انك أحق بالفضل منى فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به ورجم اليهوديين الزانيين وفرض الحج وقيل فرض فى الخامسة وقيل فى السادسة وقيل فى السابعة وقيل فى الثامنة وقيل فى التاسعة وقيل فى العاشرة قيل وفيها أى الرابعة شرع التيمم أى كما تقدم وقيل شرع فى الغزوة التى تلى هذه وهى غزوة بنى المصطلق وقيل كان فى غزوة أخرى أى وفى غيبته صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ماتت أم سعد بن عبادة وكان ابنها رضى الله عنه معه صلى الله عليه وسلم ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يارسول الله أتصدق عنها قال نعم قال أى الصدقة أفضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد رضى الله عنها

﴿غزوة بنى المصطلق﴾

ويقال لها غزوة المريسيع ويقال لها غزوة محارب وقيل محارب غيرها ويقال لها غزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة أى كما قيل بذلك كذلك فى غزوة ذات الرقاع كما تقدم وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة وجذيمة هو المصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياههم أى من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد وذلك الماء فى ناحية قديد وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحرث بن ضرار سيد بنى المصطلق رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كما سيأتى جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم بريدة بالتصغير ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين فى آخره موحدة كما تقدم أى ليعلم علم ذلك قال واستأذن بريدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ما يتخلص به من شرهم أى وان كان خلاف الواقع فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج

حتى ورد عليهم ورأى جمعهم فقالوا له من الرجل قال رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يدا واحدة حتى نستأصلهم فقال له الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا قال بريدة أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك منه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر القوم انتهى فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اليهم فأسرعوا الخروج وكان في شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة وقيل أربع كما في البخاري نقلا عن ابن عقبة وعليه جرى الامام النووي في الروضة قال الحافظ ابن حجر وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس من الهجرة فكتب سنة أربع لان الذي في مغازي ابن عقبة من عدة طرق سنة خمس وقيل سنة ست وان عليه أكثر المحدثين وقادوا الخيل وهي ثلاثون فرسا عشرة للمهاجرين أي منها فرسان له صلى الله عليه وسلم اللزاز والظرب وعشرون للانصار رضي الله عنهم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنهما وقيل أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وقيل نميلة تصغير نملة بن عبد الله الليثي رضي الله عنه وخرج معه صلى الله عليه وسلم من نسائه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أي وخرج معه صلى الله عليه وسلم ناس كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثلها منهم عبد الله بن أبي ابن سلول وزيد بن الصلت ليس لهم رغبة في الجهاد وانما غرضهم أن يصيبوا من عرض الدنيا مع قرب المسافة وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ محلا نزل به فأتى برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين أهلك قال بالروحاء قال أين تريد قال اياك جئت لا ومن بك وأشهد أن ما جئت به حق وأقاتل معك عدوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة لاول وقتها فكان بعد ذلك يصلي الصلاة لاول وقتها وأصاب صلى الله عليه وسلم عينا للمشركين كان وجهه الحرث ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فأبى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يضرب عنقه فضرب عنقه فلما بلغ الحرث مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه قتل عينه سيء بذلك ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنه جمع كثير ممن كان معه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المريسيع فضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم وكان معه فيها عائشة وأم سلمة رضي الله تعالى عنهما فتهيأ المسلمون للقتال ودفع صلى الله عليه وسلم راية المهاجرين الى أبي بكر رضي الله عنه وقيل لعمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة رضي الله عنه أي وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول لهم قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ففعل عمر ذلك فأبوا فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا

مالك بن اوس قال حدثني عدة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون لقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية من الحصى فما منا احد الا اشتكى القذى في عينيه ولقد كنا نجد في صدورنا خفقا كوقع الحصى في الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان وعن يزيد بن عامر السوائي وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن فيقول انا كنا نجد في اجوافنا مثل هذا وعن أبي عبد الرحمن الفهري قال حدثني ابناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست وهذا الرمي وقع في هذه الغزوة وفي غزوة بدر وفي ذلك قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا
ما العصا عنده وما الالقاء

وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الهزيمة صار يقول الى أيها الناس الى قال الراوي للحديث فلم أر الناس يلوون على شئ فقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وفي رواية اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رضي الله عنه رفيع الصوت حتى جاء انه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال وفي رواية قال له ناديا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة وفي لفظ ناديا أنصار الله وانصار رسوله يا بني الخزرج ولا تنافي بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبي صلى الله عليه وسلم له وتكرر ندائه وانه نادى بكل تلك الالفاظ وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم نادى بنفسه أيضا مع نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال يا معشر الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن

حملة رجل واحد فما أفلت منهم انسان وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم الرجال والنساء والذرية واستاق ابلهم وشياههم فكانت الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة واستعمل صلى الله عليه وسلم على ذلك مولاه شقران أي بضم الشين المعجمة واسمه صالح وكان رضي الله عنه حبشيا وكان السبي مائتي أهل بيت وفي كلام بعضهم كانوا أكثر من سبعمائة وكانت برة بنت الحرث الذي هو سيد بني المصطلق في السبي وقيل أغار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم غافلون فقتل مقاتلهم وسبى سبيهم أي وهذا القول هو الذي في صحيح البخاري أي ومسلم والاول هو الذي في السيرة الهشامية وجمع بانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما أغار عليهم ثبتوا وصفوا للقتال ثم انهزموا ووقعت الغلبة عليهم أي وقتل منهم من قاتل ولم يستأسر وكان شعار المسلمين أي علامتهم التي يعرفون بها في ظلمة الليل أو عند الاختلاط يا منصور أمت تفاؤلا بان يحصل لهم النصر بعد موت عدوهم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة رضي الله عنه ثم فرق صلى الله عليه وسلم السبي فصار في أيدي الناس أي وفي هذا دليل لقول امامنا الشافعي رضي الله عنه في الجديد يجوز استرقاق العرب لان بني المصطلق عرب من خزاعة خلافا لقوله في القديم انهم لا يسترقون لشرفهم وقد قال في الام لولا انا نأثم بالتمني لتمنينا أن يكون هكذا أي لا يجري الرق على عربي وبعث صلى الله عليه وسلم أبا ثعلبة الطائي الى المدينة بشيرا من المريسيع أي وجمع صلى الله عليه وسلم المتاع الذي وجده في رحالهم والسلاح والنعم والشاء وعدلت الجزور بعشرة من الغنم ووقعت برة بنت الحرث في سهم ثابت بن قيس وابن عم له فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة في حصته من برة وكاتبها أي على تسع أواق من ذهب فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله اني امرأة مسلمة أي أسلمت لاني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله واني برة بنت الحرث سيد قومه أصابنا من الامر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على ما لا طاقة لي به واني رجوتك فأعني في مكاتبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك قالت ما هو قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يا رسول الله قد فعلت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت رضي الله عنه هي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان كاتبها عليه وأعتقها وتزوجها أي وهي ابنة عشرين سنة وسماها جويرية أي وكان اسمها برة وكذلك ميمونة وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما برة فغيره صلى الله عليه وسلم وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب ويذكر ان عليا كرم الله وجهه هو الذي أسرها أقول ولا مانع أن يكون علي كرم الله وجهه أسرها ثم وقعت في سهم ثابت وابن عمه رضي الله عنهما عند القسمة لانه لم يثبت في هذه الغزوة انه صلى الله عليه وسلم جعل الاسرى لمن أسرهم كما وقع في بدر الا ما يأتي من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ورغبنا في الفداء وقد

معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك وفي رواية فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يا رسول الله وصار الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أي لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة ما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفي لفظ عطفة البقر على أولادها وفي رواية اقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها وفي رواية فجاء المهاجرون والانصار بسيوفهم في أيمانهم كأنها الشهب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار قتالا شديدا فنظر الى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حر التنور وهذا من فصيح الكلام ولم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم فولى المشركون الادبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم وكان في ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة في هذا الموطن الذي هو موطن الحرب والطعن والضرب تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة والامن ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل لان الخيل مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلا عليه وقد أجمعت الصحابة رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم ما انهزم مع من انهزم بل صار يقدم في وجه العدو بل ما انهزم في موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك قال القاضي عياض من قال انه انهزم يستتاب فان تاب والا قتل ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلا وأسرا حتى حدث بعض من هوازن بعد اسلامه قال ما خيل لنا الا ان كل حجر وشجر فارس يطلبنا وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا فقيل انهم قاتلوا وقيل لم يقاتلوا وانما نزلوا لالقاء السكينة في قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه ودعا وقال اللهم انشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي ان يظهروا علينا اللهم كنت وتكون وانت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يا حي يا قيوم اللهم ان

تشاالآن لاتعبد بعد اليوم اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد لقنت الكلمات التى لقن
الله موسى يوم فلق له البحر كان البحر أمامه وفرعون خلفه وكان فى يوم حنين أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء
فى رأس رمح طويل وهوازن خلفه ان أدرك من أمامه طعنه برمحه وان فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ أهوى
اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ورجل من الانصار يريدانه فأتى على رضى الله عنه من خلفه وضرب عرقوبى الجمل
فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتوفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة بما فى نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل ان يتمكن الاسلام فى قلوبهم وقالوا لا تنتهى هذه الهزيمة دون البحر وقالوا غلبت والله هوازن ولم يرض صفوان بن أمية بتلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل ذلك بفيك الكثكث أى الحجارة والتراب وقال هشام ابن كلدة وكان اخا لصفوان لامه بطل سحر محمد فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربنى رجل من قريش احب الى من ان يربنى رجل من هوازن ومر رجل على صفوان فقال له أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال اتبشرنى بظهور الاعراب فوالله لرب من قريش أى مالك بدر امرى احب الى من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبى جهل لمن قال لا يجبرونها ابدا ليس هذا لك ولا بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شئ ان ديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا ووصلت الهزيمة الى مكة
وسر بذلك قوم لم يتمكن الاسلام فى قلوبهم واظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد
وجماعة معه فلم يتغير واحماهم عليه حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وانهزام هوازن ومن معهم وعن
قتادة قال مضى سرعان المنهزمين الى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة فسر بذلك قوم من أهلها واظهروا الشماتة وقال قائلهم

يقال رغبوا فى الفداء بعد القسمة والله أعلم قال وعن عائشة رضى الله عنها قالت كانت جويرية امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد الا أخذت بنفسه فبينما النبى صلى الله عليه وسلم عندى ونحن على الماء أى الذى هو المريسيع اذ دخلت جويرية تسأله فى كتابتها فوالله ما هو الا ان رأيتها فكرهت دخولها على النبى صلى الله عليه وسلم وعرفت انه سيرى منها مثل الذى رأيت فقالت يارسول الله انى امرأة مسلمة الحديث انتهى وانما كرهت ذلك لما جبلت عليه النساء من الغيرة ومن ثم جاء انه صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فأرسل عائشة رضى الله تعالى عنها لتنظر اليها فلما رجعت اليه قالت ما رأيت طائلا فقال لها لقد رأيت خالا بخدها اقشعرت منه كل شعرة فى جسدك أى وفى لفظ آخر عن عائشة رضى الله عنها فما هو الا أن وقفت جويرية بباب الخباء لتستعين رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتابتها فنظرت اليها فرأيت على وجهها ملاحة وحسنا فايقنت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رآها أعجبته علما منها بوقع الجمال منه صلى الله عليه وسلم فما هو الا ان كلمته صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم خير من ذلك أنا أؤدى كتابتك وأتزوجك فقضى عنها كتابتها وتزوجها والملاح أبلغ من المليح والمليح مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه الملح بقدر ما يصلحه قال الاصمعى رحمه الله الحسن فى العينين والجمال فى الانف والملاحة فى الفم وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذى هو المريسيع ويؤيده ما يأتى عنها رضى الله تعالى عنها قال الشمس الشامى رحمه الله ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لجويرية حتى عرف من حسنها مادعاه لتزوجها لانها كانت أمة مملوكة أى لانها مكاتبة ولو كانت غير مملوكة أى حرة ماملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها أو أنه صلى الله عليه وسلم نوى نكاحها أو ان ذلك كان قبل آية الحجاب (أقول) تبع فى هذا السهيلى رحمه الله وقد قدمنا ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز نظر الاجنبية والخلوة بها لامنه صلى الله عليه وسلم من الفتنة فلا يحسن قوله ولو كانت حرة ماملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها ٭ ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم حرمة نكاح الامة فلا يحسن قوله أو انه نوى نكاحها وان نزول آية الحجاب كان فى سنة ثلاث على الراجح ومذهب الشافعى رضى الله عنه حرمة نظر سائر بدن الامة الاجنبية كالحرة على الراجح عند الشافعية ومنهم الشمس الشامى فلا يحسن قوله لانها كانت أمة مملوكة والله أعلم روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بنى المصطلق فسبينا كرائم العرب أى واقتسمناها وملكناها فطالت علينا العزبة ورغبنا فى الفداء فأردنا نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ذلك وفى لفظ فأصبنا سبايا وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة وأحببنا الفداء وأردنا أن نستمتع ونعزل وقلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فسألناه عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة أى نفس اقدرها هى كائنة الى يوم القيامة الا ستكون وفى لفظ ما عليكم أن لا تفعلوا فان الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيامة

وفى

ترجع العرب الى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه فقال عتاب بن أسيد رضى الله عنه ان قتل محمد فان دين الله قائم والذى يعبده
محمد حى لا يموت فما أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصره صلى الله عليه وسلم فسر عتاب ومعاذ وكبت الله من كان يسره خلاف ذلك ولما
انعطف المسلمون راجعين انتهوا فى قتالهم هوازن الى قتل الذرية فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال صلى الله
عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه روى ان أبا طلحة الانصارى رضى الله عنه قتل وحده عشرين قتيلا وأخذ أسلابهم
وأدرك ربيعة بن رفيع السلمى دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيأ فقال له دريد بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا هلا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله وقيل القاتل لدريد الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أم سليم رضى الله عنها مع زوجها أبى طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه وكانت رضى الله عنها حازمة وسطها ببرد لها وفى حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبى طلحة فقال لها زوجها ما هذا الخنجر الذى معك يا أم سليم قالت ان دنا منى أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة
الا تسمع يارسول الله ما تقول أم سليم فاعاد عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وقالت أم سليم رضى الله عنها للنبى
صلى الله عليه وسلم بابى أنت وأمى يارسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
قد كفى وأحسن أى وقد غفر الله لهم كما قال تعالى وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله
غفور رحيم وجرح خالد بن الوليد رضى الله عنه جراحات أثقلت به وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم

وفى رواية لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك فانما هو القدر وفى رواية ما من كل الماء يكون الولد واذا أراد الله خلق شئ لم يمنعه أى ما عليكم حرج فى عدم فعل العزل وهو الانزال فى الفرج لان العزل الانزال خارج الفرج فيجامع حتى اذا قارب الانزال نزع فأنزل خارج الفرج ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة أى عزلتم أم لا فلا فائدة فى عزلكم لان الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجىء الولد وقد ينزل فى الفرج ولا يجىء الولد وكون ذلك كان فى بنى المصطلق هو الصحيح خلافا لما نقل عن موسى بن عقبة رحمه الله تعالى ان ذلك كان فى غزوة أوطاس وقول أبى سعيد رضى الله عنه قد طالت علينا العزبة واشتهينا النساء أى لعل أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه ومن تكلم على لسانه كان فى المدينة أعزب والا فايام تلك الغزوة لم تطل فانها كانت ثمانية وعشرين يوما قال أبو سعيد رضى الله عنه فقدم علينا وفدهم أى بالمدينة فى الامتاع وكانوا قدموا المدينة ببعض السبى فقدم عليهم أهلوهم فافتدوا الذرية والنساء كل واحد بست فرائض ورجعوا الى بلادهم قال أبو سعيد رضى الله عنه وخرجت بجارية أبيعها فى السوق أى قبل أن يقدم وفدهم فى فدائهم فقال لى يهودى يا أبا سعيد تريد بيعها وفى بطنها منك سخلة هى فى الاصل ولد الغنم فقلت كلا انى كنت أعزل عنها فقال تلك الوأدة الصغرى أى المرة من الوأد وهو ان يدفن الرجل بنته حية فالموؤدة البنت تدفن فى القبر وهى حية كانت الجاهلية خصوصا كندة تفعل ذلك فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال كذبت يهود كذبت يهود زاد فى رواية لو أراد الله عز وجل أن يخلقه ما استطعت ان تصرفه وبهذا مع ما تقدم من نفى الحرج استدل أغتنا رحمهم الله على جواز العزل مع الكراهة فى كل امرأة سرية او حرة فى كل حال سواء رضيت أم لا وقال جمع بحرمته قالوا لانه طريق الى قطع النسل وفى مسلم ما يوافق ما قالته يهود ففى مسلم سألوه صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفى أى بمثابة دفن البنت حية الذى كان يفعله الجاهلية خوف الاملاق أو خوف حصول العار الآن وقال هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه بحل ذلك ثم نسخ فلا مخالفة ويدل لذلك ما فى مسلم أيضا عن جابر رضى الله عنه كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل فلم ينهنا وفى رواية ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية هى خادمنا وساقيتنا فى النخل وانا أكره أن تحمل فقال صلى الله عليه وسلم اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم أتاه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الجارية قد حبلت فقال قد أخبرتك انه سيأتيها ما قدر لها فقد أرشده صلى الله عليه وسلم الى العزل الذى لا يكون معه الولد غالبا وأخبر بان ذلك لا يمنع وجود ما قدر لها من حصول الولد وعن عبد الله بن زياد رضى الله عنه قال افاء أى غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق جويرية بنت الحرث وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأقبل أبوها فى فدائها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التى يفدى بها ابنته فرغب فى بعيرين منها كانا من أفضلها

بعد ماهزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم عشى فى المسلمين ويقول من يدلنى على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة الرحل لانه أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم فى جراحاته فبرأ لوقته وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيأ أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك انه الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم وكان جملة من قتل من المسلمين فى هذه الوقعة أربعة فقط وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين قتيل وفى الانهزام أكثر من ثلثمائة وأسر منهم خلق كثير ومن النساء ستة آلاف نفس وغنم المسلمون من الابل أربعة وعشرين ألف بعير ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ولم يذكروا عدد البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكروا ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائذ بن عمرو رضى الله عنه قال أصابتنى رمية يوم حنين فى جبهتى وسال الدم على وجهى وصدرى فسلت النبى صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهى وصدرى الى ترقوتى ثم دعا لى فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فارسل اليهم صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعرى رضى الله عنه كما يأتى على الأثر والله أعلم

سرية أبى عامر الاشعرى رضى الله عنه

وهو عم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس بعث صلى الله عليه وسلم من أبا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فالتقوا بأوطاس وهو واد فى ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة بأوطاس فانتهى اليهم أبو عامر فاذاهم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول

فعقلهما فى شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتى وفى رواية قال يا رسول الله كريمة لا تسبى وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا فقال الحرث أشهد انك رسول الله ما اطلع على ذلك الا الله وأسلم ولعله دخل بالامان الى المدينة وفى رواية أنه أسلم قبل ذلك وأسلم معه ابنان وناس من قومه وعليه فيكون قوله فأسلم أى أظهر اسلامه وعند ذلك أمره صلى الله عليه وسلم أن يخيرها فقال أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحى قومك قالت اخترت الله ورسوله وفيه كيف يأمره صلى الله عليه وسلم بتخييرها بعد ان تزوجها كما تقدم ان مقتضى السياق انه تزوجها وهم على الماء ثم رأيت الامام أبا العباس بن تيمية أنكر مجىء أبيها وتخييرها فليتأمل وفى الاستيعاب ان عبد الله بن الحرث أخا جويرية بنت الحرث زوج النبى صلى الله عليه وسلم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى فداء أسارى بنى المصطلق وغيب فى الطريق ذودا وجارية سوداء فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسارى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فما جئت به قال ما جئت بشىء قال فأين الذود والجارية السوداء الذى غيبت فى موضع كذا قال أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله والله ما كان معى أحد ولا سبقنى اليك أحد فاسلم وفيه ما تقدم فى أبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك الهجرة حتى تبلغ برك الغماد هذا كلامه والذود من الابل ما بين الثلاث الى العشر والمتبادر من هذا السياق انه جاء بذلك الذود وتلك الجارية للفداء فعن له أن يسأل فى الفداء من غير شىء فغيب ذلك الذود وتلك الجارية طمعا فى أنه صلى الله عليه وسلم يجيبه لذلك لمكان أخته عنده ويحتمل أن العبارة فيها اختصار وحينئذ يكون الاصل فى قوله صلى الله عليه وسلم فما جئت به المال الزائد على هذا الذى جئت به فيكون الذود والجارية بعض ما جاء به للفداء فقال ما جئت بشىء أى زائد على هذا الذى جئت به لانه يبعد أن يطلب الفداء من غير شىء فليتأمل وفى لفظ انه لما جاء أبوها فى فدائها دفعت اليه ابنته جويرية وأسلمت وحسن اسلامها فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم الى أبيها فزوجه اياها وأصدقها أربعمائة درهم وفى الامتاع يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق كل أسير من بنى المصطلق ويقال جعل صداقها عتق أربعين من قومها ولا يخفى ان مجىء أبيها فى فدائها وتزويجها النبى صلى الله عليه وسلم مخالف لسياق ما تقدم أنه تزوجها وهم على الماء ويحتاج للجمع بين ما ذكر وبين ما روى انه لما رأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية قالوا فى حق بنى المصطلق اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم منهم وعبارة الامتاع ولما تزوجها صلى الله عليه وسلم خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بنى المصطلق وملكوهم ووطؤا نساءهم فقالوا اصهار النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبى وعن جويرية رضى الله عنها قالت لما أعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى والله ما كلمته فى قومى حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية

اللهم اشهد عليه بأنى دعوته الى الاسلام فلم يجب ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد على فكف عنه أبو عامر ظنا منه انه أسلم فأفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبى عامر ثم استشهد أبو عامر رضى الله عنه قتله أخوان وهما العلاء وأوفى ابنا الحرث بن جشم وجاء ان أبا موسى أدرك قاتل عمه فقتله وقيل ان الذى قتله عاشر الاخوة التسعة وهو الذى أسلم بعد ثم خلف أبا عامر أبو موسى رضى الله عنه باستخلاف عمه له فأقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ودعا النبى صلى الله عليه وسلم لابى عامر وقال اللهم اغفر لابى عامر واجعله من أعلى أمتى فى الجنة وفى رواية وادخله يوم القيامة مدخلا كريما

ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى ذى الكفين

وهو صنم من خشب كان لعمرو ابن حممة الدوسى وذلك انه لما أراد صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف بعث الطفيل لاحراق ذلك الصنم وان يوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يلقى النار فى وجهه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا
انى حشوت النار فى فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا لانه كان مطاعا فى قومه فوافوا النبى صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه من الطائف بأربعة أيام

غزوة الطائف

وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار الى الطائف وجعل خالد بن الوليد على مقدمته فى ألف من أصحابه وكانت ثقيف لما انهزموا دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه ومر صلى الله عليه وسلم فى طريقه بحصن لمالك بن عوف فأمر به فهدم ومر بحائط أى بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم اما ان تخرج واما ان نحرق عليك حائطك فأبى أن يخرج منه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ولما وصل خالد رضى الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريبا من

من بنات عمى تخبرنى الخبر فحمدت الله سبحانه وتعالى (أقول) وذكر بعضهم أن ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم بها طلبتهم منه فوهبهم لها ويحتاج للجمع ويقال فى الجمع بين ما تقدم من فدائهم واطلاقهم من غير فداء بانه يجوز أن يكون الفداء وقع لبعضهم قبل عتق جويرية والتزوج بها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم أطلق بعضهم الآخر الباقى فالفداء وقع لبعضهم والاعتاق وقع لبعضهم الآخر فان السبى كان لاهل مائتى بيت ويؤيد ذلك قول بعضهم كان السبى منهم من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ومنهم من افتدى ويؤيد ذلك ما يأتى فى كلام عائشة رضى الله عنها ان الاعتاق كان لاهل مائة بيت أى فيكون الفداء لاهل مائة بيت والاطلاق فى الفداء لاهل المائة الاخرى ويكون مراد جويرية رضى الله عنها بقولها ما كلمته فى قومى أى فيمن بقى منهم ثم لا يخفى ان مجىء أبيها أو أخيها ومجىء وفدهم لفدائهم مخالف لما تقدم من انه أسر سائرهم الرجال والنساء والذرية ولم يفلت منهم أحد وبعد غياب هؤلاء خصوصا أباها الذى كان يجمع القوم فعليك ان تتنبه للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها والله أعلم ثم بعد ذلك أسلم بنو المصطلق وبعد بعامين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط لاخذ الصدقة أى وكان بينهم وبينه شحناء فى الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحا وسرورا بقدومه فتوهم انهم خرجوا لقتاله ففر راجعا وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ارتدوا فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم أى وأكثر المسلمون ذكر غزوهم فعند ذلك قدم وفدهم واخبروا بأنهم خرجوا اليه ليكرموه ويؤدوا ما عليهم من الصدقة أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم خالد بن الوليد فأخبروه الخبر وعند ارساله قال له صلى الله عليه وسلم ارمقهم عند الصلاة فان كان القوم تركوا الصلاة فشأنك بهم فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فاذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس فأذن ثم أقام الصلاة فصلوا المغرب ثم لما غاب الشفق أذن مؤذنهم ثم أقام الصلاة فصلوا العشاء ثم لما كان جوف الليل فاذا هم يتهجدون ثم عند طلوع الفجر أذن مؤذنهم وأقام الصلاة فصلوا فلما انصرفوا وأضاء النهار فاذا هم بنواصى الخيل فى ديارهم فقالوا ما هذا قيل خالد بن الوليد فقالوا يا خالد ما شأنك قال أنتم والله شأنى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له انكم تركتم الصلاة وكفرتم بالله فجثوا يبكون وقالوا معاذ الله وهذا الوليد بيننا وبينه شحناء فى الجاهلية وانما خرجنا بالسيوف خشية ان يكافئنا بالذى كان بيننا وبينه فرد الخيل عنهم ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الآيتين قال ابن عبد البر رحمه الله لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت ان قوله ان جاءكم فاسق بنبأ نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق لاخذ صدقاتهم أى ونزل فيه وفى على ابن أبى طالب كرم الله وجهه أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أى فكان يدعى

الحصن وعسكرهنالك فرموا المسلمين بالنبل رمياشديدا حتى أصيب كثيرمن المسلمين بجراحات وقتل من المسلمين اثناعشر رجلامنهم عبدالله بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه وهو أخو أم سلمة رضى الله عنها وأصيبت عين أبى سفيان رضى الله عنه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وعينه فى يده فقال يارسول الله هذه عينى أصيبت فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين فى الجنة قال فى الجنة ورمى بها من يده وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدم الكلام على ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الطائف نزل قريبا من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمى به فى الاسلام وكان الذى أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه بل قيل انه صنعه بيده وأقبل خالدبن الوليد رضى الله عنه ينادى أهل الحصن و يقول من يبارز فلم يطلع اليه أحد وناداه عبدياليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك باسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تحت دبابتين لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدار الحصن ليخرقوه ففطن لهم ثقيف فارسلوا اليهم سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا والدبابة بفتح الدال المهملة وموحدة مشددة و بعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث هى آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعاذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم فانى أدعها لله وللرحم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص فى بكرة فقيل له أبو بكرة وكان عبد للحرث بن كلدة فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ان

الفاسق و بعثه لاخذ صدقات بنى المصطلق يرد قول من قال انه ممن أسلم يوم الفتح وكان قد ناهز الحلم أى و يرد ما روى بعضهم عنه انه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤسهم و يدعو لهم بالبركة فاتى بى اليه وأنا مضمخ بالخلوق فلم يمسح على رأسى ولم يمنعه من ذلك الا وجود الخلوق و يرد ذلك أيضا ما سيأتى انه خرج هو وأخوه عمارة ليردا اختهما أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها فى الهدنة هدنة الحديبية والوليد هذا كان أخا عثمان بن عفان لامه وولاه الكوفة أى وعزل عنها سعد بن أبى وقاص فلما قدم الوليد الكوفة على سعد رضى الله عنه قال له والله ما أدرى اصرت كيسا بعدنا أم حمقنا بعدك فقال له لا تجزعن أبا اسحق وانما هو الملك يتغداه قوم و يتعشاه آخرون فقال سعد أراكم يعنى بنى أمية ستجعلونها والله يعنى الخلافة ملكا وعند ذلك قال الناس بئسما فعل عثمان رضى الله عنه عزل سعدا الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى أخاه الخائن الفاسق كما تقدم ولقى الوليد بن مسعود رضى الله عنه فقال له ما جاء بك فقال جئت أميرا فقال له ابن مسعود ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسد الناس وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما شرب الخمر ليلة من أول الليل الى الفجر فلما أذن المؤذن لصلاة الفجر خرج الى المسجد وصلى باهل الكوفة الصبح أربع ركعات وصار يقول فى ركوعه وسجوده اشرب واسقنى ثم قاء فى المحراب ثم سلم وقال هل أزيدكم فقال له ابن مسعود رضى الله عنه لا زادك الله خيرا ولا من بعثك الينا وأخذ فردة خفه وضرب بها وجه الوليد وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح والى ذلك يشير الحطيئة بقوله

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا وما يدرى

ولما شهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان بن عفان رضى الله عنه استقدمه وأمر به فجلد أى أمر عليا كرم الله وجهه ان يقيم عليه الحد فجلده وقيل فقال على كرم الله وجهه لابن أخيه عبد الله ابن جعفر رضى الله عنهما أقم عليه الحد أى بعد ان أمر ابنه الحسن رضى الله عنه بذلك فامتنع فاخذ عبد الله رضى الله عنه السوط وجلده وعلى كرم الله وجهه يعد عليه حتى بلغ أربعين فقال لعبد الله امسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر أربعين وجلد أبو بكر رضى الله عنه أربعين وجلد عمر رضى الله عنه ثمانين وكل سنة وهذا أى ما فعلته من جلده أربعين أحب الى من جلد عمر ثمانين هذا وفى البخارى ان عبد الله جلده ثمانين واجيب عنه بان السوط كان له رأسان وحينئذ يكون قوله وكل سنة أى طريقة فالاربعون طريقته صلى الله عليه وسلم وطريقة الصديق رضى الله عنه والثمانون طريقة عمر رضى الله عنه رآها اجتهادا مع استشارته لبعض الصحابة فى ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر و بعد ان جلده عزله عن الكوفة وأعاد سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه ولما أراد سعد أن يصعد المنبر قال لا أصعد عليه حتى تغسلوه من آثار الوليد الفاسق فانه نجس فغسلوه كما تقدم وارسال الوليد بن عقبة لبنى المصطلق كان ينبغى

واستأذن عيينة بن حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يأتى ثقيفا فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فأذن له فى ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم تمسكوا فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ولا تعطوا بايديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يا رسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر منهم عبد الله بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه أخو أم سلمة رضى الله عنها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف قالت خولة بنت حكيم رضى الله عنها قلت له يا رسول الله ما يمنعك أن تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت انك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يا رسول الله قال لا واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام فقال له ثعلب فى جحر ان أقمت أخذته وان تركته لم يضرك قال ابن اسحق و بلغنى انه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الصديق رضى الله عنه انى رأيت انى أهديت لى قعبة مملوأة زبدا فنقرها ديك فهراق ما فيها فقال أبو بكر رضى الله عنه ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك وكان الحكمة فى انه لم يؤذن له فى فتح الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلا فانه أخر الله أمرهم حتى جاؤا طائعين مسلمين كما سيأتى ذكره فى الوفود ان شاء الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاذن فى الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فاصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا ان رأيه صلى الله عليه وسلم أبرك

أن يذكر فى السرايا وكذا ارسال خالد رضى الله عنه لهم قالت عائشة رضى الله عنها الا اعلم امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية اعتق بتزويجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مائة بيت أى ومن المعلوم ان هذا كان قبل سبايا اوطاس الذين اطلقوا بسبب اخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على ما سيأتى فى بعض الروايات وقيل فى حقها ما عرفت امرأة هى أيمن على قومها منها وذكرت جويرية رضى الله عنها انها قبل قدومه صلى الله عليه وسلم عليهم بثلاث ليال رأت كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرها أى وعنها رضى الله عنها قالت فكرهت ان أخبر بها أحدا من الناس فلما سبينا رجوت الرؤيا قال وعنها رضى الله عنها انها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع فأسمع أبى يقول أتانا ما لا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة فلما ان أسلمت وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت أنه رعب من الله تعالى يلقيه فى قلوب المشركين أى وهذا ربما يؤيد ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذى هو المريسيع وكان رجل منهم ممن أسلم وحسن اسلامه يقول لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد انتهى وهو يدل على ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانت مددا لهم فى هذه الغزوة ولم يقتل فى غزوة بنى المصطلق من المسلمين الا رجل واحد قتله رجل من الانصار خطأ يظنه من العدو والمقتول هشام بن صبابة رضى الله عنه أقول وهذا محمل قول الحافظ الدمياطى رحمه الله فى سيرته انه لم يقتل من المسلمين الا رجل واحد فاعتراض صاحب الهدى عليه بان هذا وهم لانهم لم يكن بينهم قتال ليس فى محله لانه فهم ان الرجل قتله الكفار وقد علمت انه انما قتله شخص من الانصار يظنه من العدو والله أعلم وقدم أخو هذا المقتول من مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر الاسلام وقال جئت أطلب دية أخى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه فأخذها مائة من الابل وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا ويوم فتح مكة اهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتل فى ذلك اليوم كما سيأتى وما هنا هو الصحيح خلافا لما يأتى عن الاصل فى فتح مكة ان قتل أخيه كان فى غزوة ذى قرد ثم بعد انقضاء الحرب وهم على الماء اختصم أجير لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أى كان يقود له فرسه يقال له جهجاه رضى الله عنه مع رجل من حلفاء الخزرج قيل حليف عمرو بن عمرو وقيل حليف عبد الله بن أبى ابن سلول وهو سنان بن فروة رضى الله عنه أى فضرب أجير عمر رضى الله عنه حليف الخزرج فسال الدم وفى لفظ كسعه أى دفعه فنادى حليف الخزرج يا معشر الانصار أى وقيل قال يا للخزرج ونادى أجير عمر يا معشر المهاجرين وقيل قال يا لكنانة يا لقريش فاقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح حتى كاد أن تكون فتنة عظيمة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية فاخبر بالحال أى فقالوا رجل من المهاجرين ضرب رجلا من

وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل له يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ورحم الله الابوصيري حيث يقول

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع للكتاب الذى كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه وينادى أنا سراقة وهذا كتابى فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فادنوه منه فاسلم رضى الله عنه وسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الضالة من الابل ترد حوضه الذى ملأه لابله هل له فى ذلك أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فى كل ذات كبد حرى أجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم الجعرانة أمر باحصاء السبى فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والاسرى ومن الابل أربعة وعشرين ألفا ومن الغنم أكثر من أربعين ألفا ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما يتبع ذلك من الامتعة وكان صلى الله عليه وسلم قد انتظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوازن مسلمين ورد عليهم السبى كما سيأتى وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصرى فقالوا هو مع ثقيف بالطائف فقال اخبروه انه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما أخبروا مالكا بذلك ركب مستخفيا فادرك النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل كما وعد صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وقال حين أسلم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * فى الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل اذا اجتدى * ومتى تشا يخبرك عما فى غد
فكأنه ليث على اشباله * وسط الهباءة خادر فى مرصد

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه وضيق عليهم حتى

الانصار فقال صلى الله عليه وسلم دعوها أى تلك الكلمة التى هى يا لفلان فانها منتنة أى مذمومة لانها من دعوى الجاهلية وجاء من دعا دعوى الجاهلية كان من جثى جهنم أى مما يرمى به فيها قيل يارسول الله وان صام وان صلى وزعم أنه مسلم قال وان صام وان صلى وزعم انه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه ناصر أى له وان كان مظلوما فلينصره أى يزيل ظلامته ثم كلموا ذلك المضروب فترك حقه فسكنت الفتنة وانطفت نائرة الحرب وجهجاه هذا روى عنه عطاء بن يسار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معى واحد وهو المراد بهذا الحديث فى كفره واسلامه لانه شرب حلاب سبع شياه قبل أن يسلم ثم أسلم فلم يستتم حلاب شاة واحدة أى وسيأتى نظير ذلك لثمامة الحنفى ونقل أبو عبيد أن الرجل الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو أبو بصرة الغفارى أى ولا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال ذلك فى حق الرجل المذكور أيضا فقد تكرر منه صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات لرجال ثلاثة أكل كل واحد منهم فى الكفر أكثر مما أكل فى الاسلام قال ابن عبد البر رحمه الله وجهجاه هذا هو الذى تناول عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله عنه وهو يخطب فكسرها على ركبته فاخذته أكلة فى ركبته فمات منها هذا كلامه وفى كلام السهيلى رحمه الله انه انتزع تلك العصا من عثمان حين اخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وكان هو أحد المعينين عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين كونه أخذ العصا منه وهو يخطب وبين كونه أخذها حين اخرج من المسجد لانه يجوز أن يكون اخرج من المسجد فى أثناء الخطبة وأخذت العصا منه حينئذ وعند تخاصم الرجلين غضب عبد الله بن أبى ابن سلول وكان عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن أرقم رضى الله عنه وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبى لعنه الله والله ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها نافرونا أى غلبونا وكاثرونا فى بلادنا أى وانكرونا ملتنا والله ما أعدنا أى أظننا يعنى معاشر الانصار وقريش وفى رواية وجلابيب قريش هؤلاء يعنى معاشر المهاجرين الا كما قال الاول أى الاقدمون فى أمثالهم سمن كلبك يأكلك أى ويقولون اجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت انى سأموت قبل ان اسمع هاتفا يهتف بما سمعت أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل النبى صلى الله عليه وسلم وفى الاستيعاب ان عبد الله بن أبى قال ذلك فى غزوة تبوك هذا كلامه وفيه نظر ظاهر والجلابيب جمع جلبيب ما يجلب من بلد الى غيره يعنى أغراب وقيل شبهوا بالجلابيب التى هى الازر الغلاظ القليلة القيمة ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم أى ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فايتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا

أسلموا وشهد فتح القادسية وفتح دمشق فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما جاء وفد هوازن الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان قسم الغنائم سألوه ان يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله عليه وسلم معى من ترون يعنى من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت فاختاروا اما السبى واما المال فاختاروا السبى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى رد سبيهم عليهم فردوه كلهم الا عيينة بن حصن فانه أبى أن يرد عجوزا كبيرة وقال هذه أم الحى

لعلهم ان يغلوا فداءها ثم ردها بست قلائص كما سيأتى وكانت فى السبى أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاع وهى الشيماء قيل وأمه حليمة رضى الله عنها ولما قالت له الشيماء أنا أختك يارسول الله قال وما علامة ذلك فأخبرته بعضة كان عضها اياها حين كان مسترضعا عندهم وأرته اياها فعرفها وتذكر ذلك فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بامه حليمة رضى الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء لما ان عرفها سلى تعطى واشفعى تشفعى وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته فى قومك لرجونا ان يحابينا فاتته فقالت أتعرفنى قال من أنت قالت أنا أختك بنت أبى ذؤيب وآية ذلك انى حملتك فعضضت كتفى عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبى وهم ستة آلاف فوهبهم لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أيمن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم فقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت ان أمتعك وترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وأرجع الى قومى فاعطاها نعما وشاء وغلاما يقال له مكحول وجارية وقيل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل القادم عليه أمه وقيل هما معا جمعا بين الروايات وجاءه أبو صرد ويكنى بابى برقان وكان عما له صلى الله عليه وسلم من الرضاع فقال يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك وان فيمن أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات ونرغب الى الله واليك يارسول الله وقال زهير بن صرد يارسول الله ان ما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك أى لان مرضعته حليمة رضى الله عنها كانت من هوازن لو أرضعنا الحرث بن أبى شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما نزلت بنا رجونا عطفه

من عند محمد صلى الله عليه وسلم فسمع ذلك زيد بن أرقم رضى الله عنه على ما هو الصحيح وقيل سفيان بن تيم فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى ونفر من المهاجرين والانصار وفى البخارى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه فذكرت ذلك لعمى أو لعمر فذكره للنبى صلى الله عليه وسلم فدعانى فحدثته فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وتغير وجهه وقال له يا غلام لعلك غضبت عليه قال والله يارسول الله لقد سمعته منه قال لعله اخطأ سمعك ولامه من حضر من الانصار وقالوا عمدت الى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل أى وفى البخارى فكذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابنى هم لم يصبنى مثله قط وجلست فى البيت أى الخباء فقال لى عمى ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك فقال زيد والله لقد سمعت ما قال ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لارجو أن ينزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ما يصدق حديثى أى وقيل ان زيد بن أرقم رضى الله عنه قال لابن أبى لما قال أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل أنت والله الذليل المنقص فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال له ابن أبى لعنه الله اسكت فانما كنت ألعب فعند تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه عمر رضى الله عنه فى ان يقتل ابن أبى والتمس منه ان يأمر غيره بقتله اذا لم يأذن له فى ذلك أى فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبى ما كان جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فى شجرة أى ظلها عنده غليم أسود يغمز ظهره أى يكبسه فقلت يارسول الله كأنك تشتكى ظهرك فقال تقحمت بى الناقة أى ألقتنى الليلة فقلت يارسول ائذن لى أن أضرب عنق ابن أبى أو مر محمد بن مسلمة بقتله أى وفى رواية مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه وفى لفظ ان عمر رضى الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كرهت ان يقتله مهاجرى فامر به انصاريا فقال ترعد له اذن انف كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته صلى الله عليه وسلم لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز و يبعد أن يكون ذلك كان قبل النهى عن ذلك ولكن أذن بالرحيل وكان ذلك فى ساعة لم يكن يرتحل فيها أى وفى رواية لما شاع الخبر ولم يكن للناس حديث فى ذلك اليوم أى الوقت الا ذلك اذن بالرحيل وكانت ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها أى لشدة الحر فارتحل الناس وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أسيد بن حضير رضى الله عنه فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أى قال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وقال يا نبى الله لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها أى فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يرحل الا ان برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بلغك ما قال صاحبكم فقال أى صاحب يارسول الله قال عبد الله بن أبى ابن سلول قال وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل قال فأنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت

وعائدته علينا وأنت خير المكفولين ثم أنشده أبياتا يستعطفه بها منها قوله امنن علينا رسول الله في كرم * فإنك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك يملؤه من محضها الدرر انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية ان تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم
ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت
انكم لا تقدمون لانه كما تقدم انتظرهم بعد ان قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفي رواية قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأي الامرين أحب اليكم السبي أم الاموال وفي رواية قال لهم اما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم ثم قال لهم اذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا واظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم في الدين فسأسأل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أثنى على الله بما هو أهله أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين واني قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل وفي رواية قال وأما من تمسك منكم بحقه من السبي فله بكل انسان ست قلائص وفي رواية فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ في الزكاة ونعطيه ذلك من أول سبي نصيبه وفي رواية
فمن أحب ان يعطي غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطي وأراد أخذ الفداء فعلي فداؤهم ثم قال اما ما كان لي ولبني
عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس اما انا وبنو تميم
فلا وقال عيينة بن حصن الفزاري اما انا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس السلمي اما انا وبنو سليم فلا فقال بنو سليم بلى ما كان
لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس وهنتموني أي أضعفتموني حيث صيرتموني منفردا وفي رواية فقال رسول الله

هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وفي رواية لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ما بقيت عليهم الا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي فانه ليرى انك استلبته ملكا وقد تقدم الاعتذار عنه بذلك في غير ما مرة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا أي صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها أي مارق من جلد أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر ذلك اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي ابن سلول قال وذهب بعض الانصار الذين سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام الى ابن أبي لعنه الله فقال له يا أبا الحباب ان كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فليستغفر لك ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك وان كنت لم تقله فائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر له واحلف له ما قلته فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيأ ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أبي ان كانت سبقت منك مقالة فتب فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به انتهى أي وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى ابن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني عنك فقال والذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل أي وفي لفظ انهم قالوا يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام ثم ان عبد الله رضي الله عنه ولد عبد الله بن أبي ابن سلول أي وكان اسمه الحباب فسماه صلى الله عليه وسلم يوم موت أبيه عبد الله لما بلغه مقالة عمر رضي الله عنه من قتل أبيه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني والده فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني ان أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني اني اخشى ان تأمر به غيري فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قال وفي رواية فمرني فوالله لاحملن اليك رأسه قبل ان تقوم من مجلسك هذا واني لاخشى يا رسول الله ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن انظر الى قاتل أبي يمشي في الناس فاقتله فأدخل النار فعفوك أفضل ومنتك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا امرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا فقال عبد الله يا رسول الله ان أبي كانت أهل هذه البحيرة أي المدينة اتفقوا على ان يتوجوه عليهم فجاء الله عز وجل بك فوضعه ورفعنا بك أي زاد في رواية ومعه قوم أي من المنافقين يطيفون به ويذكرونه امورا قد غلب الله عليها وتقدم انه وقع لعبد الله رضي الله عنه مثل ذلك مع أبيه روى الدارقطني مسندا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبي فسلم

عليهم

صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه أن يرده
فليرده ومن أبى فليرد ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال انا لا ندري لعل فيكم من لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضوا وكان
صلى الله عليه وسلم عند تفريق السبي على المسلمين قدام مناديا ينادي أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى
يستبرأن بحيضة وقد اشار صاحب الهمزية الى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ومنه عليهم بقوله
من فضلا على هوازن اذ كا ... ن له قبل ذاك فيهم رباء
واتى السبي فيه أخت رضاع ... وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا ... س به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء ... أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسـ ... ـوة والسيدات فيه اماء
والصحيح انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم جميع السبي ولم يتخلف منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن كما تقدم فأبى ان يردها وقال حين اخذها ارى عجوزا اني لاحسب ان لها في الحي نسبا وعسى ان يعظم فداؤها فجر عليه ولدها وهو زهير بن صرد فسامها منه وأعطاه مائة من الابل فيها فأبى عيينة وطمع في الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال له عيينة خذها بالمائة فأبى وقال لا أدفع الا خمسين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال خذها بالخمسة والعشرين
فقال لا آخذها الا بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالعشرة فقال لا آخذها الا بستة والله ما ثديها بناهد ولا
بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد عند فوتها أي حزين ولا درها بماكد أي غزير فقال له عيينة خذها لا بارك الله لك فيها
وذلك بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم فانه دعا على من أبى ان يرد من السبي شيأ ان يبخس أي يكسد عنه ولما أخذها ولدها قال لعيينة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبي قبطية فقال لا والله ماذاك لها عندي فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف

عليهم ثم ولى فقال عبد الله لقد عنا ابن أبي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يأتيه برأس أبيه فقال لا ولكن بر أباك ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرب المدينة هاجت ريح شديدة تخوفوها كادت تدفن الراكب أي خافوا أن تكون لامر حدث بالمدينة على أهلهم فان مدة الموادعة التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فخافوا على المدينة منه فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليكم منه يعني من عيينة بن حصن بأس ما بالمدينة من نقب أي باب الا وملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكن تعصف هذه الريح لموت عظيم من الكفار وفي رواية لموت منافق وفي لفظ مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم مات في ذلك اليوم زيد بن رفاعة بن التابوت وكان كهفا للمنافقين كان من عظماء يهود بني قينقاع وكان ممن أسلم ظاهرا والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبرت أنها * لموت عظيم في اليهود بطيبة

قال وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بموته فقد جاء ان عبادة بن الصامت قال لابن أبي يا أبا حباب مات خليلك قال أي خليل قال من موته فتح للاسلام وأهله قال من قال زيد بن رفاعة قال واويلاه من أخبرك يا أبا الوليد بموته قال قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا انه مات هذه الساعة فحزن حزنا شديدا انتهى وذكر أهل المدينة ان هذه الريح وجدت بالمدينة وانه لما دفن عدو الله سكنت (أقول) لكن في كلام ابن الجوزي رفاعة بن زيد بن التابوت وهو عم قتادة بن النعمان فقد ذكر عنه قتادة رضي الله عنه ما يدل على صحة اسلامه أي وقد يقال جاز أن يكون أظهر ذلك لقتادة ليظن به ما ظنه من صحة اسلامه قال ابن الجوزي ولهم رفاعة بن التابوت معدود في الصحابة ذكره في الاصابة قال جاء ذكره في حديث مرسل كانوا في الجاهلية اذا أحرموا لم يأتوا بيتا من قبل بابه ولكن من قبل ظهره الا الحمس فانها كانت تأتي البيوت من أبوابها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا ثم خرج من بابه فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن التابوت ولم يكن من الحمس فقالوا يا رسول الله نافق رفاعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت ولم تكن من الحمس قال فان ديننا واحد فنزلت وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها وسيأتي نحو هذه القصة لقطبة بن عامر ولعلها وقعت لهما واما الحديث الذي أخرجه مسلم ان ريحا عظيمة هبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت منافق عظيم النفاق وهو رفاعة بن التابوت فهو آخر غير هذا فقد جاء من وجه آخر رافع بن التابوت أي فذكر رفاعة بدل رافع من تصرف بعض الرواة وذكر في الاصابة ان رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان رضي الله عنه لم يوصف بانه ابن التابوت كما ذكره ابن الجوزي أي فوصفه بابن التابوت من تصرف بعض الرواة فليتأمل والله أعلم وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين اغتابوا

ثوب أبيض من ثياب مصر منسوبة للقبط روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا ان يقدم مكة فيشترى للسبى ثيابا فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصرى عند عمته عاتكة ام عبد الله بن أبى امية المخزومى حتى جاء مالك فسلم اليه اهله وكان الوفد كلموه صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال انما اريد بهم الخير ولم يجز ان تجرى السهمان فى مال مالك بن عوف حتى حضر وردّه عليه وزاده مائة من الابل كما تقدم

لما رجع صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم وهم ناس من قريش أسلموا يوم الفتح اسلاما ضعيفا واراد صلى الله عليه وسلم ان يتمكن الايمان فى قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم اسلم كصفوان ابن أمية ولما جمعت الغنائم واحصيت جاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى كثرة المال قال يا محمد اصبحت اكثر قريش فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم اعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابنى يزيد وكان يقال له يزيد الخير وكان أكبر من معاوية فاعطى صلى الله عليه وسلم لابنه يزيد مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابنى معاوية فأعطاه مائة من الابل واربعين أوقية من فضة فأخذ أبو سفيان وابناه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة فقال أبو سفيان بابى أنت وأمى يا رسول الله لانت كريم فى الحرب وكريم فى السلم لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وجاء حكيم بن حزام فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة من الابل ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فاخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها وقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ احدا بعدك شيأ حتى افارق الدنيا فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى ان يقبل منه شيأ ثم كان عمر رضى الله عنه فى زمن خلافته يدعوه ليعطيه فيأبى ان يقبل فكان عمر رضى الله على

ناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح ولم يعين جابر السفرة فيحتمل ان تكون هى هذه الغزوة وهو ظاهر سياقها فيها ويحتمل ان تكون غيرها وفقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء من بين الابل أى ليلا فجعل المسلمون يطلبونها من كل وجه فقال زيد بن الصلت وكان منافقا كما علمت من بنى قينقاع وكان بمجمع من الانصار أين يذهب هؤلاء فى كل وجه قالوا يطلبون ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلت قال أفلا يخبره الله بمكانها أى وفى لفظ كيف يدعى أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ولا يخبره الذى يأتيه بالوحى فانكر عليه القوم وقالوا قاتلك الله يا عدو الله نافقت وأرادوا قتله فعمد هاربا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعوذا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك الرجل يسمع ان رجلا من المنافقين شمت ان ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ألا يخبره الله بمكانها والله قد أخبرنى بمكانها ولا يعلم الغيب الا الله وانها فى الشعب مقابلكم قد مسك زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها فذهبوا فأتوا بها من حيث قال صلى الله عليه وسلم فقام ذلك الرجل سريعا الى رفقائه فقالوا له حين دنا لا تدن منا فقال لهم انشدكم الله هل أتى أحد منكم محمدا فاخبره خبرى قالوا لا والله ولا قمنا من مجلسنا فقال انى وجدت ما تكلمت به عنده فاشهد أن محمدا رسول الله كأنى لم أسلم الا اليوم فقالوا له فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فذهب اليه واعترف بذنبه واستغفر له قال و يقال انه لم يزل فشلا أى جبانا حتى مات ووقع مثل هذا أى هبوب الريح واضلال ناقته صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وأوقع صلى الله عليه وسلم السباق بين الابل فسابق بلال رضى الله عنه على ناقته صلى الله عليه وسلم القصواء فسبقت غيرها من الابل وسابق أبو سعيد الساعدى رضى الله عنه على فرسه صلى الله عليه وسلم الذى يقال له الظراب فسبق غيره من الخيل اه أى وجاء ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء كانت لا تسبق فجاء اعرابى على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه اه (أقول) فى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة تسابق مع عائشة رضى الله عنها فتحزمت بقبائها وفعل كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقا فسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها هذه بتلك التى كنت سبقتنى يشير صلى الله عليه وسلم الى انه جاء الى بيت أبى بكر رضى الله عنه فوجد مع عائشة شيأ فطلبه منها فابت وسعت وسعى صلى الله عليه وسلم خلفها فسبقته هذا وفى كلام ابن الجوزى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعال حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم وخرجت معه فى سفرة أخرى فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعال حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك فليتأمل قال ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى العقيق تقدم عبد الله رضى الله عنه ابن عبد الله بن أبى ابن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر أبوه فاناخ به ثم وطئ

عنه يقول يا معشر المسلمين انى اعرض على حكيم حقه الذى قسم الله له من هذا الفيء فيأبى ان يقبله رضى الله عنه والذين اعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم مائة مائة من الابل كثير منهم ابو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن حزام والاخنس بن شريق وجبير بن مطعم والجد بن قيس السهمى والحرث بن الحرث والحرث بن هشام اخو ابى جهل وحاطب بن عبد العزى وحرملة بن خودة وحويطب ابن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد بن اسيد وخالف بن هشام وزهير بن ابى اسيد ويزيد الخيل والسائب بن ابى السائب وصيفى بن عائذ وسهل وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبى وعبد الرحمن بن يعقوب الثقفى وسفيان بن عبد الاسد المخزومى وصفوان بن أمية وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم مائة ثم مائة ثم مائة ثم واديا مملوأ ابلا وغنما فلم يزل يعطيه حتى أسلم رضى الله عنه وتقدمت قصته عند ذكره فيمن اهدر دمهم صلى الله عليه وسلم وممن أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم مائة الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وأعطى العباس بن مرداس السلمى دون المائة وكان مناهما رئيسا على قومه كما انهما رئيسان على قومهما فقال يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

اتجعل نهبى ونهب العبيـ
ـد بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس فى مجمع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرؤ
فلم اعط شيأ ولم امنع
وما كنت دون امرئ منهما
ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال النبى صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه واعطوه مثل أصحابه وفى رواية يا أبا بكر اقطع عنى لسانه واعطه مائة من الابل فاعطى تمام المائة والعبيد اسم فرسه واعطى صلى الله عليه وسلم جماعة من المؤلفة خمسين من الابل منهم عثمان بن وهب المخزومى وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدى بن قيس السهمى وعمرو بن مرداس السلمى أخو العباس بن مرداس ومخرمة بن نوفل الزهرى وهشام بن عمرو العامرى وسعيد بن يربوع وذكر بعضهم ان ممن اعطاه مائة اباجهم بن حذيفة العدوى واباسفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وعكرمة بن عامر العبدرى وعلقمة بن علاثة

على يد راحلته فقال أبوه ماتريد يا لكع فقال والله لا تدخل حتى تقر انك الذليل وان رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم أيضا الاعز من الاذل أنت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقول لانا أذل من الصبيان لانا أذل من النساء حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خل عن أبيك فخلى عنه أى وفى لفظ انه لما جاء قال له ابنه وراءك قال مالك ويلك قال والله لا تدخلها يعنى المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الاعز من الاذل وفى لفظ حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنت الاذل فقال له أنت من بين الناس فقال نعم أنا من بين الناس وانصرف الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا له ما صنع ابنه رضى الله عنه فأرسل صلى الله عليه وسلم الى ابنه ان خل عنه وفى لفظ قال له ابنه رضى الله عنه لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال و يحك أفاعل أنت قال نعم ولما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وأنزل الله تعالى سورة المنافقين قال زيد بن أرقم رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء و يعرق جبينه الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورجوت أن ينزل الله تصديقى فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ باذنى وأنا على راحلتى يرفعها الى السماء حتى ارتفعت عن مقعدى وهو يقول وعت أذنك يا غلام وصدق الله حديثك وكذب المنافقين وفى رواية هذا الذى أوفى الله باذنه ونزل وتعيها أذن واعية فكان يقال لزيد بن أرقم رضى الله عنه ذو الاذن الواعية وذكر بعض الرافضة ان قوله تعالى وتعيها أذن واعية جاء فى الحديث أنها نزلت فى على كرم الله وجهه قال الامام ابن تيمية وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم أى وعلى تقدير صحته لا مانع من التعدد وصار قوم عبد الله بن أبى عند نزول سورة المنافقين يعاتبونه و يعنفونه ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أى بغض قومه له ومعاتبتهم له قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه كيف ترى يا عمر انى والله لو قتلته يوم قلت لارعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر رضى الله عنه قد والله علمت لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى اه وجاء أنه لما نزلت سورة المنافقين وفيها تكذيب ابن أبى قال له أصحابه اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتمونى ان أومن فآمنت وأمرتمونى ان أعطى زكاة أموالى فاعطيت فما بقى الا ان أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية وفى تفسير القرطبى عند قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر قال السدى نزلت فى عبد الله بن أبى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بالله يا رسول الله اما أبقيت فضلة من شرابك اسقها أبى لعل الله يطهر بها قلبه فأفضل له فاتاه بها فقال له عبد الله ما هذا فقال هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها

وعمرو بن الاهتم و العلاء بن جارية الثقفى وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامرى ومالك بن عوف رئيس هوازن ومطيع بن الاسود القرشى والنضير بن الحرث بالتصغير اخو النضر المقتول ببدر ونوفل بن معاوية الكنانى وهشام بن الوليد المخزومى وذكر بعضهم عكرمة بن أبى جهل فيمن اعطاه مائة وقيل انه لم يكن حاضرا وهو الصحيح لانه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بامان من النبى صلى الله عليه وسلم فرجع ٣٢٢ كما تقدم ثم قسم النبى صلى الله عليه وسلم بقية الغنائم على بقية الاعراب قال أهل المغازى امر صلى الله عليه وسلم زيد ابن ثابت رضى الله عنه وكان من اعظم كتابه صلى الله عليه وسلم باحضار الناس والغنائم ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا اخذ اثنى عشر من الابل ومائة وعشرين شاة وان كان معه اكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الانصار ولا كبار المهاجرين شيأ فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله تعالى فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فغضب وقال اذا لم اعدل فمن يعدل رحم الله اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضى الله عنهما ائذن لنا نضرب عنقه يارسول الله فقال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لا يتحدث الناس انى اقتل اصحابى فعامل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل بظاهر حاله تألفا للناس ليدخلوا فى الاسلام وقال ناس من الانصار ليسوا منافقين يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله ان هذا العجب اذا كانت شدة فنحن ندعى لها وتعطى الغنائم لغيرنا وددنا أن نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وان كان من النبى صلى الله عليه وسلم استعتبناه فبلغ وكثرة الخبر النبى صلى الله عليه وسلم فارسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من ادم فلما اجتمعوا قام صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال فقهاء الانصار أما فقهاؤنا فلم يقولوا شيأ وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم انى اعطى رجالا حديثى عهد بكفر ومصيبة أتألفهم وانى أردت أن أخبرهم

لعل الله يطهر قلبك بها فقال له أبوه فهلا جئتنى ببول أمك فانه أطهر منها فغضب وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله بالله اما أذنت لى فى قتل أبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وقد جاء ان ابنه رضى الله عنه قال يارسول الله ذرنى أسق والدى من وضوئك لعل قلبه ان يلين فتوضأ صلى الله عليه وسلم وأعطاه فذهب به الى أبيه فسقاه وقال له هل تدرى ما سقيتك قال نعم سقيتنى بول أمك قال لا والله لكن سقيتك بول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة هلال رمضان فكانت غيبته ثمانية وعشرين ليلة قال وفى هذه الغزوة جاءت امرأة بابن لها وقالت يارسول الله هذا ابنى غلبنى عليه الشيطان ففتح صلى الله عليه وسلم فم الولد وبزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله قال ذلك ثلاثا ثم قال للمرأة شأنك بابنك لن يعود اليه شئ مما كان يصيبه وفى هذه الغزوة جاء شخص بثلاث بيضات له صلى الله عليه وسلم من بيض النعام فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه دونك ياجابر فاعمل هذه البيضات قال جابر فعملتهن ثم جئت بهن فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكل من ذلك بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته والبيض كما هو وفى هذه الغزوة جاء جمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرقل أى يختال فى مشيه وصوت فقال صلى الله عليه وسلم تدرون ما يقول هذا الجمل هذا يستعيذنى على سيده يقول انه كان يحرث عليه وانه أراد أن ينحره اذهب ياجابر الى صاحبه فأت به فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه فخرج بين يدى حتى وقف على صاحبه فجئت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى شأن الجمل اه (أقول) قد تقدمت هذه الامور الثلاثة التى هى قصة ابن المرأة وقصة البيض وقصة الجمل فى ذات الرقاع والتعدد فيهما حتى لاجل هذه الامور سميت كل منهما بغزوة الاعاجيب بعيد والذى أراه انه اشتباه من بعض الرواة فليتأمل وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك أى الكذب على عائشة الصديقة المرأة المطهرة رضى الله عنها قالت لما دنونا من المدينة قافلين أى راجعين اذن ليلة بالرحيل فقمت وذهبت لاقضى حاجتى حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فاذا عقد لى من جزع اظفار كذا بالالف عند البخارى وفى رواية ظفار بغير ألف قال القرطبى ومن قيده بالالف فقد أخطأ أى ولعل المراد خالف الرواية وفى لفظ ظفارى أى بياء النسبة وفى لفظ الجزع الظفرى وقد يقال لا مانع من وقوع هذه الالفاظ من الصديقة فى أوقات مختلفة قال بعضهم الجزع بفتح الجيم واسكان الزاى وآخره عين مهملة خرز وظفار بالطاء المهملة [2] كوبار مبنية على الكسر قرية من قرى اليمن كان ثمنه يسيرا وفى كلام بعضهم كان يساوى اثنى عشر درهما قد انقطع فالتمست عقدى أى ذهبت الى التماسه فى المحل الذى قضيت فيه حاجتى وحبسنى التماسه أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى هو بتخفيف الحاء أى يجعلون هودجها على الرحل فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا قليلة أكلهن أى لان السمن

[2] قوله وظفار بالطاء المهملة سبق قلم والصواب بالظاء المعجمة كما فى البخارى وشرحه للقسطلانى

أو أخبرهم أما ترضون أن يرجع الناس بالاموال وفى رواية بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يارسول الله قد رضينا وفى رواية فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وفى رواية انه خطبهم فقال يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا ٣٢٣ فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وكنتم عالة فاغناكم الله بى وكلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك وخائفا فامناك قالوا بل المن علينا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعا وانصافا واظهار الشرف قدرهم والا فالحجة البالغة والمنة الظاهرة فى جميع ذلك له عليهم فلولا هجرته وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله ان الغنائم لما حصلت قسمت على من لم يتمكن الايمان من قلبه لما بقى فيه من طبع البشر من حب المال فكان ذلك سببا لاجتماع قلوبهم على محبته صلى الله عليه وسلم لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها وانما لم يعط صلى الله عليه وسلم أكابر المهاجرين والانصار مع استحقاقهم جميعا لرسوخ الايمان فى قلوبهم فوكلهم الى قوة ايمانهم فكان فى قسمها على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب اتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضى رئيسهم فيكون سببا لاسلامهم ولتقوية قلب من دخل فى الاسلام منهم فيتبعهم من دونهم فكان فيه مصلحة عظيمة ولذا لم يقسم من أموال مكة عند فتحها شئ مع احتياج الجيوش الى المال الذى يعينهم على ما هم عليه ولما قيل له صلى الله عليه وسلم أعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل بن سراقة قال أما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الارض كلها مثل عيينة والاقرع ولكنى أتألفهما ليسلما أى يقوى اسلامهما ووكلت جعيل بن سراقة لاسلامه وانى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه مخافة أن يكبه الله فى النار على وجهه وفى رواية انى لاعطى أقواما أخاف هلعهم وجزعهم وأكل أقواما

وكثرة اللحم غالبا تنشأ عن كثرة الاكل وسار وأى وعن عائشة رضى الله عنها ان الذى كان يرحل هودجها ويقود بعيرها أبو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ولا يخالف هذا قولها وأقبل الرهط الى آخره وقولها فى بعض الروايات ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه لانه يجوز ان جماعة كانوا يعاونون أبا مويهبة فى ذلك فوجدت عقدى فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب وأممت بمنزلى الذى كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان السلمى خلف الجيش أى لانه كان على ساقة الجيش يتخلف عن الجيش ليلتقط ما يسقط من المتاع وقيل كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس وقد جاء ان زوجته شكته الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له انه لا يصلى الصبح فقال يارسول الله انى امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظت فصل أى وفى رواية شكته الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه يضربها فقال انها تصوم بغير اذنى فقال لها لا تصومى الا باذنه قالت انه ينام عن الصلاة أى صلاة الصبح قال انه شئ ابتلاه الله به فاذا استيقظ فليصل وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حاله انه ينام عن صلاة الصبح قالت انه اذا سمعنى أقرأ يضربنى فقال ان معى سورة ليس معى غيرها هى تقرؤها قال لا تضربها فان هذه السورة لو قسمت فى الناس لوسعتهم أى وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم يدل على ان صفوان ظن ان امرأته اذا قرأت تلك السورة شاركته فى ثوابها فليتأمل فادلج أى سار ليلا فاصبح عند منزلى أى على خلاف عادته فرأى سوادا أى شخص انسان نائم فاتانى فعرفنى فاستيقظت باسترجاعه أى بقوله انا لله وانا اليه راجعون أى لان تخلف أم المؤمنين عن الرفقة فى مضيعة مصيبة أى مصيبة قالت فخمرت وجهى بجلبابى وهو ثوب أقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطى بها المرأة رأسها أى لان ذلك كان بعد نزول آية الحجاب أى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الآية أى لانه تقدم ان ذلك كان فى سنة ثلاث على الراجح عند الاصل وفى الامتاع وذكر بعض علماء الاخبار ان تزوجه صلى الله عليه وسلم زينب التى نزلت آية الحجاب بسببها كان فى ذى القعدة سنة خمس ولا يخفى ان هذا القول ينافيه ما يأتى عن عائشة رضى الله عنها من قولها ان زينب هى التى كانت تسامينى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اذ هو صريح فى انها كانت زوجة له صلى الله عليه وسلم قبل هذه الغزوة بناء على ان هذه الغزوة كانت سنة ست قالت والله ما كلمنى وفى لفظ والله ما يكلمنى كلمة وما سمعت منه كلمة أى فلا كلمها ولا كلم نفسه قيل استعمل الصمت أدبا لهول هذا الامر الذى هو فيه فلم يقع منه غير الاسترجاع حين أناخ ناقته فوطئ على يدها فركبتها وفى رواية ثم قرب البعير فقال اركبى أى وفى لفظ قال أمه قومى فاركبى وأخذ برأس البعير وجاء انها لما ركبت قالت حسبى الله ونعم الوكيل وفى سيرة ابن هشام أنه لما قال لها ما خلفك يرحمك الله قالت فما كلمته أى ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات الثلاث

الى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب قال عمرو فوالله ما أحب ان لى بها حمر النعم وقد جاءت أحاديث كثيرة فى مدح الانصار رضى الله عنهم والدعاء لهم ولأبنائهم وأبناء أبنائهم وقال حسان رضى الله عنه فى مدحهم

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعدان الحرب تستعر
وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وفى البخارى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه ٣٢٤ بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله من حنين اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه أن يعطيهم من الغنيمة يقولون يارسول الله اقسم علينا فيأنا حتى اضطروه أى ألجؤه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطونى ردائى فلو كان عندى عدد هذه العضاه نعما وفى رواية لو كان عندى عدد شجر تهامة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا أى اذا جربتمونى لا تجدونى ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير وأخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس والله مالى من فيئكم أى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم أى لان أكثره كان يصرفه صلى الله عليه وسلم فى مصالح المسلمين ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة لخمس ليال خلون من ذى القعدة وقيل لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلة الاربعاء وقيل ليلة الخميس ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكأنه كان بائتا بها والجعرانة بالتخفيف أفصح من التشديد وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا سمى باسم امرأة تلقب بالجعرانة وكانت مدة اقامته بها ثلاث عشرة ليلة وجاء فى الحديث انه اعتمر من الجعرانة سبعون نبيا ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد أى تركه باقيا على عمله وترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الاشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين وكان قدومه المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة وقيل لست بقين منه قال الحافظ ابن حجر ان مدة غيبته كانت أكثر من شهرين يوما قال كثير من أهل المغازى ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر وأطفأ نا

وماقبلها على تقدير صحتها وقد يقال انها لم تسمع منه غير استرجاعه ولا كلمها ولا تكلم قبل أن يقرب اليها البعير كما علمت فلما قرب البعير اليها قال لها يا أمه قومى فاركبى لان اناخة البعير وتقريبه ليس صريحا فى الاذن لها فى الركوب فاتى بذلك اللفظ الدال على مزيد احترامها واجلالها وتعظيمها وبعض الرواة اقتصر على قولها اركبى وبعد ان ركبت أى وحصلت الطمأنينة واندفعت الريبة قال لها متعجبا الاسترجاع ما خلفك قالت فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا وذلك فى نحر الظهيرة أى وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع وبهذه الواقعة استدل فقهاؤنا على انه يجوز الخلوة بالمرأة الاجنبية اذا وجدها منقطعة ببرية أو نحوها بل يجب استصحابها اذا خاف عليها لو تركها هذا من الخصائص الصغرى وفى معانى الآثار للطحاوى رحمه الله قال أبو حنيفة كان الناس لعائشة رضى الله عنها محرما فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك أى وقوله وليس غيرها من النساء كذلك يشمل بقية أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ فليتأمل الفرق بينها وبين بقية أمهات المؤمنين فيما ذكر وفيما سيأتى عن بعضهم ان من قذف عائشة يقتل ويحد فى غيرها من أزواجه صلى الله عليه وسلم حدا قالت عائشة رضى الله عنها فلما نزلنا هلك من هلك بقول البهتان والافتراء والذى تولى كبره أى معظمه عبد الله بن أبى ابن سلول أى فانه كان أول من أشاعه فى العسكر أى فانه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفى لفظ ما برئت منه وما برئ منها وفى لفظ والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى والذى فى البخارى كان يتحدث به عنده فيقره ويسمعه ويستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون هو أول من أشاعه عند دخول المدينة ثم صار يستخرجه بالبحث عنه ليكثر اشاعته قالت فقدمنا المدينة فاشتكيت أى مرضت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك أى وصل الخبر الى النبى صلى الله عليه وسلم والى أبوى ولا أشعر بشئ من ذلك وكان يريبنى أى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى أى حين أمرض واللطف بضم اللام وسكون الطاء وقيل بفتح اللام والطاء وهو من الانسان الرفق ومن الله التوفيق انما يدخل على فيسلم أى وعندى أمى تمرضنى ثم يقول كيف تيكم أى لا يزيد على ذلك ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى حتى خرجت بعد ما نقهت بكسر القاف وفتحها أى أول ما أفقت من المرض فخرجت معى أم مسطح وهى بنت خالة أبى بكر أى وما فى لفظ وكان مسطح ابن خالة أبى بكر هو على ضرب من التجوز والمسامحة وكان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر وكان فقيرا ينفق عليه أبو بكر قالت وخرجنا كان الى المحل الذى تخرج اليه النساء ليلا أى لقضاء حاجة الانسان وذلك قبل ان تتخذ الكنف أى فان

أزواج

بجمرة العرب وأنفد ثانيا سهامهم وأذل تاجموعهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وأنجز الله بها الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه وعده اذا فتح مكة أن يدخل الناس فى دين الله أفواجا وتدين له العرب بأسرها فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه صلى الله عليه وسلم ٣٢٥ ليظهر الله أمره واعزازه لرسوله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم جبرانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين ويعلى دينهم على سائر الاديان بقهر هذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون قبلها مثلها حتى لا يقاومهم بعدها أحد من العرب واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليخفض بذلك رؤسا رفعت بالفتح لمكة والنصر على أهلها فابتلاهم الله بقصة حنين منعا لهم عن الترفع وتنبيها على ان المطلوب منهم التواضع واظهار الشكر كما فعل صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فانه دخل منحنيا على ناقته متواضعا خاضعا لربه وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عند الله وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه وتعالى هو الذى تولى النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذى أنزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الانكسار كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواته صلى الله عليه وسلم ولهذا يجمع بينهما فى الذكر فيقال بدر وحنين وفى لبسه صلى الله عليه وسلم الدرع والبيضة والمغفر دليل على ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التى نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا فانه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق توكلا وقوة يقين وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ولبس يوم حنين درعين وقد أنزل الله عليه والله يعصمك من الناس ومن تمام العبودية استعمال الاسباب فى مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له

أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن نحو المنصع وهو محل متسع قالت فلما فرغنا من شأننا وأقبلت عثرت أم مسطح فى مرطها أى ازارها فقالت تعس مسطح بفتح العين وكسرها هلك مسطح تعنى ولدها ومسطح فى الاصل عمود الخيمة قلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت ياهنتاه بفتح الهاء الاولى وسكون النون وضم الهاء الثانية أى ياهذه أولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضى أى عاودنى المرض وازددت عليه أى وفى لفظ نخرت مغشيا عليها وفى رواية خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح قد حملت السطل وفيه ماء فعثرت ووقع السطل منها فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فنهرتها فقالت والله ما أسبه الا فيك فقلت فى أى شأنى فبقرت أى كشفت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم فأخذتنى حمى نافضة ورجعت الى بيتى فلما رجعت الى بيتى مكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعد ان سلم كيف تيكم فقلت أتأذن لى ان آتى بيت أبوى وأنا اريد ان اتثبت الخبر من قبلهما أى لان أمها فارقتها لما نقهت من المرض وذهبت الى بيتها فلا ينافى ما سبق من قولها وعندى أمى تمرضنى قالت فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوى أى وارسل معى الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان فى السفل وأبا بكر فوق يقرأ فقالت أمى ما جاء بك فاخبرتها فذهبا بها الى أبويها كما علمت كان بعد ان صحت من المرض وبعد اخبار أم مسطح لها بالقصة والذى فى السيرة الهشامية ما يفيد أنه كان قبل ذلك وهو أنها رضى الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم كلما يدخل يقول كيف تيكم لا يزيد على ذلك حتى وجدت فى نفسى فقلت يارسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لو أذنت لى قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمى تمرضنى ولا علم لى بشئ مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم أى بيوت الاخلية نعافها ونكرهها انما كنا نذهب فى فسح المدينة فخرجت ليلة ومعى أم مسطح بنت خالة أبى بكر اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح قلت بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت أو ما بلغك الخبر يا ابنة أبى بكر قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قلت أو قد كان هذا قالت نعم والله لقد كان فوالله ما قدرت على ان أقضى حاجتى ورجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدى فليتأمل الجمع بين ما فى السيرة الهشامية وما فى غيرها على تقدير صحتهما قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به لا تذكرين لى من ذلك شيأ الحديث وفى رواية فقلت لامى يا أماه ما يتحدث الناس وفى لفظ قلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا ألا تذكرين لى من ذلك شيأ قالت يابنية هونى عليك وفى لفظ خفضى عليك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة

ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الأسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر وشقى وسعيد فلو كانت جميع الاشياء تجرى
على خرق العادة لما بقى كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الاسلام بظهور الخوارق ولو بقيت الاشياء كلها على ظواهرها من ربطها
باسبابها من غير وجود خارق العادة لما انقاد أحد للاسلام وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الاسباب فأظهر الله بعض الاشياء
على وفق العادة وخرق فى بعضها العادة ٣٢٦ ثم انه كشف ذلك للناس وحجب عنه آخرين ليضل من يشاء ويهدى من يشاء ولا
يسئل عما يفعل وهم يسئلون
وفى صبره صلى الله عليه وسلم على
جفاء الاعراب عند قسمة الغنائم
دليل لما كان عليه صلى الله عليه
وسلم من الكرم والحلم وحسن
الخلق وسعة الجود والصبر وغير
ذلك من صفاته الحميدة صلى الله
عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بعث قيس بن سعد الى صداء﴾

بعث صلى الله عليه وسلم قيس بن
سعد بن عبادة الخزرجى رضى
الله عنهما الى ناحية اليمن بعد
انصرافه من الجعرانة فى أربعمائة
فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء
بضم الصاد وفتح الدال والمد وهم
حى من اليمن فقدم زياد بن الحرث
الصدائى فسأل عن ذلك البعث
فأخبر به فقال يارسول الله أنا
وافدهم اليك فاردد الجيش وأنا
أتكفل باسلام قومى وطاعتهم
فقال اذهب اليهم فردهم فقال
ان راحلتى قد كلت فبعث صلى الله
عليه وسلم اليهم خلفهم فردهم
ورجع الصدائى الى قومه فقدموا
بعد خمسة عشر يوما فأسلموا

﴿البعث الى بنى تميم﴾

وتعرف بسرية عيينة بن حصن
الفزارى الى بنى تميم وسببها أنه صلى
الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان
العدوى الكلبى الى بنى كعب من
خزاعة لاخذ صدقاتهم وكانوا مع
بنى تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بنى كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثر واذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا وانتهزوا لا
السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيرا واحدا
يخرج فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن
الفزارى الى بنى تميم فى خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا أنصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ

أى جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها أى القول فى تنقيصها وفيه ان ضرائرها
أمهات المؤمنين لم يكن السبب فى اشاعة ذلك ولم ينقصنها به الا ان يقال ظنت أمها ذلك على
ماهو العادة فى ذلك وعند ذلك قالت فقلت سبحان الله واقد تحدث الناس بهذا أى وقلت قد علم به
أبى قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتى فنزل فقال لامى
ماشأنها فقالت بلغها الذى ذكر من شأنها ففاضت عيناه فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت
لا يرقالى دمع أى لا يرتفع ولا أكتحل بنوم فى الليلة الثانية كذلك ولما أصبحت أصبح أبواى
عندى يظنان ان البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى أى وهما يبكيان وأهل
الدار يبكون فاستأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكى معى وسمعت من
بعض الشيوخ ان هرة كانت بالبيت جالسة تبكى أيضا فبينما نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل وقد لبث صلى الله عليه وسلم
شهرا لا يوحى اليه فى شأنى فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد
ياعائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب
فاستغفرى الله وتوبى فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه قال بعضهم
دعاها الى الاعتراف ولم يأمرها بالستر أى مع انه المطلوب ممن أتى ذنبا لم يطلع عليه وفى لفظ
قال ياعائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقى الله فان كنت قارفت أى اكتسبت سوأ
مما يقول الناس فتوبى الى الله تعالى فان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده قالت فلما قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى أى ارتفع حتى ما أحس منه بقطرة فقلت لابى
أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال فوالله لا أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت لامى أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفى لفظ قالت لابوى ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا والله
لا ندرى بماذا نجيبه فقلت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم فلئن قلت لكم انى
بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه بريئة
لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم وفى لفظ لا أجد لى مثلا الا قول أبى يوسف عليهما السلام أى
والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه اذ يقول فصبر جميل والله المستعان أى وفى رواية كما فى
البخارى مثلى ومثلكم كيعقوب وبنيه والله المستعان على ما تصفون وفى لفظ انما أشكو بثى
وحزنى الى الله وبذلك استدل على جواز ضرب المثل من القرآن أيضا ثم تحولت فاضطجعت
على فراشى وما كنت أظن ان الله ينزل فى شأنى وحيا يتلى وفى لفظ قرآنا يقرأ به فى المسجد
ويصلى به ولشأنى فى نفسى كان أحقر من ان يتكلم الله فى بأمر يتلى وكنت أرجو أن يرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى النوم يبرئنى الله بها أى وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه
ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث

منهم احد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم صلى الله عليه وسلم فحبسوا فى دار رملة
بنت الحرث فجاء فى اثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم
ابن سعد وعمرو بن الاهيم ورباح بن الحرث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذرارى فجاؤا الى باب النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان دخلوا
المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله ٣٢٧ صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات
فنادوا بصوت جاف اخرج الينا
نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا
زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد تأذى من صياحهم وفيهم
أنزل الله ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون
ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم
لكان خيرا لهم والله غفور رحيم
وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه
فوقف معهم فقالوا له نحن ناس
من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا
لنشاعرك ونفاخرك فقال لهم
النبى صلى الله عليه وسلم ما بالشعر
بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى
فصلى الظهر ثم جلس فى صحن
المسجد ثم قالوا ان مدحنا الزين
وان شتمنا الشين نحن أكرم العرب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه
الشين وأكرم منكم يوسف بن
يعقوب ثم قالوا فأذن لخطيبنا
وشاعرنا قال أذنت فليقم وفى
رواية انى لم أبعث بالشعر ولم أومر
بالفخر ولكن هاتوا فقدموا
عطارد بن حاجب وفى رواية قال
الاقرع بن حابس لشاب منهم قم
يافلان فاذكر فضلك وفضل قومك
فتكلم وخطب فقال الحمد لله الذى
له علينا الفضل وهو أهله الذى
جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس
وأولى فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا وانا لو شئنا أكثرنا وانما أقول هذا الان بأن تأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس
وفى رواية أنه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الارض أكثرهم عددا وأكثرهم
سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت

لا يعبد الله فيقال لنا فى الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان يأخذه عند نزول الوحى أى من شدة الكرب فسجى أى غطى بثوبه ووضعت له وسادة
من أدم تحت رأسه وفى لفظ قالت عائشة رضى الله عنها فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت
فوالله ما فزعت لانى قد عرفت انى بريئة وان الله غير ظالمى وأما أبواى فوالذى نفس عائشة
بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وأخبر بما أخبر حتى ظننت لتخرجن أنفسهما
فرقا أى خوفا من ان يأتى من الله تحقيق ما قال الناس فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سرى عنه وهو يضحك وانه ليتحدر منه العرق كالجمان وهى حبوب مدحرجة تجعل من
الفضة أمثال اللؤلؤ فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم فكان أول كلمة تكلم بها ياعائشة
اما ان الله قد برأك فقالت أمى قومى اليه صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد
الا الله وفى لفظ قال أبشرى ياعائشة فقد أنزل الله تعالى براءتك قلت نحمد الله لا نحمد أحدا
قالت عائشة رضى الله عنها نزلت تلك الآيات فى يوم شات قالت وتناول رسول الله صلى الله عليه
وسلم درعى فقلت بيده هكذا أى ادفع يده عن درعى فأخذ أبو بكر النعل ليعلونى بها فمنعته فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أقسمت عليك لا تفعل وفى رواية لما أنزل الله براءتها قام
اليها أبو بكر رضى الله عنه فقبل رأسها فقالت له هلا كنت عذرتنى فقال أى بنية أى سماء
تظلنى وأى أرض تقلنى ان قلت بما لا أعلم ولا مخالفة بين هذه الرواية وما قبلها لجواز أن يكون
ما قبلها بعدها وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك الآيات العشر أى وفى تفسير البيضاوى
الثمانية عشر قال السهيلى وكان نزول براءة عائشة رضى الله عنها بعد قدومهم المدينة أى من
الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين فمن نسبها رضى الله عنها الى الزنا
كغلاة الرافضة كان كافرا الان فى ذلك تكذيبا للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفى حياة
الحيوان عن عائشة رضى الله عنها لما تكلم الناس فى الافك رأيت فى منامى فتى فقال لى مالك
قلت حزينة مما ذكر الناس فقال ادعى بهذه يفرج الله عنك قلت وما هى قال قولى ياسابغ النعم
ويادافع النقم ويافارج الغمم وياكاشف الظلم وياأعدل من حكم وياحسيب من ظلم وياأول
بلا بداية وياآخر بلا نهاية اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا قالت فقلت ذلك فانتبهت وقد
أنزل الله فرجى قال بعضهم برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بشاهد من أهل زليخة وبرأ
موسى عليه السلام من قول اليهود فيه ان له أدرة بالحجر الذى فر بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها
وبرأ عائشة بهذه الآيات وكان أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مسطح لقرابته منه أى كما تقدم
ولفقره فحلف لا ينفق عليه أى فانه قال والله لا أنفق على مسطح أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد
ما قال لعائشة وادخل علينا وفى لفظ أخرجه من منزله وقال له لا وصلتك بدرهم أبدا ولا
عطفت عليك بخير أبدا فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل أى الفضيلة والافضال منكم
والسعة أى فى الرزق أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا

ابن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله عنه فقال * الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم ان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٢٨ المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس احسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم وفى رواية أنه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أحلاما فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعز الدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يا فلان قل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلاحى يعادلنا
نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد
انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت رضى الله عنه فحضر فقال له قم فأجبه فقال يسمعنى ما قال فأسمعه فقال حسان رضى الله عنه أبياتا منها أى

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر وأحياؤنا من خير من وطئ الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضى الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال أخشى أن أكون من أهل

وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه أما تحب أن يغفر الله لك قال أبو بكر رضى الله عنه والله انى لاحب أن يغفر لى فرجع الى مسطح بالنفقة التى كان ينفق عليه وقال والله انى لا أنزعها عنه أبدا وفى معجم الطبرانى الكبير والنسائى انه أضعف له النفقة التى كان يعطيه اياها قبل القذف أى أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك أى وكفر عن يمينه وبهذا وبما فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه استدل فقهاؤنا على ان الافضل فى حق من حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه أن يحنث ويكفر عن يمينه وهنا لطيفة وهى ان ابن المقرى رحمه الله منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه

فكتب اليه والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه

ووصف الله تعالى الصديق باولى الفضل موافق لوصفه صلى الله عليه وسلم له بذلك فقد جاء ان عليا كرم الله وجهه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس عليا كرم الله وجهه بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وقال لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا أولو الفضل وعنها رضى الله عنها انها قالت لما استلبث الوحى عنه صلى الله عليه وسلم أى أبطأ عليه ولم ينزل استشار الصحابة فقال له عمر رضى الله عنه من زوجها لك يا رسول الله قال الله تعالى قال أفتظن ان الله دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت ودعا على بن أبى طالب كرم الله وجهه واسامة بن زيد رضى الله عنهم ما ليستأمرهما فى فراق أهله أى تعنى نفسها فاما اسامة بن زيد فقال أهلك أى الزم أهلك يا رسول الله ولا نعلم الا خيرا وأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وانك لتقدر أن تستخلف وفى لفظ قد أحل الله لك فطلقها وانكح غيرها وان تسأل الجارية تصدقك يعنى بريرة رضى الله عنها أى لانها كانت تخدم عائشة اما قبل شرائها لها أو بعده وقبل عتقها لها كان بعد الفتح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت بريرة والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا أغمصه بالغين المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة

النار لانى رفعت صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقد أنزل الله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس رضى الله عنه يرفع صوته لثقل فى سمعه فكان يظن ان الناس لا يسمعونه الا ان رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه بما قال ثابت فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم فيه نعم الرجل ٣٢٩ ثابت بن قيس بن شماس ولم يزل رضى الله عنه فى عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم اليمامة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه فى منامه يقول له انى أوصيك بوصية فاياك أن تقول حلم فتضيعها انى لما قتلت مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أبا بكر رضى الله عنه فقل له ان على من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيقى عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد ان وجدها على ما وصفه ثم لما قدم المدينة أخبر أبا بكر رضى الله عنه برؤياه فأجاز وصيته ولا يعلم أحد أحدث وصيته بعد موته وأجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضى الله عنه كل واحد منهما يذكر قصيدة فيها مفاخره فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها

نحن الكرام فلاحى يعادلنا
من الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضى الله عنه وهو مطلعها

انا كذلك عند الفخر نرتفع * انا أبينا ولن يأبى لنا أحد وقال الاقرع بن حابس انى والله يا محمد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فانشده

أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا * اذا حالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤس الناس من كل معشر * وان ليس فى أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فأجبه فقال حسان رضى الله عنه

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

أى أعيبه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن وهى الدابة التى تألف البيوت ولا تخرج للمرعى وهى هنا الشاة فتأكله وفى لفظ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فسألها فقام اليها على كرم الله وجهه فضربها ضربا شديدا وجعل يقول لها أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيأ الا انى كنت أعجن عجينى فآمرها ان تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله أى وضربها كما قال السهيلى ولم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضربها لانه اتهمها فى انها خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتمه هذا كلامه والذى فى البخارى وانتهرها بعض الصحابة فقال أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وفى الامتاع جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لبريرة وسألها فقالت هى أطيب من طيب الذهب والله لا أعلم عليها الا خيرا والله يا رسول الله لئن كانت على غير ذلك ليخبرك الله بذلك أى وبريرة هذه روى عنها عبد الملك بن مروان فقد ذكر انه قال كنت أجالس بريرة رضى الله عنها بالمدينة قبل ان آتى الى هذا الامر يعنى الخلافة فكانت تقول لى يا عبد الملك انى أرى فيك خصالا وانك لخليق أن تلى هذا الامر يعنى الخلافة فان وليته فاحذر الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش أم المؤمنين عن أمرى يقول ماذا علمت أو رأيت فتقول يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى أى أصون سمعى من أن أقول سمعت ولم أسمع وأصون بصرى من أن أقول أبصرت ولم أبصر ما علمت الا خيرا أى وفى رواية حاشا سمعى وبصرى ما علمت الا خيرا والله ما أكلمها وانى لمهاجرتها وما كنت أقول الا الحق قالت عائشة وهى التى كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ تناصيني أى تعادلنى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى المنزلة والمحبة عنده صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى أى ولهذا جعلها فى النور أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم بعد عائشة وخديجة حيث قال والذى يظهر أن أفضلهن أى زوجاته صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش وقالت عائشة رضى الله عنها فى وصفها لم أر امرأة قط خيرا من زينب فى الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى يتقرب به الى الله ما عدا سورة أى حدة تسرع فيها الفيئة أى ترجع عنها سريعا قالت عائشة رضى الله عنها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عند استلباث الوحى وتأخره فى الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذونى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق وفى رواية فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول فقال وهو على المنبر من يعذرنى أن ينصفنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا ياأخا بنى دارم ان تذكر ما كنت نرى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول
من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أشد من قول حسان رضى الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعنى النبى صلى الله
عليه وسلم اخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أشهد
أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايضرك ما كان قبل هذا روى ان الاقرع بن حابس
رضى الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن على رضى الله عنهما فقال يارسول الله ان لى من الولد عشرة ماقبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان فى رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفا فى الجاهلية والاسلام ووقع ان عمرو بن الاهيم مدح الزبرقان للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع فى أنديته سيد فى عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدنى يارسول الله لشرفى ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروأة ضيق العطن لئيم الخال وفى رواية ان الزبرقان قال يارسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعنى عمرو بن الاهيم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع فى ادانيه فقال الزبرقان والله لقد كذب يارسول الله وما يمنعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك لئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض فى القبر فعرف عمرو الانكار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله والله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ماعلمت
وسخطت فقلت أقبح ماعلمت فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى
والسبى وأحسن جوائزهم بعد ان أسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثنتى عشرة أوقية من الفضة واختلف فى عدد هذا الوفد فقيل
كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ان القوم لما أسلموا بقوا فى المدينة مدة يتعلمون القرآن

رجلا يعنى صفوان ما علمت عليه الا خيرا أى وزاد فى رواية ولا يدخل بيتى وفى لفظ بيتا من بيوتى الا وأنا حاضر ولا غبت فى سفر الا غاب معى يقولون عليه غير الحق فقام سعد بن معاذ أى سيد الاوس فقال يارسول الله أنا أعذرك منه ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد احتملته الحمية وفى لفظ أجهلته الحمية وكان قبل ذلك رجلا صالحا أى لما ذكر سعد بن معاذ الخزرج الذين هم قوم سعد بن عبادة غضب سعد بن عبادة لاجلهم وحملته الحمية لهم على أن يجهل أى قال قول الجهل فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ كما تقدم فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانفك راغم فانك منافق تجادل عن المنافقين أى والمراد بكونه منافقا أنه يفعل فعل المنافقين ومن ثم لم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك ان كان سمعه فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا لانه كان بين الحيين قبل الاسلام مشاحنة ومحاربة كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا قالت وأنا لا أعلم بشئ من ذلك ﴿أقول﴾ فيه ان سعد بن معاذ لم يقل انه ان كان من الخزرج نقتله بل قال نفعل فيه ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فلا يحسن رد سعد بن عبادة عليه بما ذكر ثم رأيت بعضهم ذكر ان الاظهر عندى ان ابن عبادة لم يقل ذلك حمية لقومه وانما أراد الانكار على ابن معاذ فى كونه يقتل شخصا من قومه الذين هم الاوس مع انه يظهر الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل من يظهر الاسلام فكأنه قال لا تقل مالا تفعل ولا تقدر على فعله حيث لم يأمرك بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وانما انتصر أسيد بن حضير لسعد بن معاذ نصرة للنبى صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه الحالة العظيمة التى طلب النبى صلى الله عليه وسلم فيها من يعذره من ذلك القائل وانكاره على سعد بن عبادة انما هو انكار ظاهر لفظه وان كان لباطنه مخلص حسن وكم من لفظ ينكر اطلاقه على قائله وان كان فى الباطن له مخلص هذا كلامه ثم رأيت فى السيرة الهشامية ان المتكلم أسيد بن حضير وانه قال يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمرنا أمرك فوالله انهم لاهل لان نضرب أعناقهم فقام سعد ابن عبادة فقال كذبت لعمر الله والله ماتضرب أعناقهم أما والله ماقلت هذه المقالة الا أنك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك يعنى الاوس ماقلت هذا أى لان عبد الله بن أبى ابن سلول من الخزرج وكذا حسان بن ثابت رضى الله عنه بناء على أنه كان من أصحاب الافك وفى البخارى ان سعد بن معاذ قال ائذن لى يارسول الله أن أضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهط ذلك الرجل أى من الخزرج فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم وعلى هذه الرواية فلا اشكال وقول البخارى وكانت أم حسان الى آخره يشعر بان حسان لم يكن من الخزرج وهو يخالف ماتقدم وما
سيأتى

والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فاعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أما بقى منكم أحد وكان عمرو بن
الاهيم فى ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام حدث فى ركابنا وازرى به فاعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما أعطاهم وقيل بل أعطاه خمس أواق فقط ولما بلغ عمرو بن الاهيم ماقاله قيس بن عاصم فى حقه أنشد أبياتا تتضمن
لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا مستورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ماضاقت بلاد باهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بعث الوليد بن عقبة الى بنى المصطلق﴾

بعث النبى صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبى معيط لاخذ الصدقات من بنى المصطلق وبنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم و بين الوليد عداوة فى الجاهلية وكانوا قد أسلموا و بنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدونها عن زكاتهم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع انهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل أن يصلوا اليه وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم مستندا لظنه انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه و بين الصدقة وفى رواية أخبره انهم ارتدوا فهم صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية فى عسكر معه وأمره أن يخفى عنهم قدومه فلما دنا منهم
بعث عيونا ليلا فاذا هم ينادون بالصلاة و يصلون فأتاهم خالد فلم ير منهم الا طاعة وخيرا فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفى
رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحرث بن ضرار الخزاعى وكان رئيس القوم فقال الى أين بعثتم قالوا اليك قال ولم
قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله فقال لا والذى بعث محمدا بالحق مارأيته ولا أتانى
ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة واردت قتل رسولى قال

سيأتى انه من الخزرج الا أن يقال وصفه بذلك على المسامحة لكون أمه منهم فليتأمل ولا يخفى ان ذكر المنبر يخالف مافى الاصل من ان اتخاذ المنبر كان فى السنة الثامنة وقصة الافك كانت فى السنة الخامسة أو السادسة وفى النور المراد بالمنبر شئ مرتفع قال والا فالمنبر انما اتخذ فى السنة الثامنة أى فيكون المراد المنبر الذى اتخذ فى السنة الثانية كان من الطين والذى كان من خشب انما اتخذ فى السنة الثامنة وقد بينا ذلك مبسوطا والله أعلم ثم بعد نزول آيات الافك أى وهى ان الذين جاؤا بالافك عصبة الى قوله أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم خرج صلى الله عليه وسلم الى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات وأمر بجلد أصحاب الافك أى وهم عبد الله بن أبى ومسطح وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وأخوها عبيد الله بالتصغير ابن جحش و يقال له أبو أحمد كان ضريرا أى وكان يدور مكة أعلاها وأدناها فى أى محل من غير قائد وكان شاعرا وهو ابن عمة أميمة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأما أخوها عبد الله مكبرا فقد قتل يوم أحد كما تقدم وزاد بعضهم خامسا وهو زيد ابن رفاعة وفيه أنه تقدم انهم لما قدموا المدينة وجدوه قد مات الا أن يقال ان لهم زيد بن رفاعة غيره فيجوز أن يكون هو ذلك و يقال وحسان بن ثابت فجلدوا الحد وهو ثمانون قال بعضهم وذكر سعد بن معاذ فى هذه الرواية أى انه القائل أنا أعذرك وهم من بعض الرواة وانما المتكلم بذلك أسيد بن حضير أى كما تقدم عن السيرة الهشامية لان سعد بن معاذ مات بعد بنى قريظة قال فى الاصل لو اتفق أهل المغازى على ان غزوة الخندق و بنى قريظة متقدمة على غزوة بنى المصطلق لكان الوهم لازما ولكنهم مختلفون ﴿أقول﴾ أى فالوهم لا يلزم الا من جعل هذه الغزوة التى هى غزوة بنى المصطلق متأخرة عن بنى قريظة و يذكر فيها سعد بن معاذ كالاصل ومن ثم لما قال ابن اسحق بأنها بعد بنى قريظة روى عن عائشة بدل سعد بن معاذ أسيد بن حضير قال فى الامتاع وهذا هو الصحيح والوهم لم يسلم منه أحد من بنى آدم وفيه ان مما يدل على تقدمها ان ذكر سعد بن معاذ ليس من الوهم فى شئ ماذكره فى الكتاب المذكور الذى هو الامتاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن معاذ فى نفر حتى دخل على سعد بن عبادة فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاما فأصابوا منه ثم انصرف فواقكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن عبادة فى نفر فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد بن معاذ فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما فأصابوا منه ثم خرجوا فذهب من أنفسهم ما كان وان ذكر سعد بن معاذ وقع فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم وذكر ان صفوان بن المعطل رضى الله عنه الذى كان الافك بسببه ظهر انه كان حصورا لا يأتى النساء أى انما معه مثل الهدبة أى عنين وقد قال الشيخ محيى الدين الحصور عندنا العنين أى و يدل له مافى البخارى أنه رضى الله عنه ما كشف كنيف امرأة قط أى سترها الا ان الكنيف الساتر وقد جاء فى تفسير وصف يحيى بن زكريا بحصورا أنه صلى الله عليه وسلم أهوى الى الارض وأخذ قذاة وقال كان ذكره يعنى يحيى

لا والذى بعثك بالحق وقدم الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبى صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان أخا لعثمان رضى الله عنه لامه ولاه عثمان رضى الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضى الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع على رضى الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة الى أن توفى فى خلافة معاوية رضى الله عنه

سرية عبد الله بن عوسجة

رضى الله عنه الى بنى عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو فى مستهل صفر وقيل ربيع الاول سنة تسع من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فابوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبى صلى الله عليه وسلم فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال مالهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم أهل رعدة أى اضطراب فى أجسادهم وعجلة فى كلامهم وكلام مختلط لا يفهم قال الواقدى رأيت بعضهم ذاعى لا يحسن الكلام

سرية قطبة بن عامر

الخزرجى رضى الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من أعمال مكة على يومين أو أكثر وكانت فى صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فجاؤهم واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى فى الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة والله أعلم

سرية الضحاك بن سفيان

الكلابى رضى الله عنه الى بنى كلاب فى ربيع الاول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم

سرية علقمة بن مجزز

بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجى رضى الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه فى ثلثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما أراد الرجوع لعلقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم

عليه السلام مثل هذه القذاة ولعل المراد التشبيه فى الارتخاء وعدم الشدة فلا يخالف ما قبله لكن فى النهر الحصور الذى لا يأتى النساء مع القدرة على ذلك أى ويؤيد ذلك ما جاء أربعة لعنوا فى الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذى يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فالحصور وصف مذموم الا فى يحيى عليه السلام خصوصية له دون غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والا فقد امتن سبحانه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية قيل وهذا الوصف جاء ليحيى من أثر همة والده زكريا عليهما السلام فانه لما شهد مريم منقطعة عن الازواج أحب أن يرزقه الله ولدا مثلها أى منقطعا عن الزوجات فجاء يحيى عليه السلام حصورا ويؤيد ذلك ما فى أنس الجليل وكان يحيى عليه السلام لا يأتى النساء لانه لم يكن له مال للرجال كذا قيل وهو غير مرضى وقد تكلم القاضى عياض رحمه الله فى الشفاء على معنى كون يحيى حصورا بما حاصله ان هذا الذى قيل نقيصة وعيب لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب لا يأتيها فكأنه حصر عنها وأنه حصر نفسه عن الشهوات قعالها هذا كلامه فليتأمل أى وعلى الاول لا ينافى ذلك كون صفوان كان متزوجا لما تقدم ان زوجته شكته للنبى صلى الله عليه وسلم أى على ان ابن الجوزى نقل عن شيخه ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى ان صفوان رضى الله عنه انما تزوج بعد حديث الافك ومما يدل على أن حسان رضى الله عنه لم يكن من أصحاب الافك تبرؤه مما نسب اليه فى أبيات مدح بها عائشة رضى الله عنها منها

مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم * فلا رفعت سوطى الى أناملى
وكيف وودى ما حييت ونصرتى * لآل رسول الله زين المحافل

ومن ثم قال ابن عبد البر وقد أنكر قوم كون حسان رضى الله عنه خاض فى الافك وانه جلد وجاء ان عائشة رضى الله عنها برأته من ذلك أى فقد ذكر الزبير بن بكار أنه قيل لعائشة رضى الله عنها وقد قالت فى حق حسان رضى الله عنه انى لارجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هو ممن لعنه الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه القائل فان كان ما قد قيل عنى قلته * فلا رفعت سوطى الى أناملى

وقد قال مثل هذا البيت أنس بن زنيم وقد بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لما بلغه صلى الله عليه وسلم انه هجاه فجاء اليه صلى الله عليه وسلم معتذرا وأنشده أبياتا منها

ونبى رسول الله أنى هجوته * فلا رفعت سوطى الى اذن يدى

لكن فى رواية أنها كانت تأذن لحسان بن ثابت وتلقى له الوسادة وتقول لا تقولوا لحسان الا

خيرا

عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه فأمره علقمة عليهم وكان فيه دعابة أى مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا تواثبتم فى هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال امنعوا انفسكم فانما كنت امزح فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفى رواية انهم لما أوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا من النار أى فكيف نلقى أنفسنا فيها وفى رواية انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أى ان كانوا مستحلين الدخول وجاء فى بعض الروايات وصف الامير المذكور بالانصارى قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على المعنى الاعم أى انه نصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الجملة فلا ينافى ان عبد الله بن حذافة من المهاجرين وفى رواية ان الذى أمره عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه أسند اليه صلى الله عليه وسلم فى هذه الرواية لان تأمير اميره كتاميره صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن حذافة هذا رضى الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه ومن مناقبه ما أخرجه البيهقى عن أبى رافع رضى الله عنه قال وجه عمر رضى الله عنه جيشا الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فقال له ملك الروم تنصر وأشركك فى ملكى فأبى فأمر به ان يصلب ان لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لى مائة نفس تلقى هذا فى الله فعجب منه ثم قال له قبل رأسى وأنا أخلى عنك فقال وعن جميع اسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم به على عمر رضى الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضى الله عنهما

سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه

لهدم صنم طيء بموضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار وفى رواية كانوا مائتى رجل فاغار على أحياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه ووجد فى خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وغنم سبيا ونعما

خيرا فانه كان يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم بلسانه وقد قال تعالى والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمى والعمى عذاب عظيم والله قادر على ان يجعل ذلك ويغفر لحسان ويدخله الجنة وفيه انه سيأتى عن عائشة وغيرها ان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول كما تقدم الا أن يقال كبره مقول بالتشكيك والذى بلغ فيه الغاية عبد الله بن أبى ابن سلول فليتأمل وعن الزهرى قال كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالى وهو يقرأ سورة النور مستلقيا على سريره فلما بلغ والذى تولى كبره جلس ثم قال يا أبا بكر من تولى كبره أليس على بن أبى طالب قال الزهرى فقلت فى نفسى ماذا أقول ان قلت لا لا آمن أن ألقى منه شرا وان قلت نعم جئت بامر عظيم ثم قلت لنفسى لقد عودنى الله على الصدق خيرا فقلت لا فضرب بقضيبه السرير قال فمن فمن حتى ردد ذلك مرارا قلت لكن عبد الله بن أبى ابن سلول ووقع لسليمان بن يسار مع هشام بن عبد الملك نحو ذلك فان سليمان بن يسار رحمه الله دخل على هشام بن عبد الملك فقال له يا أبا سليمان الذى تولى كبره من هو قال عبد الله بن أبى قال كذبت هو على قال أنا أكذب لا أبا لك لو نادى مناد من السماء ان الله أحل الكذب ما كذبت حدثنى عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة رحمهم الله عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت الذى تولى كبره عبد الله بن أبى وعن عائشة رضى الله عنها انه ذكر عندها حسان بسوء فنهتهم وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وفى البخارى كانت عائشة رضى الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

فبهذا البيت يغفر الله تعالى له وذكر بعضهم ان الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشركى قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان ابن عمه صلى الله عليه وسلم وعمرو بن العاص وضرار بن الحرث ولما أراد حسان رضى الله عنه أن يهجوهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان ابن عمى فقال له والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له صلى الله عليه وسلم ائت أبا بكر فانه أعلم بانساب القوم منك فكان يجيء الى أبى بكر ليوقفه على أنسابهم فجعل حسان يهجوهم فلما سمعوا هجوه قالوا ان هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبى قحافة وعاش حسان رضى الله عنه مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام وعاش والده أيضا مائة وعشرين سنة وكذا جده ووالد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم غيرهم ولم يشهد حسان مع النبى صلى الله عليه وسلم مشهدا لانه كان يخشى الموت فكان ينسب للجبن ومن ثم جعل يوم الخندق مع النساء والذرارى فى الآطام وما وقع له مع صفية عمته صلى الله عليه وسلم فى أمر اليهودى الذى قتلته فى ذلك المكان وما قاله لها يدل على انه كان جبانا شديد الجبن ويرد انكار بعض العلماء كونه جبانا قال اذ لو صح ذلك لهجى به فانه كان يهاجى الشعراء وكانوا يردون عليه فما عيره أحد منهم به ولا وسمه به ولعله كان به علة اقتضت جعله مع الذرارى فى الآطام منعته

وشاء وفضة وقدم بذلك المدينة وكان فى السبى سفانة بنت حاتم الطائى وهى بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث فاسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم الا وجعلك سببا لردها عليه وكان المن عليها سببا لاسلام أخيها عدى بن حاتم رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضى الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحق فى قصة سبى اخت حاتم أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم فى سبايا فجعلت فى حظيرة فى المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بى فقلت له وقال لى مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بى وينست فأشار الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو خلفه أى قومى اليه فكلميه فقمت فقلت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ثم آذنينى فقدم رهط من طيئ قالت فأخبرته ان لى فيهم ثقة وبلاغا فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى فقال ماترين فى هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فلن تزال فى عز اليمن وأنت أنت فقلت والله هذا هو الرأى فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك فى الزهد عن عدى بن حاتم رضى الله عنه مادخل وقت صلاة قط الا وأنا اشتاق اليها وفى رواية ما أقيمت الصلاة منذ اسلمت الا وأنا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألنى مائة درهم وانا ابن حاتم والله لا اعطيك وروى ابن سعد ان الذى سبى اخت حاتم خالد بن الوليد

امسى

من شهود القتال هذا كلامه وقد يقال على تسليم انه لم يعب بالجبن يجوز أن يكون لكونه كان لايتأثر بوصفه بذلك وذكر بعضهم ان حسان رضى الله عنه شلت يداه بضربة ضربها له صفوان بسيف لما هجاه فذكر ذلك حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حسان وصفوان أى وأظهر التغيظ على صفوان بسبب اظهاره السلاح على حسان وضربه به فقال صفوان يارسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ياحسان أحسن فيما أصابك قال هى لك وفى رواية قال كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال له صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك منك وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها حديقة له يقال لها بئرحا بفتح الراء فى الاحوال الثلاثة مع قصرحا قيل لها ذلك لان الابل يقال لها اذا وردت وزجرت عن الماء حا حا وفيه انه كان القياس أن يقال بئرحا بضم الراء فى حالة الرفع وحدها الا أن يقال المجموع اسم مركب وكانت هذه البئر لابى طلحة رضى الله عنه فتصدق بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعها حيث شاء ثم باعها حسان من معاوية بمال عظيم (أقول) الذى فى البخارى كان أبو طلحة رضى الله عنه أكثر أنصارى بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحا وهى حديقة كانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل بها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الى بيرحا وانه صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث شئت فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح قد سمعت ماقلت فيها قد قبلناها منك ورددناها عليك وأرى أن تجعلها فى الاقربين قال أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه وفى لفظ آخر فى البخارى قال صلى الله عليه وسلم لابى طلحة اجعله لفقراء أقاربك فجعلها لحسان وأبى بن كعب وفيه ان أبى بن كعب كان غنيا وبين فى البخارى وجه قرابتهما من أبى طلحة فذكر أن حسان يجتمع مع أبى طلحة فى الاب الثالث وأبى يجتمع معه فى الاب السادس وذكر بعضهم أن أبى ابن كعب كان ابن عمة أبى طلحة وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم أعطى حسان تلك الحديقة وأعطاه سيرين جاريته أخت مارية أم ولده صلى الله عليه وسلم ابراهيم فجاءت منه بابنه عبد الرحمن وكان يفتخر بانه ابن خالة ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وقد روت سيرين هذه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر ابنه ابراهيم فأصلحه وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه وأعطاه سعد بن عبادة رضى الله عنه بستانا كان يتحصل منه مال كثير وحاصل مافى الامتاع فيما وقع بين حسان وصفوان ان حسان رضى الله عنه لما قال

وجمع بعضهم بين الروايتين بان خالدا كان فى جيش على رضى الله عنهما ونوزع بان الجيش كله كان من الانصار ويمكن ان يقال المراد أكثر الجيش من الانصار فلا ينافى كون خالد معهم أو يكون منهم نظرا لمعنى النصرة بالمعنى الاعم والله أعلم

﴿ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه﴾ الى الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلى بفتح الباء وكسر اللام وشد التحتية وهما قبيلتان من قضاعة وقيل ان الجباب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ماجرى والله أعلم

﴿غزوة تبوك﴾

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهى غزوة العسرة بمهملتين الاولى مضمومة بعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا لا تنفروا فى الحر وقد فضحهم الله فى آيات كثيرة فى سورة التوبة كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى وكقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانت فى رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابن حجر وذكر البخارى لها بعد حجة الوداع من خطا النساخ قال بعضهم ولعل البخارى تعمد تاخيرها للاشارة الى انها آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وكان الوقت حين خروجه صلى الله عليه وسلم حرا شديدا وقحطا كثيرا ولذلك لم يور عنها كعادته فى سائر الغزوات وقد روى البخارى ومسلم عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذى يريد والتورية ذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع ارادة القريب والمتكلم يريد البعيد

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كبروا * وابن القريعة أمسى بيضة البلد

قال صفوان ماأراه الاعنانى أى بالجلابيب وتقدم ان ابن أبى ابن سلول قد قالها فى حق المهاجرين والقريعة بالقاف جدة حسان رضى الله عنه وقيل أمه وقريعة الشئ خياره وقريعة القبيلة سيدها واستعمل بيضة البلد فى الذم بقرينة المقام والا فكما تستعمل فى الذم تستعمل فى المدح يقال فلان بيضة البلد أى واحد فى قومه عظيم فيهم فعند ذلك خرج صفوان مصلتا السيف وجاء الى حسان وهو فى نادى قومه الخزرج وضربه فاتقى بيده فوقع السيف فيها فقام قومه وأوثقوا صفوان رباطا ثم انه حل وجئ به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان رضى الله عنه يارسول الله شهر على السيف فى نادى قومى ثم ضربنى ولا أرانى الا ميتا من جراحتى فقال صلى الله عليه وسلم لصفوان ولم ضربته وحملت السلاح عليه وتغيظ لحسان فقال صفوان ماتقدم ثم قال لقوم حسان احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به فحبسوه فبلغ ذلك سيد الخزرج سعد بن عبادة فأقبل على قومه ولامهم على حبسه فقالوا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبسه وقال لنا ان مات صاحبكم فاقتلوه فقال سعد والله ان أحب الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو عنه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالحق والله لا أبرح حتى يطلق فاستحى القوم وأطلقوه وأخذه سعد وانطلق به الى منزله وكساه حلة وجاء به الى المسجد فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال صفوان قالوا نعم يارسول الله قال من كساه قالوا سعد ابن عبادة قال كساه الله من ثياب الجنة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم حسان رضى الله عنه فى العفو عن صفوان فقال يارسول الله كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك ثم أعطاه صلى الله عليه وسلم أرضاه وسيرين جاريته أخت مارية أم ولده ابراهيم وأعطاه أيضا سعد بن عبادة رضى الله عنه حائطا كان يتحصل منه مال كبير جزاء عفاعن حقه وقيل انما أعطاه سيرين لذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره فقد قال ابن عبد البر رحمه الله اعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين أخت مارية لحسان ابن ثابت يروى من وجوه وأكثرها ان ذلك ليس بسبب ضرب صفوان له بل لذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وكان لسان حسان يصل لجبهته والى نحره وكذلك كان أبوه وجده وكان حسان رضى الله عنه يقول على لسانه والله لو وضعته على صخر لفلقه أو شعر لحلقه وقد عمى مسطح أيضا أى وقد روى أصحاب السنن الاربعة عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أمر برجلين وامرأة فضربوا احدهم قال الترمذى حسن غريب أى والمرأة حمنة بنت جحش والرجلان أخوها عبيد الله أبو أحمد ابن جحش ومسطح ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبى ابن سلول لان الحد كفارة وليس من أهلها وقيل لانه لم تقم عليه البينة بذلك بخلاف أولئك وقيل لانه كان لا يأتى بذلك على انه من عنده بل على لسان غيره وفى الطبرانى ومعجم النسائى عن عائشة رضى الله عنها ان عبد الله بن أبى ابن سلول جلد مائة وستين أى حدين قال عبد الله بن عمر

وروى عبد الرزاق أنهم خرجوا فى قلة من الظهر مع كثرتهم وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أى الشدة والضيق واختلف فى سببها فقال بعضهم سببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ندب الناس الى الخروج وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه فى السفر والحرب وروى الطبرانى من حديث عمران بن حصين الخزاعى رضى الله عنهما قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى يدعى النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة فى الذهاب لتلك الارض لفقد الظهر والنفقة وكان عثمان رضى الله عنه قد جهز عيرا الى الشام فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم يحث على النفقة والحملان قال يارسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها واحلاسها ومائتا أوقية قال عمران رضى الله عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وهذا اشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة انفاقه فى سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما ساء أن يكون ذنبا ان وقع ولا يلزم من الصلاحية وجوده وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فان عثمان رضى الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا وقيل سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام فى الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والاسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها فعوضهم الله بالامر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لانهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الاسلام ولما أراد

رضى الله عنهما وهكذا يفعل بكل من قذف زوجة نبى أى ولعل المراد انه يجوز أن يفعل به ذلك فلا ينافى ما تقدم من ان الحد كان ثمانين جلدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما زنت وفى لفظ لم تبغ امرأة نبى قط وأما قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما فالمراد آذتاهما قالت امرأة نوح عليه السلام فى حقه انه لمجنون وامرأة لوط عليه السلام دلت على أضيافه قيل انما جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما السلام ولم يجز أن تكون فاجرة أى زانية لان النبى مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه منقص ينفرهم عنه والكفر غير منقص عندهم وأما الفجور فمن أعظم النقصان وفى الخصائص الصغرى ومن قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له البتة كما قاله ابن عباس وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة ويحد فى غيرها حدين وقد وقع ان الحسن بن زيد الراعى من أهل طبرستان وكان من العظماء كان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وكان يرسل فى كل سنة الى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة فحضر عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضى الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنق هذا فنهض اليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهى الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء ياغلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه وفى كتاب الاشارات للفخر الرازى أنه صلى الله عليه وسلم فى تلك الايام التى تكلم فيها بالافك كان أكثر اوقاته فى البيت فدخل عليه عمر رضى الله عنه فاستشاره صلى الله عليه وسلم فى تلك الواقعة فقال يارسول الله أنا أقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة رضى الله عنها من الذباب لان الذباب لا يقرب بدنك فاذا كان الله تعالى صان بدنك ان يخالطه الذباب لمخالطته للقاذورات فكيف أهلك ودخل عليه صلى الله عليه وسلم عثمان رضى الله عنه فاستشاره فقال له عثمان يارسول الله اخذت براءة عائشة رضى الله عنها من ظلك انى رأيت الله تعالى صان ظلك أن يقع على الارض أى لان ظل شخصه الشريف كان لا يظهر فى شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالاقدام فاذا صان الله ظلك فكيف بأهلك أى وقد أشار الى ذلك الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

لقد نزه الرحمن ظلك ان يرى ✻ على الارض ملقى فانطوى لمزية

(وهنا لطيفة لا بأس بها) وهى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان مسافرا وكان يسايره يهودى فلما أراد المفارقة قال عبد الله رضى الله عنه لليهودى بلغنى انكم تدينون بايذاء المسلمين فهل قدرت على شئ من ذلك معى واقسم عليه فقال ان امنتنى أخبرتك فأمنه فقال لم أقدر عليك فى شئ أكثر من انى كنت اذا رأيت ظلك وطئته بقدمى وفاء بأمر ديننا ودخل عليه صلى الله

عليه

صلى الله عليه وسلم الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله فسأله هل أبقيت لهم شيأ قال نعم نصف مالى وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية اليه صلى الله عليه وسلم وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر وجهز عثمان رضى الله عنه ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم قال ابن اسحق أنفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها وروى عن قتادة أنه قال حمل عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وروى الامام أحمد والبيهقى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال جاء عثمان رضى الله عنه بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم وجاء فى رواية عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان الذى جاء به عثمان رضى الله عنه عشرة آلاف دينار قال بعضهم يمكن ان الالف جاء بها والعشرة بعث بها وجاء فى هذه الرواية زيادة ان الدنانير صبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى عثمان بعدها ففيه بشارة عظيمة بان الله غفر له الذنوب أى سترها عنه فمنعه منها ببركة دعائه له ونفقته فى سبيل الله فليس يبالى بما عمل اذ لا يقع منه الا الخير وفى بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض وروى البيهقى عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال خطب صلى الله عليه وسلم فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان علىّ مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال ما على عثمان بعد هذا

عليه وسلم علىّ كرم الله وجهه فاستشاره فقال له علىّ كرم الله وجهه أخذت براءة عائشة من شئ هو انا صلينا خلفك وأنت تصلى بنعليك ثم انك خلعت احدى نعليك فقلنا ليكون ذلك سنة لنا فقلت لا ان جبريل عليه السلام اخبرنى ان فى تلك النعل نجاسة فاذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف تكون بأهلك فسر صلى الله عليه وسلم بذلك أى ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن خلع احدى نعليه فى أثناء الصلاة لنجاسة بها واستمر فى الصلاة وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لزوجته ام أيوب الا ترين ما يقال أى من الافك فقالت له لو كنت بدل صفوان اكنت تهم بسوء لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك وفى السيرة الشامية ان أبا أيوب رضى الله عنه قالت له زوجته أم أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت يا ام أيوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك وجاء ان ابن عباس رضى الله عنهما دخل على عائشة رضى الله عنها فى مرض موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال لها لا تخافى فانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم فغشى عليها من الفرح بذلك لانها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه فى حجرى ولقد قبر فى بيتى وان الوحى ينزل عليه فى أهله فيفرقون منه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحاف واحد وأبى رضى الله عنه خليفته وصديقه ولقد نزلت براءتى من السماء ولقد خلقت طيبة عن طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما انتهى وفى هذه الغزوة فقدت عائشة رضى الله عنها عقدها أيضا فاحتبسوا على طلبه أى فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه رجالا من المسلمين أى أحدهما أسيد ابن حضير فحضرت الصلاة أى صلاة الصبح وكانوا على غير ماء زاد فى رواية وليس معهم ماء فنزلت آية التيمم وهذا القيل نقله امامنا الشافعى رضى الله عنه عن عدة من أهل المغازى أى وعليه يكون سقط عقدها فى تلك الغزوة مرتين لاختلاف القضيتين باختلاف سياقهما والصحيح ان ذلك كان فى غزوة اخرى أى متأخرة عن هذه الغزوة فعن عائشة رضى الله عنها قالت لما كان من أمر عقدى ما كان وقال أهل الافك ما قالوا فخرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة اخرى فسقط أيضا عقدى حتى حبس التماسه الناس أى فانه صلى الله عليه وسلم بعث رجالا فى طلبه وهو لا يخالف ما سبق انه صلى الله عليه وسلم أرسل فى طلبه رجلين وطلع الفجر فلقيت من أبى بكر رضى الله عنه ما شاء الله أى لان الناس جاؤا الى أبى بكر رضى الله عنه وشكوا اليه ما نزل بهم فجاء اليها ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه الشريف على فخذها قد نام فقال لها احبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجعل يطعن بيده فى خاصرتها ويقول يا بنية فى كل سفرة تكونين عناء وبلاء وليس

اليوم أوقال بعدها وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه أى يطلبون منه مايركبون عليه فقال ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم بن عمير الانصارى وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الانصارى والعرباض بن سارية السلمى وهرم بن عبد الله بن رفاعة الانصارى وعمرو بن عنمة الانصارى وعبد الله بن مغفل المزنى وآخرون غيرهم وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ماينفقون ومنهم قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ففى البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه انه أرسله أصحابه الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله الحملان فقال والله لا احملكم وفى رواية وماعندى ما أحملكم عليه فرجع حزينا الى قومه ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه اياها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه وخلفه أيضا على أهله وعياله فأرجف به المنافقون وقالوا ماخلفه الا استثقالا له وتخففا فأخذ على رضى الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يانبى الله زعم المنافقون انك انما خلفتنى لانك استثقلت منى وتخففت منى فقال كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائى فارجع فى أهلى وأهلك افلا ترضى ياعلى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى فرجع الى المدينة وفى رواية فقال على رضى الله عنه رضيت ثم رضيت قال أهل السنة ان هرون عليه السلام انما كان خليفة فى حياة موسى عليه السلام حين ذهب الى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة على رضى الله عنه بحياة النبى صلى الله عليه وسلم فقط فلا حجة فيه للشيعة على ان الخلافة لعلى وانه أوصى الله له بها وكفرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم فى الحديث المذكور ولا متمسك لهم به لانه انما قال هذا حين استخلفه بالمدينة فى هذه الغزوة فالحديث انما دل على ان عليا رضى الله عنه خليفة على أهل النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هرون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام فى قومه مدة غيبته عنهم

مع الناس ماء قالت فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى أى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام لا يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانهم لا يدرون مايحدث له فى نومه فقام حين أصبح وفى لفظ فاستيقظ وحضرت الصلاة فالتمس الماء فلم يجد فانزل الله تعالى الرخصة بالتيمم وفى لفظ فانزل الله تعالى آية التيمم أى التى فى المائدة ففى بعض الروايات فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية وقيل المراد بالآية آية النساء لان آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لا ذكر للوضوء فيها فيتجه تسميتها بآية التيمم وكلام الواحدى رحمه الله فى أسباب النزول يدل عليه فقال أبو بكر عند ذلك والله يابنية انك كما علمت مباركة أى وقال لها صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال اسيد بن حضير ماهذا بأول بركتكم يا آل أبى بكر أى وفى رواية انه قال لها جزاك الله خيرا فانزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا أى وهذا ربما يفيد تكرر وقوع ماتكرهه وان فى ذلك خيرا للمسلمين فليتأمل وفى لفظ قال أسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر ما أنتم الا بركة لهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وانما قال أسيد بن حضير ماقال دون غيره لانه كان رأس من بعث فى طلب العقد أى بل تقدم فى بعض الروايات الاقتصار على بعثه لطلب ذلك قالت فبعثنا البعير الذى كنت عليه أى أقمناه من مبركه فوجدنا العقد تحته (أقول) فى النور اعلم ان العقد سقط مرتين مرة كان لها ومرة كان لاختها اسماء استعارته وبهذا يجمع بين الاحاديث التى فى المسئلة هذا كلامه فليتأمل و ينظر تلك الاحاديث ماهى أى وكون هذا العقد لاسماء اختها لا يخالف ذلك قولها عقدى لان الاضافة تأتى لادنى ملابسة أى فعقد أسماء كان فى المرة الثانية وفى البخارى أيضا ان آية التيمم نزلت بعد ان صلوا بلا وضوء فعن عائشة رضى الله عنها أنها استعارت من أسماء رضى الله عنها قلادة فهلكت أى ضاعت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى آية التيمم وقد ترجم البخارى عن تلك بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا وقوله فبعث رجلا فوجدها يجوز أن يكون هذا الرجل هو الذى أقام البعير أو من جملة من أقامه فلا يخالف ماسبق مما يدل على ان الذين بعثهم فى طلبه لم يجدوه ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله قال وطريق الجمع بين هذه الروايات ان أسيدا كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمى فى بعض الروايات دون غيره ولذا اسند الفعل الى واحد منهم وكانهم لم يجدوا العقد أولا فلما رجعوا ونزلت آية التيمم وأرادوا الرحيل وأثاروا البعير وجده أسيد رضى الله عنه هذا كلامه قيل وفى هذه الغزوة خرجوا عن الطريق وأدركهم الليل بقرب واد وعر فهبط جبريل عليه السلام وأخبره صلى الله عليه وسلم ان طائفة من كفار الجن بهذا الوادى يريدون كيده صلى الله عليه وسلم وايقاع الشر بأصحابه فدعا صلى الله عليه وسلم بعلى كرم الله وجهه وعوذه وأمره بنزول الوادى فقتلهم قال الامام ابن تيمية وهذا من الاحاديث المكذوب بها على رسول الله صلى

للمناجاة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرات أخر غير على رضى الله عنه فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة ولما سئل على رضى الله عنه فى زمن خلافته هل أوصى لك النبى صلى الله عليه وسلم بالخلافة قال لا ولو أوصى لى بها ماقاتلت عليها حتى لو لم يبق معى الا سيفى وردائى ولو أوصى له بها مابايع أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقول الرافضة ان ذلك كان منه تقية كذب وزور فانه كان رضى الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بنى هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ورضى عنه وكرم وجهه ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابى بكر رضى الله عنه ورايته العظمى للزبير رضى الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار وقبائل العرب لواء أو راية أى لبعضهم لواء ولبعضهم راية وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا ووقع له صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة كثير من الاخبار بالمغيبات وغيرها من المعجزات وخوارق العادات وسيأتى ان شاء الله التعرض لكثير منها وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعد ان كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ثم قال يغزو محمد بنى الاصفر أى وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى مالا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكأنى انظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين فى بيت سويلم اليهودى فقال بعضهم اتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنى بهم يعنى الصحابة غدا مقرنين فى الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف فأوحى الله الى النبى صلى الله عليه وسلم اجتماع القوم وماقالوا فقال لعمار بن ياسر رضى الله عنهما ادرك القوم فاسألهم عما قالوا فان انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب

الله عليه وسلم وعلى على كرم الله وجهه قال ابن تيمية ومن هذا ماروى فى عام الحديبية انه قاتل الجن فى بئر ذات العلم وهى بئر فى الجحفة وهو حديث موضوع عند أهل المغازى أى وجاء فى سبب مشروعية التيمم غير ماذكر ففى الطبرانى عن أسلع قال كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرحل له ناقته فقال لى ذات يوم يا أسلع قم فارحل فقلت يارسول الله أصابتنى جنابة أى ولا ماء فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بآية الصعيد أى التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسلع فتيمم فأرانى التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت فتيممت ثم رحلت له حتى مر بماء فقال يا اسلع امس هذا جلدك وفى الامتاع نزلت آية التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون أيديهم بالارض ثم مسحوا بأيديهم الى المناكب أى ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن هذه الرواية وفى هذه السنة الخامسة خسف القمر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخسوف حتى انجلى القمر وصارت اليهود تضرب بالطساس ويقولون سحر القمر

غزوة الخندق

ويقال لها غزوة الاحزاب أى وهى الغزوة التى ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان فى قلوب أوليائه المتقين أى وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والشقاق المعاندين وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من أماكنهم كما تقدم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم حيى بن اخطب أبو صفية أم المؤمنين رضى الله عنها وعظيمهم سلام بن مشكم ورئيسهم كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عامر الفاسق الى أن قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله أى ونكون معكم على عداوته فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد زاد فى رواية فقال لهم لكن لا نأمنكم الا ان سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فقالت قريش لاولئك اليهود يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه وفى رواية أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقالوا أنتم أهدى سبيلا أى لانكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم أى فانتم أولى بالحق منه فانزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآيات فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلا وتحالفوا وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين باستارها أن لا يخذل بعضهم بعضا ويكونون كلهم يدا واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم مابقى منهم رجل وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رحمه الله

وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك فى جلاد بنى الاصفر قال يارسول الله او تأذن لى فى التخلف ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى انه ما من رجل باشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر ان لا اصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا والفتنة التى سقطوا فيها هى التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه ٣٤٠ وفى رواية انه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له والله ما يمنعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يالكع فوالله لانت اشد على من محمد وفى رواية ان الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن اعينك بمالى فانزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم والمحققون على ان الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضى الله عنه وعاش الى خلافة عثمان رضى الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا فى الحر فانزل الله تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون وجاء المعذرون من الاعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم فى اسلامهم وستأتى قصتهم ان شاء الله تعالى وكان ممن تخلف أبو خيثمة الانصارى رضى الله عنه فلما ان سار صلى الله عليه وسلم ومضت أيام دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيئتا طعاما وكان اليوم يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيآ لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله واخذ سيفه ورمحه ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ادركه نزل بتبوك وقد

بابيات ذم فيها اليهود لعنهم الله بامور بقوله

لا تكذب أن اليهود وقد زاغوا عن الحق معشر لؤماء *
جحدوا المصطفى وآمن بالطا * غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ * ـل ألا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـ * ـوى وأرضاه الفوم والقثاء
مائت بالخبيث منهم بطون * فهى نار طباقها الامعاء
لو أريدوا فى حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الاربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصـ * ـريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم * طيبات فى تركهن ابتلاء

أى لا تكذب ان اليهود والحال انهم قد مالوا عن الحق قوم لؤماء واللئيم الدنى الاصل الشحيح النفس ومن عظيم لؤمهم انهم جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته والحال انه قد آمن بالطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مأخوذ من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء وهم كفار قريش وردان اليهود قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا ومن جملة من قتلوا زكريا ويحيى واتخذوا العجل الها يعبدونه ومن يفعل ذلك لا سفيه غيره ومن أرضاه الفوم والقثاء بدل المن وهو نوع من الحلواء والسلوى نوع من الطير سفيه بلا شك مائت بالحرام كالربا بطون منهم فبطونهم نار لاشتمالها على ما يؤدى الى تلك النار طباق تلك النار المصارين ولو أراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى اختاروا تعظيمه على ما تقدم خيرا لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم خلق فيه النور فاختيار يوم السبت دون يوم الاربعاء لسبتهم أى سكوتهم عما عدا العبادة دليل على انه تعالى لم يرد بهم الخير ويوم السبت ابتدأ الله فيه خلق العالم خلافا لهم حيث قالوا ان ذلك أى ابتداء الخلق كان يوم الاحد وفرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه قالوا فان الله لا يقضى يوم السبت شيأ من الخلق ولا رزق ولا رحمة ولا عذاب ولا احياء ولا اماتة ومن مات يوم السبت يكون محى اسمه من اللوح المحفوظ قبل ذلك وقد كذبهم الله تعالى بقوله كل يوم هو فى شأن فكان فيه منهم ظلم وعدوان لاجل التصريف فيه بغير العبادة فبسبب ظلم وكفر حاصل منهم فيه فاتتهم طيبات كانت حلالا لهم فحرمها الله تعالى عليهم فكان فى ذلك ابتلاء لهم ونقل عن ابن حجر الهيثمى رحمه الله أنه بحث استحباب صوم يوم الاربعاء لما ذكر من أنه خلق فيه النور فليتامل ثم جاء أولئك الى غطفان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم انا سنكون معكم وان قريشا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم عليه فتجهزت قريش أى وأتباعها من القبائل وغطفان أى وأتباعها وقائد قريش أبو سفيان بن حرب وكانوا أربعة آلاف ومعهم ثلثمائة فرس أى وألف أو خمسمائة بعير وعقد اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان

كان أبو خيثمة ادرك عمير بن وهب فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك ان تتخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنا أبو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فلما دنا ونظروه قالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما اناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك يا ابا خيثمة واولى لك ٣٤١ كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا ان يصيبكم ما أصابهم وانما سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء يتبعه الفكر والاعتبار فكأنه امرهم بالفكر فى أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم فى الارض وامهاله لهم فيها مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن ان تكون عاقبته مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس ان يشربوا من مائها شيأ وان يتوضؤا به للصلاة وان يعجن منه عجين وان يحاس به حيس وان يطبخ به طعام والعجين الذى عجن به أو الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل والطعام الذى طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيأ ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم بالناس ولم يزل سائرا بهم حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة واخبرهم صلى الله عليه وسلم انه تهب عليهم الليلة ريح شديدة وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس فى تلك الليلة عن ان يخرج احد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر فى طلب بعير له ند فاحتملته الريح حتى ألقته فى جبل طيئ فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم انهكم ان يخرج احد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذى خنق فشفى والذى القته الريح بجبل طيئ ارسلته طيئ له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضى الله عنه يصلى بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف فى أصحابه على العسكر وأصبح الناس

ابن طلحة بن أبى طلحة المقتول والده الذى هو طلحة يوم أحد وكذا عماه أى عما عثمان بن طلحة وهما عثمان بن أبى طلحة وأبو سعيد بن أبى طلحة وعثمان بن أبى طلحة هو أبو شيبة كما تقدم فشيبة ابن عم عثمان بن طلحة وقتل يوم أحد اخوة عثمان بن طلحة الاربعة وهم مسافع بن طلحة والحرث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة وعثمان بن طلحة هذا أى الحامل لواء قريش أسلم بعد ذلك ويقال له الحجبى لانه كان من بنى عبد الدار وهم سدنة الكعبة وبنو عبد الدار كان لهم ولابيهم حمل لواء قريش عند الحرب دون غيرهم كما تقدم وقائد غطفان عيينة ابن حصن الفزارى فى بنى فزارة أى وهم ألف وتقدم ان عيينة اسلم بعد ذلك ثم ارتد بعد اسلامه وأخذ أسيرا فى زمن خلافة الصديق رضى الله عنه ثم أسلم وكان قبل اسلامه يتبعه عشرة آلاف قناة وكان عنده جفوة وغلظة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فى حقه انه الاحمق المطاع وقال فيه ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقائد بنى مرة أى وهم أربعمائة الحرث بن عوف المرى وأسلم بعد ذلك أى وقيل لم تحضر بنو مرة وقائد بنى أشجع أبو مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة واسلم بعد ذلك أى وقائد بنى سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس لا يعلم اسلامه أى وقائد بنى أسد طليحة بن خويلد الاسدى وأسلم بعد ذلك أى بعد ان كان ارتد بعد اسلامه ثم حسن اسلامه وكانت أشجع وبنو أسد تتمة العشرة آلاف فقد قال بعضهم كانت الاحزاب عشرة آلاف وهم ثلاث عساكر وملاك أمرها لابى سفيان أى المدبر لامرها والقائم بشانها ولما تهيأت قريش للخروج اتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أجمعوا عليه ندب الناس أى دعاهم وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم فى أمرهم أى قال لهم هل نبرز من المدينة أو نكون فيها فاشير عليه بالخندق أى أشار عليه بذلك سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بارض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا أى فان ذلك كان من مكايد الفرس وأول من فعله من ملوك الفرس ملك كان فى زمن موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه فاعجبهم ذلك فضرب على المدينة الخندق أى وعند ذلك ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا له ومعه عدة من المهاجرين والانصار فارتاد موضعا ينزل له وجعل سلعا خلف ظهره وأمرهم بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين أى وحمل التراب على ظهره الشريف ودأب المسلمون يبادرون قدوم العدو وقال واستعاروا من بنى قريظة آلة كثيرة من مساحى وكرازين ومكاتل وكان من جملة من يعمل فى الخندق جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من أصحاب الصفة وهو الذى تمثل به الشيطان يوم أحد وقال ان محمدا قد قتل كما تقدم فغير صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا فجعل المسلمون يرتجزون ويقولون

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا

وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قالوا عمرا قال عمرا واذا قالوا ظهرا قال ظهرا انتهى أى

يوما ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها فمن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وفى لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا

ما يحتاجون اليه وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لآخر منهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون أى وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث تنسبون المطر للانواء وقيل انه قال له ويحك هل بعد هذا شئ قال سحابة مارة وفى لفظ انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلى لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبى الله ما هذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطروا حتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم يوما فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه ان محمدا يزعم انه نبى وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا وانى والله لا أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها انها فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها قيل

وقع نظير هذا فى غزوة بنى المصطلق وان الوقعة تعددت وقيل انه من الاشتباه على بعض الرواة ولما قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا الخ جاء بعض الصحابة الى رحله وقال ان فى الرحل والله لعجب فى شئ حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة رجل قال كذا وكذا وأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال له بعض من فى الرحل هذه المقالة قالها فلان قبل ان تأتى يعنى شخصا حاضرا فى رحله فقال يا عباد الله فى رحلى داهية وما اشعر اخرج أى عدو الله من رحلى ولا تصحبنى فيقال انه تاب ويقال انه وكان

وسياق أسد الغابة يدل على ان هذا الذى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور وحصل للصحابة رضى الله عنهم تعب وجوع لانه كان فى زمن عسرة وعام مجاعة ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما باصحابه من النصب والجوع قال متمثلا بقول ابن رواحة رضى الله عنه

اللهم لا عيش الا عيش الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قيل وانما قال ابن رواحة لاهم ان العيش من غير ألف ولام فقد غيره صلى الله عليه وسلم على ما هو عادته كما تقدم وفى لفظ

اللهم لا خير الا خير الآخره * فبارك فى الانصار والمهاجره

وفى لفظ فأكرم الانصار والمهاجره وتقدم فى بناء المسجد

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

زاد فى الامتاع اللهم العن عضلا والقاره * هم كلفونا ننقل الحجاره

وفى لفظ هم كلفونا ننقل الحجاره قال الحافظ ابن حجر ولعله كان والعن الهى عضلا والقاره أى والتغيير منه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ

اللهم لا خير الا خير الآخره * فارحم المهاجرين والانصاره

وفى لفظ فانصر الانصار والمهاجره وأجابوه رضى الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وقال صلى الله عليه وسلم متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار جلد بطنه الشريف اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام اذ لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

يمد بها صوته مكررا لها أبينا أبينا ولما بدأ صلى الله عليه وسلم بالحفر فى الخندق قال

* بسم الاله وبه بدينا * بكسر الدال

ولو عبدنا غيره شقينا * يا حبذا ربا وحب دينا

وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم قال ما تقدم عنه فى بناء المسجد وهو

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

وتقدم الكلام عليه وعلى انشاده الشعر فى الكلام على بناء المسجد أى ورأيت ان عمار بن ياسر رضى الله عنه حين كان يحفر فى الخندق جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض رأسه ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية أى كما تقدم له فى بناء المسجد وصار الشخص منهم اذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه فى اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير وتباطأ رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف وصار الواحد منهم يتسلل الى أهله من غير استئذان له صلى الله عليه وسلم أى

لم يزل على شرح حتى هلك وتباطأ جمل أبى ذر رضى الله عنه لما به من الاعياء فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا فى بعض المنازل وقبل مجيئه قالوا له تخلف أبو ذر يا رسول الله ابطأ به بعيره فقال دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يكن غير ذلك فقد اراحكم الله منه ولما اشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال يا رسول الله هذا رجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله

هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم فقد مات وحده بالربذة رضى الله عنه سكنها فى خلافة عثمان رضى الله عنه بسبب اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة فى بعض الفاظ القرآن وتفسير بعض من معانيه فخشى عثمان وأبو ذر رضى الله عنهما اتساع الامر فاستأذن أبو ذر عثمان رضى الله عنهما أن يسكن الربذة فاذن له فبقى بها حتى توفى وحده كما أخبر صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأبطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ولم يأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فصلى بهم فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان توضأ ومسح خفيه الى عبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية وقال لهم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال لم يتوف نبى حتى يؤمه رجل صالح من أمته وهذا

لا ينافى انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابى بكر رضى الله عنه بل قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبى بكر والمراد صلاة كاملة فلا ينافى صلاته ركعة خلف عبد الرحمن بن عوف ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أحد غير ابى بكر وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وتقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يستخلف أبا بكر رضى الله عنه على عسكره يصلى بالناس فلعل ذلك فى بعض الايام فلا ينافى صلاة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بهم فى هذا اليوم او انه كان يصلى

وكان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه أما انه نعم الغلام وغلبته عينه فنام فى الخندق فاخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو نائم فلما قام فزع على سلاحه فقال له صلى الله عليه وسلم يا بار قد نمت حتى ذهب سلاحك ثم قال من له علم بسلاح هذا الغلام فقال عمارة أنا يا رسول الله وهو عندى فقال رده عليه ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعبا واليه استند أئمتنا فى تحريم أخذ متاع الغير مع عدم علمه بذلك واشتد على الصحابة رضى الله عنهم فى حفر الخندق كدية أى محل صلب فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل أو أهيم أى رملا سائلا وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء ثم تفل عليه ثم دعا بما شاء الله ان يدعو به ثم نضح ذلك الماء أى رشه على تلك الكدية قال بعض الحاضرين فوالذى بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب أى الرمل ما ترد فأسا ولا مسحاة وهى المجرفة من الحديد أى وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ينقلان التراب فى ثيابهما اذا لم يجدا مكاتل من العجلة وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت علىّ ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى فلما رآنى اضرب ورأى شدة المكان علىّ نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به اخرى فلمعت تحته برقة اخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى فقلت بأبى أنت وامى يا رسول الله ما هذا الذى رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك يا سلمان قال قلت نعم قال أما الاولى فان الله تعالى فتح على بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق قال وقد ذكر ان سلمان الفارسى رضى الله عنه تنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ولذلك يشير بعضهم بقوله

لقد رقى سلمان بعد رقه * منزلة شامخة البنيان

وكيف لا والمصطفى قد عده * من أهل بيته العظيم الشان

وانما وقع التنافس فى سلمان رضى الله عنه لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة اذرع فى عمق خمسة أذرع حتى أصيب بالعين اصابه بالعين قيس بن صعصعة فلبط به أى بلام مضمومة فوحدة مكسورة فطاء مهملة صرع فجأة وتعطل عن العمل فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ وليغتسل ويكفئ الاناء خلفه ففعل فكأنما نشط أى حل من عقال وفى لفظ فامر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع وضوأه فى ظرف ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفئ الاناء خلف ظهره وذكر انه لما اشتدت تلك الكدية على سلمان أخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطيت مفاتيح اليمن انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة كأنها

أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطيت مفاتيح الشام والله انى لا بصر قصورها أى زاد فى رواية الحمر ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق برقة فكبر وقال أعطيت مفاتيح فارس والله انى لا بصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فى مكانى هذا أى وفى رواية انى لا بصر قصر المدائن الابيض الآن وجعل صلى الله عليه وسلم يصف لسلمان أماكن فارس ويقول سلمان صدقت يارسول الله هذه صفتها أشهد انك رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه فتوح يفتحها الله بعدى ياسلمان اه أى وعند ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق أى الخوف لا تستطيعون ان تبرزوا فأنزل الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الآية وقيل فى سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أقبلت قريش ومن معها وكانوا عشرة آلاف كما تقدم فنزلت قريش بمجمع الاسيال وغطفان ومن معهم الى جانب أحد وكان المسلمون ثلاثة آلاف أى وقد قال ابن اسحق سبعمائة ووهم فى ذلك وقال ابن حزم انه الصحيح الذى لاشك فيه ولا وهم وعسكر بهم صلى الله عليه وسلم الى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة أى فجعل ظهر عسكره الى سلع كما تقدم والخندق بينه وبين القوم أى وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم قال وكان صلى الله عليه وسلم يعقب فيها بين ثلاثة من نسائه عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده أياما أى فانه مكث فى عمل الخندق بضع عشرة ليلة وقيل أربعا وعشرين ليلة أى وقيل عشرين ليلة وقيل قريبا من شهر وقيل شهرا قال بعضهم وكونه قريبا من شهر هو أثبت الاقاويل وقيل أثبت الاقاويل انها كانت خمسة عشر يوما وبه جزم النووى رحمه الله فى الروضة وسائر نسائه صلى الله عليه وسلم فى بنى حارثة وجعل النساء والذرارى فى الآطام وعرض الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا بأجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما التحم الامر أمر من لم يبلغ خمس عشرة سنة ان يرجع الى أهله وأجاز من بلغ خمس عشرة سنة فمن أجازه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والبراء بن عازب رضى الله عنهم اه وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن وفى كلام بعضهم كان أحد جوانب المدينة عورة وسائر جوانبها مشتبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وأرسل سليطا وسفيان بن عوف طليعة للاحزاب فقتلوهما فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنهما فى قبر واحد فهما الشهيدان القرينان وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة

مع أبى بكر رضى الله عنه بعض القوم ومع النبى صلى الله عليه وسلم بعض لكثرة القوم فلما تأخر صلى الله عليه وسلم فى قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضى الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الماء قلة أى ماء عين تبوك وقد قال لهم انكم تأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى وامر مناديا نادى بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها اربعة وقيل رجلان من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ فى شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفى رواية فجعلوا فيها سهما مادفعها اليهم فجاشت بالماء وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا قد ملئ جنانا أى بساتين فرأى ذلك وروى ابن عبد البر عن بعضهم قال انا رأيت ذلك الموضع كله حوالى تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح وقد كان قال لبلال رضى الله عنه اكلأ لنا الفجر فاسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألم أقل لك يابلال اكلأ لنا الفجر وفى رواية ان بلالا قال لهم ناموا وأنا اوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا الا بحر الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يابلال أين ماقلت قال يارسول الله ذهب بى مثل الذى ذهب بك وفى رواية أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله عنه ان الشيطان صار يهدى بلالا للنوم كما يهدى الصبى حتى ينام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فاخبر بما قاله النبى صلى الله عليه وسلم للصديق فقال الصديق رضى الله عنه للنبى أشهد أنك رسول الله ثم انتقل صلى الله عليه وسلم غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء وفى منصرفه صلى الله عليه وسلم من

ولواء الانصار لسعد بن عبادة وبعث مسلمة بن أسلم فى مائتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير تخوفا على الذرارى من بنى قريظة أى لما بلغه صلى الله عليه وسلم انهم نقضوا ما بينه وبينهم من العهد كما سيأتى أى وانهم يريدون الاغارة على المدينة فان حيى بن أخطب أرسل الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل أخرى ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على الذرارى أشد من الخوف على أهل الخندق ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان فى أصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن أبى وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقربون منهم ويقدمون رجالهم فيرمون ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة ولم يكن بينهم حرب الا الرمى بالنبل والحصا وفى تلك المدة أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فى الخندق فقتله الله أى اندقت عنقه أى وفى لفظ وأما نوفل بن عبد الله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فتحطما جميعا وقيل رمى بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يامعشر العرب فنزل اليه على كرم الله وجهه فقتله أى ضربه بالسيف فقطعه نصفين وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيك الدية على ان تدفعه الينا فندفنه فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب أى غرض لنا فى ديته وقيل اعطوا فى جثته عشرة آلاف أى وفى رواية انهم أرسلوا اليه صلى الله عليه وسلم ان أرسل الينا بجسده ونعطيك اثنى عشر ألفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخير فى جثته ولا فى ثمنه ادفعوه اليهم فانه خبيث الجسد خبيث الدية وفى لفظ انما هى جيفة حمار ثم ان عدو الله حيى بن أخطب سيد بنى النضير كان يقول لقريش فى مسيره معهم ان قومى بنى قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلا فقال له أبو سفيان ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم فعند ذلك خرج حيى لعنه الله حتى أتى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المتقدم ذكره فدق عليه باب حصنه فابى أن يفتح له وألح عليه فى ذلك فقال له ويحك ياحيى انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال له ويحك افتح لى أكلمك فقال ما أنا بفاعل فغاظه فقال له والله ما أغلقت دونى الا تخوفا على جشيشتك أى بالجيم المفتوحة والشين المعجمة وهى البر يطحن غليظا ويقال له الدشيش ان آكل معك منها ففتح له فقال له ويحك يا كعب جئت بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الاسيال وبغطفان حتى

تبوك قال أبو قتادة رضى الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وانا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك فى التعريس أى النزول للنوم فقلت ماشئت يارسول الله قال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت اجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفى رواية قال أبو قتادة فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وانا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فدعمته من غير ان اوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة أخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هى أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك منى قلت مازال هذا مسيرى منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أو انه من الاشتباه على بعض الرواة قال أبو قتادة رضى الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعنى من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفى رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فنمنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس فى ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شئ من ماء فتوضأ منها وبقى فيها شئ وفى رواية جرعة من ماء ثم قال لى احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس أى بعد ان ارتحلوا وفى رواية ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم وانا لنسير حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى للمسافر منها فما أيقظنا الا حر الشمس وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانا لاندرى مايحدث له فى نومه أى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحى فلما

استيقظ عمر رضى الله عنه و رأى ما أصاب الناس أى من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر و يرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان الصديق استيقظ أولا ثم لا زال يسبح و يكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى أصابهم أى من فوات صلاة الصبح فقال صلى الله عليه وسلم لا ضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال وبعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا من تفريطنا فى صلاتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى تهمسون دونى فقلنا يا نبى الله تفريطنا فى صلاتنا قال أما لكم فىّ أسوة ثم قال ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجىء وقت الاخرى وقد اختلفت الروايات فى حكاية هذه القصة فرواها بعضهم فى غزوة خيبر و بعضهم فى الحديبية و بعضهم فى تبوك فاختلف العلماء فى توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة و بعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة وجزم بعضهم بانها فى غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واجيب بان القلب انما يدرى المعانى المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر واجيب أيضا بانه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط و ينبغى أن يكون هذا الثانى أغلب أحواله وان الانبياء مثله فى ذلك ثم ان أكثر الجيش كان قد تقدم وما بقى معه صلى الله عليه وسلم الا سبعة أو خمسة كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم ان كان معه ما ترون الناس يعنى الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله اعلم فقال لو اطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا وذلك ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فابوا ذلك عليهما فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها وقد كادت اعناق الخيل والركاب تنقطع عطشا فقال صلى الله عليه وسلم اين صاحب الميضأة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئنى بميضأتك فجاء بها وفيها شئ من ماء وفى رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فافرغ ما فى الاداوة فيها ووضع أصابعه

أنزلتهم بجانب أحد فقد عاهدونى وعاقدونى ان لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وكل ما يخشى فانى لم أر فى محمد الا صدقا ووفاء وفى لفظ جئتنى بجهام أى سحاب قد هراق ماءه أى لا ماء فيه يرعد و يبرق وليس فيه شئ و يحك يا حيى دعنى وما أنا عليه فلم يزل حيى بكعب حتى أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا أن يكون معه فى حصنه و يصيبه ما أصابه فعند ذلك نقض كعب العهد وبرئ مما كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وجمع رؤساء قومه وهم الزبير بن مطا وشاس بن قيس وعزال بن ميمون وعقبة بن زيد وأعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحم الامر لما أراد الله من هلاكهم وكان حيى بن أخطب فى اليهود يشبه بابى جهل فى قريش فلما انتهى الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أخبره بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا رسول الله بلغنى ان بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ذلك وأرسل سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وأرسل معهما ابن رواحة وخوات بن جبير وأسقطهما فى الامتاع وذكر بدلهما أسيد بن حضير وقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه دون القوم أى وروا وكنوا فى كلامكم بما لا يفهمه القوم أى لئلا يحصل لهم الوهن والضعف والا فاجهروا بذلك بين الناس فان اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه كما ان اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ومنه قول القائل وخير الحديث ما كان لحنا فخرجوا حتى أتوا بنى قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقالوا لا عهد بيننا و بين محمد فشتمهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه أى وقيل سعد بن عبادة أى وكان فيه حدة وشاتموه أى ولا مانع من وجود الامرين وقال سعد بن معاذ لسعد بن عبادة أو بالعكس دع عنك مشاتمتهم فما بيننا و بينهم أربى أى أقوى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنوا له عن نقضهم العهد أى قالوا عضل والقارة أى غدروا كغدر عضل والقارة باصحاب الرجيع وسيأتى خبر ذلك فى السرايا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أى وقال أبشروا يا معاشر المسلمين نصرة الله تعالى وعونه وتقنع صلى الله عليه وسلم بثوبه واضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه صلى الله عليه وسلم اضطجع ثم رفع رأسه فقال ابشروا بفتح الله ونصره أى ولعل هذا أى ارسال السعدين ومن معهما كان بعد ارساله صلى الله عليه وسلم الزبير اليهم ليأتى بخبرهم هل نقضوا العهد استثباتا للامر فعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال كنت يوم الاحزاب أنا وعمر بن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان بن ثابت أى وكان حسان مع النساء ومن جملتهم صفية بنت عبد المطلب

الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه واقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا وروت خيلهم وركابهم قال بعضهم وواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفى كلام بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل للقوم العطش أرسل نفرا من أصحابه وفيهم على والزبير رضى الله عنهما لكن تقدم ان عليا رضى الله عنه تخلف فى غزوة تبوك فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبى صلى الله عليه وسلم أو ان ذلك كان فى غزوة أخرى بعث صلى الله عليه وسلم أولئك النفر لطلب الماء وامرهم أن يستعرضوا الطريق واعلمهم ان عجزوا تمر بهم فى محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم اشتروا منها ماءها فاءت ان تزوهان وأتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء وفى رواية اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت أنا وأهلى احوج اليه منكم فسألوها ان تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فابت وقالت هذا الساحر وفى رواية الذى يقال له الصابئ وخير الاشياء ان لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم حلوا عنها ثم قال لها اتاذنين لى فى الماء ولتصيبن ماءك كما جئت به قالت شأنكم فقال لابى قتادة رضى الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضأة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملؤه وارووا ابلهم وخيلهم وبقى فى الميضأة ثلثاها والميضأة هى الاداوة التى يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث لان الثانى وضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة التى صب فيها من الميضأة وفى هذا وضع يده فى الميضأة بعد ان لم يجدوا فى الميضأة شيأ وفى رواية ان تلك المرأة اخبرته صلى الله عليه وسلم انها موتمة أى لها ايتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لها من كسر وتمر ثم قال لها اذهبى واطعمى هذا عيالك وفى رواية ايتامك وصارت تعجب مما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فقالت حبسنى انى رأيت عجبا أرأيتم مزادتى هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين نفرا وملؤا من القرب والمزاد والمطاهر ما لا احصى ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فاما أن يكون ذلك الرجل اسحر

واتفق أن يهوديا جعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان يا حسان لا آمن هذا اليهودى ان يدلهم على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل فاقتله قال حسان رضى الله عنه يا بنت عبد المطلب قد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما أيست منه أخذت عمودا ونزلت ففتحت باب الحصن وأتيته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل فقال يا ابنة عبد المطلب مالى بسلبه حاجة أى وهذا يدل على ما قيل ان حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم قال عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف الى بنى قريظة قال رأيتنى يا بنى قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبى وأمى أخرجه الشيخان أى وفى كلام ابن عبد البر رحمه الله ثبت عن الزبير رضى الله عنه انه قال جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين يوم أحد ويوم بنى قريظة فقال ارم فداك أبى وأمى وقال ولعل ذلك كان فى أحد ان لكل نبى حواريا وان حوارى الزبير وقال الزبير ابن عمتى وحوارى من أمتى ويذكر أن الزبير رضى الله عنه كان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج وكان يتصدق بذلك كله ولا يدخل بيته من ذلك درهما واحدا وذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه لما نزل قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال له الزبير يا رسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال أما انه سيكون وقد جعله سبعة من الصحابة وصيا على أولادهم فكان يحفظ على أولادهم مالهم و ينفق عليهم من ماله وهؤلاء السبعة منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين لما وصل اليهم الخبر أى خبر نقض بنى قريظة العهد ولا منافاة بين بلوغهم الخبر وما تقدم من عدم الافصاح به لانهم جاءهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل الظن وأنزل الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وظهر النفاق من المنافقين حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الامر بعث الى عيينة بن حصن الفزارى والى الحرث بن عوف المرى فى أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفيين من أبى سفيان فوافقاه على ذلك أى بعد ان طلبا النصف فابى عليهما الا الثلث فرضيا وكتبا بذلك صحيفة أى وفى رواية أحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضى الله عنه الصلح فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوقع الصلح على ذلك بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فذكر لهما ذلك

واستشارهما فيه فقالا يارسول الله أمر تحبه فتصنعه أم شيأ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيأ تصنعه لنا أي وفي لفظ ان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأي فما لهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرني الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا لاني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت ان أكسر شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم أي غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منا تمرة الا قرى أو بيعا أي وان كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا أي وفي لفظ نعطى الدنية ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحى ما فيها من الكتابة أي وهذا انما يناسب الرواية الاولى وكذا ما جاء في لفظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحرث ارجعا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته ثم قال اسعد ليجهدوا علينا ثم ان طائفة من المشركين أقبلوا أي وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به ٥ وفيهم عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيهم هبيرة بن أبي وهب أي وهو زوج أم هانئ أخت علي كرم الله وجهه رضي الله عنها وأبو أولادها مات على كفره وضرار بن الخطاب وعمرو بن ود أي قيل ونوفل بن عبد الله وكان عمرو بن ود عمره اذ ذاك تسعين سنة فقال من يبارز فقام علي كرم الله وجهه وقال أنا له يانبي الله فقال صلى الله عليه وسلم له اجلس انه عمرو بن ود ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزن لي رجلا وأنشد أبياتا منها

ولقد بححت من الندا * بجمعكم هل من مبارز
ان الشجاعة في الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام علي كرم الله وجهه فقال أنا له يارسول الله فقال اجلس انه عمرو بن ود ثم نادى الثالثة فقام علي كرم الله وجهه فقال أنا له يارسول الله فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد سيدنا علي أبياتا منها

لا تعجلن فقد أتا * ك مجيب قولك غير عاجز
ذو نية وبصيرة * والصدق منجي كل فائز

وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه أي وفي لفظ اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين زاد في رواية انه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي الحديث فمشى اليه علي كرم الله وجهه فقال له

يا عمرو

أهل الارض او هو نبي كما يقول فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ما رأينا امرأة ادخلت على قومها من البركة مثل ما ادخلت هذه المرأة على قومها وفي صحيح مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تقصها الجماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر يارسول الله ان فعلت فني الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك البركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل رجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا في اوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية ولا مانع من التعدد او هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد ان ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فأطعمهم وسقاهم فقال له صلى الله عليه وسلم انت طلحة الفياض وسماه يوم احد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت في غزوة تبوك على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيأت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فوضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت لخرير النحي فقمت فأخذت رأسه بيدي فقال صلى الله عليه وسلم وقد رأى ذلك لو تركته لسال الوادي سمنا وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال رضي الله عنه هل من عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى ان تجد شيأ فأخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال كلوا باسم الله فأكلنا ثلاثة انفس واحصيت أربعا وخمسين تمرة اعدها عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا ايدينا

يا عمرو وانك كنت قد عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أي خصلتين الا أخذتها منه قال له أجل أي نعم فقال له علي كرم الله وجهه فأنا أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني أدعوك الى البراز قال وفي رواية انك كنت تقول لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال أجل فقال علي فاني أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخي أخر عني هذه قال وأخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد صلى الله عليه وسلم صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا ما لا تحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت أي فانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح ان لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم قال فالثالثة ما هي قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت أظن ان أحدا من العرب يروعني بها اه ثم قال له عند طلب المبارزة لم يا ابن أخي فوالله ما أحب ان أقتلك فقال علي كرم الله وجهه ولكني والله أحب ان أقتلك فحمي عمرو وعند ذلك أي أخذته الحمية وفي رواية ان عمرا قال له من أنت أي لان عليا كرم الله وجهه كان مقنعا بالحديد قال علي قال ابن عبد مناف قال أنا علي بن أبي طالب فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فاني أكره ان اهريق أي أسيل دمك أي وزاد في رواية فان أباك كان لي صديقا أي وفي لفظ كنت له نديما فقال علي وأنا والله ما أكره ان اهريق دمك فغضب فقال له علي كرم الله وجهه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأقبل على علي كرم الله وجهه فاستقبله علي بدرقته فضرب به عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي كرم الله وجهه على حبل عاتقه أي وهو موضع الرداء من العنق فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا كرم الله وجهه قتل عمرا لعنه الله أي وذكر بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك قال قتل علي لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين قال الامام أبو العباس بن تيمية وهذا من الاحاديث الموضوعة التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها ولا بسند ضعيف وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الانس والجن ومنهم الانبياء قال بل ان عمرو ابن ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة (أقول) ويرد قوله ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة قول الاصل وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما أي جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه أي ويرده أيضا ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم واستدلاله بقوله وكيف يكون الى آخره فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين وفي تفسير الفخر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك معه يا علي قال وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب

فاذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها احد الا نهل منها شبعا فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليهن ثم قال كلوا باسم الله فأكلنا حتى شبعنا وانا العشرة ثم رفعنا ايدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اني استحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن ولما وصل صلى الله عليه وسلم تبوك أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في اربعمائة فارس الى أكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما من قبل هرقل بدومة الجندل وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر وقتلوا حسانا وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه بايديهم فيعجبون منه فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما فدخلوا الحصن واغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح لخالد دومة الجندل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسه ثم قدم باكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم فحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله وكان هرقل مقيما بحمص وفي هذه الغزوة كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى في مكاتباته صلى الله عليه وسلم واتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب ايلة ومعه أهل جرباء تأنيث أجرب بعد ويقصر وهي قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء المهملة مدينة هناك وأهدى صاحب ايلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولاهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي

رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر وكتب لاهل اذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبى صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بامان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يلق كيدا وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعبا منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم بمسيره فكان من الحكمة فى هذه الغزوة ما حصل من اغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين واذلالهم واستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقالوا يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنوا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى ويحدث الله أمرا وأخرج البيهقى عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبى فالحق بالشام فانها ارض المحشر وارض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى اسرائيل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآيتين فامره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث فرجع صلى الله عليه وسلم فقال جبريل سل ربك فان لكل نبى مسئلة وكان جبريل له ناصحا وكان النبى صلى الله عليه وسلم له مطيعا قال فما تأمرنى أن أسأل فقال جبريل قل رب أدخلنى مدخل صدق الآية ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وبنى فى طريقه عشرين مسجدا وكان فى بعض الطريق ماء قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى نأتيه فسبق

لقدرت عليهم وفى كلام السهيلى رحمه الله ولما أقبل على كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متهلل قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها قال انى حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت يا ابن عمى أن أسلبه هذا كلامه وعندى أن هذا اشتباه من بعض الرواة لان هذه الواقعة لعلى كرم الله وجهه انما كانت فى يوم أحد مع طلحة بن أبى طلحة كما تقدم وعمرو بن ود لم يشهد أحدا كما تقدم عن الاصل فليتأمل قال وذكر ابن اسحق أن المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد أى وفيه أنه تقدم ان نوفل بن عبد الله وقع فى الخندق فاندقت عنقه الى آخر ما تقدم لكنى رأيت بعضهم قال ان وقوع نوفل فى الخندق ورميه بالحجارة وقتل على كرم الله وجهه له فى الخندق غريب من وجهين فليتأمل وحمل الزبير رضى الله عنه على هبيرة بن أبى وهب وهو زوج أم هانئ أخت على بن أبى طالب كما تقدم فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس أى جعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه وهو منهزم انتهى أى وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهبيرة بن أبى وهب على على كرم الله وجهه فأقبل على عليهما فاما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وذكر ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد فى اثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر رضى الله عنه بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويد لى عندك غير مجزى بها فاحفظها أى ووقع له مع عمر رضى الله عنه مثل ذلك فى أحد فانه التقى معه فضرب عمر رضى الله عنه بالقناة ثم رفعها عنه وقال له ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار فاسلم وحسن اسلامه وكان شعار المسلمين حم لا ينصرون أى واهل المراد بالمسلمين الانصار فلا يخالف ما فى الامتاع وكان شعار المهاجرين يا خيل الله وفيه خرجت طائفتان للمسلمين ليلا لا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون الا انهم العدو فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الاسلام حم لا ينصرون فكف بعضهم عن بعض وقد يقال يجوز ان تكون الطائفتان كانتا من الانصار وجاؤا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحكم فى سبيل الله ومن قتل فهو شهيد وبهذا استدل أئمتنا على ان من قتله مسلم خطأ فى الحرب يكون شهيدا ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله وهو عرق فى الذراع تتشعب منه عروق البدن ولعله محل الفصد الذى يقال له المشترك أى ويقال لهذا العرق عرق الحياة أى رماه ابن العرقة اسم جدته سميت بذلك لطيب

عرفها

اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذى فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيأ فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيأ حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل فى موضع الماء ومسحه بيديه ودعا بما شاء أن يدعو به فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقى منكم أحد لتسمعن بهذا الوادى وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أى وهذا خلاف عين تبوك التى تقدم له فيها ما يشبه هذا حيث قال لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا ملئ جنانا الان تلك العين كانت عين تبوك وهذا عند منصرفه من تبوك وأجمع رأى من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فلما سمع المنافقون النداء أسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة وأمر عمار بن ياسر رضى الله عنهما أن يأخذ بزمام ناقته صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما أن يسوق من خلفه وفى دلائل النبوة للبيهقى عن حذيفة رضى الله عنه قال كنت ليلة العقبة آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقودها وعمار بن ياسر يسوقها أو أنا أسوقها وعمار يقودها أى يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب وجوه رواحلهم ويقول اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا

عرفها وقال خذها وأنا ابن العرقة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال عرق الله وجهه فى النار وقيل قائل ذلك سعد رضى الله عنه وعند ذلك قال سعد اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى قريشا فاجعله الى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى وفى لفظ حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم أحب الى ان أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه وفى يوم استمرت المقاتلة قيل من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أى وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته وأمر بلالا فاذن وأقام الظهر فصلى ثم أقام بعد كل صلاة اقامة وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فامر بلالا فاذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فاذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فاذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فاذن وأقام فصلى العشاء (أقول) فى الرواية الاولى ما يشهد لقول امامنا الشافعى يندب أن يؤذن للاولى من الفوائت ويقيم لما عداها اذا قضاها متوالية وكونه يؤذن للاولى من الفوائت هو ما ذهب اليه فى القديم وهو المفتى به وفى الرواية الثانية دليل على انه يؤذن لكل من الفوائت اذا قضاها متوالية ولم يقل به امامنا فانه جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه مرسلا لانه رواه عنه ابنه أبو عبيدة ولم يسمع منه لصغر سنه وروى امامنا الشافعى رضى الله عنه باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى أى طائفة من الليل حتى كفينا القتال وذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فامره فاقام الظهر فصلاها كما كان يصلى ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك أى وفى لفظ فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها فى وقتها وهو دليل لعدم ندب الاذان للفائتة وهو ما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد وهو مرجوح وجمع الامام النووى فى شرح المهذب بين رواية الى الليل ورواية حتى ذهب هوى من الليل بأنهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق قال فانها كانت خمسة عشر يوما أى على ما تقدم وفيه أن كونهما قضيتين أمر واضح لا خفاء فيه لان فى الاولى وفى يوم استمرت المقاتلة الى الليل وفى الثانية حتى كفينا القتال فمع ذلك كيف يظن انهما قضية واحدة حتى يحتاج الى الجمع وظاهر سياق هذه الروايات أنه صلى الاربع صلوات بوضوء واحد وبه صرح البغوى فى تفسير سورة المائدة وحينئذ يحتاج للجمع بينه وبين ما يأتى فى فتح مكة وروى الطحاوى واستدل به مكحول والاوزاعى على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ان الشمس ردت له صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت حين شغل عن صلاة العصر حتى صلى العصر وذكر الامام النووى فى شرح مسلم أن رواته ثقات وفى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة رضى الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم متلثمين والليلة مظلمة وفى رواية ان حذيفة رضى الله عنه قال عرفت راحلة فلان وفلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معى فى العقبة ٣٥٢ فيزحمونى و يطرحونى منها الى الوادى وان الله أخبرنى بهم و بمكرهم وسأخبركما بهم فاكتماهم ولما أصبح صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يارسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من العقبة فقال أتدرى ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يارسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا وان أحببت فبين أسماءهم والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤسهم فقال انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يارسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليسوا يظهرون الشهادة ثم جمعهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية * وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم من تبوك ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ولما قرب صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار السوء يقولون ان محمدا وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا فلما بلغهم سلامة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه و بان كذبهم ساءهم ذلك وأنزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم الآية وخرج مع الناس لتلقيه صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والولائد وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعى
أيها المبعوث فينا * جئت بالأمر المطاع

رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها يعنى العصر فنزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذه الرواية تقتضى انه لم يفته الا العصر وانه صلاها بعد الغروب قال الامام النووى رحمه الله وطريق الجمع ان هذا كان فى بعض ايام الخندق وكون صلاة العصر هى الوسطى قد جاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله اجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا والذى فى البخارى ومسلم وابى داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وكون صلاة الوسطى هى صلاة العصر هو قول من تسعة عشر قولا ذكرها الحافظ الدمياطى فى مؤلف له سماه كشف الغطا عن الصلاة الوسطى وفى الينبوع ان كون الصلاة الوسطى هى العصر هو الذى اعتقده والله أعلم قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فلما فرغ قال احد منكم علم انى صليت العصر قالوا يارسول الله ما صليناها ى لا نحن ولا انت فأمر المؤذن فاقام الصلاة فصلى العصر ثم اعاد المغرب قيل وكان ذلك قبل ان تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا اه أقول يحتاج الى الجواب عن اعادة المغرب وقد يقال اعادها مع الجماعة وان قوله فان خفتم فرجالا أو ركبانا يرشد الى ان المراد بصلاة الخوف صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع التى نزل فيها قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية كما تقدم فلا ينافى ما تقدم من صلاته فى ذات الرقاع بناء على تقدمها على هذه الغزوة التى هى غزوة الخندق وحينئذ يندفع الاستدلال على ان ذات الرقاع متأخرة عن الخندق بقولهم ولم تكن شرعت صلاة الخوف أى صلاة ذات الرقاع والا لصلاها فى الخندق ولم يخرج الصلاة عن وقتها لما علمت أن المراد بصلاة الخوف التى لم تشرع زمن الخندق صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع وسقط القول بان الآية التى نزلت فى صلاة ذات الرقاع منسوخة فتركه صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة فى الخندق لان الخندق وان لم يلتحم فيه القتال الا أنهم لا يأمنون هجوم العدو عليهم فلو صلوها لكانت تلك الصلاة صلاة شدة الخوف لا صلاة ذات الرقاع لان شرطها أمن هجوم العدو وصلاة شدة الخوف اما ان يلتحم فيها القتال او يخافوا هجوم العدو وقول بعضهم ان ابن اسحق وهو امام أهل المغازى ذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعسفان وذكر انها قبل الخندق فتكون صلاة عسفان منسوخة أيضا فيه نظر ظاهر لان صلاة عسفان انما كانت فى الحديبية كما سيأتى وعلى تسليم أن صلاة عسفان كانت قبل الخندق فتلك يشترط فيها الامن من هجوم العدو والله أعلم قال ثم ان طائفة من الانصار خرجوا اليدفنوا ميتا منهم بالمدينة فصادفوا عشرين بعيرا لقريش محملة شعيرا وتمرا وتبنا حملها ذلك حيى بن أخطب شدادا وتقوية لقريش فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم قطع بنا ما نجد ما نحمل عليه اذا رجعنا ثم ان خالد بن الوليد

كر

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمه الى المدينة ولا مانع من تعدد ذلك ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه والمحققون على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بان يخلق له المحبة كتسبيح الحصا وحنين الجذع وقيل المراد يحبنا أهله ونحبهم ولما دخل المدينة قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أتأذن لى يارسول الله أن أمتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق ٣٥٣
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما * فى صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ * ـنور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وقد كان تخلف من المنافقين بضعة وثمانون رجلا وتخلف أيضا كعب ابن مالك رضى الله عنه وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضى الله عنهما وكانا من الاوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق فأما المنافقون فجعلوا يحلفون و يعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرهم وعلانيتهم واستغفر لهم ووكل سريرتهم الى الله تعالى وأما الثلاثة فأرجاهم وأخر أمرهم ينتظر أمر الله فيهم وأنزل الله فيهم وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم نزلت هذه الآية فى أول أمرهم ونزل فى آخر أمرهم عند قبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك رضى الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه فى غزوة تبوك قال كعب رضى الله عنه لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير انى تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب صلى الله عليه وسلم أحدا ممن تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه

كر بطائفة من المشركين يطلب غرة للمسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشوهم أى تقاربوا منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق الطفيل بن النعمان فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة أى الاغارة فاقام المسلمون فى شدة من الخوف أى وفى الصحيحين ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم أى وقام فى الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف أى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله تعالى ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى و بأصحابى وقال له المسلمون رضى الله عنهم هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل عليه السلام فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلا شكرا شكرا وجاء أن دعاءه صلى الله عليه وسلم عليهم كان يوم الاثنين و يوم الثلاثاء و يوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه صلى الله عليه وسلم أى ومن ثم كان جابر رضى الله عنه يدعو فى مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت و يتحرى ذلك والاحاديث والآثار التى جاءت بذم يوم الاربعاء محمولة على آخر أربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه الصلاة والسلام بالبلاء قال وكان صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاء فأدفأته فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة و يقول ما أخشى ان تؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبى وقاص سعد يارسول الله أتيتك أحرسك فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غط وقام صلى الله عليه وسلم فى قبته يصلى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ومن ثم لما نعى لابن عباس أخوه قثم وهو فى سفر استرجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس وتلا واستعينوا بالصبر والصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى صلى الله عليه وسلم يا عباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا فى نفر حول قبتك يارسول الله وكان ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم

٤٥ سيره ثانى

وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس وكان من خبرى حين تخلفت عنه فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى منى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل صلى الله عليه وسلم سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم وأخبر الناس بوجههم الذى يريدون والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن ان ذلك يخفى مالم ينزل فيه وحى من الله تعالى وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيأ وأقول فى نفسى أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتمادى بى ذلك حتى استمر الناس بالجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض شيأ فهممت أن أرتحل فأدركهم فياليتنى فعلت ثم لم يقدر لى ذلك فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى أن لا أرى لى اسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه حب برديه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه بئسما قلت والله يارسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فقال فلما بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا من تبوك طفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخط الله غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت انى لم أنج منه بشئ أبدا فأجمعت على الصدق فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس

لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ليلا فقال يارسول الله انى أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت قال وفى رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه أى غطفان وهو على دينهم فقذف الله فى قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلى فلما رآه جلس ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يانعيم قال جئت اصدقك واشهد ان ما جئت به حق فاسلم انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال المهملة أى ينقضى أمرها بالمخادعة فقال له نعيم يارسول الله انى أقول أى ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع قال قل ما بدا لك فانت فى حل ٥ فخرج نعيم رضى الله عنه حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأونى رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب فقلت انى لم آت لشئ من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برأيى يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم لا تقدرون على أن ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أى عاونتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أى فرصة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلدكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم أى سبعين رجلا يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أى يقاتلوه قالوا لقد اشرت بالرأى والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا عنى قالوا نفعل ثم خرج رضى الله عنه حتى اتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه من اشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى أمر قد رأيت ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود يعنى بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد أى من نقض عهده وقد ارسلوا اليه أى وانا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من اشرافهم أى سبعين رجلا فنعطيكهم فتضرب اعناقهم أى وترد جناحنا الذى كسرت الى ديارهم يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يطلبون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على اسراركم ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا من هذا حرفا قالوا لا نذكره ثم خرج رضى الله عنه حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان انكم اهلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا أراكم تتهموننى قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم

فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يارسول الله انى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشك ان الله يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالوا يؤنبونى حتى كدت أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقلت لى فيهما اسوة ومضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى أنكرت فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق فلا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفته برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فان أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائط لابى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمنى أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله

فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز أى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم أى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا أى سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم وفى رواية ان بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجئ رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التوانى والرأى ان تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنهم لا يخرجون حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم ترد لهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا منى عناقا ما دفعتها اليهم فاختلفت كلمتهم أى وجاء حيى بن أخطب لبنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وبعث الله تعالى ريحا عاصفا أى وهى ريح الصبا فى ليال شديدة البرد فقلعت بيوتهم وقطعت أطنابها وكفأت قدورهم على أفواهها وصارت الريح تلقى الرجال على أمتعتهم وفى رواية دفنت الرجال واطفأت نيرانهم أى وأرسل الله اليهم الملائكة تزلزلهم قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت فى روعهم الرعب وقال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه اختلاف كلمتهم وكانت تلك الليلة شديدة البرد والريح فى اصوات ريحها أمثال الصواعق وسيأتى انها لم تجاوز عسكر المشركين وشديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص اصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أى من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا ان نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم ثلاث الليلة الا ثلثمائة وقال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير رضى الله عنه انا قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا والزبير يجيبه بما ذكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى أى ناصر وان حوارى الزبير أى وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له ايضا عند ارساله لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد أولا كما تقدم وسيأتى قول ذلك له أيضا فى خيبر وفى الحديث حوارى الزبير من الرجال وحوارى من النساء عائشة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ألا رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع اسأل الله ان يكون رفيقى فى الجنة وفى لفظ يكون معى يوم القيامة وفى لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الخوف والجوع والبرد فدعا صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان قال فلم أجد بدا من القيام حيث فوه باسمى فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامى منذ الليلة ولا تقوم فقلت لا والذى بعثك بالحق

ان قدرت أى ماقدرت على مابى من الجوع والبرد والخوف فقال اذهب حفظك الله من امامك
ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة فلم يكن لى بد من القيام حين
دعانى وقال ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم فقمت مستبشرا بدعاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم كأنى احتملت احتمالا وذهب عنى ما كنت اجد من الخوف والبرد وعهد صلى الله عليه وسلم
الى ان لا احدث حدثا وفى رواية اما سمعت صوتى قلت نعم قال فما منعك ان تجيبنى قلت البرد
قال لا برد عليك حتى ترجع كما يدل على ذلك الرواية الآتية فقال ان فى القوم خبرا فاتنى بخبر
القوم قال وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله الا رجل ياتينى بخبر القوم يكون معى يوم
القيامة ولم يجبه احد قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله حذيفة قال حذيفة فمر علىّ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما علىّ جنة من العدو والبرد الا مرط لامرأتى مايجاوز ركبتى وانا جاث
على ركبتى فقال من هذا قلت حذيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة
رضى الله عنه فتقاصرت بالارض قلت بلى يارسول قال قم فقمت فقال انه كائن فى القوم خبر
فاتنى بخبر القوم فقلت والذى بعثك بالحق ماقمت الاحياء منك من البرد قال لا بأس عليك
من حر ولا برد حتى ترجع الىّ فقلت والله مابى ان اقتل ولكن اخشى ان اوسر فقال انك لن
تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمضيت
كأنى امشى فى حمام مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار وهو عربى قال حذيفة فلما وليت دعانى
فقال لى لا تحدثن شيأ وفى رواية لاترم بسهم ولا حجر ولا تضربن بسيف حتى تأتينى فجئت اليهم
ودخلت فى غمارهم فسمعت اباسفيان يقول يامعشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم جليسه
واحذروا الجواسيس والعيون فاخذت بيد جليسى على يمينى وقلت من انت فقال معاوية
ابن أبى سفيان وقبضت بيد من على يسارى وقلت من انت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية
ان يفطن بى فقال أبو سفيان يامعشر قريش والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع
والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا
فانى مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده الا وهو قائم أى فانه لما ركبه كان معقولا فلما
ضربه وثب على ثلاثة قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبى جهل انك رأس القوم وقائدهم
تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وهو يقوده وقال ارحلوا
فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص ياأباعبد الله نقيم فى جريدة من الخيل
بازاء محمد واصحابه فانا لا نأمن ان نطلب فقال عمرو وانا اقيم وقال لخالد بن الوليد ماترى اباسليمان
فقال انا أيضا اقيم فاقام عمرو وخالد فى مائتى فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضى الله
عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الىّ حين بعثنى ان لا احدث شيأ لقتلته يعنى
اباسفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفى رواية
فدخلت العسكر فاذا الناس فى عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لامقام لكم والريح تقلبهم

اعلم ففاضت عيناى وتوليت فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا انبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل
على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع لى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه بلغنا ان
صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا بضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذه الرسالة أيضا من البلايا فالقيتها
فى التنور فسجرتها حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى
فقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك
قال فقلت الحقى بأهلك فكونى
معهم حتى ينقضى هذا الامر قال
فجاءت امرأة هلال بن أمية
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يارسول الله ان هلال بن
أمية شيخ صائع ليس له خادم فهل
تكره أن أخدمه قال لا ولكن
لا يقربنك فقالت والله مابه حركة
الى شئ فوالله مازال يبكى منذ
كان من أمره ما كان الى يومه
هذا قال كعب فقال لى بعض أهلى
لو استأذنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى أهلك قال قلت وما
يدرينى مايقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها
وأنا رجل شاب قال فلبثت بعد
ذلك عشر ليال حتى كمل لنا
خمسون ليلة من حين نهى عن
كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح
خمسين ليلة على ظهر بيت من
بيوتنا فبينا أنا جالس على الحالة
التى ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت
علىّ الارض بما رحبت وضاقت
على نفسى اذ سمعت صارخا أوفى
على سلع يقول بأعلى صوته ياكعب
ابن مالك ابشر فقد تاب الله عليك
فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت
انه قد جاءنى فرج قال وآذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل على
الى فرسا وسعى ساع من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه وأوفى رجل على الجبل وكان الصوت اسرع الىّ من الفرس وجاء فى
رواية ان الذى ركض الفرس هو الزبير بن العوام رضى الله عنه وفى رواية فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى له فكسوته
اياهما ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقانى الناس

على بعض امتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لا تجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا انا بنحو
عشرين فارسا معتمين تخرج الىّ منهم فارسان وقالا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال
حذيفة ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلى فخبرته فحمد الله تعالى واثنى
عليه أى وفى رواية فاخبرته الخبر فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل وعاودنى البرد فجعلت
اقرقف فاومأ الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل علىّ من فضل شملته فنمت
ولم أزل نائما حتى الصبح أى طلوع الفجر فلما ان أصبحت أى دخل وقت صلاة الصبح قال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يانومان أى ياكثير النوم لان النبى صلى الله عليه وسلم انما قال له
لا باس عليك من برد حتى ترجع الىّ أى ومن هذا أى ارسال حذيفة رضى الله عنه وماتقدم أى
من ارسال الزبير رضى الله عنه تعلم ان ذلك كان فى الخندق ولا مانع منه لانه يجوز أن يكون
صلى الله عليه وسلم عدل عن ارسال الزبير واختار حذيفة لامر قام عنده صلى الله عليه وسلم
من جملة ذلك كون الزبير رضى الله عنه كان عنده حدة وشدة لايملك نفسه ان يحدث بالقوم
مانهى عنه حذيفة رضى الله عنه وحينئذ يرد قول بعضهم ان الزبير انما أرسل لكشف أمر بنى
قريظة هل نقضوا العهد أم لا لا لكشف أمر قريش وحذيفة رضى الله عنه ذهب لكشف
أمر قريش هل ارتحلوا أولا وقد اشتبه الامر على بعض الناس فظنهما قضية واحدة فليتأمل
ذلك وكان يقال لحذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا يعلمه
غيره فقد قال حذيفة رضى الله عنه لقد حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان وبما يكون
حتى تقوم الساعة أى وتقدم ان ابن مسعود رضى الله عنه كان يقال له أيضا صاحب سر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن ظفر فى ينبوع الحياة فى تفسير قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وهبت ريح الصبا
ليلا فقلعت الاوتاد وألقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصا
وسمعوا فى ارجاء أى نواحى معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح أى من الملائكة فصار سيد كل
حى يقول لقومه يابنى فلان هلموا الىّ فاذا اجتمعوا قال النجاء النجاء فارتحلوا هرابا فى ليلتهم
وتركوا مااستثقلوه من متاعهم أى والصبا هى الريح الشرقية وعن ابن عباس رضى الله عنهما
قالت الصبا للشمال اذهبى بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الحرائر لا تهب بالليل
فغضب الله عليها فجعلها عقيما ويقال لها الدبور فكان نصره صلى الله عليه وسلم بالصبا وكان
اهلاك عاد بالدبور وهى الريح الغربية وحين انجلاء الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن
نغزوهم ولا يغزوننا وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال من ذى القعدة أى بناء
على انها كانت فى القعدة وهو قول ابن سعد وقيل كانت فى شوال وكان ذلك سنة خمس أى كما قاله
الجمهور وقال الذهبى وهو المقطوع به وقال ابن القيم انه الاصح وقال الحافظ ابن حجر هو المعتمد
وقيل سنة أربع وصححه الامام النووى فى الروضة قال بعضهم وهو عجيب فانه صح ان غزوة

فوجا فوجا يهنونى بالتوبة يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام
طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وتلقانى والله ماقام لى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة فلما سلمت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور قال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من
عند الله قال بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه
فلما جلست بين يديه قلت يارسول
الله انما نجانى الله بالصدق وان
من توبتى ان لا احدث الاصدقا
مابقيت قال فوالله مازلت فى
صدق الحديث منذ ذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى
يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى
الله فيما بقى وجاء فى رواية قلت
يارسول الله ان من توبتى أن أنخلع
من مالى صدقة الى الله ورسوله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمسك عليك بعض مالك فهو خير
لك قال فانزل الله لقد تاب الله على
النبى والمهاجرين والانصار الذين
اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ
انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة
الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه ثم تاب عليهم
ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم
ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين قال كعب
والله ما انعم الله علىّ بنعمة قط بعد
ان هدانى للاسلام أعظم فى
نفسى من صدقى رسول الله أن
لا أكون كذبته فاهلك كما هلك
الذين كذبوا ان الله عز وجل قال
للذين كذبوا حين نزل الوحى شر
ماقال لاحد فقال سبحانه وتعالى
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين وفى رواية عن كعب رضى الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علىّ الامر فما من
شئ أهم الىّ من ان أموت فلا يصلى علىّ النبى صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك
المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى ولا يسلم علىّ قال وانزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل

ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضى الله عنها وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتنية فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب فقالت يارسول الله أفلا أرسل اليه ابشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك أبا لبابة رضى الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وأنزل الله توبته فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والصحيح ان قصة أبى لبابة انما كانت فى غزوة بنى قريظة لما استشاروه فى النزول على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فأشار لهم الى عنقه يعنى انه الذبح قال فما برحت قدماى من موضعهما حتى علمت انى خنت الله ورسوله فذهب وربط نفسه بسارية من سوارى المسجد حتى نزلت توبته وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة بنى قريظة وان الله انزل فى ذنبه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون الآية وانزل فى توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية ولما رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك قبل أن يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه ان يأتى مسجدهم ليصلى فيه وهو مسجد الضرار الذى بنوه لاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعاتهم فدعا صلى الله عليه وسلم بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية الى قوله والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا فدعا صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدى بن عاصم ابن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشن فقال مالك انظرونى حتى آتيكم بنار فدخل عند أهله فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان سنة تسع وبعد قدومه صلى الله عليه وسلم وجد عويمر العجلانى امرأته

صلى

بنى قريظة كانت فى الخامسة ومعلوم انها كانت عقب الخندق أى وفيه انه يجوز ان تكون بنو قريظة أوائل الخامسة والخندق اواخر الرابعة فتكون فى ذى الحجة واستدل من قال ان الخندق كانت سنة أربع بما صح عن ابن عمر رضى الله عنهما انه عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة أى وكانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة أربع قال الحافظ ابن حجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ابن عمر رضى الله عنهما فى أحد كان اول ما طعن فى الرابعة عشر وكان فى الاحزاب قد استكمل الخمسة عشر وسبقه الى ذلك البيهقى وحينئذ يكون بين أحد والخندق سنتان كما هو الواقع لا سنة واحدة ومما وقع من الآيات فى هذه الغزوة فى مدة حفر الخندق غير ما تقدم ان بنت بشير بن سعد جاءت لابيها وخالها أى عبد الله بن رواحة بحفنة من التمر ليتغديا بها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسطت له ثم قال لانسان عنده اصرخ فى أهل الخندق ان هلموا الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب أى فان أهل الخندق أصابهم مجاعة قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زادا وربط صلى الله عليه وسلم الحجر على بطنه من الجوع (أقول) أورد ابن حبان فى صحيحه لما اورد الحديث الذى فيه نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال وقالوا انك تواصل يارسول الله قال انى لست مثلكم انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى قال يستدل بهذا الحديث على بطلان ما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع الحجر على بطنه من الجوع لانه كان يطعم ويسقى من ربه اذا واصل فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال حتى يحتاج الى شد الحجر على بطنه قال وانما لفظ الحديث الحجز بالزاى وهو طرف الازار فصحفوا وزادوا لفظ من الجوع وأجيب بانه لا منافاة كان صلى الله عليه وسلم يطعم ويسقى اذا واصل فى الصوم أى يصير كالطاعم والساقى تكرمة له ولا يحصل له ذلك دائما بل يحصل له الجوع فى بعض الاحايين على وجه الابتلاء الذى يحصل للانبياء عليهم الصلاة والسلام تعظيما لثوابهم والله أعلم وان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لما علم ما به صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع صنع شويهة وصاعا من شعير قال جابر وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلما قلت له أمر صارخا فصرخ ان انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر بن عبد الله قال جابر فقلت انا لله وانا اليه راجعون فاقبل الناس معه أى بعضهم فجلس صلى الله عليه وسلم فاخرجناها اليه فبرك ثم سمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا أى وذهبوا الى الخندق وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ألف فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو وقال وفى رواية أن جابرا رضى الله عنه لما رأى ما به صلى الله عليه وسلم من الجوع استأذن رسول الله

حبلى فقذفها بشريك بن سحماء فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد بعد العصر وقصتهما طويلة فى الصحيحين وغيرهما

﴿سرية أبى سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما﴾ وكانت هذه السرية بعد ان رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك انه وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتى قصة وفدهم فارسل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات بالطائف فذهبا فى بضعة عشر رجلا فهدموها حتى سووها بالارض وفى رواية ان المغيرة أراد أن يقدم أبا سفيان فى هدمها فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول أى الفاس العظيم التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه يحمونه خشية أن يرميه أحد بسهم وخرج نساء ثقيف من الحجال حسرا أى مكشوفات يبكين على الطاغية وكانوا يظنون انه لا يمكن هدمها لانها تمتنع من ذلك وفى رواية وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف فقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفى لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا ابعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هى لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ فى هدمها فهدمها الى أن كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابه لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم ثم أخذوا حليتها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليه صلى الله عليه وسلم فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله أعلم

﴿سرية جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه﴾

الى ذى الخلصة بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة وذو الخلصة اسم بيت كان فيه صنم لقوم جرير وكانت هذه السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين قال جرير رضى الله عنه قال لى النبى صلى الله عليه وسلم الا تريحنى من ذى الخلصة فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا اثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فضرب فى صدرى وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وكان ذو الخلصة بيتا فى اليمن لخثعم وبجيلة يقال له الكعبة فانطلق اليها

صلى الله عليه وسلم فى الانصراف الى بيته فاذن له قال جابر فجئت لامرأتى وقلت لها انى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا أفعندك شئ قالت عندى صاع من شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير وجعلت اللحم فى برمة فلما امسينا جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته وقلت له طعيم لى فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه فى اصابعى وقال كم هو فذكرت له قال كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجئ وصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سؤرا أى ضيافة فحيهلا بكم أى سيروا مسرعين وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس قال جابر رضى الله عنه فلقيت من الحياء مالا يعلمه الا الله وقلت انها الفضيحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا عشرة عشرة أى بعد ان أخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد صلى الله عليه وسلم الى برمتنا وبصق فيها وبارك الحديث أى ومجئ القوم كان على الوجه المتقدم وان أم عامر الاشهلية ارسلت بقصعة فيها حيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى القبة عنده أم سلمة رضى الله عنها فاكلت أم سلمة حاجتها ثم خرج بالقصعة ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى عشائه فاكل أهل الخندق حتى نهلوا منها وهى كما هى وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ونفعنا ببركاته انه قدم لاربعة عشر رجلا من الفلاحين رغيفا واحدا فأكلوا منه كلهم وشبعوا قال وقدمت مرة الطاجن الذى نعمله فى الفرن الى سبعة عشر نفسا فأكلوا منه وشبعوا وذكر انه شاهد شيخه الشيخ محمدا الشناوى رحمه الله ونفعنا ببركاته وقد جاء من الريف ومعه نحو خمسين رجلا ونزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروى فتسامع مجاورو الجامع الازهر بمجيئه فأتوا لزيارته فامتلأت الزاوية وفرشوا الحصر فى الزقاق ثم قال لنقيب شيخه هل عندك طبيخ قال نعم الطبيخ الذى أفعله لى ولزوجتى فقال له لا تغرف شيأ حتى احضر ثم غطى الشيخ الدست بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف الى ان كفى من فى الزاوية ومن فى الزقاق وهذا شئ رأيته بعينى هذا كلامه ولا بدع فقد ذكر غير واحد من العلماء كالحافظ ابن كثير ان كرامات الاولياء معجزات للانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الولى انما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه وثواب ايمانه به هذا كلامه قال وارسل أبو سفيان كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى احلف باللات والعزى أى واساف ونائلة وهبل كما فى لفظ لقد سرت اليك فى جمع وانا اريد ان لا أعود اليك أبدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق أى وفى لفظ قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد فارسل له صلى الله عليه وسلم جوابه فيه اما بعد أى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب كذا فى كلام سبط ابن الجوزى فقد اتانى كتابك وقديما غرك بالله الغرور أما ما ذكرت انك سرت الينا وأنت لا تريد ان تعود

حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى واسافا ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك ياسفيه بنى غالب انتهى

غزوة بنى قريظة

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وسيد الاوس حينئذ سعد بن معاذ رضى الله عنه كما تقدم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة أى وقد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضى الله عنها وقيل زينب بنت جحش رضى الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل أى غسل شق رأسه الشريف وفى رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه أى وفى رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتى جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة أى سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج مرخيا منها بين كتفيه وفى رواية عليه لامته ولا معارضة لانه يجوز أن يكون الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة أى شهباء عليها قطيفة وهى كساء له وبر من ديباج أى أحمر وفى رواية جاءه على فرس أبلق فقال أوقد وضعت السلاح يارسول الله قال نعم قال جبريل عليه السلام ما وضعت السلاح وفى رواية ما وضعت ملائكة الله السلاح بعد قال وفى رواية انه قال يارسول الله ما أسرع ما حللتم عذيرك من محارب عفا الله عنك أى من يعذرك وفى لفظ غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح قبل أن تضعه الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال فوالله ما وضعناه وفى لفظ ما وضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعنى الاحزاب حتى بلغنا الاسد انتهى أى حمراء الاسد ان الله يأمرك يامحمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم زاد فى رواية بمن معى من الملائكة فمزلزل بهم الحصون زاد فى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أصحابى جهدا فلو نظرتهم أياما فقال جبريل عليه السلام انهض اليهم فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا ولادخلن فرسى هذا عليهم فى حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الانصار وفى البخارى عن أنس قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار لبنى قريظة والموكب بكسر الكاف اسم لنوع من السير وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بينا هو عندى اذ دق الباب أى وفى رواية نادى مناد أى فى موضع الجنائز عذيرك من محارب ٥ أى من يعذرك فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت فى اثره فاذا رجل على دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيته قلت نعم قال بمن تشبهينه قلت بدحية الكلبى قال ذاك بكسر

فكسرها وحرقها ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول جرير والذى بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب فبارك فى خيل أحمس ورجالها خمس مرات وروى الطبرانى عن جرير قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم أن يقولوا لا اله الا الله قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر أنه غير بعثه الى الصنم ويحتمل أنه بعثه الى الجهتين على الترتيب ويؤيده ما وقع عند ابن حبان فى حديث جرير ٣٦٠ انه صلى الله عليه وسلم قال له ياجرير انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذى الخلصة فانه يشعر بتأخير هذه القصة جدا وقد شهد جرير حجة الوداع فكأن ارساله بعدها فهدمها ثم توجه الى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وحكى بعضهم ان موضع ذى الخلصة صار مسجدا جامعا لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم

سرية اسامة بن زيد رضى الله عنهما

الى أبنى بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فالف مقصورة وهى ناحية بالبلقاء من أرض الشام وهى آخر السرايا كما ان غزوة تبوك آخر الغزوات لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا اسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان اظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من المهاجرين الاولين والانصار الا اشتد لذلك وتهيأ للخروج منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين والانصار هذا الغلام وكان سن اسامة سبع عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة وقيل عشرين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا

الكاف جبريل عليه السلام أمرنى أن أمضى الى بنى قريظة أى وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة وأبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا أى وهو بلال كما فى سيرة الحافظ الدمياطى فاذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر أى وفى رواية الظهر الا ببنى قريظة قال فى النور والجمع بينهما أن الامر بعد دخول وقت الظهر بالمدينة وقد صلى بعضهم دون بعض فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا فى بنى قريظة وقيل للذين صلوها لا تصلوا العصر الا فى بنى قريظة وفى رواية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مناديا ياخيل الله أى يافرسان خيل الله اركبى ثم سار اليهم قال وقد لبس صلى الله عليه وسلم السلاح الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريانا والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه برايته الى بنى قريظة أى وفى رواية دفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ومر صلى الله عليه وسلم بنفر من بنى النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبى مر على بغلة بيضاء أى وفى رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما دنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه من الحصن أى ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم أى وحق أزواجه أى فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى على كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصارى رضى الله عنه أن يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لى أذى قال نعم يارسول الله قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يااخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قال وفى رواية نادى باعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا يااخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أى وهو ما عبد من دون الله كما تقدم هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونى فجعلوا يحلفون ويقولون ما قلنا اه ويقولون ياأبا القاسم ما كنت جهولا أى وفى لفظ ما كنت فاحشا وفى رواية تقدمه صلى الله عليه وسلم الى يهود أسيد بن حضير رضى الله عنه فقال لهم ياأعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقالوا ياابن الحضير نحن مواليك وخاروا أى خافوا قال لا عهد بينى وبينكم وتقدم أسيد الى بنى قريظة يجوز أن يكون قبل مقدم على لهم ويجوز

شد يد الخروج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى اسامة ولئن طعنتم فى امارته فلقد طعنتم فى امارة أبيه من قبله وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين ٣٦١ يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى المعسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول انفذوا بعث اسامة واستثنى أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس فلا منافاة بين من روى ان أبا بكر رضى الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لانه كان من جملة الجيش أولا ثم تخلف لما استثناه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا فى أبى بكر رضى الله عنه انه تخلف عن جيش اسامة وانه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش اسامة لما علمت ان تخلفه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وفيه اشارة الى انه الخليفة بعده وأما اللعن الذى ذكروه فلم يرد فى حديث فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فجاء اسامة رضى الله عنه فطأطأ فقبله صلى الله عليه وسلم وهو لا يتكلم ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لى ثم رجع اسامة الى معسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه اسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل

فبينما هو يريد الركوب وفى رواية سار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توفى حين زاغت الشمس فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقودا حتى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابى بكر رضى الله عنه أمر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة وان

أن يكون بعده وانما قال لهم يا اخوان القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك وقد حرم عليهم ذلك كسائر الاعمال وقد أمرهم ان يتفرغوا لعبادة ربهم في ذلك اليوم وكان ذلك في زمن داود عليه السلام فلما مسخوا خرجوا من تلك القرية هائمين على وجوههم متحيرين فمشوا ثلاثة أيام لا يأكلون ولا يشربون ثم ماتوا وهذا دليل لمن يقول ان الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد ولا تناسل وفي الكشاف قيل ان أهل ايلة أي وهي قرية بين مصر ومدين لما اعتدوا في السبت قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم العنهم واجعلهم للناس آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي هذا كلامه فليتأمل فمكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون ولا يشربون فماتوا ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بد عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر الى ان جاؤا بعد عشاء الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة أي وبعضهم قال نصلي ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوها في أماكنهم ثم ساروا ٥ فما عابهم الله في كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لان كلا من الفريقين تأول قال في الهدى كل من الفريقين مأجور بقصده الا أن من صلى حاز الفضيلتين ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الامر وهو دليل على أن كل مختلف في الفروع من المجتهدين مصيب وادعى ابن التين رحمه الله ان الذين صلوا العصر صلوها على ظهور دوابهم قال لانهم لو صلوا نزولا لكان مضادة لما أمروا به من الاسراع ولا يظن ذلك مع تقرب افهامهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر لانه لم يأمرهم بترك النزول ولم أر انهم صلوا ركبانا في شيء من طرق القصة والتعليل بالاسراع يقتضي انهم صلوا على ظهور دوابهم سائرة لا واقفة وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما أي وقيل شهرا وكان طعام الصحابة التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه أي يجاء به من عنده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر ٥ حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه أي كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أي يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسيد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم

يعني اسامة لما أمروا ولما اشتهرت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت شوكة أهله وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية ومن كان يرغب فيهم وصارت المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلي ولا ندفع الزكاة وكل ذلك ظهر قبل ان يتوجه جيش اسامة فعند ذلك كلم الناس أبا بكر رضي الله عنه ان يمنع اسامة من السفر وقالوا كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى أبو بكر رضي الله عنه ان يمنع اسامة من الخروج وقال والله الذي لا اله الا هو لو جرت الكلاب بارجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفي لفظ والله لان تخطفني الطير أحب الي من ان أبدأ بشيء قبل تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تنفيذ جيش اسامة وفي رواية ان اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله يأذن لي ان أرجع بالناس فان معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله وأثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون وقالت الانصار لعمر رضي الله عنه فان أبى أبو بكر رضي الله عنه الا ان يمضي الجيش فابلغه منا السلام واطلب اليه ان يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من اسامة فقدم عمر الى أبي بكر رضي الله عنهما فأخبره بما قال اسامة فقال أبو بكر رضي الله عنه والله لو تخطفتني الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه فان الانصار أمروني ان أبلغك انهم يطلبون ان تولي رجلا قدم سنا من اسامة فوثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالسا فاخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وتأمرني ان انزعه فخرج عمر رضي الله عنه الى الناس فقال امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ولعل الذين قالوا ذلك من الانصار لم يكونوا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم الانكار على من طعن في ولاية اسامة رضي الله عنه ولا بلغهم أو جوزوا ان الصديق يوافق على ذلك حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه يكون جوز ذلك أيضا ثم

قال وزاد في لفظ آخر وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعني حيي بن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونوا آمنتم بالكتابين الاول والآخر اه أي التوراة والقرآن أي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود بني قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أي ولدا يخشى عليه وان نظفر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا انقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت وأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما حالفتموه أي عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان أبيتم ان تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية واعطوا الجزية فوالله ما أدري يقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه القتل خير من ذلك قال فاني بريء منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو وقيل وجدت رمته وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بني قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأي الفاضل والعقل تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع ببني قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به علماؤنا لا يزال يخوفهم بالحرب والسبي والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسيد وقال والتوراة التي انزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء انه للعز والشرف في الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة النبي صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذي قلت لكم أي وبعد الحصار قيل أرسلوا بنباش بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من ان

كلم أبو بكر رضي الله عنه اسامة في عمر رضي الله عنه ان يأذن له في التخلف ليستعين به الصديق رضي الله عنه في مشورته وأمر الخلافة ففعل وكان استئذان أبي بكر لاسامة رضي الله عنهما تطييبا لقلبه فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج اسامة رضي الله عنه في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه أبو بكر رضي الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشيا واسامة رضي الله عنه راكب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقود براحلة الصديق رضي الله عنه فقال اسامة يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما ان انزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ثم ان اسامة رضي الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أي فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث أرضها وأزال نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضي الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والانصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل أسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أن ولي الخلافة اذا رأى أسامة رضي الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا أزال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير وقد كان أسامة رضي الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ أسامة والحسن رضي الله عنهما فيقول اللهم احبهما فاني أحبهما وفي حديث المخزومية التي سرقت وأراد صلى الله عليه وسلم قطع يدها فلم يجسر احد أن يكلمه

صلى الله عليه وسلم غير اسامة بن زيد رضى الله عنهما فكلمه فقال صلى الله عليه وسلم أتشفع فى حد من حدود الله ومناقبه رضى الله عنه
كثيرة توفى بالمدينة أو بوادى القرى سنة خمس أو أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله أعلم ومما ينبغى ان يلحق بالغزوات
والسرايا بعوثه صلى الله عليه وسلم ﴿بعث الصديق رضى الله عنه﴾ بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى السنة
التاسعة يحج بالناس وأما فى السنة الثامنة فأمر عتاب بن أسيد رضى الله عنه ان يحج بالناس وكان أميرا على أهل
مكة كما تقدم فى قصة فتح مكة
فخرج أبو بكر رضى الله عنه فى
ثلثمائة رجل من المدينة وبعث
صلى الله عليه وسلم معه بعشرين
بدنة قلدها وأشعرها بيده
الشريفة وساق أبو بكر رضى الله
عنه خمس بدنات ثم تبعه على
رضى الله عنه على ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم القصواء بفتح
القاف والمد وقيل بالضم والقصر
فقال له أبو بكر رضى الله عنه
استعملك رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الحج قال لا ولكن بعثنى
اقرأ براءة على الناس وانبذ الى كل
ذى عهد عهده وكان العهد بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين المشركين عاما وخاصا فالعام
ان لا يصد أحد عن البيت اذا
جاءه ولا يخاف أحد فى الاشهر
الحرم والخاص بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين قبائل
العرب الى آجال مسماة وكانت
عادة العرب ان لا ينبذ العهد
الا من كان قريبا ممن أراد النبذ
فلذلك بعث صلى الله عليه وسلم
عليا رضى الله عنه ولم يكتف بأبى
بكر رضى الله عنه فمضى أبو بكر
رضى الله عنه فحج بالناس قيل
كان الحج ذلك العام فى ذى القعدة
للنسىء الذى كانوا يصنعونه والصحيح
انه كان فى ذى الحجة وجاء فى رواية
انه بعد ان توجه أبو بكر رضى الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له صلى الله عليه وسلم
لو بعثت بها أبا بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا عليا رضى الله عنه فقال اخرج بصدر براءة وأذن
فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه براءة يوم النحر وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان لانهم كانوا يحجون مع المسلمين و يرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة

لهم ماجات الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم و يسلم اليهم
نساءهم والذرية فارسلوه ثانيا بأنه لا حاجة لهم بشئ من الاموال الا من الحلقة ولا من غيرها
فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد نباش
اليهم بذلك اه ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا أبا لبابة أى وهو
رفاعة بن المنذر لنستشيره فى أمرنا أى لانه كان من حلفاء الاوس و بنو قريظة منهم وفى لفظ
وكان أبو لبابة مناصحا لهم لان ماله و ولده وعياله كانت فى بنى قريظة فأرسله صلى الله عليه وسلم
اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش أى أسرع اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من
شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار
بيده الى حلقه أى انه الذبح أى وفى لفظ ماترى ان محمدا قد أبى أن لا ننزل الا على حكمه قال
فانزلوا وأومأ الى حلقه و يروى انهم قالوا له ماترى أننزل على حكم سعد بن معاذ فأومأ أبو لبابة بيده
الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة رضى الله عنه فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى
عرفت انى خنت الله ورسوله أى لان فى ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن
ثم انزل الله فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية أى وقيل نزل وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم الآية وهذا أثبت من الاول
وقد يقال كلاهما نزل فيه تلك الآية فى توجه اللوم عليه وهذه فى توبته لا يقال هى ليست نصا
فى توبة الله عليه لانا نقول الترجى فى حقه تعالى أمر محقق وعن أبى لبابة رضى الله عنه لما
أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يرسلنى اليهم دعانى قال اذهب
الى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسيد فقال يا أبا بشير
قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه
فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ماترى قد
اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال
فندمت واسترجعت فقال لى كعب مالك يا أبا لبابة فقلت خنت الله ورسوله فنزلت وان عينى
لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط
بالمسجد الى عمود من عمده أى وهى السارية و يقال لها الاسطوانة وهى التى كانت عند باب
أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى حر شديد وقيل الاسطوانة المخلقة التى يقال لها اسطوانة
التوبة والاول اثبت وكانت تلك الاسطوانة أكثر تنفله صلى الله عليه وسلم عندها وكان ينصرف
اليها من صلاة الصبح فكان يستبق اليها الفقراء والمساكين ومن لا بيت له الا المسجد فيجىء
اليهم صلى الله عليه وسلم و يتلو عليهم ما نزل من ليلته و يحدثهم و يحدثونه وكان ارتباطه بسلسلة
ربوض أى ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت
وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله

بالليل وليس على رجل منهم ثوب و يقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس على شئ من الدنيا خالطه الظلم وكان لا يطوف
من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه
وقيل كانت المرأة تلبس درعا مفرجا وقد كانت امرأة تطوف وهى عارية و يدها على قبلها وهى تقول
اليوم يبدو بعضه أوكله * فما بدا منه فلا أحله وفى ايجاب ستر العورة أنزل الله تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم
الآية وفى رواية لما لحق على
أبا بكر رضى الله عنه قال له أمير
أو مأمور قال بل مأمور فكان على
رضى الله عنه فى تلك السفرة
يصلى خلف أبى بكر الى ان رجع
الى المدينة وفى ذلك رد على الرافضة
قبحهم الله فانهم زعموا ان النبى
صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر
رضى الله عنه عن امارة الحج بعلى
وقد تواتر ان أبا بكر رضى الله عنه
لم يعزل وانه حج بالناس وكان على
من جملة رعيته فى تلك السفرة
و يصلى خلفه الى ان رجعوا الى
المدينة وفى حديث جابر رضى الله
عنه فى هذه القصة قام أبو بكر
رضى الله عنه فخطب الناس
فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ
قام على رضى الله عنه فقرأ على
الناس براءة وجاء فى رواية انه
فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل
مثله يوم عرفة ثم يوم النحر ثم يوم
النفر فيحمل على تعدد وقوع ذلك
و بذلك يجمع بين الروايات وكان
هلاك رأس المنافقين عبد الله بن
أبى ابن سلول فى السنة التاسعة
فى ذى القعدة وجاء ابنه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ان أبى احتضر فاحب أن تشهده
وتصلى عليه قال ما اسمك قال
الحباب فقال بل أنت عبد الله
الحباب اسم الشيطان وكان من
فضلاء الصحابة رضى الله عنه وكان يحمل أمر أبيه على ظاهر الاسلام وقد ورد ما يدل على انه انما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله
ان يعطيه قميصه يكفن فيه أباه بعهد من أبيه بل جاء فى رواية الطبرانى وعبد الرزاق عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبى الى النبى صلى
الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال اهلكك حب يهود فقال يا رسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لى ولم أرسل اليك لتوبخنى ثم سأله
ان يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما مرض ابن أبى جاءه صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال

صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال اما لو جاءنى لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فما
أنا الذى أطلقه حتى يتوب الله عليه هذا وفى كلام البيهقى وأورده فى الدر أن ارتباطه انما كان
لتخلفه عن تبوك فقد ذكر انه لما أشار بيده الى حلقه وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم بذلك قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسبت ان الله غفل عن يدك حيث تشير اليهم بها الى حلقك فلبث
حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك كان
أبو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رجع جاءه أبو لبابة يسلم عليه
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع أبو لبابة وارتبط بالسارية واستغرب ذلك
بعضهم فقال واغرب من ادعى ان أبا لبابة انما فعل ذلك لتخلفه عن غزوة تبوك ثم ان بنى قريظة
نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل
سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذى تقدم عن حيى بن أخطب ولا يخالف هذا ما قيل انهم كانوا
بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة مقاتل ولا يخالف ما قبله لانه يجوز أن يكون
ما زاد على ذلك كانوا اتباعا لا يعدون وأخرج النساء والذرارى من الحصون وجعلوا ناحية أى
وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثبت الاوس وقالوا يا رسول الله موالينا
وحلفاؤنا وقد فعلت فى موالى اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع لانهم كانوا حلفاء
الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبى ابن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم أى فظنت الاوس من
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم بنى قريظة كما وهب بنى قينقاع للخزرج فلما كلمته
الاوس أبى أن يفعل ببنى قريظة ما فعل ببنى قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الاوس أن
يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال فذلك الى سعد بن معاذ أى وقيل أنه صلى الله عليه وسلم قال
لهم اختاروا من شئتم من أصحابى فاختاروا سعد بن معاذ أى وهو رضى الله عنه سيد الاوس
حينئذ كما تقدم وقيل انهم قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فرضى بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم أى وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه يومئذ فى المسجد فى خيمة رفيدة رضى
الله عنها وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه
فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب أى لان رفيدة رضى الله عنها كان لها خيمة فى المسجد
تداوى فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فاتاه قومه فحملوه على حمار ثم
أقبلوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن فيهم فقد رأيت ابن أبى وما
صنع فى حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى
الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم أى زاد

قد فهمت ما تقول فامنن على فكفنى فى قميصك وصل على فأعطاه القميص ثم لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يصلى عليه وثب اليه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وقال يارسول الله أتصلى عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه أشياء مثل قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وفى رواية فقام عمر رضى الله عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتصلى عليه وقد نهاك ربك ان تصلى عليه وكان عمر رضى الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انما خيرنى الله بين الاستغفار وتركه فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال عمر رضى الله عنه انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينزل عليه نهى صريح بترك ذلك ولم يأخذ بقول عمر رضى الله عنه اجراءله على ظاهر حكم الاسلام واستصحابا لظاهر الحكم ولاكرام ولده الذى تحقق صلاحه واستئلافا لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم عن النفاق ذلك اليوم لما رأوا عبد الله يسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفنه فى قميصه وأن يصلى عليه وصلى عمر مع النبى صلى الله عليه وسلم وترك رأى نفسه وأطال صلى الله عليه وسلم فى تلك الصلاة وأكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبى وعن مجمع بن جارية رضى الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبى من الوقوف وفى حديث ابن عباس ومشى معه صلى الله عليه وسلم حتى قام على قبره حتى فرغ منه وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهى لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين فى السياسة الى ان كشف الله الغطاء وقيل انما أعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن أبى أعطى قميصه للعباس رضى الله عنه حين أسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

فى رواية فأنزلوه فقال عمر رضى الله عنه السيد هو الله وفى رواية الى خيركم أى معاشر المسلمين من المهاجرين والانصار أو معاشر الانصار فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفى رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم فقال سعد أى لمن فى الناحية التى ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم كما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أى وفى لفظ فقال سعد لبنى قريظة أترضون بحكمى قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به قال سعد فانى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وفى لفظ أن يقتل كل من جرت عليه الموسى وتغنم الاموال وتسبى الذرارى والنساء زاد بعضهم وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال انى أحببت أن يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة أى السموات السبع قيل سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم وجاء فى الصحيح من فوق سبع سموات والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة قد طرقنى بذلك الملك سحرا ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجمع ما وجد فى حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألفا وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفى رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجدوا أثاثا كثيرا وآنية كثيرة وجمالا نواضح أى يسقى عليها الماء وماشية وشياها كثيرة وخمس ذلك أى مع النخل والسبى حتى الرثة وهو السقط من أمتعة البيت خمسة أجزاء فقسم أربعة أسهم على الناس فجعل للفارس ثلاثة أسهم أى سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهما قال بعضهم وهو أول فىء وقعت فيه السهام ورضخ للنساء اللاتى حضرن القتال وهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم عمارة وأم سليط وأم العلاء والسميراء بنت قيس وأم سعد بن معاذ وكبشة بنت رافع ولم يسهم لهن وأخذ هو صلى الله عليه وسلم جزأ وهو الخمس وعبارة بعضهم وهو أول فىء وقعت فيه السهمان وخمس أى جزئ خمسة أجزاء وكتب فى سهم لله ثم أخذ ذلك السهم الذى خرج عليه وعلى سنته مضت قسمة الغنائم وفى كون هذا أول فىء جرت فيه السهمان نظر لانما كان ذلك فى بنى قينقاع فان الفىء الحاصل منهم خمس خمسة أخماس أخذ صلى الله عليه وسلم واحدا والاربعة لاصحابه أى ووجد جرار خمر فاهريق ولم يخمس وهذا يدل على أن الخمر كانت محرمة قبل ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى أن يكونوا فى دار اسامة بن زيد رضى الله عنهما والنساء والذرية فى دار ابنة الحرث النجارية أى لان تلك الدار كانت معدودة لنزول الوفود من العرب وقيل فى دار كبشة بنت الحرث بن كريز كانت تحت مسيلمة الكذاب ثم

انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكان فى ذلك تأييد لرأى عمر رضى الله عنه فهى من الآيات التى جاءت موافقة لرأيه رضى الله عنه وكان نزولها بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من أمره على الصحيح وقيل بعد فراغ الصلاة وفى الصحيح من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت وروى الطبرانى عن قتادة قال ذكر لنا انه صلى الله عليه وسلم قال وما يغنى عنه قميصى من الله وانى لارجو بذلك ان يسلم ألف من قومه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده حتى قبضه الله وفى شرح القسطلانى على البخارى أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

البعث الى اليمن

بعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع فى السنة العاشرة وقيل فى التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان كل واحد منهما على مخلاف واليمن مخلافان والمخلاف بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة بلغة أهل اليمن الناحية ويقال له الكورة بضم الكاف والاقليم والرستاق وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة أبى موسى السفلى وقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى الامام أحمد عن معاذ رضى الله عنه قال لما بعثنى صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن أطاعك من عصاك وروى الامام أحمد أيضا وأبو يعلى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا

خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز وهذه انما نزل فى دارها وفد بنى حنيفة كما سيأتى وبالمتاع أن يحمل وترك المواشى هنالك ترعى الشجر ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أى حفر فيها احفائر ثم أمر بقتل كل من انبت فبعث اليهم فجاؤا اليه ارسالا تضرب أعناقهم ويلقون فى تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد يا كعب ما تراه يصنع بنا قال فى كل موطن لا تعقلون أما ترون ان من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وذلك ليلا على شعل السعف ثم رد عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشققت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملأت المدينة نواحا وكان من جملة من أتى معهم عدو الله حيى بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك منى اما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى كلام السهيلى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم لما قال له ألم يمكن الله منك فقال بلى ولقد قلقل كل مقلقل ولكنه من يخذلك يخذل فقوله يخذلك كقول الآخر فى البيت ولكنه من يخذل الله يخذل لانه انما نظم فى البيت كلام حيى ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة أى قتل كتب الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه قال ولما أتى بكعب بن أسد سيد بنى قريظة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بى أما أمركم باتباعى وان رأيتمونى تقرؤنى منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم ولولا ان تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقدم فيضرب عنقه ففعل به ذلك أى وكان المتولى لقتلهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضى الله عنه (أقول) فى الامتاع وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا يارسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضى الله عنه ما كرهه أحد من الاوس فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله فقام أسيد بن حضير فقال يارسول الله لا تبقى دارا من دور الاوس الا فرقتهم فيها ففرقهم فى دور الانصار فقتلوهم هذا كلامه والضمير فى قتلوهم ظاهر فى رجوعه للاوس وانهم المراد بالانصار وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون المراد بالاوس الذين كرهوا ذلك طائفة منهم وان تلك الطائفة قتلوا من بعث به الى دورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله على والزبير والله أعلم ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة أخرجت من بين النساء يقال لها نباتة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضى الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات فى زمن الحصار وعن عائشة رضى الله عنها انها

الى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى تحت ظل راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك ان تمر بمسجدى وقبرى فبكى معاذ رضى الله عنه لفراقه وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم مشى معه ميلا ومعاذ رضى الله عنه راكب لامره صلى الله عليه وسلم له بذلك قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذا رضى الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا أو قاضيا فقال ابن عبد البر انه كان قاضيا وقال الغسانى انه كان أميرا على المال وحديث ابن ميمون فيه التصريح بانه كان أميرا على الصلاة وهذا يرجح انه كان واليا وقد جاءت أحاديث كثيرة فى فضله رضى الله عنه منها أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل ومنها معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم بكسر همزة امام وبعضهم بفتحها وأما أبو موسى رضى الله عنه فقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع والتقى به بمكة واستدل العلماء بارساله على انه كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله النبى صلى الله عليه وسلم الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه فى التحكيم بصفين والحق انه لم يصدر منه ما يقتضى وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه أداه اجتهاده الى أن يجعل الامر شورى بين من بقى من الصحابة من أهل بدر لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الامر الى ما آل اليه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بعث خالد بن الوليد﴾

بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد رضى الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع فى ربيع الاول سنة عشر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى سنة عشر الى بنى عبد المدان بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم وعبد المدان الذى نسبت القبيلة اليه هو جدهم الاعلى واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث ويقال لتلك القبيلة بنو الحرث وهم بنجران موضع باليمن سمى باسم نجران بن زيد بن سبا فأمر صلى الله عليه وسلم خالدا ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا قال فان

قالت لم يقتل من نسائهم يعنى بنى قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا أى وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق أى لانها دخلت على عائشة وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين نباتة قالت أنا والله قالت عائشة فقلت لها ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته أى وفى لفظ قتلنى زوجى فقالت لها عائشة كيف قتلك زوجك قالت أمرنى أن ألقى رحى على أصحاب محمد كانوا تحت الحصن مستظلين فى فيئة فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به وفى لفظ آخر انى كنت زوجة رجل من بنى قريظة وكان بينى وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد أمر المحاصرة قلت لزوجى يا حسرتى على أيام الوصال كادت ان تنقضى وتتبدل بليالى الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجى انك صادقة فى دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون فى ظل حصن قال الزبير بن بطا وهو بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة فالقى عليهم حجر الرحا لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضى الله عنها تقول والله ما ألقى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل وكان فى بنى قريظة الزبير بن بطا وهو جد الزبير بن ابنه عبد الرحمن وهو بفتح الزاى وكسر الموحدة كاسم جده وقيل بضم الزاى وفتح المثناة وهو قول البخارى فى التاريخ وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث وهى الحرب التى كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج آخرا كما تقدم أخذه بجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت رضى الله عنه للزبير فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى قال فهل يجهل مثلى مثلك قال انى أردت أن أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم وأحوج ما كنت اليك اليوم وعبد الرحمن هذا هو الذى تزوج امرأة رفاعة وشكته للنبى صلى الله عليه وسلم بان الذى معه كهدبة الثوب وأحبت طلاقه لها ثم أتى ثابت رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بابى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك قال فأتيته فقلت قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أى ثابت أما أنت فقد كافأتنى وقد قضيت الذى عليك ما فعل بالذى كان وجهه مرآة مضيئة تتراءى منها عذارى الحى كعب بن أسد أى سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى أى من يحماهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حى بن

أخطب قلت قتل قال فما فعل بمقدمتنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بالعين المهملة وتشديد الزاى ابن سموأل بالسين المهملة مفتوحة ومكسورة قلت قتل قال فما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلا وفى لفظ قتلوا قال فانى أسألك يا ثابت بيدك عندى الا ألحقتنى بالقوم فوالله ما بالعيش بعد هؤلاء من خير أأرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فاخلد فيها بعدهم لا حاجة لى فما أنا بصابر لله افراغة دلو ناضح أى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو وفى رواية فتلة دلو ناضح بالفاء والتاء المثناة فوق وقيل بالقاف والباء الموحدة أى مقدار ما يتناول المستقى للدلو حتى ألقى الاحبة قال ثابت فقدمته فضربت عنقه أى وقيل ان ثابتا رضى الله عنه قال له ما كنت لاقتلك فقال لا أبالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه مقالته ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا قال فى الاصل وذكر أبو عبيدة هذا الخبر وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك أهله وماله ان أسلم أى ولم يسلم فكان أهله وماله من جملة الفىء وكان القتل لكل من انبت ومن لم ينبت يكون فى السبى قال عطية القرظى رضى الله عنه كنت غلاما فوجدونى لم انبت فخلوا سبيلى أى عن القتل وكان رفاعة قد انبت فارادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت بابى أنت وأمى يا رسول الله هب لى رفاعة فوهبه لها أى فاسلم وقرت عين سعد بن معاذ رضى الله عنه بقتل بنى قريظة حيث استجاب الله دعوته فانه سأل الله تعالى لما أصيب بالسهم فى الخندق وقال لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة كما تقدم أى وفى بعض الروايات أن دعاءه رضى الله عنه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم عن بعض الروايات أى ويجوز أن يكون رضى الله عنه دعا بذلك مرتين وفى لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة ويمكن أن يكون صاحب الهمزية رحمه الله أشار الى سب بنى قريظة له صلى الله عليه وسلم ونهى بعض أشرافهم لهم عن نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم الذى سببه حيى بن أخطب لعنه الله واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم اننا لكم أولياء
وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابـ * ـصار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد * ر اذا الميم فى موضع باء
كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
أوهو النحل قرصها يجلب الحتـ * ـف اليها وماله انكاء

أى ولما انقضى شأن بنى قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك بعد انقضاء الاحزاب وانفجر جرح سعد بن معاذ أى الذى فى يده وسال الدم واحتضنه صلى الله عليه وسلم فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات منه وحمل الى منزله ولم يعلم صلى الله

استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس اسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه فأقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم ان يقدم اليه وفدهم فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم فى بقية شوال أو صدر ذى القعدة وسيأتى فى الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى

﴿بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن فى شهر رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فقال على رضى الله عنه يا رسول الله ما أصنع قال اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم

عليه وسلم بموته فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم من الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفى لفظ من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش وفى رواية عرش الرحمن أى فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش أى تحرك فرحا بذلك وقال النووى اهتزاز العرش هو فرح الملائكة بقدوم روحه وفيه أن هذا لا يحتاج اليه الا لو كان تحرك العرش مستحيلا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ فوجده قد مات وعن سلمة بن أسلم بن حريش رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى البيت أحد الا سعد مسجى فرأيته يتخطى وأومأ صلى الله عليه وسلم الى قف فوقفت ورددت من ورائى وجلس صلى الله عليه وسلم ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رأيت أحدا ورأيتك تتخطى فقال ما قدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة أحد جناحيه ﴿أقول﴾ قد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك عند تشييعه لجنازة ثعلبة بن عبد الرحمن الانصارى رضى الله عنه فانه صار يمشى على أطراف أنامله فلما دفن قيل يا رسول الله رأيناك تمشى على أطراف أناملك قال والذى بعثنى بالحق ما قدرت أن أضع قدمى من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه وقصته مذكورة فى السيرة الشامية ولما حملوا نعش سعد رضى الله عنه وكان جسيما وجدوا له خفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له حملة غيركم أى من الملائكة لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعدا أى جنازته ومنهم جملة ما وطئوا الارض الا يومهم هذا وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد رضى الله عنه قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من تراب وجاء لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما دفن سعد رضى الله عنه ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله لم سبحت أى وكبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه وجاء ان بعض أهل سعد رضى الله عنه سئل ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فى سبب تضايق القبر على سعد كما يرشد اليه جوابهم بقولهم فقالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر فى بعض الطهور من البول بعض التقصير وهذا قد يخالف ما فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بانه لا يضغط فى قبره وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم وكذا ما فى التذكرة للقرطبى الا فاطمة بنت أسد ببركته صلى الله عليه وسلم أى حيث اضطجع صلى الله عليه وسلم فى قبرها ويحتاج للجمع بينه وبين ما فى الخصائص وجاء عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يا رسول الله ما انتفعت بشئ منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال يا عائشة ان ضغطة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وضرب منكر ونكير عليه كالكحل فى العين ولكن يا عائشة ويل للشاكين الكافرين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغطا يقبض على الصخر أى وحينئذ يكون المراد بالمؤمن الذى هذا شأنه الذى لم يحصل منه تقصير فلا ينافى ما تقدم عن سعد فليتأمل وقد روى البيهقى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بن معاذ رضى الله عنه بين العمودين وبه استدل أئمتنا على أن ذلك أفضل من حمل الجنازة بالتربيع الذى اعتاده الناس الآن ومشى صلى الله عليه وسلم أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه رضى الله عنها ونظرت اليه فى اللحد وقالت أحتسبك عند الله وعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو

بالصلاة فان أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت وروى أبو داود وغيره من حديث على رضى الله عنه قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثنى الى قوم أسن منى وأنا حديث السن لا أبصر القضاء قال فوضع يده صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا على اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال على والله ما شككت فى قضاء بين اثنين فخرج على رضى الله عنه فى ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق أصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الاسود بن خزاعى فقتله الاسود وأخذ سلبه ثم صف على رضى الله عنه أصحابه ودفع لواءه الى

وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف صلى الله عليه وسلم ودعا ثم انصرف وناحت عليه أمه فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضى الله عنه أى فانه رضى الله عنه موصوف بكل ما يقال فيه من الاوصاف الحسنة بخلاف غيره وبعث صاحب دومة الجندل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة من سندس كاسيا أى فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم يعجبون من تلك الجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن يعنى من هذا ومن المعلوم ان المنديل أدنى الثياب لانه معد للامتهان فثيابه رضى الله عنه فى الجنة أعلى وأغلى وقد وهب صلى الله عليه وسلم تلك الجبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ونزلت توبة أبى لبابة رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك قالت فقلت مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها قيل وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب وهو لا يناسب ما تقدم فى قصة الافك فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده الشريفة وقيل المبشر له عائشة رضى الله تعالى عنها فلما مر صلى الله عليه وسلم على أبى لبابة خارجا الى صلاة الصبح اطلقه وجاء ان فاطمة رضى الله عنها أرادت اطلاقه فأبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى أى وظاهر هذا انه رضى الله عنه كان يبر باطلاق سيدتنا فاطمة رضى الله عنها انه فليتأمل وقد أقام مربوطا ست ليال أو سبع ليال وقيل سبع عشرة ليلة وقيل خمس عشرة ليلة وعليه اقتصر فى الامتاع وكانت تأتيه امرأته أو بنته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة وكذا اذا أراد حاجة الانسان ثم يعود فيربط بالعمود حتى كاد يذهب سمعه وبصره ولا مانع ان امرأته وبنته كانتا تتناوبان فى ذلك أى وجاء انه رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم من تمام توبتى ان اهجر دار قوم أصبت فيها الذنب وفيه انه تقدم انه عاهد الله على ذلك قال وان أنخلع من مالى فقال له عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به أى ولم يأمره صلى الله عليه وسلم أن يهجر تلك الدار والجمع بينه وبين ما تقدم من انه عاهد الله أن لا يطأ تلك الدار ممكن ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصارى بسبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا قال وفى لفظ بعث سعد بن عبادة الى الشام بسبايا يبيعهم ويشترى بهم سلاحا وخيلا أى فاشترى بذلك خيلا كثيرا قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما جملة من السبايا فجعلت تلك الجملة من السبايا قسمين جعلت الشواب على حدة وجعلت العجائز على حدة ثم خير عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان فأخذ العجائز وأخذ عبد الرحمن الشواب وجعل عثمان رضى الله تعالى عنه على كل واحدة منهن شيأ ان أتت به عتقت فكان المال يوجد عند العجائز ولا يوجد عند الشواب فربح عثمان مالا كثيرا ﴿أقول﴾ ويحتاج الى الجمع وقد يقال ان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة وعثمان وعبد الرحمن سبايا بنى قريظة فيكون قسموا ثلاثة أقسام قسم أعطى لسعد بن زيد وقسم أعطى لسعد بن عبادة وقسم اشتراه عثمان وعبد الرحمن ووقع الفداء فى سبايا بنى قريظة وحينئذ يكون المراد بقول القائل وبعث سعد بن زيد بسبايا بنى قريظة أى بجملة منهم وبعث سعد بن عبادة بسبايا أى بسبايا بنى قريظة أى

مسعود بن سنان الاسلمى فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فاسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع على الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب فى سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا رضى الله عنه الى اليمن وذلك فى رمضان سنة عشر فاسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك اليه صلى الله عليه وسلم فخر ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن على الاسلام لكن قوله فى التاريخ سنة عشر وهم لان بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر انما كان سنة عشر بعثه الى بنى مذحج وأما بعثه الى همدان

بجملة منهم وان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة غير سبايا بنى قريظة فالامر ظاهر ويدل لهذا الثانى اسقاط بنى قريظة منه ثم رأيته فى الامتاع أسقط قصة سعد بن زيد الانصارى واقتصر على سعد بن عبادة حيث قال ولما سبيت السبايا والذرية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة الى الشام مع سعد بن عبادة رضى الله عنه يبيعهم ويشترى سلاحا هذا كلامه والله أعلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين الام وولدها أى فى السبايا الاعم من بنى قريظة وقال لا يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ قيل يا رسول الله وما بلوغه قال تحيض الجارية ويحتلم الغلام وكان اذا وجد الولد الصغير ليس له أم لم يبع من المشركين أى مشركى العرب ولا من يهود وانما يباع من المسلمين أى وكانت أم الولد الصغير تباع من المشركين هى وولدها من العرب ومن يهود المدينة ٥ قال فى الامتاع وكان يفرق بين الاختين اذا بلغتا ومقتضاه انهما اذا لم يبلغا لا يفرق بينهما وأئمتنا معاشر الشافعية لم يحرموا الا التفرقة بين الاصول والفروع اذا لم يميز وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة ولعله لم تصح تلك الرواية عند امامنا الشافعى رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو وهو شمعون مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى النضير وكانت متزوجة فى بنى قريظة ولعله مراد من قال انها كانت من بنى قريظة أى وكانت جميلة وأسلمت بعد ان أبت الاسلام ووجد صلى الله عليه وسلم فى نفسه أى غضب بسبب ذلك أى بسبب عدم اسلامها ولم يظهر ذلك ثم لما أسلمت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقد جاء لما أبت ريحانة الاسلام عزلها صلى الله عليه وسلم ووجد فى نفسه لذلك وأرسل الى ثعلبة بن شعبة وكان ممن نزل من حصون بنى قريظة فى الليلة التى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ أى على ما فى بعض الروايات وأسلم هو واخوته أسيد وأسيد وأسد وابن عمه وأحرزوا دماءهم وأموالهم وليسوا من بنى قريظة وانما هم من بنى هذيل فذكر له صلى الله عليه وسلم ذلك فقال سعد فداك أبى وأمى هى مسلمة أى ظنا منه انها تسلم فخرج حتى جاءها ولا زال بها يقول لها أسلمى يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأجابت الى ذلك وأسلمت فبينما هو صلى الله عليه وسلم فى مجلس من أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هاتين لنعلا مبشرى باسلام ريحانة فكان كذلك وأخبره أنها أسلمت فسر صلى الله عليه وسلم بذلك واستمرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فى ملكه اختارت بقاءها فى ملكه على العتق والنكاح أى فقد خيرها صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها ويتزوجها أو تكون فى ملكه يطؤها بالملك فاختارت أن تكون فى ملكه قال بعضهم والاثبت عند أهل العلم انه أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا وأعرس بها فى المحرم سنة ست بعد ان حاضت حيضة وضرب عليها الحجاب فغارت عليه فطلقها تطليقة فأكثرت من البكاء فراجعها ولم تزل عنده صلى الله عليه وسلم حتى ماتت عند مرجعه من حجة الوداع سنة عشر فدفنها بالبقيع

و وجوب استبرائها بحيضة يدل لما قاله فقهاؤنا ان من ملك أمة وطئها غيره
وطأ غير محرم لا يحل له تزوجها قبل استبرائها وان أعتقها وتقدم
ان قريظة والنضير اخوان من أولاد هرون على نبينا وعليه
وعلى سائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث أوله غزوة بنى لحيان﴾

فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث على رضى الله عنه الى اليمن حصل مرتين وفى البخارى عن البراء رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر أصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت أواقى ذوات عدد زاد الاسماعيلى فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح فى ان البعث الاول كان فى أواخر سنة ثمان وانه الى همدان واما الثانى فكان فى رمضان سنة عشر الى مذحج

